الجامعة

﴿ الجزء الاول ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اغسطس (آب) سنة ١٩٠١ — ربيع الثاني ١٣١٩ ﴾



جبل طارق

﴿ حديث حديث يذكر بالحديث القديم ﴾

(واني لتعروني لذكراك هزة   كما انتفض العصفور بلله القطر)

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

(في كل جزء شهير وشهيرة)

مجد الاسلام القديم

﴿ تاريخ الاندلس من اوله الى آخره ﴾

(ومشاهير رجال الاسلام الذين عاشوا في ذلك العصر)

﴿ سلطان مراكش الحالي ﴾

حنين الى مجد قديم · العناصر التي تالفت منها اسبانيا قبل المسلمين · اوروبا تلميذة الفينيقيين · غزوة الاندلس على يد طريف وطارق وموسى بن نصير وافتتاحها · معاملة العرب للمغلوبين · العزم على فتح اوروبا والعودة الى الشام عن طريق البحر الاسود · الواقعة الفاصلة بين التمدن الاندلسي والاوروبي · ثلاثة ابيات شعر تولى صاحبها امارة الاندلس · بنو امية وبلوغ التمدن الاندلسي اعلى ذراه في عهدهم · اوروبا تلميذة مسلمي الاندلس في العلم والصناعة والفلسفة · اضطهاد الدين للعلم · زوال عز عظيم · سلطنة المغرب اليوم · جبل طارق القديم والحديث

حنت اللغة العربية في الشهر الماضي شوقاً الى مجدها القديم · فقد سمعت في كل سيارات العالم ذكر «طارق» و «جبل طارق» واسبانيا و «سلطنة المغرب» والوفود التي اوفدتها هذه السلطنة الى انكلترا وفرنسا والمانيا فذكرت ذلك العزّ المعهود والظلّ الممدود · ذكرت طارق وفتحه الاندلس (اسبانيا) وليالي الامير عبد الرحمن فيها وازدحام العلماء والشعراء والكتاب في بابه · والمصنوعات الاندلسية التي كانت تتوزع من المصانع والمعامل العربية الاندلسية في الغرب والشرق · والفنون العربية الاندلسية التي لا تزال آثارها في غرناطه واشبيلية وطليطلة الى هذه الايام · ووصول خيول العرب والمغاربة الى مدينة ليون (فرنسا) فاتحة غازية · وبلوغ امراء الاندلس من الجاه والسطوة مبلغاً صاروا معه يعيدون ملوك الافرنج الى عروشهم اذا ازلتهم رعيتهم عنها وصارت دول الارض تترضاهم وتوفد الوفود اليهم

كل ذلك ذكرته اللغة العربية في الشهر الماضي فحق لها ان تنشد قول الشاعر

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

وفي الحقيقة انها ذكرى تسرّ وتُنسي المتأمل شيئاً كثيراً من احزان الحالة الحاضرة· وسنقلّب في هذه المقالة صفحات ذلك الزمن المجيد ملخصين تاريخ فتح الاندلس وذاكرين طرفاً من التمدن العربي الذي بلغ فيهـا مبلغاً لم يبلغه التمدن الافرنجي الى ذلك الحين ثم نتطرق الى ذكر طارق وجبله القديم والحديث وبلاد المغرب وما كان بينهـا وبين امراء الاندلس وبغداد اتماماً للفائدة فنقول وعلى الله الاتكال

﴿ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي ﴾ لاسبانيـا في التاريخ خمسة ادوار وقد صارت بالحرب الاميركية الاخيرة ستة · اما دورها الاول فهو الدور القديم الذي كانت فيـه قبائل متفرقة · وقد كان يسكنها على الارجح قوم يسمونهم « الايبيريين » ومن ذلك اشتق اسم اسبانيا فانه كان من قبل « هباريا » ثم صار اسبانيا ومعنى هباريا « بلاد الغربيين » اما مؤرخو العرب وفيهم ابن الاثير فانهم يقولون « ان النصارى يسمون الاندلس اشبانيه باسم رجل صُلب فيها يُقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها في الزمن الاول اسمه اشبان بن طيطش وهذا هو اسمها عند بطليموس »

اما قبائل الايبيريين الذين تقدم ذكرهم فقد وقع الخلاف في اصلهم · فمن قائل انهم قدموا من جبال القوقاز حيث لا يزال لهم اثر فيها وبناء عليه فانهم يعتبرونهم طليعة الاسيويين الذين اغاروا على بلاد اوربا منذ القديم · ومن قائل انهم من جنس تتوني وان لغتهم فرع من اللغة التتونية · وغيرهم يزعم انهم من جنس افريقي عبر مضيق جبل طارق الذي يفصل افريقيا عن اسبانيا واقام فيها

وكان الفينيقيون اول من اكتشفوا اسبانيا فان هذه الامة التجارية كانت في ذلك الزمان تصنع ما تصنعه اوربا اليوم فكأنّ اوربا تلميذة لها · وذلك انها كانت تصنع في معاملها في صيدا وصور وسواها مصنوعات كالمصنوعات التي تتجر بها اوربا اليوم مع الزنوج

﴿ الجامعة ﴾ اعتمدنا في كتابة هذا التاريخ العظيم الفائدة والجليل الشأن على مصادر مختلفة اهمها الكتب الآتية : تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابي الفداء وتاريخ الاندلس للمؤرخ باولوسكي وتاريخ غرناطة وقرطبة لمسيو كات وغيرها · ونحن واثقون بان القراء سيطالعونه بلذة وسرور ينسياننا شيئاً من التعب الذي عانيناه في المراجعة والمقابلة والتنقيب · وحسبنا ذلك

والقبائل مثل الآنية الزجاجية الملونة والانسجة المصبوغة واشياء كثيرة لزينة الرجال والنساء ثم انها تحمل هذه السلع التافهة وتطوف بها الارض المعمورة لتقايض عليها بحاصلات نفيسة . وقد وصلت السفن الفينيقية الى اسبانيا في القرن الرابع عشر او الخامس عشر قبل الميلاد المسيحي اي منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام فاحسن الفينيقيون معاملة اهلها خلافاً لما صنعه الاسبانيون في اميركا حين اكتشافهم اياها وعرضوا لهم سلعهم فسرّت قبائل الايبيريين بها وقايضتهم عليها بما كان لديهم من زيت الزيتون والخمر والصوف والمعادن الذهبية والفضية التي لم يكن الاسبانيون يعرفون لها قيمة . وقد قال سترابون « ان ما وجد في ارض اسبانيا من الذهب والفضة والنحاس والحديد لم يوجد له مثيل في جودته وكثرته في جميع اقطار العالم » . فمن هناك كان الفينيقيون يعودون بالخيرات الكثيرة

وقد بنى الفينيقيون على شواطىء اسبانيا وافريقيا كثيراً من المراكز التجارية فصارت بعد ذلك مدناً عامرة . منها في اسبانيا « قادر » او قادس وهي قادش كما يسميها العرب ومالقه وقرطبه ومعناها (بلاد الزيتون) لكثرة ما كان منه فيها . وكانت هذه المدن الثلاث اهم مراكزهم التجارية . وكان السكان على اتفاق تام مع ضيوفهم اذ لم يكن لهؤلاء الضيوف سوى اغراض تجارية خلافاً للمستعمرين في هذا الزمان الذين يسعون في استعمارهم الى التهام البلاد وثروتها معاً . اما الفينيقيون فانهم كانوا لحكمتهم يكتفون بالثروة ويتركون البلاد لاهلها

وكان اليونان يزاحمون الفينيقيين في التجارة في ذلك الزمان فلم يلبثوا ان تحولوا الى اسبانيا فترك لهم الفينيقيون شاطىء اسبانيا الشرقي فانشأ فيه الرودوسيون مدينة « روزا » وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد المسيحي ثم جاء الفوسيون وهم من يونان (ايونيا) في اسيا الصغرى فبنوا مدينة امبورياس ومعناها (السوق) واقاموا في (دنيا) هيكلاً للالاهة ديانا حامية افسس . فكان ذلك اول شعاع من اشعة التمدن التي دخلت الى اسبانيا

ثم سقطت فينيقية تحت ضربات نبوخذ نصر الفاتح الاشوري الذي خرب صور ملكة التجارة والبحار في تلك الايام فاصبحت جميع المدن التي انشأها الفينيقيون خارج بلادهم هدفاً لمطامع الطامعين . فاغار قبائل التورديتانيين في اسبانيا على مدينة قادش الفينيقية فاستنجدت قادش بقرطجنة ابنة فينيقية واحدى مستعمراتها لان الفينيقيين هم الذين عمروا قرطجنة كما لا يخفى . فاحتلت قرطجننة محل الفينيقيين بعد سقوطهم فوالت الاسبانيين

وحالفتهم وقد كانت تتخذ منهم جنوداً لمحاربة الرومانيين . ولولاهم لما استطاعت الثبات امام رومه وقتاً طويلاً

فلما راى السناتو الروماني هذا الخطر تلافاه بان ارسل قواده يوالون الاسبانيين ويحالفونهم فتردد الاسبانيون في بدء الامر ولكن بعضهم عاد فحالفهم فتمكن الرومانيون حينئذٍ من اسقاط قرطجنة فاصبحت اسبانيا بلاداً رومانية

وكان قد دخل الى اسبانيا قبائل جديدة من السلتيين فانضمت الى الايبيريين وامتزجت بهم امتزاج الماء بالراح فصارت اسبانيا مؤلفة من عنصرين

ثم كانت غزوة برابرة الشمال للرومانيين في عام ٤٠٦ للميلاد المسيحي وهم بين جرمان وسلاف وتتر فطاف منهم فريق كبير في غاليا (فرنسا) وايطاليا حتى بلغوا جبال البيرينه التي على تخوم اسبانيا فدخلوا اليها في عام ٤٠٩ وامعنوا فيها سلباً وقتلاً وحرقاً . وقد قال ابن الاثير في كلامه عن فتح الاندلس « ثم دخلت عليهم (الاسبانيين) امة القوط (يعني القوثيين امة الغوث) مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس (يعني اسبانيا) فاقتطعوها من يومئذٍ عن صاحب رومه وكان ابتداء ظهورهم من ناحية ايطاليا شرق الاندلس » فصارت اسبانيا مؤلفة من اربعة عناصر : الايبيريين والسلتيين وبرابرة الشمال والقوثيين . هذا فضلاً عن العنصر الفينيقي والعنصر القرطجني اللذين هما في الحقيقة واحد وان كانا اثنين . ولذلك قلنا في صدر الكلام ان لتاريخ اسبانيا خمسة ادوار : الاول دور الفينيقيين . والثاني دور الرومانيين . والثالث دور القوثيين . والرابع دور المسلمين الذي قد بلغناه الآن

٢

﴿ ابتداء الفتح الاسلامي فيها ﴾ وقد اختلف المؤرخون في سبب هذا الفتح . فمن قائل ان الفتح الاسلامي كان عقاباً الهياً للقوثيين وملوكهم على افسادهم في البلاد وظلمهم العباد . ومن قائل ان الفتح الاسلامي لاسبانيا كان نتيجة لازمة لاستيلاء المسلمين على افريقيا لانَّ النزاع استمرَّ شديداً بين كل القبائل التي عاشت على مرور الزمان فوق الشاطىء الافريقي والشاطىء الاوروبي من مضيق جبل طارق . ومن قائل ان احد امراء القوثيين هو الذي استدعى العرب الى الاندلس انتقاماً من ملك الاسبان لانه اهان ابنته . ولعل هذا القول هو القول الراجح . قال ابن الاثير بهذا الشان : وكانت عادة امراء الاسبان انهم يبعثون اولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة ليكونوا في خدمة الملك ويتأدبوا بذلك فاذا بلغوا الحلم ازوج بعضهم بعضاً وتولى تجهيزهم . فلما ولي رذريق (يعني الامبراطور

رودريك) ارسل اليه يوليان (يعني الكونت جوليين امير سوتة وهي سبتة) ابنة له فاستحسنها رودريك « واعتدى عليها » فكتبت الى ابيها فاغضبه ذلك . وكانت افريقيا يومئذٍ في قبضة المسلمين والوالي عليها من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك هو موسى بن نصير وكرسيه في القيروان عاصمة افريقيا يومئذٍ . فكتب اليه يوليان يجامله ويستدعيه اليه فسار اليه فوصف له يوليان الاندلس وزين له غزوتها فكتب موسى الى الوليد يبلغه ذلك فاجابه الوليد « خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال » . فكتب اليه موسى عن مضيق جبل طارق « انه ليس بحر متسع انما هو خليج يبين ما وراءه » فكتب اليه الوليد « ان اختبرها بالسرايا اذا كان الامر ما حكيت » فبعث رجلاً من مواليه يقال له « طريف » في اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فعبر طريف المضيق في اربع سفائن ونزل في جزيرة الاندلس (١) فسميت جزيرة « طريف » لنزوله فيها . ولا يزال هذا الاسم اسم مدينة هناك الى هذه الايام ومن الكتاب من يعربها تاريف او تعريف لذهاب اصلها عنه .

٣

﴿ طارق وغزوته ﴾ ثم اغار طريف على الجزيرة الخضراء فاصاب غنيمة ورجع سالماً في رمضان سنة احدى وتسعين . فلما راى الناس ذلك تسرعوا الى الغزو طلباً للغنيمة - فدعا موسى والي افريقيا عاملاً له او مولى له كان قائد جيوشه يقال له « طارق بن زياد » وبعثه لغزوة الاندلس في سبعة الاف من المسلمين اكثرهم من البربر والموالي واقلهم من العرب . فساروا في البحر حتى انتهوا الى جبل شائع على الشاطئ الاسباني فنزلوا فيه فسمي « بجبل طارق » الى هذه الايام

ثم زحف طارق من الجبل مع جيشه فطرد امامه الاسبانيين الذين وجدهم في طريقه وكانوا بقيادة تودمير وبعد ذلك قسم جيشه سرايا سرايا فسارت تقذف الرعب والخوف في قلوب السكان . فلما بلغ الامر الى الملك رودريك جمع من القوط والاسبانيين الرومانيين مائة الف رجل في رواية ابن الاثير وقصد بها طارق . فاسرع طارق الى لم شمل السرايا التي فرقها وكتب الى رئيسه موسى ابن نصير يستنجده على الاعداء فامده موسى بخمسة الاف رجل فبلغ بهم الجيش العربي في اسبانيا ١٢ الف مقاتل . فلقي طارق بهذا

(١) والصواب انها شبه جزيرة او بجيجزيرة كما يقول العرب . ويسمي كتاب العرب اسبانيا بلاد الاندلس من قبيل تسمية الكل بجزء منه لان الاندلس اقليم من اقاليم اسبانيا



﴿ لمحة من خريطة اسبانياومضيق جبل طارق ﴾

الجيش جيش رودريك على ضفة نهر « كاوالت » الذي يسميه العرب « لكه » وذلك قرب مدينة كسيرس التي يسمونها « شذونه » وكان الكونت جوليين في جيش العرب على ما يُقال يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار وكان في الجيش العربي ايضاً كثيرون من اليهود والمسيحيين الساخطين على الملك رودريك ورجال بلاطه · فاستمرّ القتال على ما يُقال ثلاثة ايام وانتهى بانتصار العرب ومقتل الملك رودريك من يد طارق ومنهم من قال انه لم يُقتل ولكنه ارتد بقسم من جيشه المكسور الى جبال غاليسيا · فاخذ طارق يطارد الهاربين ويُخضع البلاد بسرعة غريبة · وكانت هذه اشد معارك الفتح مع الاسبانيين

ولما سمع موسى بن نصير بما اوتي عامله طارق من الفتح العظيم حسده فجمع جيشاً كثيفاً من اهل الشام الذين كانوا معه ودخل الى الاندلس ليتمّ الفتح بنفسه وامر طارقاً بالكف عن القتال · فلم يكف طارق اما لانه رأى من الحكمة ان لا يُمهل الاسبانيين

فيلوا شملهم واما انه وجد من حقـه ان يتم الفتح الذي بدأ به . فقسم جيشه ثلاثة اقسام ووجهها لفتح مالقه وقرطبه (كوردو) واستجه (اسيجا) ثم سار بنفسه لفتح طليطلة (توليدو) الواقعة في وسط اسبانيا فاحتلها ووجد فيها كثيرًا من النفائس والاموال . وكان جيش الاسلام مامورًا بعدم النهب والسلب وبحسن معاملة السكان وباطلاق حرية الدين لهم وبابقاء املاكهم وحفظ قضاتهم واستقلالهم النوعي على شرط ان يؤدوا الجزية التي كانت تختلف بين خمس دخل الرجل او عشره . ومع ذلك فقد كانت هذ الجزية اخف من الجزية التي كان يدفعها الاسبانيون للقوثيين . فضعفت همة الاسبانيين عن مقاومة العرب بعد ما راوه من حسن معاملتهم وفضلهم على القوثيين الذين كانوا يظلمونهم . وانما كانوا يخافون العرب خوفًا شديدًا لان طريفًا كما قال مؤرخو العرب اوهم الاسبانيين انه يا كلهم هو ومن معه رغبةً في ارهابهم فبقي الاسبانيون يحذرونهم ويذكرون هذا الامر حتى عرفوا دماثة اخلاقهم فتركوا ذلك الفكر الغريب الذي اثاره مزاح طريف

٤

﴿ غزوة موسى بن نصير عامل الوليد ﴾ اما موسى بن نصير فانه اوغل بجيشه في اسبانيـا للفتح فقيل له تسلك طريق طارق فابى واستنكر ان يقلد عامله ويمشي على اثره . فسار الى قرمونه واشبيلية (سيفيل) وغيرها من المدن الاسبانية فافتتحها . ووصلته في ١١ يوليو من ذلك العام (٧١٢ للميلاد) نجدات عظيمة من افريقيا . وكان همُّ موسى عامله طارق الذي عصي امره . قال ابن الاثير « وسار موسى من مدينة مارده في شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما ابصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى بمدينة طليطلة فطلب منه ما غنم » ثم ان موسى وابنه عبد العزيز وطارقًا عامله الذي عزله ثم ولاه القيادة ساروا كل واحد في جهة واخذوا يفتحون المدن ويخضعون السكان فلم يأتِ عليهم عام في اسبانيا حتى دوخوا البلاد من جبل طارق الى تخوم جبال البيرينه

وكان موسى بن نصير تحدثه نفسه بامر عظيم . فانه كان ينوي النزول من البيرينـه الى غاليا « فرنسا » ومنها يفتح اوربا كلها ويعود الى الوليد في الشام عن طريق البحر الاسود . ولكن الوليد لم يمهله فاستدعاه اليه في عام ٧١٣ للميلاد مع طارق مولاه الذي اصبح مناظرًا له . فاستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز ثم عبر البحر الى سبته « مقابل جبل طارق وتُدعى اليوم سوته » فاستخلف عليها وعلى طنجة ابنه عبد الملك واستخلف على افريقيـا

واعالما ابنه الكبير عبدالله ثم قصد الشام مع طارق لمقابلة الخليفة

فحكم عبد العزيز بن موسى في الاندلس حكماً عادلاً استمال الاهالي اليه وحبب اليهم سلطة الاسلام . ولكنه لم يلبث ان عُزل بعد عامين لان خصومه اتهموه بالميل الى المسيحيين وبانه تزوج باجيليون ارملة الملك رودريك وهو امر لم يثبت عليه . واما ابن الاثير فانه يقول ان الجنود قتلته بامر الخليفة لحمله الناس على السجود له طوعاً لارملة رودريك . وبعد عبدالعزيز نادى رؤساء الجيش برجل يدعى « ايوب » والياً للاندلس وكان شجاعاً واحد قواد الجيش . فنقل ايوب كرسي الولاية من اشبيلية الى قرطبة واخذ يطوف في جميع الاقاليم الخاضعة للاسلام لافتقاد الامن والعدل وانصاف الناس . ثم انه التفت الى عمارة المدن وراحة السكان لينسيهم شقاء الحروب فبنى على انقاض مدينة بليلس التي هدمت في اثناء الفتح مدينة سماها « قلعة ايوب » واسمها اليوم عند الافرنج « كالاتايود » وكانت الاندلس تابعة لولاية افريقيا فعزل والي افريقيا ايوب عن ولاية الاندلس بامر من الخليفة وولى مكانه رجلاً يدعى « الحر » ثم عُزل الحر وولي « السمح » فاحصى هذا الوالي عدد السكان في الولايات الاندلسية وغزا غاليا - فرنسا - فوصلت جنوده الى مدينة طولوز الفرنسوية فجرى بالقرب منها بينه وبين الكونت اوديوس قتال شديد انتهى بقتل ايوب وانكسار جنوده فعادوا ادراجهم الى الاندلس وقد سميت تلك الطريق « طريق الشهداء » لكثرة ما قتل من العرب فيها . وكان بين القواد الذين عادوا من واقعة تولوز قائد يُدعى عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي فنادى به الجيش والياً للاندلس ثم خلفه عنبسة بن شحيم الكلبي فاقام عبد الرحمن تحت زعامته وكان عنبسة قرماً عنيداً فطلب الغاليين « الفرنسويين » ليثأر منهم للذين قُتلوا في واقعة تولوز ففتح مدينتي قرقسونه وليون (١) ثم خرب شاطئ نهر الرون ونهر السون ونهب مدينة اوتين وعاد بكثير من الغنائم والاسلاب . ولكنه بينما كان عائداً من غزوته تكاثر عليه الغاليون فقتلوه قرب مدينة نربون . فخلفه عزره بن عبدالله ثم يحيي بن سلامه ثم حذيفة القيسي وغيرهم ممن لا همة لهم فلم يفعلوا فعلاً يُذكر فاعيد الى الولاية عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي

(١) تولوز المذكورة آنفاً مدينة فرنسوية على مسافة ٧٥١ كيلومتراً من باريز وعدد سكانها اليوم ١٥٠ الف نفس وليون مدينة فرنسوية مشهورة وهي على مسافة ٥١٢ كيلومتراً من باريز وعدد سكانها اليوم ٤٥٠ الف نسمة . فما تقدم يظهر ان العرب وصلوا في غزواتهم الى قلب فرنسا تقريباً

٥

﴿ الواقعة الفاصلة بين التمدن الاسلامي والتمدن الاوروبي ﴾ ومن الغريب ان كثيرين من مؤرخي العرب وفي جملتهم ابن الاثير اكتفوا فيما ذكروه عن عبد الرحمن بقولهم « فخرج عبد الرحمن غازياً ببلاد الافرنج (١) فقتل هو ومن معه شهداء » مع ان المعركة التي قُتل عبد الرحمن في اثنائها من اعظم المعارك وعليها كانت تتوقف سيادة العنصر العربي او العنصر الاوروبي في العالم ولذلك نذكرها بشيء من التفصيل وان كان المجال ضيقاً فنقول

لما ولي عبد الرحمن امارة الاندلس للمرة الثانية اخذ ينظم حملة قوية لغزوة الفرنك بها. وقد نادى بالجهاد في سبيل الله فتقاطر عليه الناس من سوريا ومصر وافريقيا قياماً بحق الجهاد . فاجتاز بهم عبد الرحمن جبال البيرينه وانقض على بلاد الفرنك كالصاعقة ففتح مدينة بوردو واخرب جميع امارة غسكونيا وكسر الكونت اوديوس الذي تقدم ذكره وهاجم مدينة بواتيه فاحرق احد احيائها . وكانت ضرباته شديدة سريعة فاسرع اليه شارل مارتل بقبائل الجرمانيين لرد غاراته عن البلاد فالتقى به في سهول قرب مدينة بواتيه فحدث هناك بين الجيشين قتال لم يحدث اشد منه . وقد كانت القبائل الجرمانية تلبس الحديد اتقاء السلاح وقبائل العرب مكشوفة على خيولها الخفيفة والمغاربة نصف اجسامهم عارية فكان لهذا الخليط في ساحة القتال منظر غريب . وقد دام القتال فيما يقال يومين كاملين لان كل فريق منهما كان يعتبر هذه الواقعة حدّاً فاصلاً . غير انه كان في جيش العرب شيء لا يحصى من الغنائم والنفائس التي جمعها في غزوته وكان زعيمه عبد الرحمن قد مات في القتال موت الابطال فرأى الجيش من الحكمة ان يعود ادراجه لتولية زعيم مكانه وخوفاً من فقد النفائس التي في يده . فاقتلع اطنابه تحت جنح الليل وعاد الى الاندلس . ولو قدر عرب الاندلس على قهر اعدائهم في هذه الواقعة لفتحوا اوربا كلها وقتلوا التمدن الاوربي كما يُقتل الطفل في مهده . وكانت هذه الواقعة المشهورة في شهر اكتوبر من عام ٧٣٢ للميلاد المسيحي اي منذ ١١٦٩ عاماً . فيكون الجرمانيون والفرنك قد انقذوا اوربا من الهلاك

---

(١) تطلق اليوم لفظة « افرنجي » على جميع اهل الغرب من اوربا واميركا . ولكن لم يُقصد بها في الاصل سوى « الفرنك » وهم الغاليون الفرنسويون الذين وقفوا في وجهه العرب بعد فتحهم الاندلس

٦

﴿ تعاقب الولاة ﴾ ثم ولي الاندلس عبد الملك بن قطن وخلفه عقبه بن الحجاج السلولي وقد حاول كلاهما الاخذ بالثأر من الافرنج فعجزوا عن ذلك . وكان الامل قد عاد الى الاسبانيين فهاجموا العرب من الجبال وكسروهم عدة مرات . فاخذ عقبه يستعد لغزوة بلاد الفرنك غزوة كبرى واذا بامر ورده من والي افريقية وهو العامل الكبير عليها وعلى الاندلس بعبور البحر الى افريقيـة لاخماد ثورة الخارجين من المغاربه والبربر . وكانت هذه الثورة شديدة فعبر عقبه البحر اليهم وكسرهم شر كسرة . فاغتنم شارل مارتل هذه الفرصة وحصر المراكز العربية مما يلي جبال البيرينه خارج اسبانيا وهي نربون ومغلون واجده وبزبير ففتحهـا . ثم اعيد منصب الولاية الى عبد الملك بن قطن بعد ان حكم عقبه الاندلس حكماً عادلاً . فحدث في افريقية في عهده قتال شديد بين العرب والبربر فاضطر عشرون الفاً من العرب الى عبور البحر الى الاندلس ولما وصلوا اليها قتلوا عبد الملك لانه لم يخدم على اعدائهم وولوا على الاندلس احد قوادهم واسمه بلج فانكر هذه الولاية قائد ثان لم وخرج على الوالي وكذلك صنع المغاربة والبربر المقيمون في الاندلس فثارت بين الجميع حروب اهليـة شديدة انتهت بمقتل بلج وولاية عبد الرحمن بن خطار الذي قتله بيده ولذلك تلقب (المنصور) فاخذ الوالي الجديد في الضرب على ايدي البربر الخارجين على والي افريقية تأييداً لسلطته

ثم ولي الاندلس ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي . وسبب توليته ثلاثة ابيات من الشعر قالها فاعجب بها هشام بن عبد الملك فامر حنظلة بن صفوان الكلبي عامله في افريقية ان يوليه الاندلس . اما الابيات فهذا نصها

افادت بنو مروان قيساً دماءنا وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدلُ
كانكم لم تشهدوا مرج راهط ولم تعلموا من كان ثم له الفضلُ
وقيناكمُ حرَّ القنا بنحورنا وليس لكم خيل تُعدُّ ولا رجلُ

فالعجب لزمن كان الشعر فيه يولي صاحبه ازمة البلاد ويحكمه في العباد

ولما وصل ابو الخطار الى الاندلس قبض على رؤساء الخوارج ثم امر باحصاء السكان واعطاء القبائل الرحل اراضي يحرثونها ويزرعونها وذلك لاغرائهم بالاقامة فيها وصرف خواطرهم عن التقاطع والتنازع فيما بينهم لان اهل الشام كانوا قد عزموا على مغادرة الاندلس والعودة الى اوطانهم . ولكن لم يلبث ان خرج عليه ثوابة بن سلمـه الحداني احد عمال الاندلس الناقمين فحدث بين الفريقين قتال انتهى بهرب ابي الخطار وولاية ثوابة . فحكم ثوابة سنتين

حكمًا سيئًا ثم توفي فعاد اهل الاندلس الى الاختلاف على الولاية وكان كلٌّ من المضريين واليمنيين يطلب ان تكون الولاية فيه ولكنهم عادوا فاتفقوا على ان يكون والي الاندلس قرشيًا فولي يوسف بن عبد الرحمن الفهري

وكان هذا الرجل عظيم القدر واسع الاطلاع محبًا للعدل والانصاف فاصلح احوال الاندلس اصلاحًا يُذكر فانه قسمها الى خمسة اقاليم : الاول اقليم الاندلس ويسميه الافرنج « اندالوس » والثاني اقليم طليطلة ويسميه الافرنج اليوم « اقليم قرطجنه » والثالث مارده ويسمونه اليوم « لوزيتانيا وغاليسيا » والرابع سرقسطه ويسمونه اليوم « تاراكونيزيا » ثم انه طاف في هذه الاقاليم كلها واخذ ينشيء فيها الجسور « الكباري » ويصلح الطرق ويبني الجوامع والمساجد وما زال على هذه الهمة والسعي المشكور حتى حدثت الفتنة المشهورة بين بني امية وبني العباس في الشام

٧

﴿ دولة الامويين في الاندلس ﴾ ولما سقطت دولة الامويين في بلاد الشام وقامت دولة العباسيين وتقررت الخلافة للسفاح اول خلفائها جعل السفاح يطارد الامويين قتلاً وتشريدًا وفي ذلك روايات وحكايات لا محل لذكرها هنا . فكان لتلك الحادثة العظيمة رجع صدى في الاندلس اذ قام العرب والبربر فيها بعضهم على بعض ففريق مع العباسيين وفريق مع الامويين وشبت بينهم نيران حروب اهلية كادت تفضي الى ضعضعة سلطة المسلمين في اسبانيا لولا قدوم عبد الرحمن بن معاوية احد الامراء الامويين اليها فرارًا من وجه العباسيين في المشرق . فجمع هذا الامير حول لوائه بعض القبائل الشامية والمصرية والبربر فضلاً عمن كان في صحبته من الاعوان وهاجم يوسف الفهري عامل العباسيين فهزمه ثم قصد قرطبة العاصمة ففتحها ونادى بنفسه اميرًا للاندلس ولم يسم نفسه خليفة لانه كان ممن بايعوا خليفة العباسيين في المشرق . ويسمي الافرنج هذا الامير عبد الرحمن الاول لانه اول امراء بني امية في الاندلس ويسميه العرب عبد الرحمن الداخل لانه اول من دخل اليها منهم . وكان ذلك في عام ٧٥٦ للميلاد

ولكن انصار العباسيين في الاندلس اصروا على عدائهم للامير عبد الرحمن واستنجدوا بالفرنك عليه فزحف شارلمان الكبير ملك الفرنك لانجادهم فعبر جبال البيرينه في عام ٧٧٧ وفتح بيلونه ولكنه اضطر الى النكوص فهزم الفسكونيون مؤخرة جيشه في واقعة رونسفو المشهورة هزيمة شديدة قُتل فيها البطل رولاند وقد بنى كورنيل على هذه الواقعة رواية

« شارلمان » التي نقلها المرحوم اديب بك اسحق الى اللغة العربية

٨

﴿ بلوغ التمدن الاسلامي اعلى ذراه في الاندلس ﴾ ومنذ هذا الحين بدأ في الاندلس عصر جديد · عصر تمدن زاهر وعز مقيم · فان الامير عبد الرحمن اخذ يزين عاصمته احسن زينة غيرة من العباسيين في بغداد فانفق ٨٠ الف دينار على انشاء قصر له وعلى وضع اساسات جامع قرطبة المشهور وقد توفي دون ان يتمها · فخلفه ابنه هشام في عام ٧٨٨ ويسميه الافرنج هشام الاول ثم خلفه الحكم بن هشام في عام ٧٩٦ ويسمونه الحكم الاول ثم خلفه ابنه عبد الرحمن الاوسط في عام ٨٢٢ ويسمونه عبد الرحمن الثاني ثم خلفه ابنه محمد في عام ٨٥٢ ويسمونه محمد الاول ثم خلفه ابنه المنذر في عام ٨٨٦ ثم خلفه اخوه عبد الله في عام ٨٨٨ · ولكن حكم هؤلاء الامراء جميعاً كان في مدة القرن الذي انقضى عليهم مضطرباً جداً لان الافرنج كانوا يهاجمونهم من جانب وانصار العباسيين من جانب · وما زال الحال على هذا المنوال حتى قام عبد الرحمن الثالث · حفيد الامير عبد الله اخي المنذر الذي تقدم ذكره

وكان عمر عبد الرحمن عند قبضه على ازمة الامارة ٢١ عاماً فكان مع صغر سنه شهماً هماماً ورجلاً من خيرة الرجال فاقدم على ما احجم عنه اجداده فتلقب بالخلافة وسمى نفسه امير المؤمنين ثم ضرب النقود باسمه وامر ان يُخطب باسمه في الجوامع ويقال انه منع رعيته من الحج لئلا يصادرهم العباسيون · وبذلك قطع كل صلة بين الاندلس وبغداد · وقد حكم هذا الامير من عام ٩١٢ الى عام ٩٦١ اي ٤٩ عاماً فبلغت اسبانيا في حكمه مبلغاً من التمدن لم تعرفه قبل ذلك العهد ولا عرفته بعده فانه نشر لواء العدل والامن في البلاد واعلى منار العلم حتى جعل الشعراء يقولون في وصف قرطبة

باربع فاقت الامصار قرطبة — منهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هذان ثنتان والزهراء ثالثة — والعلم اعظم شيء وهو رابعها

فبارك الله في عصر كان ابناؤه يعدون العلم خير ما يُقتنى واعظم ما يُجتنى

اما الجامع العظيم الذي ذُكر في هذين البيتين فقد تقدم ذكره واما الزهراء فهي جنة فيحاء بل فردوس ارضي انشأه عبد الرحمن على مسافة ٥ اميال من قرطبة بناء على طلب جارية له تسمى « الزهراء » وكان شديد الشغف بها · وقد بنى الزهراء في بدء بنائها قصراً للاقامة فيه ثم توسع في البناء فبنى بازاء القصر مدينة تحت جبل يسمى جبل العروس وقد

غرسه اشجاراً مثمرة كالتين واللوز · وقد قدر بعضهم انه كان ينفق على بناء هذه المدينة ٣٠٠ الف دينار في كل يوم وقد دام هذا الانفاق ٢٥ عاماً · وقد طلب لها الرخام من اقطار العالم ابيض ومجزعاً وسماقياً وغير ذلك وانشأ فيها حياض المياه مزينة بالتماثيل الرخامية والذهبية وحفر فيها بحيرة وضع فيها الاسماك المختلفة وقد روى بعضهم انه كان يُخبز لهذه الاسماك في كل يوم ١٢ الف خَبزة ويُنقع لها في الماء ستة اقفزة من الحمص الاسود

وقد طارت شهرة عبد الرحمن الى اوربا فجاءته الوفود من المانيا واليونان استرضاء له · وبلغت الاندلس في عهده اقصى درجاتها من الحضارة والمجد في العلم والصناعة والتجارة والفنون · اما في العلم فقد بعث عبد الرحمن الى القسطنطينية وكان امبراطورها القيصر رومانوس والى بلاد العرب ومصر وفارس وافريقية وغيرها باناس لشراء الكتب ونسخها وترجمتها كما صنع الافرنج بالكتب العربية بعد زوال دولة الاندلس · ويقال انه كان في الاندلس ٧٠ مكتبة للمطالعة · اما مدارسها فكانت اشهر من ان تذكر وقد قيل انه كان في قرطبة وحدها ثمانون مدرسة كبرى يُعلم فيها جميع العلوم الدينية واللغوية التي تُعلم الآن في الجامع الازهر الشريف وفوق ذلك الرياضيات بانواعها والتاريخ والجوغرافيا وعلم الفلك والطب والصناعة وما شاكلها · وكانت المدارس العربية الاسلامية كما قال العالم جفراي منتشرة من اقاصي بخارى الى افريقية فالاندلس تنشر في العالم نور المدنية والعرفان فتصلح ما يكون السيف قد افسده · ولم يعرف الافرنج فلسفة أريسطو في القرون الوسطى الا من الكتب التي الفها العرب وترجموها · وكان كل واحد من خاصة الناس وعامتهم في الاندلس يتباهى باقتناء مكتبة ويزينها بالكتب · وقد اقبل الناس من اوربا افواجاً على الاندلس للدراسة في مدارسها منهم الراهب جوبرت الذي ارتقى بعد ذلك الى العرش البابوي باسم البابا سيلفسترس الثاني فانه تلقى العلم في مدارس قرطبة واشبيلية ولما عاد الى بلاده ادهش الناس بالمعارف الجديدة التي نقلها اليهم

واما صنائعهم فاشهرها الفنون الجميلة التي لا يزال آثارها في الاندلس شاهداً للمدنية الاسلامية التي قامت فيها · وقد اشتهرت مالقه بصنع الخزف المذهب اشتهار مدينة سفر الفرنسوية اليوم · وامتازت المرية بصنع الديباج الجميل وآلات الحديد والنحاس والزجاج وكان فيها الف حمام وفندق وكانوا يغرسون التوت في جوارها ويربون دود الحرير · واشتهرت اشبيلية بسعة تجارتها وباغراس الزيتون والتين فيها حتى لقد قيل ان الماشي كان يمشي في ظل هذه الاشجار اربعين ميلاً · واشتهرت اشبونه بالعنبر والمسك وباجه بمعدن

الفضة والدباغة وصناعة الكتان وشنتره بخصب ارضها حتى انه روي ان كل تفاحة من تفاحها كانت استدارتها ثلاثة اشبار والله اعلم . وامتازت شاطبه بصنع الورق وامتاز غيرها بغيره مما يطول ذكره . وكان في جاين ٦٠٠ معمل لصنع الحرير وفي المرية ٦ الاف آلة لنسج الانسجة القطنية والصوفية والكتانية وفي بايزه معامل للسجاد وفي قرطبة ومورييس وطليطلة وسرقسطه معامل للجلد والاسلحة والحلي الثمينة . وكل هذه البضائع كانت تصدر الى اوربا وافريقية وغيرها كما تصدر اليوم المصنوعات من اوربا الى جميع اقطار العالم . فسبحان مغير الاحوال

وكان الاندلسيون عارفين بصناعة استخراج المعادن من الارض فاستخرجوا من بلادهم الذهب والفضة والنحاس والحديد والبلور والياقوت والقصدير وغيرها

ويروي مؤرخو الافرنج انه كان بقرطبة وحدها مائتا الف منزل و٨٠ الف قصر و٩٠٠ حمام ومدارس وجوامع لا عدد لها وقد بلغ سكانها مليون نسمة فيما يقال

وقد كان عدد العملة في معامل اشبيلية وحدها مائة الف عامل . وقد سماها اهل الشام « حمص » لحنينهم الى هذه المدينة وسائر اوطانهم الشامية وفيها يقول الشاعر

خليليَّ بادر بي الى النهر بكرة وقف بيَ حيث المد يثني عنانه
ولا تجز « الارحا » لان وراءها يبابا وعيني لا تريد عيانه

واما غرناطه فقد كانوا يسمونها « دمشق الغرب » او « قطعة من الجنة هبطت من السماء » ولا يزال الاسبانيون يقولون في امثالهم عنها « من لم يرَ غرناطه فانه لم يرَ شيئاً » وقد سماها الافرنج « غرينادا » اي « رمانة » لانها مبنية على ثلاثة آكام متراكزة كاجزاء الرمانة اذا فُلقت . وقد حرفها العرب فجعلوها « غرناطة » في جملة ما حرفوه مما لا فائدة من متابعتهم فيه اللهم الا ان يكون الاسم نفسه من موضاعاتهم فيجب الرجوع اليه كقول الافرنج « كالاتيود » وصوابه قلعة ايوب التي مرَّ ذكرها و « ترافلكار » وصوابه طرف الغار وهلم جرّاً

اما العلماء والفلاسفة والكتاب والشعراء الذين نبغوا في ذلك الزمن فحدث عنهم ولا حرج . وربما افردنا لهم مقالة على حدة لاستيفاء الكلام على تراجمهم . واشهرهم كلهم الفيلسوف العربي ابو الوليد محمد بن احمد بن رُشد المالكي القرطبي الذي ترجم مؤلفات اريسطو وكان يقول عنه انه اشهر فلاسفة الارض . وقد كفَّره معاصروه واتهموه بانه يجحد القرآن فنفي من اشبيلية فاستدعاه سلطان المغرب للوقوف على حكمته وفلسفته . ومن

مشاهير الاندلس ايضاً ابو العباس وابن جابر الرياضي الذي ينسب العرب علم الجبر اليه وابن الخطيب وابن جبير وغيرهم كثيرون يستغرب الافرنج كثرتهم ولا يصدقون عددهم ·
وقد قال مؤرخوهم ان السبب الذي يصح ان يُعدّ من اقوى اسباب سقوط دولة العرب في اسبانيا هو تغلب الفقهاء على العلماء وتكفيرهم كل من خالف اقوالهم كما حدث لابن رشد·
وقد حاول فقهاء المسيحيين اي علماء اللاهوت عندهم ان يصنعوا بعلمائهم في اول النهضة العلمية الاوربية ما صنعه فقهاء العرب بعلمائهم فتغلب العلماء عليهم و بذلك انتصر العلم الانتصار الباهر الذي نرى ثماره في هذه الايام

٩

﴿ تدلي التمدن في الاندلس ﴾ وبعد وفاة عبد الرحمن الثالث الذي نلقبه عبد الرحمن الكبير لان التمدن العربي بلغ اشده في الاندلس في ايامه خلفه ابنه الحكم الثاني في عام ٩٦١ وتلقب بالمستنصر فحارب الافرنج وقهرهم على طلب الصلح ثم ارسل عاملاً له الى افريقية ليفتحها و ينشر نفوذ الامويين فيها وكان بلاطه غاصاً بالعلماء والشعراء والكتاب·
قيل وقد احصيت الاندلس في ايامه فكان عدد مدنها ٨٠ مدينة كبرى و٣٠٠ مدينة صغرى وبلغ عدد قراها ومزارعها ١٢ الفاً اما جبايتها فقد بلغت ٦ ملايين دينار · وقال بعضهم بل كان في وادي « قضا الكبير » وحده ١٤ الف قرية ولا يخفى ما في ذلك من الغلو ·
ثم توفي في عزوجاه وذلك في عام ٩٧٦ فخلفه ابنه هشام الثاني الذي تلقب المؤيد وهو فتى صغير فاستوزر محمداً بن ابي عامر وكان رجلا شديد البأس فقبض على ازمة الملك دون ان يعبأ بالخليفة فبقي هشام تحت سلطته · وقد حارب ابو عامر الافرنج فقهرهم اولاً ثم قهروه في معركة كبرى فجرح فيها ومن شدة حزنه ابى مداواة جرحه فمات بسببه · فخلفه اخوه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر فابقى الحجر على المؤيد ثم توفي فخلفه اخوه عبد الرحمن فاخذ عهداً من المؤيد بالتنازل له عن الخلافة فثار لذلك الامويون وخلعوا المؤيد و بايعوا محمداً بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر فحدثت بين الفريقين بسبب الخلافة والتنازع عليها حروب جعلت قرطبة فوضى بلا وازع ولا رادع· ومنذ هذا الحين ابتدأ التمدن الاندلسي يتدلى ويهبط بعد بلوغه اوج المجد والعظمة

فلما رأى الافرنج انقسام العرب وتفرق كلمتهم اجتمعوا مع تفرقهم لمقاتلتهم واخراجهم من اسبانيا · وكان قد تألف في شمال اسبانيا وغيرها من الجهات التي تلي املاك العرب فيها ممالك صغيرة اهمها مملكة استوريا ومملكة نافاريا وكونتيه برشلونه ومملكة غاليسيا وكاستيل

واستعدت لمقاومة العرب · فلما راى العرب هذا الخطر اتفقوا بعد تفرقهم واستنجدوا على خصومهم بيوسف بن تشفين صاحب بلاد المغرب الذي لقب نفسه « امير المسلمين » · وكان الافرنج قد قدموا عليهم الملك الفونس السادس ملك غاليسيا وكستيل فقدم يوسف بن تشفين بجنوده المغاربة وكسره شر كسرة · ثم اضطر يوسف الى العودة الى افريقيا فعاد الامل الى الافرنج فلما سمع يوسف بذلك عاد اليهم ولكنّ امراء الاندلس كانوا قد تغيروا عليه وعلى رجاله لان الذوق العربي لم يكن يألف ذوق البربر فقاتلهم يوسف وتغلب عليهم وولى ابنه الامارة تحت سيادة العباسيين

وكانت الحروب في افريقيا قائمة قاعدة في ذلك الزمان فلم يتمكن خلفاء يوسف وابنه من حفظ اسبانيا فقويت امارات الافرنج على العرب فتفرق امر العرب واستقلّ كل والٍ بالاقليم الذي كان يدير شؤونه · فتهافت الافرنج على الاقاليم الاندلسية واخرجوها من ايدي العرب في القرن الثالث عشر واحدًا بعد واحد وكان آخرها اقليم غرناطه · وقد زالت سلطة العرب من الاندلس في اوائل القرن الخامس عشر (سنة ١٤٩٢) وكان ملك كاستيل هو عدوها اللدود الذي لم تقوَ عليه · وهكذا زال ذلك الملك الفخم والمجد العظيم · وسبحان محيي الدول ومميت الدول انه الحيّ الباقي وحده

١٠

﴿ سلطنة المغرب اي مراكش ومسالة جبل طارق ﴾

﴿ سلطنة المغرب اي مراكش ﴾ ولما قامت الدولة الاموية في الاندلس قامت دولة اخرى في افريقية وتُعرف بدولة الفاطميين · وهي خلافة شيعية لاهل ابي طالب نشأت في بلاد المغرب وكانت شاملة مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب · واما السبب في نشأتها فهو ان العباسيين لما اخذوا يقاومون بني امية لاخراج الخلافة من ايديهم كان العلويون يحسبون انهم يصنعون ذلك انتقامًا لعلي (رضه) وانهم سيعيدونها اي الخلافة الى آله · وكان كثيرون من المسلمين يرون انه متى سقط الامويون وجب مبايعة العلويين لان الخلافة لهم · فلما اسقط العباسيون الامويين واستأثروا بالخلافة غضب لذلك آل ابي طالب فصار الخلفاء العباسيون يضطهدونهم اضعافًا لامرهم · فلما كانت خلافة المعتضد بالله العباسي كتب الى عامل له في بلاد المغرب ان يقبض على رجل يُدعى عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب فقبض العامل عليه وسجنه · ولكنه تمكن من الفرار من سجنه فتكنى بابي محمد وادعى انه المهدي فصدقه المسلمون في الغرب وتبعوه فانشأ دولة في افريقية وخلافة

تعرف بالخلافة الفاطمية وبنى مدينة رقادة بالقرب من القيروان . وفيه قال ابن هاني الشاعر الاندلسي الذي كانوا يلقبونه متنبي الغرب تشبيهاً له بابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور الذي كان من معاصريه

حلَّ برقادة المسيحُ حل بها آدمٌ ونوح
حلَّ بها الله ذو البرايا وماسوى ذاك فهو ريح

ولا عجب ان يغلو ابن هاني هذا الغلو فانه كان مشهوراً بالمبالغات ومنها قوله في مدح المعز لدين الله حفيد المهدي المذكور

هو علة الدنيا ومن خُلقت له ولعلةٍ ما كانت الاشياءُ
ليست سماء الله ما ترأونها لكنْ ارضاً تحتويه سماءُ

وقال فيه ايضاً

ارى مدحه كالمدح لله انه قنوت وتسبيح يُحطُّ به الوزر

وقال

ما شئتَ لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنما انت النبي محمد وكأنما انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخبار
انت الذي تجدي شفاعته غداً حقاً وتُخمد ان تراه النار

وقد يكون للاديب ابن هاني الشاعر المطبوع عذر في مدحه المهدي بالالوهية لانه كان يزعمها ولكن ما عذره في مدح حفيده المعز هذا المدح البارد

ولكن فلنترك الآن الشعر ولنعد الى الدولة الفاطمية التي قدمنا هذه المقدمة لها . فان هذه الدولة قد عظمت في افريقية وعجز العباسيون عن مناوأتها وقد ساعدها بنو امية من الاندلس نكاية بالعباسيين ففتحت القطر المصري على يد القائد جوهر في عهد المعز لدين الله الذي تقدم ذكره بعد موت كافور الاخشيدي وفي ذلك يقول ابن هاني

يقول بنو العباس هل فُتحت مصر فقل لبني العباس قد قُضي الامرُ
وقد جاوز الاسكندرية جوهرٌ تطالعه البشرى ويقدمه النصرُ

ولما فتح جوهر مصراً شرع ببناء القاهرة وجامع الازهر ثم نقل اليها المعز كرسي الخلافة . وما زالت دولة الفاطميين حتى انقرضت فاستقل كل عامل بعمله في مصر وتونس والجزائر وبلاد المغرب وفي القرن السادس عشر تولى بلاد المغرب احد اشرافها وهو جد الاسرة المالكة اليوم



﴿ مولاي عبد العزيز ﴾
سلطان مراكش الحالي مع دراجته المولع بركوبها

ومراكش سلطنة واسعة لا تزال مجهولة، وعدد سكانها اليوم ٨ ملايين نفس وهم مؤلفون من عرب وبربر ومغاربة وزنج ويهود وعاصمتها مدينة مراكش وعدد سكانها خمسون الف نفس . وقد سميت مراكش من قبيل تسمية الكل بجزء منه لان مراكش في الاصل اسم مدينة بناها يوسف بن تشفين امير المسلمين الذي تقدم ذكره في تاريخ الاندلس وذلك في عام ٤٥٤ للهجرة . وقد بنى هذه المدينة في غابة كثيفة كانت ملجأ للصوص فكان السكان اذا مروا بها قالوا (مراكش) اي مرّ مسرعاً فسميت تلك المدينة بهذا الاسم

وسلطانها الحالي مولاي عبد العزيز وهو شاب نشيط محب للتمدن الحديث ومولع بمصنوعاته كالدراجات والفونوغراف والتلغراف والنور الشمسي . ويقال ان سفراء الدول يتزاحمون في بلاطه بواسطة هذه الاشياء فمن اهداه منها هدية الثمن وافضل من هدية الثاني علا نفوذه على نفوذه في البلاط وسهلت اعمال دولته . وقد رُسم السلطان في هذا الرسم مع دراجته

اما المزاحمة في بلاطه بين سفراء الدول فهي شديدة لان للدول الاوربية مطامع في مملكته . وهذه المطامع تنحصر بين فرنسا وانكلترا واسبانيا والمانيا . اما فرنسا فانها تحدثها نفسها بضم سلطنة مراكش الى الجزائر كما تضم برتقالة الى برتقالة اكمالاً لسلطنتها الافريقية . واما انكلترا فانها تطمع على الاقل الى ثغر طنجه تأييداً لمركزها في جبل طارق والبحر المتوسط

١١

﴿ جبل طارق القديم والحديث ﴾ ذلك لان جبل طارق مفتاح البحرين : البحر المتوسط والبحر الاتلانتيكي . وهو قائم في الشاطئ الاوربي فوق مدينة صغيرة سميت باسمه وعدد سكانها لا يتجاوز ٣٠ الف نسمة . اما مرفأ هذه المدينة وهذا الجبل فهو اعظم مرفأ حربي

في العالم فان اهميته في التجارة توازي اهمية مرسيليا والبضائع تدخل اليه من غير رسوم لانه مرفأ انكليزي ولكنها توزع منه في اسبانيا وغيرها على سبيل التهريب فتضر باسبانيا ضرراً مالياً كثيراً ما شكت منه . وقد كان هذا الجبل وهذه المدينة لاسبانيا قبل عام ١٧٠٤ ولكن الاميرال روك الانكليزي هجم على جبل طارق في هذا العام واحتله احتلالاً وقتياً بينما كانت اسبانيا في مشاغل وحروب والى اليوم لم تخرج انكلترا منه . ويسمى راس هذا الجبل الداخل في البحر « راس اوروبا » وقد وضع الانكليز في جوفه مدافع كبرى تقطع الطريق على السفن دون ان تراها السفن وانشئوا فيه انفاقاً وحفائر للمؤن والنوم والاقامة فكأنما داخل الجبل المذكور مدينة جديدة غير المدينة التي في سفحه . ويقيم في جوف هذا الجبل ٦ الاف جندي كحامية دائمة لا تفارق مركزها . ويقول بعض الانكليز انه ليس في العالم كله قوة قادرة على الاستيلاء على هذا المركز ولا على المرور من امامه اذا شاء ان لا تمر . ويقول البعض الآخر ان ذلك وهم فان الاسطول اذا كان قوياً وعلى الخصوص سريعاً استطاع النجاة بنفسه دون ان يعبأ بمدافع جبل طارق

وبجانب جبل طارق ثغر « الجزيرة » وثغر « طريف » وهما لاسبانيا كما ترى في الرسم وفي وجهه اي في مقابلته ثغر (سبته) على الشاطئ الافريقي وهو لاسبانيا ايضاً ولذلك يخشى الانكليز اذا اشتبكوا بالحرب مع احدى الدول ان تنحاز اسبانيا الى خصمهم فتدمر من « الجزيرة » ومن « سبته » المعاقل والحصون التي انشأوها في جبل طارق والسفن التي تكون لاجئة في مينائه . ولذلك قاموا في الشهر الماضي يشددون النكير على حكومتهم ويطلبون زيادة تحصين الجبل والميناء وانشاء احواض مستترة تلجأ اليها السفن ولا تصل اليها مدافع الاسبان وحلفائهم(١) اما عرض المضيق بين الشاطئ الاوربي والشاطئ الافريقي فانه يبلغ ١٣ كيلو متراً واذا وقف رجل على احدها استطاع رؤية الواقف على الشاطئ الثاني . واما عمق البحر في هذا المضيق فانه ٩٠٠ متر على الاكثر و٣٠٠ متر على الاقل . ويزعم الاقدمون ان البطل هرقل اليوناني هو الذي حفر هذا المضيق لوصل البحر المتوسط بالاوقيانوس واما العلماء فانهم يزعمون ان ذلك المضيق كان ارضاً يابسة تصل اوروبا بافريقيا بين البحر المتوسط والاوقيانوس الاتلانتيكي فجعل هذان البحران يصدمانه ويفتتانه ويجتاحان فتاته حتى تلاقيا واتصلا فانشئا هذا الخليج . على ان هذا الزعم يثبت ان فردينان دي لسبس قد عمل عملاً قبل اوانه . لانه لو لم يحفر ترعة السويس منذ سنوات مضت لحفرها الزمان بعد مئات من السنين

---

(١) وسينفقون لانشاء هذه التحصينات الجديدة اربعة ملايين و٨٢٠ الف جنيه

وكان جبل طارق يسمى قبل نزول طارق فيه جبل « كالبه »

١٢

هذه هي اليوم بوجه الاجمال حالة سلطنة المغرب التي كان لها الحول والطول في ايام دولة الاندلس يوم كان واليها والياً عليها وعلى الاندلس معاً . ولم نذكر شيئاً من احوالها الخصوصية وشؤونها الداخلية لان هذا المقال قد طال وضاق بنا المجال فضلاً عن استيفاء الجرائد اليومية البحث في هذه الاحوال . غير اننا نقول في الختام ان مراكش اذا سقطت في حبائل الدول الاوربية انتهى بذلك استقلال آخر دولة من الدول العربية واصبحت الحبشة في جميع اقطار افريقيا منفردة بنعمة الاستقلال والحرية

واذا نظرتَ الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العبـاد وتنعمُ

والارض لله يورثها لمن يشاء وهو الفعـال لما يريد

مدام بوثا ومدام كروجر

ذكرنا في صدر هذا الباب اننا سننشر في كل جزء ترجمة رجل وامرأة من مشاهير الرجال والنساء . وقد اخترنا لهذا الجزء المراة الفاضلة التي توجهت اليها في الايام الاخيرة انظار العالم المتمدن كله وصار اسمها في كل شفة ولسان لانها كانت الوسيط بين اللورد كتشنر قائد الجنود الانكليزية وزوجها الجنرال بوثا قائد جنود البوير في مسالة عقد الصلح . ثم سافرت من الترنسفال الى انكلترا فزادها هذا الامر اهمية لان الناس اعتقدوا انها مسافرة في مهمة خصوصية من قبل اللورد كتشنر وهي مقابلة كروجر واقناعه بوجوب اصدار الامر الى جنود البوير بالتسليم والكف عن القتال لانهم اصبحوا من الضيق في اسواء حال


﴿ مدام بوثا ﴾

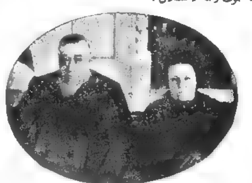
واما الذين يعرفون اخلاق اللورد كتشنر فانهم اكدوا انه لا يمكن ان يعهد بمهمة رسمية الى النساء

لانه لايلتفت اليهن كثيرًا ولا يثق بهن كل الثقة

ومدام بوثا سيدة في منتصف العمر وهي سمراء اللون بملامح جيلة وتحسن الانكليزية والهولاندية . ويروى عنها انها تكره الحرب ولو كان الامر اليها لوقفت رحى الحرب منذ زمان. ولما وصلت مدام بوثا الى سوثنتون في انكلترا كان مراسلو الجرائد من كل الاقطار ينتظرونها لمحادثتها فلم تقابل احدًا منهم مع اصرارهم على مقابلتها . ولم يعلم الى الآن على التمام الغرض من سفرها

اما مدام كروجر التي نشرنا رسمها في هذا الفصل ايضاً فقد كانت احسن حظاً من صديقتها مدام بوثا لانها قد انتقلت من هذه الحياة الى حياة افضل منها . وكانت وفاتها بذات الرئة ولم يطل مرضها سوى ثلاثة ايام . وهذه مصيبة جديدة فوق مصائب الشيخ كروجر زوجها

واما البوير فانهم لا يزالون في مناوشات مع الجنود الانكليزية . وتقول الجرائد البريطانية ان السبب في عدم تسليم البوير الى الآن الخرافات التي يذيعها قوادهم بينهم . كقولهم « ان حكومة الترانسفال متحققة انه ستحدث مشاكل سياسية بين الدول بعد ثلاثة اشهر » او « ان شعب فرنسا قد ثار يطلب محاربة انكلترا وسترسل الحكومة الفرنسوية مائتي الف جندي لنجدة البوير » او « ان الانكليز يطلبون الصلح والرئيس كروجر يرفض مصالحتهم » . واما الجرائد التي تستقي اخبارها من مصادر البوير فتقول انهم واثقون بان اللورد كتشنر سيضطر الى طلب الصلح منهم على الشروط التي يريدونها ولذلك يقاتلونه مستبسلين فاما الموت واما الاستقلال .



﴿ الرئيس كروجر وزوجته التي توفيت حديثاً ﴾

المقالات

هندية وانكليزي

فصل ملخص عن الكاتب الانكليزي المشهور روديار كبلنغ وقد كتبه عند اجتياح الطاعون والجاعة والهواء الاصفر في الهند باسلوبه البديع الذي جعل له المقام الاول بين كتاب الانكليز في هذا الزمان · وقد قبض ثمن هذا الفصل الفي فرنك

١

فقال لها : واذا كان المولود ابنة

فقالت كلا ياسيدي فانني متحققة انه سيكون غلاماً · لاني صرفت كثيراً من الليالي في الصلاة واهديت كثيراً من الهدايا الى مزار شيخ « بدل ـــــ » · وقد سألتُ شيخ جامع « باتان » ان يرصد الفلك ساعة ولادته · فليقدّر الله له ان يولد تحت نجم حسن الطالع· وحينئذٍ تسرُّ من عبدتك

فقال : متى صرتِ عبدتي يامليكتي

قالت · صرت عبدتك منذ نظرتك · ولكنني لم اكن متحققة حبك لانك ابتعتني بالك

فقال · كلا لم ابتعك وانما دفعت المال لامك كمهر لك

فقالت الفتاة ضاحكة · نعم وقد خبأتْ امي المال في الارض وهي تقعد فوقه طول ـــــ النهار كما تقعد الدجاجة فوق البيض · ولكن لا تقل انك دفعته مهراً فانك ابتعتني ابتياعاً

فقال لها · وهل تاسفين لذلك

فقالت · لقد حزنت منه في بدء الامر · اما الآن فانني مسرورة جدّاً ولكن قل لي اتحبني دائماً

فقال لها · نعم دائماً

فقالت له · واذا احبك « الماليك » اولئك النساء البيض هل تعدل ـــــ عن حبي ·

لقد نظرتهن امس في مركباتهن فوجدتهن جميلات

فاجاب الشاب . كنتُ سائرًا في الليل فنظرتُ مئات من الاجرام المنيرة . ولكن بعد برهة طلع القمر فلم اعد ارى غيره

فلطمت « اميرة » يدًا بيد من سرورها بهذا الجواب وصاحت ضاحكة ملء فمها : احسنت احسنت . ثم قالت بهيئة جدية . حسبي هذا الكلام فقد صرتُ اسمح لك بالسفر اذا اردته

اما الرجل فانه بقي صامتاً مفكرًا في مكانه . وكان جالساً على فراش منخفض في غرفة بسيطة مفروشة ببعض البسط الهندية وعلى المقاعد بعض مساند (مخدات) هندية ايضاً . وكانت جالسة تحت قدميه فتاة في السابعة عشرة من العمر وهو ينظر اليها فكانها الدنيا كلها عنده

وكان عيشه معها مخالفاً لكل قاعدة ونظام . فان الرجل كان انكليزيًا والفتاة هندية . ولكن « جون هولدن » كان يحبها حبًا شديدًا . وقد استاجر بيتاً في اكمة مشرفة على المدينة ليعيش فيه معها ومع امها آمناً خليّ البال . فكان اذا دخل هذا البيت نسي كل عناء وتعب وحسبه مملكته

ولكن شخصاً ثالثاً كان قادماً عليهما في ساعة قريبة . وهذا الشخص الثالث سيكدر صفو المنزل ويعترض هناءه . ولذلك كان هولدن غير مسرور به . اما اميرة فانها كانت تكاد تطير فرحاً كلما افتكرت به . لانها كانت ترى مع امها ان الرجل الابيض قلما يكون ثابت الحب ولكن يدي طفل صغير محبوب قد تجعلانه ثابتاً . وكانت اميرة تقول في نفسها دائمًا « ومتى جاءت هاتان اليدان لا يعود يعبأ بالماليك اولئك النساء البيض اللواتي ابغضهن بغضاً شديدًا »

بمثل هذا كانت تفتكر اميرة وهي جالسة امامه . واما هولدن فانه كان يفتكر بامر اصدرته الحكومة الهندية اليه وهو السفر الى مركز قريب ليقوم فيه مقام موظف غائب لمرض امراته

ولما وقفت اميرة على خبر سفره قالت بهدوء متألمة اف من هذا السفر . ولكن لا باس فانها مصيبة صغيرة لا كبيرة . سافر ولا تحمل همي فان امي عندي تعتني بي . ومتى رجعتَ فاني اؤمل لا بل اؤكد انني « ساضعه » بين يديك . ولكن لا تقف على الطريق لمحادثة الماليك اولئك النساء البيض الجسورات . وعد باسرع ما يمكن

فودعها هولدن وخرج فاوصى الحارس المقيم امام حاجز البيت لحراسته بان يبعث اليه اشارة تلغرافية حين خلاص اميرة ثم ركب القطار وسافر وهو حزين حزن من يحضر جنازة نفسه

فوصل هولدن الى مركزه وشرع في عمله وهو شارد الافكار . وكان في النهار يخشى ان يرده تلغراف حامل خبراً سيئاً وفي الليل يرى في الحلم « اميرة » ميتة فينتبه مذعوراً . وما زال صابراً حتى انقضت الخمسة عشر يوماً فخالها خمسة عشر عاماً لاسيما وانه لم ترده اشارة تلغرافية من حارس منزله فركب جواده وسار هائماً على وجهه قاصداً منزله

فلما وصل الى حاجز المنزل صاح بالحارس ماذا جرى . فاجاب الحارس كمن يبشر بخبر سار : لايخرج الخبر من في يا ابا الفقراء . فاسرع هولدن ودخل الى حديقة المنزل فسمع عند دخوله صوتاً دقيقاً غريباً لم يكن قد سمعه من قبل فصعد الدم الى رأسه (١) وصاح : من هناك . فاجابه من الداخل صوت اميره الضعيف : نحن هنا ثلاثة : امراتان ورجل هو ابنك

فدخل هولدن باب المنزل مسرعاً . وكان في عتبة الباب سيف مجرد وضعته الام هنالك لطرد النحس وسوء البخت عن المولود الجديد فداس هولدن السيف دون ان يراه فانكسر من عند قبضته . فصاحت اميره الله اكبر . لقد كسرت نحسه وحملت متاعبه

فاسرع اليها هولدن بشوق عظيم وقال . كيف انتِ يا حياة حياتي . وانت ايتها العجوز كيف انتِ

فاجابت العجوز كل شيء حسنٌ

وقالت اميره وهي تنظر اليه بحنو وحب . نعم كل شيء حسن . ولكن قد اطلت غيابك . اين الهدية التي جئتني بها . لا لا ان الهدية في هذه المرة مني . واليك هي . انظر اليه هل رايت في زمانك طفلاً مثله . آه انني لضعفي لا استطيع سحب ذراعي من تحت جسمه

فقال هولدن استريحي ولا تتكلمي فتتعبي يا « بكشيري » (٢)

فقالت اميره ضاحكة صدقت بهذه الكلمة فقد صار بيننا رباط جديد . وهو نقي من غير عيب ولا وصمة . فاسال الله ان يحرسه ويجعله جندياً للملكة . ولكن قل لي الا تزال تحبني مع ضعفي ونحولي وتغير جسمي . تكلم بحرية

---

(١) وفي الاصل « الى حلقومه » (٢) بكشيري معناها باللغة الهندية امراة صغيرة او حبل لربط الخيل

فقال هولدن نعم احبك كما احببتك من قبل ولكن استريحي ولا تتكلمي

فقالت اجلس اذاً . اجلس هنا قريباً مني . يا امُّ احضري مسنداً (مخدة) الى سيد المنزل

ولما قالت هذا حدث اضطراب خفيف تحت اللحاف فصاحت اميره ضاحكة بحنو . آه ما اقواه فانه يرفسني منذ الآن بقدمه في جانبي رفسات شديدة . يا ناس هل راى احد ولداً مثله . ضع يدك على راسه وجسمه . ولكن تانَّ كثيراً لانه صغير جداً وانتم معاشر الرجال لا تحسنون المعاملة في هذه الامور

فمد هولدن يده وجس بلطف راس الطفل . فاردفت اميرة بقولها : ولقد صليتُ كثيراً في هذا الليل وتركته نائماً وقرأتُ له الفاتحة في اذنه . تامل وقل لي اليس غريباً ان يولد في يوم جمعة كما وُلدتُ انا . انظر انظر اليه يا حياتي فانه صار قادراً تقريباً على القبض بيده

فمد هولدن يده الى يد الطفل فالواها الطفل كمن يحاول القبض بيده . فلما شعر هولدن بقبضة الطفل احسَّ بقشعريرة في كل جسمه وبنبض شديد في قلبه . وصار يرى منذ هذا الحين ان في العالم شيئاً غير اميره جديراً باهتمامه ومسرته فاخذ يفتكر في ذلك بينما كانت اميره نائمة

وحينئذٍ دنت ام الفتاة وقالت بصوت منخفض انهض من هنا يا « صاحب » ولا تجعلها تراك حين انتباهها لاحتياجها الى الهدوء والراحة

فنهض هولدن وقال . ها انذا ذاهب فاعتني بها وبه ثم وضع في يدها بضعة ريالات

فانتبهت اميره على صوت الريالات فقالت بصوت ضعيف : انا امه لا خادمته فالمال لا يجعلني اكثر اعتناء به ردي يا امُّ ما اخذتِ

ثم نامت اميره نوماً عميقاً لانها كانت شديدة الضعف فخرج هولدن الى الدار فوجد الحارس الشيخ « بيرخان » ينتظره ضاحكاً مسروراً فلما رآه بيرخان قال مازحاً : صار الآن البيت كاملاً . ثم انه وضع في يد هولدن قبضة سيف مجرد . وسمع في هذا الحين مأماة شاة كانت مربوطة قرب البئر . فقال بيرخان . لقد احضرت شاتين من افضل الانواع وبما انك لا تدعو احداً الى مادبة فان لحمها سيكون لي . ولكن امسك السيف جيداً يا صاحب واضرب ضربة قاطعة متى رفعت الشاة راسها

فقال هولدن وما الغرض من ذلك

فقال الشيخ الغرض من ذلك تضحيتها فدى عن المولود والا خيف من موته لا سمح الله
تنسَ الكلام الذي يجب ان تقوله حين ضربها

وكان هولدن قد حفظ هذا الكلام على سبيل الفكاهة اذ لم يكن قد خطر له انه
تاج اليه وكان قابضاً على مقبض السيف بيده فاذكرته هذه القبضة قبضة الطفل التي
م ذكرها فثارت نفسه حنواً وخوفاً على الطفل لدى ذكر الشيخ احتمال موته · فعزم على
عية الشاتين · فقال له الشيخ بيرخان اضرب فان الحياة لم تبرح فدى الحياة في كل
كان · فرفع هولدن سيفه وضرب به الشاتين ضربتين وهو يهمس بهذه الصلاة

« اسالك ايها القادر ان تحرس ابني واقدم لك حياةً عوض حياته ودماً بدل دمه
راساً بدل راسه وعظاماً بدل عظامه وجلداً بدل جلده »

فلما سقطت الشاتان صاح بيرخان لقد ضربتَ ضربةً صائبة يا ابا الفقراء فليعش ابنك
سنة · اما لحم الشاتين فهو لي

فاعطاه هولدن لحم الشاتين وفوقه راتب شهر مكافأةً له · ثم ركب جواده وسار هائماً
وجهه لشدة تأثره وانفعاله وكان يشعر بسرور بالغ مبلغ الجنون من شدة هذا التأثر ·
طر له ان يذهب الى النادي الانكليزي تسكيناً لنفسه · فوجد بعضاً من اصدقائه يلعبون
البلياردو فتناول احدى العصي وتقدم للعب وهو ينشد ملء فمه

« بينما كنت انتزه في باتيمور
« واذا بي قد لقيت سيدة

فالتفت اليه سكرتير النادي من احدى زوايا المكان وقال له : اصحيح انك لقيت
سيدة · وماذا قالت لك عن جزمتك المبللة بشيء شبيه بالدم

فالتفت هولدن فرأى على جزمته آثار دم الشاتين فاجاب ضاحكاً هذا من تاثير
الندى في الليل · ثم عاد الى نشيده

« فاذا كانت ابنة فسيوضع في اصبعها خاتم الزواج
« واذا كان غلاماً فانه سيقاتل في سبيل ملكه

ثم فرغ اللاعبون من اللعب وجلسوا الى الحديث فدار الكلام على الموضوع الذي
لا موضوع سواه وهو اعمال المستخدمين فسكن اللعب والحديث جاش هولدن فعاد الى منزله
وقد اقام ساهراً قسماً من الليل ولكنه لما نام حلم احلاماً جميلة

٢

— اما الآن فكم عمره

فاجابت اميره : يا الله . في الحقيقة ان هذا السؤال سؤال رجل . الا تعلم انه بلغ الآن الاسبوع السادس . وساصعد معك في هذه الليلة الى سطح البيت لعدّ النجوم ومشاهدتها فان ذلك يجعله حسن الطالع . وقد كانت ولادته يوم جمعة تحت برج الشمس وفي ذلك دليل كبير على حسن حظه . وقد قيل لي انه سيعيش بعدنا وقتاً طويلاً ويصبح غنياً كبيراً . فماذا تريد احسن من هذا ياحبيبي

فاجاب هولدن لا اريد شيئاً فاصعدي الى السطح لعد النجوم ولكنك لا تعدين الا بعضاً منها لان الغيوم متلبدة في السماء

فقالت اميره ان المطر متاخر في هذا العام ولعله لا ينزل الا بعد مرور فصل الشتاء فلنصعد قبل ان تغطي الغيوم السماء فانني لبست كل حلاي وجواهري

فقال هولدن باسماً ولكنك نسيت اثمنها كلها

فاجابت : تعني الطفل نعم انه سيصعد معنا لانه لم يشهد السماء بعد

ثم ان اميره اخذت طفلها بين ذراعيها وصعدت به مع هولدن الى سطح البيت والحلى تسطع في صدرها وجبينها وترنّ في معصميها وقدميها . فجلست بجانب هولدن على مكان في السطح مشرف على المدينة وكانت الانوار تسطع فيها من بعيد وفوقها نجوم السماء كمصابيح معلقة في الفضاء . فقالت اميره متنهدة . وهل تظن ان سكان هذه المدينة سعداء مثلنا . اما انا فانني لا اظن المالك اولئك النساء الجسورات سعيدات

فقال هولدن وانا اؤكد انهن غير سعيدات

فقالت اميره ومن اين عرفت ذلك

فقال هولدن من انهن يسلمن اطفالهن الى المراضع

فصاحت اميره . لم ارَ هذا الامر في حياتي ولا احب ان اراه . ثم انها الوت راسها الجميل واسندته الى كتف هولدن قائلة : لقد عددت اربعين نجمة فتعبت انظر انظر الى الطفل ياحياتي فانه يعد النجوم ايضاً

وكان الطفل ينظر الى السماء بعينين كبيرتين مستديرتين وهو مسرور بهذا المنظر العلوي . فرفعته امه ووضعته بين ذراعي ابيه . فاقام الولد فيهما ساكتاً وبقي يجيل نظره في الفضاء الذي امامه

فقالت اميره . انظر اليه ياحبيب فان عينيه كعينيك

فاجاب هولدن . نعم ولكن فمه كفمك

فقالت اميرة . ان فمه صغير كانه خاتم وقلبي معلق بين شفتي هذا الخاتم . رده بعيشك الي فانني لا استطيع فراقه

فقال لها دعيه فمتى بكى رددته اليك

فقالت ضاحكة : هذا شانكم ايها الرجال . ترده اليّ حينما يبكي . اما انا فانه حين بكائه يصبح اعزّ عليّ منه قبله . ولكن بعيشك قل لي ياحياتي ماذا نسميه

وكانت تحتها امام المنزل ببغاء خضراء اللون واقفة في مكانها واكثر الهنود يقتنونها لانهم يعتبرونها حارسة المنزل وجالبة للسعادة . فاتفق ان الببغاء حركت جنحيها حركة شديدة لما سألت اميره هذا السؤال فاجاب هولدن : انظرت الببغاء ياحياتي فكأنها تجيبك سميه باسمي . فسميه « ميان ماتو » وهو اسمها في لغتك لعله يكون فصيحاً مثلها في حياته

فحملقت اميره وقالت . لماذا تجعلني بعيدة عنك هكذا . كلا انما اريد ان نسميه اسماً يكون فيه شيء من الانكليزية وشيء من الهندية ليكون قريباً منك ومني معاً

فضحك هولدن وقال : فلنسمه اذاً « توتا » فان هذا الاسم قريب من الاسماء الانكليزية

فقالت اميره . نعم فلنسمه « توتا » فانه اسم آخر للببغاء . ولكن عفواً عما قلته لك الساعة . فانني رايت اسم « ميان ماتو » ثقيلاً كبيراً لا يحمله ولد صغير كولدنا . اما توتا فانه صغير خفيف مثله . توتا حلو عذب . فلنسمه توتا . اليس كذلك يانوتا

ثم لمست وجهه بكفها فانتبه الولد من نومه لانه كان قد نام فاخذ يبكي فتناولتــه امه وصارت تهمهم له (١) بهذا النشيد الهندي الذي تنشده المراضع الهنديات للاطفال

« غنّ غنّ . . فان الطفل ينام نوماً عميقاً

« والخوخ البري ينبت في الاحراش

« الليبره بيارتين بابابا (٢) الليبره بيارتين

فلما اطأن « توتا » عن ثمن الخوخ انقلب بين ذراعي امه ونام . اما امه فبقيت هنيهة

---

(١) همهمت المراة في راس الصبي تهميماً نومته بصوت ترققه له كما تفعل الحواضن والمراضع في مصر والشام . وترادفها باللغة العامية كلمة « هد هد » فيقولون هد هد للطفل

(٢) « بابا » معناها الطفل

ساكتة مبهوتة . ثم قالت . لقد صليت الآن وطلبت امرين . الاول ان اموت فدى عنك اذا كان الموت مكتوباً لك قبلي . والثاني ان اموت فدى الطفل اذا كان الموت مكتوباً له قبلي . وقد طلبت ذلك من النبي والست مريم . فهل تظن انهما يستجيبان صلاتي

فقال هولدن . ومن لا يجيبك الى طلب يخرج من شفتيك

فقالت اميره . اجبني من غير مزاح هل اجاب الى طلبي

فقال هولدن . لا اعرف ذلك وانما اعرف ان الله كريم

فقالت اميره .... ثم اردفت بقولها . اصغ اليَّ الآن . اذا متُّ غداً فماذا تصنع . العلك تعود الى المماليك اولئك النساء الجسورات فانني اعهد الجنس يجتذب الجنس

فاجاب هولدن . الجنس لا يجتذب الجنس دائماً

فقالت اميره . نعم ان الجنس لا يجتذب الجنس في النساء ولكنه يجتذبه في الرجال ثم انك لا بدَّ ان تعود الى وطنك ولكن هذا امر لا يزال بعيداً ولا يتم قبل موتي . وبعد ذلك تموت انت وتذهب الى مكان غير المكان الذي اذهب انا اليه بعد الموت فلا تستطيع القدوم الي ولا استطيع القدوم اليك . وولدنا هذا يكون معي . فكيف نصنع

فقال هولدن . دعي شؤون الغد الى الغد ولنهتم الآن بالحاضر فكفانا الآن اننا سعداء

فقالت اميره . نعم نحن سعداء ولكن يجب ان نضمن لانفسنا هذه السعادة . ولذلك اسال ستك مريم ان تجيبني الى طلبي لا سيما وانها امرأة من جنسي . ولكن الحق اقول لك انني اخشى ان تخدعني . ولا ارى حسناً ان يعبد الرجال النساء

فضحك هولدن ونهض قائلاً . انك طفلة وتتكلمين كما يتكلم الاطفال . فهلي بنا ننزل عن السطح واحذري فانني ساحملك وانزل بك

قال هذا ثم حمل اميره بين ذراعيه وكان توتا بين ذراعيها فصاحت اميره وهي تضحك ضحكاً شديداً : احذر احذر ياسيدي لئلا يسقط توتا . آه لا ريب انك انت الطفل

وكانت اميره تضحك وتوتا الذي استيقظ يبتسم لهذه الحركة الغريبة . ذلك انه كان طفلاً هادئاً كثير السكوت . ولم تمض عليه بضعة اشهر حتى صار معبود المنزل والساكنين فيه . وكان ذا لون نحاسي شبيه بلون امه ولكنه كان له ذكاء ابيه . واصبح ابوه شديد الولع به فاذا كان في عمله في اثناء النهار انتظر قدوم الليل بصبر فارغ ليعود الى المنزل ويشاهد توتا . وصار هولدن شديد الحب للاولاد فاذا لقي بعضهم من ابناء النزالة

لبزية لاطفهم ملاطفة كانت تعجب امهاتهم منها . وكان كلما عاد الى البيت
ميره مدهوشة من اعمال تونا . فتارة ترى ان تونا صار قادرًا على لطم يد بيدوطورًا
ادرًا على قبض شيء صغير وحمله . وفي ذات يوم انسحب تونا من سريره وخطا
ين وحده وهو يتمثر في سيره فكادت اميره تطير فرحًا

وكان يألف الحيوانات التي في المنزل كالبقرة والجواد وخصوصًا ميان‌ميتو (البيغاء) .
ات يوم مدَّ يده وجذب هذه المسكينة من ذنبها جذبًا شديدًا فصارت تصيح صياحًا
فاسرع هولدن واميره على صوتها . وقالت اميره لما شاهدته . اجثل هذا تعامل اخاك
ميتو ياشرس . رويدك لاجعلك حكيمًا عاقلاً كسليمان وافلاطون (تعني افلاطون)
ت يدها الى جيبهـا وتناولت سبع لوزات وذكرت اسم الله سبع مرات وبعد ذلك
ت احدى اللوزات وقطعتها باسنانها قطعتين وقدمت قطعة منها الى البيغاء بعد ان
ها مكانها وهي منبوشة الريش من الاضطراب والخوف . فتناولت البيغاء القطعة بمنقارها
ى الام القطعة الاخرى ووضعتها في فم تونا مع قبلة وضعتها على خده فصار تونا يأكل
اء تأكل . فقالت اميره لهولدن : ساصنع هكذا سبعة ايام فمتى شب غلامنا صار
" وخطيبًا كبيرًا

اما تونا فانه كان يكره اضاعة الوقت بالكلام وانما كان يطلب ذنب البيغاء دون سواه .
ى ابوه وامه جهدهما حتى استطاعا صرف فكره عنه

وبعد اشهر شبَّ تونا وصار اهلاً للبس المنطقة الفضية والحلى الثمينة . فغافل امه ذات
ونزل الى الحديقة حيث كان الشيخ بيرخان الحارس واقترح عليه ان يأخذ منطقته
ية وحلاه ويُركبه في مقابلة ذلك على الجواد . وقد تعلم تونا هذه المقايضة مما كانت
امه من هذا القبيل مع تجار الناحية . اما الشيخ بيرخان فانه بكى من فرحه ثم وضع
على راسه دلالة على خضوعه وعاد به الى البيت وهو يقول : ان تونا سيكون رجلاً
رًا قادرًا على قيادة الرجال

وفي ذات يوم كان على السطح مع امه وابيه فنظر فوق راسه « الطيارات » التي يطيرها
ان المدينة فطلب من امه طيارة يطيرها . فضحك هولدن وقال ما هذا الولد الذي يطلب
ى شيء . فلما سمع تونا كلام ابيه انتصب بقوة وقال بلغة الاطفال . انا لا ولد .
رجل .

فصاحت اميره وهولدن ضاحكين ضحكاً شديدًا . ومنذ هذه الكلمة اخذ هولدن

يهتم بمستقبل ابنه اهتماماً حقيقياً

ولكن كل ذلك عبث في عبث . فان ولداً كاملاً كهذا الولد لا يمكن ان يعيش طويلاً على هذه الارض . ولذلك ما شعرت اميره في ذات ليلة الا وتوتا يقول لها انه متالم من الالم لم يعرفه قط . فسهرت امه عليه في تلك الليلة الى الصباح . وفي الصباح اخذته حمى شديدة فاسلم روحه في ساعة واحدة

فظن هولدن واميره نفسها لاول وهلة انهما في حلم لانهما لم يكونا يصدقان ان توتا يمكن ان يموت ولكن لما شاهداه امامهما جثة بلا روح علما انهما لم يكونا في المنام . فكادت اميره تجن من الحزن فاخذت تضرب راسها بالجدار ولو لم يمسكها هولدن لالقت بنفسها في البئر طلباً للموت مع ولدها

٣

و بعد يومين كان هولدن جالساً على السطح تحت نجوم السماء واميره ممددة وراسها على ركبته وهي تفتكر بالصغير الغائب . واذا بها تسمع البيغاء تنادي رفيقها الصغير في صفاء الليل و تصيح « توتا توتا » فارتعدت اميره واخذت تبكي . ثم جعلت تقول وهي تنتحب . هل تظن اننا لم نحسن مداواته . ومن اين اتته الحمى امن الشمس ام من العين

فقال هولدن . ذلك مكتوب ياحبيبتي فاننا قد صنعنا كل ما في وسعنا صنعه لانقاذه فما قدرنا . فما مضى قد مضى

فقالت اميره . ولكني كلما رايت يدي فارغتين منه ذكرته بالرغم عني فكيف انسى ما مضى

فقال هولدن . انسي ما مضى ياعزيزتي ان لم يكن من اجلك فمن اجلي

فقالت اميره . اما انت فاني لا اراك كثير الاهتمام بما اصابني . فلا ريب انكم ايها الرجال البيض قساة القلوب والنفوس . آه ليتني تزوجت برجل من جنسي فان ذلك خير لي وان ضربني واهانني من ان آكل خبز رجل اجنبي

فقال لها هولدن أانا اجنبي يا ام ولدي

فقالت اميره بنزق . ومَن تكون اذاً يا صاحب

وكانها عادت الى رشدها بعد هذا القول فصاحت . آه عفواً عفواً . لا تؤاخذني بما قلت فانني اقول الآن من شدة حزني ما اعلم وما لا اعلم . انت نور عيني ونسمة حياتي لا اجنبي عني



﴿ اميرة حزينة بعد الفرح ﴾

فقال هولدن انني اعذرك لانني اعرف من حزني مبلغ حزنك وسنعيش سعيدين ونحن اثنان كما عشنا ونحن ثلاثة . فاخمدي ثورة حزنك يا عزيزتي

وكانت تلك الليلة اولى ليالي الربيع وكان الجو حارًّا والبروق ترقص في غيوم السماء من بعيد على نغم الرعود البعيدة . فعانقت اميره هولدن كأن صوت الرعد اخافها وقالت : ان الارض عطشانة الى الماء انظر اليها فتحسبها بقرة ظمآى تطلب من السماء مطرًا . لقد تغيرتْ حالتها مما كانت عليه يوم جلسنا هنا نعدُّ النجوم . ولكنك انت لم تتغير بل لا تزال تحبني كما كنت تحبني قبلاً . اليس كذلك . اجب

فقال هولدن نعم نعم انا كما كنت

فقالت اميرة انني اريد ان اكون امرأة لا طفلة فيما بعد لاساعدك في كل شيء

فقال هولدن انت امرأتي وزوجتي امام الله والناس

فقالت اميرة اعطني الآن اذاً قيثاراً لانشد لك نشيداً عظيماً

قالت ذلك ثم تناولت قيثاراً واخذت تنشد بصوتها اللطيف نشيداً هندياً معروفاً بنشيد البطل الهندي الكبير « الرجاه رازالو » ولكنها لم تتوسط النشيد حتى وقفت انامِلها وانقلب نشيدها الى نشيد المراضع الذي ذكرناه آنفاً فصارت تنشد بصوت خافت

« الخوخ البري ينبت في الاحراش
« الليبرة بيارتين يا بابا الليبره بيارتين

فبكي هولدن عند ذلك وكانت اميرة تبكي ايضاً . فدنا منها هولدن ومسح دموعها وطيب خاطرها ومنذ هذا الحين اخذا يقولان كل ما ذكرا توتا : ما مضى قد مضى فلنهتم بالمستقبل . وكانا يقولان ذلك وهما يؤملان ان السماء تجيبهما الى طلبهما

ولكنّ السماء كانت مشغولة عنهما في ذلك الزمان بشيء آخر . فانها كانت قد منحت ملايين من الناس خصباً وسعة مدة اربع سنوات فاقبلت الحنطة وصحت الاجسام وكثرت المواليد حتى بلغ عدد سكان الميل المربع الواحد من الارض ٩٠٠ نفس الى الفي نفس . ولذلك صارت تريد توسيع المكان واخذ بعض من السكان

وكان نائب (نوتنغ السفلى) قد خرج من بلاده سائحاً في اقطار الهند واخذ يثني على الادارة الانكليزية لما نشرته في تلك البلاد من الخيرات . وكان يرى ان كل شيء قد تمّ في الهند ولم يبقَ بها حاجة سوى الى ادخال طريقة الانتخاب العام لتعيين الحكام واقامة برلمان . وبينما كان يحدث رفاقه بذلك واذا به قد وصل الى شجرة من شجر الدك فوقف امامها يعجب بازهارها الحمراء التي ظهرت قبل اوانها من كثرة الخصب والاقبال . ولم يدرِ ان احمرار زهرها دليل على جفاف قادم . اما رفاقه فانهم كانوا يدرون بذلك فصاروا يبتسمون لما رأوه يستشهد بازهار الشجرة على حسن الادارة الانكليزية

وكان رجلان واقفين بالقرب منهم فقال الواحد للثاني . ان هذا النائب ثقيل وكانه نسيَ ان الرجل الذي كان ياكل بجانبه في السفينة التي قدم فيها قد مات بالكوليرا

فاجاب الثاني لا اعلم وانما اعلم ان الجراد قد غطى زروعنا والكوليرا تعبث في شمال البلاد وحاصلات الربيع ستكون ضعيفة والمطر مبطيء لا ينزل وشهر مارس قادم بخيله ورجله . تالله انني احسُّ بان للطبيعة ثاراً في الارض وانها ستناقشها الحساب بقلم احمر عريض

وكان هولدن سامعاً فقال في نفسه : رجعنا الى العادة القديمة . عادة المجاعة والكوليرا والحميات

وبعد شهرين اخذت الطبيعة كما قال ذلك الرجل تناقش الناس الحساب . فبعد حصاد الربيع ارتفعت اصوات الهنود يطلبون خبزاً . فركض الهواء الاصفر على صراخهم من اقطار الهند الاربعة . فضرب خمسمائة الف رجل كانوا يصلون في هيكلهم فمات كثيرون من هؤلاء المصلين تحت اقدام اصنامهم وفرّ الباقون الى بلادهم والهواء الاصفر يطاردهم . وكانوا اذا ركبوا القطارات جوفها او ظهرها او دخلوا المدن او صعدوا الى شاهق تبعتهم الكوليرا في ظهورهم بمصدم حصداً . وقد دخل احدى المدن فقتل مائتي نفس من سكانها في كل يوم . وكانت جثث القتلى مبعثرة في كل مكان حتى ان خيول الانكليز كانت تجفل منها وهي سائرة في الطرق او بين الادغال . فاخذ الانكليز يرسلون نساءهم واولادهم الى آكام جبال حملايا وقاية لهم

فلما رأى هولدن هذه الحالة طار صوابه فذهب ركضاً الى اميره وطلب منها ان تسرع في السفر الى حملايا

فقالت اميره ضاحكة . ولماذا هذا السفر

فقال لان في المدينة وباء فتاكاً وقد ارسل جميع الانكليز نساءهم الى اعالي الجبال

فقالت اميره هل سافر جميع المماليك اولئك النساء البيض الجسورات

فقال هولدن لقد سافرن جميعهن الا بعضاً من العجائز اللواتي اصررن على الاقامة هنا نكاية بازواجهن

فقالت اميره بعذوبة . لا تهن العجائز فانهن سيصرن اخواتي لانني ساكون عجوزاً انا ايضاً . على انني مسرورة جداً من ان المماليك قد سافرن

فصاح هولدن . هل انا اخاطب طفلاً او امرأة . قلت لك انني اخاف عليك فاذهبي الى الآكام . واسمعي ياحبيبتي فانني ساجعلك تسافرين في مركبة جميلة تجرها البقر وتغطيها الستائر الحمر كما تسافر بنات الملوك

فصاحت به اميره . اسكت . اسكت . فاني لا افارقك . فلو كان « هو » حياً لكنت سافرت من اجله . اما الآن فلا افارقك لانني اخشى ان يصيبك شرٌّ فتأتي احدى النساء البيض وتعتني بك بدلاً مني واذا متُّ كان لها آخر نظر حبي من عينيك

فقال هولدن ولكن الحب لا يولد على فراش الموت فلا تخشي ذلك

قالت . وما الذي تعلمه انت من الحب ياذا القلب الحجري . على انها اذا لم تنل حبك فهي تنال شكرك . واقسم لك بالله والنبي والست مريم ام نبيك انني لا احتمل ذلك . فياسيدي وحبيبي دعنا من اضاعة الوقت في كلام السفر واعلم انني لا اكون الا حيثما تكون

ثم انها طوقت عنقه بذراعها ووضعت كفها على فمه منعاً له من الكلام

فاقام هولدن واميره في منزلها مسرور بن سعيدين كما كانا من قبل . الا ان المدينة تحتها كانت في اشد عذاب وضيق . فان رائحة الكبريت كانت تملأ شوارعها وصراخ الحزن والبكاء تدوي في كل منزل من منازلها . وكان الهنود على اختلاف مذاهبهم في المعابد والمساجد يصلون و يطلبون عون السماء والمؤذنون يؤذنون في المنائر ليلاً ونهاراً ولكن السماء كانت لا تجيب احداً

وكان هولدن ينزل في كل يوم من منزله الى المدينة للقيام بخدمته ومتى فرغ منها عاد مسرعاً الى مقر سعادته . ففي ذات يوم وهو يطالع تلغرافات في غاية الاهمية ويتقي بين شفتيه سمع حركة امامه فرفع رأسه فوجد الشيخ بيرخان حارس منزله . فسأله هولدن ما وراءك يابيرخان

فاجاب الشيخ : لما يصرخ صارخ في الظلام وتحشرج الروح في الصدر هل في الارض قوة قادرة على ايقافها . اركض يا أبا الفقراء فقد وفد الهواء الاصفر

فطار صواب هولدن واسرع الى منزله فنظر فيه منظراً فتت كبده

نظر اميرة ممددة في الغرفة التي ولد فيها توتا في نفس المكان الذي ولد فيه ولا حراك بها كأن ملاك الموت نزل بنفسه وضربها بيده ضربة قاضية

. ان النفس البشرية محبة للعزلة والانفراد . ومتى كانت على اهبة الرحيل تختبئ في مكان مظلم في الجسم فلا يستطيع احد الوصول اليها

ولذلك لم يقدر هولدن على مخاطبة اميره كما انه كان عاجزاً عن معالجتها

ولكنه كان محنياً على وجهها الاصفر الجميل يوسعه تقبيلاً

وكانت قطرات المطر الاولى قد بدأت حينئذ بالنزول فكان هولدن يسمع وقعها على سطح المنزل ويسمع صراخ سكان المدينة ابتهاجاً بها .

وكأنَّ قبلات هولدن اعادت نفس اميره الى جسمها ففتحت عينيها قليلاً وحركت شفتيها فانحنى هولدن عليها وقلبه يضطرب اضطراباً شديداً فسمعها تقول له بصوت ضعيف جداً .

— لا تحفظ مني شيئاً حتى ولا شعرة من شعري « فانها » ستضطرك الى حرقها . ومتى احرقتها شعرتُ بالنار وانا في قبري . ادنُ ادنُ مني . تقدم ايضاً . . اذكر انني كنت لك دائماً واني اعطيتك ولداً . . . وهب انك تزوجت غداً بامراة بيضاء غيري فانك لا تسر معها كما سررت معي . . ولكني ارجوك حينا ياتيك ولدمنها ان تذكرني . . ومنذ الآن ارجو ان تقع مصائب هذا الولد على راسي لاحملها عنه . . ثم ضعف صوت اميره كثيراً حتى صارعبارة عن نفخ ضعيف في اذن هولدن فقالت . . تأكدْ الآن . تأكدتُ ان لا آلهة غيرك ياحبيبي

ثم اسلمت الروح تخرج آخر نفس من انفاسها في وجه هولدن المسكين

ولم يكد هولدن يتحقق موت زوجته ورفيقته حتى دخل داخل الى المنزل وفي يده تلغراف من الحكومه هذا نصه

« توفي بالكوليرا ويكت وميدوني فارسلوا هولدن ليقوم مقامهما »

فوضع هولدن هذا التلغراف في جيبه والتفت فابصر اربع نساء مستترات بازار ابيض وهنَّ واقفات كالاصنام امامه . فتقدمت ام اميرة وقالت . هل ماتت ياصاحب فان هؤلاء النساء هن المغسلات ويجب دفنها بعد اربع ساعات . فاجاب هولدن نعم اني اعرف النظام . ثم خرج ويده على قلبه او قلبه على يده

واشتد في هذا الوقت صراخ سكان المدينة وعلت اصوات فرحهم لان المطر اخذ يهطل بعد طول جفاف الارض وانحباس السماء . ولكنه كان مطراً هائلاً . فانه استمر ثلاثة ايام متوالية بلا انقطاع فهدم الاكواخ وكسر الاشجار وملأ الشوارع والطرقات واجتاح مدافن المسلمين وقد بلغ ما هطل منه على الارض ٨ اصابع فلم يستطع هولدن السفر الى مكان خدمته الجديد . فلما صحت السماء صعد من المدينة وقصد ذلك المنزل الذي صرف فيه اوقاتاً سعيدة فراى الارض تدخن في حرارة الشمس وقد استعادت حياتها القديمة ورونقها القديم . وحين وصوله الى منزله وجد صاحب المنزل على الطريق . وكان المطر قد ملأ الحديقة والسلم وحلاً وخرب قسماً من البيت . اما ام اميرة فان هولدن كان قد وهبها الاثاث وامرها بالسفر وصرف حارسه بيرخان فلم يبقَ في المنزل غير الحيوانات التي كانت فيه وكانت رابضة في الغرف فكأنَّ ذلك المنزل كان مهجوراً منذ سنوات . فلما ابصر هولدن ذلك قال لصاحب المنزل ماذا تصنع غداً بمنزلك ياصاحب . فاجاب صاحب المنزل ساؤجره لمن يريد . فاجاب هولدن وقد كان يغار على المنزل الذي صرف فيه اسعد

اوقاته ان يسكنه احد غيره . فانا اذاً استاجره منك وابقيه مقفلاً

فضحك صاحب المنزل وقال له . لقد فهمت كلامك يا صاحب . وقد كنت مثلك في شبابي . اما الآن فانني عضو في المجلس البلدي . فسكن بالك فانني ساهدم هذا المنزل من اساسه وانشيء فيه طريقاً موصلة الى المدينة كما طلب المجلس . فلا يعود احد يعرف مكانه » انتهى

غرائب عيون الذباب

﴿وغرائب عيون الناس﴾

قال الفيلسوف ارنست رنان في رده على غلاة الماديين : لو كانت الميكروبات التي يربيها العلماء في زجاجات خصوصية تعقل وتتفاهم وجاء بعض منها يقول لبعض ان في الغرفة التي هي تقيم على احد رفوفها اناساً حجم الواحد منهم مضاعف حجمها مئات ملايين من المرات وخارج الغرفة ممالك وقارات واسعة تسير بينها السفن في البر والبحر . اكانت تصدقه ؟ كلا لا تصدقه لانها لم تنظر ذلك بعينيها بل تحسب العالم كله زجاجتها التي تعيش فيها . وكذلك الانسان

ونحن تأييداً لهذا القول لا نسهب في الكلام على كل ما يجهله الانسان من عجائب الكون الذي يراه والذي لا يراه بل نكتفي بنشر شيء عن « عيون الذباب » هذه الحيوانات الكريهة التي نراها الف مرة في النهار . فان القارىء متى راى ما في هذه الحيوانات من الغرائب لبث مبهوتاً وقال مع رنان : ان الانسان صغير جداً بالقياس الى الكون فليس من العقل ان ينكر ما لا يفهمه عقله القاصر

وللذباب نوعان من العيون احدهما النوع الكبير وهو مركب في جانبي راسها واحدهما النوع الصغير وهو مركب بشكل مثلث في قمة راسها

اما العيون الكبيرة فلكل ذبابة منها عينان . وكل واحدة من هاتين العينين مؤلفة من عيون صغيرة جداً يساوي حجم الواحدة منها جزءاً من الف جزء من الاصبع في القسم الاعلى وجزءاً من الفي جزء من الاصبع في القسم السفلي . واما عدد هذه العيون الصغيرة التي تتالف منها العينان الكبيرتان فانه يبلغ ٤ الاف عين . وكل واحدة من العيون الصغيرة عين مستقلة بنفسها وهي مؤلفة مع صغرها من ثلاثة اقسام . القسم الاول القرنية



(كيف تنظر الذبابة الانسان)

اذا وضعتَ ذبابة وراء رجل معتدل القامة فان الرجل يظهر في عيني الذبابة ماردًا طويلاً عريضاً كأنَّ طوله ٧٠٠ متر ويتوارى راسه عنها في الفضاء

والقسم الثاني اجزاء بلورية تحيط بها او عدسيات والقسم الثالث اجزاء اخرى محيطة بالقسم الثاني ومتصلة بالقرنية من جانب وبعصب البصر من جانب آخر . وكل واحدة من العيون الصغيرة ثابتة لا تتحرك وبناء على ذلك فلا ينعكس اليها غير جزء من صور المرئيات التي تكون امامها . وقد قال العالم جونس مولر ان المنظر الذي يكون في عيون الذباب حين رؤيتها غرفة مثلاً انما هو عبارة عن متحف مجتمعة فيه اجزاء من صور المرئيات التي امامها . اي انها تبصر بعيونها العديدة جزءًا من الكرسي وجزءًا من المقعد وطرفاً من حلقة ربة البيت وطرفاً من البساط وجزءًا من حذاء صاحب البيت وهلمّ جرّا

هذا ما تراه الذبابة بالنوع الكبير من عيونها

واما النوع الصغير فهو عبارة عن عيون صغيرة اخرى مختلفة عن العيون التي تقدم ذكرها . وهذه العيون قصيرة النظر بالنسبة الى تلك ولذلك فلا ترى بها الذبابة الاشياء الا اذا كانت قريبة جدًّا منها . وهي بهذه العيون وبتلك ترى الاشياء مكبرة جدًّا لكثرة ما تعاكس صور المرئيات الى العيون العديدة التي في راسها . فاذا ادنيتَ منها جنيهاً مثلاً خالته طبقاً امامها واذا وضعتَ حبة حمص في طريقها حسبتها جبلاً يعترضها فتحيد عنها

واذا جئتَ بذبابة علوها ٤ مليمترات ووضعتها وراء رجل قائم على قدميه وطوله متر و٧٠ سنتيمترًا وهو طول قامة الانسان الاعتيادية فان ذلك الرجل يظهر في عيني الذبابة (بل في عيونها) ماردًا عريضاً طويلاً طوله ٧٠٠ متر يتوارى راسه في الفضاء ويغيب عن الذبابة المسكينة (انظر ذلك في الرسم) . وهي تراه عريضاً من تحت وقليل العرض من فوق

ولكنَّ في هذا المارد الطويل العريض مرعى خصيباً لذيذاً للذبابة فتقصده لترعى في يديه وفي رقبته . ولما تطير اليه تحسب انها تطير الى جبل . واذا واجهتْ وجهه ظهر لها حاجباه وشارباه كاحراش كثيفة . ثم تحط على يده فترى في بشرته اودية وجبالاً وترى شعر يده كاشجار ضخمة طويلة امامها . ولكنها قلما تعبأ بذلك كله لانها تكون مشتغلة بالاكل من المادة الدهنية التي تجدها في البشرة ومسامها وهي تقيم على الرعاية فيها حتى تشبع منها فتنزل عن جبلها

فمن من القراء كان يظن ان هذه الحالة هي حالة هذه الهوام التي نراها في كل يوم . لا ريب في ان الكون لا يزال خزانة غرائب وعجائب وما علمه الانسان منها ليس في الحقيقة سوى جزء مما لم يصل اليه علمه بعد

وغير بعيد ان يتساءل القراء هل تفردت الذباب بهذه المزية مزية تكبير الاشياء الصغيرة فنجيب انها لم تنفرد بذلك فان الانسان يشبهها في كل مكان تقريباً . فانه في الغرب والشرق في بلاد المتمدنين واشباه المتمدنين او احباحهم كم قد يكبر الانسان صغيراً و يصغر كبيراً . كم من الجهلاء والارديا، في جميع اقطار العالم تحنى امامهم الهام وتكاد ترفع اليهم الصلاة والصيام مع ان كثيرين من افاضل الناس وعقلائهم مهملون في زوايا النسيان.

وقد تغضب هذه الحالة بعض الذين لم يتعودوا مظالم المعيشة في هذا العالم فينادون بالظلم والفساد وسقوط الفضيلة وانتصار الرذيلة على انهم لو انصفوا لعذروا الهيئة الحاضرة « لان في رؤوسها عيوناً كعيون الذباب » وذلك امر يستلزم الضحك منها لا السخط عليها

آلة تقتل النساء



﴿ ومن يحيينها ﴾

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة البنات الاميركية في الابراهيمية — رمل الاسكندرية

اول عمل يعمله الانسان عند دخوله الى هذا العالم هو التنفس وآخر عمل يعمله عند خروجه من العالم التنفس ايضاً . اي ان الانسان يأخذ النَفَس عند دخوله ويعطيه عند خروجه . وبين النفس الاول والنفس الثاني عمل مستديم يجب اتمامه بكل دقة اذ عليه تتوقف الحياة . وهذا العمل هو التنفس او حسن التنفس الذي كثيراً ما يهمله الناس وخصوصاً السيدات . ولم اخصص السيدات بهذا الاهمال الا بعد مشاهدته بالعيان وكانا نعرف ذلك . وخوفاً من ان يكون هذا الاهمال ناشئاً عن جهلنا اهمية التنفس جئت بهذه الكلمات لاشير بها الى اهمية هذا العمل لعلنا نجتهد بمنع كل ما يعيقه . لانه اذا كان التنفس تاماً وبحالته الطبيعية فان الدم يكون نقياً صالحاً وتأخذ الرئتان منه ما يكفيهما . وبالعكس اذا اعيق التنفس فانه يحدث خلل في الدورة الدموية واضطراب في جسم الانسان واخلاقه معاً

ولقد يستغرب بعض البسطاء علاقة الاخلاق بالتنفس ولكن بما ان هذا عمل حسي فامتحنه بنفسك فان ذلك يغنيني عن البرهان

مثلاً عند ما تشتغلين وقتاً طويلاً بعمل ما كالخياطة او التطريز فانك قد تشعرين بضجر وقلق وهو ما يسميه العامة « ضيق الروح او الزهق » وربما تعثرت الآلة التي بيدك فتزدادين ضجراً حتى لقد يفضي بك الامر الى البكاء اذا كنت من سريعات الانفعال دون أن تعرفي سبباً لبكائك · لكن اتركي العمل برهة واذهبي الى حيث يمكنك استنشاق الهواء النقي ملء رئتيك ثم ارجعي الى عملك تجدي ان الآلة قد اصطلحت وصار الشغل في يدك سهلاً مع انه لم يتغير شيء لا في الشغل ولا في الآلة · وانما انتظم عمل التنفس عندك فرجع صبرك ونشاطك

هذا من جهة تاثير حسن التنفس على الاخلاق اما من جهة تاثيره على الصحة فمعلوم عند الجميع فانه يمكننا ان نعيش اياماً بغير طعام ولكننا لا نستطيع ان نعيش دقيقة واحدة بغير تنفس · وذلك لان بنية الانسان بمثابة الآلة البخارية والغذاء والهواء بمثابة الفحم والهواء · فكما ان الفحم من غير هواء لا يعمل عمله فكذلك الغذاء بغير هواء · فكيف يتمكن الجسم من اخذ هواء كافٍ لاجل الغذاء الذي اتخذه مع وجود ذلك الحارس الجائر ضاغطاً على اعضاء التنفس ومانعاً لها من تناول كفاءتها من الهواء

وهذا الحارس الجائر هو (وبئس من هو) المشد او الكورسه الذي عليه مدار كلامي في هذا الفصل

ولا اقول الكورسه فقط بل كل ما يضغط على الاعضاء (كالزنانير) (والياقات) (والجوانتي) (والمراكيب) (وورباطات الجرابات) كل هذه موانع تعيق الدورة الدموية ولكني اترك الكل واتكلم عن شيخها الكبير (الكورسه) لانه قابض على الاعضاء الرئيسة في الجسم · ولم ارَ في حياتي شيخاً محبوباً كهذا الشيخ ولاسيا من السيدات

والذي دعاني الى هذا الموضوع ما قراته في بعض الاخبار الاخيرة من ان كثيرات من نساء بلجيكا رفعن عريضة الى وزير المعارف يسألنه فيها منع بنات المدارس من لبس الكورسه · وقد وافقت على هذه العريضة قرينة ولي عهد بلجيكا ووقعت عليها مع النساء الموقعات · وفضلاً عن ذلك فان حوادث الكورسه صارت كثيرة بيننا واضراره اكثر من ان تحصى ولكن السيدات من شدة حبهن له لا ينظرن الى عيوبه بل ينكرن مضايقته لهن فيقلن انني استطيع ادخال يدي بين المشد وجسمي · نعم انك تقدرين على ادخال يدك انما ذلك يكون بواسطة افراغ اعضاء التنفس من الهواء · والاخرى تقول ما انا اشده ولا يضايقني ولكن لحضرتها اقول ان العادة طبيعة · ولو علمت كم ضايقها للمرة الاولى التي شدته

بها لما قالت هذا القول

واذكرك ايضاً ايتها العزيزة ان الكورسه لا يعيق التنفس فقط بل يعيق عمل القلب ايضاً ويسرع نبضه فيتعبه في يوم واحد اكثر من تعبه عشرة ايام بدونه · مثال ذلك ما جربه الاستاذ سرجن اذ طلب من بعض الفتيات ان يجرين مسافة بلباسهن الطبيعي اي من غير كورسه وفي اليوم الثاني البسهن الكورسه وجعلهن يجرين ذات المسافة فوجد قلبهن ينبض ١٢ نبضة زيادة عن المرة الاولى وهذا من اسباب تقصير الحياة

والضرر الآخر واقع في الكليتين فان كثيرين يتوهمون ان الكليتين مخفورتان من هذه العبودية لوجودهما في اسفل الظهر ولكن هذا خطأ فان الكليتين واقعتان تحت الاضلع القصيرة حيث يصلها ضغط المشد فيحدث مرض الكلى من جراء ذلك

وكذلك الكبد اذ تنحرف عن محلها انحرافاً مهماً وتنشطر بسبب الضغط شطرين يصل بعضهما ببعض نسيج رفيع يمنعهما من الانقطاع - ألام بعد هذا اذا سميت المشد آلة للقتل (١)

وماذا اقول في المعدة التي يمنع الكورسه من اعطائها كفاءتها من الغذاء والتي اذا كان فيها غذاؤها ولبس الكورسه فوقه احدث اضطراباً في الجسم كله واخرج الغذاء من سوء الحظ من حيث نزل··

وليس للكورسه تاثير صحي فقط بل له تاثير ادبي اولاً من حيث اخلاق الابنة وثانياً من حيث ما يسمونه الجمال · اما من حيث الاخلاق فان الكورسه يسبب خللاً في الدورة الدموية كما ذكرت فينشئ ذلك الخلل في الجسم يصحبه برد في الاطراف والم في الراس ومتى استمر هذا الامر انتهى الى ضعف عام في الجسم وهذا الضعف ينتج حدة وضيقة صدر قد تنتهيان الى ما يسمونه المالانخوليه فضلاً عن شدة تهيج اعصاب السيدات وذلك مما يكون سوء التاثير على اخلاقهن · واما من حيث الضرر الذي يصيب جمال السيدات فانه من المعلوم ان الجمال عنوان صحة الجسم ولا جمال حقيقي من غير صحة حقيقية · فاذا كان الكورسه يهدم صحة المرأة فهو بحكم الطبع يهدم جمالها ايضاً · فلتتفكر بذلك السيدات اللواتي يؤثرن الجمال على الصحة ويحسبن ان الكورسه ينفع الاول وان كان يضر بالثانية

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ انظر الاعضاء الرئيسة في الجسم الانساني في باب «مبادئ علمية عامية» وتصور مبلغ الضرر الذي يصيبها من الضغط عليها

ومع ذلك فاذا كان من راي البعض ان الكورسه « يجمّل » لابسته فليس ذلك من راي الجميع

نظر احد مشاهير النقاشين الى فتاة لابسة مشدًّا وكان خصرها اجمل ما يمكن تصوره عند بنات هذا الزمان ٠ ولوانت الاسكندرية لانهال الثناء عليها من كل الجهات ٠ فبينما هو يتامل فيها قال له احد اصدقائه ارايت ياصديق اجمل من هذه الصورة ؟ فشرف ازميلك بنقش تمثالها ٠ فاجاب النقاش « اما تراني انظر اليها بدقة ٠فانني اتامل وافتش عن المحل الذي وضعت فيه كبدها ورئتيها ومعدتها لاجده ٠ كلا انا لا اريد ان اخلد بازميلي تمثال فتاة هذا العصر لئلا اجمل الناس في العصور المستقبلة يغلطون و يتوهمون ان الله خلق الفتاة في زماننا هذا بشكل غير الشكل الذي سيكون لها في القرون المستقبلة » ٠ وقد قصد هذا النقاش بقوله هذا ان العالم سيتقدم وسيفتكرون في المستقبل بالمشد كما نفتكر نحن الآن بشد قدم فتاة الصين

و بمناسبة ذكر فتاة الصين فانني ابدي رايًا بهذا الشان ٠ فانني افضل ان تشد الابنة قدمها على الطريقة الصينية على شد خصرها على الطريقة الاوربية لان القدم عضو غير عامل في الحياة بل قد يُستغنى عنها احيانًا اذا المّ بهـا مرض ٠ اما الخصر والصدر ففيهما الاعضاء الرئيسة فمن الضرر العظيم شدها ٠ ولا اعلم لماذا نستقبح شد الصينيين اقدام بناتهم ونسائهم لتصغيرها ونستحسن شد خصور النساء والبنات عندنا

وقد ذكرت الى الآن مضار الكورسه فيجب ان اذكر منافعـه ايضًا ٠ فانهم يقولون ان لهذه الآلة القاتلة (التي تقتل بالتدريج لا دفعة واحدة) منافع كما لها مضار ٠ ومن منافعها عندهم او عندهن انها تعطي « كسماً » لصدر المرأة واذا كانت الابنـة او السيدة مائلة القوام الى الامام او بعبارة فصيحة محنية الظهر قليلاً فان الكورسه يصلح هذا الخلل ويجعل قامة المراة « كالالف » كما تقول العامة ٠ ولذلك لم يقدر العلماء والفلاسفـة على ابطال الكورسه مع كثرة ما نادوا بوجوب ابطاله من ايام بلتنر ومونتاني و و ينسلو وروسو وكروفلبير وسومرنغ ٠ اما انا فاني لا ارى هذه المنفعة الصغيرة مساوية لمضرة الضغط على الاعضاء الرئيسـة التي منها الحياة ٠ ولكني اعرف منفعة للكورسه جديدة لم يذكرها انصاره وهي الاقتصاد في الغذاء فانه يمنع الفتاة من اخذ كفايتها منه وهكذا تخفف النفقات

تلك هي منافع الكورسه ومضاره فلتحكم العائلات في ذلك فان على حكمهن الاعتماد

العمران والفحم الحجري

كل من اشرف على رصيف بور سعيد من السفن القادمة اليها لاحت له من بعيد على الرصيف اشخاص عديدة سود الوجوه والثياب وهي تتحرك حركات عنيفة رواحاً ومجيئاً وتحمل بشيء بين يديها . فيخيل له لاول وهلة ان هذه الاشخاص من نوع جديد من البشر لم يذكره علماء الانسان في ما ذكروه . ولكنه متى نزل الى البر وشاهدهم عن قرب علم انهم بشر من جنسه ونوعه واذا كان قد قرأ الحكيم لابروبير فانه يذكر ولا شك ما قاله عن فلاحي بلاده في ذلك الزمان وهو : ان المشرف على الحقول يجد فيها حيوانات سوداً محنية الى الارض وهي تمشي وتحمل على الاربع ولا يعرف الناظر انها بشرٌ الا متى خطر لها ان تستريح قليلاً فتنهض قائمة على القدمين

وقد يكون بين اولئك الفلاحين التعساء الذين وصفهم لابروبير ذلك الوصف الذي صار مثلاً في اوروبا كلها حتى صار يكفي ان يُقال « فلاحو لابروبير » فيعلم السامع ان المقصود بذلك فلاحون من اقصى درجات التعاسة والشقاء — وبين اشخاص بورسعيد الذين نحن في صددهم الآن شبه كبير . فان الاولين يعملون في الارض ام الثروة والخيرات والآخرين يعملون في ما يصح ان يسمى مادة التمدن والعمران وهو الفحم الحجري

وغير غريب ان يعمل هذان الفريقان في اثمن شيء في العالم ويكونا افقر الناس لانهم انما هم اجراء يعملون وغيرهم يجنون

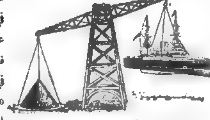
وغير غريب ان تتحسن احوال فلاحي لابروبير في اوروبا تحسناً كسر قيود استعبادهم وصيرهم سلاطين على حكامهم لانهم ينصبونهم ويخلعونهم باقتراعهم مع ان التعساء في بلادنا لا يزالون في تعاستهم . فان الشقاء مكتوب لنا ولا مفرَّ مما هو مكتوب

ولكن الغريب ان يثبت تمدن كهذا التمدن الذي عشر معشار اهله يتنعمون والباقون يشقون .

ولقد خشي عليه الناس منذ مدة من السقوط في مستقبل الزمان لاسباب عديدة اهمها نفاد الفحم الحجري من الارض . وكان اكثر الخوف في انكلترا لانه اذا نفد الفحم من بلاد الانكليز وقفت مصانعها ومزارعها ومتاجرها وخربت البلاد في سنة واحدة . ولذلك الَّف البرلمان الانكليزي منذ نحو ثلاثين عاماً لجنة لفحص مناجم الفحم في انكلترا فوضعت هذه اللجنة تقريراً ملخصه ان في مناجم الفحم ٩٠ الف مليون طن ناضجة و٥٦ الف مليون طن

تحتها غير ناضجة ولكن يمكن استخراجها حين الحاجة

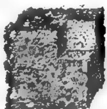
ومعلوم ان عدد عملة الفحم في انكلترا ٧٣٣ الفاً وكل واحد منهم يعمل ثماني ساعات في اليوم فقط (كما قرر البرلمان الانكليزي حديثاً) فاذا كان كل عامل يستخرج في كل يوم طناً واحداً فيكون مجموع المستخرج في اليوم ٧٣٣ الف طن وفي كل عشر دقائق اكثر من ١٥ الف طن فضع هذا المقدار (١٥ الف طن) في كفة ميزان وضع دارعة «ماجستيك» الانكليزية في كفة اخرى يرجح الفحم الحجري المستخرج من المناجم الانكليزية في عشر دقائق فقط على وزن دارعة ماجستيك لانها لا تزن أكثر من ١٤٩٠٠ طن .



المستخرج من الفحم الحجري في عشر دقائق في انكلترا اثقل وزناً من دارعة ماجستك

واذا شئت ان تعرف بالنظر مقدار الفحم الحجري الموجود في مناجم انكلترا ومقدار ما يستخرج منه فانظر الى الرسم الثاني . فان القطعة كلها تمثل الموجود من الفحم في جميع المناجم والتجويف الكائن في يسار الرسم من فوق يمثل المقدار الذي يؤخذ من هذا الفحم في كل ثلاثين سنة . فبناء عليه لا ينقضي قرنان او ثلاثة حتى ينفد الفحم من المناجم الانكليزية

ولكن اذا نفد الفحم من المناجم الانكليزية فان المناجم الاميركية تكفي الناس طويلاً واذا نفد الفحم من هذه المناجم ففي الصين والهند وغيرها من البلاد اراض كثيرة تكتشف مناجم الفحم فيها وهب ان الفحم نفد من الارض كلها فان العلم يؤلف مادة تقوم مقامه . وقد اخذ الآن كثيرون من الباحثين يبحثون في صنع الفحم من فضول المنازل (الزبالة) فيكون رخيص الثمن ومولداً للحرارة كالفحم الحجري . فاذا نجحوا فازوا والا فان الانسان يلتفت حينئذ الى ما تصوره



كمية الفحم الموجودة في مناجم انكلترا . والتجويف الذي فيها عبارة عن المستخرج منها في كل ٣٠ عاماً

اميل زولا في احدى رواياته وهو خزن حرارة الشمس واتخاذها بديلاً من الفحم . قال زولا . ان الشمس التي كانت امنا في البداية ستكون امنا ومغذيتنا في النهاية . فان الانسان

سيتوصل بعمله الى خزن حرارتها الذاهبة طول النهار ضياعاً ثم يفرق منها على المنازل والمصانع والمعامل فتغنيها عن كل وقود · وقد شرعوا منذ الآن يجربون خزن حرارة الشمس وعندهم آلات خاصة بذلك

فلا خوف اذاً على التمدن الحالي من السقوط بسبب الفحم الحجري لان للعالم ملاكاً يحفظه ويرشده · فعسى ان يتمّ نعمته عليه ويرشده في الحياة الادبية كما يرشده في الحياة المادية

اما المستخرج في جميع اقطار العالم من الفحم الحجري في كل عام فانه يبلغ ٦٤٤ مليون طن وهذا بيانه

	مليون طن		مليون طن
من اميركا	٢١٨	من كندا	٤
« انكلترا	٢١٢	« الهند	٤
« المانيا	١١٠	« اوستراليا	٦
باقي اوروبا	٨٢	الترنسفال واورانج	١ ونصف

وكل هذه الامم تستهلك كل فحمها في داخليتها الا اميركا وانكلترا والمانيا فانها تصدر منه الى الخارج · ويبلغ ما تصدره انكلترا منه في العام ٤٤ مليون طن منها ٤٢ مليوناً ونصف الى روسيا وفرنسا والمانيا واسوج ونروج والدانمرك وهولانده وبلجيكا والبرتغال والشرق والباقي لمستعمراتها · واما اميركا فانها تصدر اكثر من ذلك · وكثيرون يفضلون الفحم الاميركي على الفحم الانكليزي بحجة انه اصلب مادة واشد حرارة

ومما هو جدير بالذكر في ختام المقال ان الرسوم الجديدة التي وضعتها الحكومة الانكليزية في هذا العام على صادرات الفحم من بلادها لم تقلل كمية الصادرات لشدة الحاجة الى الفحم في كل مكان ولا سيما بسبب حرب الصين والترنسفال · وقد غلت اسعار الفحم في العامين الماضيين غلواً غلت معه اسعار كل ماديات المعيشة حتى هذا الورق الذي نكتب عليه هذه المقالة لانه لا يُصنع بدونه · وهذا معنى قولنا ان الفحم الحجري صار مادة العمران وقوامه

هدية لمشتركي الجامعة

كتاب الكوخ الهندي تاليف الكاتب الخالد الاسم (برناردين دي سان بيير)
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد جداً وفي صدره رسم المؤلف وترجمته
مطولة وتتخلله رسوم كثيرة تشرح مبادئه الفلسفية والفكاهية
شرحاً يزيد الموضوع طلاوة وفائدة

ما كدنا نفرغ من طبع هذا الكتاب على ما وعدنا به في الجزء الماضي حتى بعث الينا بعض القراء الذين لا يُرد لهم طلب يقترحون علينا ان نهدي هذا الكتاب الى مشتركي الجامعة ومساعديها • فترددنا في بدء الامر لاننا لم نطبع منه بقدر عدد المشتركين ولكننا عدنا واجبناهم الى طلبهم ارضاء لقرائنا الكرام فانّ كل شيء يهون علينا في سبيل رضائهم

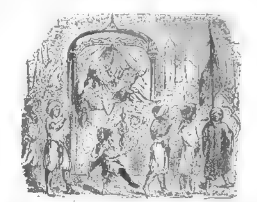
ولكن لما كان عدد النسخ المطبوعة من هذا الكتاب ينقص عن عدد مشتركي الجامعة فاننا عزمنا على ان نهبه للذين يسبقون في طلبه ومتى نفد من الادارة تعذّر علينا ان نهب غيره للطالبين الا اذا كانوا يقبلون احدى الروايات الاعتيادية التي في مكتبة الجامعة • وبناء عليه فكل من يرغب في اقتناء « الكوخ الهندي » مجاناً يجب عليه ان يُسرع في طلبه من الادارة رأساً او من وكلائها في الجهات فيرسل اليه في الحال • وغنيٌّ عن البيان ان كل من يطلبه يجب ان يكون مسدداً ما عليه من بدل الاشتراك حتى نهاية السنة الثالثة والمشتركون من جديد يحصلون عليه بدفعهم بدل الاشتراك • والذين دفعوا بدل السنتين الماضيتين يدفعون بدل السنة الثالثة لحصول عليه

وقد صدرنا الكتاب برسم مؤلفه برناردين وترجمته مطولة وفي ختامها الكلمة التالية •

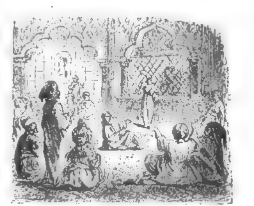
« ولقد عرّفنا الى الآن قراء اللغة العربية بمبادىء رجلين من اقطاب الادب والفلسفة في العالم وهما الفيلسوف جول سيمون والكونت لاون تولستوي • فيسرنا الآن ان نعرفهم بمبادىء كاتب ثالث هي ارقّ واعذب من مبادىء الفيلسوفين اللذين تقدم ذكرهما وان لم تكن اعظم منها • وقد اخترنا نشر هذه المبادىء الادبية الفلسفية الجميلة على غيرها من المبادىء العلمية او التاريخية لاننا نرى الحركة الادبية والحالة الاجتماعية محتاجة اليها والقراء في جميع الاقطار اكثر ميلاً اليها منهم الى سواها • فعسى ان ينتفع بها طلابها»

ويلي الترجمة تمنٍّ تمنيناه في صفحة خاصة وهذا نصه

« نتمنى ان لا تخلو مكتبة من هذا الكتاب



﴿ الدكتور الانكليزي سائر الى هيكل راس البراهمة في محمل على اكتاف ﴾
﴿ الرجال . وهي الطريقة التي كان يسافر بها في الهند اكابر الهنود والاجانب ﴾
﴿ قبل استيلاء الانكليز عليها وانشاء السكك الحديدية فيها ﴾



﴿ الدكتور يناظر راس البراهمة وهو جالس في الوسط بين الدراويش والبراهمة عاري ﴾
﴿ الراس والقدمين ولا لباس عليه غير الغطاء القطني لان من يروم مقابلة البراهمة يجب ﴾
﴿ ان يتجرد من كل اثر للحيوان ويغتسل ثلاث مرات في نهر الكنج ليطهر من دنسه ﴾

« وان يضع كل معلم وكل معلمة في يد كل تلميذ وكل تلميذة نسخة منه بعد قراءته في ساعة الدرس وشرح مبادئه

« وان تضعه كل امرءٍ في خزانة ابنتها بين مواد زينتها

« وان يقع في ايدي جميع العقلاء الذين يطلبون الفائدة ويطربهم صوت الفضيلة

ولا ريب عندنا ان كل من يطالعه بامعان وتروٍّ يشعر بعد مطالعته بانه صار افضل وارقى منه قبل مطالعته ويرى على الورق شيئاً من مبادىء الحقيقة والفضيلة والاخاء والعظمة الحقيقية التي قلما يرى منها شيئاً في هذا العالم »

اما الرسوم العديدة التي نشرناها في « الكوخ الهندي » فقد نشرنا في هذا الفصل مثالاً منها

﴿ كتاب عمر الى اهل بيت المقدس ﴾

ذكرنا في مقالة « سوريا وفلسطين » في الجزء الماضي ما ذكرناه عن العهد الذي اعطاه عمر بن الخطاب (رضه) الى اهل بيت المقدس وقد بعث الينا بعض الاصدقاء بصورة كتاب يقول انه كتاب الامام عمر وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبدالله بن عمر امير المؤمنين اهل ايليا (يعني بيت المقدس) من الامان اماناً لانفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرها وسائر ملتها ان لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منها ولا من صلبانهم ولا شيء من اموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن ايليا احد من اليهود وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما اعطوا اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن احب من ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مامنهم ومن كان فيها من اهل الارض فمن شاء قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن شاء رجع الى ارضه وان لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية

شهد على ذلك من الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد . وعمرو بن العاص . وعبد الرحمن بن العفو . ومعاوية ابن ابي سفيان

مبادىء علمية عامية

ننشر في هذا الباب مبادىء علمية عامية مما يجب نشره بين الناس ولا سيما عامة الشعب وهي في غاية البساطة والسهولة

كيف يتغذى الانسان

اول ما اخذنا ننظر في فتح بابين جديدين في سنة الجامعة الجديدة خطر لنا في الحال وجوب فتح باب « لآثار الشرق القديمة » وباب « لنشر مبادىء علمية عامية » ففتحنا هذين البابين وجعلناهما من ابواب المجلة المهمة اي من الابواب التي لا يخلو منها جزء من الجامعة ·

اما باب « آثار الشرق القديمة » فننشر فيه بالتتابع ما يفيد وتلذ مطالعته من الآثار المصرية والسورية واللبنانية والهندية والفارسية وغيرها من الامم القديمة مشفوعاً بالرسوم التي تزيد في فائدتها كما يرى القراء في هذا الجزء · هذا فضلاً عن الآثار الشرقية التي تكتشف في مصر وما بين النهرين وبعلبك والاناضول وغيرها مما يتيح معه للابناء ان يقفوا على مخلفات الآباء وآثار مجدهم ·

واما باب « مبادىء علمية عامية » فننشر فيه باسلوب في غاية البساطة والوضوح كل ما يهم عامة الناس نشره ويفيدهم الاطلاع عليه · فانك اذا سألت كثيرين من عامة الناس حتى خاصتهم وتلامذة المدارس ايضاً كيف تأكل ويغذيك الطعام · وما سبب نزول ماء المطر · ولماذا تعوم السفينة في البحر ولا تغرق كما يغرق الحجر · وماذا يوجد تحت الارض او فوق رؤوسنا في السماء · ولماذا تقذف الحجر بكل قوتك في الجو فيعود الى الارض بدل استمراره في الصعود في الفضاء طوعاً للقوة التي انفذتها فيه · وما هي حقوقك التي لا يجوز لاحد ان يدوسها كبيراً كان او صغيراً حاكماً او غير حاكم · وما هي واجباتك التي لا يجوز ان تهمل شيئاً منها · وما يوجد في داخل جسمك من الاعضاء الرئيسة · وكيف تجب مداراة هذه الاعضاء · وما هي المبادىء الصحية الاولى التي يجب ان لا يخلو منها منزل — كل هذه الاسئلة اذا القيتها على بعض من العامة تعذر عليهم فهمها والجواب عليها · ومعلوم ان من يذكر عامة الناس في الشرق فانما يذكر تسعة اعشار الامة او اكثر من ذلك · فهل يحسن

ان تبقى تسعة اعشار الامة في جهل مدلهم كهذا الجهل

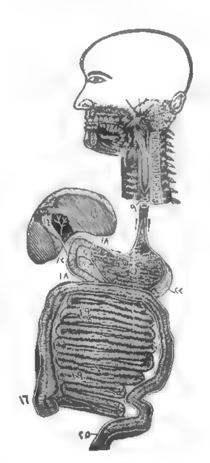
ان الجهل ريح صرصر تطفىء كل ذكاء ونشاط في نفوس الناس . والجاهل بمثابة ولد صغير قاصر وضعيف . اما قصوره فلانه يحسب كل الناس ارقى منه ويخاف ان يخطو خطوة في غير مكانها او يقول كلمة في غير محلها فينفضح امره . واما ضعفه فلانه لا يستطيع مجاراة الاقوياء في هذه الحياة ويخلع قلبه خوفاً من اقل الطوارىء . فانه اذا رأى خيالاً في الليل حسب الجن تعرض له . واذا قال له الناس ان الحمير تطير والطيور تتحول في شهر اغسطس الى حمير فانه قد يصدقهم لغباوته . وهكذا يمتلىء دماغه خرافات واوهاماً لعدم معرفته بشيء من نواميس الطبيعة ونظام هذه الحياة فيجبن ويضعف ويصير كما نراه الآن في الشوارع والاسواق . اما اذا كان واقفاً على شيء من ذلك ومدركاً نواميس الحياة فانه يكون قوياً مقداماً ليس للوهم سلطان على نفسه ولا يخشى حينئذٍ في هذه الحياة شيئاً غير سقوط قبة السماء على رأسه كما كان يقول الفرنك سكان فرنسا القدماء

ولا نجهل ان تبديد هذا الجهل انما هو من شؤون المدارس والتعليم الالزامي ولكنا نعتقد ان المجلات والجرائد تستطيع ان تؤثر من هذا الوجه تاثيراً مفيداً ولذلك فتحنا باب « المبادىء العلمية العامية » الذي نرجو ان يكون لعامة القراء مورد حقائق في غاية البساطة والسهولة كما ان باقي ابواب المجلة مورد لخاصتهم . وسنبدأ في هذا الجزء بوصف الصق شيء بالانسان وهو « كيف يأكل ويتغذى »

ولا نبحث في هذا الفصل في شروط التغذية ولا في المواد اللازمة للغذاء ولكن في طريقة التغذية . فانك تتناول لقمة الطعام من المائدة وتضعها في فيك فتطحنها قليلاً او كثيراً باضراسك واسنانك ثم تبتلعها وتقذفها الى داخلك . فماذا يحدث لها في الداخل . وكيف تتحول من خبز ولحم وطماطم وبطاطس وارز وسمك وحلوى وغيرها الى دم يدور في جسمك .

يستلزم هذا الامر عدة تغيرات وتتعاون عليه عدة اعضاء وهي الاسنان والغدد اللعابية والمعدة والامعاء والاوعية اللبنية والقناة الصدرية (انظر الرسم)

فان الاسنان تمضغ الطعام ومن الواجب ان تطحنه جيداً ليسهل هضمه على المعدة . وبينما تكون الاسنان مشتغلة بهضم الطعام تهيج الغدد اللعابية (اي يشط ريق الانسان كما يقول العامة) فيمتزج اللعاب الذي تفرزه (الريق) بالطعام ويبلله فيساعد الاسنان عليه ولما يتم مضغ الطعام ينزل من المرىء (انظر عدد ٩) الى المعدة (انظر عدد ٥) ولما



﴿ اعضاء المضم ﴾ — (٩) المرئ الذي ينزل منه الطعام الى المعدة (٥) المعدة (١٨ و ١٨) الاثنى عشري (١٧) البنكرياس (١٤) كيس المرارة (١٢) القناة التي تصب منها الصفراء من كيس المرارة الى الاثنى عشري (١١ و ١١) الكبد (٢٢) الطحال (١٩ و ١٩) الامعاء الدقيقة (١٦) فتحة المعا الدقيق في المعا الغليظ (٢٥) طرف المعا الغليظ ومنه يخرج براز الانسان

يستقر الطعام في المعدة تنقبض جدرانها وتفرز سيالاً يسمونه «السيال المعدي» او «العصارة المعدية» فيمتزج الطعام بهذه العصارة ويصير كتلة رخوة يسمونها «كيموساً» ونسميها هنا كتلة الطعام . وبعد استحالة الطعام الى كتلة يُدفع الى ما يسمونه «الاثنى عشري» (انظر عدد ١٨و١٨) وهو عبارة عن معا طوله ١٢ قيراطاً ومتصل بالمعدة من فتحتها السفلى ويسمونه «المعدة الثانية» لاهميته لانه اهم جزء في الامعاء كلها . وحول الاثنى عشري (انظر عدد ١٧و١٤) عضوان مهمان . الاول «البنكرياس» (عدد ١٧) والثاني كيس المرارة (عدد ١٤) فهذان العضوان يصبان في الاثنى عشري عصارين يزيدان في تغيير كتلة الطعام التي تكون فيه ويعجلان المضم . فتنقسم كتلة الطعام حينئذٍ الى قسمين . قسم يكون شبيهاً باللبن ويسمونه كيلوساً وقسم هو البراز او فرث الانسان . ثم يمر الكيلوس والفرث من الاثنى عشري الى باقي امعاء الانسان (عدد ١٩ و١٩) وذلك بحركة دودية اي شبيهة بالتواء الدود في سيرهــا . وهناك يتغير ايضاً . وبعد ذلك تمتص الاوعية اللبنية المتصلة بالامعاء تلك المادة اللبنية وتغيرها ثم تصبها تحت الترقوة في جانب الانسان الايسر ومن هناك تنزل تلك المادة الى القلب مارة بالرئتين فتصير دماً اي يحمر لونها بتاثير الهواء الذي فيها . اما البراز الذي كان معها في الامعاء فانه يندفع الى المعا الغليظ ويخرج منه من المخرج (عدد ٢٥) وبذلك يتم المضم

هذا هو نظام المضم في الانسان والحيوان تقريباً الا الحيوانات التي تا كل الاعشاب وتجترّ كالبقر والغنم والجمال وغيرها . فان لهذه الحيوانات اربع معد لا معدة واحدة . فالمعدة الاولى خزانة تقتبل الطعام وهي «الكرش» . وهذا الكرش يبلّ الطعام ويدفعه الى معدة ثانية يسمونها «الشهر» . ومتى استقر الطعام في هذه المعدة يصعد منهــا الى الفم فيجتر الحيوان حينئذٍ اي يمضغه مضغة ثانية . وبعد الاجترار ينزل الطعام من الفم الى المعدة الثالثة وهي التي يسميها العامة «قبوعة ناصر الدين» . ثم يندفع من هذه المعدة الى المعدة الرابعة وهي القباوة وهناك يتم المضم . وغني عن البيان ان المضم اهمّ اعمال الحياة لان صحة جسم الانسان وصحة عقله متوقفتان عليه . وكثيرًا ما اضطرب المضم فاضطربت معه صحة الانسان واخلاقه كلها فصار ضيق الصدر كثير المواجس ضعيف الرأي . وقبل ختام الكلام في هذا الفصل لا يسعنا الا الاشارة الى ما يصنعه بعض الاولاد احياناً فانهم يتنافسون بابتلاع بزر الخوخ والكمثري وغيره لينبت في بطونهم ويصير منه فيها الحدائق والبساتين .. ولا ريب انه امر مضحك ولكنه كثيرًا ما ينقلب فيصبح مبكياً لسوء مصيره

آثار الشرق القديمة

اثر مصري

حالة الفلاح المصري والاديب المصري قديماً · وصف الفلاح المصري الحالي والقديم · رسم اديب من ادباء المصريين القدماء

كنا نتصفح كتاباً عن مصر وآثارها فعثرنا فيه على رسالة في غاية الاهمية كتبها اميمان وكيل مكتبة الملك سروستريس (رعمسيس) الى الشاعر بنتاتور المصري احد شعراء الملك المذكور · والسبب في كتابة هذا الكتاب(١) ان الشاعر بنتاتور كره صناعة الادب والشعر في ذلك الزمان فتركها وعدل عنها الى الحراثة والزراعة فانكر صديقه اميمان وكيل مكتبة الملك هذا الصنع كتب اليه الكتاب الذي نحن في صدده · وهذه ترجمته

« يأتون اليك بهذا الكتاب لابلاغك امراً · فانه قد بلغني انك هجرت الآداب
« وابتعدت عن البلاغة والتفت الى اشغال الحقول وادرت ظهرك الى الكتابة السماوية ·
« فتأمل وافتكر بحالة الفلاح · فانه قبل ان يحصد تحمل الحشرات قسماً من القمح
« وتأكل الحيوانات ما بقي · وفي الحقول اسراب كثيرة من الجرد · والجراد يهجم بكثرة
« والماشية تأكل والعصافير تنهب · واذا ترك الفلاح شيئاً في الحقل فان اللصوص تسرقه
« وآلته تثلم وتحطم مع الوقت لانها من حديد · وجواده يموت وهو يجر المحراث · ثم ان
« الجباة يفدون من الميناء لجباية الضرائب ومعهم اناس يحملون عصياً وزنوج في ايديهم
« سعف النخل يتخذونها كسياط · فيقولون للفلاح (اعطنا قمحاً) وليس في استطاعته ان
« يردهم · فانهم يوثقون يديه ويرسلونه الى الترعة وهم يدفعونه امامهم بقوة · وكذلك يوثقون
« امرأته على مرأى منه ويسلبون اولاده · اما جيرانه فانهم يكونون مشتغلين عنه باشغال
« الحصاد · هذه هي حالة الفلاح · اما عمل الكاتب الاديب فانه اسمى الاعمال ولا
« ضريبة عليه · فاعلم ذلك »

(١) وهذا الكتاب محفوظ الآن في متحف لندن



﴿ كاتب وناسخ مصري قديم ﴾

اكتشف تمثاله المسيو ماسبرو

فيظهر من هذا الكتاب ان حالة الفلاح المصري لم تكن في عهد الفراعنة افضل مما كانت قبل قيام المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة . وان بين حالة الفلاح المصري في هذا الزمان و بين حالته في الازمنة الماضية ما بين الارض والسماء وكذلك يقال في مسألة الادب . فان الكتابة والآداب كانت معتبرة عند قدماء المصريين وغيرهم من الامم المتقدمة صناعة الهية وكان الاشوريون يعتقدون ان الآلهة هي التي علمت الناس الكتابة والقراءة . ولم يكن هذا الاعتقاد عن وهم ولكن عن شعور بشرف الكتابة واهميتها

واذا رام القراء ان يعرفوا بالنظر الاديب والفلاح المصريين القديمين فلينظروا الى الفلاح المصري الحالي والى الاديب المصري في الرسم الذي في هذا الفصل . فان الفلاح المصري لم يتغير منذ القدم . قال بعض المؤرخين . ان الزوابع السياسية والاجتماعية التي عصفت في مصر قلبت فيها كل شيء ظهراً الى بطن وراساً على عقب الا الفلاح المصري صاحب مصر الحقيقي وعماد ثروتها . فان هذا الفلاح بقي ثابتاً في مكانه ولم يتغير عما كان فيه من

عهد الفراعنة . اي انه لا يزال لطيفاً هادئاً ينحني لكل الزوابع التي تمرّ فوق راسه ويخضع لكل الايدي التي تقبض على زمامه . وهو يحب ارضه كما يحب الولد امه ولذلك فهو يحرص عليها ويفتخر بامتلاكها كما انه يسير من لا يملك شيئاً منها . وهو مستجمع فضائل الامة المصرية وعليه يتوقف مستقبلها .

اما الاديب المصري القديم فقد كان متعدد الانواع فمنه الشعراء ومنه الكتاب ومنه النساخ . وكان للنساخ اهمية كبرى في ذلك الزمان لعدم وجود المطابع . وكثيراً ما عثروا في المدافن القديمة على آلات الكتابة المصرية ومعها محبرتا النساخ واحدة للحبر الاسود وواحدة للحبر الاحمر . وكانت الكتابة يومئذٍ على نوع من الورق كانوا يصنعونه من البابيروس واحياناً كانوا يضنون بالبابيروس لغلاء ثمنه ويكتبون على قطع خزفية او خشبية ما كان بلا اهمية كورقة دعوة او كتاب ودي وما اشبه

وقد نشرنا في هذا الفصل رسم تمثال اديب وناسخ مصري قديم اكتشفه المسيو ماسبرو منذ سنوات ليعرف ادباؤنا وجه رصفائهم من المتقدمين

اثر سوري

الزي السوري القديم . الزي الاناضولي . البنات الاناضوليات اقوى من الرجال
هل يجب ان نحسر على الزمن القديم

كما اننا نشرنا للادباء في الفصل السابق رسم رصيف مصري قديم ننشر للسيدات في هذا الفصل رسم « جدة » لابسة الزي السوري القديم الذي لا تزال آثاره باقية الى هذه الايام

ولا نعني بذلك انَّ نساء سوريا ما زلن يلبسن هذا الزي الغريب الذي هو اشبه بازياء الروايات ولكننا نقول انه لا يزال في نساء سوريا بقية من ذلك الزمن القديم وهن يلبسن ذات الملابس التي يراها القراء في الرسم

اما ازياء النساء السوريات اليوم فهي كازياء النساء الاوربيات والاميركيات لانها مقتبسة منها كما اقتبس ازواجهن ازياء ازواجهن

ولكنه لا يزال في جهات الاناضول كثيرات من النساء يلبسن ازياء اغرب من زي « الجدة السورية » التي نشرنا رسمها . فقد زرنا مدينة اضاليا في الاناضول منذ بضع سنوات فرأينا نساء المسيحيين فيها متزوجات وغير متزوجات جميلات وغير جميلات يلبسن قفطاناً كقفاطين

الرجال وهو ذو اربعة اقسام قسمين يتدليان على جسم المرأة من وراء وقسمين يتدليان على جسمها من امام . ويلبسن فوق « القفطان » سترة صغيرة لا تجاوز الثديين على مثال « الدامر » الذي يلبسه لابسو اللباس العربي في الشام . ويتمنطقن بزنار في وسطهن ويلبسن طربوشاً في رؤوسهن ويصففن عليه قطعاً من النقود الفضية او الذهبية ويجدلن ضفائر عديدة من شعرهن ويرخينها على ظهورهن كاذناب الحيات وفي اطرافها قطع من النقود ترن وتطن كما خطت المراة خطوة . ولا ريب ان الذين اعتادت عيونهم ان ترتع في مناظر الطف النسائي في مصر والشام والفت ابصارهم مشاهدة ملابس النساء الظريفة وثمار اذواقهن اللطيفة يستهجنون تلك الملابس الاناضولية كما يستهجن القاريء لباس الجدة السورية

ولكن اذا كان في ملابس بعض النساء الاناضوليات ما يدعو الى الاستهجان ففي اعمال بعض فتياتهن ما يدعو الى الاعجاب والاستحسان . فان بعض البنات الاناضوليات مسلمات ومسيحيات يعملن اعمال الرجال واشق منها . فانهن ينقلن قطع الخشب الضخمة على اكتافهن من مسافات بعيدة كانهن حيوانات للنقل . وهن يشتغلن بهذا العمل الشاق القبيح افواجاً افواجاً . وتجد الفتاة منهن حاملة على كتفها القوي قطعة الخشب الضخمة التي يتجاوز طولها اربعة امتار وهي ماشية تحت حملها بخطى ثابتة قوية والدم يكاد يفور من وجناتها فيخيل لك انك في منام اذا كنت غريباً عن البلاد . واذا كنت قد قرأت ما يقوله فلاسفة الافرنج من تحريم العمل على النساء الاوروبيات ولا سيما اذا كان شاقاً ولا يستلزم موهبة نسائية قلت في نفسك اين اولئك الفلاسفة ليقفوا العجب من هذا المنظر . ومع ذلك فان الفتيات الاناضوليات يكنّ مبتسمات فرحات تحت احمالهن الثقيلة . وكثيراً ما يتراكضن ويتسابقن تحت تلك الاحمال الكريهة وهنّ منشدات مقهقهات . ذلك لانهن يشتغلن ليحصلن « دوطة » لهن ومتى جمعن هذه الدوطة تركن العمل وتزوجن وعشن مستريحات . فبارك الله في هذه الهمة التي تدل على مبلغ ما في نفوس النساء الاناضوليات من العزيمة والنشاط

ولا ريب عندنا ان كثيرين من قرائنا في سوريا اذا وقعت انظارهم على رسم « الجدة السورية » يتنهدون من اعماق صدورهم . اما القارئات فانهن يتنهدن لانهنّ يشكرن الله تعالى على انقاذهن من ذلك الزي المخيف : تلك العمامة التي هي كالنعامة . والمقص المعلق بها كعصفور على شجرة . والجزمة التي تثقل القدمين كقيد من حديد . ونول



﴿ امرأة سورية بالزي السوري القديم ﴾

الحياكة وملف الحرير الذي كان شغل المرأة الشاغل في ذلك الزمان . والنرجيلة الهائلة التي لا تأنف — واأسفاه — كثيرات من السوريات وغير السوريات من التدخين بها حتى اليوم. والقفطان الذي هو كثير الشبه بقفطان النساء الاناضوليات. هذا فضلاً عن عبوديتهن القديمة للرجال

واما القراء الذين يتنهدون لهذا الزي فانهم يتنهدون لانهم يذكرون زمناً قد مضى وهم يأسفون عليه. وسبب اسفهم عليه عدم رضائهم عن الزمن الحاضر . فان من كان يملك منهم في ذلك الزمن مائة جنيه كان كمن يملك ثلاثة الاف جنيه في هذه الايام . لان اردب القمح كان يُباع بعشرة غروش وكل حاجيات المعيشة كانت رخيصة الثمن على هذا

المنوال . وفضلاً عن ذلك فقد كانت النفس راضية بالقليل مكتفية بالموجود الحاضر . وكان الرجل سيداً مطلقاً في البيت واقرب شيء الى يده العصا لتاديب امرأته . وكانت هذه المرأة عبدة حقيقية لا تخرج الا محجبة ولا تجالس رجلاً ولا تخاطب احداً غير زوجها الا من وراء حجاب كاخواتهن المسلمات اليوم . غير ان العادات والاخلاق كانت الطف وابسط منها اليوم كما يزعم الشيوخ الذين شهدوا تلك الايام . وهم يزعمون ايضاً ان الامراض كانت اقل واخف وطأة . ولكنّ هذا الزعم والذي تقدمه يحتاجان الى اثبات . ويردُّ الاطباء على الزعم الثاني بقولهم ان الامراض كانت مجهولة لا معدومة وكان الناس يسمون كل مرض حمى فلما انتشر الاطباء وسموا الامراض باسمائها الحقيقية ظن البسطاء انها تعددت . وقس على ذلك باقي شؤون الحياة .

اما نحن فلا نجهل ان المعيشة في ذلك الزمان كانت اسهل وابسط مما هي اليوم والناس كانوا اقرب الى الاخاء البشري والبساطة الطبيعية ولكننا نعتقد ان الذين يأسفون على الايام الماضية انما يأسفون اسف الشيخ الذي يتحسر في شيخوخته على شبابه وان كان في شيخوخته اهنأ بالاً مما كان في شبابه واحسن حالاً . فمن يتحسر اليوم على زمن الجدة السورية فليتحسر عليه ولكن دون ان يتمنى الرجوع اليه .

صفحة الشعر

﴿ قوة نساء العرب وسرعة جوابهن ﴾

يعزُّ على الكاتب اليوم اذا رام تفكهة قرائه بشيء من الشعر ان يرى نفسه مضطراً للرجوع الى ما جاء في الكتب القديمة . وليس يعزُّ عليه ذلك لان ما جاء في هذه الكتب مهمل لا يستحق النشر ولكن لانه لا ينطبق على شؤون العصر وحاجاته ولذلك فهو قلما يكون ذا تاثير في نفس القارىء . غير ان الرواية الشعرية التي نرويها الآن نقلاً عن المسعودي جديرة بان تلذَّ القراء فضلاً عن دلالتها على ما كان للنساء في ذلك الزمان من المكانة من البلاغة وسرعة الجواب . وهذه خلاصتها . قال يزيد الرقاشي

سمرتُ ذات ليلة عند السفاح (وهو ابو العباس عبدالله بن محمد اول الخلفاء العباسيين) فقال يا يزيد اخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت : يا امير المؤمنين . نزلـــ

رجل من تنوخ بجي من بني عامر بن صعصعة بجمل لايحط شيئاً من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرائر عامر   من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فسمعته جارية من الحي فاغاظها هذا المجاه لقومها فخرجت الى الرجل وحادثته وآنسته وسألته حتى انس بها فقالت له . من اي قوم انت متعت بك . فاجاب الرجل من « تميم » فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا   ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ولو ان برغوثاً على ظهر قملة   يكر على جمعي تميم لولت

ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا   وما ذبحت يوماً تميم فسمت

فقال الرجل لا والله ما انا من تميم قالت فمن انت جعلت فداك قال : رجل من عجل . فقالت اتعرف الذي يقول

اذا مات عجلي بارض فانما   يشق له منها ذراع واصبع

قال لا والله ما انا من عجل . قالت فمن انت قل الحق . قال : رجل من بني يشكر . فقالت اتعرف الذي يقول

اذا يشكري مس ثوبك ثوبه   فلا تذكرن الله حتى تطهرا

فقال لا والله ما انا من يشكر قالت فمن انت اذاً قال من عبس . فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

اذا عبسية ولدت غلاماً   فبشرها بلؤم مستفاد

فقال لا والله ما انا من عبس قالت فمن انت قال من بني ضبة . فقالت اتعرف القائل

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر   كما كل ضبي من اللوم ازرق

فقال الرجل اعوذ بالله . لا والله ما انا من بني ضبة . فقالت فمن انت ويحك اما تستحي قل الحق . فقال انا من خزاعة فقالت اتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في كريم   وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهراً   بزق بئس مفتخر الفخور

فقال لا والله لست من خزاعة . فقالت فمن انت قال من لقيط . فقالت اتعرف الذي يقول

لقيط شر من ركب المطايا   واندل من يدب على البسيط

فقال لا والله لست من لقيط ولكن من خثعم . فقالت اتعرف الذي يقول

وخثعم لو صفرت بها صفيرًا لطارت في البلاد مع الجرادِ

فقال الرجل لا لا بل انا من طي · فقالت اتعرف الذي يقول

ولو ان حرقوصاً يمدُّ جناحه على جبلي طيٍ اذا لاستظلت

فقال لا والله ما انا من طي · فقالت فمن انت ويلك اما تستحي اكثرت من الكذب فقال انا رجل من تنوخ وهو الحق · قالت اتعرف الذي يقول

اذا تنوخ قطعت منهلاً في طلب الغارات والثار

آبت بخزي من اله العلى وشهرة في الاهل والجار

فقال لا والله لست منهم · قالت فمن انت · قال من بني حمير فقالت اتعرف الذي يقول

نبئت حمير تهجوني فقلت لهم ما كنت احسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وان طالت حياتهمُ ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

فقال لا والله لست منهم · قالت فمن انت قال من بني امية · فقالت اتعرف الذي يقول

وهي من امية بنيانها فهان على الله فقدانها

وكانت امية فيما مضى جرئ على الله سلطانها

فلا آل حرب اطاعوا الرسو ل ولم يتق الله مروانها

فقال الرجل لا والله ما انا منهم ولكن من ولد الشيطان الرجيم · قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك اتعرف الذي يقول

الا ياعباد الله هذا عدوكم وهذا عدوّ الله ابليس فاقتلوا

فصاح الرجل : هذا مقام العائذ بك · قالت قم يارجل خاسئاً مذموماً واذا نزلتَ بقوم فلا تنشد فيهم شعرًا حتى تعرف من هم ولا تتعرض للباحث عن مساوئ الناس فلكل قوم اساءة واحسان · وانت كما قال جرير للفرزدق

وكنتَ اذا حللتَ بدار قوم رحلتَ بخزية وتركت عارا

فقال لها الرجل والله لا انشدُ بيت شعر ابدًا · — فقال السفاح لئن كنتَ قلت هذا الخبر ونظمتَ فيمن ذكرتَ هذه الاشعار فلقد احسنتَ وانت سيد الكاذبين · وان كان الخبر صدقًا وكنت فيما ذكرته محقاً فان هذه الجارية العامرية لمن احضر الناس جوابًا وابصرهم بمثالب الناس

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

المدارس وانواعها

(لا ريب ان في العالم مدارس غير المدارس والادبية)

اذا قيل عندنا « انشئوا المدارس لان بها حياة الامة » علم السامعون ان الداعي الى هذا الامر يقصد بقوله هذا استئجار او انشاء بناء كبير واستدعاء بضعة من المعلمين العارفين بالصرف والنحو والقراءة والحساب واحياناً الشعر ليجتمع اليهم ويلتف عليهم عشرات او مئات من التلامذة ويبقوا تحت ادارتهم اعواماً طوالاً قد تمرّ بلا فائدة . ولكن اذا صاح صائح في اوربا انشئوا المدارس وقف سامعوه يستخبرون منه ويسألونه : اي نوع من المدارس تريد . المدارس الابتدائية ام الثانوية ام النهائية . وهل تريدها علمية . ام ادبية . ام صناعية . ام زراعية . ام تجارية . ام حربية . ام بحرية . والصناعية ماذا تريدها هل لتعدين المعادن . ام لانشاء المعامل . ام للصنائع التي تُصنع باليد . ام غيرها

ذلك لان كل فرع من فروع الحياة الاجتماعية تقريباً صار في بلاد المتمدنين خاصاً بمدرسة تلقن الطلبة اصوله . والسباق الآن في اتقان هذه المدارس قائم بين جميع الامم على ساق وقدم لان تحسين شؤون المدارس فيها بمثابة تحسين امورها الرئيسة وشؤونها الحيوية وقد تحققت كل امة من تلك الامم ان المستقبل للامة التي تكون لها ارقى المدارس وافضلها . فالتي تكون لها ارقى المدارس التجارية تتغلب على مزاحماتها في التجارة والتي يكون لها ارقى المدارس الصناعية تفوز على مناظراتها في الصناعة . وهكذا قل في الزراعة والحرب والبحرية وسائر شؤون الحياة الاجتماعية

ولقد قدمنا هذه المقدمة في هذا الفصل لنبسط امام القراء انواع المدارس التي تعنى بها الامم المتمدنة واخترنا فرنسا من بين تلك الامم وسنلتزم الايجاز بقدر الامكان

***

في فرنسا سبع وزارات تتبعها المدارس الخاصة بها فالاولى وزارة المعارف وتتبعها المدارس الابتدائية والادبية والعلمية والفنية . والثانية وزارة التجارة وتتبعها المدارس التجارية والصناعية . والثالثة وزارة الزراعة وتتبعها المدارس الزراعية . والرابعة وزارة الداخلية وتتبعها مدارس العميان والصم . والخامسة وزارة الحربية وتتبعها المدارس الحربية . والسادسة وزارة البحرية وتتبعها المدارس البحرية . والسابعة وزارة الاشغال العمومية وتتبعها مدارس المعادن وانشاء الطرق والجسور (الكباري) . بقي قسم ثامن يسمونه القسم الحر .

وزارة المعارف — اما المدارس التابعة لوزارة المعارف فهي اقسام . القسم الاول المدارس التي تقوم مقام الامهات والغرض من انشائها حفظ الاطفال الذين لا تقل اعمارهم عن سنتين ولا تزيد عن سبع وترويض افكارهم الصغيرة برسوم والعاب وشيء من القراءة والكتابة ليكون تمهيداً للتعليم الابتدائي . واكثر الامهات اللواتي تشتغلن خارج منازلهن يضعن اولادهن في هذه المدارس . وكانت هذه المدارس تُدعى قبلاً ملاجىء الاولاد . ومما يؤلم ذكره ان الحكومة في مصر والشام لم تفتكر بعدُ بهذا النوع من المدارس لتحضن به الاولاد المتشردين الذين يملأُون الاسواق والشوارع والذين يرقدون بعضهم على بعض غلماناً وفتيات حتى في ليالي الشتاء في منعطفات المنشية وزواياها مع كلاب الازقة . كأنهم وا أسفاه طبقة خارجة عن طبقات البشر لا يجوز لها ان تنعم بشيء من الدفاء في الليالي الباردة

والقسم الثاني المدارس الابتدائية المنشأة في كل مدينة وكل قرية في فرنسا وفيها التعليم مجاني الزامي ومن لا يرسل ولده لتعليمه فالحكومة تغرمه عقاباً له

والقسم الثالث مدارس ابتدائية يضاف اليها تعليم شيء من مبادىء الزراعة والصناعة والتجارة ويكون التعليم فيها عملياً

والقسم الرابع مدارس ابتدائية لاعداد معلمين ومعلمات للتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية .

والقسم الخامس المدارس العلمية والادبية . والقسم السادس المدارس الطبية والمدارس الاعدادية الطبية . والقسم السابع المدارس لتعليم الصيدلية . والقسم الثامن المدارس لتعليم الحقوق وعددها يربي على ١٣ مدرسة . والقسم التاسع مدرسة لقراءة

الآثار القديمة ·

والقسم العاشر مدرسة للغات الشرقية الحية وقد انشأت هذه المدرسة في عام ١٧٩٥ ووظيفتها اعداد قناصل وتراجمة السفارات والقنصليات في الشرق البعيد والقريب

والقسم الحادي عشر مدرسة قرب السوربون للتمرن والمذاكرة في الدروس العليا والقسم الثاني عشر مدرسة اللوفر وهي للآثار القديمة والتمدن القديم والقسم الثالث عشر مدارس للفنون الجميلة مثل النقش والتصوير والرسم وغيرها للفتيان والفتيات · والقسم الرابع عشر مدرسة فرنسوية في اثينا لدرس الاثار اليونانية · والقسم الخامس عشر مدرسة فرنسوية في رومه لدرس الاثار الرومانية ومدرسة اخرى في رومه ايضاً

وزارة التجارة — هذه هي المدارس التابعة لوزارة المعارف · اما وزارة التجارة فتتبعها مدرسة للصنائع والنسج في باريز ومدارس اخرى للصنائع والحرف في آكس وانجر وشالون ومدرستان كبيرتان للدروس التجارية العليا في باريز وثلاث مدارس لصنع الساعات في بزانسون وكلوز و باريز ومدرسة في كلوني لاعداد عملة ورؤساء عملة ومدرسة التلغراف

وزارة الزراعة — اما وزارة الزراعة فتتبعها مدرسة عليا للزراعة في باريز ومدارس صغرى للزراعة في كرينيون وغران جوان ومونبليه ومدارس للزراعة العملية اي ان الطلبة يدرسون فيها الزراعة علماً وعملاً في البساتين والحقول ومدرسة في ننسي لتربية الاحراش والعناية بها ومدارس للبيطرية في الفورت وليون وتولوز

وزارة الداخلية — اما وزارة الداخلية فتتبعها مدارس الصم البكم التي تعتني بتلامذتها اعتناء علمياً وصحياً وتعلمهم صنائع يقدرون بها على كسب الرزق · ومدارس للعميان تعلمهم ايضاً الصنائع والحرف باصطلاحات مصطلح عليها فيعمل الاعمى بيديه كأنه من المبصرين وهذا منتهى الحنان والعناية من الهيئة الحاكمة

وزارة الحربية — وتتبع وزارة الحربية مدرسة البوليتكنيك في باريز ومنها يتخرج مهندسون لمعامل الحكومة ومعادنها واشغالها العمومية والبحرية والجندية · ومدرستان للمدفعية والهندسة ومدرسة للبارود ومدرسة سان سير الخصوصية التي يتخرج منها التلامذة برتبة ملازم ومدرسة ضباط المشاة ومدرسة الصحة العمومية العسكرية ومدرسة الطب والصيدلية العسكرية ومدرسة تعلم الادارة العسكرية ومدرسة اعدادية عسكرية

وزارة البحرية — وتتبعها مدرسة اطفال البحرية وقد انشأت في بريست لابناء

الجند ومدرسة المبتدئين وهي قائمة على ظهر السفينة اوسترليتز في ميناء برست وتلامذتها من تلامذة المدرسة السابقة · ومدارس بحرية للطب والصيدلية ومدرسة الهندسة البحرية ومدرسة استعمارية ومدارس لمهندسي آلات السفن البخارية

وزارة الاشغال العمومية — تتبعها مدرسة لانشاء الجسور والطرق واخرى للمعادن ومنها يخرج مهندسو المناجم ومدرستان لعملة المعدنين ورؤساء العملة

هذه هي انواع المدارس عند الامم المتمدنة اما نحن فليس لدينا منها غير المدارس الادبية · ولا ننكر ان الحكومة السنية قد انشات في الاستانة بعض مدارس الفنون والصناعة ولكن خلو الولايات من مدارس حقيقية للصناعة والزراعة والتجارة يجيز لنا ان نقول بانه ليس لدينا شيء منها·

باب تدبير الصحة

﴿ مؤتمر السل في لندن ﴾

اعظم الاعمال الطبية في هذا العام انعقاد مؤتمر السل في لندن تحت رعاية جلالة الملك ادوار السابع الذي بعث بتلغراف الى رئيس المؤتمر يسأله فيه ابلاغ شكره للعلماء الاعلام الذين اجتمعوا في بلاده لمحاربة آفة الانسانية · وقد خطب كثيرون من الخطباء بشأن هذا الداء اشهرهم الدكتور كوخ الالماني والدكتور بروادرل الفرنسوي · فارتأى كوخ ان داء السل لا ينتقل الا بواسطة بصاق المصابين وانه لا صحة لانتقاله بواسطة لبن الحيوانات المصابة به · فانكر رصفاؤه الاطباء هذا القول لانهم تحققوا انتقاله من الحيوان للانسان · وقال الدكتور بروادرل ان خمس بني الانسان بل ربعهم يموتون بالسل وان وفياته قد نقصت في انكلترا ٤٠ في المائة لتحسين المنازل فيها من حيث ازالة الرطوبة منها وادخال النور والهواء اليها · ثم قال يجب مراقبة اللحم واللبن جيداً كما صنعت حكومة بلجيكا ومنع البصق في الشوارع كما صنعت حكومة اميركا · ثم روى ان غنياً من اصحاب الملايين في اميركا بصق في احد الشوارع فغرم فاعاد البصق فزج بالسجن عقاباً له · وقد سأل الدول ان تُجمع على تطهير المركبات البرية والبحرية بالمواد التي تقتل الميكروب وان

لا تدخر الحكومات وسعاً في محاربة هذه الآفة التي تتهدد الانسانية

وقد خطب في المؤتمر كثيرون من الخطباء ايضاً . ولما تمت اعمال المؤتمر التي سنعود اليها في بعض الاجزاء القادمة قرر وجوب ان تمنع الحكومات الناس من البصق في الاماكن العمومية كالمركبات والسفن والقهاوي وغيرها وانشاء لجنة خصوصية تكون وظيفتها مقصورة على تنبيه الناس ونشر كل ما يهم الاطلاع عليه بشان هذا الداء . ثم ختم المؤتمر جلساته .

﴿ صحة البوكسر في الصين ﴾

عاد الدكتور ماتينيون من الصين وكان طبيب السفارة الفرنسوية فيها فقال ان الصينيين قوم شديدو الانفعال وان التأثر يبلغ منهم احياناً مبلغ الجنون فيحملهم على الانتحار . وان البوكسر يشبهون الناس المصابين بالهستيريا من شدة تاثرهم . فكان يجب على اوروبا ان ترسل اليهم جيشاً من الاطباء لمداواتهم لا جيوشاً من الجنود لقتلهم

﴿ سبب طنين الاذنين ﴾

اذا كنتَ جالساً واخذتْ اذنك (تطنّ) بغتة فان العامة تفسر ذلك بان رجلاً يتكلم عنك في غيابك . ولكن قد يزداد هذا الطنين فتشعر بغتة بان اذنك قد سُدت ولم تعد قادرًا على السمع بها فتذهب خائفاً الى طبيبك فيحقن الطبيب اذنك بماء فاتر فيعود السمع الى اذنك . فما سبب ذلك . سببه ان اقذار الاذن الصفراء تجتمع وتسقط في تجويف الاذن والماء الفاتر يطردها . فعليك اذًا بازالة هذه الاقذار في كل صباح ومساء قبل سقوطها الى الداخل

﴿ انبذوا المناديل انبذوا المناديل ﴾

يصلي اليوم بعض الاطباء في اوروبا مناديل الجيوب حرباً عواناً . فانهم يقولون ان هذه المناديل من اشد العوامل في نشر الامراض . وهم ينصحون الناس باستبدالها بمناديل من ورق على الطريقة اليابانية حتى اذا صار المنديل قذرًا احرق واعدم فتموت الجراثيم التي تكون قد علقت به . قال بعض هولاء الاطباء . ولا اعرف رجلاً ابرد من ذلك الرجل الذي يتناول منديله من جيبه ثم يضعه على انفك ليجعلك تشم رائحته الطيبة وهو يفخر بذلك . فانه قد ينقل اليك من المنديل افحم الجراثيم وانت لا تدري . ولكن قد

يوجد رجل ابرد من هذا الرجل وهو الذي يتناول منديله من جيبه امام الحاضرين ثم يضعه على انفه ويأخذ بنشيد موسيقي انفي تشمئز منه نفوس الحاضرين ثم يمد اصبعه بالمنديل الى انفه وينظفه مما فيه من الميكروبات التي تكون قد علقت به من غبار الطرق وبعد ذلك يمسح انفه وينفض المنديل في الهواء امام وجوه الحاضرين فكانه نفض الجراثيم في وجوههم

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المرأة المسلمة ﴾ هو كتاب لمؤلفه حضرة محمد افندي فريد وجدي ردّ فيه على كتابي عزتلو قاسم بك امين. وقد قال في مقدمته « ان الحجاب ضروري للمرأة ليس لعدم الثقة بها ولكن لكونه الضمانة الوحيدة لاستقلالها وحريتها بشهادة التاريخ وان المدنية الاسلامية هي الشكل الوحيد من كمال الاجتماع البشري الذي يتقرب منه البشر يوماً بعد يوم وانه لا توجد امة في هذا العصر يجوز اتخاذ نظامها في تربية البنات منوالاً ننسج عليه » .

والكتاب غاص باقوال الحكماء والفلاسفة والكتاب الذين يحرمون على المرأة ان تعمل اعمال الرجال مما يدلُّ على براعة مؤلفه وسعة اطلاعه فنشكر له هديته .

﴿ علم الفراسة الحديث والهلال والجامعة ﴾ اهدت الينا ادارة مجلة الهلال كتاب « علم الفراسة الحديث » الذي نشره حضرة الفاضل صاحب الهلال ملحقاً بالسنة التاسعة من مجلته عوضاً عن الاعداد الاربعة الباقية من سنة الهلال . وقد سرتنا هذه الهدية لانها دلت على اعادة الهلال صلاته مع الجامعة بعد قطعه اياها منذ شهور وتحرشه بالجامعة في اكثر اجزائه تحرشاً مستتراً ما كنا ننتظر مثله من فاضل وصديق كصاحب الهلال يعرف قيمة العلم والادب ولا يجهل من نفسه ومن مجلته مبلغ العناء الذي يقاسيه الكتاب واصحاب المجلات . ولو كان هذا التحرش على سبيل المناظرة لدخلنا مع الهلال فيها فان في ذلك فائدة لقراء المجلتين ولكنه اعتداء وتلميح وتلويح نخاف ان نشير اليه فيضحك منه القراء . وهذا الذي جعلنا نترك ما جاء عن الهلال في صدر الرسالة التي نشرتها الجامعة في الجزء الماضي بعنوان «ربع قرن في الصحافة» دون حذفه . فقد قصدنا به ان نُري رصيفنا الهلال ان

الجامعة اظفاراً تحسن الدفاع بها عن نفسها . و يسرنا ان ذلك قد اقنع صديقنا فعسى ان يدوم هذا الاقتناع لنتعاون على خدمة الجمهور والقراء بصرف النظر عما وراء ذلك من الهنات

هذا بيان صريح بسطناه لاننا نكره التلميح والتلويح . اما كتاب علم الفراسة الذي نحن في صدده فاننا لا نبدي راينا فيه لئلا يسوء صديقنا الهلال غير اننا نثني كل الثناء على فضله وصبره لان آثار التعب والتنقيب ظاهرة في هذا الكتاب

﴿ المرأة ﴾ المراة مجلة نسائية علمية فكاهية لمنشئتها حضرة السيدة انيسه عطا الله وقد قالت في مقدمتها « لما كان التقدم من موجبات العمران وكانت المراة احد اركان التقدم لانها المربية الغيورة والرفيقة الامينة وكانت الجرائد ترجمان الافكار فقد وجب ان يكون للمراة صحف خاصة بها » فنحن نرجو للمراة الثبات والانتشار انما نؤاخذها بانها اخذت عن الجامعة فلسفة تولستوي واخلاقه دون ان تشير الى المصدر الذي اخذت عنه

﴿ جمعية القديس جاورجيوس يافا ﴾ وردتنا ميزانية جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية يافا لسنتها الخامسة وقد بلغ ايراد الجمعية في تلك السنة ٧٣ الف غرش ونفقاتها ٢٣ الفاً فالباقي في صندوقها ٥٠ الفاً . جزى الله رئيسها الفاضل واعضاءها الكرام خير جزاء على هذه النتيجة الناطقة بفضلهم وهمتهم . ومما تسر الاشارة اليه ان كثيرات من السيدات الكريمات في يافا قد اشتركن في مساعدة هذه الجمعية بشغل الاشغال اليدوية لها وقد عددنا منهن ٩٥ سيدة في جملتهن خمس من كرائم الاسكندرية وهن حضرات المصونات مدام جورج كرم ومدام امين كرم ومدام ديمتري خلاط ومدام ديمتري طاسو ومدام الياس دباس . فكأن جمعية القديس جاورجيوس في يافا ارشدت باقي الجمعيات الى امر جديد وهو عدم الاقتصار على الرجال في طلب المساعدة فان السيدات ابيض يداً وارق قلباً واكثر تلبية

﴿ الزواج السري ﴾ اهدانا حضرة الاديب انطون افندي انسطاس زريق في نيو يورك رواية ادبية فكاهية عربها تحت عنوان « الزواج السري » وهي باكورة قلمه وقد طبعت في مطبعة رصيفتنا الايام في نيو يورك طبعاً حسناً على ورق جيد

﴿ الصاعقة ﴾ هي جريدة انتقادية سياسية ادبية تصدر في بونس ايرس مرة في الاسبوع لصاحبها جناب الخوري يوحنا سعيد المارو في اللبناني فنرجو لها الانتشار وتخفيف اللهجة

باب الاخبار العلمية

﴿ شجرة بوذه اقدم شجرة في العالم ﴾ عاد المسيو جول لكلرك من الهند وقد شاهد فيها الشجرة التي وجد بوذه الروح تحتها وهي الآن اقدم شجرة في العالم . وقد غُرست في عام ٢٨٨ قبل الميلاد المسيحي . ولما زارها اهدى اليه احد الكهنة البوذيين ورقة منها في مقابل ريال هندي دفعه اليه . وقد كتب المسيو لكلرك الى اكادمية بلجيكا يصف هذه الشجرة والورقة التي اخذها منها .

﴿ النوم يكفي الناس شر المجاعة في روسيا ﴾ نشر المسيو تزاركي احد اساتذه كليه براغ مقالات في جريدة « تايزي دو به » قال فيها ان الفلاحين الروس في بعض الولايات الروسية يكتفون شر المجاعات بالنوم . وذلك ان الفلاح منهم اذا افتقد حاصلاته ووجد انها لا تكفيه طول السنة جمع عيلته ووزع فيهم شيئاً من الطعام ثم امرهم بفرش الفرش والنوم فيفرشون و ينامون جميعاً . وقد يصنع صنعهم جميع سكان القرية لتوفير القوت فينامون جميعاً حتى يسود في القرية سكوت عميق كانها في ليل دائم . ولما ترى الحيوانات اسيادها قد عكفوا على النوم تصنع صنعهم ايضاً . ولا ينتبه هؤلاء الفلاحون ولا ينهضون الا لاكل قطعة من الخبز تكون قريبة منهم وهكذا يقطعون ايام الشتاء ولياليه فلا يكون للمجاعة تاثير شديد فيهم .

﴿ النجم المذنب والبوير ﴾ شكت جريده التيمس من ان الجنرال دي ويت كذب على رجاله وغشهم حين ظهور النجم المذنب في افريقيا . فانه لما ظهر هذا النجم استغرب البوير ظهوره فقال لهم دي ويت « تذكرون ان نجماً كهذا النجم ظهر في عام ١٨٨١ ولكنه كان ذا لون احمر دلالة على قرب حدوث حرب عظيمة وقد حدثت هذه الحرب كما ترون . اما النجم الذي ظهر اليوم فانه ابيض اللون دلالة على قرب حصولكم على صلح شريف فاثبتوا ولا تياسوا »

﴿ قرنفلة ثمنها خمسة آلاف ريال ﴾ قالت مجلة « البستان » ان زارعاً اميركيا في سنسيناتي في الولايات المتحدة مشهوراً بتربية الازهار باع من احد اصحاب الملايين فسيلة

قرنفل بخمسة الاف دولار وقد سأل المشتري كثيرون ان يبيعهم فسيلة منها حين نموها فاجابهم انه سيربيها لتبقى عنده لا ليبيع منها · على ان هذه القرنفلة لو كانت تخرج قرنفلاً او راقه من الذهب لما كانت تسوى هذه القيمة

﴿ كارنيجي وانكلترا ﴾ كتب الغني كارنيجي المشهور فصلاً في مجلة تنتش سانتري قال فيه ان انكلترا ستفقد مركزها في العالم اذا لم تتدارك امرها · فان المانيا ستسبقها في حلبة التجارة والصناعة لان مصنوعاتها من الحديد بلغت ٧ ملايين طن بعد ان كانت مليون طن ونصفاً اما مصنوعات انكلترا فانها بقيت ٩ ملايين طن كما كانت · واما اميركا فقد سبقتها لان مصنوعاتها من الحديد بلغت ١٠ ملايين طن و ٦٣٨ الفاً · وقد صارت بورصة نيويورك اهم من بورصة لندن · ثم قال كارنيجي انه لا يُرجى خلاص انكلترا الا متى عدلت عما يجول في نفسها من احتكار اسواق العالم وانصرفت الى اسواق محدودة تتجر فيها وخففت نفقاتها العمومية فان الشخص الواحد في انكلترا يصيبه من تلك النفقات ٧٥ فرنكاً في حين ان الشخص الواحد لا يصيبه في اميركا سوى ٢٥ فرنكاً وفي المانيا سوى ٣٥ فرنكاً

﴿ ببغاء مفردة بين الببغاء ﴾ كان اهم معروضات لندن في الشهر الماضي ببغاء كانها فونوغراف حي · فانها تعيد بسهولة وسرعة كل ما تلقيه عليها من الكلام من غير ان تحتاج الى تكراره وهي تتكلم ١٤ لغة وتعرف في كل واحدة منها الوفاً من الكلمات واذا خاطبتها بلغة منها تجيبك بهذه اللغة نفسها دون سواها · على انها تتأنى كثيراً في كلامها

سنة الجامعة الثالثة

﴿ وزيادة بدل الاشتراك ﴾

هذا هو العدد الاول من سنة الجامعة الثالثة · وفيه يرى القراء ان الجامعة دخلت في دور الشباب فانها قد زادت ابوابها وحسنت طبعها وورقها تحسيناً مهماً وزادت صورها حتى صار عددها في هذا الجزء ١٤ رسماً كبيراً واهدت الى مشتركيها في السنة الحاضرة كتاباً مفيداً · فلا ريب عندنا ان القراء يطلبون من تلقاء انفسهم بعد هذا التحسين زيادة بدل الاشتراك لانهم يستغربون ان يكون بدل اشتراك مجلة كهذه المجلة ٤٠ غرشاً

في داخل القطر و١٣ فرنكاً في الخارج لما في ذلك من الشذوذ عن باقي رصيفاتها من المجلات . ولذلك جعلنا بدل الاشتراك في هذه السنة ٥٠ غرشاً مصرياً في داخل القطر و١٥ فرنكاً في الخارج اي اننا زدنا عشرة غروش فقط على بدل الاشتراك وهي قيمة لا تساوي ثمن الكتاب الذي اهديناه الى حضرات القراء . ومع ذلك فان الجامعة تبقى ارخص المجلات العربية

اما الدفع فقد قررنا نهائياً ان يكون « سلفاً » لجميع القراء . وبناء عليه فان المجلة لا تُرسل الى من يطلبها الا اذا كان طلبه مصحوباً ببدل الاشتراك فقد كفى ادارة المجلة ما عانته مع بعضهم

كتب الينا حضرات العالمين الفاضلين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر منشئ مجلة المقتطف وصاحبا المقطم يشكران الجامعة على ما نشرته في الجزء الماضي بشأن المقتطف وانقضاء ربع قرن عليه في عالم الصحافة مع ان الجامعة قامت بواجب عليها لا تستحق عليه شكراً . ولكن حضراتهم قالوا في الكتاب بعد المقدمة « وقد جاء في المقالة اننا كتبنا الى بعض اصحابنا اننا بالمقطم اخرسنا المؤيد واغرقنا النيل وهدمنا الاهرام . فاننا لا نتذكر اننا كتبنا بمثل ذلك الى احد ولا خطر لنا في وقت من الاوقات ان نباهي بمثله ولم ننشئ المقطم لغرض مثل هذا ولا كان المؤيد ولا النيل في حيز الوجود لما انشأناه . وغرضنا السياسي من المقطم معلوم ظاهر في كل صفحة من صفحاته وهو ان نؤيد السياسة التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع من كان مثلكم ومثلنا ان يعيش فيه ويجاهر بآرائه واقواله . فان كانت خدمة العلم واجبة لتنوير الاذهان والارشاد الى استدرار خيرات الارض فخدمة الحرية التي بدونها لا يكون الانسان انساناً اوجب والزم وهذه الخدمة نتوخاها في المقطم كما نتوخى خدمة العلم في المقتطف ونحن ادرى الناس بقصورنا في الخدمتين ولو كنا نسعى اليه اجهدنا وحبذا لو ارشدتمونا الى اسم صاحب المقالة حتى نسديه شكرنا ونثبت له ان ملاحظاته لا تسوءنا ولا زلتم في المقام الاعلى بين ناشري المعارف »

نقول وقد نشرنا هذا الكلام كتكذيب قاطع للخبر الذي رواه مراسل الجامعة في تلك المقالة

﴿ ادارة الجامعة ﴾ انتقلت ادارة الجامعة الى ملك دائرة طوسن باشا امام الزاراني مقابل الاابرا



﴿ الجزء الثاني ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

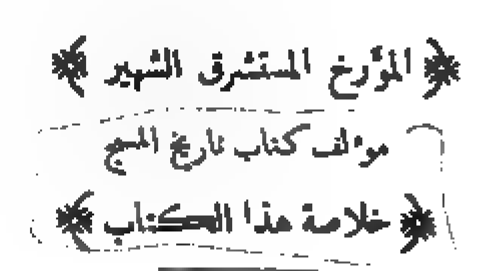
﴿ الاسكندرية — سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — جماد اول ١٣١٩ ﴾



الفيلسوف ارنست رنان

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف ارنست رنان



﴿المؤرخ المستشرق الشهير﴾

مؤلف كتاب تاريخ المسيح

﴿خلاصة هذا الكتاب﴾

طريقتان مختلفتان · الاضطهاد الديني في اوروبا وروسيا · ترجمة زعيم من زعماء الافكار المقاومة لرجال الدين · تلخيص كتاب تاريخ المسيح الذي نال مؤلفه من الاضطهاد بسببه اكثر ما نال الفيلسوف تولستوي · ردود المؤلف على معارضيه ومضطهديه نبوءته الدينية

في العالم الآن حركتان شديدتان الاولى اسلامية والثانية مسيحية ·

اما الحركة الاسلامية فهي قيام المسلمين في جميع اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى اصلاح شؤونهم بواسطة الدين · واما الحركة المسيحية فهي قيام فئات من المسيحيين في اكثر اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى تقييد سلطة رجال الدين وحصر وظيفتهم في اماكن العبادة · فكأنَّ كل واحدٍ من الفريقين يطلب صلاح الحال من الطريق التي يُنكرها صاحبه

واذا كانت الطريقة الاسلامية لم تُصبْ اصحابها بضرر عاجل فان الطريقة المسيحية قد اصابت اصحابها بضرر عظيم · فان العامة في البرتغال واسبانيا وبلجيكا وفرنسا وروسيا قد اكثروا من اضطهاد رجال الدين والسطو عليهم واهانتهم في هذين العامين وهو مما لا يليق بالامم المتمدنة التي تحترم الحرية الشخصية · ولقد كانت فرنسا في جملة من امتازوا في هذه الحلبة لانها وطن الكتاب والفلاسفة الذين ناصبوا رجال الدين واوقفوهم عند حدودهم كفولتير وروسو وديدرو ورنان · وكان اشدهم وطأةً الاول والاخير · فاذا

فصلنا ترجمة احدها رنان وذكرنا لمعاً من فلسفته وآرائه كننا كن يبحث في موضوع من مواضيع الحوادث المحلية في الكرة الارضية

***

❊ تاريخ حياته ❊ ولد «ارنست رنان» في «ترجيه» من اعمال فرنسا في ٢٧ فبراير من عام ١٨٢٣ · وكان ابوه ربانًا لاحدى السفن التجارية وهو من مقاطعة بريتونيا· واما امه فانها كانت غاسكونية ولذلك كثيرًا ما قال رنان عن نفسه ان هذا المزج بين البريتونية والغاسكونية انشأ فيه من جهة الاول قوة التصور والتامل ومن جهة الثاني قوة الصبر على الحياة والارتياح الى المعيشة كيفما كانت

وقد توفي ابو رنان وعمره خمس سنوات فربته امه بمساعدة بعض الكهنة وهي تنوي ادخاله في سلك الاكليروس · فتلقى رنان دروسه الابتدائية في دير اكليريكي في بلده وقد مال في صغره الى الدخول في هذا السلك رغبة في الانقطاع الى العلم والفضيلة· وبقي على هذه الرغبة حتى بلغ السنة الخامسة عشرة من العمر فانتقل الى دير سان نيقولا في شاردونه لاتمام دروسه فتغيرت افكاره هناك لما كان يجده حوله احيانًا من قلة الاحترام للمسائل الدينية كما قال المسيو برنانو الذي نعتمد عليه في هذه التذكرة · ومنذ هذا الحين تزعزع ايمانه · ثم انتقل في سنة ١٨٤٣ الى دير ايسي ليتلقن الفلسفة فطالع هناك مؤلفات الفيلسوفين الالمانيين هجل وهردر فاجهزت هذه المطالعة على ايمانه وصار يرى حياة العالم عبارة عن نمو باطني للكون كما ان نمو الشجرة وحياتها انما هو عبارة عن نموها الباطني · وفي سنة ١٨٤٤ اخذ يدرس اللغات الشرقية فما تعمق فيها حتى صار يعتقد انه لا يمكن ان تكون التوراة كتابًا منزلاً وذلك لما رآه فيها من الاغلاط التاريخية · فعدل منذ هذا الحين عن الانخراط في السلك الاكليريكي واقام حينئذ في نفسه نزاع شديد بين النذر الذي نذره من الانخراط في هذا السلك وبين ما حسبه حقيقة · وكانت له اخت تُدعى هنرييت رنان وكانت سامية المدارك قوية العقل وهي اكبر سنًا منه باثنتي عشرة سنة فاخذت تخمد ثورة فكر اخيها وتهوّن عليه قطع ما كان بينه وبين رجال الاكليروس من الصلات · وزار رنان في ذات يوم صديقه الفيلسوف جول سيمون وهو لابس اللباس الاكليريكي واطلعه على ما قام في نفسه من ترك الاعتقاد القديم والعدول عن الانخراط في سلك رجال الدين · قال جول سيمون في بعض كتبه · وقد بذلتُ جهدي في اثناء رنان عن عزمه فكان يجيبني انه لا يستطيع ذلك لان الطائر الذي كان في نفسه

قد طار منها . وهكذا نبذ رنان نذره وخلع الثوب الاكليريكي

ولكن رنان لم يخلع الثوب الاكليريكي حتى لبس ثوب الضجر من الحياة واليأس من الوجود لانه لم يكن يجد لها غرضاً . ولا غرابة في ذلك فان الحالة التي بلغتها نفسه قد البسته هذا الثوب المملوء حسكاً وشوكاً . فمن حسن حظه تعرف في المدرسة التي كان يدرّس فيها بشاب يدعى برتلو وهو المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور الذي جُعل في هذا العام عضواً للاكاذيمية الفرنسوية وكان من قبلُ وزيراً للشؤون الخارجية الفرنسوية . فعقد رنان مع هذا الشاب صداقة قوية العرى . وكان برتلو منصرفاً الى العلم المادي او الوضعي فاثرت معاشرته وافكاره في رنان تاثيراً شديداً فصار رنان يعتقد اعتقاده في نفع العلم ومقدرته على اصلاح الهيئة الاجتماعية وتحسين احوال البشر . فصرف افكاره مثله الى العلم قياماً بهذه الخدمة فكأنَّ برتلو بثَّ فيه روح دين جديد . فاخذ رنان منذ ذلك الحين بالاشتغال بالعلم وصار حينئذٍ يجد للحياة غرضاً ومقصداً

ففي سنة ١٨٤٨ قدم لجمعية الفنون كتابه المعنون « تاريخ اللغات السامية » فطارت به شهرة رنان وعُدَّ مستشرقاً عظيماً . ثم كتب في سنة ١٨٤٩ كتابه « مستقبل العلم » غير ان هذا الكتاب لم يُنشر الا في سنة ١٨٩٠ . وكان من اقواله في هذين الكتابين ان العالم ينمو بنفسه من نفسه وهو سائر الى الكمال سيراً تدريجياً . وما هو ذلك الكمال ؟ هو قوة الفكر والفضيلة وطلب الحقيقة والخير لذاتها . فعلى العلماء والفلاسفة الذين هم نخبة الانسانية ان يبذلوا قصارى جهدهم في تعليم الحقيقة للناس ورفع باقي الانسانية اليهم فان هذا الامر مطلوب منهم كما هو مطلوب من رجال الدين . ومن يقوم به منهم فان عمله يكون عبارة عن صلاة او افضل منها

وفي سنة ١٨٤٩ عُهد الى رنان بمهمة علمية في ايطاليا فسار اليها وشاهد عظائم فنونها الجميلة فتشربت نفسه حب الجمال . وفي عام ١٨٥٢ نشر كتابه « ابن رشد ومبادئه » وموضوعه اثبات ان الاضطهاد الديني هو الذي اوقف في الاندلس والعالم الاسلامي سير التمدن ومنع الارتقاء العلمي والفلسفي الذي كان قريب الحدوث فيها . وكان غرضه من هذا ان يُظهر للحكومات الاوربية والسلطات الدينية ما ينشأ عن اضطهاد الدين للعلم ليكون عبرة لها فلا تضطهد العلم في اوربا فيحلّ بها ما حلّ بمن تقدموها

واقترن رنان في عام ١٨٥٦ بمدموازل شيفر حفيدة المصور آري شيفر فانتبهت فيه عواطف الحب وانعكست الى نفسه صورة الجمال الانثوي الذي اتخذه رفيقاً له فاحياها

وملأها تصورات وتاملات عذبة . فصار قلم رنان بعد هذا الزواج كأنه قد غُطَّ في كاس عسل . وقد حدث مثل ذلك لجان جاك روسو بل اشد منه . فانه في بعض ادوار عمره وهو الدور الذي تشتد فيه زقزقة الطيور وتلمع جنح الفراش في الحقول — اي دور الربيع الانساني — صار يحسّ بنار في داخله و برق في عينيه وجريان في قلمه فاذا كتب خط سحرًا وابرز تبرًا . وقد كتب في تلك المدة القريبة كتابه « هيلوييز الجديدة » وكله رسائل حبية فلسفية فكان ابلغ كتبه . و بعد ذلك خمدت تلك الثورة وانطفأت تلك النار فذهبت بذهابها تلك البلاغة التي كانت تتصعد عنها

اما رنان فلم تخمد ناره قبل ابرازه الكتاب الذي طير صيته في جميع اقطار الارض وجعله اعظم علماء عصره شهرةً

وهذا الكتاب هو « تاريخ اصل الديانة المسيحية » وهو خمسة اقسام (١) تاريخ حياة المسيح (٢) تاريخ اعمال الرسل (٣) تاريخ حياة القديس بولس (٤) المسيح الدجال وكتاب آخر . وكل واحد من هذه الاقسام كتاب ضخم وامامنا الآن القسم الاول منه وهو تاريخ حياة المسيح وعدد صفحاته ٥٤٩ صفحة كبيرة ما عدا مقدماته الطويلة

ولا ريب في ان هذا القسم اهم اقسام الكتاب كله . وقد كتبه رنان في سياحة له في فلسطين وسوريا ولبنان بين سنة ١٨٦٠ و١٨٦١ وكان مرسلاً اليها للتنقيب عن آثار الفينيقيين وله فيها كتاب عنوانه سياحة في فينيقية . وبعد عودته من فينيقية جُعل استاذًا للغات العبرانية والكلدانية والسريانية في مدرسة كوليج دي فرانس . غير انه بينما كان يلقي فيها اول دروسه لقب السيد المسيح في كلامه عنه « بالانسان الذي لا مثيل له » فقامت في الجلسة قيامة انصار الاكليروس وخصومهم بعض معه و بعض عليه فقررت الحكومة الامبراطورية الغاء هذا الدرس فترك رنان تلك المدرسة . وقد تلا هذا الحادث ظهور كتاب تاريخ المسيح في عالم الادب (سنة ١٨٦٢) فانفجرت على مؤلفه ينابيع حارة و ينابيع باردة

اما الينابيع الحارة فانها انفجرت من نفوس جميع رجال الدين ولا سيما الغلاة منهم وجميع الذين يقتدون بهم او يمشون من ورائهم . فلقبه الناس بالسنة حداد وانهالوا عليه في الجرائد والمجلات بالشتم والسب وحرمه رجال الدين من الكنيسة ولعنوا كل من يقرأ كتبه . وقد اتهمه بعض الغلاة بانه ما كتب ذلك الكتاب الا في مقابلة مليون فرنك قبضها من بيت روتشيلد الاسرائيلي . ولكن اصدقاء رنان الذين يعرفون محبه المجرد

لتقرير ما يحسبه حقيقة ينفون عنه هذه التهمة السوداء . وسنشير في ما يلي الى الردود التي كان رنان يردّ بها على الطاعنين عليه

واما الينابيع الباردة فانها انفجرت من نفوس الاسرائيليين في جميع اقطار الارض لان ذلك الكتاب يعزو تمدن العالم اليهم ويقول بخروج المسيحية منهم وان كان يُثبت ان آدابها العليا لم تشتق من آدابهم . وقد جاراهم في الارتياح الى موضوع هذا الكتاب كل العلماء الماديين في اوربا وكل الكتاب الذين لا يدينون بدين . بل ان بعضاً منهم لام المؤلف وعنفه لانه تساهل في بعض الامور

ثم حدثت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ فكان رنان من كارهيها وقد كتب يومئذٍ في « مجلة العالمين الفرنسوية » مقالة لقب فيها فرنسا والمانيا اختين في المدنية وقال ان من الجناية على التمدن ان تتحاربا . وبعد ما شاهده رنان في هذه الحرب من آثار الهمجية البشرية في ساحة القتال ومن تمرد رجال « الكومون » في باريز وافضاء هذا التمرد الى حرب اهلية بين الفرنسويين جرت فيها الدماء انهارًا تزعزعت ثقته بسير العالم الى محجة الكمال وكره الديموقراطية وشؤونها لانها ادّت بوطنها الى ذلك الوبال . وصار يرى من الواجب على كل امة ان يكون فيها نخبة من رجال الفضل والعقل لادارة شؤونها بقسط واعتدال فلا يكون للفساد والرشوة من سبيل الى نفوسهم . واخذ يتساءل كثيرًا هل ان العقل والعدل يسودان في هذه الارض في مستقبل الزمان ؟ ام يتوصل العلم فقط الى حالة يصبح فيها سواد الناس عاجزين عن الاضرار بكبارهم لما يضمه لهم هولاء الكبار من الشكيمة بواسطة معارفهم العلمية . وقد نشر رنان كتاباً في هذا الموضوع عنوانه « مباحثات فلسفية »

ولكن لما قامت الجمهورية الثالثة بعد حرب السبعين اعادته الى كرسي التعليم في كولج دي فرانس وجعلته مديرًا لهذه المدرسة . وفي سنة ١٨٧٩ عُين عضوًا للاكاذيمية الفرنسوية . فعاد رنان ورضي عن الديموقراطية بعض الرضى . وفي سنة ١٨٩٢ اتمّ نشر كتابه « تاريخ شعب اسرائيل » وهو خمسة اجزاء وصل بها تاريخ المسيح بتاريخ نشأة بني اسرائيل فكان هذان الكتابان تاريخاً شاملاً للحوادث الاسرائيلية من اولها الى ما بعد انتشار الديانة المسيحية

وقد عمّر رنان نحو سبعين عاماً . وكان في آخر ايامه رزيناً هادئاً مع شيءٍ من التهكم وعدم المبالاة باراء الناس . وبقي على هذا الهدوء والرزانة مع ما انتابه من المرض

والالم في آخر حياته · وقد قال وهو على فراش الموت « انني اموت سعيداً لانني اتممت عملي · وما الموت الا ناموس طبيعي فلنخضع لناموس الطبيعة » وكانت وفاته في ٢ أكتوبر من عام ١٨٩٢

وبعد وفاته ابنته جرائد الارض تأبيناً متبايناً · فبعضها شيعه بالسب والشتم القبيح وبعضها رأى ان يترك الحكم على اعماله الى الاجيال القادمة · ولا يزال اسم رنان «يرن» في فرنسا الى هذه الايام وقد سماه اصدقاؤه وانصاره « رنان العظيم » · وكذلك سماه المسيو والدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية غير مرة في بعض خطبه · اما خصومه فلا يزالون يلعنونه

ومما يروى عن رنان وقد رواه نفسه في بعض مؤلفاته ان احد الرهبان كان يرسل اليه في ليلة احدى الاعياد المسيحية الكبرى من كل عام ورقة صغيرة عليها هذه الكلمات « جهنم موجودة » وقد قال رنان بعد ايراده هذا الخبر لقد ظن صديقي الراهب انه يؤلمني بهذا القول وما عرف انني افضل جهنم على « العدم »

ولما زار رنان ايطاليا خرج الناس لاستقباله في زوارقهم فاحاطوا بزورقه واخذوا يصيحون « ليحيَ العلم ليحيَ العلم » يريدون بذلك نكاية رجال الدين في الفاتيكان · وكان رنان ساعتئذٍ يكتب في مذكرته · فكتب فيها هذه العبارة « لا ريب ان الكثلكة تقوضت اركانها في ايطاليا » قالت جريدة الطان بعد نشرها هذا الخبر في الشهر الماضي « لقد اخطأ رنان في هذه النبوءة كما اخطأ في غيرها » ولكنها عادت فعقبت على ذلك بقولها « ولكن قولنا هذا لا يحط من شان رنان · فان رنان يبقى رنان مهما قيل فيه »

ومن اقوال رنان في العسكرية « انني لو اضطررت الى الانتظام في سلك الجندية ولم اقدر على التخلص من ذلك لقتلت نفسي » وقد صدر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب عنوانه « سنة في الثكنة العسكرية » وموضوعه الطعن على المعيشة الجندية وعلى الجندية نفسها وقد صدره مؤلفه بالعبارة التي تقدم ذكرها تعزيزاً لكتابه

ولرنان مؤلفات كثيرة غير ما تقدم منها كتاب اصل اللغة · وسفر ايوب · ورسائل رنان وبرتلو · وفصول مختلفة وغيرها

﴿ خلاصة كتاب تاريخ المسيح ﴾

(المؤلف اهدى كتابه الى اخت والجامعة تهدي الى اخ)

اما كتاب هذا الفيلسوف « تاريخ حياة المسيح » فاننا لم نقدم على تلخيصه في هذه المقالة (او بالاحرى الاشارة الى بعض اغراض من اهم اغراضه العلمية) الا وفي نيتنا تحاشي ذكر كل ما لا يجب ذكره منه احتراماً لاراء الناس ومعتقداتهم ولا سيا بسطائهم · والذي حبب

الينا هذا التلخيص ما عثرنا عليه في هذا الكتاب من الشؤون التاريخية الجليلة التي قطع رنان عمره وهو يبحث عنها · فانه وصف فيه حالة اليهود الاجتماعية والسياسية يوم ظهور السيد المسيح وما تقدم هذا الظهور وتلاه من الحوادث التاريخية المتعلقة بتاريخهم وتاريخ الرومانيين اصحاب السلطان عليهم في ذلك الزمان ووصف الامكنة التي عاش فيها السيد وعلّم فيها بعد ان زارها المؤلف بنفسه وكتب هذا الكتاب تحت سمائها · وبعبارة واحدة نقول ان غرضنا تاريخ الوسط الذي عاش فيه السيد · فغرضنا اذاً علمي تاريخي محض واما المسألة الدينية الكبرى فلا دخل لها في هذه المقالة

المدية الى اخته

وقد اهدى المؤلف هذا الكتاب الى اخته « المدموازل هنريت » التي رافقته في سياحته في سوريا وفلسطين وتوفيت بالحمى في جبيل من اعمال لبنان · وقد صدَّر هديته بالخطاب المؤثر التالي

« الى روح اختي هنريت الطاهرة »

« التي توفيت في جبيل في ٢٤ سبتمبر من عام ١٨٦١ »

« اتذكرين وانت الآن مستريحة في احضان الله تلك الايام الطويلة ايام « غزير » التي كنتُ فيها واياك منفردين نكتب صفحات هذا الكتاب الذي كانت توحيه الينا الاماكن التي زرناها معاً · لقد كنتِ يومئذ جالسة بجانبي ساكتة تنتظرين الصفحات التي كنت اكتبها وكلما اتممت صفحة تناولتِها وقرأتِها ثم نسختِها بعد قراءتها · هكذا كنا نقضي النهار وتحت اقدامنا البحر والقرى والجبال المجاورة · اما في الليل فانكِ كنتِ تلقين عليَّ سؤالات دقيقة لطيفة كان يظهر فيها شيء من ارتيابك فكانت هذه الاسئلة تعيدنا الى الموضوع السامي الذي كان شغلنا الشاغل · وقد قلتِ لي يوماً انك تحبين هذا الكتاب لامرين الاول لانه كُتب في صحبتك والثاني لانه كُتب على ذوقكِ · وكنتِ معتقدة بانه اذا خيف عليه من حكم الرجل الجاهل السريع الحكم الضيق القلب فان كل رجل ذي نفس متمسكة بالدين تمسكاً حقيقياً لا بدَّ ان تُفضي به قراءته الى الرضى عنه والسرور به · وبينا كنا منصرفين الى هذه التأملات الحلوة جاء الموت ولطمنا كلينا بجنحه فرقدنا رقاد الحمى في وقت واحد · ثم انتبهتُ فوجدت نفسي وحدي · فانتِ الآن ترقدين بسلام في ارض ادونيس قرب بيبلوس المقدسة (جبيل) في جوار المياه المباركة التي كانت تقد

اليها نساء الاديان السرية الماضية ليمزجن دموعهن بمائها . فيا ايتها الروح الصالحة . اوحي اليَّ انا الذي كنتُ حبيباً اليك في حياتك تلك الحقائق التي هي اقوى من الموت والتي تُعلّم الانسان ان لا يخشاه بل التي تعلمه ان يتمناه »

هذا نص هدية المؤلف الى اخته . واذا كان كل كاتب يحق له ان يستنجد بالاحياء الذين له في راحة الابدية فما احرى الجامعة ان تستنجد ذلك الاستنجاد ايضاً

وقد نسب رنان غير مرة نجاحه الى اخته فكأنه لا ينبغ رجل عظيم حتى يكون بازائه امرأة تدبره وترشده . وقد ذكرنا آنفاً ان اخت رنان هي التي شددت عزائمه حين عزم على التخلص من السيادة الاكليريكية وذكر المؤلف في كتاب الهدية الذي تقدم ان اخته كانت مرتاحة الى كتاب تاريخ المسيح الذي كان يكتبه فهذا يدلُّ على ان الميل عن التقاليد الدينية امر وراثي في اسرة رنان لانه قلما سُمع مثل ذلك عن النساء لشدة تمسكهنَّ بهذه التقاليد

وقد كتب رنان بعد وفاة اخته كراساً عنوانه « الى اختي هنرييت » لم يُطبع منه في بدء الامر سوى مائة نسخة خصوصية . وهذا الكراس هو ابلغ ما كتبه رنان على الاطلاق لان الحب الاخوي اجرى من اعماق نفسه اشد ما كان فيها من البلاغة والعذوبة . وقد قال مورخو حياته ان اخته هذه هي التي اصلحت قلمه وعلمته ان ينحو نحو البسيط الطبيعي في كتاباته . ولم يكن كذلك قبل ذلك

المقدمة الاولى

وتلي هذه الهدية المقدمة الاولى للكتاب وقد وضعها المؤلف للطبعة الثالثة عشرة من كتابه . واما النسخة التي امامنا الآن فانها من الطبعة الخامسة والعشرين . فيكون كتابه قد اعيد طبعه ٢٥ مرة حتى هذا العام . وقد ردَّ رنان في هذه المقدمة ردّاً مختصراً على معارضيه . وهم فئتان . الفئة الاولى منكرو الوحي الذين انكروا عليه الاعتماد على الكتب المقدسة في كتابة تاريخ المسيح لانهم لا يعتقدون صحتها . والفئة الثانية المعتقدون بهذه الكتب بلا بحث ولا جدال وهم رجال الدين ورعيتهم من المؤمنين . وقد قال في ختام هذه المقدمة ما ملخصه

« اني مسيحي ولكنني لست كباقي المسيحيين . فانني اعترف بوجوب ان لا اتكلم عن كنيستي الا برفق ولكن هل ذلك يقضي عليَّ بان اغمض عيني عن الحقيقة . وهل امين

حكومة من الحكومات اذا قلت انها لم تحسن تدبير الاميال المختلفة التي في نفوس الناس او اهين ديناً من الاديان اذا قلت انه لم يسلم من الاعتراضات الهائلة التي يقيمها العلم في كل يوم في وجه التعاليم التي من فوق الطبيعة . ان الديانات تسقط الواحدة بعد الاخرى لانها تخضع القلب لا العقل ولانه ليس في العالم قوة قادرة على خنق ذلك العقل

ومع ذلك فاذا تمكن العقل من خنق الديانة فالويل له في ذلك اليوم . صدقوني ان كرتنا الارضية تعمل في عمل عظيم سيؤدي الى نتيجة عظمى . فلا تقولوا ان هذا نافع وهذا غير نافع بل دعوها تعمل فان الطبيعة التي خصت الحيوان بغريزة لا تخطئ لم تضع في الانسان شيئاً يخدع . ولا تقولوا ان الاديان تخطئ كلما ارادت اقامة البرهان على وجود « اللا نهاية » وتحديدها والزعم بانها تمثلها فانها اذا كانت تخطئ في ذلك فانها تصيب جداً كلما اكدت وجودها. واذا مزجت بذلك كثيراً من الاغلاط فليس ذلك بالشيء المذكور بازاء الحقائق التي تنادي بها . وان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من ذلك المادي الذي يفسر كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

وغني عن البيان ان المؤلف لم يوجه القول الاخير الا الى الماديين الذين ينكرون الاديان

المقدمة الثانية

اما المقدمة الثانية فقد تكلم فيها عن المصادر التي استقى منها تاريخ المسيح . وهي خمسة (١) الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل (٢) الكتب المسماة « ابو كريف » من العهد القديم وهي الكتب التي لا تعتقد الكنيسة صحتها (٣) مؤلفات فيلون الفيلسوف الاسكندري الذي عاصر المسيح (٤) مؤلفات المؤرخ يوسيفوس المشهور الذي عاصر المسيح ايضاً (٥) التلمود وهو كتاب اليهود

قال المؤلف . اما مؤلفات الفيلسوف فيلون فانها خير مرشد الى الافكار الدينية التي كانت تختلج في نفس الامة اليهودية في ذلك الزمان . ولكن من سوء الحظ ان فيلون كان يعيش في اقليم غير الاقليم الذي ظهر فيه المسيح وكان عمر فيلون اثنتين وستين سنة لما بلغ السيد اشده واظهر روحه . وكان فيلون شديد الكراهة ايضاً لتعاليم الكتبة والفريسيين وقد عاش بعد السيد عشر سنوات على الاقل . فيا لها من خسارة ان لا يكون قد ذهب الى الجليل ونظر السيد فانه لو فعل لكتب عنه ما يكفي و يشفي

واما المؤرخ يوسيفوس فانه كان يكتب لليونانيين والرومانيين الذين كانوا اصحاب

السلطة على فلسطين ولذلك لم يكتب باخلاص كما كان يكتب فيلون لئلا يلقي التهمة على اليهود ابناء وطنه . وقد كتب ما كتبه عن المسيح و يوحنا المعمدان و يهوذا الغرلونيتي باختصار وغموض فلم يفهم اليونانيون والرومانيون حقيقة الحوادث التي كان يشير اليها .
قال المؤلف . اما الفقرة التي جاءت في كتابه عن المسيح فانها حقيقية واذا كان يوسيفوس قد كتب عن المسيح فانه لا يكتب الا ما كتب لان ذلك الاسلوب اسلوبه . ولكن القارىء يشتم ان يداً مسيحية قد اصلحت تلك الفقرة وحذفت منها وزادت عليها شيئاً ولا سيما هذه الكلمة التي جاءت فيها وهي « اذا كان يجوز ان يسمى انساناً » والتي لولاها لكان كلام يوسيفوس شهادة على رجال الدين لا لهم . ومما يرجح هذا الظن ان المسيحيين في القرون الاولى اتخذوا كتب يوسيفوس تاريخاً رسمياً لحوادث بلادهم فغير غريب ان يكونوا قد نشروا في القرن الثاني للميلاد طبعة منقحة من جميع كتبه . ومهما يكن من الامر فان اهمية هذه الكتب في كتابة هذا التاريخ لا تخفى على احد لان هذا المؤرخ اليهودي يريبنا فيها بكثرة تفاصيله هيرودس وهيروديا وانتيباس وفيليبوس وحنانيا وقيافا وبيلاطس كأنهم اشخاص احياء بيننا

ثم تكلم المؤلف عن اسفار الابوكريف وعن الاناجيل والتلمود كما تكلم عن المؤرخين اليهوديين . فقال ان المؤرخ بابياس لم يسمع بوجود انجيل يوحنا ولكنه يقول ان الرسول بطرس كتب انجيلاً فلعله هو . اما متى فلا يجاريه احد في نقل خطب السيد ودقة حفظها كما ان مرقس لا يجاريه احد في دقة نقل الحوادث وتفصيلها بتأكيد واثبات . ثم ردَّ المؤلف على الذين لا يعتمدون على الكتب المقدسة فقال ان المسيو سبرنجر كتب تاريخ حياة صاحب الشريعة الاسلامية واعتمد فيها على الحديث النبوي فلماذا لم يعارضه المعارضون فان هذا كذاك . واذا قام غداً رجل لكتابة تاريخ الفلسفة اليهودية في القرون التي تقدمت ظهور السيد وتلته ببضعة قرون فهل يعترضون على الكاتب اذا نسب الى الفلاسفة اليهود هلل وشاماي وغماليل الاقوال التي ينسبها اليهم كتاب المشنا والجماره مع ان هذين الكتابين لم يكتبا الا بعد موت اولئك الفلاسفة ببضعة قرون

ثم ردَّ على الذين يقولون بالعجائب فانكرها وقال ان الذي يعتقد بها و يروم جعل هذا الاعتقاد قاعدة لمباحثي ومناظرتي فلا يباحثني ولا يقرأ كتبي لاننا لا نتفق ابداً . ثم وصل الى المصدر السادس الذي اعتمد عليه في كتابة كتابه فقال هذا القول الذي يعدُّ تاريخاً لذلك الكتاب

تاريخ الكتاب

تلك هي القواعد التي بنيتُ عليها كتابي . ولكنني اضفتُ الى المصادر التي تقدم ذكرها مصدرًا جديدًا وهو زيارة الاماكن التي حدثت تلك الحوادث فيها فكانت لي نورًا مرشدًا . فان البعثة العلمية التي عُهدت اليَّ ادارتها بين عام ١٨٦٠ و١٨٦١ التفتيش عن آثار فينيقية وارتياد بلادها اوجبت اقامتي مدة على حدود بلاد الجليل والسياحة فيها مرارًا . فطفت في هذا الاقليم الانجيلي من كل الجهات و زرت اورشليم وحبرون والسامرة وكل مكان له علاقة بتاريخ المسيح . وقد يخيل للبعيد عن تلك الاماكن ان الحوادث المسيحية الاولى حدثت في فضاء خياليّ لا حقيقة له ولكن لما زرتُ تلك الاماكن تجسمتْ فيها تلك الحوادث امامي تجسماً ادهشني . فقد كان الائتلاف تاماً بين النصوص الانجيلية والاماكن المذكورة . واذ نظرتُ تلك المناظر الطبيعية الجميلة وقابلتُ بينها و بين روح الكمال الموصوفة في الانجيل شعرت بانطباق هذه على تلك وحينئذٍ احسست كأنَّ وحياً اوحي اليَّ . فتاملتُ فوجدت امامي انجيلاً خامساً مفتوحاً وهو انجيل الطبيعة . فصرت اقرأ فيه ولما كنت انتقل منه الى انجيلي متى ومرقص كنت ارى بين السطور صورة شخص عظيم حي . فلما جاء الصيف صعدتُ الى غزير في لبنان لاستريح قليلاً وهناك كتبت بسرعة وصف تلك الصورة العظيمة التي ظهرتْ لي فكان منها هذا التاريخ . ثم نزلت بي مصيبة اليمة اضطرتني الى تعجيل سفري (وفاة اخته) فسافرت ولم يكن باقياً عليَّ من هذا الكتاب غير بضع صفحات . فانا اذًا قد كتبتُ هذا التاريخ في مكان قريب من الامكنة التي عاش يسوع فيها . ولما عدتُ الى بلادي اخذتُ اصلح واكمل تلك الصفحات التي سطرتها بسرعة في كوخ مارونيّ دون ان يكون حولي سوى خمسة من الكتب او ستة »

وفي ختام المقدمة الثانية ما خلاصته « واذا كان يجب على الكاتب ان يكون ميالاً للموضوع الذي يكتب فيه ليجيد فيه ويحسن في شرحه فان ذلك لا يكفي . ولا اجهل انه يجب على الذي يتصدى لتاريخ دين من الاديان امران . الاول ان يكون قد آمن به اولاً والا فانه لا يفهم شيئاً من محاسنه ولا يُدرك ما فيه من مطمئنات النفوس ومُرضيات الضمير البشري . وثانياً ان يكون قد صار ممن لا يؤمنون به ايماناً مطلقاً من غير شرط ولا قيد لان الايمان المطلق لا ينطبق على العلم والتاريخ لما انه يوجب التسليم والعلم والتاريخ لا يعرفان تسليماً . ولكن الحب قد ينشأ في القلب من غير ايمان . واذا كان الانسان لا يعتقد باشكال الامور التي تستوجب عند الناس العبادة والايمان فان ذلك لا يمنعه من

الاعجاب بما في تلك الامور من الخير والجمال . اما الالوهية فانها لا تنفد مهما تكرر ظهورها لان الله قد ظهر قبل يسوع المسيح وسيظهر بعده . وظهوره سواء كان كبيرًا او صغيرًا فانه من طريق واحد وهو ارادته المودعة في الضمير البشري . فليس يسوع اذًا خاصًا بالذين يسمون انفسهم تلامذته ولكنه شرف عام للجميع اي لكل من له قلب انسان . وما عظمته ومجده ان يوضع خارج دائرة التاريخ ولكن ان يوضع في داخلها . وانّ اصح عبادة تقدم له هي اظهار ان التاريخ البشري غير مفهوم بدونه »

المقدمة الثالثة

وقد جعل المؤلف هذه المقدمة الثالثة تمهيدًا لموضوع الكتاب فبحث فيها عن الحركة الدينية في العالم منذ انشائه . فقال ان التمدن القديم الذي نشأ في الصين وبابل ومصر قد رقى الاديان بعض الشيء فان الاديان في مصر وسوريا واشور والهند كانت تحتوي كثيرًا من المبادىء الادبية ولكن الاوهام والخرافات كانت كثيرة فيها ولذلك لم يكن ممكنًا ان يصدر عنها فكر عظيم . وكيف تصدر الآداب والحرية عن نسل ما فتىء ذليلاً مستعبدًا منذ وجوده .

واما النسل الذي صدر عنه الايمان والحرية والنزاهة والاخلاص وتهورات النفس الغزلية فهو نسل هنود اوروبا والساميين . ويريد بالساميين جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية (العربية والسريانية والعبرانية والارامية والكلدانية والاشورية والحميرية) . فمن هذين النسلين (هنود اوروبا والساميين) خرج تمدن العالم واديانه الراقية . اما هنود اوروبا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رقيقة وحنانًا وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الاداب والدين . ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة . وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية

فالذين اعدوا اذًا سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا حارجين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته . وكان من اخص مزاياهم انكارهم على سوريا اديانها المادية المبنية على اللذة ثم بساطة العبادة لانهم لم يتخذوا هياكل ولا اصنامًا . وكان في جملة قبائلهم قبيلة بني اسرائيل ولا يخفى ان هذه القبيلة كانت ذات صلات قديمة بمصر وقد اقتبست من المصريين اشياء يعسر على التاريخ حصرها وذلك مما زاد في كراهتها للوثنية . فهذه القبيلة تمّ لها في ذلك الزمان الحصول على « توراة » اي شريعة مكتوبة على الواح حجرية وفيها مبادىء ادبية حقيقية وجراثيم المساواة الاجتماعية .

وكان لهذه القبيلة شيوخ يمتازون بالمعرفة والشعب يستشيرهم في المسائل المعضلة وكانوا يُدعون انبياء . اما كهنتهم فانهم كانوا يُشبهون الكهنة الذين تقدموهم ولا يمتازون عنهم الاَّ بان الشؤون الكهنوتية عند كل واحد منهم كان مرجعها الى رايه . وكان الانبياء الذين تقدم ذكرهم من حفاظ المبادىء الديموقراطية القديمة التي كانت خاصة بالقبيلة ولذلك كانوا يكرهون كل تنظيم سياسي يُرام ادخاله الى بني اسرائيل لجعلهم كباقي الامم التي تليهم هذا فضلاً عن عدائهم للاغنياء . فهؤلاء الشيوخ كانوا السبب الاصلي في تقدم الشعب اليهودي في الدين على سائر الشعوب . ولكن لما هجمت السلطة الاشورية على ذلك الشعب وسحقته لاصغائه الى نصائح اولئك الشيوخ قام الشيوخ اصلاحاً لخطاءهم ينادون بان مملكة يهوذا ستدوم الى الابد وان اورشليم ستكون عاصمة الدنيا كلها . ثم طرأت انقلابات كثيرة على الشعب اليهودي اخصها قيام الدول الكبرى في آسيا بعضها يتلو بعضاً فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فصرفوا نظرهم عن الارض الى السماء وازدادوا تمسكاً بالشؤون الدينية . وقد صاروا حينئذٍ يرضخون لكل نير يوضع على اعناقهم على شرط ان يحترم وليّ امرهم عاداتهم ودينهم . ومنذ ذلك الحين لم يعد عدوّاً لهم الا كل من كان عدوّاً للاله الواحد ولم يعد لهم من وطن ولا شريعة غير الشريعة الدينية

ثم ظهر كتاب دانيال الذي هاج اشجانهم وزاد املهم في قرب قدوم المسيح المنتظر لانقاذهم من ضيقهم . فازدادوا تمسكاً بالشريعة الموسوية وصاروا يقتلون كل من يخالفها . وكلما كانت تثقل عليهم يد الوثنيين الذين كانوا اولياء امرهم كانوا يزدادون انقطاعاً عن الارض ويوجهون انظارهم الى العالم الثاني . وكان العالم مشغولاً عنهم في ذلك الزمان بحوادثه الكثيرة فلم يلتفت الى ما كان يحدث عندهم . ولكن الامبراطورية الرومانية كانت حديثة النشأة اذ ذاك وقد قامت بعد حروب واهوال فكان الناس يتوقعون للعالم دوراً سلمياً في عهدها . واما اليهود فانهم كانوا يتوقعون حينئذٍ بصبر فارغ قدوم « مسيا » المنتظر وكان كثيرون من صلاحهم يقضون الليالي والايام حول الهيكل صائمين مصلين وهم يسالون الله ان لا يتوفاهم قبل تحقيق آمال شعب اسرائيل . وكان الانتظار شديداً حتى ان كل واحد من الناس كان يشعر بقرب حدوث شيء عظيم »

ثم جاء المنتظر ورقى الدين الى درجة من الكمال والسمو لم يبلغها قبل ذلك

وسندخل في موضوع الكتاب في الجزء التالي

المقالات

الجيش العثماني

﴿ فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية ﴾

لما نقلت الشركات البرقية خبر انقطاع العلائق السياسية بين الدولة العلية والدولة الفرنسوية كان هذا السؤال اول سؤال وجهه القارئ الى نفسه وهو : ما هي حالة الجيش العثماني الآن هل في استطاعته ان يرد عن البلاد غارة عدو قوي على افتراض شبوب نار الحرب وان كان هذا الافتراض امرًا مستحيلاً كما يعلمه الواقفون على العلائق الدولية . ولماذا غيرت فرنسا سياستها مع الدولة العلية فجافتها هذه المجافاة مع انها صديقتها الكبرى من ايام الملك فرنسيس الاول الذي حالفها حتى على الاوروبيين انفسهم . وجوابًا عن هذا السؤال ننقل عن العالم البلجيكي المسيو اوفر برش مدير التعليم العلي العالي في وزارة المعارف في بلجيكا ما كتبه عن الجيش العثماني وعلائق فرنسا والمانيا بالدولة العلية في كتاب نشره في العام الماضي وعنوانه « سياحة في الشرق . تركيا واليونان » فنقول

قال الكاتب المذكور في الصفحة ٣٣٧ يصف الجيش العثماني الذي شاهده منذ سنتين في حفلة السلاملك في الاستانة ما خلاصته

« ولقد قال لي وكيل بلجيكا في الاستانة في يوم جمعة . اليوم تعقد حفلة السلاملك فاذهب لمشاهدتها ولا تفوّتها. فقصدت الجامع الحميدي مع بعض الرفاق في الساعة العاشرة لان الحفلة تبتدئ عند الظهر فوصلت الى الكشك الخاص بالسفراء والاجانب وهو قائم تجاه الجامع فوجدنا فيه ضابطًا تركيًا من الطف الضباط واظرفهم فاستقبلنا وادخلنا حالما اريناه اوراقنا . وكان دخولنا الى قاعة الزائرين ولم يكن فيها سوى اربع نوافذ غاصة بالانكليز والانكليزيات ففتشنا عن مكان امام النوافذ نجلس فيه ونرى منه فلم نجد مكانًا والانكليز جريًا على عادتهم لم يتنازل احد منهم عن مكانه لواحدة من السيدات اللواتي كن معنا . ولكن وكيل بلجيكا كان قد قال لنا انكم اذا لم تجدوا مكانًا موافقًا في النوافذ

فاقصدوا السطح المحاذي للقاعة واتخذوا لكم مجالس فيه . فذهبنا الى السطح وجلسنا في الصف الاول فلم يلبث ان تبعنا بعض البلجيكيين وكثيرون من الالمانيين الذين كانوا يتكلمون بصوت مرتفع ويصفقون الى بعيد

فقضينا هناك ساعتين في الانتظار واذا بالسفراء وعيالهم قد بدت طلائعهم وكانوا يلبسون ملابس متناهية في الفخفخة والزينة لان الحكومات توصي سفراءها في جميع بلاد الشرق ان يُحسنوا اتقان الزينة الخارجية . وبعد ذلك وصلت الجنود

وكان اول من وصل منهم الاي المشاة تتقدمه الموسيقى العسكرية . فمرَّ امامنا بنظام بديع وقوة اعجبنا بها . وكانت جنوده تلبس الطربوش فكان لها به منظر جميل لان الطربوش يكبر قامة الانسان ويجعل له مرأًى حربياً مدهشاً . وكانت الموسيقى التي تتقدمهم تصدح بالنشيد الالماني ببراعة واحكام يستلبان الالباب . وقد كان بجانبي الماني كان من ضباط الجيش الالماني فجعل يشير الى ضباط الجيش العثماني وهو يقول . هذا فلان من كوانيجسبرج وذاك فلان من فرانكفور وهذا فلان من كوبلانس . ثم ان هذه الجنود اصطفت صفين على جانبي الطريق . ولم تفرغ من ذلك حتى طلعت طلائع الاي الفرسان تتقدمه الدنوج المفرحة التي تقرع انغاماً مرقصة والذي يملاء منظره العين بهجة والقلب سروراً . فقصد هذا الالاي الدهل المخصص بالمركبات واصطف فيه

واذا بالرجل الالماني الذي تقدم ذكره قد اخذ يقول « انظروا انظروا لقد جاء الحرس السلطاني . جاء ابطال تساليا اشجع جنود الارض كلها . انظروا انظروا فانهم جميعاً تحت قيادة ضباطنا ولذلك لا يغلبهم احد . فالتفتنا فوجدنا الجنود الزواف قد بدت وعلى رؤوسها العمائم الخضراء وكلهم من نخبة رجال الجيش العثماني . وفي هذه الجنود قال الجنرال سكوبلف يوم حصار بلفنا « اذاً قد عزم اصحاب العمائم الخضراء على منعي من اختراق هذا المربع ما لم يُقتلوا عن آخرهم » وكانت هذه الجنود سائرة نحو قصر يلدز القائم على مسافة ثلاثمائة متر من الجامع الحميدي

ثم تلتهم جنود البحرية وجاء بعدهم الزواف لابسو الطرابيش وهم رجال حسنو المنظر من فرقهم الى قدمهم . وكان منظرهم ومشيتهم يدلان على انهم من ذلك النسل القادر القوي . وقد قابلتهم في ذهني بالجنود اليونانية التي رايتها في آثينا فعجبت كيف خطر لليونان ان يتوقعوا النصر لجنودهم في حربهم مع الدولة التي لديها جنود كهؤلاء الجنود . ولا انكر ان في الجيش اليوناني رجالاً اقوياء ولكني ارى ان الجنود اليونانية على الاجمال لا تقاس

بالجند العثماني · أليس الاميرال جوليين دي لا كرافيير هو الذي قال « ان للجندي العثماني صفات حربية جليلة · فاذا ولي قيادته ضباط خبيرون ادهش العالم باعماله كما ادهشه فيما مضى · وليس ينقص الجيش العثماني جنود او قواد كبار ولكنه ينقصه ضباط صغار » وقد ادركت المانيا هذا النقص فتقربت من الدولة العثمانية لاصلاح جيشها رغبة في الاعتماد عليه في اوقات الشدة وتزلفًا الى الحكومة لتمنحها في الاناضول الامتيازات التي تمني نفسها بها فضلاً عن اتخاذها جيش الدولة سورًا دون روسيا



﴿ نظارة الحربية في الاستانة ﴾



﴿ باب السرعسكرية في الاستانة ﴾

وهو مقام قائد الجيش العام

ولما شاهدتُ ما شاهدتُ من نظام الجيش العثماني وترتيبه اخذت اقول في نفسي ان عدم مداخلة اوربا ايام الحوادث الارمنية ناشيء عن اسباب قوية ربما كان منها الخوف من حراب الجنود العثمانية

ولكن ما لنا ولهذه الامور فلنعد الى حفلة السلاملك . فان الجنود ما انتهت من الاصطفاف في ثلاثة صفوف من الجامع الى سراي يلدز حتى قدمت فرقة واخذت تكنس الطريق وتذر فيها الرمل النظيف . ثم جاءت فرقة اخرى وصارت تنفض ملابس الجنود التي كانت مصطفة . وبعد برهة انتصف النهار وخرج الموكب السلطاني من قصر يلدز. فصدحت حينئذ الموسيقى وسرى في الجمع ارتعاش فتطاولت الاعناق الى الموكب . فمر فيه رجال الدولة مع ابنائهم ومركبات الحرم السلطاني والموظفون بملابسهم الرسمية . ثم مرت المركبة السلطانية تجرها جياد كريمة وجلالة السلطان جالس فيها بهيئة تدل على عدم الاكتراث بشيء مما حوله . ولما دنت المركبة من كشك السلاملك هتف الالمانيون الذين كانوا معنا هتافاً شديداً اكراماً لجلالته فرفع جلالته راسه اليهم وحينئذ استنار وجهه بابتسام ثم سلم عليهم باحناء الراس وظلت المركبة سائرة حتى انتهت الى الجامع

وفي اثناء الصلاة جاءنا احد رجال التشريفات ودعانا باسم جلالة السلطان الى تناول المرطبات في حديقة من اجمل الحدائق فاجبنا وتحققنا حسن الضيافة في قصر يلدز

و بعد الصلاة انتظم سلك الجنود كما كان وخرج جلالة السلطان عائداً في « فايتون » يجرها فرسان ابيضان كريمان وكان جلالته قابضاً على عنانها بيده ووراء المركبة رجال الدولة واكابر موظفيها مشاة يتبعونها

هذا ما قاله السائح عن الجيش العثماني . اما ما قاله عن علائق فرنسا والمانيا بالدولة فهذه خلاصته . قال

كنت احادث بعضاً من راهبات المحبة الفرنسويات في طريقنا الى « بروصه » فسألتهن أليس الافضل لكنَّ ان تحتمين بالمانيا في البلاد العثمانية . فصحن جميعاً من فم واحد « احمنا يارب من حماية المانيا » ثم قالت احداهن ان المانيا امبراطورية بروتستانتية فكيف تحمي الكاثوليك حماية حقيقية . ومع ذلك فاننا لا نطلب حماية دولة اجنبية ونترك وطننا . وقد قلن ذلك والدموع في عيونهن

وبعد برهة اخذ احد المرسلين الحاضرين يشرح لي اسباب الزحام الشديد القائم بين فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية . فقال ان فرنسا كانت في عام ١٨٩٢ تبيع من بضائعها في الاسواق العثمانية ما قيمته ٦٠ مليون فرنك فنقصت هذه القيمة في عام ١٨٩٣ الى ٥٦ مليوناً وفي عام ١٨٩٤ الى ٥٣ مليوناً وفي ١٨٩٥ الى ٥١ مليوناً وفي ١٨٩٦ الى ٤١ مليوناً وفي ١٨٩٧ الى ٣٩ مليوناً اي ان قيمة ما تبيعه فرنسا في البلاد العثمانية لم تعد تساوي اليوم ١١ في المائة من مجموع المبيعات الاوروبية . اما المانيا فلم تكن لها تجارة مع تركيا في سنة ١٨٧٠ ولكن لم تاتِ هذه السنة حتى بلغت تجارتها معها ٤٠ مليون فرنك فكأنها في مدة ثلاثين سنة قد ساوت فرنسا التي مضت عليها قرون وتجارتها موصولة الاسباب مع البلاد العثمانية

وان سألت عن اسباب تقدم المانيا ونكوص فرنسا اجبتك ان المعامل الفرنسوية تعتمد بالاكثر في ترويج بضائعها على « عملاء » من اليونان والالمان والايطاليان فيخدعونها ويربحون على ظهرها . اما المعامل الالمانية فانها ترسل عمالاً المانيين مخصوصين من قبلها وتتخذ لها عملاء دائمين في الاسواق المهمة فيلح هؤلاء العمال والعملاء في سبيل عرض بضائعهم وتصريفها الحاحاً يفضي الى ترويجها . وفضلاً عن ذلك فان لهم شركة كبيرة تدعى شركة التصدير وهي ذات فروع في مصر واليونان والاستانة وسالونيك وازمير ومرسين و بيروت وحلب ودمشق و يافا وحيفا و بروصه . وهذه الفروع تعرض على المشترين جميع اصناف

البضائع التي يطلبونها و يكون لديها مثال منها لان المشترين في الشرق يلذ لهم شراء الاشياء التي يشاهدونها و يكرهون الشراء بلا مشاهدة ولا فحص . وما عدا هذا فان المعامل الالمانية تصنع بضائعها حسنة الظواهر رخيصة الثمن طبقاً للذوق الشرقي . واما المعامل الفرنسوية فانها تحسب انه يجب على ابن الشرق ان يخضع لذوق ابن باريز ولذلك لا تصنع بضائعها الا على ذوقها . وقد آلت المانيا على نفسها ان تحتكر جميع السكك الحديدية في الاناضول فاذا تم لها ذلك صارت صاحبة الكلمة التجارية العليا فيها ولم يبق لفرنسا سوى الخطوط الحديدية الصغيرة في سوريا . فمسكينة انت يافرنسا ما هذا النكوص امام المانيا . اذكرْ انه لم يكن احد في القرن السادس عشر قادراً على الاتجار في البلاد العثمانية الا بواسطتنا وتحت رايتنا بناء على الامتيازات التي كانت لنا . اما الآن فقد سبقنا مناظرونا . ولا ريب ان ذلك عقاب لنا من الله على خطيئة الملك فرنسيس الاول . فان هذا الملك خان اوربا في ذلك الزمان وحالف الدولة العثمانية عليها . فكافأته الدولة على ذلك بمنحها اياه الامتيازات التي تقدم ذكرها والتي كانت كأنها الثلاثون درهماً التي قبضها يهوذا . والغريب العجيب ان يكون فرنسيس الاول قد حالف تركيا على امبراطرة الالمان الذين كانوا اعداءه وان تركيا تحالف اليوم عليه امبراطرة الالمان الذين هم اعداء فرنسا »

سوريا القديمة والحديثة

بقلم حضرة العالم الفاضل جبر افندي ضومط استاذ البيان في الكلية الاميركية في بيروت وهي الخطابة التي القاها في الحفلة السنوية التي عقدتها هذه الكلية في ١٠ يوليو الماضي ومنحت جنابه فيها رتبة معلم في العلوم اعترافاً بفضله

ايها السادة والسيدات الكرام

بعد الحمد والدعاء اعتذر اليكم عن نفسي اني لست خطيباً ثم استأذنكم ان ابدأ بموضوعي رأساً فاقول

سوريا على ما قاله كثيرون من ثقاة الغربيين اسم مقتطع من اشوريا يعني بلاد اشور وقد ورد في كتب متقدمي المؤرخين وثقاتهم كهرودتوس وامثاله وارادوا به كل البلاد التي يحدها الفرات والدجلة الى خليج فارس شرقاً والبحر المتوسط غرباً وآسيا الصغرى شمالاً والعربية جنوباً . الا ان المتاخرين عن اولئك اطلقوا هذا الاسم على ما هو الشائع الآن

اعني على جزء من هذه البلاد يحده خط يمرّ بخليج اسكندرونه على موازاة خطوط العرض شمالاً و بعض الفرات و بادية الشام شرقاً والعربية جنوباً والبحر المتوسط غرباً

﴿ تقسيم سوريا الطبيعي ﴾

وتقسم سوريا الى ثلاثة اقسام طبيعية (الاول) سوريا الشمالية وتبتدئ من جبال طورس شمالاً وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن مدنها حلب وانطاكية وحماه · (الثاني) سوريا المتوسطة وتبتدىء من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً · ومن مدنها المشهورة في الداخلية حمص وتدمر ودمشق و بعلبك وعلى الساحل طرابلس وجبيل و بيروت وصيدا وصور · (الثالث) سوريا الجنوبية وهي ما بقي من سوريا وتشتمل على ما يعرف قديماً ببلاد فلسطين او ارض كنعان من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً · ومن مدنها الساحلية عكا وحيفا و يافا وغزه والعريش ومن الداخلية طبريه والناصره ونابلس واورشليم والخليل

﴿ تقسيم سوريا السياسي ﴾

اما تقسيم سوريا السياسي فلما كان ولا يزال يختلف باختلاف الازمنة رايت ان ادع التفصيل فيه واكتفي بذكر الامم التي سكنت البلاد من اول عهد التاريخ الى الآن واشير الى مواطنهم فيها مع الالماع الى ما طرأ على مواطن تلك الامم من التقلبات وما تعاقب عليهم من الدول الى ان صارت جميع هذه الشعوب والممالك شعباً واحداً ومملكة واحدة عثمانية في ايام فخر سلاطيننا العظام جلالة مولانا عبد الحميد خان · والغاية من كل ذلك ان اتوصل الى بيان اسباب عظمة سوريا قديماً وما تُبنى عليه عظمتها في المستقبل · والذي اساله من كرم اخلاقكم ان تعيروني جانباً من التفاتكم ولكم عليَّ ان اختصر بقدر ما في الامكان

ايها السادة · في ايام الآباء اي من نحو اربعة آلاف سنة تقريباً كان العمالقة والحوريون يسكنون البلاد جنوبي بحيرة لوط الى راس خليج العقبة والرفائيون شرقي الاردن من ارض باشان شمالاً الى وادي ارنون جنوباً · والحثيون والاموريون والعمونيون والفلسطينيون غربي بحيرة لوط الى شواطئ المتوسط · واما بقية البلاد غربي الاردن فكان اليبوسيون في اورشليم والحويّون في نابلس والكنعانيون في البلاد من جنوبي صور الى يافا واشتملوا كل الساحل البحري ومعظم السهول الخصبة فيما يليه من منابع الاردن الى مصبه في بحيرة لوط · وكان ايضاً الحثيون في سوريا الشمالية والاراميون والفينيقيون في سوريا المتوسطة

هؤلاء على السواحل واولئك في الداخلية

ثمّ بعد دخول الاسرائيليين ارض كنعان صارت شعوب سوريا ومواطنهم فيها على ما يأتي · العمالقة والفلسطينيون والادوميون والموابيون والعمونيون والاسرائيليون وبقايا الكنعانيين في سوريا الجنوبية · والارامنيون والفينيقيون في مساكنهم الاولى في سوريا المتوسطة · والحثيون اسياداً في سوريا الشمالية · وما زال الحال كذلك نحواً من ثلاثمئة سنة تارةً يتقوى الموابيون والعمونيون وتارةً العمالقة والمديانيون وتارات الفلسطينيون الى ايام صموئيل النبي وكان الفلسطينيون حينئذٍ في منتهى قوتهم والاسرائيليون في منتهى ضعفهم ذلك لانهم كانوا قد تفرقت عصبيتهم وانحلت جامعة اسباطهم التي كانت لهم ايام يشوع · فسعى صموئيل النبي في ضم شملهم وتوحيد كلمتهم واقام عليهم ملكاً شاول ابن قيس من سبط بنيامين فملك اربعين سنة وقام عليهم بعده داود النبي فحارب حروبهم المشهورة وانتصر على اعدائهم والامم حواليه شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً · وفي ايامه بلغ اليهود منتهى عزهم وامتدت سلطتهم على كل سوريا الجنوبية وعلى سوريا المتوسطة ما عدا الساحل كل بلاد الاراميين حتى تجيء الى مدينة تقع على الفرات شمالي تدمر · فصارت امم سوريا ومواطنهم فيها ايام داود وايام سليمان ابنه على ما يأتي

اليهود اسياد في سوريا الجنوبية واخوانهم وابناء عمهم الموابيون والعمونيون ومن لف لفهم عبيد مستتبعون لهم فيها ايضاً · والاراميون يؤدون الجزية للاسرائيليين في سوريا المتوسطة ما عدا السواحل البحرية على البحر من عكا جنوباً الى ارواد شمالاً · والحثيون في سوريا الشمالية من حماه الى كركيش · الا ان الاراميين كانوا قبيل ذلك قد تداخلوا على الحثيين في كثير من مساكنهم الجنوبية وازاحوهم عنها الى الجهات الشمالية

لكن لم يلبث ان طرأ بعض التغيير على الحالة المارة · فان الاسرائيليين رجعوا بعد موت سليمان الى سالف تنافسهم وتخاذلهم فانقسمت مملكتهم الى مملكتين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب فقضي بذلك على عزّ اليهود وخرج عن طاعتهم اكثر الامم الخاضعة لهم واستقر الحال على ذلك نحواً من مئتي سنة وسوريا على ما نذكره : صور في الساحل سيدة البحار في المعمور وابناؤها منتشرون في العالم ويدهم زمام التجارة كانما هم ابناء البريطانيين في الزمن الحاضر وربما كانوا اشد نشاطاً في الاعمال واكثر اقداماً على الاسفار رغبة في المكاسب والارباح · ومملكتا يهوذا واسرائيل مما يلي الساحل تتسالمان تارة وتختصمان تارات · والاراميون في سوريا المتوسطة يتوثبون تارة على الاسرائيليين وتارةً على

الحثيين · واما في سوريا الشمالية فكان الحثيون قد تراجعت احوالهم وتقلص ظلهم بما كان من مناوأة الاشوريين اهل نينوى لهم فتركوا قادس عاصمتهم ايام رعمسيس الى كركيش على الفرات

وفي هذه الاثناء عظم شان الدولة الاشورية فاخذت تغزو الى سوريا كلما آنست من نفسها قوة او بالحري كلما قام على سريرها ملك يرغب في المجد العسكري من جهة وفي انتهاب الاموال من جهة اخرى وتكررت غزوات الاشوريين حتى كانت ايام سرجون احد عظماء ملوكهم فجهز هذا جيوشه وعبر الفرات الى كركيش فحاصرها وما زال عليها حتى استفتحها عنوةً ونقل اهلها الى بلاد اشور وهكذا كان فعل في دمشق والسامرة فصارت من ثم كل البلاد اعني سوريا الشمالية والمتوسطة وبعض الجنوبيـة ولايات اشورية ما عدا الساحل البحري واليهودية فانهما بقيا على الجزية · واستمر الحال على ذلك الى ايام نبوخذنصر فوجه غاراته الى سوريا واجلت غزواته فيها عن انقراض استقلالية جميع شعوبها وصيرورتها ولاية بابلية يحكمها ولاةٌ من قبل البابليين · ثم جاء بعد البابليين الفرس ومن بعد الفرس اليونان ومن بعد اليونان الرومان وحكم الرومان سوريا نحوًا من سبعمئة سنة من سنة مئتين قبل المسيح الى ان استخلصها العرب من ايديهم سنة ٦٣٨ بعد المسيح

ثم ما زالت سوريا في ايدي المسلمين تتداولها منهم دولة بعد اخرى الى ان كانت الحروب الصليبية فاستولى حينئذٍ الصليبيون على الشواطىء البحرية من انطاكية الى يافا وغزه· لكن لم تأتِ سنة ١٢٠٠ للمسيح وفي البلاد واحد منهم وذهبت آثارهم جملة

وفي بداءة الجيل الخامس عشر كانت غزوة تيمورلنك فخرب البلاد تخريبًا وقد اكثر تيمور هذا من القتل والنهب والسبي بما لا تزال البلاد تذكره الى اليوم لشدة ما كان من وقعه في نفوسهم· واشد ما كان ضرره في البلاد انه اخذ من دمشق وسائر البلاد ارباب الفضل والصنائع وكل ماهر في فن من الفنون اي فن كان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤوس جنده وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند وهكذا فعلوا ·والظاهر ان جنوده قتلوا اغلب هؤلاء وهم راجعون الى بلادهم فخسرت بذلك سوريا خسارة لم تعوض بعد

وفي سنة ١٥١٦ دخلت سوريا في حوزة العثمانيين وفي سنة ١٨٧٥ قدر الله لما ان اقام على سرير السلطنة العظمى جلالة الغازي مولانا السلطان عبد الحميدخان الثاني فدخلت على عهده الممالك العثمانيـة في طور جديد وستبلغ فيه بعونه تعالى ولا سيما سوريا مبلغًا من العزّ والعظمة لم يكن لها من قبل ان شاء الله

ايها السادة الكرام . لم يخطر في بالي اصلاً ان اتغلغل في تاريخ سوريا لا قديماً ولا حديثاً انما اردت بما ذكرته من التذكرة التاريخية ان احضر امامكم صورة اجمالية لسوريا منذ اول امرها الى اليوم توطئة للسؤالات الاربعة الآتية وهي :

« اولاً » ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟

« ثانياً » ماذا كان سبب عظمة سوريا قديماً ؟

« ثالثاً » ماذا كان سبب انحطاطها الى الآن ؟

« رابعاً » بماذا تقوم عظمتها المستقبلة . وبعبارة اخرى بماذا ترجع الى مقامها الذي فقدته جملةً من مدة لا تزيد عن الخمسمائة سنة وانزاحت عن آخر موقف منه منذ تمّ فتح خليج السويس ؟

﴿ السؤال الاول ﴾

ونبدأ بالسؤال الاول اي ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟ والجواب عن هذا السؤال يستدعي معرفة الشعوب الذين كانوا في سوريا قديماً والشعوب الذين في البلاد المحيطة بها ايضاً اما الشعوب الذين كانوا فيها في ايام ملوك اسرائيل فهم كما رأينا الادوميون والعمونيون والموابيون والاسرائيليون في سوريا الجنوبية والاراميون في سوريا المتوسطة والشمالية والفينيقيون في ساحل البحر . فان قيل واين تذهب بالكنعانيين والحثيين ؟ قلت : اما الحثيون فكانوا على الراجح المسلطين على البلاد كالرومانيين بعدم مثلاً لا سكانها الاصليين ولذلك فلما انقرضت دولتهم انقرضوا من سوريا وبقي اهلها الاصليون اعني الاراميين . واما الكنعانيون فاولى ان الحقوا بالعبرانيين لان هؤلاء خالطوهم فزوجوهم وتزوجوا منهم من اول عهد اتصالهم بهم الى ايام السبي ولما كانوا اقل عدداً من العبرانيين غابت جنسيتهم في جنسية العبرانيين . وروّج هذه المخالطة والامتزاج ما كان بين الامتين من المقاربة في اللغة والاخلاق والعادات . وزاد في تعجيل الالتحام أنَّ اليهود كانوا يرون الكنعانيين المغلوبين ارقى واعرق منهم في المدنية فلم يستنكفوا من مصاهرتهم والاختلاط بهم . وكذلك الكنعانيون المغلوبون لم يروا حطة باصهارهم الى اليهود وامتزاجهم بهم شان الامة المغلوبة مع الامة الغالبة . وعليه نقول ان شعوب سوريا كانوا مؤلفين من قبيلتين كبيرتين العبرانيين والاراميين - العبرانيون في الجنوب والاراميون في الشمال وهما شعبتان من الارومة السامية وينضم الى هولاء قبيلة صغيرة اعني الفينيقيين سكان السواحل وهم من الارومة الحامية

واما البلدان المحيطة بسوريا فاذا نظرتم ايها السادة الى الخارطة رأيتم العربية وشواطئ

الفرات تحيط بها جنوباً وشرقاً واسيا الصغرى والبحر المتوسط شمالاً وغرباً ولكن لما كانت جبال طورس تفصل سوريا عن اسيا الصغرى وتجعل المهاجرة من احدى البلادين الى الاخرى امرًا صعباً ولما كان اهل اسيا الصغرى يخالفون السوريين في اللغة والاخلاق والعادات ويرون في بلادهم من الخصب وجودة الهواء فوق ما يرونه في سوريا كانت رحلاتهم اليها قليلة. ولم ينقل الينا التاريخ ان امة منهم هاجرت اليها و بخلاف ذلك ما هو مشهور عن العربية وشواطىء الفرات. فان اهل هاتين البلادين ما زالوا منذ ايام ابرهيم الخليل الى هذه الساعة يرحلون افرادًا وجماعات الى سوريا وعليه فيهمنا تحقيقاً لجواب عن سؤالنا ان نعرف من هم شعوب العربية وشعوب ما بين النهرين وابناء من هم. ومعرفة ذلك ليست من الامور المشكلة لانه تحقق ان سكان هاتين البلادين اعني العربية وما بين النهرين هم من العبرانيين والاراميين وابناء عمهم القحطانيين وكلهم من الارومة السامية ومن قبيلة اخرى صغيرة كشوية وهي من الارومة الحامية

والمأخوذ من كل ذلك وهو ما اردت الوصول اليه ان سكان سوريا وسكان العربية وسكان ما بين النهرين جميعهم من ارومة واحدة سامية اختلط بهم من قبل زمن التاريخ شعبة من الحاميين امتزجت بهم وغابت جنسيتها في جنسيتهم حتى لم تعد تتميز بوجه من الوجوه. وجميع هؤلاء الشعوب والقبائل كانوا وما زالوا يتشابهون في اللغة والاخلاق والعوائد منذ الاف من السنين الى وقتنا الحاضر. وجميعهم ايضاً على ما عُلم من احوالهم سريعو الاجابة الى ما يوافق اميالهم ومشاربهم الفطرية متعاصون عما يخالفها و يصعب بل يستحيل ان يُنقلوا الى جنسية غير جنسيتهم ولغة غير لغتهم واخلاق غير اخلاقهم. ويكفيني ثبتاً لهذه الحقيقة ان اشير الى ما كان من امرهم مع دول الفرس واليونان والرومان اولاً ومع دولة العرب اخيرًا فانهم تعاصوا على الدول الثلاث الاولى فلم يمتزجوا بهم ولا تجنسوا بجنسيتهم ولا تعلموا لغاتهم الا مكرهين. ومع ان الدولة الرومانية العظيمة المسماة بالدولة الحديدية حكمت في البلاد وجعلتها جزءًا من ممالكها نحوًا من ٧٠٠ سنة فمع ذلك لما كان الفتح الاسلامي وانسحبت جنودهم وموظفوهم من البلاد كانوا كأن لم يكونوا فيها ولا حكموا اهلها بعصاً من حديد فامحت آثارهم من اللغة والعوائد والازياء والجنسية. لم يبقَ شيء من كل ذلك بخلاف امرهم مع دولة الاسلام فانه لم يمض على هؤلاء قرن واحد بعد ان افتتحوا سوريا حتى صارت البلاد عربية في لغتها واخلاقها وعوائدها ولا تزال كذلك الى هذه الساعة مع ان الدولة العربية انقرضت من البلاد منذ عدة مئات من السنين وما ذلك

الا لبعد الرومان وبعد العرب من السوريين في اللغة والاخلاق والعوائد كما ذكرنا

﴿ السؤال الثاني ﴾

ولنتقدم الآن الى السؤال الثاني وهو ما سبب عظمة سوريا قديماً ؟

لعظمة بلاد ما اسباب منها ان يكون في البلاد دولة قاهرة تمد فتوحاتها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كالدولة الرومانية مثلاً وهذا لم يكن لسوريا قط واعظم دولة قامت فيها دولة اليهود ايام دواد وسليمان . ولكن هذه الدولة لم تتجاوز سوريا بل لم تتبع الا الجزء الجنوبي منها مع بعض النفوذ في الجزء المتوسط واقل منه في الجزء الشمالي

ومنها ان تكون البلاد متسعة المساحة كثيرة عدد السكان كثيرة المياه والانهار وان تكون عشائرها متحدة معاً تضمهم دولة واحدة يجتمعون تحت لوائها لا يتخاذلون عن نصرتها ولا يتربصون بها الدوائر انما هم جميعهم على الاجنبي قلب واحد ويد واحدة . وهذا ايضاً لم يكن لسوريا قديماً فان مساحتها لا تزيد عن الخمسين الف ميل مربع وانهارها قليلة ليس منها ما يصلح للملاحة وامطارها قليلة ولا سيما في الجزء الجنوبي منها . واما اهلها فما زالوا عشائر متخاذلة لم تجتمع لهم كلمة ولا انضموا تحت لواء واحد وطالما كانوا يتربص بعضهم الدوائر بالبعض الآخر

ومنها ان تكون البلاد غنية بمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وهذا لم يكن لسوريا ايضاً فانه لم يعرف عنها الى اليوم ان كان فيها معادن ذهب في جبالها او مغاوص لؤلوء في بحارها

ومنها اتساع التجارة واتقان الصناعة والزراعة . وليس شيء من اسباب العظمة محقق في عظمة سوريا الا هذا السبب . فان اهلها سكان البدو وسكان المدن كلهم كانوا اما تجاراً او متلبسون باسباب التجارة وقد اجمع المؤرخون على ان تجارة الفينيقيين ايام عظمة سوريا بلغت من الاتساع والانتشار مبلغاً قصرت عنه الامم القديمة عن آخرها ولم يكن له مثيل على ما يقولون الا اتساع تجارة الانجليز في الوقت الحاضر . وكذلك اجمع هؤلاء ان الصناعة والزراعة كانتا في سوريا على ارقاها ايام كانت التجارة ايضاً على ارقاها وانحطتا بانحطاطها . ولما انحطت التجارة وانحط هاتان معها انحط عز البلاد وعظمتها وهذا ما اريد ان اقيم البرهان عليه وهو موضوع بحث السؤال الثالث اي ماذا كان سبب انحطاط سوريا الى الآن

﴿ السؤال الثالث ﴾

كانت صيدون في ايام يشوع المدينة العظيمة والمتقدمة على جميع مدن فينيقية . ذلك

لانها كانت اوسعهن تجارة واكثرهن غنىً وارسخ في الصناعة قدماً . لكن ما بين القرن الخامس عشر والثالث قامت المعاهدة البلاسجية واخذت تتعقب الصيدونيين وتزيلهم عن مواقعهم التجارية في البحر المتوسط فتاخر من ثم غنى الصيدونيين وانحطت عظمتهم على نسبة ما ابتزت منهم هذه المعاهدة القوية من المراكز التجارية

ثم ما زالت تتأثرهم هذه المعاهدة الى ان جاءت شعبة منهم الى نفس فلسطين واستولت على السواحل من يافا الى غزة واخذت تسابق الصيدونيين في التجارة في نفس بلادهم ثم ادت هذه المنافسة في التجارة الى المنافسة في السياسة ايضاً فان الفلسطينيين لما اثروا وامتدت تجارتهم وكثرت صناعتهم طمعوا في الصيدونيين وتوثبوا على بلادهم المجاورة ينتزعون منها مكاناً بعد آخر ويلحقونه باملاكهم الى ان كانت سنة ١٢٠٠ ق م فحملوا على حين غفلة بمراكبهم على صيدا فاستفتحوها عنوة وخربوها وشتتوا اهلها في الافاق . الا ان صيدا عاد لها بعد ذلك شيء من عزها على نسبة ما عاد لها امتداد التجارة لكن سبقتها صور منذ نكبتها هذه وما زالت سابقة لها الى ان قُضي على المدينتين معاً

ولا يمكني ان آتي على تفاصيل ما طرأ على عظمة صور وكل بلاد فلسطين تبعاً لها ولكن اقول اجمالاً ان صور ما زالت في اوج عظمتها منذ ١٢٠٠ سنة قبل المسيح الى ايام سرجون الاشوري سنة ٧٢٥ وذلك لانها كانت كل تلك المدة لا يسابقها مسابق في التجارة والاقدام على الغربة وقطع البحار . وكانت صناعتها حينئذ بالغة اعظم مبلغ من الاحكام والاتقان فلما جاءه سرجون حاصرها سنيناً ومع كل قوته لم يقوَ عليها . فصالحها على الجزية لكن ما زالت التجارة في يدها يرد اليها بها من فائض الغنى اضعاف ما كان يتز منها جزيةً للاشوريين فامكنها ذلك من ان تصانع دولتهم العظيمة وتحفظ استقلالها منهم ان يذهبوا به على حين سقطت اغلب ممالك سوريا وصارت ولايات اشورية . ثم جاء نبوخذ نصر الكلداني فحاصرها ثلاث عشرة سنة وافتتحها اخيرًا عنوة فقتل ونهب وامر ما شاء . لكن لما كانت التجارة لا تزال بيدها عاد اليها الغنى فعاد اليها ما كان لها من العظمة الى ان جاء الاسكندر المكدوني ولاسباب حاصرها هذا الرجل واستفتحها بعد ثمانية اشهر فنكل في اهلها تنكيلاً لم يُرَ منه مثله . ولو اكتفى الاسكندر بما فعله بها من القتل والنهب والاستعباد لهان عليها الامر مع فظاعته لكنه بنى مدينة الاسكندرية قصداً لمزاحم صور في التجارة فكان ذلك اشد عليها بمرات مما نكبها به هذا المكدوني الظافر لان الاسكندرية قاسمتها بعد ذلك التجارة وذهبت بقسم عظيم منها . فمن ثم لم ترجع صور الى عزها بعد فتح الاسكندر

كما رجعت اليه بعد فتح نبوخذ نصر · لكن لما لم يكن في استطاعة الاسكندرية ان تحول كل موارد التجارة عن سواحل سوريا بقيت صور وغيرها من مدن الساحل بمكان من العظمة والاهمية كل ايام خلفاء الاسكندر وايام الرومانيين وايام الخلفاء من بعدهم في دمشق وبغداد الى ايام غزوات الصليبيين · كل ذلك لان مقتضى احوال العمران لتلك الازمنة وعلاقات الممالك والشعوب بعضها ببعض كانت تقضي ببقاء المدن السورية صور وغيرها محطاً لقسم كبير من تجارة المعمور حينئذٍ · لكن الغزوات الصليبية غيرت من علائق الامم فنشأ في اثنائها على شواطئ ايطاليا مدن تجارية قضت الاحوال الواقعة ان تتقوى تلك المدن شيئاً فشيئاً وتعظم تجارتها فلم تنقض تلك الغزوات الا وهذه المدن من اهم مراكز التجارة بين غربي اوروبا وغربي اسيا وابتزت من المدن السورية معظم ما ابقته لها الايام بعد بناء الاسكندرية من موارد التجارة · فخربت مدينة صور العظيمة وقارب غيرها الخراب وانحطت سوريا اجمالاً الى حالة لم تعرفها من قبل · ولو وقفت الحال عند الحد الذي اشرنا اليه من قيام المدن الايطالية التجارية لهان الامر على سوريا كما هان عليها قيام الاسكندرية من قبل لكنّ البرتغاليين اهتدوا الى طريق راس الرجاء الصالح فجعلوه طريقاً جديداً للتجارة بين اوروبا والشرق ثم لم يلبث ان اكتشفت اميركا ايضاً فتحولت وجهة التجارة راساً بين اوروبا وآسيا اليها وقامت المدن التجارية في اسبانيا وفرنسا وهولانده وانكلترا فكان ذلك الضربة القاضية على جميع مدن سوريا · لكن مع ذلك بقيت بعض القوافل تتردد في التارات بين سوريا والعراق فبقي بسبب ذلك في البلاد دماء من الحياة التجارية · فلما انفتحت ترعة السويس ذهبت بقية تلك الحياة

وليس اللوم على السوريين في شيء مما صاروا اليه من التراجع لانهم لا يستطيعون ان يعارضوا مجرى الايام ولا ان يغيروا من طبائع العمران والامر لله يفعل ما يشاء · فهذا كان ايها السادة سبب عظمة سوريا وهذا كان ايضاً سبب انحطاطها لا ما قد يقال من الاسباب فانها جميعها ثانوية ما عدا الاسباب التي ذكرناها فان المتأمل لا يرى بدّاً من التسليم بها

﴿ السؤال الرابع ﴾

بقي عليَّ السؤال الاخير وسأختصر في جوابه ما استطعت وهو بماذا ترجع سوريا الى عزها القديم · ايها السادة · ينتظر ممن كان في صناعة مثل صناعتي وفي موقف كموقفي ان يسند اسباب عظمة سوريا في المستقبل الى العلم وانا لا انكر دخل العلم ولا اهميته في تقدم البلاد

على العموم لكن ما هذا قصدت لانه سبب عام تشترك فيه كل بلدان المسكونة على السواء. وهو اوضح من ان يحتاج الى تخصيصه بالذكر انما قصدت سببين عظيمين (اولها) البيت العثماني الكريم (والثاني) الزراعة وما يلحق بها من تربية الحيوان والنبات وتسهيل جميع وسائط النقل والمواصلات . ولما كان هذان السببان من الاهمية بمكان رايت ان استعطفكم بيضع دقائق بعد ولو شق ذلك على حلمكم والكريم من صبر . ايها السادة. ان البيت العثماني وجد سوريا بل كل البلاد من البحر المتوسط غرباً الى اطراف ما بين النهرين شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الهندي جنوباً في حالةما بعدها حالة من التفرق وانقسام الكلمة. ووجدها ايضاً تكاد تكون خلواً من الصناعة ومن اهل الصناعة ايضاً فضلاً عن انحطاطها في الزراعة الى آخر ما يمكن لبلاد كبلادما بين النهرين ان تنحط اليه. وفوق كل ذلك وجدها وقد تحول عنها طريق التجارة فبلغت من جراء ذلك الى اقصى درجات الفقر والخمول بما جعل الهمم تتراجع والنفوس تتصاغر والايدي تنكمش حتى عن الجد في تحصيل اسباب المعاش . فجعل هذا البيت الكريم من همه اولاً ان يجمع شتاتها . ويضعها جميعاً تحت راية واحدة ولسلاطينه العظام من السعي المشكور في هذا السبيل ما يخلد لهم الذكر مدى الدهر . لكن قضى الله ان يكون اكبر الفخر لواسطة عقد هذا البيت الكريم جلالة مولانا عبد الحميد خان فانه اخرج الى حيز الوجود ما كانت اباؤه العظام تحوم حوله ولا تقع عليه اعني توحيد الكلمة وجعل هذه البلاد الواسعة الخصيبة الطيبة الماء والهواء مملكة واحدة عثمانية وشعباً واحداً عثمانياً . فلسنا بعد كما كنا في ايام الرومانيين مثلاً شعوباً وممالك متفرقة تحت راية واحدة قاهرة بل نحن اليوم شعب واحد ومملكة واحدة عثمانية شملها السلام من اقصاها الى اقصاها . هذا هو الركن الاول وهذا هو الركن الاساسي الذي وضعه جلالة عبد الحميد لتبنى عليه عظمة بلادنا في المستقبل . ولا يدعني الوقت ان ابين ما لجلالة مولانا السلطان من الفضل الباهر في وضع هذا الاساس العظيم المتين على ان التفاتة واحدة الى الخارطة تغني عن الكثير من الشرح والايضاح فلنتقدم الان الى السبب الثاني وهو الزراعة وتوابعها فاقول

﴿ الزراعة دون سواها ﴾

انتم تعلمون ايها السادة ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه انما هي التجارة والصناعة والزراعة وقد رأينا ان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي ولا شك ان عليها ايضاً تقوم عظمتها المستقبلة . لا طريق ولا

واسطة غير ما ذُكر· اما العلم ففائدته واهميته انما هي في ترقية هذه الاركان الثلاثة· وعليه فيهمنا ان نعرف باي هذه الاركان نبتدئ اليوم والى ايها ينبغي ان توجه رجال البلاد ومن يتوقف عليهم تقدم البلاد الهمة والاعتناء خاصة· أالى التجارة؟ وتعلمون ماذا يراد بالتجارة كلا ذلك زمن قد مضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر· افتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر· انستطيعون ان تمحوا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط؟ انستطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجاء الصالح وتردمون ترعة السويس؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة ووجهوا اليها عنايتكم الخاصة· بماذا تبدءون اذن؟ لعلكم تقولون نبدأ بالصناعة لكن اي صناعة تعنون اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم؟ لا شك انكم تعنون الصناعة الاوروبية لكن فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة· وقد رأينا قبل الان ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبيهات والاحلام التي لا تجدينا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة· تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائط النجاح امامنا الان· ولا تحلموا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضغاث احلام تعلمون بطلانها ولو بعد حين· اذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة· واعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها· اعقدوا شركات لشراء الاراضي واستعمارها· اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان· اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات· لكن قبل كل ذلك تعلموا كما يتعلق بما تعقدون لاجله الشركات فلا تقدموا عليه من غير علم ولا سابق اختبار فان ذلك يقضي بالخيبة والفشل· فيا شبان البلاد المتعلمين والمتهذبين ويا اصحاب الهمة والعزيمة الراغبين في ان يبنوا لهم ولبلادهم مستقبلاً مجيداً وجهوا خواطركم الى استعمار اراضي بلادكم الواسعة الخصيبة فانكم لستم افضل من ابناء الانكليز ولا تجارتكم كتجارتهم ولا صناعتكم كصناعتهم ومع ذلك فان مئات من نخبة شبانهم وابناء الاغنياء والمتوسطين منهم يدرسون سنوياً في المدارس الزراعية فيتعلمون كيف يفلحون ويزرعون وكيف يربون الحيوان ويغرسون الاشجار المثمرة والمغروسات النافعة ويتعلمون كيف يصلحون الالات الزراعية وكيف يخططون الطرق العادية والحديدية ثم يرحلون في طلب الاستعمار الى اراض تأكل اهلها الى افريقيا واستراليا وجزائر المحيط· فتعلموا مثلهم وانتم في غنى عن شبه مهاجرتهم الشاقة لان بلادكم

جنة الله في ارضه ومن الجهل ان تتركوا استغلالها الى التعلل بالامال الفارغة والصناعات الخاسرة والاستخدامات الكاسدة فضلاً عن ان هذه الصناعات وتلك الاستخدامات سيسد بابها عما قليل فتمسون انفسكم باطلاً وتقتلون اوقاتكم بالتشهيات والتشكيلات . انا اعلم ان كلامي لا يصادف الان اذاناً سامعة لكن غاية ما في وسعي ان انبه الى الخير ولا تكلف نفس الا وسعها

خريسطوفوروس جباره

لبعض الناس القصيري النظر والقاصري الحكم خصلةٌ مستهجنة وهي انهم ينظرون في كل شؤونهم الى من يقول القول لا الى القول نفسه . فاذا راموا الحكم على رأي من الآراء لزمهم ان يسألوا عمن رآه ومن قاله فاذا كان القائل يظهر كبيراً في مخيلتهم «الذبابية» اعظموا القول وقائله واذا كان يظهر غير كبير صغروا القول وقائله . فشانهم في ذلك شان من لا باصرة له تحكم وتعقل وانما يبني حكمه على حكم سواه

وهذا الداء كثير الانتشار في الصحف العربية الشرقية وذلك من سوء حظ الادب العربي والنهضة الادبية الشرقية لانه بمثابة عثرة في طريقها . ولكن لهذا الداء دواء وهو رجوع كل كاتب الى نفسه والى عقله في الحكم على الاشياء والاشخاص التي تمرُّ تحت نظره ووضعها في الموضع الذي تجعلها فيه باصرته دون محاباة ولا مراعاة عملاً بناموس الانصاف وان كان في ذلك ما ينافي هواه او مصلحته .

ومن اجل هذا نرى واجباً ان نقطع في هذا الفصل حبل السكوت عن رجل توفي في الشهر الماضي واكثر القراء يعرفونه او سمعوا باسمه . وهذا الرجل هو المرحوم خريسطوفوروس جباره الذي اخذ على نفسه في حياته مسألة توحيد الاديان اليهودية والمسيحية والاسلامية او اظهار «الوفاق بين التوراة والانجيل والقرآن» كما كان يقول . فانه لا يحسن ان ينتقل من هذا العالم رجل اقدم على عمل هائل كذلك العمل دون ان يودّع بفصل يُظهر للقراء حقيقة ذلك الرجل الذي كان يحسب انه يعمل عملاً عظيماً لم يسبقه اليه احد من المتقدمين والمتأخرين

وكان بدء معرفتنا به ارساله الينا في عام ١٨٩٩ مؤلفاته مشفوعة بكتاب طويل قال فيه «بما انكم تحبون وتخدمون الامة باحسن ما تستطيعون وضمّ قلوب الامة المتفرقة في الله

واتحاد ارواح عقائدها هو على اعتقادي من اقوى وانفع واثبت واهم الخدم للشعوب العثمانية وللدولة فاقدم اليكم آخر مؤلفاتي في هذا الباب راجياً مطالعتها » وقد تصفحنا هذه المؤلفات وهي تزيد على الخمسة والستة فراينا انه قد صرف جهده فيها الى اقامة البرهان على خطاء المسيحيين والمسلمين واليهود في ما يعتقدونه في هذا الزمان . خطأ المسيحيين لانهم يعتقدون بلاهوت المسيح والمسلمين لانهم لا يعتقدون بصحة الانجيل واليهود لانهم ينكرون مجيء المسيح . وحاول ان يثبت من كتب هذه الطوائف الثلاث ان اديانهم وكتبهم متفقة لا خلاف فيها البتة فلا موجب لهذا العدوان بين بعضهم البعض

وقد قدم من العاصمة الى الثغر بعد ارساله مؤلفاته الينا ببضعة اسابيع فزارنا للمرة الاولى فوجدناه ربعة الجسم عريض العضلات قصير القامة بلحية طويلة يخالطها الشيب وجه دموي فوقه طربوش وتحته قفطان اسود بسيط . فتاملنا في وجه هذا الرجل الذي كان يضع نفسه فوق الامم المعاصرة ليعلمها ما كان يسميه الدين الحقيقي فلم نجد في عينيه تلك القوة التي تكون في عيون قادة الامم ولا في نفسه تلك الحماسة التي تسري من الانبياء الى شعوبهم كما تسري الكهربائية من جسم الى جسم فتكهربه . بل راينا امامنا نظراً جامداً لا يدل على نباهة ولا خمول وجسماً فيه المادة اقوى من الروح . غير اننا وجدنا في مقابلة ذلك لساناً طلقاً لا يكلّ ولا يملّ كانه مركب فوق لولب

فاخذ خريسطوفوروس يحكي لنا تاريخه . فقال انه كان من قبل ارشمندريتاً في « انطوش » ارثوذكسي في روسيا فسعى سعياً حثيثاً لتعمير هذا الانطوش وبناء كنيسة هناك فتمكن من ذلك وصار محترماً محبوباً . فخطر له في ذات يوم ان يكتب الى بعض اخوانه من رجال الدين في سوريا ان يسعوا لجعل البطريرك اليوناني في دمشق من ابناء العرب السوريين . فوقع هذا الكتاب في يد البطريرك اليوناني فعزله من رئاسة الانطوش واستقدمه الى دمشق . وكان خريسطوفوروس قد انفق على الانطوش نفقات طائلة بعضها من ماله وبعضها مما جمعه من المحسنين فلما قدم الى دمشق الشام طالب غبطة البطريرك بالدين الذي له على الانطوش فلم يعرفه له بل ابقاه في دار البطريركية ذليلاً مهملاً . قال فانقطعتُ اذ ذاك الى التامل في الاديان الحاضرة ومطالعة القرآن والانجيل والتوراة . وكنت في اثناء حياتي الماضية اشعر بقلق واضطراب في ضميري . وما زلتُ على هذه المطالعة حتى وقفت على الحقيقة وظهر لي السرّ العظيم ... فشعرت حينئذٍ بان ناراً تضطرم في نفسي وبان صدري مخبأ للحقيقة العظمى التي اكتشفتها والتي كنت اخشى ان

اموت ولا ادعو الناس اليها . فسافرت الى اميركا وعرضت مبداءي في مؤتمر الاديان فاجمع الاعضاء على استحسانه ... ثم جئت الى مصر وانشأت جريدة واخذت ادعو فيها الى الحق والفت كتباً ايضاً .

فقلنا له وماذا كان رأي الناس فيك . فضحك وقال كان رايهم فيَّ كما كان رايهم في كل من يقوم ويدعوهم الى امر جديد . ولكن مساكين هؤلاء الناس فانهم كلهم في ضلال مبين ...

فشرحنا لخريسطوفوروس حينئذٍ خشونة المركب الذي ركبه ونحن نظن ان المنطق يجد سبيلاً الى عقله . فقلنا له ان الاديان كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقضي بحب القريب واتباع الفضائل ونبذ الانانية فهل رايت كثيرين من أتباعها يعملون بذلك ويتبعونه . فالداء اذاً ليس في الكتب ولا الاديان وانما الداء في نفوس الناس . ولا سبيل الى تغيير هذه النفوس لتعامل بعضها بعضاً كبشر لا كحيوانات الا متى انقشعت غيوم الجهل عنها وارتقت واستنارت . وهذا الامر لا يتم باقامة البرهان على خطاء اصحاب الاديان ولكن باطلاع الناس على نواميس الطبيعة واسرار الكون ومبادىء الحياة واصول الاداب والفضائل فان هذه المبادىء متى دخلت نفس الانسان جعلتها قوية على الاوهام هادئة لدى كل معارك الحياة ونبذت منها كل ما يحول دون الالفة بين البشر . فانشاء مملكة الله في الارض عمل علمي ادبي اكثر مما هو لاهوتي . وذلك العمل بطيء الحصول ولا يتمّ الا بالتدريج الذي هو قاعدة من قواعد العلم والطبيعة . ثم انك هل رايت المسيحيين متفقين فيما بينهم لتجوز لك الدعوة الى اتفاق الامم الاسلامية والمسيحية واليهودية معاً .

فاجاب ان البشر من ام واحدة وجبلة واحدة فحرام عليهم ان يبقوا مبغضين بعضهم بعضاً . فقلنا له انك اجبت عن الاعتراض الاخير ولم تجب عن الاعتراض الاول . فقال ان الاعتراض الاول بحث علمي ونحن لا نبحث الآن في العلم

فعلمنا حينئذ ان العقل الذي كان امامنا عقل منصرف الى المجادلات الدينية العقيمة لا يفهم القاعدة العلمية ولا يعرف تاثيرها ولا يُدرك انه لا يمكن حدوث شيء في هذا العالم بدونها . وتحققنا حينئذ ان المرحوم خريسطوفوروس يسير على غير هدى ولا نظام في جميع اقواله واعماله كانَّ الموازنة غير مستوية في نفسه رحمه الله

ثم غاب عنا خريسطوفوروس بضعة اسابيع وعاد الينا فسألناه اين كنت في هذه المدة قال سافرتُ الى دمشق الشام لتهنئة غبطة البطريرك الانطاكي العربي بجلوسه في كرسي

البطريركية لانني كنت في مقدمة الداعين الى اخراج هذا الكرسي من ايدي اليونان الى ايدي العرب . فجبينا لهذه السفرة بعد ما كنا قد سمعناه من فم من القامل الخفيف على بعض رجال الاكليروس وسالناه ماذا حدث لك في دمشق وكيف استقبلت فيها . فقص علينا قصة طويلة خلاصتها ان بعضهم زين له الرجوع الى كنيسته فاظهر لهم الطاعة والرضوخ لان السلطة التي كان يقاومها قد زالت وله حقوق قديمة في انطوش روسيا يروم المطالبة بها . ولكن وقع الاختلاف بينه وبينهم على امر التوبة . فانهم كانوا يطلبون منه بناء على القانون كتاباً يظهر فيه توبته ونبذه لكل الاقوال التي قالها والكتابات التي كتبها ورجوعه الى الحظيره برضائه واختياره وبعد ذلك يسمحون له بالاقامة في احد الاديرة ويحسنون معاملته ويعوضون خسارته . وهو كان يقول لهم انه لا يستطيع مخالفة اعتقاده ونبذ المذهب الذي دعا اليه وانما يرضى بالاقامة في دير والخلوة فيه الى نفسه وضميره ليرى اذا كان الله يغير ما بنفسه او يبقيه على اعتقاده

فلما قال هذا القول حدقنا جيداً في عينيه لنقرأ فيها جواباً لسؤال قام حينئذٍ في نفسنا . وهو هذا : اخلص هذا الرجل في كلامه ؟ احقيق انه يوجد الآن تحت سماء الشرق رجل يعرضون عليه رئاسة ومكافأة ليغير فكره ولا يغيره ؟ وقد قام في نفسنا هذا السؤال (وليس في قيامه شرف لمبادىء الادبية في الشرق) لما هو مشهود من « رخص » الافكار عندنا والأسفاه وسرعة تغيرها في نفس كل ذي فكر طبقاً لمصلحته وهواه

على ان الامر الذي استنتجناه من هذه الحادثة الثانية مع المرحوم خريسطوفوروس هو الاسف من ان الرجل لم يرجع من مقام البطريركية راضياً راضخاً . وقد قلنا غير مرة في نفسنا انه لو تمّ ذلك لكان لغبطة البطريرك العربي فضل عظيم في اصلاح ما افسده البطريرك اليوناني لاننا نعتقد ان التبعة في شذوذ خريسطوفوروس واقع نصفها ان لم يكن كلها على السلطة الدينية التي احرجته في بدء امره فاخرجته عن دائرة العقل والتعقل . ولا عبرة بانه كان ذا استعداد لذلك فان مسبب الشر كفاعله . وقد قيل الويل لمن تأتي العثرات على يده

ولكن يظهر ان هذا الشرّ الذي جاء على يد بطريرك يوناني لم يُكتب اصلاحه الا لبطريرك يوناني . ونعني به غبطة الحبر الجليل السيد فوتيوس بطريرك كرسي الاسكندرية فانّ غبطته حين وفاة المرحوم خريسطوفوروس في العاصمة في الشهر الماضي لم يتردد في قبوله في دائرة سلطته واعتباره كرجل من ابناء رعيته وهذا مما دل على حكمة غبطته

آثار من قبل الطوفان

هل كان الطوفان عاماً على وجه الارض . مسألة اختلف فيها العلماء وان اتفق عليها اللاهوتيون . ولهم في انكار ذلك التعميم ادلة علمية وتاريخية وانثربولوجية لا محل لذكرها في هذا المقام . بل ان بعضاً منهم يذهبون الى انكار الطوفان نفسه ويعتبرونه من جملة الاقاصيص والاساطير الخرافية القديمة . قال احد هؤلاء المنكرين . ان الارض اقدم مما يظنه القائلون بالطوفان والعمران فيها قديم العهد جداً ايضاً وهو ادوار يتلو بعضها بعضاً على وجه غير متصل . وقد كانت اسطورة الطوفان بعد واحد من تلك الادوار . فانه كان في العالم قبل تمدن الاشوريين والكلدانيين والمصريين والصينيين والرومان واليونان تمدن عظيم لا يعرف التاريخ شيئاً عنه وعن اهله . وقد بلغ الناس في عهده فوق ما بلغوه في هذا الزمان من الحضارة والخلاعة والزحام على الحياة والتانق وحب صلاح الحال . وكانوا كلما ازدادوا انهماكاً في هذه الشؤون ازدادت اخلاقهم بعداً عن الصلاح وقرباً من الفساد . ثم دالت دولة ذلك التمدن فانقرض وزال فقال مؤرخوه ان الله اهلك اولئك البشر بطوفان عظيم عقاباً لهم على فسادهم وشرورهم

ومن اجل هذا تجد كثيرين من العلماء الماديين الذين لا يثقون بتقدم العالم واستمرار الارتقاء البشري يتساءلون هل تُقضي على البشر بما قضي على طائفة النمل . فان هذه الحيوانات الصغيرة تصل في حياتها الى درجة من (التمدن) محدودة فتي بلغتها وقفت عندها ولم تتجاوزها . فهل ان الخالق سبحانه وتعالى وضع حداً لتمدن الانسان كما وضع حداً (لتمدن) الحيوان

على اننا اذا كنا لا نعرف شيئاً عن تمدن البشر واخلاقهم قبل العصر الطوفاني فاننا نعرف شيئاً كثيراً عن الحيوانات التي كانت رفيقة للانسان في ذلك الزمان . وانما نعرف ذلك من بقاياها في جوف الارض وهذه البقايا لا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام

وآخر ما عثروا عليه منها وجدوه في ارض واسعة في « بيكرمي » على مسافة عشرين كيلومتراً من آثينا . وقد حملت احدى السفن الانكليزية من ثغر بيره اليوناني في اواخر الشهر الماضي اربعين صندوقاً مملوءة ببقايا الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان لوضعها في المتحف الانكليزي في لندن

وقبل الكلام على ارض بيكرمي التي تستخرج تلك البقايا الحيوانية القديمة منها نشير الى كيفية ترتيب البقايا في الارض . فنقول ان في جوف الارض خمس طبقات مختلفة وكل طبقة منها تدل على ان حادثاً طبيعياً عظيماً قد حدث على سطح الارض فغطاها بشيء لم يكن لها ودفن تحت هذا الشيء الحيوانات التي كانت على وجهها . ومن الغريب ان النابشين لا يجدون تحت القشرة الاولى او الطبقة الاولى الا حيوانات صغيرة غير تامة الخلقة فكأنَّ الارض كانت يومئذ في بدء نشأتها . ولكن قد يكون في هذه القشرة اشجار متحجرة هائلة الحجم . واما الطبقة الثانية ففيها كثير من انواع الاسماك والزحافات الكبيرة ولكن لا اثر فيها لذوات الثدي . واما الطبقة الثالثة ففيها ذوات الثدي كالفيل العظيم ووحيد القرن وغيرها من الحيوانات المجترة والقارضة والطيور . واما الطبقة الرابعة ففيها الحيوانات العائشة في هذا العصر . وقد تمكن العالم كوفيه من ترتيب هذه الحيوانات بحسب نشأتها وقدميتها

اما ارض بيكرمي التي تقدم ذكرها فقد كانت من قبل لدير يوناني على سفح جبل بانتليكوس في طريق ماراتون . وسبب اكتشاف تلك الآثار الحيوانية فيها ان جندياً بافارياً كان يحفر في تلك الارض في عام ١٨٣٨ فوجد فيها حفرة فيها كثير من بقايا الحيوان فحملها الى اثينا وعرضها على علمائها فتحققوا انها من الحيوانات القديمة . فجاء بعده الاستاذ روس من اساتذة كلية مونيخ وحفر في تلك الارض فوجد فيها كثيراً من الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان فعاد بهذه الغنيمة الى متحف مونيخ . فثار حينئذ ثائر علماء اوروبا واقبلوا على الحفر في تلك الارض . فوجد فيها المسيو كودري الفرنسوي في عام ١٨٦١ كثيراً من البقايا الحيوانية منها حيوان سماه «فارة بيكرمي» وفرس من الافراس التي كانت تعيش قبل الطوفان وهو يختلف عن افراس اليوم من حيث شكل حافره . وفي عام ١٨٨٣ حفر فيها الاستاذ دوتر الالماني وفي عام ١٨٨٥ حفر فيها الاستاذ نوماير النمساوي . وفي الاعوام الاخيرة حفر فيها المستر ارتور وود ناظر المتحف الانكليزي في لندن فوجد من البقايا الحيوانية ما ملأ به الاربعين صندوقاً التي تقدم ذكرها وفي جملتها كثير من رؤوس الخنازير الوحشية التي كانت تعيش قبل الطوفان واسنانها لا تزال مركبة في افكاكها واسنان الفيلة العظيمة التي كانت تعيش في ذلك العصر البعيد وفي جملتها سن طولها متر واحد وهو اطول سن عُرِف للفيل الى هذه الايام . وقد كان اكتشاف النابش الانكليزي اهم من جميع الاكتشافات التي تقدمته

على ان الحفر في هذه الارض لم ينقطع الى اليوم. فان عالماً ايطالياً يطلب الآن من صاحبها المسيو سكوتس الذي كان وزيراً للشؤون الخارجية اليونانية في وزارة المسيو دلياني ان يسمح له بالحفر والحكومة الايطالية تعضده . ولا ريب ان المسيو سكوتس يجيبه الى ذلك كما اجاب الذين تقدموه

وقد استدل الباحثون من هذه الآثار على امر ذي بال . فانهم تحققوا ان البقايا الحيوانية المذكورة لا تشبه البقايا الحيوانية التي وجدت في ارض اوربا ولكنها تشبه كل الشبه البقايا التي وجدت في جزائر اليونان وفي ارض آسيا . ولذلك قالوا ان ارض اليونان كانت في الزمان القديم متصلة بآسيا ومنفصلة بالبحر عن اوربا خلافاً لما هي فيه في هذه الايام من انفصالها بالبحر عن آسيا واتصالها باوروبا

طريقة صيد الثعلب

للصيد شأن عظيم عند الناس فبعضهم يتخذه للارتزاق والتجارة وبعضهم للهو والتسلية. وهو انواع بعضه بالرصاص وبعضه بالكلاب . والحيوانات المصيدة انواع ايضاً اهمها شاة الجبل والخنزير والارنب والثعلب والذئب والاسد والفيل والطيور بعضها للانتفاع بلحمها وبعضها للانتفاع بريشها وجلودها. ومن النوع الثاني صيد الثعلب الذي كان له في انكلترا والقطر المصري في الشهر الماضي طنين ورنين بناء على ما قام من الخلاف بين بعض من ضباط الجيش الانكليزي في العاصمة وخفراء منزل المستر بلنت الايرلندي في المطرية . فان بضعة من الضباط خرجوا في ذات يوم لصيد الثعلب ومعهم كلاب استقدموها من انكلترا لهذا الغرض فلما وصلت الكلاب الى حديقة المستر بلنت في المطرية دخلت الحديقة لتطارد ثعلباً شاهدته فيها فلحقها الضباط . فخرج اليهم حينئذٍ خفراء الحديقة وحدث بين الفريقين نزاع شديد ادى الى ضرب واهانة . فحوكم الخفراء وحُكم عليهم بالسجن فاكبر المستر بلنت صرامة الحكم وكتب الى الجرائد الانكليزية بذلك وسأل اصدقاؤه في مجلس العموم الانكليزي الوزارة عما صنعه الضباط من دخولهم الى حديقته للصيد فيها . ولم تكن كل تلك الجلبة والضوضاء الا من اجل ثعلب

ولصيد الثعلب شأن عظيم في انكلترا وهو من اشهر ضروب الصيد هناك ويقصدون



﴿ عرابي باشا ﴾

كان اذاً آفة لوطنه وخائناً لمليكه . وكانَّ ناظم الابيات التالية قد ترجم عن عواطف هذا الفريق لما قال هذه القصيدة الرشيقة التي تنمُّ على ناظمها كما ينم العطر على العطار ومطلعها

صغارٌ في الذهاب وفي الاياب	اهذا كل شانك يا عرابي
عفا عنك الاباعد والاداني	فمن يعفو عن الوطن المصاب
فعش في مصر موفور المعالي	رفيع الذكر مقتبل الشباب
افرق بين سيلان ومصر	وفي كلتيهما حُمر الثياب

ولكننا نرى انَّ بين هذين الطرفين وَسطاً للعاقل البصير . والتاريخ العادل المنزه عن الهوى اذا رام ترجمة عرابي لم يحسب له سيئةً قيامه الى طلب الاصلاح في زمن كانت فيه الحقوق مهضومة والظلم فاشياً فان ذلك نظام طبيعي اذا لم يظهر على يد عرابي ظهر على يد سواه وهو من نتائج الاختلال وسوء الحال . ولكن السيئة الكبرى التي يدونها له تاريخ مصر ويعتبرها خروجاً عن جادة السياسة الصحيحة والنظام الطبيعي الذي لا يتمُّ شيءٌ بدونه هي قيامه على السلطة الخديوية واعتبار الخديوي امير البلاد وصاحبها عدوًّا له ولما فضلاً عن اثارته الضغائن الجنسية في النفوس اثارة افضت الى مذبحة الاسكندرية المشهورة . فلو كان عرابي اوفر علماً باسرار السياسة الدولية واكثر اطلاعاً على حوادث عصره وبجرى

زمانه ولو كانت نفسه مستعدة استعداداً حقيقياً لتكون زعيمة حزب عظيم وفيها ما يجب ان يكون فيها من السلطة لكبح جماح العامة حين جموحها كما كان فيها من المقدرة على اثارتها لأزال ما كان امامه من الصخور المائلة • وهنا موضع الخلاف بين عرابي وخصومه فانه ما فتىء ينادي من جزيرة سيلان في كتب خصوصية وغير خصوصية انني لم اصنع ما صنعت الا خدمة لوطني واعلاء لشأنه • فيرد عليه اولئك بقولهم ان قيامك على سيد البلاد قياماً اضطر دولة اجنبية للدفاع عن سلطته قد اضاع البلاد ومن فيها فاذا كانت نيتك حسنة فان سياستك كانت من اقبح السياسات

﴿ خلاصة ترجمته ﴾ ولا بدّ في هذا الفصل من الالمام بشيء من ترجمة عرابي لتمة الفائدة • فنقول انه احمد عرابي الحسيني ولد في عام ١٨٣٩ ولما بلغ السنة الرابعة عشرة دخل المدرسة العسكرية وخرج منها في ايام المرحوم سعيد باشا فانتظم في سلك الجيش ولكنه لم يلبث ان طُرد منه على ما يقال لسوء سلوكه بعد جلده عقاباً له ولعل ذلك لشدة عناده في شبابه • وبعد ذلك دخل الى الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج بجارية لاحد الباشوات ثم عاد الى الانتظام في سلك الجيش في ايام المرحوم اسماعيل باشا وشهد القتال بين مصر والحبشة برتبة قائمقام دون ان يمتاز بشيء في تلك المعركة • ولما عاد من السودان اخذ يسعى في تاليف جمعيات سرية لمقاومة الجراكسة الذين كانوا اصحاب الكلمة في الجيش فالقي عليه القبض في عام ١٨٨١ ولكن انصاره هجموا على السجن فكسروا ابوابه واطلقوه • فكبر الامر على وكيل انكلترا ورام خنق هذا المبداء قبل استفحاله فامتنع وكيل فرنسا من الاشتراك معه في ذلك في بدء الامر ظناً منه ان عرابي ورفاقه مخلصون في دعوتهم ومطالبهم (نقلاً عن المسيو بوردو) وبعد ذلك عظم الامر فوردت على حكومة مصر مذكرة من الدول تقضي بمنعها من انشاء مجلس نيابي فيها كما كان يطلب عرابي فلم يمتثل عرابي وكان قد مُنح رتبة باشا فانتخبه المجلس النيابي المذكور ناظراً للحربية بالرغم عن طلب انكلترا وفرنسا نفيه من القطر المصري • فعظم نفوذ عرابي يومئذ واخذ يقاوم السلطة الخديوية لانها كانت لا تجاريه على مراده فارسلت الدولة العلية في ٨ يونيو من عام ١٨٨٢ درويش باشا للتحقيق في المشكلة المصرية ثم اشتد الخلاف بين المرحوم توفيق باشا وعرابي فاعلن عرابي ازال الخديوي عن كرسيه فهال اوربا الامر ثم كانت مذبحة الاسكندرية في ١١ يونيو فضرب الاميرال السر بوشان سيمور قائد الاسطول الانكليزي الاسكندرية واحتلها تأييداً للسلطة الخديوية فلجأ عرابي بجنوده الى التل الكبير فسارت اليه الجنود الانكليزية ففرّ من

وجهها عرابي وجنوده من غير حرب ولا قتال وهذا مما اسخط الناشئة المصرية اسخاطاً شديداً عليه وجعل احدها وهو الشاعر الذي تقدم ذكره يقول في تلك القصيدة

واذ ضربوا وسيفك لم يجرد ... واذ دخلوا ونعلك في الركاب

واذ مُلئت لك الدنيا نفاقاً ... وضاقت بالغباوة والتغابي

واذ تُلقى المعالي بالتمني ... واذ يُجزى الاعادي بالسباب

واذ تُعطى الاريكة في النوادي ... وتُعطى التاج في هزل الخطاب

وبعد ذلك دخلت الجنود الانكليزية الى القاهرة وعادت السلطة الى الخديوي توفيق وحوكم عرابي ورفاقه فحكم عليهم بالاعدام فاستبدل الخديوي هذا العقاب بالنفي الى جزيرة سيلان · فشيعه الناس يومئذ في مصر والشام باناشيد عامية كما يستقبلونه الآن بقصائد ومن تلك الاناشيد قولهم

ياديني وانتَ ديني ... يازهر البساتين

املي الكاسات واسقني ... بالسنه مرة

يادبني كتاكوت ... يادبني كتاكوت

عرابي باشا عما يموت ... كشحوه برا

وما زال عرابي باشا ورفاقه في جزيرة سيلان حتى صدر العفو عنهم في هذا العام من الجناب الخديوي المعظم مولانا عباس باشا الثاني فاخذوا يعودون الى وطنهم الذي غادروه في حال ويجدونه في حال

﴿ منفاه ﴾ اما «سيلان» التي كانت منفى عرابي ورفاقه فهي جزيرة انكليزية في جنوبي الهند عدد سكانها ثلاثة ملايين نفس وربع مليون وعاصمتها مدينة « كولومبو» · ولهذه الجزيرة تمدن قديم تدل عليه الآثار القديمة التي لا تزال فيها · وقد روى العالم الطبيعي الروماني بلين الكبير ان جزيرة « تابروبانه » (كما كانوا يسمون سيلان في تلك الايام) اوفدت اربعة سفراء الى الرومانيين للتقرب من حكومتهم · وقد ساح في سيلان السائح الصيني (فاهيين) في القرن الرابع للميلاد المسيحي وكتب تفاصيل رحلته وفيها من الاعجاب بفخامة بنيان مدينة (انورادارو با) التي كانت عاصمتها واتساع عمرانها ما يدل على مبلغ حضارتها في ذلك الزمان · ويقال ان هذه المدينة كانت محاطة بسور عظيم يضم بين جدرانه مساحة ٢٥٠ الف ميل وقدتمَّ بناؤه في القرن الاول للميلاد · وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم

اما سكان هذه الجزيرة فهم خليط من الفداهيين والسنجاليين · والاولون قبائل متوحشة تعيش في الجبال والاحراش والآخرون متمدنون بعض الشيء · وكان فرسان العرب يشنون الغارة على سيلان قبل عام ١٥٠٥ ويعودون منها بالاسلاب والغنائم فبعد هذا التاريخ نزل البرتغاليون في الجزيرة وحالفوا ملوكها فكانوا اول مستعمريها · ثم قلب البرتغاليون ظهر المجن للسكان واستولوا على شواطىء الجزيرة كلها وفي عام ١٦٠٢ جاء الهولانديون واتحدوا مع السكان عليهم فغصبوهم الشواطىء وحلوا محلهم · وفي القرن الثامن عشر جاء الانكليز في نوبتهم وحلوا محل الهولانديين فطردوهم عن آخرهم في عام ١٧٩٥ وفي عام ١٨١٥ استقلوا بالجزيرة وخلعوا ملكها الذي كان وطنياً وكان يدعى ملك قنديا نسبة الى احدى مدن الجزيرة

ولسيلان اليوم اهمية تجارية عظمى لانها طريق جميع السفن التي تسير الى الهند والشرق الاقصى ولذلك يُنتظر ان يكون ثغر كولومبو عاصمتها من اعظم ثغور العالم في المستقبل · ويقدرون عدد سكان هذه المدينة بمائة وستين الف نفس · وفي الجزيرة غير سكانها الاصليين والنزلاء الاوروبيين كثيرون من المغاربة والجاواويين والصينيين والهنود · وفيها مغاوص للحجارة الثمينة

الامُّ وابنتها

﴿ اخلاق الامبراطورة فردريكة ﴾

لم تكد تخمد جمرة الحزن على كبيرة ملكات العالم وملوكه الملكة والامبراطورة فيكتوريا حتى اتقدت جمرة حزن اخرى على ابنتها الامبراطورة فردريكة والدة الامبراطور غليوم الثاني · وبما اننا اقفلنا باب « مشاهير المتقدمين والمتاخرين » في هذا الجزء دون ان نذكر فيه ترجمة سيدة مشهورة كما وعدنا في الجزء الماضي فاننا نعود في هذا الفصل الى ما فاتنا هناك لاطلاع القراء على لمع من اخلاق الامبراطورة فردريكة وما قاسته في حياتها من العناء ولا سيما مع البرنس بسمارك الذي كان خصماً شديداً لها ليعلم الناس ان المصائب والمتاعب لا تقتصر على اكواخ الفقراء بل انها تشمل قصور العظماء

ولقد تزوج البرنس فريدرك غليوم ولي عهد المانيا بالبرنسس فردريكة وهي في زهرة الشباب فكان المستقبل بساماً في وجهها · ولكنها ما نزلت في البلاط الالماني حتى علمت بما

ستقاسيه فيه من العناء . فان اهل البلاط كانوا ينظرون اليها نظرهم الى شخص غريب عنهم اذ لم يكن من الفة يومئذٍ بين الالمان والانكليز . وكان اشدهم وطأة عليها البرنس بسمارك فانه كان يراقبها اشد مراقبة لانها كانت زوجة ولي العهد ويخشى ان يكون لها تاثير سيء على زوجها . وكان يسميها « تلميذة غلادستون » او « الانكليزية » او « الاجنبية » ويحمل جرائده تحمل عليها حملات شديدة . ولذلك قالت فردريكة في ذات يوم قولاً يدل على مبلغ سخطها عليه . فانها كانت يوماً في قصر بوستدام فطلبت ماء فنهض البرنس بسمارك بنفسه وجاءها بكاس ماء على طبق . فالتفتت فردريكة الى احدى نسائها وقالت لها : ان هذا الرجل جعلني اذرف دموعاً بقدر ما في هذه الكاس من الماء . وكان ذلك في عام ١٨٦٧

ثم كانت حرب السبعين فبلغ بسمارك بعدها اوج العز والعظمة فازداد مراقبة للاميرة فردريكة لا سيما وان زوجها البرنس فردريك غليوم اصيب بداء السرطان في حنجرته . وقد كتب بوش صديق بسمارك في مذكرته عنه انه قال ما نصه « نحن سيئو البخت في مسالة الزواج . فانه اذا تزوجت اميراتنا بامراء اوربا وملوكها انحزن الى وطنهن الجديد كل الانحياز كالاميرة الالمانية التي اقترنت بملك بافاريا واعتنقت المذهب الكاثوليكي والاميرة الثانية التي اقترنت بالقيصر واعتنقت بالمذهب الارثوذكسي . اما الاميرات الاجنبيات اللواتي يتزوجن بامرائنا فانهن يبقين على الانحياز الى وطنهن القديم ويفضلن مصلحته على مصلحة المانيا نفسها . مثال ذلك هذه الانكليزية » يعني البرنسس فردريكة

وفي اثناء ذلك كانت البرنسس منصرفة الى العناية بزوجها المصاب . فكانت تسهر على فراشه ليلاً ونهاراً بنشاط يدل على حبها له ومعرفتها واجباتها . وكان الامبراطور غليوم الاول قد شاخ والالمانيون يتوقعون وفاته من عام الى عام ولذلك كان الاهتمام بمرض ولي العهد البرنس فردريك غليوم عظيماً جداً . وكان على فراشه فريقان من الاطباء فريق انكليزي وفريق الماني فكان الدكتور الانكليزي يتهم الالماني بالجهل والالماني يتهم الانكليزي بالمضاربة بالبورصة على حياة وارث الملك . ولما اتفقوا على اجراء عملية جراحية لولي العهد اختلفوا على الانبوبة التي تتخذ للعملية فالالمان طلبوا ان تكون المانية والانكليز طلبوا ان تكون انكليزية ورغبة في التوفيق بين الفريقين تقرر جعل الانبوبة اميركية بناء على طلب الدكتور توماس ايفان الاميركي

اما البرنس بسمارك فانه كان يقول في ذلك الوقت لبوش صديقه « ان مرضه السرطان



ولا نجاة من هذا المرض » فكانه كان مسروراً بذلك ليخلو له الجو في الامبراطورية . واما البرنس فردريك غليوم فانه ما كان يطمع في النجاة ولكنه كان يطمع في الوصول الى العرش ولو يوماً واحداً لمكافاة الاميرة فردريكة زوجته . ففي ٨ مارس من عام ١٨٨٨ ورد الخبر بوفاة الامبراطور غليوم . وكان الامير قد تماثل قليلاً بعد العملية الجراحية . فاجتمعت حاشيته كلها في قاعة القصر وفي جملتها الاميرة فردريكة والامير فردريك زوجها الذي صار امبراطوراً خلفاً لابيه . فاخذت الاميرة فردريكة تبكي . وكان بكاؤها لسببين الاول حزنها على وفاة الامبراطور غليوم الاول والثاني ذكرها الاهانات التي لحقت بها من البرنس بسمارك قبل وصولها الى العرش الامبراطوري . وكان الجميع مطرقين في تلك الساعة ينتظرون كلام « الامبراطور الجديد » واذا به قد نهض الى المائدة ووضع يده على المنشور الامبراطوري المؤذن بارتقائه الى العرش . ثم دنا من فردريكة وفي يده حمائل وسام النسر الاسود فطوق عنقها به بهيئة جدية . فانطرحت فردريكة بين ذراعيه وصارت تبكي . فالتفت حينئذ « فردريك الثالث » الى اطبائه وقال لهم . اشكركم لانكم جعلتموني احيا الى وقت استطيع فيه مكافأتها على اخلاصها وحبها

غير ان الامبراطور فردريك كان لا يزال مريضاً بدائه . وكان نجله وولي عهده البرنس غليوم (الامبراطور غليوم الحالي) من مريدي بسمارك والمعجبين به في ذلك الزمان ففي يوم عيد البرنس بسمارك شرب الامير غليوم نخبه بهذه العبارة « ان الامبراطورية الالمانية تشبه اليوم سفينة ربانها جريح ملقى امام الدفة . ففي وسط حزننا الحاضر يجب ان نوجه انظارنا الى حامل رايتنا وعمدة سياستنا اعني مستشار الامبراطورية العظيم . امد الله في عمره »

فكان البرنس غليوم كان مع البرنس بسمارك على والدته . وليس ذلك بغريب فقد روي عنه انه قال منذ سنوات « من لي بمن ينتزع هذا الدم الانكليزي من عروقي » ولعل ذلك لا يخلو من مبالغة

ومن اقوال البرنس بسمارك في الامبراطورة فردريكة « ان هذه المرأة تقلق افكار زوجها بكثرة كلامها . فانها لا تفتأ تنصحه وتعظه وهو ضعيف عن مقاومتها . ولو لم اكن انا ساهراً على راحته ومستعداً كل حين للدفاع عنه لكان خطبه كبيراً » وقد روى هذا الكلام بوش المذكور آنفاً . ومما رواه ايضاً عن لسان البرنس بسمارك قوله « انني اخشى من سلطة هذه المرأة على رجلها وشدة طاعته لها » قال شارح هذا القول فكان بسمارك كان





﴿ الامبراطورة فردريكة ﴾

ام امبراطور المانيا واخت ملك انكلترا

يكره كل شيء للامبراطورة حتى اتفاقها مع زوجها

ولكن لم يتسنَّ لهذه الامبراطورة المسكينة ان تنال المنزلة التي كانت تطمع لها في امبراطوريتها والتي كان يخشى بسمارك من وصولها اليها لانَّ زوجها الامبراطور فردريك الثالث توفي بالسرطان بعد انقضاء اربعة عشر اسبوعاً على ملكه فدخلت زوجته الامبراطورة

في زاوية النسيان . ولم تستطع الانتقام من بسمارك الا مرة في حياتها . ذلك انه لما قام النزاع الشديد بين الامبراطور غليوم الحالي والبرنس بسمارك واعيت البرنس الحيل في اقناع الامبراطور بالعدول عن سياسته راى ان يتخذ لذلك آخر حيلة في يده . فقصد الامبراطورة فردريكة وسالها التوسط بينه وبين ابنها . فرفعت راسها بعظمة واجابته — انك قاومتني في حياتي ووضعت من الحواجز بيني وبين ابني ما يجعلني الآن بلا سلطة عليه فاذا كنت عاجزة عن افادتك الآن فالذنب لك لا لي . فانحنى بسمارك وخرج صامتاً . وفي اليوم التالي اعلن استقالته

والظاهر ان داء السرطان الذي قتل زوجها قد سرى اليها ايضاً فماتت به في اوائل الشهر الماضي بعد مرض طويل اختتم حياتها بالعذاب كما مرّت بالعذاب . ولذلك تمنى اخوها جلالة الملك والامبراطور ادوار السابع امام اعضاء مؤتمر السل حين مقابلتهم اياه ان يكتشف احد العلماء دواء للسرطان فيخلد اسمه بهذا الاكتشاف

نشر صفحات مطويه

بلاد مصر

﴿ وكيف كان يصفها كتاب العرب ﴾

«ذُكرت مصر في القرآن العزيز في اكثر من ثلاثين موضعاً كما قاله السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية وقد ورد في مصر عدة اخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة

واما حديث ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً فانه يُساق اليها اقل

الناس اعمارًا فهو حديث منكر جدًا وقد اورده ابن الجوزي في الموضوعات

ومن الآثار الموثوقة في فضل مصر ما اخرجه ابن عبد الحكم عن عبدالله بن عمرو قال قبطُ مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدًا وافضلهم عنصرًا واقربهم رحمًا بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد ان ينظر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين تخضر زروعها او تنمو اثمارها. واخرج ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعي الصحابي رضي الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورًا بتقدير وتدبير حتى ان الماء يجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاؤوا ويرسلونه كيف شاؤوا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون. ولم يكن في الارض يومئذ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من اوله الى آخره من الجانبين جميعًا ما بين اصوان الى رشيد سبعة خلج . خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى اصوان بلا زاد في ظل واشجار وفواكه الى ان يصل الى مدينة اصوان

وعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبالها وانهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر رأى ارضًا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة وراى جبلاً من جبالها مكسوًا انوارًا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه اشجار مثمرة فروعها في الجنة تُسقى بالرحمة فدعا آدم في النيل بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في سهلها وجبلها سبع مرات

وعن عبدالله بن سلام قال مصر ام البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من اهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحي الى نيلها في كل عام مرتين عند جريانه يوحي اليه ان الله يامرك ان تجري فيجري كما يؤمر ثم يوحي اليه ثانيًا ان الله يامرك ان تغيض حميدًا فيغيض . وان بلد مصر بلد معافاة واهلها اهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء. ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعامًا وشرابًا .

وعن كعب قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من ارادها بسوء قصمه الله . وعن عقبةُ بن مسلم ان الله يقول يوم القيامة لساكني مصر بعدد عليهم النعماء

اسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها · وقال ابو الربيع السائح نعم البلد مصر يحج منها بدينارين ويجزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر

وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر واقام بها قال اللهم اني غريب فحببها الى كل غريب فقضت دعوته فليس يدخلها غريب الا احب المقام بها ·

وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة منهم افلاطون و بطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان في الازمنة الاول يذهب الى مصر ارباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة من الانبياء وهم موسى واخوه هرون و يوشع بن نون

ودخل اليها عيسى وتوجه الى الصعيد ثم اقام بقرية هناك تسمى اهناس ودخلها ايضاً ابرهيم الخليل ويعقوب و يوسف والاسباط وارميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام· ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من اهلها مؤمن آل فرعون الذي اثنى عليه الله في كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا في ساعة واحدة مع كثرتهم ·

وقال المسعودي ان كل قرية من قرى مصر تصلح ان تكون مدينة على انفرادها· وقال القضاعي لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر فانها لو زُرعت جميعاً لوفت بخراج الدنيا باسرها و يوجد في مصر في كل شهر نوع من الماكول او المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وربيس اي خروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بوئنه وعسل ابيب وعنب مسرى · والسبع زهرات التي تجتمع في اواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي النرجس والبنفسج والورد النصيبي والمجاني وزهر النارنج والياسمين والنسرين

وان اهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات وفي اخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قبل ان تقع · ويقال مصر باقوالها · ذُكر ذلك في جواهر البحور»

(لعبد الله بن حجازي الشرقاوي)

باب تدبير الصحة

صدقت النساء المقربَطات

واخطأت الضاحكات

تُطلق في اللغة العامية كلمة « المقرَبطات » في مصر والشام على فريق من النساء مصابات بسرساب النظافة والغسل . فاذا قيل « امرأة مقربطة » حضرت في الذهن صورة امرأة لا همّ لها غير النظافة في البيت . فهي تمسح بلاط الدار وارض المنازل بالرمل وتغسلها بالصابون اكثر من مرة في الاسبوع . ولا تسمح لاحد ان يدوس فيها بحذائه واذا اتفق وداس فيها زائر عزيز تستحي من تعنيفه وردعه انتظرته حتى يخرج من بيتها فتحمل الصابون وتاخذ بغسل آثار اقدامه في البلاط والبيت . وقد تبالغ احياناً في هذا التنظيف فاذا زارتها احدى رفيقاتها وسلمت عليها غسلت بعد ذلك فمها ويديها بالصابون وغسلت المكان الذي جلست فيه زائرتها . واذا مس ثوبها في السوق ثوب شحاذ او غيره هرعت الى البيت وغسلت الجانب الممسوس بالصابون . وفضلاً عن ذلك فان لها في المنزل غرفة خاصة بها وهي تكاد تكون حرماً على الجميع حتى على اولاد المنزل وخدمه ولا يدخلها احد قبل ان يغير ملابسه ويُغسل بالماء والصابون . وذلك على طريقة براهمة الهنود غير ان هؤلاء يغسلون الذي يرومون تطهيره ببول البقر وبئس هذا التطهير

اما رفيقات هذه المرأة فانهن يضحكن منها ويستهزئن بها في خلواتهنّ . ورغبة في اظهار « خرفها » تقول احداهن انّ زوجي يدخل لابساً حذاءه حتى سرير النوم . وتلك تقول ان اخي لا ينزع حذاءه من قدميه طول النهار بل يروح به ويغدو على فرش البيت واثاثه . وبعضهن لا يكتفين بهذا الانتقاد بل يعمدن الى الممازحة والمداعبة . فقد سُمع ان احداهنّ بعثت من يرمي في السر في بلاط دار احدى اولئك المقرَبطات جرذاً ميتاً فلما ابصرت صاحبة الدار الجرذ على البلاط اغمي عليها في الحال

فمن المصيب من هذين الفريقين . المقربطات ام الضاحكات

لا ريب في انّ كثيرين من الضاحكات يستغربن جداً ما سنقوله في هذه النبذة .

فان العلم قد اثبت ان الحق في ذلك في جانب المقرَّبطات وان النساء مهما بالغن في اجتناب الاقذار ودفع ما يأتي من السوق والشوارع فانهن يبقين مقصرات

ان كل مريض من المرضى بالمدينة · كل مصاب بالسل والجذام والتتانوس والسرطان والطاعون (في اوقات الطاعون) والجدري (في اوقات الجدري) وغير ذلك من الامراض — كل مصاب بها يمشي في السوق والشوارع ويباشر الاصحاء ويبصق في الطرق · وهذا البصاق يجف مع تراب السوق ثم يتطاير معه عند اقل نسمة ريح فيقع على المارين ويلصق باحذيتهم واطراف بنطلونات الرجال وذيول فساطين الرجال · فمتى عاد هؤلاء الى المنازل عادوا وهم يحملون اقبح الهدايا معهم · فاذا « صوبنت » المراة « المقرَّبطة » آثار اقدام زائرها او زائرتها فربما تكون قد ازالت بذلك من موقع القدم جراثيم عدة امراض · وفضلاً عن ذلك ان الاطباء فحصوا المركبات العمومية في اكثر الممالك ومركبات الترامواي والاومنيبوس ومراقد السفن البخارية والقطارات فوجدوا فيها كلها جراثيم الحمى والسل والسرطان وغيرها · وقد بحث اطباء الجزائر من عهد قريب في النظافة في الكنائس والجوامع فيها فوجدوا في ارضها كثيرًا من جراثيم الادواء ولا سيما في الكنائس لان النظافة في الجوامع الجزائرية كانت اشد من النظافة في كنائسها · وفحصت بعض الايقونات فوجد عليها كثير من الميكروبات التي تنتقل الى الانسان عند تقبيله اياها · وقد يكون الانسان مارًا في طريقه فلا يشعر الا والبسط والفرش تُنفض من النوافذ فوق راسه والله اعلم بما فيها من ميكروبات الامراض التي تمتزج بالهواء ثم ترسب على الارض وما فوقها من الحوانيت والمخازن · فلا شيء اقبح من هذه العادة عادة نفض الاشياء من نوافذ المنازل كما انه لا شيء اقبح من عادة اصحاب الحوانيت والمخازن الذين يبسطون بضائعهم وفاكهتهم امام حوانيتهم تحت تلك المنازل التي ترسل عليهم كل حين صواعق الميكروبات · وما كان اعظم فضل المجالس البلدية لو كانت تقضي بان لا تُبسط تلك الاشياء الا ضمن بيوت زجاجية · والانكى من ذلك كله انك تكون سائرًا في شارع شريف باشا مثلاً مطمئن البال فلا تشعر الا واحد الساقة (العربجية) قد تناول من مركبته البساط الذي يُوضع في المركبة تحت اقدام الركاب واخذ ينفضه في عرض الشارع فينعقد منه غبار كثيف حامل اكثر انواع الميكروبات القاتلة كما يحمل الغيم الكثيف الصواعق المهلكة · فهل يجوز لك بعد ذلك ان تلوم النساء المقرَّبطات على محاربتهن تلك الآفات بالماء والصابون ولكن بالاسف ان منازل « المقربطات » نفسها قد تكون اعشاشًا لميكروبات الامراض

التي ترتع في الرطوبة ويلذ لها التكاثر فيها . فالماء والصابون لا يُجديان اذًا نفعًا عظيمًا ولا كل انواع المطهرات لان الجراثيم فاشية في كل مكان في السوق والشوارع والقهاوي والحانات والفنادق والتياترات والكنائس والجوامع والمركبات وفي كل الاماكن العمومية اذ لا سبيل الى منع المرضى بالامراض المختلفة من الذهاب الى الاماكن التي تقدم ذكرها لانها عمومية . ولا يبعد ان يأتي يوم تنشأ فيه الهيئة الاجتماعية مستشفيات مجانية الزامية لعزل المرضى فيها ومعالجتهم باحسن ما يعالجون به انفسهم استئصالاً لجراثيم الادواء التي يشتد فتكها في الناس ويعمهم بلاؤُها . ولكن قبل ان تُنشأ هذه المستشفيات لا سبيل لحفظ الاجسام من تلك الجراثيم العامة الطامة الا بطرق دفاعية . ورأْس هذه الطرق الدفاعية (١) حسن التغذية وهو امر في غاية الاهمية (٢) اطلاق الشمس والهواء في المنازل والخروج لاستنشاق الهواء النقي في الخلاء ساعة او ساعتين في النهار مع الرياضة الجسدية (٣) عدم التعرض لمنهكات الاجسام ومضعفاتها كالسهر الطويل وعلى الخصوص اذا كان يخالطه اللعب بالورق والمسكر (٤) النظافة التامة وتخصيص غرفة لنفض الثياب فيها والامتناع من الدخول الى غرف المنزل بالحذاء الذي تدوس به في كل مكان خارجًا

فاذا حفظتَ هذه الوصايا حفظًا تامًا كنتَ اكثر مقدرة من « المقرَّبطات » على مقاومة جراثيم الادواء بل كنت قادرًا على اقتحام تلك الجراثيم ومخالطة المرضى دون ان تخشى شرًّا لان جسمك يقوى بتلك المعيشة قوة تجعل الجراثيم عاجزة عن التأثير فيه . وهذا خير دواء عند الاطباء

الدكتور كوخ والسل

وشجاعة طبيب فرنسوي

لخصنا في الجزء الماضي شيئًا من اعمال مؤتمر السل الذي عقد في لندن ووعدنا بالعودة اليه خصوصًا الى ما ذكره الدكتور كوخ الالماني المشهور بان السل الذي يصيب البقر لا يعدي الانسان . وكان الاطباء ولا يزالون يعتقدون بان السل البقري معدٍ ولذلك يراقبون البقر المصابة مراقبة شديدة ويوصون باغلاء كل لبن قبل شربه . اما الادلة التي استند اليها الدكتور كوخ فهي تجارب اجراها في بعض العجول في المانيا . فانه جاء بميكروب السل البشري وحقن به العجول فلم يظهر السل فيها بل بقيت في صحة تامة فجاء بميكروب سل

البقر وحقن المجول به فلم تمضِ عليها ايام حتى ظهر بها السل البقري وتوفي بعضها . فاستنتج من ذلك ان سل البقر غير سل البشر وان الاول لا يؤثر في الثاني كما ان الثاني لا يؤثر في الاول . ومما دعم به هذا الراي ان السل البقري اذا كان ينتقل الى الانسان وجب ان يكون ظهوره في الامعاء . وقد فحص هو وغيره من العلماء كثيرين من المصابين بالسل فكانت نسبة المصابين في امعائهم الى المصابين في صدورهم قليلة جدًّا مع ان ميكروبات السل البقري كثيرة الوجود في اللبن والزبدة

وقد ذكرنا فيما مرَّ ان الاطباء في كل البلاد دهشوا واي دهشة من كلام الدكتور كوخ . وقد ردَّ عليه بعضهم ضمنًا في الخطب التي القيت في المؤتمر فاثبتوا ان وفيات السل في انكلترا قد نقصت في الاعوام الاخيرة ٤٠ في المائة لاهتمام حكومتها بجعل المساكن نظيفة كثيرة الهواء ولكن وفيات الاطفال زادت ٢٠ في المائة وسبب هذه الزيادة عدم اهتمام الحكومة الانكليزية بمراقبة البقر المسلولة فكثرت وفياة الاطفال الانكليز بدائها الذي كان يصيبها بالامعاء عند شربها لبنها

ولا يخفى ان هذه الحجة حجة مقنعة اذا ثبت ان زيادة المسلولين من الاطفال في انكلترا ناشئة عن تدرن امعائهم من تاثير لبن البقر المسلولة . ولكن الدكتور كوخ لم تقنعه هذه الحجة فبقي ثابتًا على رايه فتصدى له حينئذ الدكتور كارنول احد الاطباء الباريزيين المعروفين وكتب اليه الكتاب التالي

« ايها المعلم المحترم

« اتيت طائعًا مختارًا اقدم لك نفسي لتجرب في تجربة بان تحقني بميكروب السل البقري لترى اذا كان هذا السل ينتقل من الحيوان الى الانسان ام لا . وانا اعتقد انك مخطئ في الراي الذي رايته ومحقق انني ساصاب بالسل من تجربتك . ولكني قلما اتاسف لذلك اذ ليس لي ولد وانا الآن في الواحدة والاربعين من عمري وثقلي مائة كيلو وطولي متر و٨١ سنتيمترًا وصحتي جيدة جدًّا وان كنت في ريب من ذلك فامتحني بمادة التوبركولين (وهي مادة يعرف بها اذا كان الرجل مسلولاً او لا)

« وان الناس في المعارك الحربية يقدمون انفسهم الوفًا الوفًا لموت محقق . فانا وان كنت معتقدًا بانني ساصاب بالسل من تجربتك ارى ان الانسان في ساحة العراك في الحياة الاجتماعية يستطيع ان يصنع صنع اولئك . فانا الآن تحت طلبك سواء في باريز او برلين ولك الخيار في الشروط التي تردها)

ولما نشر كتاب هذا الدكتور قرصه زملاؤه بلواذع التهكم وقال الدكتور بروارديل المشهور في حديث له ان لا فائدة من هذه التجربة لان الدكتور كارنول قد يكون ذا بنية قادرة على مقاومة ميكروب السل فلا يصاب به وان كان السل البقري يعدي الانسان وفضلاً عن ذلك فان التجربة في الانسان امر غير جائز شرعاً

وقد مضت على الدكتور كارنول خمسة ايام بعد ارساله هذا الكتاب الى الدكتور كوخ دون ان يرد جواب منه فاستنتج من ذلك ان الدكتور كوخ لا يريد ان يجرب ذلك فيه فقال انه يجربها هو نفسه بنفسه فقال له الدكتور نيكار صاحب الشان فيما يختص بمزدرعات ميكروبات المواشي انني لا اعطيك شيئاً من الميكروبات البقرية للتجربة . فقال الدكتور كارنول انه يسافر اذاً الى لندن واذا لم يقبلوه في لندن ايضاً سافر الى اميركا حيث يحترمون الحرية الشخصية اشد احترام فيتركونه يصنع بنفسه ما يشاء . ثم قال لمحدثيه انني لا اعدل عن هذه التجربة مطلقاً الا متى اعترف الدكتور كوخ بخطاءه فقيل له وهل انت تحدث الآن مشكلة المانية فرنسوية بين اطباء برلين و باريز فقال كلا وانما اريد ان ابرهن على خطاء كوخ وان اصبت بالسل فانني قادر على الشفاء منه بعد ذلك بما لدى العلم والطب من الوسائل . ومن العجب ان يتعرضوا عن تقديم نفسي للموت افادة للعلم حالة كونهم يجندون في كل عام مئات الوف من الناس و يسوقونهم للموت من غير رضاهم واختيارهم .

ولما ابطأ الدكتور كوخ في الجواب ركب الدكتور كارنول القطار وسافر الى برلين لمقابلة كوخ قال الدكتور كارنول فلما تقابلنا اضطربنا كلانا لان الدكتور كوخ يريد ان نتكلم بالالمانية وانا اريد ان نتكلم بالفرنسوية فعدنا واتفقنا على الكلام بالانكليزية . فقال لي انه لا يستطيع ان يجرب فيَّ التجربة التي اروما وفضلاً عن ذلك فانه لم يقل بان الحقن بميكروبات سلّ البقر لا ينقل السلّ البقري الى الانسان ولكنه قال ان شرب لبن البقر الموبوءة بالسل لا ينقل ميكروبها اليه لان ميكروبات السل تكون ضعيفة في اللبن . فعاد الدكتور كارنول من برلين وفي نيته هذا الامر : ان يقيم في مكان يأخذ اليه بقراً مصابة بالسل و يشرب من لبنها سنة كاملة بلا انقطاع ويجتهد في تكثير ميكروبات السل في اللبن الذي يشربه . فاذا مرَّ العام ولم يُصب بالسل كان كوخ صادقاً واذا اصيب به كان كوخ مخطئاً

وسنواصل القراء بما يجدُّ في هذه التجربة الغريبة التي تدل على ان للعلم ابطالاً كما أن للحروب ابطالاً . والفرق بين الفريقين ان ابطال العلم يضحون حياتهم في سبيله وابطال

الحروب يمحون حياة غيرهم وشتان بين الاثنين

و بعد كتابة ما تقدم نقلت الشركات البرقية ان الحكومة الانكليزية عينت لجنة للبحث في مسالة انتقال السل البقري من الحيوان الى الانسان والقطع فيها

آثار الشرق القديمة

العجل ابيس

﴿ الذي كان يعبده المصريون ﴾



ذُكر العجل الذي كان يعبده المصريون في كتب اليهود والمسلمين والمسيحيين . فقدْ

جاء في القرآن « واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » وجاء ايضاً «ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » وورد في التوراة بشان عبادة العجل ما خلاصته

« صعد موسى الى جبل سيناء ليتلقى اوامر الرب في شعبه فاستبطأه الشعب وكانه قطع الامل من عودته فاجتمع على هرون وقال له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه . فامرهم هرون فنزعوا كل اقراط الذهب التي في آذان نسائهم وبنيهم وبناتهم وصنع منها عجلاً مسبوكاً وبنى مذبحاً امامه ونادى غداً عيد للرب . فاجتمع الشعب وقال هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر . وفي الغد قدموا ذبائح سلامة للاله الجديد وجلسوا يأكلون ويشربون ثم قاموا يلعبون

وبعد مدة نزل موسى من الجبل ومعه يشوع فقال يشوع حين سمع صوت الشعب اني اسمع صوت قتال في المحلة فقال موسى بل ذلك صوت غناء . ثم اقتربا من المحلة فابصر موسى العجل فاستشاط غضباً فاخذ العجل واحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل . ثم وقف في باب المحلة وقال : من للرب فاليّ فاجتمع اليه جميع بني لاوي . فقال لهم « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى فوقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلثة الاف رجل . وقال موسى املأوا ايديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وباخيه فيعطيكم اليوم بركة »

فمن ذلك تتضح شدة استنكار بني اسرائيل يومئذ عبادة الاوثان على ما ورد عنهم في كلام رنان في صدر هذا الجزء كما يتضح منه ايضاً تهافت العامة في كل مكان على المعبودات المحسوسة لعدم صبرها على المعبودات التي لا تراها الا بالتفكر والتأمل . ولو لم يخلص بنو اسرائيل من تلك العبادة الشائنة لا تخنق تمدنهم في مهده ولم يكونوا شيئاً مما كانوه بعدئذ . والظاهر انه حدث شقاق عظيم بين الشعب بشان هذه العبادة فبعض كان يطلبها وبعض

كان يكرمها فافضى ذلك الى تلك المذبحة الدموية الهائلة · ومما لا ريب فيه على ما جاء في كلام رنان ان شيوخهم كانوا في جانب المقاومين للديانة الجديدة

وغني عن البيان ان بني اسرائيل اقتبسوا عبادة العجل من المصريين يوم كانوا في اسرهم · وكانت عبادة العجل شائعة في مصر اشدّ شيوع · وكانت نوعين نوعاً في منفيس وكان عجلها يدعى (ابيس) ونوعاً في هليوبوليس وكان عجلها يدعى منيفيس · وكان المصريون يرمزون بالعجل الى الشمس فكانوا يعبدونها بعبادته ويكرمونها لما لها من المقدرة على الخلق من نفسها وتوزيع القوة والحياة في العالم · وكانوا يتخذون العجل تارةً عجلاً كاملاً وطوراً عجلاً براس انسان ويسمون كل عجل يعبدونه (ابيس او هابي) فليس اذاً اسم ابيس خاصاً بعجل واحد ولا يجب ان يقال العجل ابيس لان كلمة ابيس تُطلق كما تقدم على العجل ذي الراس الحيواني والعجل ذي الراس الانساني معاً ·

وقد كان المصريون في اثناء عبادتهم للعجل يكرمون العجول اشد اكرام فكانوا يحافظون عليها ويصونونها ومتى ماتت دفنوها باحتفال عظيم · وقد كانوا في بدء هذه العبادة يعرضون العجل في الهيكل على جميع الانظار ولكن لما رسخت قدمهم في المدنية واراد ملوكهم اظهار ابهتهم وعظمتهم اخذوا في توسيع الهياكل وزيادتها فخصصوا منها مكاناً داخلياً لاقامة العجل مبالغة في احترامه وجعلوا فيه طرقاً سرية لاخراجه منها لقضاء حوائجه ··· لئلا يرى الشعب اقذاره فيضعف احترامه في نفوسهم · وقد اكتشف ماريت باشا في عام ١٨٥١ قبراً فخماً قرب منفيس كان مدفناً للعجول المقدسة وجيء باحد تلك العجول الى المتحف الاسكندري في الثغر ولا يزال فيه الى اليوم · وقد وضعنا رسمه في هذا الفصل زيادة في الفائدة

البناء عند العرب

جامع عمرو في العاصمة الذي بنيت باقي الجوامع على منواله · جامع قائد بك
الفن الابنية العربية · مدافن السلاطين في العاصمة

كان للعرب في البناء شان عظيم ولا يزال الافرنج يتفقدون ابنيتهم الى اليوم ليقتبسوا منها ما رسمته المخيلات العربية · واول ابنيتهم الفخيمة الجامع الاقصى في بيت المقدس ثم جامع عمرو في القاهرة بناه عمرو بن العاص في سنة ٢٠ للهجرة بعد فتح مصر فكان آية في فخامة البنيان واحكام الصناعة وحسن الهندام

وقد بناه عمرو فوق اعمدة قديمة رومانية وبيزانتية وجعل مساحة ارضه ١٢٠ متراً



﴿ جامع عمرو في القاهرة ﴾

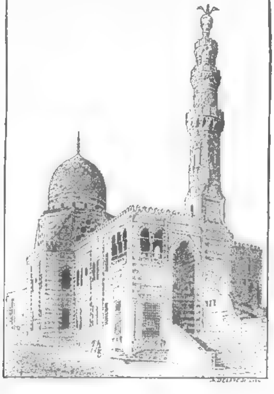
مربعاً · وعلى منواله بنى البناؤون جوامع المدينة ومكة وجامع ابن طولون والازهر وجامع زيتونه في تونس وجوامع القيروان والجزائر ومراكش والاندلس·

ويروى ان عمرو بن العاص لما اراد بناء جامعه رأى ان البناء يمر في ارض ارملة يهودية فساومها ارضها فلم تبعها فاخذها بالرغم عنها فاتصل الامر بالامام عمر فكتب اليه ان يعدل ولا يسير الا في الطريق المستقيم فاذعن عمرو وبعث في طلب الارملة اليهودية

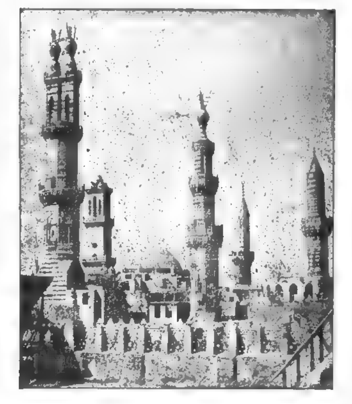
واسترضاها

ومن انفس تلك الابنية منائرها . واول من بنى المنائر هو الوليد مرمم جامع بيت المقدس ولا نصف هذه المنائر للقراء لانهم يعرفون شكلها اما الافرنج فانهم يعتنون بفحصها اعتناء خاصاً وكلما وقفوا بازاء واحدة من المنائر القديمة الفخيمة اظهروا دهشتهم من ذلك البنيان البديع

ولقد زار الكاتب جبريل شارم سوريا ومصر منذ سنوات فاول ما وصل الى القاهرة كان سؤاله عن مدافن السلاطين حيث البناء العربي متناهٍ في الفخامة والظرف فدلوه عليها



﴿ جامع قائد بك في القاهرة ﴾



﴿ منائر الجامع الازهر في القاهرة ﴾

فزارها مدفناً مدفناً وجامعاً جامعاً ووصفها وصفاً رائعاً . فانه رسم بقلمه انعكاس اشعة الشمس على زجاج منائرها الشاهقة التي تنطح السحاب وقابل بينها وبين الاهرام التي هي مدافن سلاطين المصريين القدماء ايضاً (الفراعنة) فقال ان الفريقين اختارا الخلاء للنوم فيه نوماً ابدياً بعيدين عن ضوضاء المدينة . وقد لاحظ ان اولاد حراس المدافن كثيرون في تلك الجهات كأنَّ الحراس لا همَّ لهم ولا شغل غير «صنع» الاولاد . ثم وصف جامع برقوق في المدافن فقال انه آية في الفخامة والجمال ولكنه فضل عليه جامع قائدبك (انظر الرسم) الذي هو جوهرة مصوغة من جواهر وكل حجر منه مصنوع ومنمق باسلوب يسحر

لب ارباب الصناعة . ولكنه اسف جداً لان تلك الآثار العربية الفخيمة لا تُصان كما يجب بل ان الحارة والجالة والسياح والمارة وفوق ذلك يد الزمان — كلهم يعيثون بها عبثاً سيفضي الى اتلافها اذا لم تتلافها الحكومة . واذا تلفت تلك الآثار العظيمة فخسارة علم الآثار في العالم تكون كبيرة جداً .

ولا شيء يشبه مدافن السلاطين او مدافن الخلفاء كما يسمونها الا آثار القصر (الالكازار) في الاندلس وآثار الحمراء (الهمبرا) فيها ايضاً . ولكتاب الافرنج في هذه الآثار وصف يستلب الالباب . وكلها بنيت على اصول الفن الافريقي لان فنون البناء كانت عربية وافريقية وفارسية وتُزاد عليها الافغانية والتركية حديثاً . غير انه لا بدّ ان يكون قد داخل النظام الافريقي شيء من النظام العربي والفارسي لان كثيرين من بنائي العرب والفرس في بغداد هجروا هذه العاصمة بعد استيلاء هلاكو سلطان التتر عليها مع العباسيين الذين قدموا الى مصر لاجئين اليها وعملوا في صنائعهم فيها . وقد نشرنا في هذا الفصل رسم جامع عمرو في العاصمة الذي نُسجت باقي الجوامع في افريقيا واسبانيا على منواله وجامع قائد بك الذي هو افخر الجوامع العربية اليوم وجامع الازهر الذي هو اعظم مدرسة عربية اسلامية في هذا العصر . ومنها يرى القارىء فخامة تلك الآثار وبراعة العرب في الفنون الجميلة

﴿ المحرمات عند قدماء المصريين ﴾

ودينونة موتاهم

(الكلام الذي كان يلقيه الميت في اثناء الدينونة)

تُعرف الاشياء التي كانت محرّمة عند قدماء المصريين من فقرة وردت في كتب الاموات الخاص بهم . فانّ الانسان بعد وفاته يطير الى المكان الرفيع الجالس فيه الاله اوزيريس وحوله اعوانه الاربعون فيجري في طريقه في جوهائل مملوء بالارواح التي تحرس الكواكب . وحين وصوله الى مكان اوزيريس تبدأ دينونته فيأخذ الاله هور والاله انوبيس قلب ذلك الانسان ويزنانه ليعلما أخفيف هو ام ثقيل وفي اثناء ذلك يتلو الانسان الواقف في الدينونة الكلام التالي لتبرءة نفسه

« لم اسرق الناس قط . لم اعذب الارملة . لم اكذب في المحكمة . لم اكن ذا قصد سيء . لم ارتكب محرماً . لم اجبر العملة على ان يعملوا اكثر مما كان يجب عليهم ان يعملوا .

لم اكن مهملاً ولا بطالاً ولا ضعيفاً خائراً . لم اصنع ما يسخط الآلهة . لم اعلم العبد ان يفرّ من سيده . لم اجوّع احداً . لم أُبكِ احداً . لم اقتل ولم آمر احداً بالقتل . لم اختلس قربان الهياكل ولا حلويات المتقدمة التي تقرب للآلهة . لم انزع عن الموتى لفائفهم ولا عصبتهم مؤنهم . لم اربح ربحاً حراماً . لم اغش كيل الحبوب . لم اخدع احداً ببيعه حبّاً منشوشه . لم اسرق شيئاً من الحقول . لم اتلاعب بالميزان . لم انزع اللبن من افواه الاطفال . لم اقنص البقر المقدسة في المروج . لم انصب الحبائل للعصافير المقدسة . لم اصد الاسماك المقدسة في بركها . لم ارفض الماء حين نزوله في حينه . لم اقطع مسيل ماء في جريانه . لم اطفىء النار المقدسة في اوقاتها . لم اهن احداً من الآلهة في ابان احتفالاته . انا نقي . انا نقي . انا نقي »

فاذا وجد قلبه خفيفاً وكان نقياً كما يقول اذن له بالدخول الى اماكن الساعة السابعة حيث فردوس يالو فيقيم هناك على الفلاحة والزراعة رمزياً ويكون له عبيد يخدمونه فكانت المعيشة في تلك الحياة مشبهة للمعيشة في هذه . واذا كان غير نقي طُرد بقساوة فتنتابه المصائب حتى يأتي وقت خراب العالم والفناء النهائي .

فمن ذلك يتضح ان المصريين ما كانوا يعتقدون بخلود النفس ولكنهم كانوا يعتقدون بحياة ثانية وشتان بين الامرين . وقد انكر عليهم الذين جاؤوا بعدهم تعدد الآلهة عندهم حتى انهم الهوا كثيراً من حيواناتهم كالقطط والكلاب ويروى ان كل قبيلة بل كل عيلة كان لها اله خاص بها . ولكن مما يمحو ذلك انهم كانوا اسبق الناس الى التوحيد اي الاعتراف باله واحد . يشهد بذلك ماوجد مكتوباً في آثار ثيبة الباقية من العصر الثيبي فان الاله عمون لُقب فيها « الاحد الواحد وسيد الابدية » ولكن هذه التعاليم كانت محصورة بين الكهنة اما الشعب فانه كان يجهلها لانشغاله بتعدد الآلهة

﴿ الاباء اليسوعيين في تونس ﴾ عزم الاباء اليسوعيين بعد ما عقدوا النية عليه من الخروج من فرنسا على انشاء مدرسة زراعية كبرى في تونس وقد قدروا نفقاتها بمليون فرنك

صفحة تاريخية مجهولة

﴿ بسمارك وتزويره تلغراف ايمس ﴾

« ونظراً لاهميـة هذه الحادثة التاريخيـة استميح القراء عذراً في تلخيصهـا فكاهة وافادة

« قال بسمارك بعد ان ذكر كدره من تساهل ملكه نحو سفير فرنسا « عزمتُ على الاستقالة من منصبي فدعوت المارشال مولتك وروون لمناولة الطعام عندي في (١٣ تموز) وبينما نحن على الطعام اذ جاءني ساعٍ واخطرني بوصول رسالة برقية بالارقام مضاةمن مستشار الملك الخاص في ايمس فامرت بحلها سريعاً . ثم جاءني بها فلما قرأتها على مسامع ضيفيَّ علت على وجهيهما ملامح الكآبة من ضعف الملك نحو سفير فرنسا بعد ان تجاوز الحد في تحته وانقطعا عن الطعام والشراب . اما انا فاستعدت قراءة تلك الرسالة مراراً وكان الملك غليوم قد اذن لي بنشرها . فأخذت لحال قلماً وحذفت منها جملاً وابقيت اخرى فانقلب تأثيرها انقلاباً تاماً ثم التفتُّ الى المارشال مولتك والقيت عليه مسائل مختلفة تتعلق بثقته بجيوشنا ونتيجة الحرب ومهماتنا واذا كان الاولى بنا التربص والامهال ريثما نكمل استعدادنا . فاجابني للحال بانه اذا كان لا بد من الحرب فالاولى بنا السرعة اذ كل مماطلة تجرّ علينا اخطاراً . فقرأت حينئذ عليهما الرسالة منقحة فابرقت اسرتهما وقالا (قد تغيرت نغمتها الآن) فقلت (ستصل هذه الرسالة الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تاثيرها على الثور الفرنسوي كتاثير الراية الحمراء ونجاحنا يتعلق كثيراً بوقع اشهار الحرب علينا اذ يهمنا ان تبدأ فرنسا بالعدوان حتى نعلن لاوروبا باننا لسنا الا مدافعين ...) فسرَّ مولتك بذلك سروراً عظيماً ثم ارسل نظره الى السماء باسماً وصاح (اذا قدر لي البقاء لاقود جيوشنا في هذه الحرب فالى جهنم النار هذه العظام) وقرع صدره بكلتا يديه ».

فيظهر جلياً ان هذا الداهية هو الذي رغب في الحرب وهو الذي هيأها وحمل فرنسا على اشهارها . ولو لم يعترف بتزويره هذا لظل المؤرخون ينسبون السبب في ذلك الى فرنسا »

(من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة	ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

مدرسة محمد علي الصناعية

﴿ في الاسكندرية ﴾

اذا لم تنشر المجلات والجرائد اخبار المشروعات الكبيرة النافعة التي تقوم في البلاد لم تقم بكل ما عليها من الواجبات ولذلك نخصص هذا الباب في هذا الفصل للكلام على المدرسة الصناعية التي عزمت « جمعية عروة الوثقى » في الثغر على انشائها تذكاراً لمرور مائة عام على دخول المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة الى مصر . ولقد رأس لجنة الاكتتاب لهذا المشروع المفيد بناء على امر الجناب الخديوي العالي حضرة الوزير الخطير دولتلو رياض باشا فارسل الى مائة وتسعين رجلاً من افاضل القطر والثغر رسائل يدعوهم فيها دولته الى الاجتماع في منزله للشروع في الاكتتاب . وهذا ما جاء في تلك الرسالة من الاشارة الى المغفور له محمد علي « ما اجدر محمد علي العظيم بتذكار يقيمه له المصريون تخليداً لذكره . فانه اسس حكومة منتظمة بعد الفوضى ووطد الامن في انحاء البلاد واعز مصر بمنعة الحصون والقلاع وقوة الجيش والاساطيل وسعى في اعلاء مكانتها بنور المعارف والعلوم وانماء ثروتها بتحسين الزراعة وحماية التجارة واحياء الصناعة فكان ذلك اول عهدنا بالمدنية والعمران واصبحت مصر بفضله من ثغورها الى ابواب سنار دار امن ونعيم ورخاء »

ولقد اجاب دعوة دولته نحو مائة رجل من الكرام فتلي عليهم (بروغرام) المدرسة المنوي انشاؤها ويؤخذ منه انها ستنشأ في بناء الترسانة الذي كان سجناً في الثغر . وسيكون عدد تلامذتها ٣٠٠ تلميذ فاكثر من الواحد من ١٢ الى ١٨ سنة ومدة الدرس ثلاث سنوات ونفقات المدرسة السنوية ١٥٠٠ جنيه تؤخذ من تبرعات المتبرعين وثمن المصنوعات التي تصنعها ورش المدرسة .

اما نفقات التاسيس فهي كما يلي

خمسة آلاف جنيه لاصلاح المكان الذي كان سجناً في راس التين لجعله مكاناً للمدرسة اي هدم الغرف الحالية وبناء خمسة عشر ورشة بسقائف واربع قاعات للدروس والرسم ومخزن كل ذلك على مساحة من الارض قدرها ٢٥٠٠ متر مربع بسعر ٢ جنيه في المتر وثلاثة الاف جنيه ثمن آلة بخارية وجميع العدد اللازمة لادارة الورش وتركيبها وخمسمائة جنيه لشراء مواد اولية لادارة الاعمال ويضاف الى هذا المبلغ قيمة رواتب العمال الواجب استخدامهم في الورش والدروس عن السنة الاولى ونفقات الصيانة والادارة وقدرها كلها الف وخمسمائة جنيه فالجملة عشرة الاف جنيه

وستنشأ في المدرسة خمس عشرة ورشة او معمل . (١) الحدادة الكبرى (٢) الحدادة الصغرى (٣) البراده (٤) سبك المعادن (٥) الخراطة (٦) النجارة الكبرى (٧) النجارة الصغرى (٨) نجارة العربات (٩) النحاسة (١٠) الحفر (١١) السنكرية (١٢) نقش المباني (١٣) الكندرجية (١٤) التربية (١٥) التجليد

فنحن نسأل الله ان يأخذ بيد دولة الوزير رياض باشا وجمعية عروة الوثقى لاتمام هذا المشروع المفيد . ونتمنى ان يقتدي السوريون باخوانهم المصريين فيقدموا على ما اقدموا عليه وبالله التوفيق .

باب الاخبار العلمية

﴿ كيف تتزاوج النحل ﴾ صدر في فرنسا في هذه الاثناء كتاب موضوعه طبائع النحل لمؤلفه المسيو مترلينك . وقد جاء فيه وصف جميل لطريقة تزوج النحل وهذه خلاصته باختصار مجرد عن التزّل . ان ملكة النحل العذراء قبل خروجها اول مرة من القفير تمرن نفسها على الطيران حوله . ثم تندفع في الطيران صاعدة في الفضاء . فلما يراها ذكور النحل ويتنسمون ريح جمالها يطيرون اليها من كل جانب فتجدّ الملكة حينئذ في الصعود في الفضاء جاعلة نفسها جائزة للذي يسبق رفاقه اليها فكانها بذلك تمنح نفسها لاكثرهم قوة طبقاً لناموس الانتخاب الطبيعي . وكلما صعدت في الفضاء تناقص تحتها عدد الذين يطاردونها ويطلبونها . ولا تزال واياهم على هذه الحال حتى يدركها اقوام في اعالي الجو فيعد القاح

يسقط الذكر ميتاً على الارض من ذلك العلو الشاهق لاتمامه النظام الطبيعي وتعود الملكة حاملاً الى قفيرها

﴿ علو الغيم وسرعته ﴾ قاسوا في كندا ارتفاع الغيم عن الارض في عام ١٨٩٧ وسرعته في الفضاء ونشروا نتيجة القياس في هذا العام فاتضح منها انه يبلغ في الشتاء متوسط علوه عن الارض ٩٩٧٨ متراً ومتوسط سرعته مسوقاً بالريح ٤٢ كيلومتراً في الساعة وفي الصيف يبلغ متوسط علوه ١٠٩٠٠ متر ومتوسط سرعته ٦٤ كيلو متراً في الساعة . وبلغ اعلى ارتفاعه ١١ الف متر واشد سرعته ١٦٠ الى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة وذلك في شهر يونيو

﴿ حفظ اللحم من الفساد ﴾ يحفظون اللحم من الفساد في فرنسا بغطه باللبن وتركه فيه مدة اسبوع فيبقى سالماً من كل فساد ويؤكل بعد ذلك كأنه ابن ساعته . اما اللبن الذي يُنقع فيه فيغذون به الحيوانات التي يربونها كالخنازير وغيرها

﴿ عادة عماد خط الاستواء ﴾ كان البحارة في الزمن القديم يرهبون اجتياز خط الاستواء لانهم كانوا يظنون ان البحار التي تليه ماهولة بالابالسة والشياطين . وبعضهم كان يتوهم هذا الخط سوراً قائماً في البحر يمنع السفن من المرور فيه . ولكن لما اجتازه الاوربيون في القرن السادس عشر بطل خوفهم منه واستبدلوه بعادة لا تزال شائعة الى اليوم وهي ما يسمونه عادة العماد عند الوصول الى خط الاستواء . فان السفينة عند دنوها من « موقع » هذا الخط يجتمع بحارتها ويفتشون فيها فاذا وجدوا بينهم مسافراً او بحاراً لم يسبق له انه اجتاز خط الاستواء ياخذونه فيقصون شعره ويحتفلون بتعميده بالماء احتفالاً في غاية البهجة صرفاً لغضب نبتون اله البحر عنه . فيلاقي ذلك الدخيل المسكين عناء في ذلك الاحتفال والعماد . اما المسافرون فانهم يشترون انفسهم بالمال فيتركهم البحارة وشانهم . ولقد مرّ المرشال والدرسي بخط الاستواء في عودته من الصين على الباخرة « جيره » فاكتفوا باعطائه لقب « اوجير » وقد احتفلوا بمروره دون تعميده

﴿ حفظ العنب اشهراً ﴾ اذا شئت حفظ العنب اشهراً عديدة فخذ عناقيده ونقِّ منها الحبوب الفاسدة والتي دبَّ الفساد فيها ثم خذ كل حبة صحيحة على حدة دون قرطها من العنقود وغلف عنقها بقشور من شمع منعاً لعصير العنب فيها أن يتبخر منها ثم ضع العنقود

مقلوباً في زجاجة وأتفقده في كل يومين او ثلاثة لتنزع منه الحبوب التي يدب فيها الفساد، فيبقى اكثره صحيحاً مدة طويلة

﴿ تبريد مياه الشرب في الصيف ﴾ ذكروا لتبريد مياه الشرب في الصيف طريقة غريبة . وهي ان تاخذ زجاجة مملوَّة ماء وتضعها في صحفة عميقة مملوَّة ماء ايضاً ثم استر الزجاجة بقطعة من النسيج المبلل ودع اطراف النسيج تسقط في الصحفة . وبعد ذلك ضع الصحفة وفيها الزجاجة في الشمس فيبرد الماء الذي في الزجاجة . وحبذا لو جرب احد القراء هذه الفكاهة

﴿ غرائب الصاعقة ﴾ تقدم لنا الكلام على غرائب الصاعقة وقد نزلت في الشهر الماضي صاعقة في منزل في بانيير دي بيجور فصارت تحرج في فضاء الغرفة كطير يطلب منفذاً فخف صاحب المنزل وفتح لها نافذة فاندفعت وخرجت منها دون ان تقتل احداً ولكنها اطلقت بندقية كانت محشوة وقلبت اثاث المنزل راساً على عقب

﴿ التجارة بين انكلترا وفرنسا ﴾ بلغت صادرات البضائع من انكلترا الى فرنسا في الاشهر الستة الاولى من هذا العام ٣٤٠٢٥٥٠٠٠ فرنك مقابل ٣٥٠٩٢٩٠٠٠ في مثل هذه المدة من العام الماضي . وبلغت الصادرات من فرنسا الى انكلترا في تلك المدة ٦٦٨٠٩١٠٠٠ فرنك مقابل ٥٨٩٥٠٥٠٠٠ فرنك في مثل تلك المدة من العام الماضي فتكون تجارة انكلترا مع فرنسا في نقصان بينما تجارة فرنسا مع انكلترا في ازدياد . ويتخذ بعض الساسة هذه الارقام كفيلاً بضمانة السلم بين البلادين لان فرنسا اذا حاربت انكلترا خسرت معاملها اكثر من مليار فرنك في العام وفي ذلك خراب قسم كبير من صناعتها

﴿ اكابر الاغنياء في العالم ﴾ هم عشرة اولهم رجل انكليزي يُدعى المستر بت صاحب محل وارنربت وشركائه في لندن فان ثروته بلغت ملياري فرنك ونصف وهو يملك نصف المعادن في افريقيا الجنوبية . وثانيهم لي هنغ شنغ السياسي الصيني المشهور فانه يملك ايضاً ملياري فرنك ونصفاً ولكنه لا يُظهر الغنى كثيراً خوفاً من سطو الحكومة الصينية . فاكبر اغنياء العالم اذاً انكليزي وصيني . ثم ياتي بعدهم المستر روبنسن الانكليزي وثروته تبلغ ملياري فرنك ثم المستر ركفلر الاميركي وثروته مليار ونصف ثم المستر استور الانكليزي ايضاً والبرنس ريميدوف الروسي وكل واحد منهما يملك مليار فرنك . ثم صاحبنا اندريا

كارنجي الذي يوزع الآن على المدارس والمكاتب ثروته التي كانت بالغة مليار فرنك ولم يبق له منها سوى ٨٠٠ مليون فرنك . ثم مورغان وفندر بليت وركفيلر (غير الذي تقدم ذكره) وهم يملكون نحواً من ثمانمائة مليون فرنك . ومما يروى ان جميع هؤلاء الاغنياء ضعاف المعدة قليلو القابلية للطعام

﴿ ما اكلته باريز في مدة المعرض ﴾ احصي ما استهلكته باريز في شهور المعرض فبلغ عشرين مليون كيلوغراماً من الزبدة والمقانق و٦١٤ مليون بيضة و٤٠ مليون كيلو من السمك و٢١٤مليون كيلو من اللحم و٨ ملايين كيلو من الجبن . وقد اغرقت هذه المقادير الهائلة بخمسة ملايين هيكتوليتر من الخمر

باب التقريظ والانتقاد

﴿ حقوق الملل ومعاهدات الدول ﴾

تاليف جناب الامير (امين ارسلان) قنصل الدولة العلية الجنرال في بروكسل

عزم حضرة الكاتب المشهور الامير امين ارسلان قنصل الدولة العلية العثمانية الجنرال في بروكسل على سد فراغ في اللغة العربية . فانه اعلن عزمه على تاليف كتاب موضوعه « حقوق الملل ومعاهدات الدول » وقسمه الى اربعة اقسام « الاول في المبادىء الاساسية في انشاء الدول وما هية حقوقها وواجباتها والثاني في الاستيلاء والاستدراك والابحار والانهار والثالث في العلاقات السياسية بين الدول وواجبات الملوك والسفراء والوزراء والقناصل والرابع في الاختلافات وطرق صلحها والحرب براً وبحراً »

وقد بدأ بالقسم الاخير لمناسبة حرب الترانسفال فنشر بعضه في مجلة الهلال ثم جمعه على حدة فجاء كتاباً شاملاً كل ما تهم معرفته من شروط الحرب وشرعيتها وحقوق المحاربين وواجباتهم وكلما يتعلق بالحرب وفروعها . وهو مطبوع في مطبعة الهلال ويطلب من مكتبها فنثني على حضرة مؤلفه الفاضل ونرجو ان يعود الى عالم الاقلام بعد انقطاعه عنه لانه من الكتاب الذين يشعر الجمهور بغيابهم ويأسف له

﴿ رسائل اخوان الصفاء ﴾

بين الحيوان والانسان

نشرت مطبعة دار الترقي في العاصمة رسائل اخوان الصفاء وهي محاورات ومناظرات بين الحيوان والانسان منها شكاية الحيوان وجور الانسان وكيفية استخراج العامة اسرار الملوك وعجائب النحل وما خص بها من الكرامات وحسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم. وقد جاء في مقدمتها انها « وان كان ظاهرها الخرافة والفكاهة في لفظ عذب حلي الا ان باطنها الحكمة والموعظة الحسنة في معنى دقيق خفي » فنثني على حضرة ناشرها ونتمنى ان يتحف اللغة العربية بغيرها من الآثار المفيدة . وهي تطلب من المطبعة المذكورة في العاصمة

﴿ مفتاح المحادثة ﴾

في اللغتين العربية والبرازيلية

وضع حضرة يوسف افندي لطفي كتاباً صغيراً في اصول اللغة العربية والبرازيلية تسهيلاً للمهاجرين الى البرازيل وقد جمع فيه الكلمات الغالب استعمالها هناك فاذا تعلمها المهاجرون سهل عليهم الاخذ والعطاء ولم يقعوا في المصاعب التي يقعون فيها احياناً لجهلهم لغة البلاد كل الجهل . وهي خدمة نافعة فنثني على حضرة واضع الكتاب وهو يطلب من ادارة زميلتنا جريدة الاحوال في بيروت وثمنه فرنكان

﴿ جريدة اتحاد العمال ﴾

اعلنت ادارة جريدة الثريا الغراء عزمها على اصدار جريدة عنوانها اتحاد العمال في القطر المصري وغايتها « ان تفسح لهم مجالاً لنشر ما يلاقونه من ارباب المعامل من الظلم والاجحاف والاستبداد » فنحن نتمنى لادارة الثريا النجاح في هذا المشروع لان فيه خدمة نافعة للعمال لا سيما اذا ثبتت الجريدة في دفاعها عن حقوقهم . ولقد آن ان ترتفع في بلاد الشرق اصوات بالدفاع عن الطبقات الضعيفة

﴿ مبادىء جوغرافية ﴾ اصدر جناب رشدي افندي كامل من مستخدمي السكة الحديدية في العاصمة الجزء الثاني من كتابه تنوير الاذهان وهو شامل لمبادىء الجوغرافيا طبقاً لبروجرام نظارة المعارف وفيه رسوم الاشياء التي يتكلم عنها كالجبل والبركان والراس والمضيق وغيرها فنثني على اجتهاده ونشاطه

﴿ الحكيم الطيار ﴾ وهو رواية ادبية تمثيلية لمعربها جناب ايلي افندي عداء اهداها الى جناب مخائيل افندي منصور وتطلب من حضرة المعرب في العاصمة وثمنها ٥ غروش صاغ

الفيلسوف تولستوي

﴿ رسمه الجديد ﴾ نشرنا في احد الاعداد الماضية رسماً للفيلسوف الكونت لاون تولستوي وبما ان ذلك الرسم ماخوذ عنه منذ عدة سنين فقد رأينا ان ننشر للقراء آخر رسم لهذا الفيلسوف وهو مرسوم فيه بملابس الفلاحين الروس التي لا يلبس اليوم سواها



﴿ الفيلسوف تولستوي ﴾

ولقد قرأنا في رصيفتنا جريدة المناظر الغراء التي تطبع في البرازيل فصولاً شائقة عن هذا الفيلسوف منها فصل نشرته في العدد ١٨٨ بعنوان « المسيحي الوحيد » تريد تولستوى فقالت ما نصه

« وفلسفة تولستوي في المسيحية ليست بنت هذه الشهور الاخيرة التي اذاعت فيها اسمه حوادث الطلبة الاخيرة في روسيه ولكنها اساس ما كتبه تولستوي منذ قيل انه الكاتب الجيد لا منذ قيل انه الفيلسوف الممتاز . ولقد ادرك اكثر المطالعين في كل البلدان المرتقية تعاليم الرجل على حقيقتها وما راينا الى الآن كاتباً له شيء من حرية الفكر تعرض لها تعرضاً حاول ان ينفي به صحتها . وقد شعرت « مجلة الجامعة » بان من واجباتها كمجلة اجتماعية ان تنشر على قدر الامكان اشياء من فلسفة تولستوي فكانت هي وسيلة المطالعين العرب الوحيدة الى تفهم افكاره وبقيت المجلات والجرائد الاخرى متغافلة حتى انتبه الهلال ولكنه حاول شيئاً لم يحاوله احد قبله . فقد اورد الهلال مبادىء تولستوي ولما انتهى الى وجوب اطلاق الارض قال انه لا يدوم لانه مخالف للعدل العام واذا ابطلنا حق التملك فلا يمضي زمن حتى يتغلب القوي على الضعيف فنعود الى ما كنا فيه » هكذا يقول الهلال ويسوؤنا انه وهو مجلة معتبرة في الصحافة العربية لم يفهم فلسفة تولستوي من جهة وغالط نفسه من الجهة الاخرى » الخ

فنحن نقول للرصيفة ان الهلال لم يقصد بما قاله الرد على تولستوي لانه اعلم الناس بان ذلك عبث ولغو ولكنه قصد مقاومة الجامعة انتصاراً لبعض الكتاب والبسطاء الذين لم ترقهم اقوالها عن تولستوي اول ظهورها . وهذا موقف لا نرضاه لصاحبنا لا سيما وانه لخص فلسفة تولستوي عن الجامعة حرفاً ومعنى كما نبهنا كثيرون من القراء فكيف يحق ان يشرب من بئر ثم يرشقه بحجر . ومع ذلك فنحن نسامحه لا على هذه فقط فانها الصغيرة ولكننا نسامحه على غيرها ايضاً

ولقد شفي تولستوي من المرض الذي انتابه حديثاً كل الشفاء وقال لبعض زائريه انه كان يرجو ان يموت لان الموت راحة وان المرض قد جعله يشعر بوجود حياة ثانية احسن من هذه الحياة . ثم قال ان الذين لا يمرضون في حياتهم يكونون شرسي الاخلاق جفاة الطباع والمرأة التي لا تمرض بل تكون دائماً في صحة تامة انما هي وحش ضار . وكانت امرأته الكونتسة تولستوي سامعة فابتسمت وحولت وجهها

وقد فرغ تولستوي من كتابة كتاب جديد عنوانه « الطريقة الوحيدة » ذكر فيه الطريق التي يجب ان يعرفيه التمدن المسيحي والا سقط كما سقط تمدن الامم المتقدمة . ويقال انه ابلغ كتبه وسنلخص هذا الكتاب للقراء حال صدوره وربما صدر في اول الشتاء القادم



﴿ الجزء الثالث ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠١ — جماد الثاني ١٣١٩ ﴾

الجامعة ونشأتها ونموها

﴿ في عامين ﴾

مصر بلادٌ خصها الله بمزايا لم يخص بها بلاداً سواها · فنباتها ينمو نمواً سريعاً تحت حرارة شمسها القوية · وحيوانهـا لا تراه صغيراً حتى تراه كبيراً لخصب الارض التي يولد فيها · وفتيانها وفتياتها يُدركون سن البلوغ في عمر يكون فيه الفتيان والفتيات في البلاد الاخرى اولاداً يلعبون في الازقة · وشركاتها وتجارها ولاسيما الاجانب المدبرّون المدرّبون منهم كجورج افيروف ومن اشبهه بينما تراهم فيها فقراء لايملكون شروى نقير واذا بهم قد اصبحوا اغنياء وقد طفحت صناديقهم بالملايين · فلا تستغرب بعد هذا الخصب والاقبال العظيمين في كل فروع الحياة في مصر ما تسمعه عن حوادث النمو السريع فيها

واذا كانت « الجامعة » قد بلغت في هذين العامين تحت هذه السماء المصرية الصافية التي تحسدها السماء في كل مكان ما لم تكن نتوقعه فليس الفضل في ذلك راجعاً اليها ولكن الى الوسط الكريم الذي عاشت فيه وانصار العلم والادب الذين شدوا ازرها · ونخص منهم بالذكر وكلاء المجلة واصدقاءها ومساعديها الذين لم نشأ ذكر اسمائهم للمرة الاولى في المجلة غير مقرون بالتنويه بفضلهم عليها والاعتراف بجميل خدمتهم لها وهذا الذي دعانا الى كتابة هذا الفصل في صدر المجلة

ومن ذلك يعلم قراء الجامعة ان الوكلاء الذين يخدمونهم ليسوا بوكلاء اعتياديين ولكنهم من اصدقاء المجلة وانصار العلم والادب رأوا في خدمة هذه المجلة خدمة خصوصية لها وخدمة عمومية للجمهور فهبوا من كل جانب الى تنشيطها ونشر مبادئها عملاً باحتياج الحالة الحاضرة الى المبادىء التي تنشرها. فكان مثلنا واياهم مثل شركة ادبية عمومية غرضها نشر المعارف الضرورية بين الناس واعضاؤها منتشرون في اقطار الشرق والغرب ومركزها في الاسكندرية

ولا يخفى ان هذا الاهتمام العامّ الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يوجب عليها اموراً كثيرة لان المجلة لقرائها وواجباتها لهم تزيد بازدياد اقبالهم عليها . ولذلك ادخلنا في المجلة في هذا العام التحسين الذي عرفوه . ورأس هذا التحسين جعل موادّ « الجامعة » لاهم الحركات العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية التي حدثت في العالم منذ انشائه . وكل حركة من تلك الحركات تكلفنا ما لا يتصوره القارىء من الدرس والبحث والمطالعة والتنقيب . فاننا صرفنا خمسة عشر يوماً في مطالعة ما كتبه العرب والافرنج عن تاريخ الاندلس حتى لخصنا منه المقالة التي نشرناها في الجزء الاول من السنة الثالثة ونظنه اول تاريخ للاندلس من اوله الى آخره . وفي هذا الجزء نشرنا ترجمة الفيلسوف رنان للسيد المسيح وقد صرفنا اسبوعين كاملين في مطالعتها واعدادها لانها مكتوبة في اكثر من ٥٠٠ صفحة بحجم كبير . وفيه ايضاً تاريخ بني امية وقد قرأنا ما يزيد على ٦٠٠ صفحة من كتب مختلفة عربية وافرنجية حتى جمعناه منها باختصار جامع اللذة والفائدة

هذا سبيلنا في تحرير الجامعة قياماً بما يوجبه اقبال القراء عليها والماماً بجميع الشؤون العليا والمبادىء الكبرى لتكون الجامعة خزانة حقيقية جامعة لكل ما تجب معرفته على طلاب الحقيقة والمعرفة . ولو شئنا لاتممنا تحرير الجامعة في اسبوع واحد بان نجمع فيها بعض الفصول التافهة والمتفرقات والفكاهات والترجمات التي لا تكلف كاتبها تعباً وعناء . ولكننا نرى ان الذين يكون لهم شرف مخاطبة الجمهور ونقل المعارف الحقيقية اليه عليهم واجبات اسمى من ذلك بكثير. ونعتقد ان حضرات القراء بازاء ما يعلمونه من صرف الجامعة اوقاتها في خدمتهم الليل والنهار اعداداً للمواضيع التي يقرأونها بما يعرفونه من اللذة والفائدة يفضلون ان تصلهم الجامعة متأخرة اسبوعاً وهي مشحونة فوائد تصبو النفوس اليها على ان تاتيهم قبل اسبوع ولا شيء فيها مما يجب ان يكون فيها . فان مجلة كالجامعة يُصرف في تحريرها ما يُصرف من الوقت والقوى لا يكفي شهر لاعداد موادها فقط لولا الليل الذي يُعطي

النهار وان كان يأخذ من الاعمار كما يعطي المصباح النور الى البيت وهو ياخذ من الزيت ..

اما المصادر التي نستقي منها مواد الجامعة فهي كثيرة اهمها مؤلفات علماء الافرنج والعرب والكتب الافرنجية التي تصدر حديثاً والمجلات فاننا نطالع منها مجلة المجلات ومجلة باريز ومجلة العلم التصويري ومجلة الصحة واحياناً المجلة الانسيكلو بيذية ومجلة المطالعات العامة. واما الجرائد فنقرأ منها الطان والديبا والفيغارو والماتين وكلها جرائد يومية لا يفوتنا عدد منها. وفوق ذلك مكتبتنا الخصوصية والانسيكلو بيذية (دائرة المعارف) التي لا تخفى فائدتها. وعلى ذكر الانسيكلو بيذية نذكر كلمة لصديق فاضل كان لنا استاذاً في زمن الصبا وما اعقل الاستاذ الذي يكون تلامذته اصدقاء له بعد المدرسة. فان هذا الصديق كتب الينا منذ ثماني سنوات يقول « لقد حسبني اهلي مصاباً بالجنون المطبق لانني ابتعت « انسيكلو بيذية » علمية بخمسين ليرة فرنسوية اما انا فافضل امتلاك هذه الكتب المفيدة على امتلاك احسن دار في بيروت » ولقد صدق صديقنا واستاذنا فان فوائد الانسيكلو بيذيات العلمية التي يمكن بها تعميم مبادىء العلم بين الناس ولا سيما في بلاد الشرق لا تخفى فوائدها على الذين يحتاجون اليها

واذا اضفنا الى كل هذه المصادر مطالعة عشر سنوات متتالية لاطايب الكتب التي نُشرت في العلم والادب والفلسفة . واعداد مواضيعها المهمة بالاشارة اليها بقلم من رصاص جرياً على عادتنا في المطالعة زيادة في الاستفادة . وملاحظة نظام الاجتماع وشؤون هذه الحياة التي هي تارة حلوة وتارة مرة سنوات طوالاً . اذا اضفنا هذا الى ذاك علم القراء المصدر الذي تستقي منه الجامعة الماء الصافي الزلال لقرائها

اما كون « الجامعة » قد اثار نجاحها حسد احدى رصيفاتها النصف شهرية لان ذلك النجاح قد كسف هلالها فهذا امر عرضي يزول متى علمت تلك الرصيفة ان كتمان الحسد يؤذي صاحبه فكيف باظهاره . والجامعة في كل حال تسامحها لان تنشيط سائر الجرائد والمجلات لها وثناؤهن على خطتها ومبادئها ثناء لا تستحق جزءاً منه لما يمحو سوء صنع واحدة حاسدة ويحملنا على اهمال ما ارادته بالجامعة من الوقيعة وسوء القصد اللذين يذهبان في نظر العقلاء ما اكتسبته في جهادها بضع سنوات من سمعة الفضل والعلم . وكان بودنا ان تُبقي على هذه السمعة لانها اكتسبتها بحق واستحقاق ولانه يجب على المصادر الادبية والعلمية التي يرجع اليها الجمهور ان تكون مثالاً للفضل والنزاهة عن كل شائبة

ولكننا ما كتبنا هذا الفصل للوم والعتاب ولكن لشكر مساعدي الجامعة ولذلك نتقل

هذا الباب . ونقول قبل ختام الكلام ان الجامعة تقبل مساعدة كل نصير للعلم والادب ومحب لنشر مبادئها اذا رام الانضمام الى مساعديها واصدقائها الافاضل . وفي كل شهر تقريباً تردنا ولا سيما من جهات اميركا كتابات من افاضل لا نعرفهم يقترحون بها مساعدة الجامعة بنشرها بين القراء لان في ذلك خدمة عمومية . ومما يدل على نزاهة اولئك الوطنيين الكرام ورغبتهم المجردة في اشراك بني وطنهم في الفوائد التي يستفيدونها من الجامعة انهم يشفعون كتاباتهم باسماء اصدقائهم و بدلات اشتراكهم مقدماً وكل ذلك عفواً من غير طلب من الادارة . وقد كتب الينا احدهم من كولومبيا يقول منذ مدة « اني ابذل في سبيل مبادىء الجامعة كل مرتخص وغال و بناء عليه فقد ارسلت اليكم ٢٥ اسماً من اسماء معارفي واصدقائي لترسلوا المجلة اليهم وطيه وضعت لكم حوالة بثلاثمائة فرنك قيمة بدل اشتراكهم التي اخذت على نفسي جمعها منهم » وغيره يكتب من البرازيل « ان من واجبات كل سوري وكل مصري وكل عربي ذي نسمة حياة ان يشترك في الجامعة و ينشر مبادئها ولذلك اشركت سبعة من اصدقائي وجمعت تحت مسئوليتي قيم الاشتراك منهم وقدمتها للادارة طي هذا الكتاب » وغيره يقول من المكسيك « ان روح الجامعة نسمة حياة تدخل الى النفوس فتنهض الساقط وتحيي المائت فاذا كانت تقبلني مساعداً ليكون لي فضل الاشتراك في خدمة قرائها اولتني جميلاً وانا كفيل لكل من يشترك فيها عن يدي » وغيره يكتب « لم تغرني جريدة غير الجامعة . فانني استعير اكثر الجرائد والمجلات لاقرأها دون الاشتراك فيها و بذلك اقرأ كثيراً واستفيد دون ان ادفع شيئاً لاصحابها اما الجامعة فقد قرأت جزءها الاول من السنة الثالثة علمت اني بالاستعارة اخسر لا اربح فعزمت على اقتنائها فان مجلداتها خير ارث اتركه لاولادي »

وكل هذه الشذرات نقلناها حرفياً من الرسائل التي تردنا على ان هنالك شذرات نخجل من نقلها لانها تقريظ اشد من التقريظ الذي تقدم . ولم نتساهل بنشر هذه الشذرات التي نشرناها مع ما نعرفه في انفسنا من العجز الا لاظهار فضل مساعدي المجلة وتبيان حالة افكار السوريين المهاجرين الى الاقطار الاميركية وميلهم الجديد لكل ما من شانه زيادة الارتقاء الادبي والاجتماعي . فالى هؤلاء الافاضل الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم لضيق المجال نسدي خالص الشكر ونهنئهم بما اكتسبوه في تلك البلاد من الميل للعلم والادب وحب الارتقاء والجد في سبيله دون يأس ولا كلل

ولو رمنا الكلام عن قراء مصر والشام والهند وايران وروسيا وغيرها من الاقطار

الاميركية وسواها كما تكلمنا عن قراء بعض الاقطار الاميركية لضاق المجال . ولذلك قلنا في مقدمة الكلام ان الاهتمام العام الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يقضي عليها بواجبات جديدة لقرائها . وهذه الواجبات لا تقصر الجامعة فيها كما رأى ذلك قراؤها من التحسين الذي ادخلناه فيها فلم يبقَ زيادة لمستزيد وان كنا ننوي تحسيناً جديداً كبيراً ننفذه في اول فرصة فتبلغ الجامعة حينئذ اكبر مبلغ نريده لها . ولا ريب ان مساعديها واصدقاءها وقراءها يسرهم ان يعلموا انهم قد انشئوا في الشرق صوتاً صارخاً في ربوعه يدعو الى الحقيقة والعلم والفضيلة والاخاء والمحبة واقاموا فيه بناء ادبياً لا يتزعزع . وهذا من فضل مساعدتهم وما نحن الا رفقاء في العمل مثلهم . واذا كنا نحب الحياة على هذه الارض التي ليس فيها شيء يملأ نفس الانسان فانما ذلك لاتمام هذا العمل . ففي يد الله اذاً ان يمنّ بتمام العافية ليطيل هذا الجهاد المستحب وفي يده ان يقصره

﴿ الواحد الاحد ﴾ ان اول ما ينبغي ان يبتدىء به المرء هو ان يعلم ان لهذا العالم واجزائه صانعاً بان يتامل الموجودات كلها هل يجد لكل واحد منها سبباً وعلة ام لا . فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً عنه وجد . ثم ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها اسباب ايضاً ام ليست لها اسباب . فانه يجد لها ايضاً اسباباً . ثم يتامل وينظر هل الاسباب ذاهبة الى ما لا نهاية له ام هي واقفة عند نهاية ام بعض الموجودات اسباب للبعض على سبيل الدور . فانه يجد القول بانها ذاهبة الى غير نهاية محالاً ومضطرباً لانه لا يحيط العلم بما لا نهاية له . ويجد القول بان بعضها سبب للبعض على التعاقب محالاً ايضاً لانه يلزم من ذلك ان يكون الشيء سبباً لنفسه كما انه لو كان الالف سبباً للباء والباء سبباً للجيم والجيم سبباً للدال لكان الالف سبباً لنفسه وهذا محال . فبقي ان تكون الاسباب متناهية . واقل ما يتناهى به الكثير هو الواحد فسبب الاسباب موجود وهو واحد . ولا يجوز ان يكون ذات السبب وذات المسبب واحداً فسبب اسباب العالم منفرد بذاته عما دونه

(لابي نصر الفارابي من رسالته في السياسة)

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

المسيو فليكس فور

﴿ من معمل الدباغة الى رئاسة الجمهورية ﴾

(احاديث جريدة الفيغارو الجديدة)

ترجمة دباغ صار رئيساً لامة عظيمة · اعماله وسبب ارتقائه · ايام فتوته · كيف انقلب للرئاسة · الماسونية وسلطتها على الجمهورية · زيارته لروسيا وكيف حمل القيصر على اعلان التحالف · رغبته في استخدام الصحافة · رايه في وزرائه وفي الملكيين · برادة صديق معه · هل تسقط الجمهورية · واسفا لمواهب وقوى ذاهبة سدى

اذا كان الغرض من نشر تراجم مشاهير الرجال ان يتعظ القارىء بها ويعتبر فالمرحوم فليكس فور رئيس الجمهورية الفرنسوية قبل المسيو لوبه اولى الناس بالترجمة · والذي يجعل لترجمته في هذا الاوان اهمية خصوصية ما تنشره جريدة الفيغارو من احاديثه مع بعض اخصائه

وبيان الخبر ان جريدة الفيغارو طرأ بين مديريها ومساهميها منذ بضعة اشهر خلاف افضى الى استبداد مديرها المسيو بريفيه بادارتها دون سواه · رغبةً منه في توجيه الانظار اليها والدلالة على مقدرته الادارية سعى فحصل على احاديث كان يسرّها المسيو فليكس فور مدة رئاسته الى بعض اخصائه وصار ينشرها في مقالات متتالية في جريدته · ومنهم من قال ان المسيو فليكس فور نفسه قد كتب هذه الاحاديث على هذا الوجه لتنشر بعد مماته · ومهما يكن من هذا الامر فانه لا شبهة في ان تلك الاحاديث في غاية الاهمية وليس الآن في العالم رجل سياسي او قارىء يتبع سير سياسة العالم الا ويقرأها بلهفة وشوق · وهذا ما حملنا على تلخيصها للقراء

ولكننا نأتي قبل ذلك على فذلكة من ترجمة المسيو فليكس فور زيادة في الفائدة

***

ولد فليكس فور في باريز من ابوين فقيرين في عام ١٨٤١ وكان فتى نبيهاً مطبوعاً على



﴿ المسيو فليكس فور ﴾

حب الفائدة والسعي اليها بتأنٍ ونشاط· اي انه كان من ذلك النسل الذي يسمونه « النسل المادي » لانصراف افكاره عن التصورات والاحلام الى الامور المادية الحاصلة · ولما دخل فليكس فور الى مدرسة بومبيوس التجارية في ابفري زادته دروس هذه المدرسة تمسكاً في آرائه

وبعد خروجه من هذه المدرسة سافر الى انكلترا فاقام بضعة شهور مستخدماً في احد محلاتها التجارية ثم عاد الى فرنسا ودخل عاملاً في معمل للدباغة للمسيو دومه في امبواز · وقد وصفه المسيو دومه صاحب المعمل في صغره فقال « ان فليكس كان طويل القامة نحيفاً كعود الكبريت شديد صفرة الوجه بلا لحية ولا شارب وجسمه محدوب قليلاً · ولكن نفسه كانت مستقيمة كالسيف وصداقته قوية كعصا معقدة »

ولا يزال في معمل المسيو دومه كثيرون من العملة الشيوخ يذكرون الفتى فليكس العامل وهم يشيرون حتى اليوم الى مكان في شاطىء نهر بجانب المعمل كان فليكس يغسل

فيه جلود المعمل . ولما انتخب لرئاسة الجمهورية بعث اليه رفاقه العاملون في معمل دومه المذكور بالتلغراف التالي

« يا حضرة الرئيس

« نحن الموقعون على هذه الرسالة نتشرف بان نهنئكم بانتخابكم لرئاسة الجمهورية ونرجو ياحضرة الرئيس ان تثقوا باننا ندعو دواماً بحفظكم للمنصب السامي الذي وضعتكم فيه دار الندوة»

على ان الذي يقرأ هذه الرسالة تحدثه نفسه بان اولئك العاملين كانوا يخشون ان يعود فليكس الى الدباغة في معمله حتى قالوا له « نرجوك ان تثق باننا ندعو لك بحفظك لمنصبك »

وقد صرف الفتى فليكس سنتين في هذا المعمل ثم خرج منه وشارك بعض التجار وفتح محلاً خصوصياً له فنجح وارتقى واكتسب ثقة رفاقه التجار فعين في جملة قضاة المحكمة التجارية فانصرف الى خدمة الغرفة التجارية في الهافر . ولم تكن تكفيه الفوائد التجارية التي كان يكتسبها بالدرس والملاحظة فراح يسوح في الشرق ليفحص فيه مجرى التجارة وحاجاتها فوصل حتى الى بلاد ايران في زمن قلما كان الفرنسويون يخرجون فيه من وطنهم . وقد باغتته حرب السبعين وهو في مشاغله التجارية فتجند يومئذ وقاد الاورطة السادسة لحرس الهافر ثم سار ببعضها الى باريز لكبح جماح انصار الكومون فكافأته الحكومة بوسام جوقة الشرف

وفي سنة ١٨٨١ عين عضواً في مجلس النواب فكان عقله منصرفاً الى الامور التجارية والاقتصادية والبحرية . فجعل سكرتيراً لوزارة المستعمرات والبحرية ثم انتخب نائباً لرئيس مجلس النواب ثم جعل وزيراً للبحرية حتى ارتقى الى رئاسة الجمهورية

ولم يرتق الى هذه الرئاسة لانه اقدر رجال عصره او اعلمهم او اشدهم دهاء . كلا ولكن هذا الرجل كان حسن الحظ منذ شبابه . فانه لم يقدم على امر الا ونجح فيه . ولعل ذلك لانه كان معتدلاً كل الاعتدال لا يطمع في السياسة وفلسفة الاجتماع الى ما وراء الموجود الحاصل ويسالم كل الاحزاب حتى الاحزاب الملكية حتى انه لم يشترك في القرار الذي قرره البرلمان من نفي المطالبين بعرش فرنسا بل اقام على الحيادة بين الفريقين . وكان فوق ذلك بشوشاً لطيفاً يعتقد ان الاعداء لا يغلبون الا بالاحسان اليهم ولذلك كان كثير المجاملة والمداراة لاعدائه فيقلعون عن عداوته . والحاصل ان كل رجل كان يقابل هذا الرجل كان يخيل له انه صديقه الخاص وسواء دعي هذا الامر رياء او تلاعباً بالناس فانه قوة وهذه القوة نافعة جداً لمن تكون له نفس لا تستنكر استخدامها

اما اعمال فليكس فور مدة حياته فهي انشاؤه مجلساً عالياً لوزارة المستعمرات ووضعه

اساس المدرسة الاستعمارية وتنظيمه مراكز فرنسا العسكرية والتجارية في مستعمراتها في افريقيا وجهره بالسياسة الاستعمارية في زمن كان الجهر فيه بذلك يقتضي شجاعة ادبية وهو الزمن الذي كان فيه الاشتراكيون قائمين قاعدين بسبب فشل فرنسا في حملة التونكين ٠ وقد وضع قانوناً مقتضاه جعل اصحاب المعامل مسئولين عن الطوارئ التي تطرا على العملة في معاملهم وجعل الحكومة تنشئ وساماً خصوصياً يدعى وسام العملة وذلك لمكافئة العملة من احسنوا صنعاً ٠ واقترح على مجلس النواب تقرير مادة مقتضاها ان كل من يبذل حياته لانقاذ احد من الناس تعطى ورثته راتباً قدره ثلاثمائة فرنك في كل عام ٠ وزد على ذلك انه كان واسطة التقرب العظيم الذي حدث بين فرنسا وروسيا يوم زيارته القيصر في بطرسبرج ٠ وقد كتب فليكس فور كتاباً هذا عنوانه « ميزانية فرنسا وباقي الامم الكبرى »

﴿ احاديث الفيغارو ﴾

ايام فشوده — اما الاحاديث التي حدث بها فليكس فور صديقه الذي لا يزال مجهولاً ولا تزال جريدة الفيغارو تنشرها في مقالات متوالية فاننا نلخصها هنا تلخيصاً قال فليكس فور في مسالة فشوده

« لقد كانت الحرب يومئذ على قاب قوسين او ادنى ٠ وقد بذلنا جهدنا لنكون في غاية الاستعداد لها ٠ ولكن الصعوبة كانت في ماذا تكون وظيفة رئيس الجمهورية في اثناء الحرب فان الدستور الفرنسوي لا يشير الى شيء من ذلك بل يكتفي بقوله « ان باريز تكون مركز الحركات الحربية في اثناء الحرب » ولكن اذا حصر العدو باريز فاذا يصنع رئيس الجمهورية ٠ وماذا تكون وظيفة البرلمان حينئذ ٠ اما انا فقد كنت عازماً على ان اطلب من البرلمان ان يعين عشرين عضواً من مجلس النواب ومن مجلس الشيوخ ويجعلهم لجنة وقتية لمساعدة السلطة الاجرائية اي الحكومة واذا وقع بين هذه اللجنة والحكومة اختلاف كان الفصل في ذلك لرئاسة الجمهورية والحكومة على شرط ان تكونا مسئولتين عن ذلك لدى البرلمان ٠ فقال له صديقه وهل كنتم لا تخشون جانب المانيا في حربكم مع انكلترا ٠ فاجاب الرئيس اني كنت على ثقة من ان المانيا لا تحرك ساكناً لان من مصلحتها ترك فرنسا وانكلترا تضعفان معاً ٠ ومع ذلك فاذا حركت ساكناً فان روسيا حاضرة لارجاعها ٠

ثم قال الرئيس انه من الواجب ان يكون رئيس الجمهورية محبوباً الى الشعب والعامة ليكون ذا سلطة حقيقية وتاثير فعلي في سياسة الامة في الازمات الشديدة ٠ ولا اكتمك اني محبوب جداً الى الشعب خلافاً لمن تقدمني من الرؤساء ٠ فان المسيو كارنو كان مصاباً

فيه جلود المعمل . ولما انتخب لرئاسة الجمهورية بعث اليه رفاقه العاملون في معمل دومه المذكور بالتلغراف التالي

« يا حضرة الرئيس

« نحن الموقعون على هذه الرسالة نتشرف بان نهنئكم بانتخابكم لرئاسة الجمهورية ونرجو ياحضرة الرئيس ان تثقوا باننا ندعو دواماً بحفظكم للمنصب السامي الذي وضعتكم فيه دار الندوة»

على ان الذي يقرأ هذه الرسالة تحدثه نفسه بان اولئك العاملين كانوا يخشون ان يعود فليكس الى الدباغة في معمله حتى قالوا له « نرجوك ان تثق باننا ندعو لك بحفظك لمنصبك »

وقد صرف الفتى فليكس سنتين في هذا المعمل ثم خرج منه وشارك بعض التجار وفتح محلاً خصوصياً له فنجح وارتقى واكتسب ثقة رفاقه التجار فعين في جملة قضاة المحكمة التجارية فانصرف الى خدمة الغرفة التجارية في الهافر . ولم تكن تكفيه الفوائد التجارية التي كان يكتسبها بالدرس والملاحظة فراح يسوح في الشرق ليفحص فيه مجرى التجارة وحاجاتها فوصل حتى الى بلاد ايران في زمن قلما كان الفرنسويون يخرجون فيه من وطنهم . وقد باغتته حرب السبعين وهو في مشاغله التجارية فتجند يومئذ وقاد الاورطة السادسة لحرس الهافر ثم سار ببعضها الى باريز لكبح جماح انصار الكومون فكافأته الحكومة بوسام جوقة الشرف

وفي سنة ١٨٨١ عين عضواً في مجلس النواب. فكان عمله منصرفاً الى الامور التجارية والاقتصادية والبحرية . فجعل سكرتيراً لوزارة المستعمرات والبحرية ثم انتخب نائباً لرئيس مجلس النواب ثم جعل وزيراً للبحرية حتى ارتقى الى رئاسة الجمهورية

ولم يرتقِ الى هذه الرئاسة لانه اقدر رجال عصره او اعلمهم او اشدهم دهاء . كلا ولكن هذا الرجل كان حسن الحظ منذ شبابه . فانه لم يقدم على امر الا ونجح فيه . ولعل ذلك لانه كان معتدلاً كل الاعتدال لا يطمح في السياسة وفلسفة الاجتماع الى ما وراء الموجود الحاصل ويسالم كل الاحزاب حتى الاحزاب الملكية حتى انه لم يشترك في القرار الذي قرره البرلمان من نفي المطالبين بعرش فرنسا بل اقام على الحيادة بين الفريقين . وكان فوق ذلك بشوشاً لطيفاً يعتقد ان الاعداء لا يُغلبون الا بالاحسان اليهم ولذلك كان كثير المجاملة والمداراة لاعدائه فيقلعون عن عداوته . والحاصل ان كل رجل كان يقابل هذا الرجل كان يخيل له انه صديقه الخاص وسواء دُعي هذا الامر رياء او تلاعباً بالناس فانه قوة وهذه القوة نافعة جداً لمن تكون له نفس لا تستنكر استخدامها

اما اعمال فليكس فور مدة حياته فهي انشاؤه مجلساً عالياً لوزارة المستعمرات ووضعه

اساس المدرسة الاستعمارية وتنظيمه مراكز فرنسا العسكرية والتجارية في مستعمراتها في افريقيا وجهره بالسياسة الاستعمارية في زمن كان الجهر فيه بذلك يقتضي شجاعة ادبية وهو الزمن الذي كان فيه الاشتراكيون قائمين قاعدين بسبب فشل فرنسا في حملة التونكين . وقد وضع قانوناً مقتضاه جعل اصحاب المعامل مسئولين عن الطوارئ التي تطرأ على العملة في معاملهم وجعل الحكومة تُنشئ وساماً خصوصياً يُدعى وسام العملة وذلك لمكافأة العملة متى احسنوا صنعاً . واقترح على مجلس النواب تقرير مادة مقتضاها ان كل من يبذل حياته لانقاذ احد من الناس تُعطى ورثته راتباً قدره ثلاثمائة فرنك في كل عام . وزد على ذلك انه كان واسطة التقرب العظيم الذي حدث بين فرنسا و روسيا يوم زيارته القيصر في بطرسبرج . وقد كتب فليكس فور كتاباً هذا عنوانه « ميزانية فرنسا و باقي الامم الكبرى »

﴿ احاديث الفيغارو ﴾

ايام فشوده — اما الاحاديث التي حدث بها فليكس فور صديقه الذي لا يزال مجهولاً ولا تزال جريدة الفيغارو تنشرها في مقالات متوالية فاننا نلخصها هنا تلخيصاً قال فليكس فور في مسالة فشوده

« لقد كانت الحرب يومئذ على قاب قوسين او ادنى . وقد بذلنا جهدنا لتكون في غاية الاستعداد لها . ولكن الصعوبة كانت في ماذا تكون وظيفة رئيس الجمهورية في اثناء الحرب فان الدستور الفرنسوي لا يشير الى شيء من ذلك بل يكتفي بقوله « ان باريز تكون مركز الحركات الحربية في اثناء الحرب » ولكن اذا حصر العدو باريز فاذا يصنع رئيس الجمهورية . وماذا تكون وظيفة البرلمان حينئذ . اما انا فقد كنت عازماً على ان اطلب من البرلمان ان يعين عشرين عضواً من مجلس النواب ومن مجلس الشيوخ ويجعلهم لجنة وقتية لمساعدة السلطة الاجرائية اي الحكومة واذا وقع بين هذه اللجنة والحكومة اختلاف كان الفصل في ذلك لرئاسة الجمهورية والحكومة على شرط ان تكونا مسئولتين عن ذلك لدى البرلمان . فقال له صديقه وهل كنتم لا تخشون جانب المانيا في حربكم مع انكلترا . فاجاب الرئيس انني كنت على ثقة من ان المانيا لا تحرك ساكناً لان من مصلحتها ترك فرنسا وانكلترا تضعفان معاً . ومع ذلك فاذا حركت ساكناً فان روسيا حاضرة لارجاعها .

ثم قال الرئيس انه من الواجب ان يكون رئيس الجمهورية محبوباً الى الشعب والعامة ليكون ذا سلطة حقيقية وتأثير فعلي في سياسة الامة في الازمات الشديدة . ولا اكتمك انني محبوب جداً الى الشعب خلافاً لمن تقدمني من الرؤساء . فان المسيو كارنو كان مصاباً

برض في معدته فلم يكن بشوشاً لطيفاً لان البشاشة والمرض امران لا يجتمعان . واما انا فمعدتي قوية جداً ولذلك تراني مسروراً دائماً . وسروري هذا يسري الى الشعب وهذا سبب ارتياحه اليَّ"

. . . .

طريقة انتخابه للرئاسة — وتكلم عن انتخابه لرئاسة الجمهورية فقال . انني لا اعرف لذلك من سبب غير حسن الحظ . فانني لما سقطت الوزارة السابقة زرت شارل ديبوي لاساله ان يرضى برئاسة الوزراء التي كان يقدمها اليه اصدقاؤه . والعادة ان الذي يقول هذا القول لرجل اهل للرئاسة يكون كانه يقول له « اذكرني متى توليت رئاسة الوزراء » فلما صار ديبوي رئيساً للوزارة استدعاني وقلدني وزارة . وهذا سبب صيرورتي وزيراً

اما انتخابي لرئاسة الجمهورية فقد كان شبيهاً بهذا الامر تقريباً . فان الجرائد الاشتراكية كانت تطعن على المسيو كازيمير بريه رئيس الجمهورية بعد المسيو كارنو طعناً شديداً . ففي ذات يوم كنت سائراً لحضور مجلس الوزراء في قصر رئاسة الجمهورية فتناولت احدى تلك الجرائد فرايت فيها طعناً في الرئيس لا اقبح منه فاخذت الجريدة والقيتها في مجلس الوزراء وسالتهم اذا كان لا يجب محاكمة الطاعن . فتناول كازيمير بريه الجريدة وقراها ثم القاها دون ان ينطق بكلمة . فتناولها رئيس الوزارة ولم يظهر رغبة في محاكمة الكاتب مخافة ان تكون الجريدة نفسها راغبة في هذه المحاكمة زيادة في شهرتها . ولكنهم عادوا فقرروا محاكمة الكاتب فدافع عنه المسيو جوريس دفاعاً كان له دوي في اوربا كلها فبرات المحكمة ساحة الطاعن وحينئذ استعفى المسيو كازمير بريه من رئاسة الجمهورية . ولما شرعوا في انتخاب خلف له وقعت اكثرية اصوات دار الندوة عليَّ لانني كنت معتدلاً ولم اكن قد اسات الى احد . فكاني كنت السبب في استعفاء المسيو كازمير بريه وانتخاب نفسي . اليس هذا من الاتفاق وحسن الحظ

. . . .

الماسونية وسلطتها على الجمهورية — قال فليكس فور « ويزعم بعضهم ان مقاليد الجمهورية في ايدي الماسون فلا يحدث شيء فيها الا وهم راضون عنه . ويزعم بعض آخر ان مقاليد الجمهورية في ايدي الجزويت فلا يحدث شيء فيها الا برضاهم واغراضهم . وكلا القولين عبث وثرثرة فارغة فانني انا ماسوني ولكني لا اذكر ان الاواج الماسونية سألتني

امرًا يومًا ما ولقد « صوت » احيانًا ضد الامور التي كانوا يرغبون فيها فلم يكلمني في ذلك احد منهم . وانت تعلم ان المسيو « بريسون » هو رجل الماسون وصاحب النفوذ العالي عندهم ومع ذلك فان اصوات الجمهور بيين لم تتفق على انتخابه رئيسًا للجمهورية . فلو كان للماسون الكلمة العليا في شؤون فرنسا وكان الجمهوريون خاضعين للاوامر الماسونية لكان انتخب للرئاسة . ولا اذكر انني استفدتُ من عضويتي في الماسونية الا مرة واحدة في حياتي . فانني كنت يومًا مع احد الاصدقاء في محطة اثينا الحديدية والزحام شديد فلما ابصرتُ رئيس المحطة اشرتُ اليه اشارة ماسونية فخف الينا لانه كان من الاخوة واعدّ لنا مكانًا مناسبًا . هذا كل ما استفدته من الماسونية

. . . .

زيارته لروسيا وهو رئيس الجمهورية — « وكان همي في زيارتي لروسيا ان اؤثر تاثيرًا حسنًا في الدوائر الرسمية ولدى الشعب . فان رؤساء الجمهوريات ليسوا بابناء ملوك ليغتفر لهم ما يأتونه من الخطاء والخلل في اقوالهم واعمالهم مدة زياراتهم الرسمية . وكنت عالمًا ان اكثر السفراء لا يكرهون ان يسردوا لوزرائهم ما آتيه من الخطاء لدى مقابلتهم او ما اقع فيه من الارتباك والاضطراب ليضحكوا مني وقد كان رجال حكومة روسيا حتى سفير فرنسا في بطرسبرج نفسه غير مستريحين من هذا القبيل. اما انا فقد بذلتُ جهدي لاحسن مقابلة الجميع علمًا بان فشلي يضرُّ بفرنسا وسمعة الجمهورية نفسها اذ يقول الناس حينئذٍ ان هؤلاء الجمهوريين قوم جهلة لا يحسنون معاشرة الناس وعاداتهم . و يسرني ان اقول لك انني قد قمت بهذا الواجب خير قيام . فانني كنت اعطي في المقابلات كل ذي حق حقه واحادث كل واحد بما يروقه و يطيب له . فسرّ رجال الحكومة الروسية بذلك سرورًا لا مزيد عليه ورأيت سفيري مشرق الوجه من سروره . ولقد سمعني القيصر مرة اخاطب جنديًا روسيًا واساله عن حاله فقال لي لله كم تحسن التكلم بلغة الجنود . ومما ساعدني على النجاح في ذلك قامتي الطويلة وبشاشتي الدائمة . ولو كنت شيخًا ضئيلاً قصير القامة لوقعت في الفشل »

اما المسيو غاستون ليرو فانه يقول ان المسيو فليكس فور قد اخطأ في اثناء سياحته في روسيا مرتين . الاولى انه حضر استعراض الجنود بجانب القيصر وهو لابس رداءه الخارجي (باردوسو) وهذا امر محرم في المقابلات الروسية الرسمية . والثانية انه زار مع القيصر والقيصرة الكنيسة التي دُفن بها بطرس الاكبر دون ان يجثو امام القبر جريًا على العادة

الروسية . وقد اخذ الروس ذلك عليه

. . . .

تلغرافا البوتو والتحالف الفرنسوي الروسي — وقد قال فليكس فور في هذا الموضوع قولاً كان مجهولاً قبله . وهو ان روسيا وفرنسا لم تكونا قد صرحتا رسمياً قبل زيارتي بوجود تحالف بينهما . فلما دعوت القيصر نيقولا الى مائدة الوداع في دارعة البوتو قبل السفر كتبت نص « النخب » الذي عزمت على « شربه » ودفعته الى القيصر جرياً على العادة في مثل هذا الامر . وقد دسست فيه هاتين الكلمتين « روسيا وفرنسا المتحابتين المتحالفتين » فلما قرأه القيصر اعاده اليّ وقد كتب في نخبه هذه الكلمة التي كتبتها في نخبي . فكان اقدامي وحده باعثاً على اعلان تحالف الدولتين امام اوربا كلها . وقد كتبت ما كتبت وانا على ثقة من ان القيصر لا يعارضني لانني اعرف قلبه . ولو عارضني لعارضته حينئذٍ وقلت له ما الفائدة من كتمان تحالف معلوم امره لدى كل الناس . وهذا يدل على ان رئيس الجمهورية قادر باقدامه على نفع بلاده . اذ انني لو تركت الى رجال حكومتي ان يكتبوا لي نص النخب لكتبوا عبارات مبهمة غامضة جرياً على العادة ولم يكن قد حدث في اوربا كلها شيء من ذلك التاثير العظيم الذي حدث فيها يوم اعلاننا التحالف بتلك الصورة الرسمية

. . . .

فليكس فور وتاثير الصحافة — وقال صديق فليكس فور : قال لي الرئيس اليوم حين التقائي به انني اتيت مؤامرة صغيرة . فسالته ما هي . فاجاب انني لقيت المسيو جان ديبوي مدير جريدة « البتي باريزيين » وسالته لماذا تجتنب جريدته الكلام عني اجتناباً يكاد يكون مقصوداً ولماذا لا تصنع صنع جريدة « البتي جورنال » التي تغتنم كل فرصة للكلام عن رئيس الجمهورية . فاجابني ان جريدته لا تجتنب ذلك وانها ستقوم بما يجب عليها لرئيس الجمهورية كما قامت به من قبل . اما انا ففهمت من ذلك ان جان ديبوي لا يريد مجاراتي وما العمل به فانه رجل قوي وهو ينال كل ما يريده من الوزراء فلا يحتاج اليّ (١) واني اتمنى ان تكون الجرائد الكثيرة الانتشار نصيرة لرئيس الجمهورية حتى اذا طرأت بعض الطوارئ استطاع التاثير بها على الشعب وتحريكه الى حيث يريد .

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان المسيو جان ديبوي المشار اليه هو اليوم وزير الزراعة في فرنسا

ولا اعني بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد الكبيرة او جرائد الاحزاب فانه سيان لديَّ مدح هذه الجرائد وذمها لان لكل واحدة منها رايًا معلومًا وغرضًا سياسيًا مشهورًا وكلما عملتُ عملاً عرفتُ قبل عمله الجرائد التي ستمدحه والجرائد الذي ستذمه . ولكنني اقصد بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد التي قراؤها يعدون بالملايين وهي ملتزمة الحياد فلا تتداخل الا في الازمات الشديدة . ومتى تداخلت وحثت على امر تبعها قراؤها لانهم اولاً لا راي لهم غير ما تكتبه وثانيًا لانهم يعرفون حيادتها . واما الجرائد الاخرى فلا يتبعها قراؤها لان لكل واحد منهم رايًا خاصًا به وهم يعرفون سياستها .

نقول والمقصود بذلك ان قراء البتي جورنال والبتي باريزيين من العامة وقراء الجرائد الاخرى من الخاصة

. . . .

هو ووزراؤه — وقال عن وزرائه . ان المسيو ملين هو افضلهم لانه معتدل في سياسته . وقد كان اعتداله سببًا في استتباب السلام في داخل فرنسا وثقة الدول بحكومتها في الخارج . واما المسيو ريبو فهو رجل كثير النباهة ولكنه كثير التقلب لرغبته في ارضاء جميع الاحزاب معًا . واما المسيو بورجوى فهو صديقي الحميم شخصيًا ولكني لا احب سياسته . ولست اخطئ اذا قلت ان المسيو بورجوى انبه رجال السياسة ولكنه من سوء الحظ راديكالي متطرف . واني استغرب ميله الى الاشتراكية لان الاشتراكيين ليسوا من ابناء العصر وانصار التقدم وانما هم من ابناء الماضي وانصار التاخر . وقد كنت مستاء من وزارة بورجوى ولما كنت اجول في فرنسا في احدى سياحاتي واسمع باذني اهانة مجلس السنات لمعارضته في مشروع الضريبة على الايراد الذي هو اهم مشروعات الراديكاليين كنت استاء من ذلك اشد استياء مخافة ان يظن الناس فيَّ الرضى عن سياسة المسيو بورجوى واهانة مجلس السنات . ولما استقال المسيو بورجوى سررت بانني صرت قادرًا على مقابلته كصديق حميم لا كوزير

. . . .

فليكس فور والملكيون — وكان من سياستي التقرب من النبلاء والملكيين لاستمالتهم الى الجمهورية لانه يجب هدم السور الذي بيننا وبينهم ولذلك كنت اجامل والاطف كثيرين منهم وقد اهديت كتابًا مخصوصًا الى الدوقة دوزيس النحاتة الشهيرة التي تحنط الجمهوريون عليها لانها وهبت الحزب الملكي شيئًا كثيرًا من مالها ليستخدمه في اسقاط الجمهورية . واني

اعجب من ان ابناء النبلاء والملكيين يصرفون حياتهم في البطالة ولا يدخلون في وظائف الحكومة ويتجاوزون الى الجمهورية خدمة « لفرنسا » ولاسيما في وظائف الشؤون الخارجية . ولماذا لا يكون بين سفرائنا مثلاً احد من ابنائهم غير المركيز دي رونفرو والكونت دي مونبلو (سفيري فرنسا في النمسا وروسيا)

. . . .

برادة صديق معه — وقال سمير المسيو فليكس فور : ان المسيو فور عهد اليَّ اليوم امرًا ثقيلاً . فانه كلفني ان اذهب الى فلان وارجو منه ان يترك البرادة مع الرئيس ولاسيما في المقابلات الرسمية . قال المسيو فور فان هذا الرجل من اصدقائي ولكنه يسوء اليَّ بصداقته فانه في اثناء المقابلات الرسمية امام الناس كلهم يخاطبني بلهجة الصديق « الرافع الكلفة بينه وبين صديقه » فانه لا يكلمني الا بضمير المفرد المخاطب انتَ وانتَ اظهارًا لما بيني وبينه من الصلات . فانا لا انكر صداقته ولطفه ولكني لست في المقابلات الرسمية « صديقه فليكس فور » بل اني حينئذ « رئيس الجمهورية » . وقل له افترض ان جنديين كانا متصادقين ثم ارتقيا والتقيا في آخر عمرهما الواحد كولونل والثاني جنرال فان الاول يكون مرؤوساً للثاني في اثناء الوظيفة وصديقه خارج الوظيفة

. . . .

هل تسقط الجمهورية — اما الجمهورية الفرنسوية فان المسيو فور لا يرى انها تسقط مهما هاجمها اعداؤها . : وذلك لان الجمهورية ليست ملكية يكفي لاسقاطها ان يُخلع الملك او يقتل بل انها ذات مائة راس وراس فمتى سقط راس منها قام راس . واذا فرضنا ان الانتخابات العامة افضت في ذات يوم الى انتخاب جميع اعضاء مجلس النواب من الملكيين فماذا يصنع مجلس النواب بالجمهورية . لا ريب انه لا يقدر على ان يوصل الاذى اليها لان مجلس السنات جمهوري والحكومة القابضة على ازمة الاحكام جمهورية ورئيس الجمهورية في الشانزهليزه جمهوري وفضلاً عن ذلك فان الشعب جمهوري ولا يدع احدًا يمس الجمهورية بسوء . نعم انه اذا حدثت ازمة شديدة ووقعت فيها الجمهورية في فشل عظيم او طرأ عليها مصاب اليم يزعزع ثقة الفرنسويين بها قد يستسلم الشعب الى كل من يمدّ يده اليه حينئذ لانقاذه ولكني لا اظن احدًا من اعداء الحكومة الحاضرة يتمنى ان ينزل بفرنسا مثل ذلك المصاب لبلوغ امانيه وآماله

***

والحاصل ان قصة هذا « الدباغ » الذي صار رئيس دولة من اعظم دول الارض

والذي صار يجالس القياصرة وسلاطين الامم والذي قام لذكره احتراماً اعضاء مجلس الرشستاغ الالماني لما بلغهم خبر وفاته بداء السكتة — قصة تشرف الوطن الذي عاش فيه وتوقع الحسرة في نفوس كثير من الامم الشرقية . وهي تشرف الوطن الذي عاش فيه لانها تدلّ على ما في ذلك الوطن من حرية ومساواة و وسائل النهوض من معمل الدباغة الى زعامة الامة . وتلقي الحسرة في نفوس الشرقيين لما يرونه من الابواب المقفلة دون مواهبهم واستعدادهم والاسوار القائمة بينهم و بين ما تناجيهم به نفوسهم

ارايتم فرنكلين اذا وقف على قمة للجبل الابيض في ليلة ليلاء تكاثفت غيومها ولمعت بروقها كيف يأسف على تلك القوى الكهربائية العظيمة الذاهبة في اعالي الجو سدى

ارايتم زولا اذا وقف في نافذة قصره في باريز في اشد ايام القيظ وشاهد اشعة الشمس المحرقة تتفرق في الفضاء كيف يأسف لان الانسان لم يتعلم بعدُ طرق استخدامها

ارايتم نيوتن اذا وقف على شاطىء بحر المانش في يوم من اشد ايام الشتاء وشاهد هياج الامواج الهائلة وحركتها المستمرة الدائمة كيف يأسف على ذهاب هذه الحركة القوية سدى لان الانسان لم يقوَ بعدُ على استعمالها

ارايتم اذا عصفت العواصف وهبت الاعاصير تخرب المدن وتحمل الناس والسقوف والحيوانات الى اعالي الجو كيف يأسف الانسان على قوى هذه العناصر التي لا يستطيع اخضاعها واستخدامها

هكذا يأسف الشرقيون على قوى ومواهب رجالهم الذاهبة سدى

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تُذهب راسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

انستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي ... فطاب الانس لي وصفا السرور
وادبني الزمان فلا ابالي ... باني لا ازار ولا ازور
ولست بسائل ما عشت يوماً ... اسار الجند ام ركب الامير

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

﴿ تابع للمقالة السابقة في الجزء الثاني ﴾

بحث فيه وصف الامكنة التي ربي فيها السيد والوسط الذي عاش فيه والمبادئ التي كانت تختلج يومئذ في نفوس اليهود والحركة الاجتماعية العظيمة التي حدثت يومئذ وغيرها من الفوائد التاريخية والاجتماعية

الفصل الاول · وطن يسوع

وُلد السيد في الناصرة · وكانت قبله بلداً خاملاً لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر لا في التوراة ولا في التلمود ولا في مؤلفات يوسيفوس · ولذلك كان معاصروه يسمونه « الناصري » وقد كانت ولادته في عهد اغسطس قيصر وربما كان ذلك في سنة ٧٥٠ من بناء رومه اي انه ولد قبل السنة الاولى من التاريخ المسيحي الذي اصطلحت عليه اليوم الامم المسيحية ببضع سنوات

ومن الراجح ان الناصرة لم تكن في زمن ولادته تفرق كثيراً عنها اليوم · فان الهواء والجو لم يتغيرا في جميع بلاد سوريا عما كانا عليه يومئذ ولذلك لم يتغير شيء على الارجح من طرق بناء منازلها واتجاه دورها وشق شوارعها · ففي تلك الشوارع المفروشة بالحجارة وتلك الساحات الصغيرة التي هي ملتقى شوارع كثيرة تفصل الاكواخ والمنازل بعضها عن بعض كان يلعب الصبي يسوع · ولا ريب ان منزل يوسف كان شبيهاً بتلك الغرف الصغيرة التي لا يدخلها النور الا من بابها والتي تُتخذ لكل شيء حتى الطبخ والنوم · ولا فراش فيها غير « حصيرة » على اطرافها بعض مساند (مخدات) موضوعة على الارض ووعاء او وعاءين من الفخار وخزانة مدهونة

وكانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال . اما سكانها فانهم يبلغون اليوم (في زمن رنان) اربعة الآف نسمة فكأنها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة الآف نسمة وهو قول لا يخلو من مبالغة (١) والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جدًّا . وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية . وربما لم تكن منازل الناصرة تفرق عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائق . اما المكان الذي بُنيت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتامل في السعادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مقاماً جيلاً . اما سكانها فهم قوم الفوا اللطف والبشاشة . وحدائقها باردة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فرط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خصيبة ينطبق عليها وصفه . اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هُدمت ولا يجري الآن من نبعها سوى ماء كدر . واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء — ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر بانه هبة للناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقرق على وجوههن . فهناك الشكل السوري الجميل في اتم خلقته . ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين ومعها اناء الماء لتستقي منها . وقد قال انتونين مارتير ان نساء اليهود يُكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهاً شديداً في غيره وذلك لان هواء وطن السيد لطف اخلاقهن . واذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الاماكن

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان رنان يصف الناصرة هنا كما شاهدها منذ ثلاثين عاماً اما اليوم فقد قام فيها وفي جميع نواحي فلسطين مبانٍ جديدة وزاد عدد السكان ونشأت عملات زراعية اسرائيلية والمانية جعلت كثيراً من اراضيها القفراء حدائق غناء . ونوجه انظار حضرات القراء في الناصرة الى ما يرد عن وطنهم في هذه المقالة ونتمنى بعد ما ذكره رنان عنها ان يتحفنا احدهم بوصف الاماكن التي يمرّ ذكرها فانه يحسن وصف تلك الاماكن الكريمة من قلم « ناصري »

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدتَ الى الآكام المشرفة على المدينة انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب . فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتدًّا الى البحر وداخلاً فيه و يليه غيره من الجبال بينها وادي الاردن وسهول بيريا المرتفعة . اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتُظهر لك خليج حيفا

فهذا كان افق يسوع . هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية . فاذا بقي العالم مسيحياً في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها و يشاهد العالم منها . هناك يجب ان تُقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحجّ اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من ابناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف ان يقف و يتامل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه وليتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرفه شيء عنه مهما قام في سبيله من المصائب والعثرات

الفصل الثاني . تربية يسوع

تلك هي المناظر الطبيعية الجميلة التي ربي يسوع بينها . ولقد نشأ يسوع في قريته وتعلم الكتابة والقراءة (انجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ٦) وكان معلم المدرسة في القرى اليهودية يُدعى « الحزان » او القارىء في المعبد . ولا يحتمل ان يكون السيد قد تعلم اللغة اليونانية في صباه وانما كانت لغته اللغة السريانية ممزوجة بالعبرانية وهي اللغة التي كان يتكلمها اهل فلسطين في ذلك الزمان . اما اللغة اليونانية فقد كانت محرمة على اليهود وقد حرم بعض روسائهم من يتعلمها فقال « ان من يعلم ابنه علوم اللغة اليونانية ومن يربي الخنازير سواء في النجاسة » وسُئل احد روسائهم في اي وقت يجوز تعليم العلوم اليونانية للاولاد فاجاب « يجوز ذلك في كل وقت غير الليل والنهار لانه مكتوب انه يجب درس الشريعة في الليل والنهار » فكأنه اجابه لايجوز درسها . ومع ذلك فقد كان بعض اليهود يدرسون العلوم اليونانية ويحاولون ادخالها الى الاداب اليهودية . واشهرهم نقولا داماس او الدمشقي الذي كان اشهر علماء عصره و يوسيفوس الذي قال عن نفسه انه مستثنى بذلك

عن باقي اليهود · ولقد نشأت في مصر طائفة من علماء اليهود كانت تقتبس العلوم اليونانية وتنشرها ونشأ فيها الفيلسوف العظيم فيلون الاسكندري ولكن يهود فلسطين كانوا يعدون هذه الطائفة مفصولة عنهم ولقد كان انفصالها تاماً حتى انه لم يرد لها ذكر في التلمود · وقد كان لزعيمها فيلون الذي اشرنا اليه تعاليم شبيهة بتعاليم السيد من حيث الدعوة الى اله المحبة ومحبة الله والاحسان والراحة في حضن الله مما يدل على استعداد الافكار في ذلك الزمان لهذه المبادىء السامية

واذا كان السيد لم يقف في صباه على الفلسفة اليونانية وعلومها فلا ريب انه وقف على فلسفة هلل الفيلسوف اليهودي الذي عاش قبل ظهوره بخمسين عاماً معيشة الفقر والضعة ودماثة الاخلاق وكان يعارض الكتبة والفريسيين

الفصل الثالث · الوسط الذي ربي فيه

اما الوسط المضطرب الذي ربي فيه السيد فلا مثيل له في الاضطراب في تاريخ العالم غير الوسط الذي نشأت فيه الثورة الفرنسوية · فان الشعب اليهودي صار منذ سبي بابل مهضوماً مضطهداً فانتبهت قوى نفسه كلها واتجهت الى غرض واحد وهو الانتقام من اعدائه وبسط جناح سلطته على جميع اقطار العالم طبقاً لما كان يجيء في نبوءات انبيائه · ولو كان الشعب الاسرائيلي يعرف التعاليم اليونانية التي كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين احدهما الروح والآخر الجسد وانه اذا تعذبت الروح في هذه الحياة فانها تستريح في الحياة الثانية لسري عنه شيء كثير مما كان يجده من عذاب النفس واضطراب الفكر بسبب ذله وخضوعه مع ما كان يراه في نفسه من الامتياز الادبي والديني عن الشعوب التي كانت تذله · ولكن الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في هذا العالم نفسه · فانه يؤخذ من اقوال انبيائهم وشيوخهم ان الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس الى الابد وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ويكونون معروفين عند الله · اما الاشرار فلا · هذا كل جزاء اولئك وعقاب هؤلاء · و يزيد الفريسيون على ذلك ان الصالحين ينشرون في هذه الارض يوم القيامة ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ويحجون ملوك العالم وقضاته وهكذا يتنعمون بانتصارهم وانخذال الاشرار اعدائهم

فلما انتصر قورش الفارسي وفتح بابل خيل لليهود انه قد انفتح في وجههم باب جديد وعاد اليهم ملكهم فتآخى كهنة الفرس وكهنة اليهود · ولكن السلطة اليونانية والرومانية لم

تلبث ان دخلت الى آسيا بقوة وشدة فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فعادوا الى احلامهم الماضية من دعوة مسيا لانقاذهم واعادة ملكهم وتحقيق نبوءات انبيائهم · وقد اشتد ذلك عليهم بعد خروج البلاد من يد اسرة الملك هيرودس الى يد الرومانيين · فان هذا الملك العظيم الذي يشبهه بعضهم بسليمان كان قد ولى ابناءه الثلاثة جميع بلاد فلسطين تحت سيادة الرومانيين فكان شانهم معهم شان امراء الهند المستقلين اليوم · فكان ابنه (انتيباس) والياً لبلاد الجليل وبيريا وكانت الناصرة تابعة لولايته · وابنه فيليبوس والياً لغولونيتيا وباتانيا · وابنه ارخيلاوس والياً لاورشليم · وقد توفي هيرودس الكبير في نفس السنة التي ولد المسيح فيها · وبعد انقضاء عشر سنوات على وفاته عزل اوغوسطس قيصر ارخيلاوس ابن هيرودس والي اورشليم لانه كان ضعيف الرأي السيء الادارة ثم ضم كل ولاية يهوذا الى السامرة وادوم وجعلها تابعة لسوريا حيث كان يقيم بوبليوس سولبيسيوس كيرينيوس احد اعضاء مجلس الشيوخ الروماني نائباً امبراطورياً من قبل القيصر وحاكماً على تلك القطعة كلها · ومن هذا الحين قُضي على استقلال مملكة اورشليم · فزاد ذلك في يأس اليهود واثار ثائرهم لانهم كانو يعتقدون الرجس والنجاسة في التمدن الروماني الذي تسلط عليهم · وقد ولي اورشليم اولاً كوبونيوس ثم جاء بعده ماركوس امبيفوس فانيوس فروفوس ففالاريوس كراتوس · ووليها بعدهم في عام ٢٦ للميلاد بنطس بيلاطس صاحب الشان في الحوادث المسيحية الاولى · وكان هؤلاء الولاة تابعين لوالي سوريا ولا شغل لهم غير اخماد نار الفتنة التي كان يضرمها اليهود تحت اقدامهم

ذلك ان غلاة الدين من انصار شريعة موسى قاموا في ذلك الزمان يعارضون السلطة الرومانية فكانوا يكسرون النسور التي هي اعلام رومه ويحطمون التماثيل التي اقامتها اسرة هيرودس لانها في نظرهم آثار وثنية لا سيما وان الذين نصبوها لم يراعوا في صنعها الشريعة الموسوية · وكان الموت عقاب كل من يُقدم على اثارة الفتنة ومقاومة السلطة ولكن اولئك المتحمسين في دينهم كانوا يستعذبون الموت في الدفاع عن شريعتهم · فنشأ عن ذلك ظمأ الى الموت والاضطهاد سببه الرغبة في الدفاع عن الشريعة · فالف اثنان من علماء الشريعة يُدعيان يهوذا بن ساريفيا ومتياس بن مرغلوثه حزباً لمقاومة « اصحاب البدع » الرومانية والحملة على تلك الهيئة فامسكها الرومانيون وعذبوهما وقتلوهما ولكن حزبهما بقي بعدهما · وكانت النفوس كانت قد بلغت بهذه الاضطهادات اقصى درجات الهياج والاضطراب فظهرت يومئذ شيعة (الكانانيين) او « القتلة الدينيين » الذين كانوا

قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل رجل يحط من شان الشريعة الموسوية امامهم · وظهر ايضاً اناس يدعون صنع العجائب وشفاء الامراض فكان الشعب يُقبل عليهم لان الافكار كانت مستعدة بالتحمس الديني لتصديق كل ما يجيء من فوق الطبيعة

ومن الحركات التي كان لها تاثير عظيم على سير الحوادث في ذلك الزمان حركة يهوذا الغولونيتي او الجليلي · فان كيرينيوس امر في السنة السادسة من الميلاد باحصاء عدد نفوس اليهود · وكان اليهود لا يجهلون ان الاحصاء مقدمة لوضع الضرائب على السكان ولقد اشتد هياجهم على الملك والنبي داوود يوم امر باحصاء سكان مملكته وتهدده الشيوخ بغضب الله · وذلك لانهم يعتبرون دفع الضرائب ضرباً من ضروب الكفر بالله لان الله هو سيد الامم وحده واليه وحده تُدفع الضرائب لا الى ملوك الوثنيين · ولذلك كانوا يعتبرون اموال الخزانة العمومية اموالاً مسروقة كما جاء في تلمود بابل

فلما درى اليهود بامر كيرينيوس بالاحصاء بلغ الهياج اشده فقام منهم رجلان احدهما يدعى يهوذا وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبرية وثانيهما فريسي يدعى صادوق ينكران دفع الضرائب ويحرضان الناس على الامتناع من دفعها · وكان من مبادئهما ان حرية الانسان افضل من حياته فاذا كان احد الحكام يزعم انه «سيدي» وولي امري ويوجب عليَّ دفع ضريبة له فالاولى بي ان اموت من ان اعترف بسيادة عليَّ غير سيادة الله · وقد فشا امر هذا الحزب في اليهودية ولكن يوسيفوس لم يذكر عنه شيئاً كثيراً مخافة ان يلقي التهمة على ابناء وطنه انما وضع يهوذا الغولونيتي عند كلامه عنه في جملة فلاسفة اليهود واعتبره مؤسساً لمبدإ رابع غير مبادىء الصدوقيين والفريسيين والايسنيين مع ان فكرته بسيطة لا تستوجب كل هذا الاهتمام · وذلك مما يدل على انه كان ليهوذا هذا مطامع ومطامع سياسية غير التي تقدمت · ولا يبعد ان يكون قد جعل نفسه رئيس حزب غرضه الاشتغال بما يختص بمجيء المسيح المنتظر · وقد لقي يهوذا الغولونيتي الموت جزاء هذه الثورة ولكن حزبه بقي حياً بعده · ويحتمل ان يكون السيد قد رآه وشهد نهضته ولكن المحقق انه قد وقف على مبادئه · ولذلك يقول بعضهم انه لما جاءه قوم الى السيد ليجربوه وسألوه عن الجزية فاجابهم « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » كان يريد بذلك ان مملكتي غير مملكة يهوذا الغولونيتي واصلاحي غير اصلاحه

وهكذا كانت بلاد الجليل في ذلك الزمان عبارة عن تنور حام تضطرب فيه العناصر المختلفة · وكانت السلطة الرومانية لا تطأ على مثيري الخواطر الا متى استفحل امرهم لان

الرومانيين كانوا يمنحون محكوميهم من الحرية اكثر مما يمنح الاورويون محكوميهم في هذا الزمان · وحسبنا دليلاً على ذلك ان البوليس الروماني لم يعترض السيد المسيح في اثناء تعاليمه الا حين رُفعت عليه الشكوى من اليهود · فكانت هذه الحرية باعثاً على زيادة الافكار اليهودية انتشاراً · اما فيما يختص بالافكار المسيحية فيمكن قسمة اليهودية الى قسمين · قسم الشمال الذي فيه الجليل ومن ضمنه الناصرة والقسم الثاني اورشليم · على ان كل الاعمال الحسنة والمبادىء السامية صدرت من القسم الاول وهو الشمال · اما اورشليم فكانت متمسكة بالتقاليد القديمة كل التمسك · من الشمال خرجت الكنعانية المتواضعة ومريم المجدلية ويوسف الحنون والعذراء مريم · ولولا الشمال لم تتسلط اورشليم على العالم

وكانت الطبيعة في تلك الجهات الشمالية في غاية الجمال ومنتهى الرونق فكانها خُلقت لتملي على الناس وتعكس اليهم نور المبادىء الادبية السامية · فانه بينما ترى نواحي اورشليم صلعاء جرداء تقريباً ترى الجليل ونواحيها في غاية الخصب والاقبال · فارضها تكتسي في شهري مارس وافريل (اذار ونيسان) بساطاً جميلاً منتظماً من الازهار الملونة بالوان لا مثيل لها · وحيواناتها صغيرة ولكنها في غاية اللطف والدعة · وربما وقعت بعض طيورها على ساق عشبة صغيرة فلم تُملها من خفتها · بل ربما دنت منك حتى صارت بين قدميك تقريباً وذلك لالفتها وعدم نفورها · وقد ترى في السواقي سلاحف ذوات اعين قوية النظر لطيفة وبطأ ترى عليه لوائح الحياء والرصانة معاً يترك كل خوف ويدنو منك كثيراً · ولست تجد في جميع بلاد العالم بلداً جباله اجمل من جبال تلك الجهات · ولا ريب ان يسوع كان يحب الجبال من حبه لجبال وطنه · فانه كان كثير الصعود الى الجبال وقد القى عليها اسمى خطبه وعمل فيها اعظم اعماله وكان اذا صعد اليها تغيرت هيئته وازدادت نفسه الكريمة بلاغة وحكمة

ففي وسط هذه الطبيعة الضاحكة بدأ يسوع يعلم فكان تعليمه عبارة عن نزهة دائمة وسرور دائم · ويقال انه كان يسير احياناً الى القفار المحرقة التي تلي بلاد الجليل ويقيم فيها للتأمل والافتكار · ولكنه هنالك كان لا يجد الا اله ايوب اله القوة والصرامة والعقاب · اما حين رجوعه الى الجليل فانه كان يجد تحت سمائها وسط اكامها الخضراء ومروجها الفيحاء اله المحبة والسلامة اباه وابانا الذي في السموات · وكان في كل عام يحج مرة الى اورشليم مع حجاج الناصرة وهناك يختلط بشعبه ويقف على ما كان يجول في نفسه · فكان الحج كان عبارة عن التقاء ابناء الشعب الاسرائيلي في اورشليم مرة في كل عام

الفصل الرابع · بدء تعليمه

ولما مات يوسف انتقلت مريم العذراء بولدها الى قانا الجليل · وربما كان اصل العذراء نفسها من قانا هذه · اما هذه القرية فقد كانت قائمة على مسيرة ساعتين ونصف من الناصرة · وفيها صرف المعلم العظيم قسماً من شبابه وظهرت اولى اعماله

وكان السيد نجاراً كيوسف ولم يكن ذلك مما يحط شان الانسان في ذلك الزمان لانه قد جرت عادة اليهود يومئذ بوجوب تعليم كل منقطع الى الشؤون العقلية صناعة ما · ولذلك كان كثيرون من اكابر علماء اليهود يحسنون الصنائع اليدوية مثل «ربي يوحانان» الذي كان اسكافاً و «ربي اسحق» الذي كان حداداً والرسول بولس الذي كان صانع بسط وسجادات · ولا يعلم احد كيف ابتدأ يسوع تعليمه ولكن الثابت انه اتخذ فيه طريقاً جديداً · وقد راينا ان يهوذا الغولونيتي كان يفضل الموت على ان يلقب احداً (سيد الامة) غير الله وحده ولكن يسوع ترك لقب «السيد» لمن شاء ان يتلقب به ولقب الله بلقب احلى منه اعني : ابانا · وعلى هذا الاساس بنى تعليمه السامي الذي يجعل البشر اخوة على الارض والخالق في السماء ابا لهم رؤوفا بهم شفوقا عليهم توابا رحيماً يطلع شمسه على الخطاة وعلى الصالحين

ولم يكن يسوع يعلم ضد الشريعة الموسوية ولكنه كان يظهر من كلامه عنها انه كان يراها غير كافية ومما ساءه منها وضع الانسان وسيطاً بينه وبين الله واشتغاله باعراض الامور عن جواهرها ولذلك كان عدواً لدوداً للتفاصيل الدينية التي كانت تخنق الاصل وكان ضد الكهنة الذين لم يكن لهم شغل غيرها

الفصل الخامس · يوحنا المعمدان

وفي هذا الوقت انتشرت في جميع انحاء فلسطين شهرة رجل عظيم كان يعيش في البرية مرتدياً بجلود الحيوانات ومغتذياً من العسل والجراد البري · وهذا الرجل هو يوحنان او يوحنا الملقب بالمعمدان · وكانت اقامته على شاطئ نهر الاردن في القفار التي تليه · وقد بلغت شهرته اعظمها في سنة ٢٨ من الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء ١٥ عاماً على ملك طيباريوس · وكان يوحنا مهيباً كبير النفس جريء القلب فكان يذم الكهنة الاغنياء الذين يحبون المال والفريسيين والكتبة ويدعو الفقراء والضعفاء الى التوبة للنجاة من الضيق والذل

ولان ملكوت الله قد صار قريباً . فتهافت الشعب عليه ليعمده في الاردن بحسب طريقته الجديدة وكان في جملة الذين قصدوه الشاب يسوع وتلامذته الاولون (وقد تمنى المؤلف لو لم يكن السيد قد اجتمع بذلك المعلم الكبير لاسباب تضرب صفحاً عن ذكرها كما صنعنا بكثير غيرها) . قال وقد اقام يسوع حيناً بازاء يوحنا المعمدان ثم دخل الى البرية القريبة من هناك ليفتكر بما كان في نفسه وما كان يقوله يوحنا . وكان مشهوراً لدى اليهود حينئذ ان تلك البرية مسكن الابالسة والشياطين فقالوا ان ابليس جاء يجربه . وبعد اقامته في البرية اياماً قضاها في التامل والافتكار خرج منها فسمع ان الحكومة قبضت على يوحنا المعمدان وزجته في السجن فعاد بتلامذته الى الجليل لئلا يُتهم بالاشتراك في حركة يوحنا . اما سبب القاء القبض على يوحنا فقد ذكره المؤرخ يوسيفوس بالتفصيل وهذه خلاصته

لما كان يوحنا في الجهات التابعـة ليلاطس لم يمسه يلاطس بسوء على ما يظهر ولم يضايقه . ولكنه لما اقام في جهات الاردن واخذ يعمد ويعلم وتحمس الشعب لكلامه البليغ وسلطته على النفوس حتى لقد حسبوه ايليا عاد ونُشر — خشي انتيباس حاكم تلك الجهات عاقبة هذا الامر لان الحركة السياسية كانت ظاهرة في اقوال يوحنا من ان اكثرها كان موجهاً الى ذم ملوك العـالم وحكامه . فبقي انتيباس يراقبـه حتى حدث له معه حادث شخصي حمله على سجنه .

وذلك انه كان لهيرودس الكبير حفيدة تدعى « هيروديا » وكانت طماعة قاسية محبة للخلاعة والسلطـة فازوجها جدها هيرودس الكبير من عمها هيرودس بن مريان وربما كـان ذلك بغير رضاها لان زوجها كـان محروماً من حق الملك والولاية . فاصبحت هيروديا بذلك احط من نساء اقربائها شاناً لان زوجها ساقط الحق لا يملك ابداً وهي لطمعها كانت تريد الوصول الى الملك مهما بذلت في سبيله . وكانت هيروديا جميلة فعزمت على اتخاذ انتيباس الذي تقدم ذكره وسيلة الى غرضها . وكان انتيباس هذا مقترناً باميرة عربية وهي ابنة الحارث ملك بتره وامير القبائل الضاربة بما وراء بيريا مملكة انتيباس . فسمت هيروديا لدى انتيباس في ان يطلق امراته العربية وهي تتزوج به فرضي انتيباس بذلك من حبه لها . فدرت بهذا الامر زوجته العربية فعزمت على الفرار بجاه زوجها واخبرته انها تريد السفر الى ما كور وهي قلعة حصينة على حدود مملكة ابيها وذلك للسياحة قليلاً في اراضيه فاجابها زوجها الى ذلك وبعث معها جنداً لحراستها . اما ابوها فقد كان اعدّ لها وسائل الفرار من قلعة ما كور على يد القبائل التي كانت ضاربة هناك على الحدود

فاخذت تنتقل من يد قبيلة الى يد قبيلة تليها حتى اوصلوها الى قاعدة مملكة ابيها . فاقترن حينئذ انتيباس بهيروديا وكان الزواج بالاقارب الى هذا الحد محرماً عند قدماء اليهود وقد سبق لاسرة هيرودس مثل ذلك لان اليهود كانوا لا يزوجونها ولا يتزجون منها لكراهتهم لها وذلك مما كان يحملها على التزاوج فيما بينها

فلما انتشر خبر زواج انتيباس بهيروديا سخط قدماء اليهود حفاظ التقاليد القديمة ونادى يوحنا المعمدان ان هذا الزواج غير جائز . فامر عند ذلك انتيباس بالقبض عليه وسجنه . فسجنوه في قلعة ماكوالتي تقدم ذكرها وكان انتيباس قد استولى عليها بعد فرار زوجته العربية منها

الفصل السادس . التعاليم المسيحية

وكان سجن يوحنا في السنة التاسعة والعشرين من ولادة يسوع

ولما عاد يسوع من جهات الاردن اشتدت سلطته على الشعب وعلى تلامذته فاخذ يعلمهم و يعظهم . وقد وضع في تعاليمه اساس فلسفة جديدة . فانه قضى باحترام السلطة والملوك اذ اوجب دفع الجزية الى قيصر ولكن هذا الاحترام كان « سطحياً » ومقروناً بشيء من التهكم . وذلك ان الملوك واصحاب السلطة لا سلطان لهم على نفوس الناس . وليس الحرية والحق من شؤون هذا العالم المملوء بالشرور بل من شؤون العالم الثاني فليس ثمت ما يوجب كل هذا الاهتمام بشؤون هذا العالم بل يجب احتقار الدنيا وملاذها وتوجيه قوى النفس كلها الى الحياة الثانية . وبهذا التعليم وضع للنفوس في هذا العالم اساس حرية جديدة مستقلة عن كل سلطة وجعلها مستريحة هادئة مهما عصفت بها عواصف المصائب والاحزان . ولا ننكر ان بعضاً من فلاسفة اليونان كالزينونيين مثلاً استطاعوا انشاء هذه الحرية في نفوسهم وعاشوا بها احراراً في وسط الظلم والاضطهاد اذ لم يكونوا يعبئون بمصاب او يبالون بالم ولكن لم ينقطع احد منهم عن هذا العالم و يحسب الدنيا وطناً وقتياً له والآخرة الوطن الحقيقي كما كان يحسب ذلك المسيحيون

ومع ذلك فربما لم يسلم هذا التعليم من اعتراض قوي . وهو ان وجوب اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله قد يكون اقوى وسيلة لمساعدة الظالم واحتمال نير المظالم وفي ذلك ما فيه من انتشار فساد الاحكام والرضوخ للحكام الظلام لانه يقضي باحترام كل سلطة تقوم ولو كانت جائرة فاسدة . ولذلك لا اخطىء اذا قلت ان الديانة المسيحية قد اضعفت من هذا

الوجه واجبات الوطني لوطنه وساعدت في اسلام العالم الى السلطات الجائرة · ولكنّ ما انشأته من حرية النفوس في العالم وجعلها المسيحيين الاولين في القرون الثلاثة الاولى جمعيات حرة في وسط الاضطهاد لا حاجة بها الى السياسة ولا دخل لها فيها قد محا ما صنعته بالفضائل السياسية والمدنية·

فالذي امتازت به تعاليم المسيح انما هو سموها عن العالم وشؤونه وغلوها في جو الفضيلة والكمال البعيد · وما الحكومات بموجبها سوى قوات مادية ارضية لا قدر لها ولا قيمة · وهي شديدة على العظمة والعظماء والغنى والاغنياء · ولكن اذا كان يسوع قد حارب اولئك وهولاء فما حاربهم ليصرف غناهم وعظمتهم الى غيرهم ولكن للاشاة تلك العظمة وهذا الغنى لانهما اصل كثير من الجرائم والشرور · وكان اذا اخبر تلامذته بانه سيكون له شان مع الشرطة تكلم عن ذلك بلهجة تدل على انه لم يكن يحسب نقيصة ولا عارًا الوقوف لدى الشرطة والذهاب للمحاكمة · ولم يوص تلامذته قط بمقاومة الشرطة ومقابلة القوة بالقوة لانه كان يعلم ان الشر لا يُقاوم بالشر وان الانسان لا يتغلب الا بالاتضاع والمسالمة وانكار الذات والعذاب · وهذا الفكر فكر تعذّب الانسان واحتمال عذابه ليقوى به على القوة المادية التي تعذبه فكر سامٍ خاص بيسوع وحده

ولكن اذا كان العظماء والكبراء والاغنياء والكتبة والفريسيون والكهنة لا يدخلون ملكوت الله لانهم مشتغلون عنه بما في ايديهم فمن يدخله؟ يدخله ابناء الشعب والمتواضعون والضعفاء والفقراء والنساء والاولاد · وبمن يُنشأ ملكوت الله اذا كان اولئك الكبراء والاغنياء يحيدون عنه ولا يسمعون لمن يدعوهم اليه ؟ يُنشأ بهؤلاء الضعفاء والفقراء والنساء والاولاد· بهم يتغير وجه الكرة الارضية · بهم تحدث ثورة عظمى في العالم · وهذه الثورة تضع الكبار وترفع الصغار وتطأ على الجباه العالية

الفصل السابع · في كفر ناحوم

وبعد مدة انتقل يسوع الى كفر ناحوم واقام فيها وكان عمره ٣٠ عامًا ·

ولم يكن قبل هذا الحين قد علم تعليمًا عموميًا ولكن خصوصيًا اما الآن فانه اخذ في التعليم العمومي جاعلاً كفر ناحوم مركزًا لتعليمه ووطنًا ثانيًا له

· وكفر ناحوم هذه مشتقة من كلمتين (كفر) (وناحوم) ومعناها قرية ناحوم وكانت قبله قرية خاملة كالناصرة لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر في كتب يوسيفوس الا مرة واحدة

ولكنها لم تكن المقصودة بهذه الاشارة بل كانت المقصودة بركة ماء بقربها وهذا يدلّ على شدة خمولها قبل يسوع لان بركة الماء كانت اشهر منها . وكانت كفر ناحوم مبنية على الطريقة اليهودية اي انه لم يكن فيها شيء من آثار المدنية الرومانية الشائقة التي اقامتها اسرة هيرودس في نواحي فلسطين كالتماثيل الرائقة والابنية الفخيمة التي لا يزال رجال الآثار يجيئون بها الى هذه الايام . وقد سماها اليهود بعد المسيح « مدينة المينيم اي المراطقة » يعنون المسيحيين

وكان سكان تلك البلاد الجميلة يجتمعون مرة في كل اسبوع وذلك في يوم السبت للصلاة ومطالعة كتبهم الدينية . وكان اجتماعهم في كل قرية في مكان يسمونه (مكان الاجتماع) او معبد . وكان هذا المكان عبارة عن قاعة مربعة الزوايا قائمتها وهي مزينة على الطريقة اليونانية اذ لم يكن لليهود طريقة خاصة . ولا يزال في نواحي الجليل الى هذه الايام كثير من بقايا المعابد اليهودية القديمة . وقد كان يوضع في داخلها مقاعد للجلوس ومنبر للقراءة وخزانة لوضع الكتب المقدسة . وكانت هذه المعابد نقطة عمومية يجتمع فيها اليهود مرة في الاسبوع كما تقدم لقراءة الشريعة واقوال الانبياء . وبما انه لم يكن لليهود في خارج اورشليم كهنة فقد كان لكل واحد الحق في ان يصعد الى المنبر ويقرأ للناس ويفسر القراءة لهم كما يريد . (ومن هنا يظهر ان (الانجيليين) لما ارادوا ادخال البساطة الى الصلاة المسيحية عادوا الى عادة اليهود القديمة) وكان لكل واحد من الحاضرين ان يعترض على القارىء وتفسيره وذلك مما كان يجعل هذا الاجتماع عبارة عن مجمع حر يتبادل اعضاؤه اراءهم وافكارهم . وكان لهذا الاجتماع رئيس وشيوخ وخزان وهو القارىء وقد تقدم انه المعلم ورسل وهم مراسلون او سعاة يستخدمهم رجال المعبد وشماس او حافظ الاشياء المقدسة والمعتني بها . وبذلك كانت المعابد اليهودية في فلسطين شبيهة بجمهوريات صغيرة مستقلة . وكان لها نظام شامل لكثير من شؤون حياة اليهود حتى انها كانت تصدر قرارات بشان بعض الافراد وتنفذها فيهم على يد الخزان . وكثيراً ما كان في جملة هذه القرارات العقاب بالضرب . على ان هذه المعابد المنتظمة التي كانت منتشرة في جميع انحاء فلسطين هي التي حفظت التقاليد اليهودية منذ الوف من السنين واوصلتها الى هذه الايام دون ان يؤثر فيها ما حلّ باليهود من الاضطهاد في اثناء القرون الطوال الماضية . وكان الجلوس في كرسي في مقدمة الجالسين دليلاً على امتياز الجالس بالغنى او بالتقوى . وكان المنبر حرّاً يصعد اليه كل طالب فكان ذلك باعثاً عظيماً على تسهيل نشر الآراء

الجديدة . وهذا مما سهل ليسوع اظهار تعاليمه

فانه لما اراد القراءة والتعليم اول مرة في المعبد صعد الى المنبر فقدم له الخزان الكتاب المقدس فقلبه يسوع وهو واقف امام الحاضرين رابط الجاش تارة ينظر اليهم بعينيه المهيبتين الحلوتين وتارة ينظر الى الكتاب . ثم اخذ يقرأ ويفسر . ولكن تفسيره كان مخالفاً عن تفسير باقي القراء ونَفَسه جديد على جمهور السامعين . وبما ان الفريسيين كانوا قليلي العدد في جهات الجليل فكان ما لقيه منهم من المعارضة في المرة الاولى خفيفاً جداً ولكنه لو ابتدأ تعليمه في اورشليم لما استطاع ان يعلم وقتاً طويلاً بل كان الفريسيون وغلاة الدين اوقفوه عند الخطبة الاولى وحالوا بينه وبين الشعب قبل ان تؤثر فيه كلماته السحرية

ذلك ان كلام يسوع كان عذباً رقيقاً . وكان صوته مؤثراً في النفوس وبلاغته تتدفق تدفقاً . وكان اسلوبه في الكلام والخطابة واضحاً بسيطاً سهلاً ينم على ما في نفسه من الهدوء والرزانة وحب نصرة الضعفاء . فكان صوته يفعل في نفس الشعب فعلاً غريباً وكلامه ينطبق انطباقاً عظيماً على ما في نفوسهم وتصوراتهم البسيطة اللطيفة . وذلك بخلاف ما كان عليه وعاظ اليهود يومئذ من الكلام الجاف الناشف الذي لا يؤثر في النفس ولا يحركها . وهكذا لم يمض وقت طويل حتى صار للمعلم الشاب سلطة كبيرة على الشعب . وكان قد حصر تعليمه في بحيرة طبريا وشواطئها وكانت تلك الجهات يومئذ في احسن حالات الخصب والاقبال خلافاً لما هي عليه اليوم من الخراب والجفاف . ويجدر بنا هنا ان نصفها وصف من زارها ورآها

كان على شواطىء بحيرة طبريا في ذلك الزمان خمس مدن صغيرة خلد التاريخ اسماءها كما خلد اسمي رومه واثينا . وهذه المدن هي مجدله ودلمانوته وكفرناحوم وبيت صيدا وكورزين . اما الآن فلم يعد معروفاً من تلك المدن الصغيرة غير مدينة مجدلة التي منها مريم المجدلية رفيقة يسوع وهي اليوم قرية حقيرة . واما باقي المدن المذكورة فقد طمس الزمان آثارها . فان دلمانوته مجهولة المكان وغير بعيد ان تكون كورزين مدفونة تحت التراب في الجانب الشمالي . بقيت كفرناحوم وبيت صيدا وقد ظن بعضهم انهما كانتا حيث اليوم تل حوم وعين التين وخان منيه والعين المدورة ولكن ذلك افتراض لا دليل عليه . فكأن كل شيء في تاريخ الحوادث المسيحية ساعد على اخفاء آثار صاحب الشريعة الاولى ومن المحتمل ان لا يكشف البشر في مستقبل الزمان تلك الاثار التي تود الانسانية كلها ان تفد وتقبل مواطىء قدمي السيد فيها

ولم يبقَ في تلك الجهات من تلك المدن المذكورة غير البحيرة والشجيرات الصغيرة وازهار البرية وجو السماء . اما الاشجار فقد انقرضت كلها مع انَّ تلك الجهات كانت مشهورة بالخصب حتى ان يوسيفوس عدَّ خصبها في تاريخه من العجائب لانه كان يجتمع في ارضها الشجر التي تنمو في الاقاليم الباردة والشجر التي تنمو في الاقاليم الحارة والشجر التي تنمو في الاقاليم المعتدلة ولذلك كان الزهر دائماً فيها . واما الآن فيكفي للدلالة على ما فيها من الخراب والجفاف ان يُقال ان السكان يبحثون قبل سفرهم فيها بيوم واحد عن المكان الذي يستطيعون ان يجدوا فيه شجرة واحدة تظللهم من الشمس في اثناء سفرهم . وقد اصبحت شواطىء البحيرة قفراء ولم ارَ عليها حين زيارتي لها سوى زورق واحد صغير يروح ويجيء فوق امواجه التي كانت من قبل تجتمع السفن والناس فيها يامبون ويضحكون ويتنزهون ويتصيدون . ولكن مياه البحيرة لا تزال كما كانت صافية خفيفة . وعلى البحيرة اسراب كثيرة من الطيور السابحة تتداعب فيها . اما حرارة الجو على شواطىء البحيرة فانها ثقيلة محرقة . وانخفاض هذه البحيرة عن سطح البحر مائة و٨٩ متراً كما قدره المستر فيني . وان الذي يزورها ويحس بما في جوها من الحرارة المحرقة يستغرب انها كانت في الزمن الماضي مركزاً لحركات عظيمة لان حرارة الجو في مكان تخمد همة سكانه . ولكن يوسيفوس روى ان هواءها كان معتدلاً في ذلك الزمان . ولا غرابة في ذلك فان الخصب الذي كان فيها من حيث نمو الاشجار والنبات جدير بان يلطف الهواء ويخفف وطأة « المناخ » . ولعله قد حدث في جوها من التغيير ما حدث في جو برية رومة من هذا القبيل . واما اسباب الجفاف الحالي والخراب الحاضر فهي الحروب الصليبية . فانه بعد انقلاب الصليبيين عملت عوامل الخراب في تلك الجهات فاكلت الاخضر والهشيم . فهل درت ارض جنيساره حين كان يمشي عليها السيد وتلامذته ان هذه الاقدام الخفيفة ستكون سبباً في خرابها الآتي . هل علمتْ الاماكن التي كانت وطناً ليسوع انها ستبتاع مجدها وشهرتها الخالدة بخرابها وفنائها من الوجود

فعمل المسيح اذاً كان مقصوراً في بدء الامر على هذه المدن الخمس الصغيرة . ولا يحتمل ان يكون المسيح قد دخل الى مدينة طبرية لان اكثر سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين وفيهم الفينيقيون والسوريون والعرب واليونانيون . وكانت هذه المدينة مقام الحاكم انتيباس والي بيريا والجليل وساجن يوحنا المعمدان . ولكن يسوع كان كثيراً ما يرحل عن تلك الجهات المحبوبة اليه فيركب زورقاً الى شاطىء البحيرة الشرقي فيزور

جرجسه مثلاً او يسير في الجانب الشمالي الى قيصرية فيلبس في سفح جبل حرمون . ولقد سار مرة الى صور وصيدا المدينتين الفينيقيتين وكانتا يومئذ في ابان مجدهما ونموهما . وغير بعيد ان يكون قد زار في قيصرية مغارة بانيوم التي كانوا يزعمون بان نهر الاردن ينبع منها والهيكل الرخامي البديع الذي بناه هيرودس الكبير قريباً من هناك اكراماً لاغسطس قيصر . ولكنه لم يكن يرتاح الى هذه البلاد البعيدة مهما كان عزمها ولذلك كان يسرع الى شاطئ جنيساره المحبوب اليه في وسط تلك الطبيعة الضاحكة التي ربي فيها

— الفصل الثامن . تلامذة يسوع

في هذا المكان الذي يجوز ان يلقب قطعة من الجنة لان كل شيء فيه كان هادئاً جميلاً لعدم وصول الثورات التي قلبت وجه العالم اليه — في هذا المكان كان يعيش شعب هادئ نشيط مستقيم طروب للحياة ولذتها واخلاقه منطبقة على الطبيعة التي حوله . وكانت بحيرة طبرية مشهورة بكثرة سمكها فكان السكان يصطادون منه كثيراً وقد انشأوا في كفر ناحوم وبيت صيدا مصائد عظيمة عادت عليهم بسعة الرزق وكثرة الخيرات . وكانت معيشة هؤلاء الصيادين اللطف معيشة وابسطها وكانوا مرتبطين بعضهم ببعض برباط القربى لانهم كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . ولم يكن قد دخل الى بلادهم شيء من آثار المدنية اليونانية والعالمية ولكن عاداتهم كانت حسنة واخلاقهم هادئة وربما كانوا يشبهون سكان جبل لبنان في هذا الزمان . ففي هذا الوسط اقام يسوع وترك وطنه الناصرة لانه لم يجد فيها الاكرام الذي كان من حقه . وفي ذلك يقول « ليس لنبي كرامة في وطنه »

وكان في كفر ناحوم بيت امتاز باكرام السيد وهو لصيادين يدعيان اندراوس وسمعان بطرس فاقام يسوع فيه رخي البال مكرماً محترماً . وكان فيها بيت آخر لزبدة وكان له ولدان يعقوب ويوحنا وامرأة تدعى صالومه كانت اشد الناس اتباعاً للسيد . وذلك ان النساء كن كثيرات الاكرام ليسوع لان جماله المهيب ولطفه وحسن معاملته لمن وتحذره في الكلام معهن كانت تجتذب القلوب اليه . ولم يكن الانفصال تاماً بين الرجال والنساء في القرى اليهودية كما كان في المدن ولذلك انضم الى تلامذة المسيح ثلاث من النساء فازداد بهن نادي يسوع جمالاً ورواء . وكان فيهن واحدة من مجدل وهي مريم المجدلية

وكانت من عصبيات المزاج الشديدات التأثر والانفعال فسكن يسوع بنظره الهادىء اللطيف وجماله الطاهر نفس هذه المرأة المضطربة . ثم انضم الى تلامذته متى وفيليبوس وتثائيل وتوما وغيرهم وفي جملتهم يهوذا الخريوطي نسبة الى خريوط وهي قرية في اقصى جنوبي بلاد اليهودية على مسيرة يوم من حبرون . وكان جميع تلامذته من اهالي بلاد الجليل الا يهوذا هذا

اما نسبة التلامذة بعضهم الى بعض فقد كانت واحدة . فان السواء كان عاماً في هذه الهيئة الناشئة . وكل واحد يجب عليه ان يلقب الآخر « اخاه » اما لقب « ربي » الذي معناه معلم ولقب « ابي » فقد كانا محرمين بينهم لانه ما من معلم غير يسوع وما من أب غير الله . والكبير فيهم يجب ان يكون خادمهم . ومع ذلك فقد امتاز منهم بطرس باهميته من حيث علاقته بيسوع . فان السيد كان يقيم في منزله وكان يعظ في سفينته فكان منزله وسفينته مركزًا للوعظ والتعليم . وكان بطرس رجلاً مستقيماً غلصاً بسيطاً يندفع لاول اشارة من السيد فكانت هذه الاخلاق تُعجبه كثيرًا . فالظاهر ان صالومه امرأة زبدة حسدت بطرس على مقامه فانفردت في ذات يوم بالسيد وسالته ان يجعل ولديها في المنزلة الاولى بعده . فاجابها يسوع ان الذي يروم الاستعلاء يسقط وان ملكوت الله للمتواضعين . وبذلك صرفها عن طلبها . ولما درى باقي التلامذة بما سالته صالومه استاؤوا جدًا منها

فما مر يتضح ان اكثر تلامذة المسيح كانوا صيادي سمك . ولكن لم يكن لصيد السمك في الجليل في ذلك الزمان الشان المعتبر الذي له في هذا الزمان . ولم يكن من بين العشارين في تلامذة يسوع غير لاوي وربما الرسول متى ايضاً . وكانت وظيفة العشارين اي جباة الضرائب مكروهة الى اليهود في ذلك الزمان اشد كراهة لما تقدم من مقتهم الضرائب والاعشار لانها دليل على عبودية الانسان للانسان . وكان احدهم اذا رضي وصار عشارًا قطع اهله ورفاقه كل علاقة لهم معه ومنعوا الناس من معاملته والذهاب الى صندوقه لاستبدال نقودهم منه كما ورد في المشنا . وكانوا يعدون العشارين ومستخدمي الجمرك وما اشبههم في جملة اللصوص والادنياء وقطاع الطرق واذا توفي واحد منهم واوصى كانت وصيته فاسدة . وكانت الطريق الرومانية الكبرى الموصلة بين عكا ودمشق الشام والتي هي من اقدم الطرق في العالم تمتد في الجليل بجانب بحيرة طبرية كما روى الانجيلي متى (الاصحاح الرابع عدد ١٣—١٥) وكانوا يسمونها في زمن الحروب الصليبية « طريق

ماريس » . فكان يمرّ في هذه الطريق كثيرون من مستقدمي الجمرك والعشارين . وكان في جملتهم عشار يُدعى لاوي فاتى يسوع ودعاه الى مائدته فاجابه يسوع وذهب الى مائدته مع تلامذته . فكان لذلك تاثير عظيم في نفوس كهان اليهود كما جاء في التلمود . اما يسوع فلم يبالِ لانه اراد بذلك ان يدلهم على ان الله لا يطلب من البشر سوى طهارة القلب ونقاء الباطن

الفصل التاسع . التعليم على البحيرة

تلك كانت الحلقة التي كانت تحيط بيسوع على شواطئ بحيرة طبرية . وكانت جودة الهواء في تلك الجهات تجعل حياة هؤلاء البسطاء الودعاء عيداً دائماً . فانهم كانوا في النهار يركبون بحيرة تهزهم امواجها كما تهز الام سرير اولادها وفي المساء يجلسون او يستلقون على شاطئها يتحدثون ويتباحثون . فكانت معيشتهم كلها في الخلاء والهواء . وكان التلامذة يقطفون في ذلك الاوان زهرة تعاليم السيد اول نبتها ويتمتعون بارجها . وكان اذا بدا في نفس احدهم شك او ريب ازال المعلم العظيم ذلك الشك بنظرة واحدة لطيفة او بسمة واحدة . وكل غمامة كانت تمر في جو السماء وكل حبة كانت تنبت امامهم في البرية وكل سنبلة كانت تنضج وتصفر في الحقول كانت دليلاً على تقدم العالم ودنو ملكوت الله . وكانوا في هذه النزهات الجميلة يسمعون من فم المعلم العظيم هذه التعزية الكبرى التي يزول العالم ولا تزول

« طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السماوات

« طوبى للحزانى لانهم يتعزون

« طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض

« طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون

« طوبى للرحماء لانهم يُرحمون

« طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله

« طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يُدعون

« طوبى للمطرودين من اجل البرّ لان لهم ملكوت السماوات

وكان تعليمه حلوًا ياخذ بمجامع القلوب وشبيهًا في ريحه بريح الازهار في الحقول . وكان يسوع يحب هذه الازهار حباً شديداً ويتمثل بها . وهو اول من ابتدع الوعظ بالامثال اللطيفة الجميلة . نعم ان في الكتب البوذية كثيرًا من الامثال تشبه الامثال المسيحية

ولكن لم يقم دليل قط على انه كان للديانة البوذية تاثير على الديانة المسيحية او كان لها علاقة بهـا

وكانت الطبيعة في الجليل بسيطة والهواء معتدلاً والعمل في زراعة الارض لا يأتي باجرة تساوي التعب فيها فلم تكن تمس الحاجة كثيرًا الى الطعام الكثير واللباس الدافء والعمل بل كانت القناعة والاكتفاء شعار السكان كلهم . فكان ذلك يوحي الى المعلم العظيم آيات لم يخط مثلها قلم على قرطاس فكان يقول

« لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضاً . لا يقدر احد ان يخدم سيدين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لاتقدرون ان تخدموا الله ومون(١) . لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تاكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليست الحيوة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس . انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن وابوكم السماوي يقوتها الستم انتم بالحري افضل منها . ومن منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعاً واحدة . ولماذا تهتمون باللباس تاملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل . ولكن اقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدًا في التنور يلبسه الله هكذا افليس بالحري جدًا يلبسكم انتم يا قليلي الايمان . فلا تهتموا قائلين ماذا ناكل او ماذا نشرب او ماذا نلبس . فان هذه كلها تطلبها الامم لان اباكم السماوي يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم . فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » .

فهذا التعليم وهذه المبادىء كان لها تاثير عظيم على الجمعية المسيحية الاولى . فان التلامذة صاروا يعتبرون الاهتمام بالحياة والمعيشة شرًا يخنق في نفس الانسان كل خير وحسبهم ان يسالوا الله في كل يوم خبز الغد . اما كنز الكنوز وتوفير الاموال فكان امرًا قريباً من

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ممون اله المال والكنوز المدفونة عند الفينيقيين والسوريين القدماء

العيث . ومما كان يقوي هذه المبادىء انتشار اللصوصية في تلك البلاد وكثرة السلبة وقطاع الطرق كما رواه يوسيفوس . فان الغني لم يكن على ثقة من غناه ولذلك كان في خوف دائم من فقده واما الفقير فانه كان مستريح البال لانه لا يخشى من اللصوص على شيء لكونه اذ لم يكن يملك شيئاً . وبناء عليه كان الفقير كأنه اغنى من الغني . واما في هيئتنا الاجتماعية الحاضرة فان حالة الفقير لا تُحتمل . فان الغني عندنا على ثقة من ماله والخيرات والازهار والافياء لاصحاب الاملاك دون سواهم . واما في الشرق فالازهار والافياء والخيرات شائعة للكل ولا يملك صاحب الملك من الارض الا شيئاً محدوداً واما الطبيعة فانها ملك للجميع .

على ان المسيحية لم تكن في ذلك الامر الا مقلدة لطائفة الايسيين اليهودية وهذه الطائفة كانت مقلدة لطائفة الفيثاغوريين اليونانية . وكان البخل هو الرذيلة الكبرى في اعتبار الهيئة المسيحية الاولى . والمراد بالبخل هنا اقتناء الملك والمال . ولذلك كان اول ما يجب على الذين يرغبون في اتباع السيد والانضمام الى تلامذته لينالوا ملكوت الله ان يتخلوا من املاكهم واموالهم اما هبة للفقراء والمساكين او الى الجمعية المسيحية . واذا لم يصنعوا ذلك لم يكن لهم ان يسموا انفسهم تلامذة المسيح . فكان ذلك بمثابه « اشتراك في الملك والمال » وهو ما يدعو اليه الاشتراكيون في هذا الزمان . ولكن لم يلبث ان ظهر ضرر هذه الطريقة فان اجتماع الاموال لدى الجمعية المسيحية اوجب تعيين امين لحفظها فاختاروا لذلك يهوذا الخريوطي ولكنه لم يلبث ان اتهم بسرقة المال المشترك .

واشد ما يكون ظهور رغبة يسوع في محق الغنى في مَثل الغني ولعازر الفقير الذي كان يأكل من فتات مائدته . فان الغني حُمل الى النار ولعازر الى السماء . ولماذا ذلك؟ لان الاول غني تمتع بخيرات الارض ولم يهبها الى الفقراء . اما قولهم ان المقصود بهذا المثل هو الغني الشرير فقط فتأويل لا مسوّغ له وهو من الموضوعات بعد يسوع . لا سيما وانه قد قال ايضاً : أيسر للجمل ان يدخل في ثقب ابرة من ان يدخل الغني ملكوت السماوات

على انه اذا كانت هذه التعاليم ملائمة لحالة تلك البلاد يومئذ والهيئة الاجتماعية اذ ذاك فانها لم تكن ملائمة للحالة الاجتماعية في كل مكان . وقد جاء وقت رأت فيه المسيحية نفسها مضطرة الى قبول الاغنياء في حضنها . ولكن حسبها فخراً انها كانت في اول امرها ممكلة الفقراء . وقد كان لقب فقير شرفاً لتلامذتها وكانوا يتلقبون به دون سواه . وقد اصبحت الشحاذة بذلك فضيلة وصناعة مقدسة . ولا يزال شيء من هذه الحالة في الديانة المسيحية الى هذه الايام . وقد كان تاثير هذا الامر عظيماً جداً ولا سيما في نفوس الطبقات السفلى

ازاحة تحت احمال الحياة . فان الانجيل كان لهذه الطبقات بمثابة ثلمـة في سقف سجنها يشم منه ريح النسيم وتنظر وجه السماء . فكان لها اجل تعزية واعظم تسلية . ولا شبهة في ان هذا الامر لا ينطبق على حالة الاجتماع ولا يوافق قواعد الاقتصاد السياسي ولكن رفع ثوب الفقير الى هذه الدرجة من السمو وجعل الفقر رمزًا الى المحبة والاخلاص امر جدير بكل اعتبار . فان الانسانية ترغب في ان تعلم انها لم تستوف حقها بقبضها اجرتها بل لها هنالك حق آخر وذلك مما يساعدها على حمل اعبائها . واعظم ما يُخدم به تعليمها انها لا تحيي بالخبز فقط بل هنالك شيء آخر »

﴿ الجامعة ﴾ وهنا نمسك القلم فقد بلغنا نصف الكتاب وقد لخصنا فصوله بما امكن من الاختصار فكل صفحة من صفحات المقالة التي تقدمت مقتطفة من عدة صفحات من الكتاب الذي نحن في صدده اي ان هذه التسع عشرة صفحة ملخصة من اكثر من مائتي صفحة كبيرة منه . وسنأتي على بقية هذا الكتاب الخطير في مقالة تالية ثم نردفها بردود المؤلف على مناظريه الذين حملوا عليه حملات منكرة حين صدور كتابه وبراي الجامعة في هذا الموضوع . وكل آتٍ قريب

الاستاذ ضومط وسوريا الحديثة

لما قرأتُ في العدد الاخير من الجامعة خطبة جناب الاستاذ الفاضل جبر افندي ضومط عن « سوريا القديمة والحديثة » ذكرت قول الجامعة عند تقريظها كتابه (فلسفة البلاغة) في سنة ١٨٩٩ (الجزء ١٥ السنة الاولى القسم الثاني) وهذا نصه « وانه ليطيب للذين يغارون على العلم في الشرق في وسط هذه الفوضى العظيمة فوضى الطبع والنشر في مصر والشام ان يروا في المطابع حينًا بعد حين كتابًا كهذا الكتاب . فانهم يستدلون به على وجود طبقة مستترة من العلماء والكتاب تطلب العلم الصحيح لذاته وفي فيه رائحة القدم منصرفة الى درس فروعه واتحاف الشرق بمباحث جديدة مفيدة كل بحسب استعداده وفطرته . وعندنا ان هذه الكتب المفيدة التي ينشرها بعض علمائنا الحين بعد الحين تعزي بعض التعزية عما في عالم المطبوعات الآن من المضحكات والمبكيات »

ولكني بعد اعادة هذا الثناء على فضل الاستاذ ارى من الواجب ان ابحث في مسألة

في غاية الاهمية وردت في ختام خطابه · ولو لم يكن حضرة الخطيب ممن تدوي اصواتهم في الاقطار ويرجع الناس الى آرائهم وعلمهم لالتزمت الصمت فكم بين اراء الجرائد والكتاب والخطباء من آراء جديرة بالقرض لا بالرد ومع ذلك فلا يهتم احد لما · و بعد هذه المقدمة اقول ·

ان جناب الخطيب قال في ختام كلامه « ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه (العلم) انما هي التجارة والصناعة والزراعة » « وان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي » فاذا ارادت سوريا النهوض من عثرتها فعلى اي ركن من هذه الاركان يجب ان تعتمد · اعلى التجارة ؟ « كلا ذلك زمن قدمضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر · افتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر ؟ اتستطيعون ان تمحوا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا و بقية جزر المحيط ؟ اتستطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجا الصالح وتردمون ترعة السويس؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة » فعلى ماذا تعتمد سوريا اذاً · اعلى الصناعة « ولكن اي صناعة تعنون · اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم» هل « فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة » « وقد راينا قبيل الآن ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبيهات والاحلام التي لا تجدينا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة » تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائط النجاح امامنا الآن

فيؤخذ من هذا القول البليغ ان ابواب التجارة مسدودة دوننا لثلاثة اسباب (١) ان الغرب قد وجد لتجارته طرقاً اخصر من طرق سوريا فانصرفت تجارته عنها بعد ان كانت هذه البلاد في الزمن القديم صلة بين الشرق والغرب (٢) ان الغرب صار يصنع في بلاده البضائع التي يحتاج اليها ولا يطلب من الشرق الا المواد الاولية التي لا توجد في الغرب اي ان الصادرات اليه من الشرق انما هي جزء صغير بالنسبة الى الصادرات منه الى الشرق · وبذلك صار الشرق مغبوناً في هذه المبادلة وانصرف الربح التجاري الى الجيوب الغربية (٣) ان كل دولة من الدول تحمي تجارة رعاياها بكل قواها ولو افضى ذلك الى الحرب ولذلك قالوا ان الحروب في هذا الزمان صارت حروباً اقتصادية · اما الدولة العلية العثمانية فلا سبيل لها الى حماية تجارة رعاياها لما بينها و بين الدول من المعاهدات المجحفة بحقوقها وحقوقهم · ولقد

ارادت منذ سنتين حماية تجارتها (الداخلية لا الخارجية) بزيادة رسوم البضائع الاوربية ٤ في المائة على ما اذكر فقامت قيامة الدول عليها

ثم انه كما انه ابواب التجارة مقفلة دوننا فكذلك ابواب الصناعة لانه كما قال الخطيب واجاد « ان الصناعة تحتاج الى مثل التجارة الاوربية لتقوم بها والا فتسقط » اي انها تحتاج الى الوسائل السياسية والتجارية والعسكرية الموجودة لدى الامم الاوربية . فماذا نصنع بصناعتنا اذا كنا لا نقدر على نشرها بالقوة في مستعمرات العالم كما تصنع الدول الاوربية . بل هل لنا ان تكون لنا صناعة ونحن لا نقدر في بلادنا على حماية بضائعنا من البضائع الاوربية التي تُصنع ارخص ثمناً منها واكثر اتقاناً . اذن فلا نهوض لسوريا بالصناعة

ولكن اذا كانت سوريا لا تنهض بالتجارة والصناعة للاسباب التي تقدمت فهل تنهض بالزراعة ? وهنا الاعتراض الذي لي على حضرة الخطيب

قال جنابه « لا تحلموا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضغاث احلام » « واذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة . اعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها . أعقدوا شركات لشراء الاراضي واستعمارها . اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان . اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات »

اقول . اني لا انكر فوائد هذه الامور العامة ولا اجهل نفع الزراعة للبلاد بل لكل بلد ولكني ارى ان الزراعة نفسها لا تسلم من الاعتراضات التي وُجهت الى التجارة والصناعة

فلنفترض ان الامة السورية هبت الى الزراعة في زمن من الازمان وصرفت قواها اليها فعقدت الشركات وانشأت الطرق وغرست الغرس وربت الحيوان ولم تفشل في ذلك بما في روحها من جرثومة الانقسام والتدافع . فماذا تكون النتيجة . تكون النتيجة ان البلاد السورية تغرق تحت سيل الحبوب المستخرجة من سهول سوريا وبالات القطن المستخرجة من سهول ما بين النهرين وآطنه . والخمر المستخرجة من سهول فلسطين والمواشي الناشئة في جبال لبنان والكرمل وسهول حلب وبغداد . وغير ذلك من المواد الزراعية . وترى البلاد حينئذ انه اذا لم تجد منافذ لصرف تلك المقادير الهائلة اليها وبيعها باثمان حسنة فيها فان ذلك يعود عليها بالخسران والخراب ويكون كل عملها واجتهادها كصيحة في قفر يباب . فالامر

المهم اذًا في الزراعة انما هو وجود « المنافذ » التي تنصرف الحاصلات اليها باثمان فيها ربح لاصحابها . فشانها في ذلك شان الصناعة تماماً . وكما ان الصناعة تسقط اذا لم تؤيدها القوة العسكرية والسياسية وتنشرها بمياذيب التجارة في جميع اقطار العالم هكذا الزراعة تسقط اذا لم تتيسر لها تلك الوسائل العسكرية والسياسية لتدبر لها منافذ لحاصلاتها

ان حاكم الجزائر الجديد المسيو ريفوال يعزو استياء اهل الجزائر من حكومتهم وسخطهم عليها الى سبب واحد وهو انهم افرطوا في زراعة الكرمة افراطاً شديداً فاجتمع لديهم من حاصلات الخمر شيء لم يقدروا على بيعه في الاسواق الاوروبية لكثرته فنقموا على الحكومة لانها لم تدبر لهم « منافذ » لبضاعتهم . والحكومة الالمانية عزمت على وضع رسوم جديدة على الحاصلات الزراعية الواردة الى بلادها ارضاء لحزب الزراع فساء ذلك روسيا وعزمت على مقابلتها بالمثل اذا انفذت هذا المشروع لانه يوقع بزراعها ضرراً عظيماً لسده الاسواق الالمانية في وجه الحبوب الروسية . وقد خيف من وقوع الجفاء بين روسيا والمانيا بسبب هذه الرسوم الجديدة . وايطاليا تنادي بلسان وزير شؤونها الخارجية انني لا اجدد عهود المحالفة الثلاثية مع المانيا والنمسا الا اذا عقدتا معي معاهدات تجارية جديدة يكون فيها ربح للزراع الايطاليين . ووزير خارجية هنغاريا يخطب معترضاً على الرسوم الالمانية الجديدة وان كان له من ذلك غرض سياسي غير الغرض الزراعي . والزراع الفرنسويون يقولون عن روسيا ما هذه الصديقة التي تضع على خمورنا رسوماً باهظة منعاً لها من الدخول الى بلادها . فانت ترى مما تقدم ان المسالة المهمة في السياسة الدولية صارت عبارة عن انشاء منافذ للبضائع والحاصلات الوطنية فهل يتيسر للدولة العلية العثمانية ان تجاري الدول الكبرى في هذه الطريق الكؤود

وان قيل ان مصر تصدر الى البلاد الاوروبية من القطن ما قيمته عدة ملايين جنيه وما من احد يضع العثرات في سبيل هذه الزراعة العظيمة . قلتُ ان القطن المصري اكثر ما يكون صدوره الى انكلترا وهي بلاد تمتاز عن سائر البلاد بحرية التجارة والمبادلة واما القطن الصادر الى غيرها من البلاد فان جماركها تاخذ عنه رسوماً فضلاً عن ان روسيا قد وضعت منذ عامين على جميع القطن الوارد اليها رسوماً جديدة تشجيعاً لقطنها الذي يزرع في تركستان واواسط آسيا . بل ما لنا ولمصر واوروبا فلننظر الى سوريا نفسها نجد ان روسيا وضعت منذ سنتين رسوماً جديدة باهظة على البرتقال الصادر اليها من طرابلس ويافا مما اوقع تجار هذا الصنف في ضرر شديد . فماذا تفيد كثرة الحاصلات اذا كانت

الاسواق الخارجية تُسدّ دونها والدولة العلية العثمانية لا تقدر بناء على المعاهدة المجحفة ان تُقابل المثل بالمثل بان تزيد الرسوم على بضائع كل دولة تزيد حكومتها الرسوم على البضائع العثمانية .

ثم هل نذكر المواشي الشامية الواردة الى مصر وما يوضع في سبيل ادخالها الى هـذا القطر من العثرات لانها تزاحم المواشي القبرصية والاسترالية

فبناء على ذلك يكون نصيب الزراعة في بلادنا الموت العاجل اذا قُدر لها النشوء كما اقترح الاستاذ ولم تتغير هذه الحالة . اما اذا كان الغرض من اقتراح الاستاذ وجوب ان تكتفي البلاد نفسها فيما يختص بالحاصلات الزراعية فهذا امر حاصل الآن . فان سوريا يخرج فيها قمحها وفولها وحمصها وعدسها وشمبرها وافا كهتها اللذيذة من تفاح جبيل لخد العذراء وبرتقال كالشهد او احلى طعماً وغيره من الفواكه والاثمار والخضر وكل حاجات معيشتها خلافاً للقطر المصري الذي يرده من الخارج شيء كثير مما تقدم وبعضه من سوريا نفسها .

فليست اذاً سوريا بحاجة الى زراعة لتغذيها . ولكن الى زراعة لتغنيها . ولا غنى من طريق الزراعة الا اذا كانت وراءها يدٌ قوية تنشطها وتحميها . وهذا امر متعسر الآن ان لم نقل متعذراً لاسباب عديدة اهمها ما بين الدولة والدول من المعاهدات ومن لا يتنازلن على ما يظهر عن حرف واحد منها . فكيف والحالة هذه تكون الزراعة الركن الوحيد لنهضة سوريا

على انني اعترف ان كلامي هذا ثقيل جداً على الاسماع . فان جناب الاستاذ الخطيب قطع لسوريا الامل من النهضة بالتجارة والصناعة ولكنه ابقى لها الامل في الزراعة واما كلامي انا فانه وياللاسف يقطع الامل حتى من النهضة بالزراعة . ولكني اعتقد ان توزيع قوى السوريين على الصناعة والتجارة والزراعة معاً اكثر فائدة لهم مما لو حصروها في فرع واحد منها . هذا رأيي واذا كنتُ قد اخطأت فالعصمة لله وحده

﴿ مستفيد ﴾

﴿ تاريخ بني امية من اوله الى آخره ﴾ اشرنا في صدر هذا الجزء الى نشرنا مقالة فيه حاوية خلاصة هذا التاريخ ولكن كثرة المواد في هذا الجزء اضطرتنا الى ارجاء تلك المقالة الى الجزء القادم

قيصران وقيصرتان

امبراطور روسيا وامبراطورتها · امبراطور المانيا وامبراطورتها
(اخلاقهم)

لا نروم في هذا الفصل ترجمة جلالة قيصر روسيا وجلالة قيصر المانيا وانما نودُّ الاشارة الى اخلاق هذين الرجلين اللذين كثر الكلام عنهما في الشهر الاخير وتوجهت اليهما جميع الانظار

ولقد كان المؤرخ فلوطرخوس اليوناني المشهور اذا رام وصف اخلاق احد من مشاهير رجال اليونان والرومان اكتفى بسرد بعض النوادر والحكايات عنه فيدل ذلك على اخلاق موصوفة اكثر مما يدل عليه قول الواصف انه كبير صغير شجاع لطيف محب لشعبه وغير ذلك من الصفات التي تدخل من اذن وتخرج من اخرى · فلا باس ان نقتدي هنا بفلوطرخوس ونقصر الكلام على بعض النوادر التي تدل على اخلاق كل من الاشخاص الاربعة العظام الذين نتكلم الان عنهم فان ذلك لا يخلو من فكاهة وفائدة

واول ما يظهر للقارىء من مقابلة قيصر روسيا بقيصر المانيا تباين غريب في اخلاقهما فان منظر الاول هادىء لطيف يدل على بساطة وتواضع وفي عينيه جمود وتأمل يثبتان انه من رجال التصور · ومنظر الثاني جريء مقدام تبدو فيه ملامح الانفة فتدلُّ على انه من رجال الشدة والعمل · فاحرِ بهما ان يكون قيصر روسيا قيصرًا لالمانيا الحكومة الدستورية المقيدة التي تستلزم امبراطورًا هادئًا محترمًا لحقوق البرلمان · وقيصر المانيا قيصرًا لروسيا الحكومة المطلقة التي تستلزم امبراطورًا شديد الشكيمة قوي القبضة

وتباينهما في الاخلاق هذا التباين يجعل بينهما فرقًا عظيمًا في كثير من الشؤون · فانه من المشهور عن الامبراطور غليلوم انه لا يمر اسبوع الا ويلقي فيه خطبة وذلك من فرط حبه للكلام واما الامبراطور نقولا فانه يمرُّ العام والعامان ولا نسمع له صوتًا · واذا خطب على جنوده العائدين من الصين فلا يقول لهم كما قال الامبراطور غليلوم « انكم رفعتم شان الاسم الالماني انكم نشرتم التمدن » او « لا تاخذوا من الصينيين اسرى بل اقتلوهم وضايقوهم حتى لا يجسر احد منهم في المستقبل ان ينظر الى جندي الماني » ولكنه يقول لهم هذه العبارة البسيطة « ايها الاخوة انني اشكركم على الخدمة التي قمتم بها في الصين واتمنى لكم الراحة بعد تعبكم »

وقد تهكمت احدى جرائد برلين على الامبراطور غليوم لكثرة خطبه فصورته واقفاً امام طيور السنونو المهاجرة من المانيا يقول لها وهو رافع يديه « عودي ايتها الطيور سريعاً بسلام ليرتفع الاسم الالماني » وغني عن البيان ان هذه الجريدة من جرائد الاشتراكيين

والغريب ان هذا التباين الموجود في اخلاق القيصرين موجود ايضاً في اخلاق القيصرتين ولكنه معكوس · اي ان قيصرة المانيا اقرب في اخلاقها الى قيصر روسيا منها الى زوجها الامبراطور غليوم وقيصرة روسيا اقرب في اخلاقها الى قيصر المانيا منها الى الامبراطور نقولا · يُروى عن امبراطورة المانيا انها كانت جالسة في ذات يوم مع زوجها الامبراطور وهي تفحص قطع نسيج بين يديها فالتفتت اليه وقالت انني لا ارى هذه الالوان تلائمني لانني صرت عجوزاً واخجل من لبسها فقال لها الامبراطور فدعيهـا اذاً وغداً ارسل اليك الواناً قاتمة تلائمك · وفي اليوم التالي ورد على الامبراطورة صندوق مملوء انسجة بالوان ازهى وابهى من تلك الالوان ومعها ورقة من الامبراطور يقول فيها انه يجب ان لا تلبس الامبراطورة الا الالوان الزاهية

فكأنَّ جلالة الامبراطور غليوم يُنفذ سلطانه حتى في ملابس زوجته

واما علاقة قيصرة روسيا بقيصرها فهي عكس ما تقدم كما يقول الاخباريون · فان الامبراطورة الكسندره ذات سلطة عظيمة على الامبراطور نقولا فلا يخالف لها امرًا حتى في الشؤون السياسية · ويقال ان اكبر الناس نفوذاً في البلاط الروسي ثلاثة الامبراطورة والمسيو دي ويت وزير المالية والنائب العمومي في المجمع المقدس (السينودوس) · فكل رأفة وحلم ورغبة في التقدم والارتقاء تظهر من الحكومة الروسية تكون من تاثير القيصرة او المسيو دي ويت · وكل ضغط وتضييق وشدة تظهر من الحكومة تكون من تاثير النائب في السينودوس · ولعل هذه الاقوال لا تخلو من مبالغة

ومن مزايا الامبراطورة الكسندره انها لا تترك الامبراطور زوجها يخرج من القصر وحده لانها تخاف على حياته الثمينة · واحلى اوقات الامبراطور هي الاوقات التي يكون فيها مع الامبراطورة والغراندوقات بناتها الاربع · واذا كان الامبراطور جالساً ودخل عليه احد وزرائه لشغل خاص تهمُّ الامبراطورة بالانصراف فيمسكها الامبراطور ويقول لها اجلسي فان المكان يسع ثلاثة · ولما ولدت الامبراطورة البنت الاخيرة اخذت تبكي لانها لم تلد ذكرًا ليكون وليًا للعهد فبذل الامبراطور جهده في اسكاتها واظهار رضائه عنها

وللامبراطور نقولا حلم غريب قلما يُرى في ملك سواه وهذا اعظم شرف له · روى



﴿ جلالة القيصر نقولا ﴾

المسيو بريسون في جريدة الطان ان القيصر قبل وصوله الى فرنسا في الشهر الماضي دعا بحارة الدارعة ستندارد الى مائدته الخصوصية جرياً على عادته · فجاءوا وجلسوا يؤاكلون امبراطورهم · وكان بعضهم مصاباً بالدوار من شدة اضطراب البحر ولا يستطيعون الاكل فدرى بذلك الامبراطور من اصفرار وجوههم فقال لهم اذا كان احد منكم يشكو المًا او اعتلالاً فليصعد الى ظهر السفينة لاستنشاق الهواء · فاجاب البحارة انهم لا يشكون شيئًا وذلك لانهم رأوا نهوضهم عن مائدة الامبراطور امرًا لا يليق بهم · ولكن نقولا اللطيف شعر بذلك فقال بعد هنيهة انني اشعر باعتلال فاسمحوا لي بالدخول الى غرفتي ثم قام ودخل الى غرفته لكي لا يضايقهم حضوره · فانصرف البحارة مسرورين معجبين

غير ان هذا الحلم غير مقرون بضعف كما يظن القارىء · والدليل على ذلك



﴿ جلالة القيصرة الكسندره ﴾

الحكاية التالية ·

قبل ارتقاء القيصر الى العرش الامبراطوري اعلن انه سيرتقي اليه برتبة كولونل (مير الاي) فجاءه عمه الغراندوق الكبير على ما نذكر واظهر له وجوب ان يرتقي الى رتبة جنرال طبقاً للاصول · فقال له القيصر الشاب لا باس · فالحّ الغراندوق في ذلك · فاجابه القيصر حينئذ « ارجوك يا عماه ان لا تتعب نفسك من اجلي فاني قادر على ترقية نفسي متى شئتُ » وبذلك ايد سلطته على كل سلطة ·

وعلى ذكر رتبة الكولونل التي ارتقى بها القيصر الى العرش نروي عنه نادرة ثانية · وهي



﴿ جلالة القيصر نقولا ﴾

المسيو بريسون في جريدة الطان ان القيصر قبل وصوله الى فرنسا في الشهر الماضي دعا بحارة الدارعة ستندارد الى مائدته الخصوصية جرياً على عادته · فجاءوا وجلسوا يوءاكلون امبراطورهم · وكان بعضهم مصاباً بالدوار من شدة اضطراب البحر ولا يستطيعون الاكل فدرى بذلك الامبراطور من اصفرار وجوههم فقال لهم اذا كان احد منكم يشكو الماً او اعتلالاً فليصعد الى ظهر السفينة لاستنشاق الهواء · فاجاب البحارة انهم لا يشكون شيئاً وذلك لانهم رأوا نهوضهم عن مائدة الامبراطور امراً لا يليق بهم · ولكن نقولا اللطيف شعر بذلك فقال بعد هنيهة انني اشعر باعتلال فاسمحوا لي بالدخول الى غرفتي ثم قام ودخل الى غرفته لكي لا يضايقهم حضوره · فانصرف البحارة مسرورين معجبين

غير ان هذا الحلم غير مقرون بضعف كما يظن القارىء · والدليل على ذلك



﴿ جلالة القيصرة الكسندره ﴾

الحكاية التالية ·

قبل ارتقاء القيصر الى العرش الامبراطوري اعلن انه سيرتقي اليه برتبة كولونل (مير الاي) فجاء عمه الغراندوق الكبير على ما تذكر واظهر له وجوب ان يرتقي الى رتبة جنرال طبقاً للاصول · فقال له القيصر الشاب لا باس · فالحّ الغراندوق في ذلك · فاجابه القيصر حينئذ « ارجوك يا عماه ان لا تتعب نفسك من اجلي فاني قادر على ترقية نفسي متى شئت » وبذلك ابد سلطته على كل سلطة ·

وعلى ذكر رتبة الكولونل التي ارتقى بها القيصر الى العرش نروي عنه نادرة ثانية · وهي



﴿ جلالة امبراطور المانيا ﴾

انه كان يتنزه في ذات يوم في حديقة قصره وهو لابس ملابسه العسكرية التي هي ملابس كولونل · فمرَّ من هنالك جنرال روسي من موظفي القصر · ولما رأى الجنرال ان الكولونل الواقف امامه لا يحييه التحية العسكرية التفت اليه بهيئة رسمية وقال : لماذا لا تسلم السلام العسكري الرسمي على جنرالك ايها الكولونل · فاجاب القيصر : لانني لم ارتق الى العرش ايها الجنرال الا منذ بضعة شهور فما عرفت انك جنرال · فتصوَّر حالة الجنرال حينئذ

وله نوادر كثيرة مع جنوده وضباطه · منها انه بلغه في ذات يوم ان بعض الضباط آلوا على انفسهم انهم لا يجالسون ولا يحادثون كل ضابط يركب الترمواي لاعتبارهم ركوبه عارًا على الضباط ورغبتهم عنه في المركبات الفاخرة · فركب القيصر ذات يوم على غفلة من رجاله احدى مركبات الترمواي وسار الى ثكنة اولئك الضباط فقال لهم · هل تحادثون امبراطوركم ايها السادة ام لا فانني جئت بالترمواي لا في المركبة · فكادت مرائرهم تنشق من الخجل ·

وليس غريبًا ان ينفرد قيصر روسيا هذا الانفراد ويسير في شوارع بطرسبرج وحده



﴿ جلالة امبراطورة المانيا ﴾

فانه قد اشتهر بالقاء الاحتياطات السرية الغريبة التي كان يتخذهـا القياصرة قبله لحفظ نفوسهم وصار الدخول على الامبراطور والاقتراب منه امرًا بسيطاً جدًا بالقياس الى الحالة الماضية . ولقد زار القيصر مرة موسكو فكان اذا مرَّ بشوارعها لا يرى غير حراب الجنود وقبعاتها وملابسها . فالتفت الى حاكم موسكو وقال له « ولكن اين الشعب اين الشعب فانني ما جئت لاشاهد الجنود ولكن لاشاهد شعبي » ثم صار يروح ويجيء بمركبته بين جماهير الشعب سالكاً اليهم طرقاً غير الطرق الرسمية التي كانت تحف بها الجنود من كل جانب .

والقيصر نقولا يحمل على عاتقه الضعيف اعباء كل سلطنته الواسعة . فانه ينظر في جزئيات حكومته وكلياتها ولا يوقع على ورقة ما لم يفحصها فحصاً دقيقاً . وهو يسهر الى ما بعد منتصف الليل في اعماله واحياناً تتكاثر اشغاله فتطلع الشمس عليه وهو جالس . وقد تدخل الامبراطورة عليه في الصباح فتراه متكئاً على التقارير والاوراق التي بين يديه وهو يختلس الكرى اختلاساً من تعبه . ولذلك قال في ذات يوم لبعض اخصائه انني لا اريد لعدوي تعباً كالتعب الذي اعانيه في منصبي

ولكن واأسفاه ان كثيرًا من شؤون الامبراطورية واصوات الضعفاء وظلامات المتظلمين لا تصل الى جلالة القيصر مع رغبته في النظر في كل شيء والاصغاء الى كل شكوى. وهذا شان ملازم للسلطة المطلقة التي تكون محاطة بحاشية لا توصل اليها الاما تريد ان يصل

واخر ما روي عن جلالة القيصر ما تحدثت به الجرائد يوم زيارته لفرنسا في الشهر الماضي . فان الحكومة الفرنسوية انفقت على استقباله الباهر ثلاثة ملايين فرنك وجمعت لحراسة الطريق التي مرَّ فيها جلالته ٤٥ الف جندي مع ان نابوليون الاول قد انتصر في اعظم معاركه بجيش اقل عددًا من هذا الجيش . ولقد انزلته الحكومة في قصر كومبيين الامبراطوري فنام القيصر في سرير نابوليون الاول والقيصرة في سرير الملكة ماري انطوانت زوجة الملك لويس السادس عشر . ومن النوادر التي حدثت له في اثناء هذه الزيارة ان القيصر لما زار مدينة ريمس استقبله محافظ المدينة حسب العادة . ولكن هذا المحافظ كان اشتراكيًا فلم يخاطب القيصر بالجلالة حسب العادة ولكنه كان يجعل لكلامه اسلوبًا يغنيه عن استعمال كلمة الجلالة فكان يقول مثلاً « هل يتفضل الامبراطور ويقبل شيئًا من تفاحنا وخمرنا » فاضطرب رجال الحكومة لذلك ولكن القيصر شعر بالامر فابتسم للاشتراكي وزاد في ملاطفته فذاق من خمره (وخله) وكان يدعوه ياحضرة المحافظ والمحافظ لا يقول ياذا الجلالة بل هل يريد الامبراطور ان يرى هذا . وهلمَّ جرًا . ثم شرب القيصر نخب مدينة ريمس وهو يبتسم ولم يكن ينقصه الا ان يشرب نخب جناب المحافظ ...

ولما التقى القيصر بالامبراطور غليليوم في دنزيج والمسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية في دنكرك اجتمعت من هؤلاء الرجال الثلاثة صور الحكومات الثلاث التي تحكم العالم في هذا الزمان . الاولى الصورة المطلقة يمثلها القيصر الروسي . والثانية الصورة الملكية المقيدة بالدستور يمثلها القيصر الالماني . والثالثة الصورة الجمهورية التي هي حكومة الشعب بواسطة الشعب يمثلها الرئيس الفرنسوي . وجدير بمحبي التفكر ان يتأملوا في هذه الصور الثلاث ويتساءلوا عن احسنها . ولكن ماذا يفيد التساؤل فان هذه القضية القديمة مختلف فيها من عهد ارسطو وافلاطون الى مونتسكيو وباكون . وذلك لان لكل واحدة من تلك الصور منافع كما لها مضار . فكأنَّ البشر لم يهتدوا بعدُ الى افضل هيئة لحكومة انفسهم او انَّ الانسان لا تصطلح احكامه الا متى صفت نفسه عن كدورات المادة والوحشية . وهذا امر لا يأتي الا بالتدريج . فالتصبر فان الله مع الصابرين

ابن الغني وابن الفقير

للشاعرة المشهورة الا ويلكس ولر نشرت في جريدة الجورنال في نيويورك
وعربت الى العربية بقلم الشاعر المجيد اسعد افندي رستم

وربَّ نعامةٍ جاءت تطير ... كأَنَّ الله باعثها القديرُ
تصفق بالجناحين ابتهاجاً ... بكلٍّ منهما طفلٌ صغيرُ
فاعطت منهما طفلاً لشخصٍ ... غنيٍّ عنده مالٌ كثيرُ
وآخر اودعته بيت شخصٍ ... فقيرٍ كلما فيه حقيرُ

***

فعاش ابن الغني على رفاهٍ ... وكان لديه من ذهبٍ سريرُ
وباهى فيه والده سواه ... وقال ستسمعون بما يصيرُ
فاني سوف اجعله مليكاً ... ترافقه السعادة والسرورُ
ويصبح آمراً براً وبحراً ... تدين له كما شاء الامورُ
فما لبث ابنه ان شبَّ يوماً ... وقد كادت تضيق به القصورُ
فدار الارض في شرق وغرب ... ودولاب الغنى معه يدورُ
وسار له مع الركبان ذكرٌ ... تردده الاناثى والذكورُ
الى ان بالنقود ابتاع يوماً ... عروساً ما لصورتها نظيرُ
وكان يقيم في عزٍّ وامنٍ ... ويحرس راسه جمع غفيرُ
ولكن كان يشكو الدهر دوماً ... كأَنَّ العيش فيه عليه نيرُ
ولم يك قانعاً لو صرنَ ملكاً ... تفيء له الكواكب والبدورُ
وللشهوات اطلق كل يوم ... عناناً قد يضلُّ لمن يديرُ
فاصبح منكراً لله فضلاً ... واضنته الرذائل الشرورُ
ولم يطل الاله له حياة ... فكان جزاءه العمر القصيرُ
ومات فكان في عيش وموت ... تعيساً مثله تحوي القبورُ

***

وأما ابن الفقير فشبَّ يسعى ... وراء القوت وهو به جديرُ

وكان مهذباً فطناً رزيناً على خطوات والده يسيرُ
يطيل حياته عيشٌ رغيدٌ يكاد عليه يحسده الاميرُ
قنوعٌ بالقليل من العطايا لخالقه ووالده شكورُ
ولا مالٌ يزيد عليه هماً فلم يكُ يستعير ولا يعيرُ
وكنت تراه ذا جسم صحيح وذاك لحسن سيرته يشيرُ
فلا مالٌ يسير به الى حيث بالامراض تمتلئُ الصدورُ
احبَّ وقد احبته فتاة يحاكي وجهها القمر المنيرُ
فما لبثا ان اقترنا وكانت تمر على سعادته الشهورُ
ولما ان دنى الاجل المسمى وحان له الى الاخرى المسيرُ
تصرَّف حين جاءته المنايا كما يتصرَّف الرجل الجسورُ
واسلم امره لله طوعاً لان رجاءه فيه كبيرُ
ومات وفي محياه ابتسامٌ : اذن فمن الغني ومن الفقيرُ ؟

(نقلاً عن مرآة الغرب الغراء)

حجارة مُنقضَّة من السماء



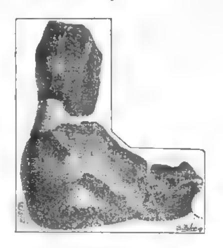
﴿ الرجم ﴾

لا عجب اذا استغرب القارئ هذا العنوان فقد استغربته قبله اكاذمية العلوم في فرنسا وانكرت انقضاض الرجم على الارض . وما زالت على هذا الانكار حتى ٢٦ افريل عام ١٨٠٣ فان الرجم انقضت يومئذ على مدينة لكل في مقاطعة اورن الفرنسوية في رابعة النهار والناس ناظرون فنزلت الوفاً الوفاً على تلك المدينة . ومنذ ذلك الحين اخذ العلماء يهتمون بهذه المسألة اهتماماً شديداً .

﴿ ماهيتها ﴾ وهذه الحجارة ثلاثة انواع . النوع الاول مؤلف من الحديد والنيكل يخالطها شيء قليل من مواد اخرى . والنوع الثاني مؤلف من مادة معدنية ومادة صخرية متساويتين في الحجم والتركيب تقريباً . والنوع الثالث مؤلف من مواد صخرية يخالطها شيء قليل من مادة الحديد والنيكل

ولقد اهتم علماء الكيمياء والجيولوجيا بهذه الحجارة اهتماماً خاصاً لانهم وجدوا انهم يستطيعون بواسطتها الوقوف على حل لبعض المسائل العلمية الكبيرة التي اعيام حلها. فالكيماويون يفحصونها لتحليل مادة الاجرام السماوية ومقابلتها بمادة الارض · والجيولوجيون يفحصونها ليقفوا على السر العظيم نعني كيف تألفت مادة ارضنا وباقي الاجرام التي تسبح في الفضاء معها · ولذلك تجد العلماء يبذلون في جمع هذه الحجارة كل عزيز ويبتاعونها باثمان طائلة ليؤلفوا منها مجموعة ترشدهم بكثرة موادها واختلافها في السبيل الذي يسلكونه

﴿ الرجم القديمة ﴾ وقد انتبه القدماء الى هذه الحجارة ايضاً · واول حجر اشاروا اليه في مصنفاتهم حجر سقط في جزيزة كريت في سنة ١٤٧٨ قبل الميلاد المسيحي · وقد هبط في القرن الخامس من الميلاد على شواطئ نهر اوغوس بوتاموس في نواحي بلغاريا حجر كبير « بحجم المركبة » كما قال احد مؤلفي اليونان · وكان هذا الحجر ثابتاً في مكانه



حجر نزل في بوتوسوره (الهند)

(وهو هنا ثلاث قطع مركبة بعضها فوق بعض)

في عهد الامبراطور جوستينيوس · وفي القرون التالية سقط كثير من الرجم في اوربا وآسيا فبقي ذكرها في ذاكرة الشعوب ومؤلفات عدة من مؤلفي ذلك العصر

﴿ الرجم الحديثة ﴾ اما الرجم الحديثة فان في المتاحف كثيراً منها · وهي

متفاوتة الحجم . فبعضها صغير جداً كالبيضة او اصغر منها وبعضها كبير جداً لا يستطيع الانسان تحريكه بيده . منها حجر بالاس الذي نُقل منذ قرن من سيبيريا الى بطرسبرج وثقله ٨٠٠ كيلوغرام فاقبل الروس على مشاهدته من كل حدب وصوب وبعضهم زعم البركة فيه فصار يتبرك به . ومنها الحجر الاوسترالي المحفوظ الآن في المتحف الانكليزي وثقله ١٦٠٠ كيلوغرام . والحجر البرازيلي المشهور في بمديكو وثقله من ٨ الى ١٢ الف كيلوغرام . وقد حاول الناس نقله فلم يقدروا على ذلك من ثقله

وقد سقطت في ٢٦ مايو عام ١٧٥١ في مدينة اغرام قاعدة ولاية كرواتيا في هنغاريا قطعة من الحديد والنيكل زنتها ٤٠ كيلوغراما . وفي ١٤ يوليو من عام ١٨٤٧ سقطت قطعة على سقف منزل في براناث من اعمال بوهيميا فاخترقت سقف البيت وغاصت في الارض . فتصوَّر صراخ اهل المنزل وخوفهم . والرجم مستمرة الانقضاض في كل يوم تقريباً ولكن بعضها نراه وبعضها لا نراه

﴿ من اين تأتي تلك الحجارة ﴾ والان لا بد ان يسأل القارىء من اين تأتي هذه الحجارة فنجيبه ان اهل العلم مختلفون في مصدرها . ولكن اكثرهم على انها بقايا اجرام سماوية قديمة كانت سابحة في الفضاء طوعاً لجاذبية الاجرام التي تجذبها اليها فتارة تكون هنا وتارة هناك حتى تتغلب عليها جاذبية بعض الاجرام فتجذبها اليها فتحمى لسرعة انقضاضها في الفضاء وتتطاير شذر مذر فتصل بقاياها الى الجرم الذي جذبها . وهذا الرأي رأي ستانيسلاس مونيه

ومما يدعمون به هذا الراي ان بعثة علمية اسوجية اكتشفت في عام ١٨٧٠ في اوفيفاك على شاطىء جزيرة ديسكو في سفح صخرة بركانية شاهقة على شاطىء البحر ثلاث قطع ضخمة من الحديد وكثيراً غيرها اصغر حجماً منها . فاهتمت الحكومة الاسوجية بالامر وبعثت سفنها الحربية فنقلت هذه القطع الى اوربا وفي جملتها قطعة ثقلها ٢٤ الف كيلوغرام وهي اعظم قطعة وُجدت الى الآن . وقد حسب العلماء في بدء الامر ان هذه القطع الحديدية رجم سقطت من السماء ولكن العالم نوردنسكيولد الذي ذهب هذا المذهب اولاً عاد فاقتنع كل الاقتناع بان تلك القطع الحديدية كانت مقذوفة من جوف الارض الى سطحها بثورة بركانية . فثبت بذلك ان الاجرام السموية التي تختل جاذيتها في الفضاء وتنجذب الى جرم اقوى منها تتطاير شظايا ترابها وصخورها في سقوطها ويحترق بعضها ويصل الى الارض او الى الجرم الجاذب ما في جوفها من المواد المعدنية التي تُخلَّد بشيء من ترابها بقوة النار . فالحجارة الساقطة اذاً تكون من جوف الاجرام الفانية لا من سطحها والله اعلم

ولقد نشرنا في هذه المقالة رسم قطع حجر سماوي نزل في بوتوسوره سيف الهند في ١٢ مايو من عام ١٨٦١ واكثره من الحديد والنيكل كما يرى القارىء . ولكن من اي جرم سماوي انفصل هذا الحجر . وهل كانت امه ماهولة او غير ماهولة . واذا كانت ماهولة فهل كان بشرها ارقى من بشر الارض او اوفى اخلاقاً . وهل كان عندهم سجون تعذب الناس وثكنات عسكرية تجمع الشعب لتحمله السلاح وتعلمه قتل قريبه تاركة الحقول والاودية بلا زرع ولا ضرع . ورجال تُسدُّ ابواب الحياة في وجوههم فيصلون انفسهم فوضو بين . ونساء لا تعتني الهيئة الاجتماعية بهن وباولادهن فيعن شرفهن لياكلن به خبزاً . ورؤساء شرهون لا همّ لهم غير انفسهم . ومرؤوسون ضعفاء يُساقون بالسياط كالانعام السائمة . وكل شيء فيها صغير وضيع في نظر اهلها الا الذهب والقوة المادية — هل كان فيها شيء من كل ذلك — الله اعلم

صفحة الشعر

ديوان

﴿ حافظ افندي ابرهيم ﴾

اذا كان احمد بك شوقي متنبي مصر فان حافظ افندي ابرهيم ابو تمامها . واذا قابلت بين ما نشرناه من مختارات شوقي بك في الجزء الثاني من السنة الاولى ومختارات حافظ افندي التي ننشرها الآن ورأيت رقة الاول وحذره سيف شعره ووثبه فيه حيناً بعد حين الى اعلى قمم الفكر ورأيت فصاحة كلام الثاني ومتانته واندفاعه باسلوب عسكري حتى قال فيه واصف مجيد انه يكتب بحسامه لا بقلمه — علمت صحة التشبيه الذي تقدم . فالاول شاعر الحضارة والثاني شاعر البداوة وكل منهما سبّاق في فنه

ولقد نشر جناب حافظ افندي ابرهيم ديوانه وقدم له مقدمة رائقة عرف به الشعر تعريفاً مبتكراً . ومما قاله فيها ان « خير الشعر ما سبق دبيبه في النفس دبيب الشفاء ثم سبح بها في عالم الخيال فاراها جيلاً وهو يرنو الى بثينة ويقول

وكم قلتُ في شعري لكم وصبابتي ... احاديث شوق شرحهن يطول

فان لم يكن قولي رضاكِ فعلّمي ... نسيم الصبا يا بثن كيف اقول

والمجنون وهو يضرع الى ليلاه و ينشد

عليَّ اليَّة ان كنت ادري ... اينقص حبُّ ليلى ام يزيدُ

واراها عبد بني عبس وهو يسابق المنية لاختطاف الارواح و ينادي

ليَ النفوس وللطير اللحوم ولا ... وحش العظام وللخيالة السلب

والشريف الرضي متربعاً في ناديه يطالع في صحيفة انسابه جريدة احسابه وهو يشمُّ من لحيته ريح الخلافة ويخاطب صاحبها بقوله

مهلاً امير المؤمنين فاننا ... في دوحة العلياء لا نتفرّق

وشيخ المعرة وابا الطيب بجانبه يستصبح كلاهما بنور صاحبه واسمها الاول وهو يقول

ويدُلني ان الممات فضيلة ... كونُ الطريق اليه غير ميسر

والثاني وهو ينشد

الف هذا الهواء اوقع في الا ... نفس ان الحمام مرُّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ ... والاسى لا يكون بعد الفراق

وهذا الديوان مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة التمدن في العاصمة على ورق جيد وقد شرحه جناب محمد افندي هلال ابرهيم شرحاً مفيداً لا يخلو من بعض النكات . منها ان صاحب الديوان قال في باب الخمريات

اطلق الشمس من غياهب هذا الد ... نّ واملأ من ذلك النور كأسي

وأذن الصبح ان يلوح لعيني ... من سناها فذاك وقت التحسي

واسقنا ياغلام حتى ترانا ... لا نطيق الكلام الا بهمس

فقال الشارح في شرحه « مثل بعضهم اي بيت اذا سمعته علمت ان قائله ملك قال قوله

اسقني من سلاف ريق سليمى ... واسقِ هذا النديم كأساً عقارا

ولعمري لو سمع هذا البعض تلك الاوامر المتتالية لما شك في انها صادرة عن خليفة الخلفاء او سلطان السلاطين فلا كسرى في ايوانه ولا الرشيد في جلال ملكه وسعة سلطانه ولا الفاتح وقد سقط ملك الروم في قبضته ولا نابوليون وقد طأطأت ملوك الغرب الهام لسلطته وارتجت اركان الدنيا من رهبته باشد في الامر اشتطاطاً ولا اكثر في الحكم افراطاً من شاعرنا هذا »

وقال صاحب الديوان في الخمر ايضاً

مشمولة لولا التقى لعجبت من تحريمها والذنب للقدماء
قربوا الصلاة وهم سكارى بعدما نزل الكتاب بحكمة وجلاء

قال الشارح « قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فلما عاد اليها بعضهم سكرانًا نزل قوله تعالى « انما يريد الشيطان ان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » فكان بذلك تحريمها »

وقال صاحب الديوان

يا نديمي بالله قل لي لماذا هذه الخندريس تُدعى برجس
هي نفس زكية وابوها غرسه في الجنان اكرم غرس

فقال الشارح « نأسف ويحق لنا الاسف ان يكون بين اقوال صديقنا هذا الباب الذي كثيرًا ما حدا به الى محاكاة ابي نواس في نكاته وخلاعاته الى حد ربما علمه من لم يعرفه من زيغ العقيدة والازدراء باحكام الدين في شيء لا يُغتفر »

وقال صاحب الديوان

اذكروني عند كاسات الطلا انني كنتُ امام المدمنين
ربَّ ليل قد تعاهدنا على ما تعاهدنا وكنا قاطعين
فقضيناه ولم نحفل بما سطَّرت ايدي الكرام الكاتبين

فقال الشارح في ذيله « لقد سئمت النفس وملَّ اليراع من الاشارة الى مثل هذا الهزل الذي نأمل ان ينتهي بانتهاء هذا الباب »

اما مختارات هذا الديوان فمنها في مدح الجناب الخديوي المعظم

لم يبقِ احمدُ من قولٍ احاوله في مدح ذاتك فاعذرني ولا تعبِ
فلستُ ممن سعتْ بالشعر همتهم الى الملوك ولا ذاك الفتى العربي
لكن عيدك يا عباس انطقني كالبدر اطلق صوت البلبل الطرب
يا من توهم ان الشعر اعذبه في الذوق اكذبه ازريتَ بالادب
عذب القريض قريضٌ بات يعصمه ذكرُ ابن توفيقَ عن لغوٍ وعن كذب

وجعلت لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي المعظم جائزة للسابق من الشعراء فجاءتها قصائد كثيرة منها قصيدة لصاحب الديوان جاء في ختامها

قلْ للاولى جعلوا للشعر جائزة فيمَ الخلاف ألم يرشدكمُ اللهُ

اني قصدتُ لها صدرًا تليق به ... ان لم تحلّه فالرحمن حلاّه

لم اخشَ من احدٍ في الشعر يسبقني ... الا فتى ما له في السبق الاّه

ذاك الذي حكت فينا يراعته ... واكرمَ الله والعباس مثواه

وفي مدح الجناب الخديوي ايضاً

وانشدُ اشعاري وان قال حاسدي ... نعم شاعر لكنه غير مكثار

فحسبي من الاشعار بيتٌ ازينه ... بذكركَ ياعباس في رفع مقداري

وقال من قصيدة في وصف نادي صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

حللتُ دارًا بها تُتلى مناقبه ... ببابها ازدحمتْ للناس آمالُ

رايتُ فيها بساطًا جلَّ ناسجه ... عليه فاروق هذا الوقت يختالُ

وقال في الغزل من قصيدة يمدح بها محمود باشا سامي البارودي

تعمدتُ قتلي في الهوى وتعمدا ... فما اثمتْ عيني ولا لحظه اعتدى

كلانا له عذرٌ فعذري شبيبتي ... وعذرك اني جئتُ سيفاً مجرّدًا

هوينا فما هنَّا كما هان غيرنا ... ولكننا زدنا مع الحبّ سؤددا

ومنها في المدح

اعرني لمدحيك اليراع الذي به ... تخطُّ واقرضني القريض المسدّدا

ومن كل معنى فارمني بطاعتي ... وكل نفور منه ان يتودّدا

فاربو على ذاك الفخور بقوله ... (اذا قلت شعرًا اصبح الدهرُ منشدا)

وقال في مدح المرحوم سليمان باشا اباظه

سليمان ذكّرتَ الزمان واهله ... بعز سليمان واقبال دنياه

اذا سرتَ يومًا حذّر النمل بعضه ... مخافة جيش من مواليك يغشاه

وان كنتَ في روض تغنت طيوره ... وصاحت على الافنان يحرسك الله

وكان ابن داود له الريح خادم ... وتخدمك الايام والسعد والجاه

وقال في شكوى الزمان

فان تكن نسبتي للشرق مانعتي ... حظًا فواهًا لمجد الترك والعرب

متى ارى النيل لا تحلو موارده ... لغير مرتهب لله مرتقب

اذا نطقت فقاع السجن متكأي ... وان سكتُّ فان النفس لم تطب

ايشتكي الفقرَ غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارضٍ من الذهبِ
يا آل عثمان ما هذا الجفاء لنا ونحن في الله اخوان وفي الكتبِ
تركتمونا لاقوام تخالفنا .... الخ

ومن هذا يظهر ان الشاعر جندي كل ما يقلبه على طرف لسانه . ومن ذلك قوله في مكان آخر

ارى مصر والسودان والهند واحداً بها اللورد والفيكونت يستبقان
واكبر ظني ان يومَ جلائهم ويوم نشور الخلق مقترنانِ

وقوله ايضاً مشبهاً طول الليل بالاحتلال في مصر

ياساهد النجم هل للصبح من خبرِ اني اراكَ على شيءٍ من الضجرِ
اظن ليلك مذ طال المقام به كالقوم في مصر لا ينوي على سفرِ

اما شوقي بك فانه يجتنب في شعره التصريح الى هذا الحد وانما يقول مثلاً في مثل هذا المقام

عباس انك للبلاد ولم يعدْ في مصر غيرك من يقولُ بلادي

وذلك لان مقامه من سمو الامير يوجب عليه هذا الحذر

وقال في وصف الشعر

ضمتْ بين النهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
حملوك الشقاء من حب ليلى وسليمى ووقفة الاطلالِ
وبكاء على عزيز تولى ورسوم راحت بهنَّ الليالي
واذا ما سموا بقدرك يوماً اسكنوك الرحال فوق الجمالِ
آنَ يا شعرُ ان نفكَّ قيوداً قيدتنا بها دعاة المحالِ
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشمُّ ريح الشمالِ

ومن قوله في بعض الجرائد اليومية ولا نظنه قاله فيها كلها

جرائدٌ ما خُطَّ حرفٌ بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لاربابها كأنها اول ابريل

والغريب بعد هذا ان جميع الجرائد اليومية قرظت ديوان الحافظ احسن تقريظ . فكانَ لسان حالها عند التقريظ كان يقول : كل شيء من الشاعر الظريف مقبول .

وقال يخاطب ثوبه ويذكر اكرام الناس لاصحاب الطيالس وفيه سهام حادة

يا ردائي جعلتني عند قومي | فوق ما اشتهي وفوق الرجاء
ان قومي تروقهم جدة الثو | ب ولا يعشقون غير الرواء
قيمة المرء عندهم بين ثوب | باهر لونه وبين حذاء
فمد الفضل لي وقت بعزي | بين صحبي جزيت كل الجزاء

وقال في وصف الشمس

نظر ابراهام فيها نظرة | فارى الشك وما ضل اليقين
قال ذا ربي فلما افلت | قال اني لا احب الآفلين
ودعا القوم الى خالقها | واتى القوم بسلطان مبين

ومنها يريد الشمس

صدقوا لكنهم ما علموا | انها خلق سيبلى بالسنين
ا اله لم ينزه ذاته | عن كسوف بئس زعم الجاهلين
انما الشمس وما في آيها | من معان لمحت للعارفين
حكمة بالغة قد مثلت | قدرة الله لقوم عاقلين

وله في مخاطبة الثرى على طريقة ابي العلاء ابيات في غاية الجودة ومنها

ايهذا الثرى الى م التمادي | بعد هذا أ انت غرثان صادي
انت تروى من مدمع كل يوم | وتغذى من هذه الاجساد
قد جعلت الانام زادك في الده | ر وقد آذن الورى بالنفاد
فالتمس بعده المجرة وردا | وتزود من النجوم بزاد
لست ادعوك بالتراب ولكن | بقدود الملاح والاجياد
بخدود الحسان بالاعين النجـ | ـل بتلك القلوب والاكباد
لم تلدنا حواء الا لتشقى | ليتها عاطل من الاولاد
سلمتنا الى صروف زمان | ثم لم توصها بحفظ الوداد

هذا ما اكتفينا بنقله من هذا الديوان الذي نشر فضل صاحبه بين الفضلاء والادباء كما نشر حسامه فضله بين الاقران . ولذلك فاننا نرى احسن ثناء يوجه الى حافظ افندي ابرهيم تلقيبه بصاحب السيف والقلم .

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

نقطة مهمة في تربية البنات

او

﴿ اصلاح الرجال باكلة ضفدع ﴾

لحضرة المدموازل روزا اعطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — رمل الاسكندرية

المرأة محور العمران ولذلك لا يدور حديث الا ويدخله موضوع النساء وما لهن من الحسنات والسيئات . وقد قال بعض الكتاب لا شيء اعظم فائدة في العالم من النساء ولا شيء اكثر ضرراً منهن . وقد قصدوا بذلك انهن اذا رمن النفع يستطعن النفع كثيراً واذا رمن الضرر يستطعن الضرر كثيراً . وسلطتهن هذه فطرية لا يحتجن الى من يعلمهن اياها وكفى دليلاً على ذلك مقدرة حواء منذ البداية على اغراء جدنا آدم

واذا راجعنا صحف التاريخ من قديم وحديث في العالم الوحشي والمتمدن في البلاد الغربية والشرقية بين المسيحيين وغير المسيحيين حتى عبدة الاوثان نجد ان حالة المرأة هي الفاعل الاول في حالات تلك الشعوب فاذا كانت مرتقية كانت الشعوب مرتقية وبالعكس فهذه القوة التي تؤثر بها المرأة على الناس هي ما نسميه «سلطة النساء»

وبياناً لحقيقة هذه السلطة لا ارى احسن من حكاية حال شرحها القائد صموئيل هوستن الاميركي . فان هذا القائد دُعي في ذات ليلة الى حضور التياترو فكتب الى صاحب الدعوة يقول — « لا تلوموني اذا رفضتُ اجابة دعوتكم لاني متأكد ان امرأتي لو كانت موجودة معي الآن لما سمحتْ لي بالذهاب الى التياترو وليس ذلك منها عن حكم بل عن لطف تستولي به على جميع اميالي وتديرها الى حيث تشاء ولا تشاء الا الخير »

وقد ذكر هذا القائد عن نفسه انه كان في بدء زواجه شرس الاخلاق فظاً شريراً متمرداً مهما بذلت زوجته في سبيل ارضائه لا يمكنها ارضاءه . والذي كان يغيظها بنوع خاص عدم رضاه عن جميع ما تطبخه له من الغذاء فكان يقول بتهكم « ضفدع مشوي اطيب من طبيخك » فاتفق يوماً انه ارسل لها سمكاً فقالت اليوم يجب ان اجرب لعلي اتمكن منه . فبادرت الى طبخ السمك في جميع صنوفه مقلياً ومشوياً ومسلوقاً وبالفرن . واستحضرت على ضفدع مشوي ايضاً . فعند المساء جاء الزوج للعشاء فوضعت على المائدة سمكاً مشوياً . فاستقبحه وقال لو كان مسلوقاً لكان اصلح . فاحضرت المسلوق فذاقه وقال هذا سمك صغير لا يصلح للشيء ولو كان مقلياً لكان احسن . فاحضرت المقلي . وهكذا الى آخر الاصناف حتى ضجر الرجل . فقال كل شغلك هذا لا ينفع ولو كان ضفدع مشوي لكان احسن من كل طبخك . فبكل هدوء ورزانة اسرعت تلك الزوجة الكريمة واحضرت الضفدع المشوي . حينئذ انسكبت دموع القائد العظيم وقال . عفواً ياعزيزتي عن كل ظلمي وجوري واصفحي عن الماضي فاني ابدأ الان حياة جديدة . وهكذا عاشا بعد ذلك احسن معيشة . فهذه هي سلطة المراة التي يُصلح بها الرجال بل العالم كله لا غير ذلك من العناد والكبرياء والخصام

وقال جان كونسي آدم « كل ما بلغتُ من التقدم والارتقاء وكل ما حصلت عليه ناشيءٌ عن تاثير مثال امي الحسن فيَّ ووصاياها » وهكذا قال باكس ودوبت ونيوتن . واذا نظرنا في التاريخ وجدنا ان كولمبس اكتشف اميركا ولكن لولا مساعدة ايزابل ملكة اسبانيا لما استطاع النجاح . وشنطون حرر اميركا ولكن امه هي التي بثت في نفسه روح الحرية . واول مدرسة ابتدائية فُتحت للصغار في اميركا اعني المدارس العامية الكثيرة كان انشاؤها بمساعي السيدات الاميركيات

وهذا التاثير غير محصور في البلاد المتمدنة فان قبيلة موهوك المتوحشة لما شاهدت نساؤها طول زمن الحرب والشرور الكثيرة في قبيلتهنَّ عقدن مجتمعاً نسائياً غايته ابطال تلك الحرب وملاشاة شرورها . فقمن على رجالهن قومة واحدة حتى اضطررنهم الى عقد السلم وترك القتال

وكتب احد المشاهير عن سلطة ابنته على ولد وحيد له كان مجنوناً قال « لم يكن احد يستطيع اخماد ثورته سوى لويزه ابنتي » وبعد زواج هذه الابنة اشتد الجنون بالولد لان التي كانت تسكنه وتهديه قد فارقته . وقد قال هذا الكاتب ان ابنتي هذه هي التي جعلتني

اكتب في موضوع سلطة النساء . وعنه اخذت موضوع هذا الفصل الصغير

والسبب الذي جعلني اكتب هذا الموضوع رغبتي في امرين . الاول اظهار عدالة الخالق الذي لم يجعل المراة ضعيفة الا واعطاها تلك السلطة لموازنة ضعفها . فعلى النساء ان لا يحسدن الرجال على اشغالهم وسلطتهم وقوتهم لانهن اقوى منهم

والامر الثاني الاشارة الى هذا الكنز الثمين الموجود في ايدي النساء وهن لا يبالين به بل يفتشن عن كنزٍ خياليّ موهوم . وهذا الكنز الخيالي الموهوم هو الافراط في اللبس الفاخر والمناظرة في ذلك وفي المعيشة التي يسميها الكتاب دنيوية ولا اشير اليها هنا الا اشارة . واني لست من الواقي او بالحري من الذين يذمون (الموضة) لاني اعرف انه لا بد منها الا اذا اردنا تغيير اذواق النساء وهذا من شؤون الخالق عزَّ وجل . واذا اردت ان تطاع فسل ما يُستطاع . ولكني ارى وجوب الاعتدال في هذا الامر الذي اصبح ضربةً من الضربات لان المراة لم تُخلق له ولكن لتلك السلطة التي ذكرتها . نعم المراة لم تخلق لتكون صنماً يتفرج عليه الناس وهذا امر اقوله بلا تجل واحب ان ينتبه اليه السيدات فانهن كثيرًا ما ينسينه . وبودي لو ان معلمات مدارس البنات تحذو حذو معلمة اميركية مشهورة تدعى ماري لويز جعلت كل عنايتها مصروفة في مدارسها الى تربية البنات باسلوب يعلم الابنة ان تكون ذا تاثير في الدنيا بواسطة اخلاقها وآدابها لا بواسطة جمالها وثيابها . وربما كانت هذه الكلمة « التاثير بواسطة الاداب لا بالثياب » مصدرًا لاصلاح عظيم يغير وجه الشرق كما يريد الشرقيون وينشيء في كل امة الرجال الذين تطلبهم . فعسى ان يكون في قولي هذ فائدة للمعلمات والامهات .

﴿ نمو العظام في الجسم ﴾

قد تُعمل عملية جراحية في جسم الانسان ومتى شفي عاد اللحم فنبت ونما كما كان قبل العملية . وهذا امر معروف عند الجراحين . ولكن الامر الجديد هو نمو العظام كنمو اللحم . فانه من المعلوم ان النقرس والسل قد يحفران عظام الانسان في الجهات المصابة فراى الاستاذ فون موستيج موروف النمساوي وجوب سد هذا الحفر . فاخذ مادة ركبها من مسحوق عظام الحوت والزيت واليودوفورم واذابها ثم جعلها بحرارة الجسم وبسطها على العظم المحفور في بدن المريض وربطها . فلم تمض على ذلك مدة طويلة حتى التحمت هذه المادة بالعظام وصارت منها .

باب تدبير الصحة

العنب العنب العنب

اذا كنتَ ضعيف الجسم نحيلاً هزيلاً قليل الدم مستعدًّا لامراض الصدر والمعدة والفالج وغيرها فان الاطباء يصفون لك السفر الى حمامات فيشي لتغيير الهواء والاستحمام بمياهها المعدنية او الاقامة في جبال لبنان او جبال سويسرة . فاذا كنت قادرًا على السفر والنفقات الطائلة سافرت غير آسف على شيء لان الصحة قبل كل شيء . ولكن اذا كنت غير قادر على السفر اما لانك لا تقدر على ترك اشغالك واما لان جيبك لا قبل له بنفقاته فلديك طريقة بسيطة يصفها الآن بعض الاطباء في اوروبا لتجديد الدم واعادة القوى وهو دواء يغنيك عن الاستحمام بمياه فيشي. ويسمونه « الاستحمام بعصير العنب »

ومعنى ذلك ان تاكل من العنب بقدر ما تستطيع في كل يوم على شرط ان لا يكون ماكولك منه اقل من كيلوغرام واحد في اليوم ولا اكثر من اربعة كيلوغرامات . ويجب ان تاكل هذه الكمية على اربع اوخمس مرات وان تتنزه في اثناء ذلك في الخلاء وتروض جسمك في مكان ذي هواء نقي . وان تبدأ بالاكل بالتدريج اي تاكل كيلوغراماً وكيلوغرامين في الايام الاول حتى تصل الى الاربعة

واذا رمت ان يكون العنب مسهلاً فكل من العنب الابيض قبل نضجه تماماً لان من خواص الحموضة التي فيه انها تُجري الباطن . واذا رمت زيادة دمك فكلْ من العنب الاسود الذي في اجزائه كثير من املاح الحديد والمواد التي تقوي الجسم وتبث فيه الحرارة

وهذا الدواء ليس جديدًا فان سكان لبنان يعرفونه . وقد كان ابو قراط ابو الطب وغالينوس يصفانه في الزمن القديم للمصابين بفقر الدم وعسر الهضم وامراض المعدة وقلة الشهوة للاكل .

وربما اصيب بعضهم بألم في معدته اعيى الاطباء دون ان يزول ثم اقتصر المريض على اكل العنب دون سواه اياماً كثيرة فشفي وعادت القوى الى معدته . وهذا امر اثبتته التجربة

وكما ان للاستحمام بالمياه المعدنية اماكن خصوصية في اوروبا يفد اليها الناس مستشفين كذلك انشأوا عندهم اماكن « لاكل العنب » . فان في مدينة مونترو في سويسره وفي ميرانه في النمسا وفي سان كوار وكرونتش على شواطئ نهر الرين وفي دركهم في بافاريا وغيرها من المدن كثيرًا من الاماكن المخصوصة المنشأة لاكل العنب ولا تفتح الا حين نضج هذا الثمر المغروس في جوارها بكثرة غريبة . ويفد الى هذه الاماكن محبو العنب من كل اقطار العالم ليجددوا دماءهم من عصير بنت الكرمة . فما اخطأ اذًا من قال —

ولو وضعوا في فيء حائط كرمها   عليلاً وقد اشفى لفارقه السقم

فحبذا لو انشأوا في لبنان اماكن كتلك الاماكن في الجهات التي تكثر زراعة العنب فيها . ويا ليت الفلاح المصري يهتم اهتمام رفيقه الفلاح اللبناني بزراعة هذه الشجرة اللذيذة المفيدة وبذلك يغني بلاده عن العنب الذي يردها من البلاد الغريبة

﴿ اذا لم تستطع ترك التدخين ﴾
(فلا اقل من تخفيف مضاره)

من اسباب فشل الجمعيات التي قامت لمقاومة التدخين انها توجب على الناس ترك التدخين تركاً باتاً فقلما اثرت دعوتها هذه في احد الا قليلاً . ولذلك رات الاكاذيمية الملكية في بلجيكا ان تعدل عن النداء بوجوب ترك التدخين الى نداء آخر بوجوب اجتناب مضار التدخين ما امكن اجتنابها . وقد نشرت لذلك عدة وصايا جاء فيها

« لا تدخن تبغاً رطباً لان الرطوبة تحل النيكوتين الذي هو سم التبغ فينتشر مع دخانه ويدخل الى جوفك

« لا تدخن وانت صائم ولا قبل الطعام

« دخن التبغ دائماً في ماسورة طويلة لا بفمك فتلتقط الماسورة قذر التبغ وسمه

« ان النيكوتين الذي هو سم التبغ لا يتبخر الا اذا بلغت الحرارة ٢٥٠ درجة وبناء عليه فان هذا السم يجتمع في عقب السيغاره فيجب عليك ان لا تدخن من السيغاره الا ثلاثة ارباعها وترمي الربع الباقي الذي اجتمعت فيه المادة السمية

« ان السيغارة الاعتيادية اخف ضررًا من السيغار ومن سائر اصناف التدخين فلا تدخن غيرها »

ازالة السكر من راس السكران

(طرق بسيطة)

لذلك طريقتان . الاولى ان تصب اذا كان السكر خفيفاً ١٢ نقطة من الامونياك (روح النشادر) في كاس ماء مسكر وتسقيه اياها . واذا كان السكر شديداً الى درجة العربدة فاسق السكران الكاس التي تقدمت وكاساً اخرى مثلها ولكن لا تزد على ذلك

والطريقة الثانية ان تكتفي بتنشيقه بضع دقائق روح النشادر في زجاجة . وقد جرب ذلك الاستاذ بوشاردات في السكيرين الذين تجدهم شرطة باريز في الشوارع وتاتي بهم الى مستشفياتها فنجحت التجربة

السل الكاذب

كتب المسيو مارتين مانيي من بوردو الى اكاذمية العلوم في باريز يقول انه ثبت له ان في انواع السل سلاً كاذباً فان الانسان يظهر له انه مصاب بالسل ولا يكون داؤه غير اعتلال في الشعب التنفسية العليا وهو داء بسيط فيجب التمييز بين السل الصحيح والسل الكاذب .

نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب ما يفيد نشره من الفصول والمقالات التي كتبها اكابر كتاب العرب ما ولا توجد الا في الكتب الكبيرة والمكاتب الشهيرة

جواهر عربية أدبية

منتخبة من مروج الذهب للامام المسعودي

لما رأينا الجرائد والمجلات طافحة باخبار نوادر ملوك هذا الزمان وامرائه وحكامه وتفاصيل مدنيته عجبنا من هذا الاقبال على شؤون الحاضر مع ان في شؤون الماضي ما يغني عن ذلك كل الغنى اولاً لانها مكتوبة بلغة عربية مبينة يستفيد منها القارىء والكاتب وثانياً لانها اخبار مدنية شرقية عظيمة قامت في بلادنا فيجب على كل الشرقيين الاطلاع على اخبارها والوقوف على آثارها فضلاً عما فيها من الفكاهة حيناً والعظة احياناً .

و بناء على ذلك ننشر منذ الآن فصاعداً في كل جزء من الجامعة شيئاً من تلك الاخبار الجامعة بين الفكاهة والفائدة تحت عنوان « جواهر عربية » وفي الحقيقة انها جواهر كما ترى في الشذرات التالية ٠

***

﴿ وعظ غلام عربي ﴾ لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وهو أفضل خلفاء بني امية وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاماً منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سناً قال عمر مهلاً ياغلام ليتكلم من هو اسن منك ٠ فقال مهلاً يا امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استجاد له الحلية يا امير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو اسن منك ٠ قال تكلم ياغلام ٠ قال نعم يا امير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي منّ بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة ٠ اما الرغبة فقد اتانا منك الى بلدنا واما الرهبة فقد امننا الله بعدلك من جورك ٠ فقال عمر عظنا ياغلام واوجز ٠ قال نعم يا امير المؤمنين ان اناساً من الناس غرّهم حلم الله عنهم وطول املهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك ٠ فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو قد انت عليه بضع عشرة سنة فانشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس اخو علم كمن هو جاهلُ
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافلُ

***

﴿ تاثير الموسيقى عند العرب ﴾ كان رجل من اهل العراق اتى المدينة في طلب جارية وُصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة فاتاه وسأله ان يعرضها عليه فقال ياعبد الله لقد ابعدتَ الشقة في طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها ٠ قال انها تغني فتجيد ٠ فقال القاضي ما علمت بهذا فالح عليه في عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضي ٠ فقال لها الفتى هات ٠ فغنت

الى خالد حتى انخن بخالدٍ ... فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضي بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب امر عظيم وقال هات شيئاً بابي انت فغنت

اروح الى القصاص كل عشية　　ارجي ثواب الله في عداد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ولم يدر ما يصنع فاخذ نعله فعلقها في اذنه والنعل معلقة فيها ويقول اهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة حتى ادمي اذنه . فلما امسكت اقبل على الفتى فقال ياحبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل ان نعلم انها تغني فنحن الآن فيها ارغب . فانصرف الفتى . وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله فقد استرقه الطرب وامر بصرفه عن عمله . فلما صُرف القاضي قال: نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية . فبلغ ذلك عمر فاستدعاه واستدعى الجارية . فلما دخلا على عمر قال له اعد ما قلت قال القاضي نعم واعاد ما قال . فقال عمر للجارية قولي فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا　　انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا　　صروفُ الليالي والجدود العواثر

فلما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً واقبل يستعيدها ثلاثاً وقد بلت دموعه لحيته ثم اقبل على القاضي فقال له قد قاربتَ في يمينك ارجع الى عملك راشداً ومع ذلك فقد كان عمر من ازهد الامراء واعقلهم

***

﴿ اصنعوا بالناس ما تريدون ان يُصنع بكم ﴾ ذكر بعض الاخبار بين ان عمر بن عبد العزيز في عنفوان حداثته جنى عليه عبد له اسود جناية فبطحه وهمَّ ليضربه فقال له العبد يامولاي لمَ تضربني قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت انت جناية قط غضب بها عليك مولاك . قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل عليَّ ولم يعجل عليك فقال له عمر قم فانت حرٌّ لوجه الله وكان ذلك سبب توبته . وكان عمر يُكثر هذا الكلام في دعائه فيقول ياحليماً لا يعجل على من عصاه

***

﴿ بناء قصر وبناء كلام ﴾ لما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصمد شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائي قال بنيت اجل بناء باطيب فناء واوسع فضاء وارق هواء على احسن ماء بين صراري وحسان وظباء . فقال محمد بناء كلامك احسن من بنائنا . وقيل ان صاحب الكلام والباني للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدَّث به محمد بن زكريا الغلابي عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة . وفي هذا القصر يقول ابن ابي عتبه

زر وادي القصر نعم القصر والوادي لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه من منزل حاضر ان شئت او باد
تلقى قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي

***

﴿ ما ترك لربه شيئاً ﴾ دخل معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فشى تقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يامعن قال في طاعتك يا امير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هي لك يا امير المؤمنين قال وانك لجلد قال على اعدائك يا امير المؤمنين فرضي عنه وولاه . قال وعرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد اهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئاً

باب التقريظ والانتقاد

﴿ رسالة في السياسة ﴾

(لابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي)

اهدتنا ادارة مجلة المشرق الغراء نسخة من رسالة الفارابي في السياسة عني بطبعها وضبطها جناب الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعي صاحب امتياز مجلة المشرق ومديرها . وهي منقولة عن نسختين قديمتين محفوظتين في مكتبة الفاتيكان ومكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت . ولا بدع ان ينشر الآباء اليسوعيون الكتب المفيدة في الشرق فقد عودونا ذلك منذ زمن بعيد .

﴿ خلاصة الجمعية الارثوذكسية السورية ﴾

اصدرت الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية في الاسكندرية خلاصة اعمالها في سنة ١٩٠٠ ناطقة بفضل رئيسها جناب السري المفضال الخواجا وهبة الله كرم وباجتهاد وسعي اعضائها الافاضل . ويؤخذ من هذه الخلاصة ان ايراد الجمعية في هذا العام قد بلغ نحو خمسين الف غرش ونفقاتها نحو ٣٧ الفاً . جزى الله حضرة رئيسها واعضائها خير جزاء

﴿ جريدة النصير ﴾

لصاحبها جناب عبود افندي ابي راشد

فاتنا ان نذكر في الجزء الماضي صدور جريدة اسبوعية اخبارية ادبية في الحدث من اعمال لبنان لصاحب امتيازها جناب الفاضل عبود افندي ابي راشد . فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها النجاح الذي تستحقه

﴿ الحب والزواج ﴾

تاليف جناب نقولا افندي حداد

وضع حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد كتاباً عنوانه « الحب والزواج » واودعه ابحاثاً مختلفة في شرائع الحب والزواج ومبادئهما الطبيعية والادبية . وقد صدره بهذه العبارة « يبسط النفس ويدمث الخلق » وهو قول ينطبق على الكتاب لانه حاوٍ لكثير من الفوائد بعبارة سهلة طلية تدلّ على ان الكاتب يكتب في موضوع يحب الكتابة فيه . وكل ما في هذا الكتاب الطلي حسن لطيف ولا عيب فيه سوى ذكر المؤلف بعض امور ببعض عبارات كان الاجدر به ان يشير اليها اشارة خفيفة بعبارات غير صريحة لان كتابه لا بد ان يقع بين ايدي الجنسين . والذي يقرأ مثلاً الصفحة ١٠٧ من هذا الكتاب وغيرها ايضاً يحسب ان المؤلف قد تعمد التصريح الذي اشرنا اليه لجعل كتابه ادعى « لانبساط النفس » كما قال في صدره . وما عدا هذا فاننا نثني على براعته في تصرفه بهذا الموضوع تصرفاً دلّ على سلامة ذوقه وطول باعه

﴿ رواية عذراء العرب ﴾

معربة بقلم جناب ايليا افندي الحاج

هي رواية فكاهية ادبية حدثت حوادثها في دار السلام في ايام الخليفة هارون الرشيد وقد طبعها جناب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في العاصمة على نفقته وهي تطلب من جنابه وثمنها خمسة غروش صاغ . وهذه المكتبة مستعدة لارسال كل ما يطلب منها من الروايات وغيرها باثمان قليلة

﴿ الكنيسة الارثوذكسية ﴾

هي مجلة شهرية دينية ادبية اصلاحية تصدر في العاصمة وتديرها ادارة جريدة الشهباء فيها . فنرجو لها الثبات والاعتدال

﴿ اخوية العائلات الدمشقية في بيروت ﴾

في بيروت اخوية خيرية للعائلات الدمشقية الارثوذكسية الكريمة فيها نشأت في ٢ ابريل من عام ١٩٠٠ وقد اصدرت الان خلاصة اعمالها في السنة الماضية . ويؤخذ منها ان ايراد هذه الاخوية قد بلغ اكثر من ١٦ الف غرش وتفقاتها على تسفير غربائها ومعالجة مرضاها اكثر من ٥ الاف غرش . وهي همة تذكر بالثناء واذا لم يكن فيها غير ابتكار هذه الطريقة التي تزيد الجمعيات الخيرية المفيدة جمعية عاملة مكفى ذلك

﴿ الفكاهة ﴾

هي مجلة شهرية فكاهية تصدرها رصيفتنا جريدة كوكب اميركا الغراء وتهديها الى قرائها في كل شهر . وهي تشتمل على كثير من الملح والنوادر

شؤون نسائية

البطاطس وغذاؤها

اذا قشرت البطاطس لطبخها فقدت بهذا التقشير ١٤ في المائة من غذائها واذا سلقتها من غير تقشيرها لم تخسر سوى ٣ في المائة من مادتها . ولا تبقى لها كل مادتها الا اذا شويتها بالفرن او بالرماد . وبناء عليه تكون البطاطس المشوية اكثر غذاء من سائر انواعها

دخول الملابس

يعلم السيدات ان الملابس الصوفية ولا سيما الفلانلا « تدخل » بعد الغسل اي تتقلص الياقها وتصغر وقد ذكرت احدى السيدات الاوروبيات طريقة لمنع هذا الدخول وهي انها لا تعصر الملابس الصوفية ابدًا بل تنزعها من الماء البارد وتبسطها على الارض فيجول ثقل الماء الذي فيها دون تقلصها ومتى جفت عادت كما كانت بلا زيادة ولا نقصان

شراب الاجاص والتفاح

تصنع السيدات في بلجيكا شرابًا خصوصيًا من الاجاص والتفاح وذلك بان يقطعن كثيرًا من التفاح وشيئًا من الاجاص الناضج قطعًا صغيرة ويضعونها في ماء على النار حتى اذا حميت ولانت كثيرًا يعصرونها بآلة او بنسيج ثم يضعون الشراب الماخوذ منها في وعاء على

الثار لنزع الرغاء منه ويضيفون اليه قليلاً من السكر لاصلاح طعمه على نسبة ٢٥ غراماً لكل كيلوغرام من الثمر ٠ ثم انهم يصبون هذا الشراب اللذيذ في وعاء ويحفظونه فيه فيبقى وقتاً طويلاً ٠

سهولة هضم اللبن

من غريب ما يجهله الناس ان اللبن اذا حركته بملعقة حركة شديدة تمزج اجزاءه بعضها ببعض اصبح اخف على المعدة مما اذا لم تحركه ٠

فائدة لعصير الطماطم

جرب بعضهم عصير الطماطم لازالة بقع الحبر والخمر والاثمار فافادت التجربة

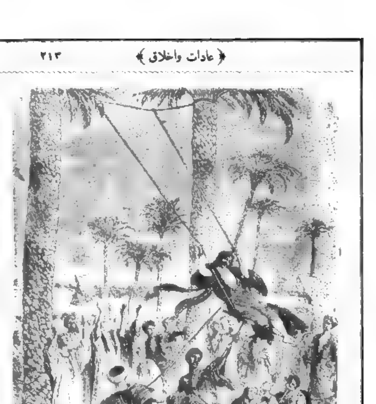
عادات واخلاق

﴿ بعض عادات وآثار مصرية ﴾

اخذنا منذ ابتداء السنة الثالثة للجامعة في نشر ما يهم الاطلاع عليه من الآثار الشرقية وخصوصاً الاثار المصرية التي لها في التاريخ شان عظيم ٠ ورغبة في اتمام الفائدة راينا ان لا نقصر الكلام في الجامعة على اثار مصر القديمة ولذلك ننشر هنا وفي ما يلي من الاجزاء شيئاً عن آثار وعادات مصر الحديثة مقرونة برسوم تشرح حالها باوضح مما يشرحه الكلام

غير ان الذي يروم وصف اثار مصر الحديثة وعاداتها يجب عليه ان يبدأ بالآثار العظيمة التي تدل على مبلغ ارتقاء هذه البلاد ٠ كالكلام على قناطر مريوط التي جعلها الجناب الخديوي المعظم عظيم زراع هذه البلاد بلاداً عامرة ورياضاً غناء ٠ ووصف خزاني اسيوط واصوان اللذين سيكون لها التاثير الاكبر على زراعة هذا القطر وعلى ثروته ٠ وغير ذلك من الاثار الزراعية والفنية الكبرى كمناظر الاسكندرية والعاصمة وسواها ٠ ولكن المجال قد ضاق بنا في هذا الجزء لكثرة المواد فنكتفي برسم ثلاث عادات على سبيل الفكاهة

اما العادة الاولى فهي عادة (الارجوحة) ويسميها العامة في بر الشام (مرجوحة) وهم يستعملونها في يوم المنصرة فقط ٠ اما في مصر فان العامة تستعملها في كل الحفلات الكبرى تقريباً وذلك على وجه اتم واقوى واجمل كما ترى في الرسم الاول ٠ وهذه العادة قديمة جداً



﴿ الارجوحة في مصر ﴾

وربما لم يُعرف لها اصل حقيقي من قدميتها.

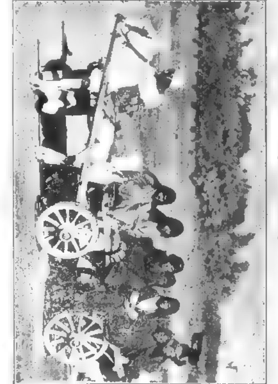
والرسم الثاني رسم ملاعب الافاعي وهي ملتفة على عنقه وراس احداها بيده كما ترى.
واذا مررت بمجالس السياح الاجانب امام الفنادق في العاصمة وغيرها من مدن القطر



﴿ ملاعب الافاعي ﴾

وجدت بعض اولئك الرجال يلاعبون افاعيهم امام السياح وهؤلاء لدهشتهم من هذا اللعب يلقون اليهم قطع النقود . غير ان رجال الشرطة لا يتركونهم يهنأون باللعب فيطاردونهم . فياخذ ملاعبو الافاعي بالسخط والدعاء على البوليس لانه يقطع رزقهم ... والسر في سكون الافاعي هذا السكون انهم يسقونها مخدرات تفني قوتها وتزيل حدتها ويقلعون انيابها كلها .

والرسم الثالث رسم مركبة تحمل نسوة من جانب في المدينة الى جانب آخر كركبات الترامواي والاومنيبوس (انظر الصفحة التالية)



﴿ الترواي القديم ﴾

اشهر حوادث الشهر

نعت اخبار افغانستان المأسوف عليه الامير عبد الرحمن اميرها · وقد نشرنا في الجزء الثاني من السنة الماضية رسمه وترجمته وكلاماً عن تاريخ افغانستان وسكانها ولغتها وهوائها وحاصلاتها ومعادنها وحيواناتها وهيئة حكومتها وآثارها فليراجع هناك · انما ننقل هنا شهادة السيد جمال الدين الافغاني بالمرحوم عبد الرحمن وهي « ان الامير عبد الرحمن اذا لم يُعدّ عالماً فهو على الاقل واسع الاطلاع متضلع من تاريخ المشرق اصيل الراي في حكومة بلاده وهو يكره الاستبداد في الراي والقسوة خلافاً لحكام الشرق وقد ضُرب المثل ببساطته وبشاشته كما ضرب بصلابة عزمه وبسالته » وكانت وفاته في ٣ اكتوبر الماضي ولا يبعد



﴿ المرحوم المستر ماكنلي ﴾

ان تنشأ عن وفاته قلاقل كثيرة لان جده خلف اكثر من ثلاثين ولداً ينزعون الى الامارة وام الامير حبيب الله الذي خلف اباه لم تكن من اشراف الامة كما قيل

وقد نشرنا في هذا الباب رسم المأسوف عليه المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة الذي قتله الفوضوي كزولكوز في معرض بوفالو فكان لقتله دوي عظيم في الشرق والغرب. وقد توالت على ارملته الحزينة رسائل الملوك والعظماء وابلغها كلها رسالة من الملكة مرغريته زوجة همبرت الاول ملك ايطاليا الذي قتله الفوضويون ايضاً وهذا نصها « نحن اختان في الحزن» وقد ارسل السوريون في اميركا الى حفلة الجنازة علماً جميلاً رُسم فيه هلال ونجمة وقد جمعوا من بعض افاضلهم نفقته التي بلغت ١٦٠ ريالاً كما روى الكوكب الاغر

اما عرابي باشا فقد عاد الى وطنه بعد طول غيابه عنه ولم تبق جريدة حتى حادثته ونقلت احاديثه. وغني عن البيان انه يتنصل من كل الحوادث الماضية. وهذا امر منتظر منه



﴿ الجزء الرابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠١ — رجب ١٣١٩ ﴾

الجناب الخديوي في السودان

ابتسامة العباس وتحيته · حالة السودان الحاضرة وحاجاته · لمحة من تاريخ حوادثه الماضية · بشير خير وسعادة لتلك البلاد

واذا رحلت فشيعتك سلامة   كيف اتجهت وديمة مدرارُ

اول مرة تشرفنا بها بمشاهدة الجناب الخديوي المعظم كانت في معرض الازهار في حديقة الازبكية في العاصمة منذ اربع سنوات تقريباً · وقد خرج سموه يومئذٍ من ذلك المعرض منشرح الصدر والسرور بادٍ في وجهه الصبوح والكلام يتدفق من فمه لجليس معه في مركبته · وكان سموه يتكلم ويبتسم ويسلم على الجمع المزدحم حول الطريق في آن واحد

هذه صورة الامير في اوقات انشراحه حينما يكون عائداً من معارض الزراعة والفنون الجميلة حيث يشاهد آثار الثروة والعمل في بلاده · واما اذا كان سموه سائرًا في مركبته الى سراي عابدين لرئاسة مجلس النظار وكان من مواضيع المجلس في تلك الجلسة النظر في بعض المسائل الخصوصية التي تشغل الراي العام في مصر وتقلقه فان وجه الامير يكون حينئذٍ مجللاً بالمهابة والسكون ومنظره شبيه بمنظر اسد يفكر في امر عظيم

فاية صورة من هاتين الصورتين يتخذ سمو الامير غداً في سياحته في اقطار السودان لا ريب عندنا انه سيتخذ الصورة الاولى · فان سكان السودان الذين اكل منهم

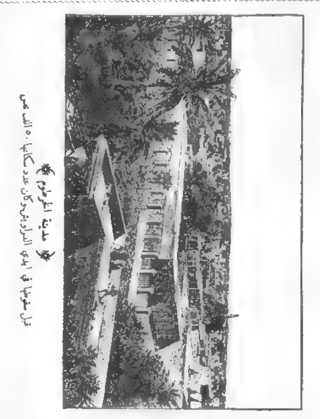
السيف والنار في دولة التعايشي دولة الخراب والدمار جديرون بان يروا في بلادهم بعد تلك الاهوال والمصائب الطوال نور وجه الامير مشرقاً بابتسامة الرجاء . كالشمس بعد اسوداد الجو تبرز من وراء الغيوم السوداء . وتنشر على الناس ما بها من بهاء وسناء

وقد جاءت هذه الزيارة التي كان ينتظرها السودانيون منذ زمن بعيد في حينها . فان بلاد السودان اخذت تنفض عنها غبار الحالة الماضية . فالامن ضارب فيها اطنابه من اقصائها الى اقصائها وحكومتها ترعى السكان بعين لا تنام . وما زلنا نذكر مقالة بهذا الشأن نشرتها زميلتنا جريدة المؤيد الغراء منذ نحو سنة لمراسل لها في السودان يلقب نفسه « الرحالة بن حام » فان هذا المراسل وصف من ضروب العدل في السودان ما هو جدير بالذكر . فاذا قام مثلاً خلاف بين احد السكان واحد الاجانب ولو كان من جنس المحتلين نال الوطني كل حقه وهو عزيز كريم لان السودان موضوع خارج دائرة الامتيازات الاجنبية لكونه تحت الاحكام العسكرية . واذا جاء الجراد واتلف الزراعة كما حدث في العام الماضي في خمسة الاف فدان في مركز طوكر في السودان رفعت الحكومة الضرائب عن السكان . وقد نقص موسم الشعير وموسم القمح في مديرية دنقله في عام ١٨٩٩ لانخفاض النيل هناك انخفاضاً لم يسبق له مثيل فلم تاخذ الحكومة الضرائب الا عن الاطيان التي زُرعت واما الارض التي لم تزرع فلم تؤخذ عنها ضريبة ما . وبالجملة فان الحكومة في السودان بمثابة ام تربي طفلاً وترعاه في كل حركاته وسكناته

***

﴿ حالة السودان اليوم وحاجاته ﴾ ولكن لا خلاف في ان الطفل لا يصير رجلاً في يوم واحد ولا في عام واحد . اذ لا بدَّ لذلك من الصبر والتدريج في النمو . وهذا بيان حالة السودان الآن

قُسمت بلاد السودان في هذين العامين الى ست مديريات ومقاطعات ادارية يرئس ادارة كل واحدة منها ضابط انكليزي وعاصمتها مدينة الخرطوم مقام الحاكم العام . وقد قال جناب السر ونجت باشا الحاكم العام في تقريره عن السودان بهذا الشان في العام الماضي انه لا يصح الاعتماد على الضباط الانكليز في ادارة اقاليم السودان لان وزارة الحربية تستدعيهم بعد خدمتهم مدة من الزمن فيذهب الاختبار الذي اكتسبوه سدى . ولذلك يجب ان يُختار للادارة الشبان الملكيون الذين يقصدون السودان للاقامة فيه وربما جُعلوا بمرور الوقت اي بعد اندمال جرح السودان من الوطنيين انفسهم



﴿ مدينة الخرطوم ﴾

قبل سقوطها في ايدي الدراويش كان عدد سكانها ٥٠ الف نفس

ومساحة بلاد السودان وحدها ٧٠٠ الف ميل مربع · وقد خطب سعادة السردار والحاكم العام في غلاسكو منذ مدة فقال ان الثورة التي حدثت فيها اكلت ٤٥ في المائة من سكانها وغيره يرى ان هذه الثورة اكلت اربعة اخماس السكان · والى الآن لم تُعرف حقيقة عددهم لتعذر الاحصاء في تلك البلاد البدوية · وقد اخذت الحكومة بفتح تلك البلاد للتجارة بالتدريج وفُتحت الطريق بينها وبين اوغندا بما ازيل من السدود في اعالي النيل وانشأت في الاقاليم محاكم اهلية وشرعية وجوامع وبعض مدارس ابتدائية · ولا يخفى ان جمهورًا من اكابر الامة الانكليزية قد تبرعوا بمبلغ طائل من المال يقارب المائة الف جنيه لانشاء كلية جامعة في الخرطوم تذكارًا لمقتل غوردون باشا فيها · وسيتم



﴿ اصوان ﴾

محطة الجيش الاول حين زحفه الى السودان

بناء هذه الكلية في العام القادم كما قال السردار في خطبته في غلاسكو . وقد اخذت الحكومة تجدُّ في بناء الاماكن العمومية كمباني المديريات ومكاتب البوليس ومساكن للموظفين والمستخدمين وانفقت على ذلك في العام الماضي ٧٠ الف جنيه . وقد جددت بناء



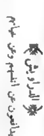
﴿ معسكر مصري ﴾
في جهات السودان ابان الحملة

الخرطوم المدينة التاريخية المشهورة فبرزت من انقاض الخراب الماضي بشكل هندسي جديد في مبانيها وطرقها وساحاتها كأنها في تلك القفار عروس خرجت من الارض بعد طول الفتنة والاضطراب

فمن ذلك يظهر ان احوال السودان آخذة في التحسن وانها كما قال سعادة الحاكم العام في خطبته التي اشرنا اليها « كمريض ينقه من مرضه شيئاً فشيئاً » وقد القى سعادته هذه الخطبة ليحرك همم الناس في اوربا الى قصد بلاد السودان الاتجار فيها وزيادة نهضتها الاقتصادية · على ان في سبيل التجارة الآن في اقطار السودان عقبات كثيرة لا دخل للحكومة فيها · فمن ذلك صعوبة النقل في تلك البلاد المترامية الاطراف ولذلك تبحث حكومة السودان دائماً في وجوب مد السكك الحديدية فيها · وهي تنوي اولاً مد خط بين الابيض والدويم على النيل الابيض لنقل الصمغ وتسهيل المعاملات · ومد خط آخر في جهات الجزيرة تجاه الدويم الى ود مدني على النيل الازرق · ومد خط آخر لوصل هذا النيل بالقضارف · هذا فيما يختص بداخلية البلاد · على انها تنظر ايضاً في مد خط من داخلية السودان الى كسلا وسواكن ليكون للسودان ثغر مستقل على البحر الاحمر يغنيه عن ميناء الاسكندرية لقرب المسافة · ولكن الاسكندرية لا بدّ ان تستاء اشد استياء اذا بُنيت تلك الميناء

وللتجارة عقبات اخرى منها نفور الاهالي لان الزراعة السودانية لم تنتعش بعد · وسبب ذلك تعذر الري وقلة الايدي العاملة · وهذا ما جعل الحكومة المصرية والسودانية تفكران في انشاء خزان عظيم من الماء في البحيرات العليا فوق اعالي النيل · فانه متى انشيء هذا الخزان سهل ري اراضي السودان واراضي مصر معاً لان ذلك الخزان العظيم قادر على ضبط ما يكفيها كلها من الماء · ولكنّ هذا المشروع لا يزال في حيز القوة ولا ريب انه اذا برز الى حيز الفعل كان فيه غنى مصر والسودان معاً · لانه من الثابت الذي لا يحتاج الى بيان انه متى اثرى السودان ونما كان في ثروته ونموه ثروة مصر ونموها لكونه مستعمرة لها ولابنائها · ومع ذلك فما لا ريب فيه انه متى تم بناء خزاني اسيوط واصوان صار السودان قادراً على اخذ كل ما يريده من ماء النيل لاطيانه دون ان يوقع ذلك ضرراً بزراع مصر على الاطلاق

والفلاحون في السودان يستعملون الآن السواقي لري اطيانهم وكثيرون منهم في مديريتي بربر ودنقله يتخذون السواقي من حديد وثمن كل ساقية من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً · وقد زُرع القطن في السودان فنما وكذلك قصب السكر · والحكومة ترغب في ان يهاجر الفلاحون والزراع الى اقطار السودان وهي تعطيهم الارض وتعفيهم من الرسوم وتمهد كل سبيل في وجوههم · فلو كان زراع مصر وابناء الاغنياء فيها ممن تعودوا المهاجرة والاغتراب



﴿ الدراويش ﴾
يدافعون عن الضيم وعن علم

لساروا افواجا افواجاً الى تلك البلاد المطلقة الهواء الرحبة الارجاء لاستدرار خيرات الارض والمعيشة بجد ونشاط وشرف تحت قبة السماء

اما حاصلات السودان الآن فهي من الصمغ الكثير في حراج كردفان والريش والعاج وسن الفيل والحبوب ٠ وطريقة التجارة هناك ان يسير التجار في تلك الاقطار ومعهم اشياء

من الانسجة والزجاج الملون والحرير والالاعيب والبضائع المختلفة لمقايضة القبائل بها على ما يكون عندها من الريش والعاج والصمغ وما اشبه . وقد تولت الحكومة بنفسها التجارة على هذا الوجه في بعض الجهات قياماً بحاجات الاهالي لان التجار لا يخاطرون بانفسهم واموالهم في بلاد مجهولة عندهم . ومما يضع العقبات في طريق التجارة ايضاً قلة الفحم والحطب هناك لان الدراويش افنوا الاشجار حتى الدويم على النيل الابيض والكاملين على النيل الازرق . وهذا مما حمل الحكومة على سن نظام جديد لقطع الحطب والعناية بالغابات . وقد استقدمت لهذا الغرض المستر مور بال من الهند فزار غابات كردفان ومديريات النيل الازرق والنيل الابيض . وقد احسنت حكومة السودان جداً باهتمامها بهذه المسألة لان هواء البلاد تابع لاشجارها ونباتاتها كما لا يخفى . وغير بعيد اذا انتشرت الاشجار والمغروسات في جميع اقطار السودان ان يتلطف هواؤها وتخف حرارتها فيه كما حدث ذلك غير مرة في بلاد اخرى

***

﴿ لمحة من تاريخ حوادث السودان ﴾ واذا كان الجناب الخديوي المعظم يذكر وهو صاعد الى السودان هذه الحالة الحسنة التي صارت اليها تلك البلاد فلا ريب في انه يذكر ايضاً تاريخ حوادثها الماضية التي ساد فيها الاضطراب وعمت الفتن . فان الفكر يعود الى تاريخها القديم فيرى الفراعنة الاقدمين قد وصلوا في فتوحاتهم الى اعماق السودان واخذوا منها جنوداً بواسلة ارتعدت منها فرائص مملكة فارس ومملكة اشور . ولذلك يصح ان يقال بان غوردون باشا اخطأ خطاء عظيماً لما قال انه اكتشف في السودان اكتشافاً سيكون له قدر عظيم وهو يعني بهذا القول الجنود السودانية . فان الفراعنة كشفوا بسالة هؤلاء الجنود منذ تاريخ مصر القديم اي قبل غوردون بالوف من السنين . ولما جاء انجال محمد علي باشا الابطال فتحوا تلك البلاد حتى حدود الحبشة والبحيرات الكبرى وبلاد الصومال وقد بلغت مساحة الارض التي كانت تابعة لمصر في عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا مليوناً و ٩٧٠ الف كيلو متر يسكنها عشرة ملايين نفس و ٨٠٠ الف نفس . وقد تم هذا الفتح الكبير على يد صموئيل باكر وغوردون بين عام ١٨٧١ وعام ١٨٧٦

ولكن لما حدثت الحركة العرابية في مصر كان لها رجع صدى في السودان وعلى الخصوص بعد مذبحة الاسكندرية . فقام محمد احمد الذي تلقب المهدي يدعو السودانيين الى اصلاح الاسلام وانقاذ البلاد . وكان هذا الرجل مشهوراً بالتقوى والدهاء والعدل وقد



﴿ الصحراء في السودان ﴾

ولد في دنقله في عام ١٨٤٣ فتبعه السودانيون وصدقوه . فنادى محمد احمد في عام ١٨٨١ بالجهاد في سبيل الله فبعثت اليه وزارة رؤوف باشا بسبعة الاف جندي لاخضاعه فراجها ٥٠ الفًا من دراويشه وافنوها عن آخرها . فاصبحت مصر يومئذٍ بين نارين نار الحركة السودانية ونار الحركة العرابية فجهز الانكليز عشرة الآف جندي بقيادة هيكس باشا وعهدوا اليها اعادة الامن الى السودان . فسافرت الحملة بحرًا الى سواكن ومنها دخلت في السودان . ولكن لم تمضِ على سفرها ستة اشهر حتى ورد نبأ عظيم بان الدراويش قتلوا هيكس باشا وافنوا حملته عن آخرها في احد مضائق كردفان . فكانت هذه الحادثة ضربة شديدة



﴿ شلالات النيل ﴾

لنفوذ مصر وانكلترا معاً · فبادرت انكلترا الى ارسال الجنود الانكليزية من الهند ومن مصر لاخماد تلك الثورة

ولكن الدراويش كانوا قد انتشروا في السودان واستفحل امرهم فيه حتى وصلوا الى الخرطوم عاصمة البلاد السودانية وحصروها فبعثت اليهم مصر غوردون باشا لانقاذ حامية الخرطوم وسكانها واقناعهم بترك العدوان · فدخل غوردون باشا الخرطوم وحده واوربا



﴿ سلاطين باشا ﴾
في لباس الدراويش وعليه سلاحهم

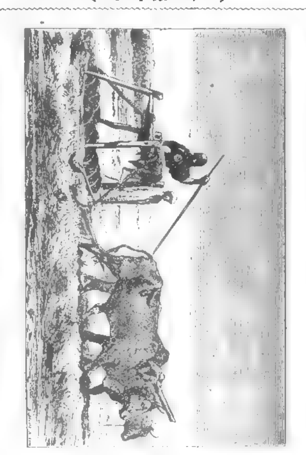
مدهوشة من صنعه. ذلك انه حسب الدراويش كعصابات الثائرين الصينيين الذين تسلط على عقولهم في خدمته في الجيش الصيني واستطاع اخضاعهم . وبعد مدة فتح الدراويش الخرطوم وقتلوا غوردون باشا وهو واقف على سلم منزله وحملوا رأسه الى المهدي فحزن عليه



﴿ سوداني يصلي في الصحراء ﴾

وتمنى لو انه لم يُقتل لانه كان يُجله لدماثة اخلاقه وحسن صفاته · وكان غوردون باشا قد ابى الخروج من الخرطوم وحده للنجاة بنفسه دون السكان والجنود الذين كانوا محصورين فيها · وهي شهامة كافية لتخليد اسمه

وكانت الحكومة المصرية قد انفذت حملة قوية بقيادة الجنرال ويلسلي لانقاذ غوردون من الخرطوم بعد استفحال الامر فيها · ولكن الحملة لم تدنُ من تلك المدينة الا بعد استيلاء



﴿ الفلاحة في السودان ﴾

الدراويش عليها . فعادت الحملة ادراجها لما لاقته في طريقها من المصاعب الهائلة في محاربة الدراويش الاقوياء ومقاومة العناصر الطبيعية نفسها . ومنذ هذا الحين اخذت مصر تخلي السودان للدراويش على امل ان تعود اليه متى استتب الامن في بلادها . فاخلت جميع البلاد السودانية الا سواكن حيث اقامت حامية مؤلفة من ثلاثمائة رجل بقيادة الكولونل كتشنر (كتشنر باشا) وقد جعلت مصر الحدود بينها و بين السودان وادي حلفا

فانفتح بذلك يومئذ لبلاد السودان باب جديد · فانه لو قام فيها حينئذٍ زعيم قادر لدامت الدولة السودانية اما مستقلةً عن مصر او تابعة لها كما يتبع امراء الهند الحكومة الانكليزية · ومما زاد الحالة اختلالاً واعتلالاً في السودان وفاة المهدي وخلافة عبد الله التعايشي الذي ملأ البلاد السودانية ظلماً واعتسافاً · كانه جهل بيتي ابي تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهو فتى حتى غدا الدهرُ يمشي مشية الهرمِ
بناه بأس وعدل صادق ومتى تُبنَ العلى من سوى هذين تنهدمِ

فما اصدق البيت الاول في المهدي محمد احمد وما اصدق البيت الثاني بخليفته عبد الله التعايشي

وبناء عليه لم تنطلق يد الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية من المشاكل حتى اخذتا تفكران بهدم ذلك المجد القائم على الظلم والعدوان واسترداد بلاد السودان · فعهدتا الى كتشنر باشا سردار الجيش المصري ان يقود حملة الفتح فاقام السردار يجهز الحملة ويدرس خطتها واخذ على نفسه ان يقهر الدراويش بالهندسة لا بالبسالة فكان لا يخطو خطوة الا وهو على ثقة من الارض التي يمشي فيها وكلما تقدم ميلاً تبعته السكة الحديدية حفظاً لخط الاتصال هذا فضلاً عن ملازمته مجرى النيل · واقام على هذا الصبر والتدقيق والاستعداد شهورًا طوالاً وفصولاً عديدة وهو يزحف زحف النمل اي بتأنٍ وثبات حتى بلغ ام درمان وكسر التعايشي ودراويشه في الواقعة التي دوى خبرها في جميع اقطار العالم كما دوى قبل ذلك خبر فناء حملة هيكس ومقتل غوردون يوم سقوط الخرطوم · وبذلك سقطت دولة الدراويش وحلت محلها دولة التمدن والارتقاء

***

﴿ رسوم هذه المقالة ﴾ ولا يخلو من فائدة بعد البيان الذي تقدم عن حالة السودان الحاضرة وتاريخها الماضي ان نري القارئ بالعين شيئاً من المناظر السودانية التي رآها بالفكر ولذلك وضعنا في هذه المقالة الرسوم التي تقدمت · واولها رسم مدينة (الخرطوم) قبل قيام دولة الدراويش واستيلائهم عليها لا في حالتها الحاضرة · ومن مجرد النظر اليها يُعلم ما كانت عليه من الحضارة والتمدن في ذلك الزمان · وثانيها مدينة (اصوان) التي كانت النقطة الاولى التي زحف منها الجيش المصري الانكليزي لاسقاط دولة الدراويش · وثالثها معسكر مصري في بلاد السودان في اثناء الحملة · ورابعها منظر دراويش يدافعون عن خيامهم وعيالهم · وخامسها صحراء السودان المحرقة التي كانت اشد على الجنود الانكليزية

في ايام هيكس باشا واللورد ولسلي من حراب الدراويش ورماحهم · وقد كانت الجرائد الفرنسوية والانكليزية المعارضة في فتح السودان ترسم هذه الصحراء وتكتب تحتها « انظروا البلاد التي سارت الجيوش المصرية والانكليزية للاستيلاء عليها » تعني بذلك انها كلها قفار محرقة لا تُشرى بدم جندي واحد · وسادسها منظر الشلالات في النيل وهو منظر سمع به القراء ولم يروه · وسابعها منظر سلاطين باشا في لباس الدراويش · وقصة سلاطين باشا مشهورة · فان الدراويش اسروه فاضطر الى مجاراتهم فلبس لباسهم واظهر الاسلام والطاعة لهم وتزوج منهم · ثم غافلهم وفرَّ من اسرهم وهو اليوم مفتش عام لحكومة السودان · وثامنها رسم سوداني يصلي في الصحراء بجانب جمله · وتاسعها طريقة الفلاحة في السودان وهي لا تختلف كثيرًا عن الفلاحة في مصر والشام كما ترى في الرسم · وعاشرها الشكل السوداني باشد قوته

***

هذا ولا ريب ان ظهور الجناب الخديوي العالي في تلك البلاد بعد تلك الفتن والاضطرابات سيكون بشيرًا للسكان بزيادة تحسين الحال في الاستقبال · سيكون ظهوره فيهم رمزًا الى استمرار الامن والسلام في ربوعهم · وضمانة لاقامة العدل والسواء بينهم · وحفظ حريتهم العمومية والدينية · وحرية التجارة والمعاملة · وتعميم التعليم الابتدائي والتنشيط الزراعي ليكون السودان للسودانيين لا لسواهم

ولا بدع بعد هذا ان يستقبل السودانيون سموه بما سيستقبلونه به من التعظيم والاجلال · فان شيوخهم سيرون في العباس « فتى الشرق » كما قال شاعره في هذا الشهر صورة شبابهم الماضي · فيحنون الى شبابهم · والشبان يفتخرون بشبابه الغض الذي يملك ملكاً عزيزًا · فكأنهم يعتبرون شبابهم مالكاً معه · والنساء يرين فيه صورة الاخ والابن والزوج وكل عزيز كريم فيطرن شوقاً اليه · والاولاد يقفون برهبة وخشوع وهم يفكرون في صيرورتهم غدًا من جنوده ورعيته · واكابر الامة وموظفوها وضباطها وجنودها يرون فيه صورة السلطة العليا مجسمة فيخضعون لسيفه ولارادته

وكل هذه الصور المختلفة · كل حنين الشيوخ وافتخار الشبان وشوق النساء وخشوع الاولاد واحترام الاكابر والموظفين والقواد — كلها ستترجم غدًا الى لغة البشر بهتاف يطبق اقطار السودان ودوي المدافع من وادي حلفا الى ام درمان وتقاطر السودانيين من اقصى البلاد



الشكل السوداني في اشد قوته

الوفا الوفا لمشاهدة امير البلاد والهتاف مع عساكره — فليحيَ عباس والجامعة تشاركهم منذ الآن في هذا الهتاف

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

(في كل جزء شهير وشهيرة)

الملك والحكيم مينوس

﴿ اكتشاف عظيم في كريت ﴾

ترجمة مينوس . قصة الثور الانساني والبطل تيسيوس . ثلاثة اكتشافات . القصر والتيه . تمدن جديد .
لغة جديدة . للخرافات اصل تاريخي

في التاريخ اليوناني قسم يسمونه « الميثولوجيا » وهو ما يعبرون عنه بالتقاليد اليونانية الخرافية . وهذه التقاليد قسمان ديني وغير ديني . اما التقاليد الدينية فاكثر ابناء المدارس اطلعوا عليها في كتاب (تلماك) الذي جرت العادة بتدريسه في المدارس الفرنسوية في الغرب والشرق منذ القرن الثامن عشر . وخلاصتها ان جوبيتير هو ابو الآلهة وان الآلهة متعددة فللبحر اله وللحرب اله وللحكمة اله وهلم جرًّا . واما التقاليد غير الدينية فهي عبارة عن تاريخ ابطال اليونان الاقدمين وحروبهم وغزواتهم . وابلغ ما كُتب في هذا الموضوع الالياذه والاوديسه للشاعر هوميروس المشهور

ومن اعظم صور اولئك الابطال صورة الملك والحكيم (مينوس) الذي حكم في كريت وسن الشرائع الكريتية التي فاقت في حكمتها وعدالتها كل ما تقدمها من الشرائع البشرية . وحسبنا في الدلالة على عظمة تلك السنن ان نقول ان الفيلسوف ليكورغوس الاسبرطي بنى عليها الشريعة التي سنها لاسبرطه العظيمة . وقد اخذ اليونان عند بلوغهم اقصى تمدنهم شيئاً كثيرًا من الشرائع الكريتية وكانوا يقولون ان الآلهة علّمت مينوس اياها ليعلمها للناس . فكأنَّ شرائع كريت التي وُضعت قبل تمدن اليونان كانت اساساً للتمدن اليوناني وبالتالي دعامة للتمدن الحاضر

على ان هذا الامر مع اهميته ليس بالسبب الذي حملنا على كتابة هذا الفصل بل هنالك سبب جديد وهو اكتشاف عظيم حدث في كريت في هذا العام . فان المستر ارثر

ايفانس الانكليزي اعلن انه كشف في كريت قصر مينوس وضمنه (التيه) المشهور في التاريخ الخرافي . فاستغرب علماء التاريخ هذا الاكتشاف اشد استغراب لاعتقادهم بفساد ما قيل عن التيه وانكارهم اياه وان كانوا لا ينكرون ان مينوس حكم كريت وسن لها شرائعها القديمة . وبياناً لهذه المسالة المهمة نورد لمحة من تاريخ مينوس وتيهه توصلاً الى النتيجة العظمى التي استخرجوها من هذا الاكتشاف الجديد

***

﴿ ترجمة مينوس ﴾ جاء في التقاليد اليونانية الخرافية ان مينوس ولد من الاله (زفس) اله الشمس ومن (اوروبا) الاهة الموسيقى والنشيد وقد حكم في كريت وجزائر بحر ايجيوس (الارخبيل اليوم) قبل حرب تروادة بثلاثة اجيال . وقد تعلم الحكمة والشريعة من الاله زفس ابيه . وكانت له صلات بالاله بوزايدون فارسل له هذا الاله من اعماق البحر ثوراً جيلاً لا عيب فيه ليقربه على مذبح الالهة فاعجب هذا الثور مينوس وابقاه عنده وكان لمينوس زوجة تدعى باز يافاي فلما رأت الثور احبته حباً شديداً

﴿ قصة مينوتور ﴾ وقد وصف كتاب اليونان هذا الثور فقالوا انه كان مشتركاً بين الانسان والحيوان فنصفه الاعلى نصف ثور ونصفه السفلي نصف انسان وهم يسمونه مينوتور

وكانت مملكة كريت اقوى ممالك اليونان في ذلك الزمان . وكان لها اسطول حربي يمخر عباب البحر ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الكريتيين يزعمون يومئذ ان للملك مينوس صلات بآلهة البحار . ففي ذات يوم سافر اندوجيوس ابن مينوس الى بلاد اليونان فقتله بعض اليونانيين اعتداء في المقاطعة التابعة لاثينا فثار مينوس ملك كريت وشن الغارة عليهم انتقاماً لابنه فامعن فيهم قتلاً وسلباً وقد ساعدته السماء يومئذ فابتلت تلك البلاد بالطاعون والجدب وانحباس المطر . فسأل اليونانيون كهانهم ما الطريقة الى كشف هذا البلاء فاجابهم كهانهم عن لسان الاله ابولون ان هذا البلاء لا يكشف عنهم الا متى استرضوا الملك مينوس فجاءوه واقترحوا عليه عقد الصلح فاشترط عليهم مينوس ان يرسلوا اليه في كل عام سبعة من خيار فتيانهم وسبعاً من اجمل فتياتهم بدلاً من ابنه . فاجابوه الى هذا الطلب وصاروا يدفعون اليه في كل عام هذه الجزية البشرية

ولكن ماذا كان يصنع مينوس بالفتيان والفتيات الذين كانت اثينا ترسلهم اليه في كل عام . فبعض الكتاب يقولون ان مينوس كان يقدمهم للثور مينوتور ليفترسهم وبعضهم

يقول انه كان يجعلهم في جملة خدامه وجواريه في القصر

ففي العام الثالث من وضع هذه الجزية على الاثينيين اخذوا يتضجرون و يتذمرون . وكان ملكهم يدعى (ايجيوس) وكان له ولد وحيد يدعى البطل ثيسيوس وله قصص كثيرة . فلما رأى هذا الشاب الشجاع تذمر الاثينيين رام ان يجعل نفسه قدوة حسنة لهم فاعلن انه سيسافر مع الشبان الستة الذين يرسلون الى كريت و يقتل الثور انقاذاً لاثينا منه . فحزن ابوه على سفره ودفع الى ربان السفينة شراعاً ابيض ليضعه للسفينة حين عودتها من كريت اذا كان الاثينيون يعودون فيها سالمين بدلاً من الشراع الاسود الذي كانت تضعه علامة للحزن

ولما وصل البطل ثيسيوس ورفاقه الى كريت رأته اريادنه ابنة الملك مينوس فاحبته واعطته كبة خيوط وسيفاً . ثم ادخل على المينوتور الهائل فقاتله ثيسيوس حتى قتله بسيفه ثم خرج من التيه الذي كان الثور يقيم فيه وهو يستدل على طريقه بالخيوط التي مدها من الباب الخارجي حين دخوله . ولما قتل ثيسيوس الثور سقطت الجزية عن الاثينيين . فعاد بالسفينة الى اثينا مع رفاقه . ولكن ربان السفينة نسي ان يضع الشراع الابيض مكان الاسود . فلما اقبلت السفينة كان الملك ايجيوس ينتظر عودتها وهو واقف على صخرة عالية على شاطئ بحر الارخبيل . فلما ابصر شراعها الاسود تحقق ان ابنه قد قتل فالقى نفسه من الصخرة فمات لساعته ولذلك سمي هذا البحر بحر ايجيوس الى اليوم . اما ثيسيوس فاحتفل به الاثينيون احتفالاً عظيماً لانه خلع نير الجزية عن رقابهم

هذه خلاصة رواية المؤرخ فلوطرخوس في تاريخ حياة ثيسيوس عن المينوتور ومقتله من يد هذا البطل اليوناني . فما هو الصحيح وما هو الفاسد من هذه الرواية

﴿ الاكتشاف الجديد ﴾ لقد كان كثيرون من المؤرخين المتاخرين يرون ان قصة المينوتور حديث خرافة اما اليوم فقد اثبت الاكتشاف الجديد الذي نحن في صدده ان في هذه القصة شيئاً من التاريخ . فان المستر ارثر ايفانس الذي تقدم ذكره اكتشف في كريت قصر الملك مينوس وعنه التيه الذي كان المينوتور فيه . وقد كتب يصف القصر والتيه فقال ما خلاصته

ان القصر الذي اكتشفته مبني منذ ١٥ قرناً قبل التاريخ المسيحي . ولا تزال مواده قوية مع ما مرّ عليه من القرون . وهو مبني من الحجارة والطين وفيه كثير من الاعمدة الخشبية . وخارجه مدهون بلون ابيض وازرق واحمر واسود . اما داخله فهندسته غير

منتظمة ففيه بضع قاعات واسعة وكثير من الغرف الضيقة تنفتح ابوابها على دهاليز لا تحصى حتى ان من يدخلها يتيه فيها . ولا ريب في ان احدى القاعات الكبرى كانت قاعة عرش مينوس لان في وسطها عرشاً فخماً . وعلى جدران هذه القاعات والغرف والدهاليز كثير من رسوم المينوتور ورسم الفأس المزدوجة التي هي رمز الى زفس اله كريت وملكها الاول وصور مناظر طبيعية واشخاص كثيرين وفي جملة صور هذه الاشخاص صورة فتى اهيف يشد وسطه بزنار من معدن وفي جيده عقد من فضة وفي اذنيه قرطان . فهذه الصورة هي اول صورة وصلت الينا من التمدن الميسيني القديم . وهي مرسومة بمهارة واتقان يستوقفان الانظار . ومن تلك الصور ايضاً صور كثيرين من الفتيان والفتيات يتلاعبون تحت الاشجار او يتحادثون. فغير بعيد ان يكونوا من جواري القصر وخدامه الذين كان الاثينيون يرسلونهم الى كريت فدى عن ابن مينوس المقتول

ولكن كل هذه الاكتشافات البديعة لا تذكر بازاء اكتشاف علمي آخر اكتشفه المستر ايفانس في هذا القصر . وهو انه عثر فيه على كثير من الخزائن وآنية من فخار مملوءة بقطع من اللبن عليها كتابات بلغة جديدة . وهذه اللغة لا تشتق من الاشورية ولا المصرية بل صبغتها اوربية وهي مستقلة عن اللغة اليونانية . وذلك يدل على ان سكان كريت كانوا يتكلمون منذ ١٥ قرناً قبل التاريخ المسيحي لغة مستقلة عن باقي اللغات الميتة والحية . وان حروف الهجاء الفينيقية التي هي اصل لغات الامم المتمدنة في هذا الزمان لا دخل لها في تلك اللغة الكريتية قطعياً لان هذه قد وُجدت قبلها على ما يظهر

هذا هو الاكتشاف اللغوي . اما الاكتشاف التاريخي فهو مبني على الرسوم التي تقدمت الاشارة اليها . فان التمدن اليوناني لم يقدر على بلوغ هذه الدرجة من الاتقان والمهارة في الفنون الجميلة الا بعد انقضاء تسعة قرون عليه من تاريخ رسم هذه الرسوم على قصر مينوس . وذلك يدل انه كان في كريت قبل ظهور التمدن اليوناني بتسعة قرون تمدن عظيم بلغت فيه الفنون الجميلة مبلغاً عظيماً ولا يزال التاريخ الحديث يجهل تفاصيل هذا التمدن

ثم انه يؤخذ ايضاً من هذا الاكتشاف ان التقاليد اليونانية القديمة ليست كلها خرافية بل ان لخرافاتها اصلاً من الحقيقة في بعض الاحيان

والنتيجة الرابعة التي تؤخذ من هذا الاكتشاف ان بعض المناظر الطبيعية التي وجدت مرسومة على جدران قصر مينوس تشبه مناظر مصر الطبيعية كل الشبه فكأنَّ راسمها قد زار

مصر في تلك القرون البعيدة

وبناء عليه فلا يبعد ان يكون قد قام في الاقطار اليونانية قبل تمدن اليونان تمدن عظيم كان مركزه في كريت

﴿ موت مينوس وقبره ﴾ ومما جاء في تلك التقاليد ان مينوس لم يمدن شعبه وبلاده بالشرائع والعدالة فقط بل مدنهم بالفنون الجميلة ايضاً . فقد كان عنده نقاش مشهور في عالم الميثولوجيا باسم « ديداليوس » وهو الذي بنى لمينوس القصر والتيه واقام في بلاده كثيراً من الابنية الفخيمة . وقد تقدم الكلام ان زوجة مينوس احبت المينوتور فدخل هذا النقاش بينها وبين هذا الثور فكان وسيط حب بينهما . فلما درى بذلك مينوس غضب عليه ففرّ النقاش الى جزيرة صقلية فلحق به مينوس بسفنه وطارده الى مدينة كاميكوس . ولما وصل الى هذه المدينة دخل الى حمام فيها فهجمت عليه بنات الملك كوكالوس وصببن عليه ماء مغلياً فمات لساعته ودفن في تلك المدينة . ولما بنيت مدينة اكريجنته على انقاض مدينة كاميكوس المذكورة آنفاً نُبشت عظام مينوس واعيدت الى الكريتيين فوضعوها في مدفن فخيم وكتبوا عليه « مدفن مينوس ابن زفس » واكثرهم كان يعتقد ان هذا القبر قبر زفس نفسه

وكنا نود ان ننشر في هذا الفصل صورة مينوس كما وجدت على النقود الكريتية والآثار ولكننا لم نعثر عليها فنكتفي بوصفها . فان مينوس مرسوم فيها بهيئة رجل ذي لحية كثة وشعر كثيف مسترسل وعلى راسه تاج الملك وفي عينيه لوائح القوة والكبرياء ومنظره مهيب للغاية كانه منظر زفس نفسه . وقد وجدت رسوم اخرى على الآثار رُسم فيها مينوس في الجحيم وهو يقضي بين الناس لاشتهاره بالعدل والحكمة طبقاً لما كان عليه اليونان من ان الآلهة جعلته قاضياً للجحيم بعد موته

الشاعرة سافو اليونانية

﴿ شاعرة متلين ﴾

(واول امرأة في العالم المتمدن دعت النساء الى اعمال الرجال)

لم يُلفظ اسم جزيرة متلين في هذا الشهر حتى صاح الكتاب في كل مكان « سافو سافو » لان جزيرة متلين اشتهرت بشاعرتها سافو اكثر من اشتهارها بمن نبغ فيها في

الزمن القديم من العلماء والفلاسفة والشعراء · وبما اننا ننشر في كل جزء سيرة شهير وشهيرة من مشاهير المتقدمين والمتاخرين تنشيطاً لهم الى الاقتداء بهم والماماً بحوادث التاريخ المرتبطة بتاريخهم فاننا نشير ههنا الى ترجمة هذه الشاعرة المشهورة ووصف وطنها متلين بما يجب من الاختصار فنقول

﴿ ترجمة سافو ﴾ ولدت سافو في جزيرة متلين في المدينة المسماة بهذا الاسم وكانت من قبل تسمى ايرسوس · وعاشت بين عام ٦٣٠ وعام ٥٧٠ قبل الميلاد المسيحي · وقد حدثت في متلين فتن واضطرابات فهجرتها سافو الى صقلية ثم عادت اليها · ومنذ هذا الحين ابتدأت حياتها الحقيقية

وكانت سافو شديدة المزاج وقد اجتمعت فيها كل قوة النفس اليونانية · وكانت جزيرة متلين آية في الخصب والسعة في ذلك الزمان واهلها في احسن حال · ومما كان يزيد حالهم صلاحاً لطف الطبيعة وجودة الهواء في الجزيرة · وكان شعراء الجزيرة وادباؤها مولعين بالمعيشة الطبيعية وعنهم يؤثر القول بوجوب الحب حتى الموت والتمتع بكل حسناته · وكانت سافو من اشدهم حباً للطبيعة واكثرهم ولعاً بالشعر والموسيقى فجمعت اليها بعض حسان متلين واخذت تعلمهن الشعر · ومن تلميذاتها اللواتي حفظ التاريخ اسماءهن ارنيه دي طيلوس ودونيله دي بنفيليا · فاقبل الناس على استماع تعليمها وتهافتوا على نظمها تهافتاً شديداً وحفظوه وتناقلوه كانفس ما يقنى · فكانت سافو في نظرهم كمثال للجمال والطرب والبلاغة والحب · على ان اختلاط سافو بالشبان والرجال وملاطفتها اياهم اطلق السنة الناس في اساءة الظن بها كما اساءوا الظن بسقراط يوم اخذ يلاطف النساء ويجاملهن · ولكن من الثابت ان اداب هذه الشاعرة كانت خالية من كل شائبة · وبناء عليه لا صحة البتة لما اشاعه كتاب اليونان عن حبها لفاون وانتحارها في سبيل حبه

ويؤخذ من كتب سافو انه كان لها اخ وقد ابتاع هذا الاخ الحسناء (رودوبا) من مصر وتزوج بها · وقد تزوجت سافو نفسها بسركولاس دندروس وولدت له ابنة دعتها (كليس) · اما منظوماتها فقد ضاعت كلها تقريباً وكانت مجموعة في تسعة كتب جمعها علماء الاسكندرية اكراماً لعرائس الشعر التسع · ولم يبق الآن منها سوى قصيدة الى افروديته وقصيدة الى فتاة حسناء وبعض شذرات مجموعة في كتاب · وقد ابتكرت سافو في الشعر اليوناني نوعاً من النظم معروفاً بنوع سافو

﴿ الشعر يقلب نظام الطبيعة • الاناث ترث دون الذكور ﴾ وقد بلغت من شهرة سافو في متلين ان ضُربت نقود تلك الجزيرة باسمها و رسمها و وصلنا كثير من هذه النقود وقد نُقشت لها التماثيل ايضاً مبالغة في اكرامها • ولكن اهم اكرام نالته سافو في وطنها هو قلب نظام الطبيعة من حيث الارث في جزيرة متلين • فان الاناث يرثن في متلين دون الذكور • وترى السلطة الاولى للنساء والفتيات اي ان المرأة هنالك ملكة حقيقية بالاسم والفعل • وما سبب هذا الانقلاب الا امتياز نساء متلين باللطف والجمال وقوة النفس ونبوغ امرأة كسافو جعلت النساء فيها مفضلات على الرجال • وهي المرأة الاولى التي دعت النساء في العالم المتمدن الى اعمال الرجال

﴿ وطن سافو ﴾ يُسمي الاتراك جزيرة متلين « مدللي » وقد جاراهم في ذلك كتاب الصحف العربية • والصواب ان هذا الاسم في اصله اليوناني لسبوس او « ميتيليني » وهي جزيرة واقعة في الشمال الشرقي من الارخبيل في بحر ايجيوس الذي تقدم ذكره في مقالة مينوس وهي اكبر جزيرة فيه • ومساحة ارضها ١٧٤٩ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٠٠ الف نسمة • وهذه الجزيرة مقسومة الآن الى ثلاثة اقضية وهي اقليم متلين او كاسترو واقليم كالونيا واقليم موليفو • وعدد مدنها اربعة وهي : متلين وقد سميت الجزيرة باسمها وموليفو وسيكري وكالونيا • ويتولى ادارة هذه الجزيرة قائمقام عثماني تابع لولاية الارخبيل

وجزيرة متلين كثيرة الجبال قليلة الانهار ولكنها كثيرة الينابيع وفيها كثير من الموانئ الواسعة كميناء « موليفو » وهواؤها جيد جداً • واشهر حاصلاتها الزيتون (ومنه يُصنع صابون مدللي المشهور) والتوت والكرمة التي يُصنع من عنبها خمر مشهورة منذ الزمن القديم • وتجارة متلين مصروفة الى مرسيليا ولندن والاستانة وتريستة وازمير وهي تجارة واسعة لان الجزيرة بمثابة مستودع للاناضول • اما صادراتها فهي من زيت الزيتون والصابون والجلود المدبوغة والحرير والاثمار والخمور • واما وارداتها فهي من السكر والبن والارز والحديد والمنسوجات وما اشبهها

﴿ تاريخها ﴾ يقسم المؤرخون القبائل التي تألفت منها العناصر اليونانية الى اربع وهي : قبيلة الايوليين • وقبيلة البيوثيين • وقبيلة الايونيين • وقبيلة التساليين • وقد كان لكل فريق تمدن مخصوص وكانت جزيرة متلين عاصمة تمدن الايوليين لان هذا التمدن بلغ فيها اشد مبلغه • وقد دخل الايوليون الى هذه الجزيرة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد

فطردوا التروادبين والاسيو بين الذين كانوا فيها واستولوا عليها . وفي القرن الرابع والخامس قبل الميلاد المسيحي بلغ تمدنهم اشده فنبغ منهم في الشعر سافو والسيوس . وفي الموسيقى ترباندر واريون . وفي الفلسفة ثيوفراستوس و بيتاكوس . وفي التاريخ هيلانيكوس وغيره

وفي القرن الرابع قبل الميلاد فتحها الفرس وفي عام ٤٧٦ انضمت الى التحالف اليوناني على الفرس وفي عام ٤٢٨ ثارت على اثينا فاخضعتها اثينا بقوة وقسوة . ثم جاء الرومان واستولوا على هذه الجزيرة . ثم انتقلت من الامبراطورية الشرقية الى البنادقة فبقيت في يدهم حتى عام ١٤٦٢ بعد الميلاد ففتحها يومئذ محمد الفاتح واستولى عليها . ولما ثار اليونان في حرب الاستقلال ثارت هذه الجزيرة ايضاً ولكن العنصر التركي كان اكثر من العنصر اليوناني فيها فلم يقدر اليونان عليها واتخذتها الدولة العثمانية يومئذ محطة لسفنها ومستودعاً لمؤنها . وقد احتل اليونان بعد ٢١ يونيو من عام ١٨٢١ ثغرين من ثغورها وهما سيكريه وكالونيا ولكنهم عجزوا عن الثبات فيهما امام الجند العثماني

***

ولا بدّ في ختام الكلام عن جزيرة كريت وجزيرة متلين من وقفة للنظر في الزمن الماضي . فان هاتين الجزيرتين كانتا فيما مرّ مركزين لتمدنين عظيمين كانت ضوضاؤهما تملأ الدنيا كلها . فمن جهة نسمع سافو في وطنها متلين ذات الاسم الموسيقي لان صوته مطرب مثلها تنادي قائلة — الحب والجمال والشعر والموسيقى : هذه هي لذة الحياة في هذا العالم . ومن جهة اخرى نسمع صوت مينوس الحكيم ينادي من كريت — الحكمة والعدل والشرائع : هذه هي فضيلة الحياة في هذا العالم . وحولها او بالاحرى تحتها شعب متمدن مخمور بمدنيته على كل مدنية . فاساطيله تمخر البحر . ومعامله تملأ البر . وفنونه وفلسفته وعلومه تُعتق كالخمر في اقبية الزمان حتى يجيء ابناء العصور التالية ويستخرجوها . وقد وصل الينا شيء كثير من تلك الخمور المعتقة ولكن بعد جفاف الكرمة التي عُصرت منها ان لم نقل يبسها . فلم تعد كريت ومتلين اليوم بعد ذلك المجد المعهود والظل الممدود الا كبركان خامد نفدت حرارته كلها . وتلك الايام نداولها بين الناس والارض لله يورثها من يشاء

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمنا مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

الفصل العاشر · النساء والاولاد

وكان يسوع محبباً للشعب لانه علم ان ملكوته لا يسود الا به فكان يؤثر معاشرة الضعفاء والفقراء والمشارين والمنبوذين على معاشرة السراة والاكابر · وكان يطوف انحاء الجليل راكباً على بغلة جرياً على عادة الشرقيين الذين يتخذون للسفر بغالاً ذات عيون سوداء حولها اهداب طويلة تجعل لها منظراً لطيفاً جداً · وكان تلامذته يفرشون ثيابهم تارة في طريقه وتارة على ظهر البغلة · ومتى وصلوا الى احدى القرى ونزلوا في بيت صار ذلك البيت مباركاً واجتمع فيه كل اهل القرية لان بيوت الضيوف في الشرق تجتمع لجميع الناس · وكان اكثر الناس اجتماعاً عليه النساء والاولاد · وكان يسوع يحب الاولاد حباً شديداً · واتفق ان تلامذته ارادوا في ذات يوم ان يبعدوهم عنه فراراً من ضوضائهم فقال لهم يسوع كلمته المشهورة « دعوا الاولاد يأتون اليَّ لان لمثل هؤلاء ملكوت السماوات » وقد حدث في ذات يوم خلاف بين التلامذة بشأن التقدم والرتبة فاخذ يسوع ولداً واقامه في وسطهم ثم قال لهم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل هذا الولد (في البساطة والطهارة والتواضع والحب) فلن تدخلوا ملكوت السماوات · وكان الاولاد يزدحمون من كل جانب ويهتفون له « اوصنا لابن داود » فكان يروقه هتافهم · وبذلك كان بدء ظهوره عبارة عن حركة يقوم بها النساء والاولاد · ولا يخفى ان كل قوى النفس الانسانية وكل ما في القلب البشري من طهارة وحب وبساطة مجموع في هذين الفريقين

فكان مُلك السيد يومئذ كان ملك الاولاد وكأنه رام الاستيلاء به على العالم اجمع . فما كان اجل ذلك الزمن العظيم . ما اجل ان تنسى الانسانية ولو لحظة واحدة تلك القيود المادية التي تقيدها بهذه الارض وتنزع الى ملك العلى . وما اسعد اولئك الذين شهدوا باعينهم هذا المشهد الالهي واشتركوا في تلك الآمال العظيمة . ولكن لا ريب ان هنالك رجلاً اسعد منهم . وهو ذلك الذي ينفض عنه غبار كل وهم وشر ورذيلة كما قال يسوع ويعيد في نفسه بواسطة نقاء باطنه وصفاء ضميره وقوة ارادته تلك الصورة الالهية التي هي ملكوت الله . هذا هو الرجل العاقل السعيد ومن عداه فعبد او غشاش يستحق الشفقة والرحمة ...

الفصل الحادي عشر . مقتل يوحنا المعمدان

ولما انتشرت شهرة المعلم العظيم هذا الانتشار بلغت الى يوحنا المعمدان في سجنه فبعث اليه اثنين من تلامذته يسألانه « هل انت الآتي ام ننتظر آخر » فلما قدم التلميذان عليه وجدا حوله ضوضاء الاحتفال والافراح والمآدب فعجبا من ذلك كما نقل الانجيلي متى (الاصحاح التاسع) لان معلمها يوحنا كان لا يأكل ولا يشرب الا ما كان ضروريًا لقيام الجسم . ولما ابلغاه رسالة يوحنا اجابهم « طوبى لمن لا يشك فيَّ » فعادوا الى سيدهما ولكننا لا نعلم اذا كانا قد وجداه في قيد الحياة او ان انتيباس كان قد امر بقتله . وقصة مقتل يوحنا مشهورة فان هذا الرجل الصارم كان في محادثاته مع انتيباس يقول له دائمًا انه قد اساء الى الشريعة اليهودية بزواجه من هيروديا . فزاد ذلك في سخط هيروديا عليه وكان لهيروديا ابنة من زوجها الاول تُدعى صالومه . ففي يوم تذكار مولد انتيباس اقام هذا الملك احتفالاً في قلعة ماشرو في القصر الجميل الذي بناه هيرودوس الكبير فيها كما روى يوسيفوس فقامت صالومه بايعاز من امها ورقصت في الحفلة رقصة من الرقصات المشهورة في الشرق بكونها غير ادبية . فطرب انتيباس اشد طرب من هذه الرقصة وقال لها اطلبي فانني اعطيك ما تشائين . فطلبت رأس يوحنا المعمدان . فاستاء انتيباس من هذا الطلب ولكنه كره ان يردها فامر احد حراسه فذهب وجاءه برأس يوحنا على طبق

فكان هذا الشيخ الجليل اول شهيد من شهداء الديانة المسيحية . وكانت جثته اول جثة وُضعت في الطريق الدموية التي سلكها تلامذة السيد فكأنها فتحتها لهم . وذلك مما جعل يوحنا همزة وصل بين العالم القديم والعالم الجديد

وقد سخط الشعب اليهودي من صنع انتيباس وغزا الحارث امير العرب الذي كانت ابنته زوجة انتيباس قبل اقترانه بهيرود يا مملكة هذا الملك للانتقام لابنته واسترداد قلعة ماشر ومنه فانكسر انتيباس في هذه الحرب وقد عدّ الشعب اليهودي هذا الانكسار عقاباً له على ما صنعه بيوحنا المعمدان

واما تلامذة يوحنا فانهم اخذوا جثته ودفنوها وقد عاش مذهبه بعده فلم يمت بموته ولكنه لم يعش وقتاً طويلاً بل انطفأ شيئاً فشيئاً بعد انتشار الديانة المسيحية لان المسيحيين اصبحوا يعتبرون انصاره خارجين عن المسيحية . وكان اليهود ينكرون مجيء «مسيا» استناداً الى ان ايليا لم يأتِ كما تنبأ دانيال فكان المسيحيون يجيبون بان يوحنا هو ايليا

الفصل الثاني عشر . يسوع في اورشليم

وكان يسوع يذهب الى اورشليم مع حجاج اليهود في كل عام تقريباً . واول مرة اطال الاقامة فيها كانت على ما يظهر في عام ٣١ بعد ميلاده اي بعد مقتل يوحنا المعمدان . وكان يسوع يحج مع حجاج اليهود لانه كره جرح عواطفهم والازدراء بالحج فضلاً عن معرفته ان الواجب للقيام بعمل عظيم الخروج من بلاد الجليل والاقامة في اورشليم مركز اليهود لمهاجمة التقاليد اليهودية فيها

وكانت اورشليم في ذلك الزمان كما هي اليوم اي مدينة الجدال والدعوى والخصام والبغض والامور الصبيانية . وكان الفريسيون متسلطين على عقول اهلها . وكان اهتمامهم مصروفاً الى درس الشريعة اليهودية والمجادلة فيها باسلوب جاف خشن لا يغذي النفس ولا يهذب العقل . وكان الواحد منهم يقضي السنوات الطوال في درس القواعد والاصول القديمة حتى اذا وعى منها شيئاً انتفخ كبرياء وعظمة بدعوى العلم . فكان الجليليون الذين يحجون من الجليل اليها لا يجدون فيها شيئاً مما كان في بلادهم من الهدوء الطبيعي والجمال ونقاء العيش . ومما كان يزيد ألمهم ان يهود اورشليم كانوا يعتبرون يهود الجليل دونهم . وكان قولهم « الجليلي الاحمق » مضرباً للمثل عندهم لاعتقادهم الحمق والبلاهة في الجليليين . وكان من امثالهم ايضاً « هل يقوم من الناصرة رجل صالح » . وبالجملة فقد كانت الجليل محتقرة في نظرهم ولم يكن لها من شهادة في كتبهم غير قول اشعيا الذي اختلف مفسروهم في تفسيره وهو « ارض زبولون وارض نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم »

ومما زاد الم يسوع وتلامذته الجليليين في اورشليم جفاف الطبيعة حول هذه المدينة .

فان ارضها كثيرة الحجارة جافة واوديتها لا ماء فيها · ومن يسرح طرفه فيها في جهات البحر الميت واراضيه القفراء يشعر شعورًا غريبًا · فان هذا المنظر لو كان في مكان آخر لكان كريهًا منبوذًا ولكنه حوالى اورشليم جدير بالاعتبار والتامل لما يوحي الى النفس من الانكار العديدة · وكان منظر اورشليم في زمن يسوع كمنظرها اليوم تقريبًا · فانه لم يكن فيها من اثر قديم لان اليهود اقاموا حتى المكابيين (الاشمونيين) ولا شيء عندهم من الفنون الجميلة · ولكن لما قام ملكهم وكبير كهانهم هركان في عام ٧٩ قبل الميلاد اخذ يزين المدينة ويجملها · ثم جاء هيرودس الكبير فجعلها مدينة شائقة · وقد روى يوسيفوس ان الابنية الجميلة التي اقامها هيرودس الكبير فيها كانت شبيهة بالابنية العظيمة التي تخلفت عن العصور القديمة · وقد كان في ضواحي اورشليم في ذلك الزمن كثير من المدافن الجميلة مبنية على القواعد اليونانية · اما يسوع فلم يكن يعبأ بهذه الاثار الجميلة لان عقله كان مشغولاً بالامور الروحية دون سواها ولم يكن له ميل الا الى ما له علاقة بالقلب

اما الهيكل العظيم فانه كان جديدًا في ايام يسوع · فان هيرودس الكبير بدأ باعادة بنائه في عام ٢٠ — ٢١ قبل الميلاد · وقد اتم بناء صحن الهيكل نفسه في ١٨ شهرًا كما روى يوسيفوس واقتضى بناء ابوابه واروقته ثماني سنوات · اما ملحقاته فلم يتم بناؤها الا قبل سقوط اورشليم في ايدي الرومانيين بمدة يسيرة · وربما كان البناؤون حين زيارة يسوع لها يبنون فيها · واذا كان قد شاهدهم يبنونها فلا ريب ان ذلك اثار في نفسه العسكرية عاطفة الاستياء لاعتباره تجديد بناء الهيكل دليلاً على ثقة اليهود بدوام تقاليدهم وفي ذلك اهانة لتعاليمه وعدم اكتراث بقدومه

اما منظر الهيكل فقد كان في غاية الفخامة · واذا دخلت الى الحرم وجامع عمر في اورشليم وتاملت في فخامة هذين المكانين تجلى لك جمال الهيكل اليهودي القديم لانهما منه · اما المسيو دي فوكيه الذي ساح في فلسطين وكتب كتابه « هيكل اورشليم » في سنة ١٨٦٤ فانه يشك في ان الحرم والجامع كانا من اجزاء الهيكل

وكانت اروقة الهيكل وساحاته مجتمعًا لجمهور غفير من اليهود وكانت بمثابة محكمة لهم ومدرسة وساحة عمومية · فانهم كانوا يتباحثون فيها ويتجادلون ويتناظرون · وكان الرومانيون في ذلك الزمن يحترمون عادات اليهود فلم يكونوا يدخلون الهيكل · وقد نُقشت في اماكن مخصوصة في الهيكل كتابات باللغة اليونانية واللاتينية لمنع الذين ليسوا يهود من اجتياز حدود معلومة في ساحات الهيكل · وكان ضبط شؤون الهيكل

الداخلية منوطاً برجال من اليهود دون الشرطة وكانت مفاتيح الابواب في يد ضابط منهم وعليه فتحها واقفالها ومنع الناس من الدخول الى الساحة الداخلية اذا كان في ايديهم عصي او كانت احذيتهم مغبرة او لاختصار الطريق في مرورهم من جانب الى جانب كما ورد في المشنا · ومما كانوا يهتمون به اشد اهتمام ايضاً منع الناس ولا سيما النساء من الدخول اذا لم يكونوا في حالة الطهارة التامة

ففي هذا المكان الواسع العظيم كان يصرف يسوع اوقاته مدة اقامته في اورشليم في ايام الحج · وكان اليهود يتهافتون في المواسم على هذا الهيكل تهافت الجراد ويقيمون في غرف متفرقة تسع كل واحدة منها عشرة اشخاص منهم او عشرين كما روى يوسيفوس · فكان يسوع يدخل بينهم مع رفاقه التلامذة · وكانت اصول العبادة في الهيكل تستوجب بيعاً وشراء فهناك حيوانات تعرض للبيع لتقرب ذبيحة وهنالك موائد صيارفة لاستبدال النقود وذلك مما كان يجعل للهيكل منظر سوق عمومية · فهذه الشؤون المادية كانت تؤثر في نفس يسوع تاثيراً مؤلماً لانها عارية عن ديانة القلب والضمير التي جاء للنداء بها · وقد غضب يوماً غضباً شديداً مما كان يجري في الهيكل من البيع والشراء كما جاء في الانجيل فتناول سوطاً وطرد به باعة الحيوانات وقلب موائد الصيارفة وهو يصيح ان بيت الصلاة لا يكون بيتاً للصوص · وبالجملة فانه كان قليل الميل للهيكل وقد ورث تلامذته هذا الميل · ولم يعبأ احد من المسيحيين بالهيكل غير المسيحيين الذين كانوا مع اعتناقهم الدين المسيحي متمسكين بالشريعة اليهودية · ولما قام الامبراطور قسطنطين والامبراطرة المسيحيون الاولون تركوا في الهيكل ما بناه فيه ادريانوس من المباني الوثنية · ولم يهتم بالهيكل بعد سقوط اورشليم غير الامبراطرة الذين كانوا اعداء للديانة المسيحية كالامبراطور جوليانوس · ولما فتحت اورشليم للعرب كان المسيحيون قد دنسوا الهيكل من بغضهم لليهود فامر الامام عمر باصلاحه واعادة شرفه اليه · كانه كتب لهذا المكان ان يبقى ضد الديانة المسيحية

اما اكليروس اليهود فقد كان يومئذ آخذاً في السقوط بقدر ارتفاع افكار الشعب الاسرائيلي · اي كلما كان الشعب يتهذب وتنضج افكاره كان الاكليروس ينحط في نظره وفي الحقيقة · ومما زاد انحطاطه اعتداء هيرودس الكبير عليه · فان هذا الملك العظيم احب فتاة تدعى مريم ابنة سمعان بن بويطوس من سكان الاسكندرية ورام الاقتران بها في عام ٢٨ قبل الميلاد · فرغبة في رفع شان عائلتها جاء بابيها وجعله رئيساً

لكهنة اليهود . و بذلك صارت رئاسة الكهنة بمثابة وظيفة تابعة للحكومة . وكانت رئاسة الكهنة قبل ذلك للصدوقيين فلما وليها بو يطوس امتزج البو يطوسيون بالصدوقيين وتألف من الفريقين اكليروس شره نهم لا يهتم بالامور الدينية الا في الظاهر وكل قوة نفسه مصروفة الى المطامع الشخصية والمطامع الذاتية . وقد بلغ من عدم احترام الشؤون الدينية عندهم ان صاروا يضحكون من الشعب في سرهم انهافته على ما كانوا يدعونه اليه ويهزأون بالحجاج الذين كانوا يفدون من اقاصي البلاد لزيارة الاماكن التي كانت زمامها في ايديهم . وكانوا يعيشون من الهيكل وهم يرون بطلان الشؤون التي كانت تدر الرزق عليهم . وكان احب الامور اليهم ان يتركهم الناس وشانهم يغشون من يغشون ويبتزون ما يبتزون . ولذلك كانوا يكرهون سماع كلمة الاصلاح والقداسة ولم يكن من عدو لهم غير الذي يقوم لتنبيه الشعب فان ذلك يكدر صفوهم ويحول بينهم و بين رزقهم ومطامعهم

فكانت هذه الامور تثير نفس يسوع الكريمة حتى الغضب ولكنه كان في بدء الامر يكتم ما يقوم في نفسه ولا يطلع عليه احدًا غير اخصائه

على انه مع ذلك اخذ يتكلم و يعلم في جملة المتكلمين والمعلمين في الهيكل فلم يكتسب في بدء الامر غير صداقة عائلة في بيت عنيا ولم يتعرف بغير مريم ام مرقص التي صار بيتها بعد بضع سنوات مجتمعاً للتلامذة و رجل يدعى نيقوديموس وهو من الفريسيين الاغنياء . وكان هذا الرجل كريماً شريف الاخلاق فمال ليسوع ولكنه لم اكن يزوره الا في الظلام فرارًا من تعنيف الفريسيين . ولم يدخل هذا الرجل يومئذ في الديانة المسيحية لانه كره الدخول في حركة ثورية جديدة لم يكن قد دخل فيها احد من اكابر اليهود

اما اكابر علماء اليهود في ذلك الزمان فلم يلق يسوع احدًا منهم لان الفيلسوفين هلل وشماي كانا قد فارقا الحياة ولم يكن من رجل كبير في الهيئة اليهودية يومئذ غير العالم « غمالائيل » حفيد هلل . وكان هذا الرجل ذا عقل مستقل حر محب للتساهل وذا علم بشؤون الحياة اليهودية وغير اليهودية . وكان من علامات تساهله انه كان يمشي في الشوارع منفتح العينين وهو ينظر الى النساء حتى النساء الوثنيات خلافاً للفريسيين الذين كانوا يمشون في الشوارع مغمضي العيون او ايديهم على عيونهم لئلا يبصروا النساء . وقد سامحه ابناء جنسه على هذا التساهل كما سامحوه على معرفته اللغة اليونانية لانه كان يخالط رجال البلاط . و بعد صلب يسوع وشروع تلامذته في التعليم في اورشليم ولوم الفريسيون سجنهم فقال فيهم غمالائيل قولاً جميلاً . وقد جاء في اعمال الرسل بهذا

الثاني ما يلي

«فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل معلم للناموس مكرم عند جميع الشعب وامر ان يخرج الرسل قليلاً ثم قال لهم . ايها الرجال الاسرائيليون احترزوا لانفسكم من هؤلاء الناس في ما انتم مزمعون ان تفعلوا لانه قبل هذه الايام قام ثوداس قائلاً عن نفسه انه شيء . الذي التصق به عدد من الرجال نحو اربع مئة . الذي قُتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء . بعد هذا قام يهوذا الجليلي في ايام الاكتتاب وازاغ وراءه شعباً غفيراً فذاك ايضاً هلك وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا والآن اقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لانه ان كان هذا الراي او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوه . لئلا توجدوا محاربين لله ايضاً »

فما اجدر الاكليروس المسيحي ان يقول اليوم في الذين لا يرون رايه ما كان يقوله اعداء الديانة المسيحية فيها

ومنذ ذلك الحين صار يسوع يرى وجوب الغاء التقاليد اليهودية لا الاتفاق مع رجالها . فانه كان في هذه التقاليد ان الهيكل لا يدخله غير اليهود اما يسوع فاستغنى عنه . كان فيها ان الشريعة اليهودية لم تسنّ الا لابناء ابرهيم اما يسوع فكان يقول ان كل رجل يقبلني ويحبني يصير ابناً لابرهيم . وقد قال يوماً ان الله قادر ان يجعل من هذه الحجارة ابناء لابرهيم . فهو بهذا الكلام كان يقاوم كبرياء الانسان وفخاره بحسبه ونسبه ويدعو كل البشر الى دين مبني على مكارم الاخلاق لا على الحسب والنسب . لقد كان بهذا الكلام ينادي بحقوق الانسان ويعلن للبشر ديانة البشر لا ديانة اليهود خلاص البشر لا خلاص اليهود . فما ابعد هذا عما تقدمه . لقد وُضعت به اسس ديانة القلب والاخاء . لقد صار موسى نسياً منسياً . وقُضي على الهيكل بخراب لا مردّ له

الفصل الثالث عشر . يسوع والوثنيون والسامريون

فبناء على ذلك كان يسوع يحتقر كل شيء لم يكن له علاقة بايمان القلب . وقد كان عدوّاً لدوداً للتظاهرات المادية التي يقوم بها بعض المتعبدين . وكان يفضل الصفح عن اهانة على الذبيحة . وكل شريعته محصورة في هذه الكلمات : محبة الله والاحسان والغفران او الصفح . وكان لا يعتبر الصلاة الا اذ كانت خارجة من القلب . وقد كان بعض من صغار العقول يظنون انهم يكرمونه بمناداته « ربي ربي » اي يا معلم يا معلم فكان

السيد يقول « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه ولكن قلبه بعيد عني » او « لماذا تدعونني يا رب يارب وانتم لا تفعلون ما اقوله »

وكان حفظ يوم السبت (اي ترك كل عمل في هذا اليوم) القاعدة الكبرى التي بُنيت عليها تقاليد الفريسيين واوهامهم · وكان الشعب يعتقد يومئذ ان الطبيعة نفسها (تسبت) اي تقف عن كل عمل في يوم السبت · ومن يعلم اذا كان «السبات » القديم معناه « النوم » في العربية غير ماخوذ من هذا الاصل · ومن اوهامهم في هذا الصدد ايضاً ان بعض الينابيع تقف عن الجري في يوم السبت · وقد نقل المؤرخ يوسيفوس هذه الرواية وسبب هذا الزعم ان تلك الينابيع كانت تجري وتقف في مواعيد جرياً مع العوامل الطبيعية وهي تُعرف اليوم « بالينابيع المتقطعة » اي التي تجري حيناً وتنقطع حيناً

اما يسوع فانه لنكاية الفريسيين واظهار اوهامهم كان لا يعبأ بيوم السبت · وكان يهزأ بما ياتونه من غسل واغتسال · فيقول لهم مثلاً « هل تقدرون ان تغسلوا انفسكم ايضاً ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ان الذي يخرج من الفم هو الذي ينجس الانسان · او « ايها العميان الذين يقودون عميان احذروا السقوط في الحفرة » او « يا اولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم اشرار · فانه من فضلة القلب يتكلم الفم »

وكما ان السيد كان لا يعبأ بحفظ السبت اظهاراً لاوهام الفريسيين فقد كان يجالس الوثنيين ويقبلهم ويثق بهم اكثر من ثقته باليهود انفسهم مع ان الفريسيين كانوا يبتعدون عنهم · وكانوا اذا لاموه لانه يعاشر الوثنيين اجابهم « اذا كان صاحب كرم مستاء من الذين استأجروا كرمه فماذا يصنع · لا ريب انه ياتي ويعطي الكرم الى آخرين » · وكان ايضاً يضرب الامثال بالسيد الذي دعا الناس الى العرس فلم يجيبوه فارسل عبيده يدعون الى عرسه الناس من قارعة الطريق · ومن اقواله ايضاً في هذا الشان « اقول لكم ان كثيرين سياتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات · واما بنو الملكوت (يعني ابناء اسرائيل) فيطرحون الى الظلمة الخارجية »

ومما لا شبهة فيه انه كان بين تلامذته كثيرون من الذين كان اليهود يسمونهم « هيلانيين » · وقد روى ذلك يوسيفوس · وكان اليهود يريدون بكلمة « هيلانيين » الوثنيين او اليهود الذين تعلموا اللغة اليونانية واقاموا بين اليونانيين او اليونانيين الذين

اعتنقوا الشريعة الاسرائيلية كما روى الانجيلي يوحنا (الاصحاح ١٢ العدد ٢٠) وربما كان كثيرون من تلامذة المسيح من العنصر الاخير

وكان يسوع يعامل السامريين كما كان يعامل اليونانيين . وقد كان اليهود يحتقرون السامريين لان هؤلاء كانوا لا يزالون يعتقدون بمذهب (غاريزيم) الذي كان مخالفاً لمذهب اورشليم . وكان اليهود يعتبرون السامريين كالوثنيين ويبغضونهم فوق بغضهم لهؤلاء . وكانت السامرة محصورة بين ولايتي اليهودية والجليل كانها نشأت لتكون مضغوطة بينهما . اما يسوع فاحياناً كان يوصي تلامذته ان لا يذهبوا الى السامرة لان السامريين كانوا لا يحسنون مقابلته لظنهم انه مثل باقي اليهود الذين كانوا يسيئون اليهم واحياناً كان يمرّ هو بنفسه في بلادهم ويحادث بعضهم وقد نشأ له عدة تلامذة منهم(يوحنا ص ٤ ع ٣٩) ومن ابلغ الامثال التي ضربها مثل في السامريين عن الرجل الذي عرّته اللصوص وجرحته على طريق اريحا . فقد مرّ به كاهن فرآه وذهب في سبيله ثم مرّ لاوي فرآه وذهب في سبيله ثم جاء سامريّ فبادر اليه وضمد جرحه واركبه على دابته الى الفندق . وبذلك كان السامري المحتقر المستهزأ به افضل من الكاهن واللاوي . وعلى هذا القياس يكون الاحسان قاعدة الاخاء بين البشر لا المذهب الديني

وكانت هذه المبادىء كانت مالئة نفس يسوع حين عودته من اورشليم الى الجليل بعد المدة الطويلة التي صرفها فيها مع تلامذته . وكانت الطريق بين اورشليم والجليل تمتدّ على بعد نصف ساعة من شيكم (نابلس اليوم) وكان حجاج اليهود يجتنبونها في عودتهم الى الجليل لانهم كانوا يكرهون مخالطة السامريين ومؤاكلتهم . ومن امثالهم في هذا الصدد « ان قطعة الخبز التي تأكلها من سامري هي قطعة من لحم خنزير » . ولذلك كان اليهود يتزودون الزاد قبل سفرهم من اورشليم للمرور في السامرة كما روى يوسيفوس . اما يسوع فانه كان لا يعبأ بهذه الاوهام فلما عاد من اورشليم الى الجليل ووصل قريباً من (نابلس) تعب فجلس يستريح على بئر هناك تدعى بئر يعقوب وسار تلامذته الى المدينة لابتياع الزاد

وكان الوقت منتصف النهار والطبيعة ساكنة هادئة في تلك الاماكن الجميلة . واذ خرجت من المدينة امرأة سامرية لتستقي من البئر . فخاطبها السيد وقال لها اعطيني ماء لاشرب . فدهشت السامرية لعلمها ان اليهود لا يطلبون شيئاً من السامريين ودخلت في الحديث معه فاعجبها حديثه ورأت انه نبي . واذ خشيت ان يبدأ بتعنيفها لانها تدين بدين السامريين لا اليهود سبقت وقالت له « ياسيد . اباؤنا عبدوا في هذا الجبل وانتم

تقولون ان العبادة في اورشليم » فاجابها يسوع « ايتها المرأة ٠ صدقيني انه قد جاءت الساعة التي لا يُعبد فيها في هذا الجبل ولا في اورشليم بل ان العبادة الحقيقية تكون للآب في كل مكان بالحق والروح »

فهذه اول مرة لفظ بها السيد الكلمة الباهرة التي وضع بها الديانة الابدية ٠ هذه اول مرة سمع بها العالم ان عبادة الله غير مقيدة بكاهن او وطن او زمان او مكان ٠ هذه هي الديانة التي تدوم الى نهاية القرون والاجيال الآتية ٠ واذا كان في الاجرام السماوية اجرام ماهولة واهلها على علم وادب فدياناتهم لا تكون ارقى من هذه الديانة مهما بلغوا من الارتقاء الانساني ٠ ذلك ان هذه الديانة هي ديانة الانسانية كلها ٠ وقد كانت كلمة يسوع « عبادة الله بالحق والروح » كبرق عظيم خفق في ظلمة داجية ٠ واذا كانت الانسانية قد تحولت عن هذه الكلمة وصارت تشتغل عنها بالاوهام والخطاء والضلال فانها ستضطر الى العودة اليها لانها اساس كل ايمان ورجاء في هذا العالم »

(ستاتي البقية)

حقوق الانسان

﴿ لا يجوز ان يدوسها انسان ﴾

(ووجوب ان يبث المعلمون والاساتذة روحها في نفوس تلامذتهم)

للانسان ثلاثة ادوار ٠ الدور الاول دور الفطرة وكان فيه الانسان على فطرته كما كان آدم وحواء في بدء حياتهما على ما جاء في الكتب الدينية ٠ اي ان الانسان كان في هذا الدور لا يعرف خيرًا ولا شرًا بل كل همه مصروف الى المعيشة براحة وهناء في احضان الطبيعة امه ومصدر لحمه ودمه ٠ والدور الثاني دور الوحشية وكان الانسان فيه كقبائل الاسكيمو او متوحشي افريقيا ٠ اي ان قلة رزقه في الارض وما افضت اليه هذه القلة من التزاحم عليه وتداخل افراده بعضها بين بعض نقلته من حالة الفطرة الطيبة الى حالة الوحشية التي هي عبارة عن الاجتماع بلا ضابط ولا رابط غير القوة البدنية ٠ والدور الثالث ائتلاف البشر عيالاً فقبائل فمالك « وتمدنهم » اي اتخاذهم المدن سكنًا ٠ ولا ريب ان الدور الاول احلى ادوار البشر واهنأها اذا كان ما وصفه به الواصفون صحيحًا ٠ ومن اكبر هؤلاء الواصفين جان جاك روسو المشهور ٠ ومما قاله في هذا الشان

انك اذا نظرتَ الى الطبيعة وجدتَ النظام مستتباً في كل عنصر من عناصرها ورايتَ كل شيء في موضعه منها . فالماء يجري سلسبيلاً والنسيم يهب بليلاً والارض تُخرج اثماراً وبقولاً والحيوان يرعى فيها ناعم البال طرب الروح مهللاً تهليلاً . اما القلق والاضطراب والخلل والعذاب والظلم واللوم والدناءة والفوضى فلستَ تجدها الا في الجمعية البشرية

هل نظرتَ في الطبيعة مخلوقاً يقعد وثلاثون او اربعون مليوناً من جنسه تسعى لخدمته

هل نظرتَ فيها مخلوقاً دنيئاً جباناً طماعاً يُولوه رئاسة لخدمة ابنائها فيتخذ رئاسته ذريعة لاشباع بطنه وارضاء طمعه واحتلاب رعيته دون ان يقوم بحق خدمته

هل شاهدتَ فيها مخلوقاً يُطعم كلابه اللحم السمين مع ان رفاقه يموتون جوعاً . او مخلوقاً بليداً جاهلاً في صدر الهيئة مع ان العقلاء والفضلاء في عتبتها

هل شاهدتَ فيها ان الذين يسرقون و يمنون و يتسافهون ويخدعون يفتنون و يفجحون ويتنعمون خلافاً للذين يصدقون

كلا ان كل هذه الامور الشائنة لا تراها في الطبيعة لان الله سبحانه وتعالى وضع لها نظاماً تجري عليه ولا تقدر ان تخرج عنه . ولكنك تراها في الجمعية البشرية التي خرجت عن النظام الذي سنه الباري لها

فاعظم عمل يقوم به الشارعون وانفع ما يخدمون به الهيئة البشرية الحاضرة اعادتها الى النظام الالهي الذي وُضع للعالم منذ انشائه

وهذا النظام معدوم الآن في العالم من سوء حظ العالم وانما اصلح الممالك وافضلها هي التي تكون اشد قرباً منه من باقي اخواتها . على ان العالم سائر اليه من حسن الحظ سيراً حثيثاً وهذا معنى قولهم ان العالم يتدرج في مراقي الكمال شيئاً فشيئاً

ومن هذه « المراقي » التي رقت بالعالم درجة في سلم الكمال ما يسمونه « حقوق الانسان » وهي التي ذكرناها في الصفحة الاخيرة من ملزمة الرواية في هذا الجزء . وبيان حقيقتها بوجه الاجمال ان الحكومة الفرنسوية قبل سنة ١٧٨٩ كانت حكومة مطلقة لا رابط لها غير هوى الملك واستبداده . وكان الشعب محسوباً كبقرة حلوب يغتذي دره نبلاء الامة والاكليروس والبلاط ومقربيه . وكانوا يسجنون الناس لعلة ولغير علة . وكانت الرشوة القاعدة الاولى في الاحكام . والحكام يمتصون دم الرعية كما يمتص العلق الدماء من الاجسام . وكان ابناء الشعب لا يجوز لهم ان يتعلموا في مدارس الحكومة بل لم يكن يجوز لهم ان يتعلموا لانهم انعام سائمة . وانما كانت وظيفتهم ان يدفعوا الضرائب لملء الخزانة

والذهاب الى الحرب كما ساقهم الملك اليها • وكانت هذه الحالة عامة الدنيا كلها لا فرنسا وحدها • فلما شبت نار الثورة الفرنسوية واجتمع نواب الشعب لسياسة المملكة وضعوا سبع عشرة مادة واودعوها حقوق الانسان التي لا يجوز نقضها وبنوا عليها الدستور الفرنسوي منذ ذلك الحين • وقد راينا ان ننشرهنا هذه المواد السامية لتكون ذيلاً لما جاء في الصفحة الاخيرة من الرواية في هذا الجزء فان الفائدة لا تكمل الا بها • وهذا نصها

المادة الاولى

يولد الناس و يعيشون احرارًا متساوين في الحقوق • ولا يمتاز بعضهم عن بعض الا فيما يختص بالمصلحة العمومية (اي ان نفع الجمهور هو قاعدة الامتياز)

المادة الثانية

غرض كل اجتماع سياسي حفظ الحقوق الطبيعية التي للانسان والتي لا يجوز مسها • وهذه الحقوق هي : حق الملك وحق الامن وحق مقاومة الظلم والاستبداد

المادة الثالثة

الامة هي مصدر كل سلطة • وكل سلطة للافراد او لجمهور من الناس لا تكون صادرة عنها تكون سلطة فاسدة

المادة الرابعة

كل الناس احرار والحرية هي اباحة كل عمل لا يضر احدًا • وبناء عليه لا حدّ لحقوق الانسان الواحد غير حقوق الانسان الثاني • ووضع هذه الحدود منوط بالقانون دون سواه

المادة الخامسة

ليس للقانون حق في ان يحرّم شيئًا الا متى كان فيه ضرر للهيئة الاجتماعية • وكل ما لا يحرمه القانون يكون مباحًا فلا يجوز ان يُرغم الانسان به

المادة السادسة

ان القانون هو عبارة عن ارادة الجمهور • فلكل واحد من الجمهور ان يشترك في وضعه سواء كان ذلك الاشتراك بنفسه او بواسطة نائب عنه • ويجب ان يكون هذا القانون واحدًا للجميع • اي ان الجميع متساوون لديه • ولكل واحد منهم الحق في الوظائف والرتب بحسب استعداده ومقدرته ولا يجوز ان يُفضل رجل على رجل في هذا الصدد الا بفضيلته ومعارفه

المادة السابعة

لا يجوز القاء الشبهة على رجل اياً كان ولا القبض عليه ولا سجنه الا في المسائل التي ينص عليها القانون وبموجب الطرق التي يذكرها · وكل من يغري اولي الامر بعمل جائر او كل موظف يعمل عملاً جائرًا لا ينص عليه القانون يعاقب لا محالة · ولكن كل رجل يُدعى او يُقبض عليه باسم القانون يجب عليه ان يخضع في الحال · واذا تمرد استحق العقاب

المادة الثامنة

لا يجوز ان يعاقب القانون الا العقاب اللازم الضروري · ولا يجوز ان يُعاقب احد الا بموجب نظام مسنون قبل الجرم ومعمول به قانونيًا قبله

المادة التاسعة

كل رجل يُحسب بريئًا الى ان يثبت ذنبه · واذا مست الحاجة الى القبض عليه فيجب ان يقبض عليه بلا شدة الا متى دعت الحاجة الى ذلك · وكل شدة غير ضرورية يعاقب صاحبها

المادة العاشرة

لا يجوز التعرض لاحد لما يبديه من الافكار حتى في المسائل الدينية على شرط ان تكون هذه الافكار غير مخلة بالامن العام

المادة الحادية عشرة

ان حرية نشر الافكار والآراء حق من حقوق كل انسان · فلكل انسان ان يتكلم ويكتب وينشر اراءه بحرية · ولكن عليه عهدة ما يكتبه في المسائل التي ينص القانون عليها

المادة الثانية عشرة

ان السهر على حقوق الناس يستوجب انشاء قوة عمومية اي هيئة حاكمة · فهذه الهيئة تنشأ اذًا لمنفعة الجميع

المادة الثالثة عشرة

بما ان الهيئة الحاكمة تحتاج الى نفقات لادارة الشؤون فيجب وضع ضريبة عمومية على جميع الوطنيين · اما مقدار هذه الضريبة فيجب ان يكون مناسبًا لحالة الذين يدفعونها

المادة الرابعة عشرة

لكل الوطنيين الحق في ان يراقبوا اموال الضريبة سواء كانت المراقبة بانفسهم او

بواسطة نوابهم · ولهم ايضاً البحث عن الوجوه التي تنفق فيها وتعيين مدة جبايتها

المادة الخامسة عشرة

للهيئة الحاكمة والحكومة الحق في ان تسأل كل موظف عمومي عن ادارته واعماله وان تناقشه الحساب فيها

المادة السادسة عشرة

كل هيئة لا تكون فيها حقوق الافراد مضمونة ضمانة فعلية بواسطة السلطة العمومية ولا تكون فيها السلطة التشريعية (اي البرلمان) والسلطة التنفيذية (اي الحكومة) منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً تاماً تكون هيئة غير دستورية

المادة السابعة عشرة

بما ان حق الامتلاك من الحقوق المقدسة التي لا تُنقض فلا يجوز نزع الملكية من احد الا اذا اقتضت المصلحة العمومية ذلك اقتضاء صريحاً وفي هذه الحالة يُعطى الذي تُنزع منه ملكيته تعويضاً كافياً » (١)

هذه ترجمة حقوق الانسان · وقد اقام المجمع الوطني وقتاً طويلاً يبحث في كل كلمة من كلماتها ويقلبها بطناً لظهر قبل الموافقة عليها · ولما وافق المجمع على هذه الحقوق قرر اذاعتها في جميع اقطار فرنسا فاقيمت حفلات عظيمة لقراءتها على الشعب فكان لها تاثير عظيم تقصر الاقلام عن وصفه · فان الشعب صار يبكي حين تلاوتها عليه وصار ابناؤه يتعانقون ويتصافحون ابتهاجاً بخلاصهم من ذلك الاسر القديم · وبعد حفلات القراءة اقيمت حفلات المآدب فحمل الشعب طعامه وشرابه وجلس في ابواب المنازل وعلى قارعة الطريق وفي الحدائق يأكل ويشرب في مادبة الطبيعة احتفالاً بذلك اليوم العظيم الذي اعلنت فيه الهيئة الاجتماعية ان ابناءها احرار واخوة متساوون · ومنذ ذلك الحين صارت هذه الحقوق اساساً للهيئة الاجتماعية في كل البلاد المتمدنة

ولما حدث الجدال الشديد في مجلس النواب الفرنسوي منذ عدة شهور بشان النظام الجديد الذي سنته الحكومة للرهبنات الفرنسوية طلب مقاومو هذا النظام من المجلس ان يقرر نشر « حقوق الانسان » على جدران المدارس لاعتبارهم انه مخالف لبعض بنودها · فيحسن بحضرات المعلمين والاساتذة ان يسطروا هذه البنود في صدور تلامذتهم ويفسروا

(١) هذه المواد تابعة للصفحة الاخيرة من الرواية في هذا الجزء

لهم كل عبارة وكل كلمة منها ليكونوا رجالاً عارفين بما لهم وما عليهم في الهيئة الاجتماعية بدلاً من ان يشبوا و يبلغوا الرجولية وهم باجسام الرجال وعقول الاولاد

محالفة الدولة العلية وفرنسا

﴿ منذ ٣٦٥ عاماً ﴾

الحروب الصليبية حروب سياسية لا دينية · عداء شارلكان وفرنسوى الاول · الجنود التركية سبب التساهل الديني مع البروتستانت في المانيا · محالفة فرنسا وتركيا على عدوها المشترك · تركيا تحصر فينا · الاميرال خير الدين باشا المشهور وغاراته · انشاء امارة الجزائر وطلبها حماية الدولة · نكوص اسطول البنادقة امام الاسطول العثماني · افتتاح الاسطول العثماني شواطئ ايطاليا لنصرة فرنسا

يجدر بنا بعد ما تم بين الباب العالي والحكومة الفرنسوية ان نأتي على طرف من الصداقة القديمة التي كانت بينها في ايام الملك فرنسيس الاول والسلطان سليمان الثاني · ونحن نلخص تلك الحوادث بما امكن من الاختصار فنقول

كانت الدولة العلية العثمانية في ذلك الزمان في اوج العز والعظمة لان اوربا كانت في بدء ارتقائها · وكانت الحرب سجالاً بينها و بين الاوربيين · فهم كانوا يشنون الغارة عليها باسم الحروب الصليبية لاستخراج الاماكن المسيحية من يدها · وهي كانت تمعن في حدود روسيا وحدود النمسا فتحاً وتكتسح البلاد اكتساحاً

ومن الكتاب الاوربيين من يلوم اوربا على حروبها الصليبية لانها فتحت بها وادياً عميقاً بين المسيحية والاسلام ومنهم من يستحسنها · اما الذين يستحسنونها فانهم يعزون اليها الفضل في زيادة الاوربيين تمدناً وارتقاء لانهم بمخالطتهم العرب والاتراك في اثناء الحروب الصليبية اخذوا عنهم كثيراً من عوامل الارتقاء التي لم تكن لهم · ولقد ذهب الكاتب شاتوبريان المشهور في هذا الصدد مذهباً آخر · فقد كنا نتصفح في هذا الاسبوع كتابه « من باريز الى اورشليم » فوجدناه يقول ان الحروب الصليبية كانت ضرورة لا بدّ منها · ولم يكن المقصود منها اثارة حرب دينية ولكن اثارة حرب سياسية · لانه بما ان العرب دخلوا الاندلس وفتحوا اسبانيا حتى مدينة ليون ومدينة بواتيه فقد كان يجب ان يذهب الافرنج و يردوا لهم الزيارة في بلادهم على سبيل مقابلة المثل بالمثل · والا سقط نفوذ

اوربا في العالم واجترأ العرب والاتراك على اكثر مما صنعوه

والذي يهمنا من هذا الراي ان اوربا كانت من قبل متحدة فيما بينها على الشرق حتى جاءها امبراطور عظيم كان يطمع الى اخضاعها و وضعها تحت نيره فخالفه بعضها وحالف عليه دولة الشرق العظمى . وهذا الامبراطور هو « شارلكان »

﴿ الامبراطور شارلكان ﴾ وكان هذا الامبراطور ابناً للملك فيليب الجميل ارشيدوق النمسا وقد ورث عرش اسبانيا من امه فكان ملكاً لاسبانيا وامبراطوراً لالمانيا والنمسا وايطاليا والبندقية وبلجيكا وسويسره وغيرها . اي انه كان ذا سلطة على اوربا كلها ما عدا فرنسا التي كانت يومئذ في ولاية الملك فرنسوى الاول وانكلترا التي كانت في ولاية الملك هنري الثامن . ولم يكن لهذا الامبراطور العظيم غير ثلاثة اعداء . اولهم الملك فرنسوى الاول الذي كان يأبى نيره و يطمع في امتلاك اجزاء من ايطاليا ولاسيما مقاطعة ميلان . والثاني سليمان الثاني سلطان الاتراك وكان يناوش النمسا ظافراً منصوراً . والثالث اصحاب المذهب الانجيلي الذين قاموا في المانيا على صوت لوثيروس للانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية

﴿ الملك فرنسوى ﴾ اما حروب فرنسوى الاول مع شارلكان فقد كانت شديدة وكانت الدائرة على الملك فرنسوى في اكثرها . وفي عام ١٨٢٥ وقع الملك فرنسوى اسيراً في بافيا فاستقدمه الامبراطور الى مدريد وبعد اخذ ورد كثير رضي باطلاق سراحه على شرط ان يتنازل له عن مقاطعة بورغونيا الفرنسوية ويترك ولديه رهناً لديه الى حين تسليمه المقاطعة . فاظهر الملك فرنسوى الرضى بذلك فاطلق الامبراطور سراحه . ولكن الملك لم ينجز وعده خدمةً لوطنه وافتدى ولديه بمليوني ذهب دفعها الى الامبراطور

وكان هنري الثامن ملك انكلترا والبابا ادريانوس الثاني ملك رومه حليفين للامبراطور شارلكان على خصمه فرنسوى الاول . فاخذ فرنسوى الاول يسعى في محالفة الامراء والملوك لمقابلة هذه المحالفة بمثلها . ولكنه كان لا يثق بالامراء التابعين او المسالمين للامبراطور لانهم كانوا كلهم في جانب القوي ولذلك اخذ يكاتب خصومه

﴿ محالفة تركيا وفرنسا ﴾ فكاتب فرنسوى الاول امراء المانيا الذين اعتنقوا المذهب الانجيلي . وكان الامبراطور شارلكان في حيرة من امره معهم . فانه اذا اجبرهم بالقوة على ترك المذهب الانجيلي والرجوع الى الكاثوليكية قاوموه فلم يستطع ان يحشد الجند من

بلادهم لانه كان في حاجة الى الجند ، واذا تركهم وشانهم انفرط عقد الوحدة الدينية التي كان حريصاً عليها لاعتقاده ان القوة بها دون سواها ، والرغبة في صيانة هذه الوحدة هي التي جعلت ملوك فرنسا بعد ذلك يمثلون بالبروتستنت في بلادهم ذلك التمثيل الشنيع افناء للمذهب الجديد

اما امراء المانيا البروتستانت فقد اجابوا الملك فرنسوى الاول الى محالفته وكاتبوا ملك انكلترا ايضاً لانه كان بروتستنتياً ، وقد أ لفوا فيما بينهم تحالفاً دعوه «تحالف سملكلد» ولكن محالفة هؤلاء الامراء للملك فرنسوى لم تكن تقيه شر خصمه العنيد فعزم هذا الملك على محالفة تركيا

وكانت تركيا في حرب دائمة مع الامبراطور شارلكان وجنودها تكتسح هنغاريا شيئاً فشيئاً وكان على رومانيا ملك يُدعى فرديناند نصبه الامبراطور شارلكان ملكاً عليها ، فكتب هذا الملك الى شارلكان يقول له ان البلاد النمساوية لا تستطيع الثبات في وجه الجنود التركية اذا لم يستتب الامن في الداخل ويكون البروتستانت معها لا عليها ، فلما رأى شارلكان حاجته الى البروتستنت تساهل معهم وعدل عن اضطهادهم وبذلك تمكن من حشد جيش كثيف من المانيا لمقاومة السيل التركي الجارف ، وفي عام ١٥٣٢ للميلاد بلغ شارلكان ان السلطان سليمان قد وصل بجنوده الى مدينة فينا وحصرها بثلاثمائة الف جندي ، فطار صواب شارلكان لهذا الخبر الهائل لان فتح فينا ضربة عظيمة لسلطته فجمع تسعين الفاً من المشاة و٣٠ الفاً من الفرسان فضلاً عن الجنود غير النظامية وزحف بها الى فينا لمقاتلة السلطان سليمان ، ولكن السلطان سليمان اضطر الى الجلاء عن فينا بعد حصرها مدة لشواغل ومشاكل جدت في سلطنته ، ولما عاد السلطان الى الاستانة بقيت في نفسه حسرة شديدة من خيبته تحت اسوار فينا ولبث يتربص الفرص للانتقام من شارلكان ، وفيما هو يفكر في ذلك ورده اقتراح الملك فرنسوى الاول بمحالفته على عدوهما المشترك فراى السلطان سليمان اغتنام تلك الفرصة

ومنذ هذا الحين عُقدت صلات الصداقة والوداد بين تركيا وفرنسا ، فكان ملك فرنسوى يُرسل الوفود والهدايا الى السلطان سليمان والسلطان سليمان يرسل الوفود والهدايا اليه ، ولا يزال الكتاب يتناقلون الى اليوم صورة كتاب يقولون ان السلطان سليمان كتبه الى فرنسوى الاول وهو يدل على ان السلطان سليمان كان يعتبر الملك فرنسوى الاول احط منه شاناً لانه يخاطبه به كما يخاطب وزراءه ، اما صك المحالفة الرسمي فقد وُقع عليه

في شهر فبراير من عام ١٥٣٦ على يد سفير فرنسا في الاستانة المسيو لافورست ولم يبقَ من هذه المحالفة اثر خطي . وقد مُنحت فرنسا في مقابلة هذه المحالفة حقوقاً ممتازة في بلاد تركيا كحرية التجارة والسفر وارسال المرسلين حتى ان السفن غير الفرنسوية كانت تمخر في موانئ الشرق تحت الراية الفرنسوية

ولكن هذه المحالفة اثارت سخطاً عظيماً في اوربا من الوجه الديني ومن الوجه السياسي . ولعل الوجه الاول كان ستاراً للثاني . فنادى حزب شارلكان ان فرنسا خانت اوربا بمحالفة الاتراك والبروتستانت . اما حزب فرنسوى الاول فانه اخذ يبرئ الملك من هذه الوصمة ويلقي تبعة ذلك الشقاق في اوربا على عاتق الامبراطور شارلكان . وقد القى اسقف البندقية خطبة بذلك الموضوع في مجلس حكومتها في عام ١٥٤٣

ولما استوثق الملك فرنسوى من محالفاته الجديدة ازداد جرأة وحمية . ففي ٦ يوليو من عام ١٥٣٣ امر دوق ميلان باعدام الوكيل الفرنسوي الذي لديه فثار الملك فرنسوى لهذا الخبر واعلن الحرب ولكن البابا بولس الثالث توسط بين الفريقين وعقد بينهما هدنة الى عشر سنوات فتصالح فرنسوى الاول وشارلكان . فساء ذلك السلطان سليمان لاسيما وانه سمع ان شارلكان يحدث نفسه بتجريد حملة صليبية على المشرق . غير ان شارلكان كان قد وعد فرنسوى الاول بمنحه اقليم ميلان ثم اخلف وعده فساء ذلك الملك فرنسوى . وفي عام ١٥٤٠ كان وفد مؤلف من رجلين فرنسويين يُدعيان رينكون وفريغوس عائدين من لدن السلطان سليمان الى الملك فرنسوى فقتلهما الناس في ميلان فاغتنم فرنسوى هذه الفرصة واعلن شارلكان بالحرب . وفي هذه الحرب امدّت الدولة التركية حليفها الملك فرنسوى الاول باسطول عظيم وقائد كبير وهو خير الدين باشا الاميرال العظيم الذي يلقبه الافرنج بَربروس اي ذا اللحية الشقرا . ولا باس ان ناتي هنا على طرف من ترجمته اتماماً للفائدة لان شهرة هذا الرجل طبقت الشرق والغرب وكان له ولاخيه اليد الطولى في انشاء امارة الجزائر

﴿ الاميرال خير الدين باشا ﴾ كان لخير الدين اخوان واحد يُدعى اروج والثاني ايشاك وقد اختلف في هذين الاسمين . وفي رواية ان اباهم فخار مسيحي وفي رواية اخرى انه مسلم . وقد ولد اروج في عام ١٤٧٣ ولما بلغ العشرين ركب سفينة تركية كانت تجوس البحار لسلب السفن الاوربية وهو ما يسمونه القرصنة . وكانت القرصنة صناعة في تلك الايام وتجارة تغني اصحابها فان السفن التركية والبندقية والاوربية كانت تمخر عباب البحر

للسلب والاسر . وكان ارود جريئاً شديد النباهة والذكاء فامتاز عن رفاقه وقُدم عليهم .
وفي ذات يوم التقت سفينته بسفينة اوربية فاسرتها السفينة الاوربيـة وساقتها الى
جزيرة رودس . ولكن ارود استطاع الفرار من هذه الجزيرة فولي قيادة سفينتين مكافأة
له على ما بدا منه من الجرأة والمهارة فاخذ اخويه خير الدين وايشاك في سفينتيه وسار
الى شواطىء تونس لان السفن المسيحية كانت كثيرة هناك . وكان قدومه الى تونس
في عام ١٥٠٥

ولما وصل الى تونس اكرمه اميرها مولاي حسن واذن له باتخاذ « جربه » مخزناً
للبضائع والاسلاب التي كان يغنمها من السفن الاوربية . فاخذ ارود واخواه يشنان الغارة
على صقلية وشواطىء البحر المتوسط حتى جمعا من النفائس والبضائع شيئاً كثيراً وشد ازرهم
كثيرون من جوال الآفاق وملتمسي الرزق فقويت عصبيتهم واشتدت سلطتهم . فلما
راى ذلك اهل الجزائر طلبوا منهم ان يساعدوهم على طرد الاسبانيين من بلادهم . وكان
الاسبانيون استولوا على اكثر شواطىء الجزائر وقد اعترف امير تونس بسيادتهم على بلاده
ليكتفي شرهم . فاجابهم ارود واخواه الى ذلك وهاجموا الاسبانيين في بوجيا فجرح ارود في
هذه الواقعة فعاد الى تونس لمعالجة جرحه وعهد بقيادة سفنه الى اخيه خير الدين ففاجأ
الاسطول الاسباني خير الدين وحطم سفنه كلها . فساء هذا الانكسار ارود وشرع في الحال
في بناء اسطول جديد في جربه فاتمه في مدة قريبة وعاد الى غاراته وهو يفكر في طلب
الثار من الاسبانيين . وفي هذا الزمن بلغت سلطته اشدها فتقاطر اليه ملتمسو الرزق في
افريقيا من كل جانب حتى تالف منهم جيش كثيف وكلهم اقوياء اشداء . فقام في
نفس الاخوة الثلاثة ان ينشئوا لانفسهم مملكة مستقلة فاظهروا في ذات يوم انهم يحاربون
الاسبانيين وهاجموا امير الجزائر سليم بن تومي فقتلوه في حمامه ونادى ارود بنفسه اميراً
للجزائر . فغضب اهل الجزائر لهذا الغدر والعدوان واستجاروا بالاسبانيين فامدهم الاسبانيون
باسطول ولكن الزوابع حالت من حسن حظ الغاصب دون وصوله الى الشاطىء . وبعد
ذلك فتح ارود تنس وطرد منها اميرها مولاي ابا عبدالله وفتح تلمسان بناء على طلب اهلها .
فكبرت سطوة « الامير » ارود حينئذٍ ولكن الاسبانيين لم يمهلوه فارسلوا اليه جيشاً
لطرده واعادة امارة تلمسان الى اميرها السابق فحصره الجيش الاسباني في تلمسان
فحاول ارود الفرار منها الى بلد اخرى كان سلطان مراكش قد وعده بارسال مدد
اليه فيها . فحال الاسبانيون بينه وبين الفرار فما زال يقاتلهم حتى قتل وسلاحه في

يده . وكان ذلك في عام ١٥١٨

فبعد مقتله ولي الجزائر اخوه خير الدين . والظاهر انه كان ادهى من اخيه وارشد سياسة فانه ما استقر في الامارة حتى كاتب السلطان سليم يعترف بسيادته ويساله حمايته في مقابلة جزية يقدمها له . فسر السلطان سليم بهذه المملكة الجديدة التي جاءته عفواً وامده بالفي جندي تركي فاطمان بال خير الدين حينئذٍ من جهة الاسبانيين وعكف على شن الغارة بسفنه فاسر في عام ١٥٢٩ اسطولاً اسبانياً برمته وفتح بعض الثغور القريبة منه وورد الاميرال اندريا دوريا العظيم عن بلاده فانتشرت شهرته انتشاراً واسعاً . فلما راى ذلك اهل الجزائر وكانوا ساخطين على اميرهم مولاي حسن لخضوعه للاسبانيين على الارجح طلبوا الانضمام الى لواء خير الدين فاجابهم خير الدين الى ذلك وكتب الى السلطان فامده السلطان بثمانية آلاف جندي لفتح تونس ففتحها خير الدين في عام ١٥٣٤ بلا حرب ولا قتال وتوالفد عليه وفود التونسيين من كل المدن والقرى يهنئونه بهذا الفتح . اما امير تونس مولاي حسن فانه استنجد بشارلكان ملك الاسبان فجاء شارلكان بخيله ورجله لطرد خير الدين من تونس فاخلاها خير الدين بلا حرب كما اخذها بلا حرب وهاجم بسفنه الثغور الاسبانية فغنم منها غنيمة عظيمة ثم عاد الى الجزائر . وبعد ذلك سافر الى الاستانة لاقناع تركيا بوجوب أن تجرد حملة عظيمة لاسترداد تونس وكسر شوكة الاسبانيين

وكان السلطان سليمان قد بلغته شهرة خير الدين في البحر فاعجب به وبسالته ورام ابقاءه في خدمته فعينه (عام ١٥٣٦) قائداً عاماً للاساطيل العثمانية .

وكانت هذه الاساطيل اقوى اساطيل الدول في ذلك الزمان فرضي خير الدين بهذا المنصب العظيم لشغفه بحروب البحر فاقام ينظم الاساطيل العثمانية احسن تنظيم . ولما شبت نار الحرب بين الدولة العلية والبنادقة في عام ١٥٣٧ اشترك الامير خير الدين باشا فيها فابلى بلاء حسناء وكان مرجع الفضل في اجبار البنادقة على عقد الصلح اليه لاستيلائه على كاستلنوفو في دلماثيا وعلى كنارا في ملذوازيا . وقد لقيه اسطول البنادقة على شواطيء بريفيزا وهو بقيادة الاميرال اندريا دوريا الجنوي الكبير خصمه في الجزائر فنكص راجعاً ولم يقدم على لقاء خير الدين باشا فكان نكوص هذا الاسطول مع شهرة اميراله وقوة سفنه فخراً عظيماً لخير الدين باشا والاساطيل العثمانية .

وبعد هذه الحرب استراح خير الدين باشا مدة . وقد ابتاع هذه الراحة واستحقها بجهد عظيم كما تقدم . وما زال في راحته حتى شبت نار الحرب بين الملك فرنسوى الاول

والامبراطور شارلكان فامدّ السلطان سليمان حليفه فرنسوى الاول باسطوله واميراله العظيمين

﴿ الاسطول العثماني بفتح الاقطار الاوربية ﴾ تخرج الاسطول العثماني من الدردنيل بقيادة قائده خير الدين باشا وسار لاسعاف فرنسوى الاول . فكان للحربية هنا شان عظيم وربما كانت هذه الحادثة سبباً في تغيير وجه العالم . فان الامبراطور شارلكان كان عدوّاً للدولة التركية وللدولة الفرنسوية معاً فاذا انفرد بالدولة الاولى قدر عليها وكذلك اذا انفرد بالثانية فكان من الواجب اذاً ان لا تنفرد احدى هاتين الدولتين بخصمها العنيد بل ان تتحدا معاً لمحاربته في واقعة واحدة . وهذا امر كان متعذراً في البرّ اذ بين فرنسا والدولة العلية سهول وجبال وممالك ضخام فلم يكن في الامكان اتحادهما الا في البحر . فكانّ البحر انقذ فرنسا والدولة العثمانية معاً . وكانت الدولة العثمانية اكثر اهتماماً بمصير هذه الحرب من فرنسا حليفتها واكثر رغبة في محالفتها . لانه اذا انكسرت فرنسا لم يستطع شارلكان ايقاع الاذى الشديد بها لان البابا ملك رومه كان لا ياذن بذلك ولم يحالف شارلكان الا في الظاهر . اما انكسار الدولة العثمانية فكان خطراً شديداً لها لان البابا ملك رومه كان يرغب في اغتنام اول فرصة لجمع كلمة الدول الاوربية عليها وابعاد فرنسا عن محالفتها ونصرتها . وقد طرح هذا الامر مراراً على فرنسوى الاول فرفضه اولاً لمعرفته ان الخطر على بلاده كان في طمع شارلكان دون سواه

فقصد الاسطول العثماني ايطاليا اولاً فحصر شواطىء الكالابره ثم هاجم مملكة نابولي وفتح مدينة كايته فيها وبعد ذلك قصد فيللفرانش (في فرنسا اليوم) ففتحها وصار يخرب شواطىء ايطاليا . وفي هذا الحين كان السلطان سليمان قد دخل بجنوده الجرارة الى اراضي الامبراطورية الالمانية فكان يحارب شارلكان من البر بينما كان اسطوله يحاربه من البحر . فطار صواب شارلكان وسار لنجدة ايطاليا . وكان اسطول خير الدين باشا قد سار الى مرسيليا وهناك اتحد بالاسطول الفرنسوي الذي كان بقيادة الاميرال دانجيين وسارا معاً يقصدان مدينة نيس . وكان بحارة الاسطولين في اتم وفاق ووئام . فلما وصلا الى نيس حصراها وفتحاها عنوة بعد حصر شديد . ثم دخلت الجنود التركية مقاطعة بروفانسيا وصنعوا فيها ما يصنعه الفاتحون في البلاد التي يفتحونها . وقد اقاموا فيها مدة فصل الشتاء بلا حرب لان الشتاء كان بارداً جداً في ذلك العام

اما شارلكان فانه اغار على فرنسا لما عجز عن انقاذ ايطاليا وقد كانت غارته من جهة

شمبانيا بينما كان حليفه ملك انكلترا يغير عليها من جهة بيكارديا . ولكن برد ذلك الشتاء ومرضه وضعف جنوده مع قوة خصمه جعلته يؤثر الصلح على الحرب فصالح عدوه فرنسوى الاول في ١٧ سبتمبر من عام ١٥٤٤ على ان يعيد كل واحد منهما ما استولى عليه من املاك الآخر ويصافيه مصافاة حقيقية . وهكذا حفظ فرنسوى الاول استقلال مملكته وخرج من هذه الحروب الطويلة مع خصمه القوي خروجاً شريفاً . وكانت وفاته في عام ١٥٤٦ بعلة اختلفت اقوال الاطباء فيها

اما الاميرال خير الدين باشا فانه عاد الى الاستانة وهو اعظم شهرة مما كان يوم سفره منها . وفي عودته اليها عرج على جزيرة الب وبلاد سيينه في ايطاليا وجزائر ايشيا وبروسيدا وليبار يا فخربها . وكانت وقائعها آخر وقائعه البحرية

ولما عاد الى الاستانة تخى عن الاعمال وعاش براحة وطمانينة عيشة البذخ والترف وقد توفي وعمره ٦٦ عاماً فدفن في جوار جامع في الاستانة كان قد بناه على نفقته



هل في الدنيا سعادة

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — رمل الاسكندرية

السعادة رغيبة كل حي واليها يسعى كل بني البشر . وكم يعاني الناس من انواع المشاق في طلب النجاح متوهمين ان بلوغ السعادة بذلك ولكن السعادة لا ترافق النجاح في كل الاحيان وقلما نرى من بلغ السعادة بنجاحه وكثيرون نراهم تعساء مع ان لديهم كل الوسائل التي من شانها ان تجعلهم سعداء لو ارادوا

ان الطبيعة تمنح المجتهد القوي كل الاشياء انما لا تستطيع ان تمنحه السعادة فان لم يكن الانسان حاصلاً على السعادة الداخلية الناشئة عن القلب والقناعة فعبثاً يحاول بلوغها بالوسائط المادية

والدنيا رجلان . رجل يرى الدنيا جميلة مملوءة سروراً وكلها معنى له والثاني يراها مظلمة قاحلة وهمية . فالاول يكون سعيداً في كل الاحوال — اما الثاني فسواء عنده كل الاحوال وهو لا يرضى اذا وُجد على الارض او في السماء

ويرجحون ان السرور حاسة خاصة بالانسان ويقال انَّ دارسي الحيوان لم يثبتوا الى الآن عدم وجود العقل في الحيوانات لكنهم قد اثبتوا عدم وجود حاسة السرور فيها لانها قد تنظر اجمل منظر ولا تتأثر لهُ . واما الانسان فحاصل على هذه الحاسة . وبما ان الله جعل فيه هذه الحاسة فقد جعل العالم مشحونًا بكل ما هو جميل وسارّ وجعل الطبيعة بامرها تعمل لسروره . فهي جميلة وهنيئة لطالبي الجمال والهناء . فعلى الانسان ان يقابلها بالرضى والبشاشة لتزيده منها . ولا يخفى ان الرضى والبشاشة بمثابة الشمس للنبات تحييه وتساعده لاعطاء الثمر الصالح . ولنا مثال ذلك المرضة الشهيرة « فلورنس نيتنكال » التي كانت تخفف آلام المرضى ببشاشتها واظهارها السرور بخدمتهم اكثر مما كانت تخففه الادوية والعقاقير . فهي برضاها وبشاشتها كانت تخدم نفسها وغيرها معًا

ولكن قد يذهب البعض ان البشاشة في الانسان تدل على خفته وطياشته ولكن الواقع ينفي هذا الظن لاننا نرى ارقى العقول واسمى الافكار عند الرجل البشوش . ومهما كانت المصائب شديدة في هذه الحياة فان الانسان قادر على احتمالها اذا كان راضيًا وباشًا . ولا يرجو الانسان السعادة باحراز المال والمناصب الرفيعة ما لم يُقرن ذلك بسلام الضمير وراحة القلب الداخلية وحب نفع الناس اي خدمة القريب وهذه العناصر اذا وجدت في اكواخ الفلاحين تجعلها جنائن سرور

يُروى عن احد ملوك الفرس انهُ سأل منجميه عن وسيلة يبلغ بها السعادة . فاجابوهُ ان الوسيلة الوحيدة لذلك هي لبس قميص رجل سعيد . فذهبوا يلتمسون ذلك الرجل بين الاغنياء والعظماء فلم يجدوه فطلبوهُ بين الفعلة والمساكين فوجدوا رجلاً فقيرًا عائشًا في زاوية من الارض ولكنه سعيد (كالرجل الخارجي في الكوخ الهندي) . ولكنه لسوء حظ الملك لم يكن لذلك المسكين قميص من شدة فاقته . فهنا يرى من يتوهمون الملوك سعداء ان فخامة الملك وعظمته تستران عن الناس هموم الملوك . فتعابيهم كانها اشواك تشتبك بتيجانهم فالناظرون اليها يبهر ابصارهم ما فيها من الحجارة الكريمة ولكن لابسي تلك التيجان يتألمون باشواكها الداخلية المستترة

وقد قال كنزلي « اذا اردنا ان نكون سعداء حقيقةً فنحن نحتاج للسلام الداخلي الناتج عن استقامة السريرة . والاعتدال في كل شؤون حياتنا في العواطف والاعمال والافكار »

وقال رسكن « جميعنا نسعى للنجاح واحراز الاموال ونصل الليل بالنهار لبلوغ الآمال ولكن من منا يسعى في طلب السلام الداخلي و يشعر بحاجته اليه . ذلك السلام الذي لا

يستطيع العالم ان ينزعهُ منا . اما طريقة الحصول على هـذا السلام فهي تعويدنا انفسنا على الافكار الجميلة النقية ونظرنا الى العالم من جهته المنيرة وقراءتنا تواريخ اشخاص هذه الصورة فتكون عدةً لنا عند النوازل »

وكتب الى صديق له في اثناء سياحته في سافوى . « لم القَ بين جميع اصدقائي رجلاً سعيدًا راضياً بحياته اكثر من رجل كان يرافقني في سافوى ليدلني على الطريق ومع انه لم يكن على شيء من العلم فقد كان من اسعد البشر حالاً واحسن من عرفت منهم خلقاً . وفي ذات يوم كنت اتمشى واياه في بعض الوديان المنخفضة فاخذت اشكو لهُ هموم الحياة واظهر لهُ العالم من جهته المظلمة فلم يكن منهُ الا انهُ تراجع قليلاً عني وقال لغلامي وهو يهزّ اكتافه . مسكين رجل مسكين فانه لا يعرف كيف ينبغي ان يعيش » وفي الحقيقة ان الذين يعلمون كيف ينبغي ان يعيشوا قليلون ولا يجد السعادة الا هوءلاء القليلون . فان الحياة من الفنون الدقيقة لا تتعلها الا بالممارسة الطويلة والدليل على ذلك ان رجلاً كهذا ادرك سر الحياة مع انهُ كان لا يكاد يحسن القراءة والكتابة

ويُروى عن فيلسوف انهُ نزل مرة في زورق واخذ يحادث الملاح والزورق سائر في السكون . فلم يمضِ الا وقت قليل حتى هبت الرياح وعلت الامواج فلم يبالِ الفيلسوف بل استمر في حديثه واخذ يسأل الملاح اذا كان له معرفة بعلم الكون فاجابهُ الملاح كلاّ . فقال لهُ اذًا قد خسرت نصف حياتك ايها الرجل . ثم ازدادت الريح عصفاً ورفعت الامواج الزورق وقرب منهم الخطر . فقال الملاح اسمح لي ان اسألك ياسيدي الفيلسوف اذا كنت تحسن السباحة . فقال لا . فقال الملاح لا تؤاخذني اذا قلت لك انك قد خسرت كل حياتك لان الزورق سيغرق بنا

فالسعادة اذًا هي معرفة الانسان كيف يجب ان يعيش في هذه الحياة . فاذا جاءته السراء مرَّ بها مرورًا معتدلاً واذا جاءته الضراء لم يتألم منها الا تألماً معتدلاً . فان السراء تذهب كالضراء وكلتاهما كغيمة تمرُّ فوق راس الانسان . وليس المهم في هذه الحياة ان يتمتع الانسان بالسراء ويدفع الضراء ولكن المهم ان يقوم بواجباته بالرغم عن كل سراء وضراء . لانه لمثل هذا وُجد . وواجبات الانسان النفع وصنع الخير في هذه الحياة سواء كان كبيرًا او صغيرًا اغنياً او فقيرًا . وبناءً عليه فكل انسان قادر على ان يكون سعيدًا مستريح البال لان كل انسان قادر على القيام بواجباته اذا اراد . واذا كان للسعادة مفتاح فمفتاحها « الصحة والضمير » الضمير الذي يجعل الانسان مستريحاً هنيئاً حتى في وسط

الاحزان والصحة التي تمكن الانسان من احتمال اعباء الحياة . واذا كانت صحتك جيدة وضميرك مستريحاً لانك قمت بكل ما يجب عليك لنفسك ولغيرك فانت سعيد من غير شك . واذا اضيفت الثروة الى ذلك تمت سعادتك لا محالة . فالثروة اذاً جزء من السعادة وليست كل السعادة

وخير ما يختم به الكلام في هذا الموضوع كلمتان من كلمات الحكمة الاولى لمونتسكيو وهي :

« لو كان الانسان لا يطلب الا السعادة لكان ذلك امراً سهلاً لان كل انسان قادر على ان يكون سعيداً . ولكن الانسان يطلب ان يكون اكثر سعادة من سواه وهنا الصعوبة » والثانية لملفت وهي : « كن متحققاً ان الرجل الذي يخدم غيره ويجعله سعيداً لا يمكن ان يكون تعيساً »

الناصرة وطن يسوع

﴿ بقلم ناصري ﴾

تمنينا في الجزء الماضي ان يتحفنا احد القراء « الناصريين » بوصف الناصرة شبه لكلام رنان عنها فوردنا من جناب الكاتب الاديب سليم افندي قبعين وكيل جريدة المؤيد العام في الولايات العثمانية من قبل الفصل التالي فنشرناه مع الشكر لحضرته

قبل ان نخط حرفاً من موضوعنا نقدم مزيد الشكر لحضرة الفيلسوف الطائر الصيت رنان الذي وصف اهل الناصرة وصفاً نعده له من قبيل المجاملة وكرم الاخلاق وكذلك نقدم عاطر الثناء ووافر الامتنان لحضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الذي اخرج تلك الاقوال الى اللغة العربية شأنه في كتابة المقالات المفيدة التي تبث روحاً جديداً في ابناء الشرق فتثقف ألباب النبت الجديد وتدمث اخلاقهم وتنشر فيهم حياة جديدة ترقى بهم الى اسمى قمم الكمال الادبي فتطمح نفوسهم اذ ذاك الى الجنوح لحياة جديدة غير العيشة الحاضرة التي لا نخوض عباب وصفها . ونحن لا نقصد في هذه العجالة تقريظ مجلة الجامعة فقد كفاها تقريظاً وفخراً رضاء الناطقين بالضاد عنها في سائر اقطار الارض واقبالهم عليها وامتثالاً لاشارة منشىء الجامعة ننشر هذه المقالة عن مدينتنا الناصرة فنقول

الناصرة مدينة مبنية في وادٍ من اجمل اودية سوريا نضارةً وخصباً وتحيطها الجبال من جميع جهاتها . وهواؤها في الجبال جيد جدًّا لولا ان فيه بعض الرطوبة التي تحدث من سقوط الندى الغزير في فصل الصيف وهي واقعة على مسافة خمس ساعات من مدينة حيفا وتتصل بها بطريق شوسه جميل جدًّا لولا تهدمه في بعض المواقع وتسير العربات كل يوم بينهما بكثرة . والربيع عندنا في غاية الجمال اذ به تكتسي الجبال نضارة يعجز يراعي عن وصفها وهي ليست ببعيدة المسافة لان المدينة قائمة في سفحها فهي لها كالسور فضلاً عما تكسبها من الرونق الذي يسر الناظر و يروق الخاطر

واما ابنيتها اليوم فهي في غاية الاتساق والمتانة وكلها حجرية وحجرها ناصع البياض كالثلج واكثر سقوفها قرميدية والقادم اليها عند ما يدنو من مدخلها يشاهد منظرًا بديعاً فانه يكون على راس جبل و يشاهد تلك الابنية البيضاء يكللها القرميد الاحمر فيخال له انه يرى ديوكاً بيضاء تتاوج على رؤوسها اعرافها الحمراء المخملية

وفي فصل الربيع يتقاطر السياح الى الناصرة من سائر اقطار الارض لزيارة اماكنها المقدسة وتعهد آثارها القديمة فيضربون خيامهم في ظاهر البلدة على رؤوس تلك الآكام الفناء ليتمتعوا بتلك المناظر الجميلة التي خص الله بها هذه المدينة فتزدحم حولهم اقدام صغار الاولاد يقدمون لهم باقات الازهار البرية العطرة التي تنمو بكثرة في تلك الربوع الفيحاء . واي شيء احب للسائح من ان يضع مقعده مع زوجته ورفاقه امام الخيمة على بساط حلته الطبيعية بانواع الزينة وكلما هبَّ نسيم الربيع يهزُّ سوق الازهار فتنبعث منها رائحة تشرح الصدر وتنعش الفؤاد . والسياح يلاقون من لطف الاهالي وكرم اخلاقهم ما يحبب اليهم الاقامة زيادة عما قرروه في بروجرام سفرهم . ولا نزيد هنا في الكلام وكفانا رنان شاهدًا على ذلك . واما فصل الصيف فلا يقل جمالاً عن فصل الربيع ففيه الهواء لطيف منعش والجنائن تكون في غاية النضارة والكروم والبساتين تقدم للاهالي انواع العنب اللذيذ وسائر الفواكه المختلفة . والماء بارد لا يحتاج الى ثلج او جليد والندى يسقط في هذا الفصل بغزارة فيلطف الهواء

اما شوارع المدينة فهي في غاية النظافة وكلها مبلطة تبليطاً متقناً ولكنها ضيقة وغير منسقة وكثيرة المنحنيات . وقد انقلبت المدينة عن زمان رنان انقلاباً عظيماً ولو زارها الآن لاستغرب تقدمها ففيها كما قدمنا الدور الفخيمة المفروشة بالرياش الفاخرة وعدة من وجوهها اقتنوا المركبات الخاصة وغير ذلك مما يطول شرحه

اما منزل يوسف ومريم فلا يزال موجوداً فيها للآن وهو مؤلف من مغارة كبيرة منقورة في الصخر وداخلها مغارة اخرى للطبخ وفي احدى زواياها مدخنة لخروج الدخان منحوتة نحتاً محكماً . وقد اقام رهبان الفرنسيسكان على البيت كنيسة عظيمة لم ارَ مثلها في سوريا ومصر وبجوارها دير عظيم يقيم فيه اكثر من ٤٠ راهباً . وكذلك لا يزال في الناصرة المكان الذي كان يتعاطى فيه يوسف النجارة مع الفتى يسوع وقد اقام عليه الرهبان المذكورون كنيسة صغيرة . واما العين التي قال عنها رنان انها كانت مركز الحركة فهذه كانت في القديم تجري من داخل مغارة حيث كانت مريم العذراء تذهب مع العذارى لاستقاء الماء وقد اقامت الطائفة الارثوذكسية العربية عليها كنيسة وجرّت المياه الى خارجها بقناة تحت الارض وتعرف هذه الكنيسة بالبشارة لانهم يعتقدون بان الملاك بشر مريم العذراء فيها . والسياح يقبلون على زيارة هذه العين فيشربون من مائها و ياخذون رسمها بالفوتوغراف والبنات يستقين الماء . وسنجتهد بالحصول على رسم لها وارساله لادارة الجامعة . ولا يزال في الناصرة مجمع اليهود الذي دخله يسوع يوم السبت وصعد الى المنبر فدفع اليه سفر اشعيا النبي وقرأ فيه نبوءة ذلك النبي عنه وبعدان اتمّ تلاوة الفصل قال لسامعيه ان هذه النبوءة قد تمت الآن فيّ . فاغتاظ رجال اليهود واخذوه الى راس جبل كانت المدينة مبنية في اسفله ليطرحوه عنه . وقد اقامت طائفة الروم الكاثوليك كنيسة على المجمع . واما الجبل الذي اراد اليهود ان يطرحوا السيد يسوع عنه فقد اقامت عليه محسنة روسية تقية معبداً حملته الى اخوية القبر المقدس

اما مناظر المدينة عن قم تلك الجبال المحيطة بها فقد كفانا رنان ذكرها لانه وصفها احسن وصف وانما قد تم متنى رنان فقد اقامت رهبنة ابي اليتامى كنيسة جميلة على راس احدى الاكام المشرفة على البر الفسيح والبحر المتوسط وانشأت بجوارها مدرسة داخلية للصبيان مجانية . وفي الناصرة عدة مدارس داخلية واشهرها المدرسة التي انشأتها الجمعية الامبراطورية الفلسطينية للصبيان عام ١٨٨٦ ومدرسة داخلية للاناث انشأها المرسلون الانكليز واخرى مثلها انشأها الفرنسويون واما المدارس اليومية فانها كثيرة العدد جداً وقد زادت عن احتياج الاهالي . ورأيي الخاص ان تلك المدارس لا تنفع المدينة والاهالي نفعاً حقيقياً ولو اردت ذكر الاضرار التي تنجم عنها لرشقني الناس بالسنة حداد

والناصرة خالية من اليهود ويبلغ عدد سكانها الآن نحو عشرة آلاف نفس . ومن

اشهر الابنية فيها دار الضيوف التي انشأها منذ اعوام رهبان اللاتين وعمارة الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية التي بناؤها قائم الآن على ساق وقدم وقبل ان الجمعية ستنفق عليها ثلاثين الف جنيه . وقد زار الناصرة عدة ملوك وامراء اذكر منهم نابوليون بونا بارت الذي نزل ضيفاً في دير اللاتين ونام فيه ليلتين ويُقال انه اقفل باب الغرفة التي نام فيها ولم يُفتح الى يومنا هذا . وقد زارها ايضاً المرحوم ابراهيم باشا نجل المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية وليوبلد الثاني امبراطور البرازيل والبرنس هنري دورليان وخطيبته وملك ايطاليا الحالي لما كان وليّاً للعهد والغراندوقان سرجيوس وبولس عما جلالة القيصر نقولا والغراندوق نقولا الرومي وميلان ملك السرب ومدحت باشا الشهير وغيرهم . هذا ما رايت كتابته الآن في وصف الناصرة وربما عدت الى الكلام عنها والسلام

الناصرة في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠١


﴿ سليم قبعين ﴾

آثار الشرق القديمة

الهيئة الاجتماعية في مصر

﴿ في عهد الرومانيين ﴾

(وبعض رسائل مصرية)

لا يزال علماء اوروبا يبحثون في آثار مصر ويطلبون اوراق البابيرس المصري في كل مكان ليقرأوا فيها اخبار التمدن المصري القديم . وقد تلا في الشهر الماضي المسيو رنه كانيات احد علماء فرنسا خطبة في المجمع العلمي الفرنسوي موضوعها الهيئة الاجتماعية في مصر في عهد الرومانيين اي في القرن الثالث للميلاد وقد ذكر فيها ترجمة كثير من اوراق البابيرس التي وجدت في مصر واكثرها رسائل بين الاهل والاقارب يستدلُّ بها على نظام المعيشة في ذلك الزمن . وقد قال المسيو كانيات عن اوراق البابيرس انه اذا عثر الباحثون في آثار مصر على منزل اديب او كاهن مصري عثروا فيه على بقايا مكتبة فيها شذرات لا تُحصى من

مؤلفات هوميروس واشيل وارسطو وبكشيليد والشاعرة سافو التي ذكرنا ترجمتها في هذا الجزء . واذا عثروا على منزل موظف من موظفي مصر القدماء وجدوا فيه كثيراً من الاوراق الرسمية كاوامر الامبراطرة الرومانيين ونظامات الحكومة المحلية وعرائض الاهالي وشكاويهم وشرح قضاياهم وكلها باللغة اليونانية الا ما ندر لان اللغة اليونانية كانت اللغة الشائعة في مصر في ذلك الزمن . واذا عثروا على منزل احد من السكان وجدوا فيه ما لا يحصى من الاوراق المملوءة بالارقام ورسائل خصوصية تدلُّ على حالة الحكومة يومئذٍ وعلاقتها بالسكان ونظام الجيش وجباية الضرائب وما اشبه ذلك. وقد قرأ المسيو كانيات في خطبته بعض هذه الاوراق التي عثر عليها . منها كتاب كتبته « سيره » ابنة « ثيون » الى هيراكليدس قاضي القضاة والكاهن الكبير في مصر تقصُّ عليه قصة زواجها واساءة زوجها اليها . وقد قالت في هذا الكتاب « لقد تزوجت بسرابيون واعطيته ٢٠٠ دراخمة دوطة وقبلته في بيت ابي لانه كان لا يملك شيئاً وان كنتُ قد اخطأتُ في ذلك. ولكن سرابيون بعد ان اخذ من دوطتي ما اخذ وبعد ان اهانني وضربني ومنع عني القوت الضروري هجرني وتركني في اسوأ حال . فارجو منك ان تستقدمهُ وتضطرهُ ان يعيد دوطتي اليَّ بزيادة مثل نصفها عليها . هذا بقطع النظر عن باقي الشكاوي التي يمكنني ان ارفعها عليه متى اردتُ »

ومنها كتاب من شيخ في الفيوم كان جندياً واحيل على المعاش الى ابنه وابناء اخيه يطلب منهم ان يبتاعوا عشرة ديوك وفواكه واردباً من الدقيق الجيد للاحتفال بتذكار مولد ابنته جاله .

ومنها كتاب آخر من غلام الى ابيه يلومه فيه لانه سافر الى الاسكندرية ولم يأخذه معه . فقال « من ثيون الى ابيه ثيون سلام . هل تظن انك صنعتَ حسناً بعدم اخذك اياي معك الى المدينة . فاذا كنت لا تريد اخذي الى الاسكندرية فانا لا اكتب اليك بعد الآن ولا امد يدي لمصافحتك ولا اسلم عليك . هذا ما يصير اذا كنتَ لا تاخذني معك . لقد احسنتَ صنعاً بارسالك اليَّ هدية في اليوم الثاني عشر من سفرك . فانا ارجوك ان ترسل لي عوداً (للموسيقى) واذا لم ترسله فانني لا آكل ولا اشرب . دم بصحة جيدة »

وقد قرأ المسيو كانيات كثيراً من هذه الرسائل ثم استنتج منها ان الامبراطورية الرومانية كانت تصبغ مستعمراتها بصبغتها دون ان تؤثر هذه الصبغة في حالة تلك المستعمرات

ولذلك كانت كل واحدة منها مستقلة عنها في احكامها وعاداتها واخلاقها ولغتها . فلما سقطت الامبراطورية الرومانية كانت كل واحدة من مستعمراتها قادرة على الاستقلال بنفسها

على ان هذا الراي ليس بجديد فقد رأى رنان مثله في كتابه « الرسل » منذ اعوام كثيرة

هل وصل التمدن المصري

﴿ الى باقي شواطىء افريقيا ﴾

(اكتشاف جديد)

ان الجواب عن هذا السؤال من اصعب الامور . فانه من الثابت ان قدماء المصريين وصلوا الى شواطىء افريقيا القريبة ولكن هل وصلوا الى شواطئها البعيدة كشواطىء الكاب وشاطىء العاج في جانب افريقيا الغربي على شواطىء الاوقيانوس الاتلانتيكي

يظهر ان بعض الباحثين قد اهتدوا الى حل لهذه المسألة . فان حكومة « شاطىء العاج » احدى المستعمرات الفرنسوية عرضت في قسمها في معرض باريز في العام الماضي آثاراً كثيرة من آثارها وهي شبيهة بالآثار المصرية . وفي جملة هذه الآثار وجه تمثال شبيه بالوجوه المصرية التي كان صناع مصر ينقشونها حتى في شكلها ولباسها وتمثال شبيه بتمثال الاله « بتا » اله منفيس . ومعلوم ان سكان شاطىء العاج من اصل زنجي فمن المحال ان يكونوا والمصريون من اصل واحد . بقي اذاً ان التمدن المصري انتقل اليهم . ولكن كيف كان انتقاله

لا يخفى ان كهان ثيبة انشأوا في الحبشة بعد فتح ملوكهم اياها اي بعد رعمسيس الثالث مملكة كادت تكون عاصمة مصر كلها ودعوها « مملكة نبطه » فكان ذلك سبباً في اقتباس الاحباش عادات المصريين وفنونهم . وبعد ذلك حدثت مهاجرة من نواحي الحبشة واعالي النيل الى شواطىء الاتلانتيكي . والبعض يقولون ان المهاجرين كانوا قبائل من الهيكسوس (رعاة مصر) والاحباش والبعض يقولون بل كانوا من قبائل التوارج والبهليين فيرد بعضهم على هؤلاء بقوله ان قبائل وحشية كالتوارج والبهليين لا تستطيع اقتباس فنون مصر الجميلة . وهناك فئة ثالثة ترى ان قبائل اخرى كانت ذات صلات بالحبشة وقبائل اعالي النيل من جهة وبقبائل الموهاس من جهة اخرى . فنقلت تمدن المصريين من الاحباش الى الموهاس

ومثولاء نقلوه الى اجداد قبائل الاشانتي والداهومه وبذلك وصل التمدن المصري من شاطيء البحر المتوسط في مصر الى شاطيء الاتلانتيكي في شاطيء العاج ٠

وقد أكد السائح فليكس ديبوى انه شاهد في تمبوكتو وشواطيء بحيرة تشاد كثيرًا من الآثار الشبيهة بالآثار المصرية شبهًا ما وراءه ارتياب

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدار من اهم وظائف المدرسة

واجبات المعلم ولذة التعليم

قال السر ولتر سكوت لا بد للكثيرين ان يكونوا قد شاهدوا بسرور انصراف التلامذة من المدرسة في مساء ايام الصيف الجميلة . فان نفس الولد الصغير التي لا تستطيع السكون تبقى كل النهار راضخة تحت عبء النظام المدرسي وحين الانصراف تنفلت منه فيظهر سرورها باللعب والصراخ والضجة . ولكن مخلوقًا غير التلامذة يتنفس الصعداء في تلك الساعة ايضًا ويكون ارغب من التلامذة في الانصراف واعني به ذلك المسكين الذي يكون قد قضى النهار بطوله يحارب جيشًا عظيمًا من الاولاد فيدوخه صراخهم ويضنك جسمه حفظ النظام ومعاقبة المذنبين وتنوير اذهان البلداء واستماع دروسهم التي لا لذة فيها ولا سرور . واذا كانت لذيذة فان اعادتها على سمعه المرة بعد الاخرى بدون تغيير ولا ابدال تكفي لان تجلب له السآمة والضجر »

هذا ظن ذلك الكاتب المشهور في عيشة المعلم . فمن من القراء يرى هذه الصوره ولا يكره التعليم ويهزأ قائلاً : ان كانت هذه حالة المعلمين فمن العبث ان تتكلم لنا عن لذة التعليم . ولكن ما لنا ووصف السر ولتر سكوت فان في التعليم لذة عظمى للذين يعرفونها وفي المدرسة اسباب للهناء والسرور كما في غيرها من اماكن العمل والشغل هذا اذا كان

التعليم طبقاً لبعض الشروط وهاك بعض هذه الشروط

اولاً مقدرة المعلم على الحكم بين تلامذته بالسلطة الادبية لا بالعصا والقوة الجبرية . ثم ان للمدارس قوانين لا بد من العمل بموجبها ولكن لا يسهى عن بال المعلمين ان الاحداث يعقلون ويميزون وتؤثر فيهم العواطف والاحساسات كما تؤثر في البالغين . وعليه فاصرار المعلم على الحكم بالقوة الجبرية الوحشية لا ينتج له غير كره التلامذة الدائم واتخاذهم اياه عدواً يحذر منه . ولا نقدر ان ننكر ان كل مخلوق يحب اظهار السلطة والقوة ولكن ما احسن ان تكون تلك القوة القوة الادبية او قوة « التاثير والقدوه » التي يتضاعف بواسطتها لذة العامل بها كلما ازداد عدد المنقادين لسلطته والمقتدين به . وقد قال احد مشاهير الانكليز « ان القوة الادبية هي التي تدير الآن حكومات العالم المتمدن باجمعها اما القوة الجبرية فقلما نفيدهم في تنفيذ احكامهم . وكفى القوة الادبية انها تقود الجمهور طوعاً لمساعدة الحاكم في نشر الفضيلة والتمدن » . وقال اللورد منسفيلد في خطاب القاه في مجلس الاشراف « ان القساوة ياسادتي لا نقدر ان نحكم بها لا كبار امتنا ولا صغارهم » والمعلم البارع يجد لذة تفوق الوصف في استرضاء جميع تلامذته وسوقهم طوعاً للعمل باوامره متحاشياً اغاظتهم والوقوف سداً في وجه سرورهم الطبيعي الذي تنبسط له كل نفس بشرية . هذا ما نعني بالسلطة الادبية — اي تاثير المرء على غيره باعماله الحسنة او نصحه الجميل

اما ثاني الشروط فهي مجازاة التلامذة بالجوائز وغيرها مما يفرح قلوبهم ويجعلهم اكثر اجتهاداً وغيرة وما احلى ما قيل « ان الذي يفرح قلب الحدث ولو برهة من الوقت يشتغل مع الله » . والمعلم ملك يحكم في تلك المملكة الصغيره فيجازي المجتهد وتكون تلك المجازاة محركاً للاخرين فتدب فيهم روح الاجتهاد وتصبح المدرسة بعد امد قصير محلاً يسر فيه المعلم والمتعلم . ذاك بنجاح مساعيه واثمار غرسه وهذا لما يحصله جزاء لاجتهاده

ومن اسباب سرور المعلم امله في مستقبل الوطن الذي يدرس اولاده لان نجاح ذلك الوطن الادبي والمادي متوقف على همة شبانه وقد صدق من قال « ارني شبان اي امة اورك مقامها في المجمع الانساني » والوزير الانكليزي حيث قال « ان شبان الامة هم المتكفلون بنجاحها وليس تاريخ الامة الا تاريخ شبانها » ومما يحكى عن شارلمان انه عاد مرة من احدى غزواته وذهب لزيارة مدرسة كان قد اسسها بنفسه فبعد ما امتحن الاحداث في حضرته اوقف الناجحين منهم عن يمينه (وكان اكثرهم من اولاد الفقراء) وخاطبهم قائلاً « عليكم ايها الاولاد سابني مستقبل مملكتي ونجاحها فانتم ستكونون وزرائي واعواني

ومشيري» ثم نظر الى الكسالى وكانوا من اولاد النبلاء وتنبأ لهم بسوء المستقبل . فمن يقدر ان يتصور مرور المعلم الذي يرى التقدم والنجاح في امته ويعلم انه من اهم عوامل ذلك التقدم والنجاح . وهب ان ذلك التقدم كان آجلاً فان فيه لذة الامل في النجاح وهذه تقارب لذة النجاح الفعلية

ومن شروط اللذة في التعليم ان يكون المعلم عارفاً بما يلقيه من الدروس ومستعداً له فيجب عليه اذاً قبل ان يلقي الدروس على تلاميذه ان يدرسها درساً مدققاً ويزيدها اسهاباً وبياناً ولا يقتصر على الكتاب الذي يدرسه بل يلزمه ان يطالع غيره من الكتب التي تحيط بالموضوع . وهنا لذة عظمى _ لذة الاطلاع على اشياء جديدة لم يكن يعرفها قبلاً . اما كون المعلم مكلفاً بالاجابة عن كل سؤال يطرح عليه فذلك خطاء بيّن لان معرفة كل انسان محدودة . وقد اخبر احد اساتذة غلاسكو عن الدكتور ريد الذي كان يوماً استاذ الفلسفة الادبية في تلك الجامعة وهو من اشهر فلاسفة الانكليز انه بينا كان يوماً يمتحن تلامذته في كتاب « شيشرون دي فينيبوس » وقف احدهم عند جملة لم يتمكن من فهمها فعرضها على الاستاذ ليفسرها له فتوقف الدكتور ريد برهة ثم قال « كنت اظن نفسي عارفاً معنى هذه الجملة ولكن خالف الواقع ظني وعليه اكون مسروراً ممن يفسرها لي » فقام احد تلامذته وفسرها فشكره الاستاذ واثنى على معرفته وصار هذا الحادث واسطة لزيادة تبحر التلامذة في ذلك الفرع لكي يتكرر الحادث ويشكرهم الاستاذ

اما صفات المعلم فمنها انه يجب ان يكون حكيماً عاقلاً عارفاً حق المعرفة بالقوانين الصحية لان علمه وحده لا يكفي لانشاء رجال المستقبل . وعليه ايضاً ان يوقف كل قواه لاتمام واجباته اي يجب عليه ان يكون هاماً لا يغفل ومثابراً لا يتعب . ومن لم يكن متحلياً بهذه الصفات ودخل في سلك التعليم فانذره بان حالته ستكون كما وصفها السر ولتر سكوت او كما قال فيهم فنيلون « ينظرون الى صعوبات التعليم فيبالغون في تعدادها ووصفها ولا ينظرون الى فوائدها الجمة وسلطتها العظيمة فيشكرون هذه النعمة التي حصلوا عليها »


الياس خليل عبساوي



نشر صفحات مطوية

ننشر في هذا الباب ما يفيد نشره من الفصول والشذرات التي كتبها أكابر كتاب العرب مما لا يوجد الا في الكتب الكبيرة والمكاتب الشهيرة

جواهر عربية أدبية

﴿ الولاة والامام عمر بن الخطاب ﴾ كان من عمال الامام عمر سعد بن عامر بن خريم فشكاه اهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تفل فراستي فيهم ماذا تشكون منه . قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب احداً بليل وله يوم في الشهر لا يخرج الينا . فقال عمر عليّ به . فلما جمع بينهم وبينه قال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول ياسعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلي خادم فاعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم اتوضأ واخرج اليهم . قال وماذا تنقمون منه . قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره ان اذكر هذا اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال وماذا تنقمون منه قالوا له يومٌ في الشهر لا يخرج الينا . قال نعم ليس لي خادم فاغسل ثوبي ثم اجففهُ فامسي . فقال عمر الحمد لله الذي لم يفل فراستي فيكم يا اهل حمص فاستوصوا بواليكم خيراً . ثم بعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها . فقالت له امرأته قد اغنانا الله عن خدمتك فقال لها الا ندفعها الى من يأتينا واحوج ما كنا اليه . قالت بلى فصرّها صرراً ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته » (للمسعودي)

﴿ فساد العالم ﴾ الشيخ الامام يقول فسد الزمان افلا يقول متى كان صالحاً . افي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا اولها . ام المدة المروانية وفي اخبارها . لا تكسع الشول باغبارها . ام السنين الحربية

والرمح يركزُ في الكلى   والسيفُ يغمدُ في الطلا
ومبيتُ حجرٍ في الفلا   والحرّتانِ وكربلا

ام البيعة الهاشمية وعلي يقول ليت العشرة منكم براس . من بني فراس . ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز . والعيون الى الاعجاز . ام الامارات العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول . الا النزول . ام الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات في تأناة الاسلام . ام على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتي يافلانه . فقد ذهبت الامانة . ام في الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدِ الاجرب

ام قبل ذلك واخو عادٍ يقول

بلادٌ بها كنا وكنا نحبها اذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

ام قبل ذلك وروي عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها ووجهُ الارض مغبرٌّ قبيحُ

ام قبل ذلك وقد قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسدُ فيها ويسفك الدماء . وما فسد الناسُ . وانما اطرد القياسُ . ولا اظلمت الايام . وانما امتدَّ الظلامُ . وهل يفسد الشيء الا عن صلاح . ويمسي المرء الا عن صباحٍ » (الهمذاني)

باب التقريظ والانتقاد

الحب والزواج

ذكرنا كتاب الحب والزواج في باب التقريظ والانتقاد في الجزء الماضي فوردنا من جناب مؤلفه الكتاب التالي

حضرة منشيء الجامعة الغراء

امتنُّ لجنابكم كل الامتنان لاجل تقريظكم كتابي « الحب والزواج » في الجزء الثالث من الجامعة الغراء . واشكر لكم انتقادكم الوجيز وانكاركم عليَّ صراحة بعض عبارات في الكتاب كنتم تؤثرون ان يشار اليها اشارة خفيفة اذ لا « بد ان يقع الكتاب بين ايدي الجنسين » كما تقولون . وبالتكم اسهبتم في بيان ماهية العبارات المنتقدة لئلا يتوهم قراء الجامعة ان في تلك العبارات ما ينافي الحشمة او يثير عاطفة بحيث لا يليق بالجنس

الطيف ان يطلع عليه الامر الذي تحاشيته كثيرًا · ولعل تلك الفقرة المنتقدة في وجه ١٠٧ لا تحتمل الا الانتقاد الوجيز كانتقادكم · على اني التمس من حضرتكم ان اشير الى صيغة تلك العبارات دفعًا لما يوهمه قولكم : ان « الذي يقرأ مثلاً الصفحة ١٠٧ من هذا الكتاب وغيرها ايضاً يحسب ان المؤلف قد تعمد التصريح الذي اشرنا اليه لجمل كتابه ادعى (لانبساط النفس) كما قال في صدره » ا ه

في تلك الصفحة المشار اليها بيان وجيز عن سن المراة الموافق للزواج بحسب القواعد الطبيعية · وهو بحث لا غنى فيه عن ايراد الالفاظ العلمية التي اصطلح عليها الكتبة في المواضيع الطبية و وردت في كل كتابة في ذلك الموضوع · والاشارة الخفيفة الى ذلك الموضوع لا تفي ببيان الحقيقة العلمية المقصودة والا فما لجأت الى ايراد تلك الالفاظ التي درج عليها الكتاب في كتبهم · ولو كنت احسب ان تلك العبارات محظورة او تكفي الاشارة اليها لما سهوت عن الاشارة ما دام في نيتي ان انزه الكتاب عن كل معنى ينافي الحشمة كما ذكرت في مقدمته · ولا اظن احدًا من قراء تلك الصفحة يحسب اني « تعمدت تصريحًا » بشيءٍ تغني الاشارة عنه بغية « انبساط النفس » او يجد فيها ما يبسط النفس مما ينكره ادبها فلا ادري كيف تحسبون حضرتكم هذا الحساب

اما ما ورد في صدر الكتاب من قولي « يبسط النفس ويدهش الخلق » فلم اعنِ به ان في الكتاب من العبارات العشقية والاقوال الغرامية ما يلذ للجهال المتطوحين في العشق والغرام بل اعني ان التحليل عن عواطف الحب ومتعلقاته يلذ لكل انسان لانه قلَّ من لا يناجي نفسه بمثل هذه العاطفة التي يشعر بها في كل ادوار حياته واطواره · وما من احد الاَّ يرتاح الى معرفة اسبابها ومسبباتها وكل احوالها

ولولا مبالغتي في ان اتحاشى ذكر ما يسوق ذكره الى سوء المظنة لما اضطررت ان اغفل كثيرًا من مستلزمات هذا البحث مما يقع بين الناس كل حين و يدعو موضوع الكتاب الى البحث فيه · على اني اكرر ثنائي على حضرتكم في كل حال

بيروت ﴿ نقولا حداد ﴾

نقول · لما قرأنا هذا الكتاب تحققنا ان حضرة مؤلف « الحب والزواج » — ولا حاجة الى التاليف بينهما لانهما متآلفان كما يظهر من كل كلمة وكل حرف في كتابه — لم يكتف بالاعلان الذي نشرته الجامعة عن هذا الكتاب بل رام زيادة الاعلان عنه فكتب الينا في هذا الموضوع · وانما تحققنا ذلك لاننا راينا في كتابه المواضع والكلمات

والاشارات المقصودة التي كان يجب حذفها ظاهرة لا تحتاج الى برهان . ولولا خوفنا من الوقوع في ما وقع فيه جناب الكاتب لذكرنا تلك المواضع التي لا محل لها في كتاب ادبي قد يقرأه الجنسان ولا سيما العذراء في خدرها . فنكتفي اذًا برده اليها في كتابه . فليراجع مثلاً في الصفحة ٧ السطر ٢ و٣ و٨ وفي الصفحة ٩ في كلامه عن الجمال السطر ٧ وفي الصفحة ١١ السطر ١٥ وفي الصفحة ٥٠ تعريفه الغاية في السطر ١٧ تعريفاً كان يجب ان يتحاشاه ولا سيما قوله « بأقصى معناه » لان الناس في غنى عن درس هذه الامور في الكتب ومن الواجب ان تكون هذه الكتب حمىً للفضيلة لفظاً ومعنى . وكذلك في الصفحة ٥٩ من السطر ١٢ الى السطر ١٨ . اما ما جاء في الصفحة ٦٧ السطر ١٧ فهو سمٌّ زعاف . وكذلك ما جاء في الصفحة ٧٩ السطر ٩ . ومما تحمر له الوجنات الطاهرة ما جاء في الصفحة ١٠٥ من السطر ١٢ الى السطر ٢٠ الذي هو نهاية في الغرابة . فان المؤلف وجه به نصيحة الى الشبان كالنصيحة التي يوجهها رجل لرفيقه وهما سائران في بستان لغيرهما . فانه يقول له لا تأكل كثيراً من ثمار هذا البستان لانها تضر معدتك فيدلُّ بذلك على ان سبب الامتناع ضرر الممتنع لا تحريم الثمر عليه لانه ليس ملكاً له . واذا كنا نبني بناء الفضيلة في العالم على نفع الانسان وعلى ضرره بصرف النظر عن الحق البشري والنظام الاجتماعي والادب العام والمبادئ فان هذا البناء واهٍ واهن يسقط عند اول ريح تهب في نفس الانسان ومتى سقط هذا البناء ظهرت الرذيلة بشناعتها المعروفة وشردت الانسانية من الانسان فلا تبقى له غير الحيوانية

اما الصفحة ١٠٧ التي حاول جناب المؤلف تبرءتها ففيها السطور ٣ و٤ و٥ تعلم كثيرين ما لا يعلمونه . ومن الغريب ان المؤلف لم ينظرها واذا اعترض بقوله انه نظرها ولكنه لا يرى فيها شيئاً يستحق اللوم عليه تغير هنا وجه البحث ولم يبقَ للذين يغارون على الادب العام غير السكوت

﴿ المنارة ﴾

انشأت الجمعية الخيرية المارونية في سان باولو في البرازيل جريدة اسبوعية ادبية اخبارية عنوانها « المنارة » وجعلت قيمة اشتراكها ٢٠٠ غرش تُنفق في سبيل الخير . فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو ان تخدم طائفتها الكريمة خدمة نافعة

﴿ انيبال ﴾

لجناب خليل افندي خياط

هي رواية تاريخية ادبية وضعها جناب خليل افندي خياط واهداها الى صاحب السعادة خليل باشا خياط • ومدار الرواية على حروب قرطجنة والرومانيين ومقاومة القائد حنيبعل لهم وهو « ابن هملقار الملقب بالقائد الذي لا يُغلب وكانت ولادته سنة ٢٤٩ قبل المسيح في مدينة قرطجنة » والرواية مطبوعة في مطبعة جريدة مرآة الغرب الغراء في نيويورك طبعاً متقناً على ورق جيد وهي تطلب من ادارتها • وفيها كثير من الفوائد التاريخية والدمائث الادبية لا سيما ما كان منها مختصاً بالسوريين • وحبذا لو كان جناب المؤلف عدل عن تسميته « الرومانيين » بالروم لان مؤرخي العرب يطلقون هذا الاسم بالاكثر على اليونانيين

﴿ سحر البيان ﴾

ديوان من نظم جناب رشيد افندي مصوبع

نشر جناب رشيد افندي حنا مصوبع اللبناني باكورة نظمه في ديوان دعاه (سحر البيان) واودعه كثيراً من الغزل والوصف والادبيات والرثاء • ومن الرثاء قوله في فقيد الصحافة المصرية المرحوم نقلا باشا

قف ودع الاهرام منك بنظرة	فهي الاحق بان تكون ثكولا
ان كان وادي النيل شق جيوبه	حزناً عليك فقد خدمت النيلا
او كان لبنان عليك تصوحت	ازهاره فلقد نماك اصولا
ابكيت فيه شؤونه وعيونه	وغصونه وحزونه وسهولا
وهواءه الشافي وهذا لو درى	لسرى لبشنيّ من صباك عليلا
فلطالما ذكروك تحت سمائه	فاطبته ذكراً فطاب حمولا
ولطالما اكسبت بر شآمنا	شرفاً رفيعاً باسقاً واثيلا
اعميد سوريا ومصر اقول ذا	وانا جريءٌ لا اخاف عذولا
انا نشيع ظاعنين قلوبنا	وعيوننا وبشارة المثكولا

وقد قلنا ان هذا الديوان باكورة نظم الناظم وذلك مما يجعل للشعر املاً فيه فنثني على اجتهاده ونرجو له زيادة الارتقاء في فنه

وعلى ذكر المرحوم نقلا باشا نقول ان ادارة جريدة الاهرام الغراء قد شرعت في جمع مراثيه وستصدرها قريباً فمن قال في المرحوم نقلا باشاشيئاً نظماً او نثراً فله ان يبعث به اليها

باب تدبير الصحة

اننام والنوافذ مقفلة

﴿ ام مفتوحة ﴾

اختلف الاطباء في هذه المسالة . فبعضهم يوصي بفتح نوافذ غرفة النوم في اثناء النوم لتجديد هواء الغرفة و بعضهم يوصي باقفالها . فكتب احد محرري جريدة الاندبندانس بلج الى بعض علماء الطب والصحيين يسالهم رايهم في ذلك

فاجابه الاستاذ هالوبو « ان بعض الناس يحتملون فتح النافذة في اثناء النوم لان بنيتهم قوية وقد اعتادوا ذلك فلا باس ان يفتحوها . وبعضهم يصاب في صحته اذا فتح نافذته فيجب عليه اقفالها »

واجابه الاستاذ لنسرو « يجب النظر في ذلك الى سن النائم . فالشيخ مثلاً عليه ان يقفل نافذته واما الشاب فعليه ان يفتحها لانه بحاجة الى الهواء النقي ولا سيما اذا كانت غرفته صغيرة »

وقال الاستاذ شوفل « ان فتح النافذة امر حسن ولكن ضوضاء الشوارع في المدن وصغر غرف النوم الذي يحول دون ابعاد السرير عن النافذة يقضيان احياناً باقفالها »

وقال الاستاذ ارمان كوتيه « على النائمين ان يناموا و يتركوا النافذة مفتوحة بعض الشيء ولكن يجب ان يسدلوا الستائر عليها . ومما يجب عليهم ثلاثة امور (١) ان يغطوا اجسادهم جيداً في اثناء النوم لئلا ياخذهم البرد (٢) ان لا تنخفض حرارة هواء الغرفة تحت ٨ درجات (٣) ان لا يفتحوا النافذة الا بعد اطفاء المصباح لانهم اذا فتحوها والنور ساطع في الغرفة تهافت على النافذة كل ما في الخارج من البعوض والحشرات »

وقال الاستاذ هنريوت « في الناس من لا يستطيع النوم اذا كانت النافذة مفتوحة

لان الزكام ينبهم في الحال وانا في جملة هولاء الناس · وفيهم من يتأمون براحة وهدوء فالمسالة اذاً مسالة عادة واحتمال· ولكن مما يجب الانتباه انه ينبغي اما اقفال النافذة كلها او فتحها كلها ومن الضرر فتحها بعض الشيء. كما انه من الضرر احداث مجرى هواء في الغرفة »

وقال الدكتور كومت دي لاكراف في كتاب له « يجب فتح النافذة لان الرئتين في حاجة لغسلها وتطهيرها في كل يوم وكل ساعة ولا يغسلها غير الهواء النقي · ولكن اذا كانت النافذة بجانب طريق مطروقة يثور فيها غبار الشارع او في جوار مستنقع او مزبلة فان فتحها يُدخل جراثيم الفساد الى الغرفة »

وهذا الدكتور كان مصاباً بداء السل وشفي منه فكتب كتاباً عنوانه « الشفاء من السل » جدير بكل من يهتم بهذا الداء ان يقف عليه . وربما لخصنا شيئاً منه

﴿ لا تأكل خبزًا لينًا ﴾

ولا تشرب لبنًا كثيرًا دفعة واحدة

يستحب الناس اكل الخبز اللين (الطري) وبعضهم يبسط عليه السكر مع السمن او الزبدة ويأكله متلذذاً · ولكن الخبز المأكول على هذا الوجه يكون عسر الهضم جداً لانه يتكتل في المعدة كتلاً كتلاً ويعيق الهضم ويحدث ثقلاً فيها وصداعاً في الراس . فعليك اذاً بأكل الخبز بعد جفافه وحسنًا تصنع اذا كنت تعتاد شيّ الخبز على النار قبل اكله وهو ما يسمونه « تحميصه »

وما قيل في الخبز يقال في اللبن (الحليب) فان كثيرين يشربون نصف اقة من اللبن مثلاً او اقة فلا تهضمها معدتهم بسهولة · وسبب ذلك ان اللبن حين امتزاجه بعصارة المعدة يختثر اي « يفرط » كما يفرط اذا اضفت اليه شيئاً من الحامض · فاذا كانت كميته في المعدة كثيرة صعب عليها هضمه بسهولة · فالواجب اذاً ان لا تتناول الحليب الا مرات متوالية وينبغي ان تقيم خمس دقائق في شرب كل فنجان منه

﴿ تجفيف الاحذية في الشتاء ﴾

اذا نهضت في ايام الشتاء ووجدت حذاءك الذي كان مبللاً متقلصاً من الماء وغير جاف فاذا لبسته شعرت ببرد شديد في قدميك · فطريقة تجفيفه ومنع تقلصه ان تملأه

في المساء قبل النوم تبناً وتضغط التبن فيه . ففي الصباح تجد ان التبن امتص ما فيه من الرطوبة والماء ومنعه من التقلص

شؤون نسائية

السيدات والمرآة ومرض جديد

يحلو للسيدات كثيراً ان ينظرن في مرآتهن كلما مررن بجانبها . ولذلك يكون اشد عقاب للمرأة ان تضع بجانبها مرآة وتمنعها من النظر اليها . فما قول السيدات اذا دعا الرجال الى الله ان يعم المرض الذي اكتشفه المسيو سوليير في هذا الشهر . فقد قدم هذا العالم الى الجمعية الطبية البسيكولوجية في باريز رسالة يقول فيها انه يعالج الآن فتى هستيرياً ينظر كل شيء الا انه اذا نظر الى المرآة لم يستطع ان يشاهد صورته فيها بل هو يرى زجاج المرآة كما نرى نحن الزجاج اي شفافاً من جانبيه . فما اشده عقاباً للنساء اذا صار الرجال قادرين على جعلهن كذلك ولو مرة في الاسبوع .

ثمار المائدة

لا يكفي غسل الثمار غسلاً بسيطاً قبل وضعها على المائدة فانه يكون في بعضها كالتفاح والعنب والاجاص بقع سود صغيرة لا يلتفت اليها الغاسل وهذه البقع قد تكون شديدة الخطر لانه ثبت من الفحص البكتريولوجي انها تنشأ عن جراثيم فطرية تضر المعدة ضرراً بليغاً . فيجب على ربة البيت ان تهتم بتقشير كل الاثمار

معرفة الزيت المغشوش

لمعرفة الزيت المغشوش طريقة بسيطة وهي ان تصبّ قليلاً منه في صحن وتتركه في الهواء مدة ٢٤ ساعة فاذا وجدت فيه فقاقيع صغيرة او ذرات يمكن اخراجها براس الدبوس فهو مغشوش واذا وجدته صافياً فهو صحيح

ربات البيوت والصحة في الصين

للصينيين طريقة لتطبيب العائلة حديرة بالالتفات . فان لكل عائلة طبيباً وكل طبيب

يقبض من عائلته راتباً شهرياً ما دامت في صحة وسلامة لكن متى مرض احد منها انقطع عن الطبيب هذا الراتب ووجب عليه ان يطبب المريض مجاناً ولذلك يبذل الطبيب كل جهده لشفاء المريض سريعاً ليعود راتبه اليه . فما قول سيدات الشرق بهذه الطريقة . الا يرين حسناً ان يعرضنها على حضرات الاطباء

رائحة الارز في الغرفة

اذا شئت نشر رائحة طيبة في الغرف كرائحة شجر الارز فاغلي ليتراً من الماء وصبي فيه ملعقة صغيرة من روح التربنتينه نقطة نقطة فتنتشر في الغرفة رائحة طيبة كرائحة الارز وهي تنفع المصابين بالمعدة وتوقف نمو الميكروبات

اشهر حوادث الشهر

يسافر الجناب الخديوي الى السودان في ٢٨ الجاري وقد نشرت نظارة الحربية پروغرام سفره . ويسافر في معية سموه مندوب من قبل الجرائد المصرية العربية اتفقت الجرائد عليه بعد اختلافها اختلافاً شديداً كان له صدى في جميع القطر . ومما هو حري بالذكر ان لجنة الصحافة اخرجت المجلات العلمية حين شروعها بانتخاب هذا المندوب لغرض غير معلوم فجاء ذلك باشرف للمجلات واصون لكرامتها لانها بقيت في « قصرها العاجي » كما يقول الافرنج تشاهد تلك المناظر بسرور وهدوء في جملة المشاهدين . وقد عزمت الحكومة على الغاء رسوم الدخوليات في بنادر القطر الا الاسكندرية والعاصمة فلا ريب ان هذه حسنة كبرى يشكرها عليها الاهالي .

اما في الخارج فقد احتل الاسطول الفرنسوي جزيرة متلين التي ورد ذكرها في ترجمة سافو في هذا الجزء لخلاف بين الباب العالي وفرنسا بشأن ديون ومشاكل ثم رحل الاسطول عن الجزيرة بعد نيل فرنسا مطلوبها . وقد هاج الالمانيون لخطبة القاها المستر تشمبرلن في ادنبورج وقال فيها ان الالمانيين ارتكبوا المنكرات في حربهم مع فرنسا فانتقص المستر تشمبرلن في كتاب كتبه اهمية هذا الكلام فبقي الالمانيون في سخطهم . واما الخطبة التي القاها اللورد سالسبوري بشان حرب الترنسفال فيؤخذ منها ان تقدم الجيش الانكليزي بطيء ولكنه يتقدم وانه لا بد من اخضاع الجمهوريتين لازالة الخطر من احدى زوايا

الامبراطورية البريطانية

واما اعدام كزولكوز قاتل المستر ماكنلي فقد نشرنا صورته في هذا الفصل فان الكرسي الكهربائي الذي جلس عليه متصل من اعلاه ومن سفليه بسلكين كهربائيين يدفعان الكهربائية الى جسمه بقوة هائلة وهو مربوط بالكرسي من راسه ويديه كما ترى في الرسم فيندفع الجسم بتلك القوة حتى يكاد تتزق او يقطع رباطاته · وبعد ثماني ثوان يقطع المجرى الكهربائي عنه ثم يعاد اليه مره ثانية وربما اعيد اليه مره ثالثة فيصبح جسم الجاني مكربنا كانه محرق بالنار



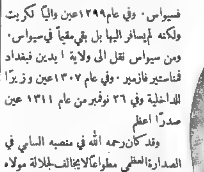
﴿ كرسي الكهربائية ﴾
الذي اعدم عليه قاتل ماكنلي

الصدر الاعظم

خليل رفعت باشا

توفي المرحوم خليل رفعت باشا الصدر الاعظم في ٢٧ اكتوبر الماضي فكان لنعاه دوي اسف لا دوي اهتمام لمعرفة الناس ان سفينة الدولة تجري به وبدونه · وقد كان رحمه الله مذكورًا بدماثة الاخلاق ولين العريكة وشدة الوطاة على قطاع الطرق فانه طهر ولاية مناستير منهم لما كان واليًا عليها

وقد ولد في قرية ليفه من ولاية سيروز في عام ١٢٤٤ (هجرية) من اب يدعى ابرهيم اغا· ثم هاجرت عائلته الى سيروز فاستخدم في عام ١٢٦٠ في قلم التحريرات براتب قدره ٥٠ غرشًا في الشهر · ثم اخذ يرتقي في دوائر الحكومة وينتقل من ولاية الى ولاية فاستخدم في سلانيك ودين ويانيه وادرنه ومعمورة العزيز وارضروم وسلستره · وقد كان في سلستره كاتب ديوان براتب قدره الف غرش وذلك في عام ١٢٧٧ (ه) وفي عام ١٢٨٤ عين متصرفًا لوارنه براتب قدره ١٢ الف غرش في الشهر ثم نقل الى متصرفية ترخاله ثم الى دين وفي عام ١٢٩٢ عين واليًا للطونه ونقل بعد ذلك الى ولاية قوصوه فسلانيك



فسيواس · وفي عام ١٢٩٩ عين والياً لكريت ولكنه لم يسافر اليها بل بقي مقيماً في سيواس · ومن سيواس نقل الى ولاية ايدين فبغداد فمناستير فازمير · وفي عام ١٣٠٧ عين وزيرًا للداخلية وفي ٢٦ نوفبر من عام ١٣١١ عين صدرًا اعظم

وقد كان رحمه الله في منصبه السامي في الصدارة العظمى مطواعاً لا يخالف لجلالة مولاه امرًا · ولذلك قال له جلالة السلطان في ذات يوم « انك ستموت في الصدارة » · ولم يكدر صفوه سوى امر واحد وهو مقتل نجله جاويد بك الذي كان يحبه حباً شديدًا · ولعل هذه المصيبة هي التي زهدته في الحياة في آخر عمره وزعزعت صحته فقربت اجله



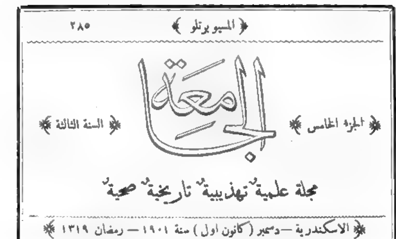
﴿ خليل رفعت باشا ﴾
الصدر الاعظم

وقد احتفل بالاستانة بنقل جثة الفقيد الى جامع ابي ايوب الانصاري احتفالاً كبيرًا ودفن فيه بما هو اهله من الاجلال · تغمده الله برحمته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء ·

وقد صدرت ارادة جلالة السلطان بعد وفاته باسناد مسند الصدارة العظمى الى دولتلو سعيد باشا المشهور بحزمه وعزمه فعسى ان يجعل دولته منصبه العظيم في مكانه من الاهمية فان المناصب بالرجال كما ان الرجال بالاعمال ·



﴿ نجل رفعت باشا جاويد بك المقتول ﴾



الجامعة

﴿ الجزء الخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠١ — رمضان ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

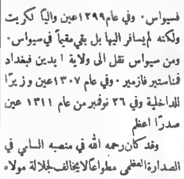
المجد للعلماء فانهم خالدون

﴿ المسيو (برتلو) اشهر علماء الكيمياء اليوم ﴾

(واحتفال الجمهورية الفرنسوية في هذا الشهر بيوبيله الذهبي)

لما كنا في المدرسة كان رئيسها واساتذتها الافاضل يوزعون على التلامذة في ختام السنة المدرسية جوائز من الكتب مصدرة بشهادة عليها هذه الكلمات « خير لي ان اكون عالماً فقيراً من ان اكون جاهلاً غنياً » فكان التلامذة الذين خُلقوا من فطرتهم « ماديين» ونريد بهم الذين يفضلون المادة الذهبية والفضية على كل شيء يقولون ضاحكين : ان هذه العبارة تعزية للعلم فقط

وبينما كنا نفكر في جعل هذا التذكار تمهيداً للمقالة التالية لنستخلص منه نتيجة تنفي قول رفاقنا « الماديين » واذ زارنا بعض من حضرات القراء والاصدقاء في الثغر واخذوا يتكلمون عن لذة العلم وتفضيلها عند من يعرف قيمتها على كل لذة . فقال احدهم ما معناه : سأل احد الملوك عالماً مكباً على مطالعة كتاب في يده ما لذتك في هذه القراءة التي تحصر



فسيواس. وفي عام ١٢٩٩ عين والياً لكريت ولكنه لم يسافر اليها بل بقي مقيماً في سيواس. ومن سيواس نقل الى ولاية ايدين فبغداد فمناستير فازمير. وفي عام ١٣٠٧ عين وزيرًا للداخلية وفي ٢٦ نوفمبر من عام ١٣١١ عين صدرًا اعظم

وقد كان رحمه الله في منصبه السامي في الصدارة العظمى مطواعاً لا يخالف لجلالة مولاه امرًا. ولذلك قال له جلالة السلطان في ذات يوم «انك ستموت في الصدارة». ولم يكدر صفوه سوى امر واحد وهو مقتل نجله جاويد بك الذي كان يحبه حباً شديداً. ولعل هذه المصيبة هي التي زهدته في الحياة في آخر عمره وزعزعت صحته فقربت اجله



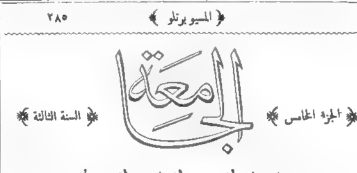
﴿ خليل رفعت باشا ﴾
الصدر الاعظم

وقد احتفل بالاستانة بنقل جثة الفقيد الى جامع ابي ايوب الانصاري احتفالاً كبيرًا ودفن فيه بما هو اهله من الاجلال. تغمده الله برحمته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء.

وقد صدرت ارادة جلالة السلطان بعد وفاته باسناد مسند الصدارة العظمى الى دولتلو سعيد باشا المشهور بحزمه وعزمه فعسى ان يجعل دولته منصبه العظيم في مكانه من الاهمية فان المناصب بالرجال كما ان الرجال بالاعمال.



﴿ نجل رفعت باشا جاويد بك المقتول ﴾



﴿ الجزء الخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠١ — رمضان ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

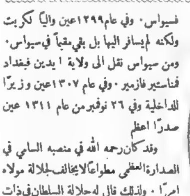
المجد للعلماء فانهم خالدون

﴿ المسيو (برتلو) اشهر علماء الكيمياء اليوم ﴾

(واحتفال الجمهورية الفرنسوية في هذا الشهر بيوبيله الذهبي)

لما كنا في المدرسة كان رئيسها واساتذتها الافاضل يوزعون على التلامذة في ختام السنة المدرسية جوائز من الكتب مصدرة بشهادة عليها هذه الكلمات « خير لي ان اكون عالمًا فقيرًا من ان اكون جاهلاً غنيًا » فكان التلامذة الذين خُلقوا من فطرتهم « ماديين» ونريد بهم الذين يفضلون المادة الذهبية والفضية على كل شيء يقولون ضاحكين : ان هذه العبارة تعزية للعلم فقط

وبينما كنا نفكر في جعل هذا التذكار تمهيدًا للمقالة التالية لنستخلص منه نتيجة تنفي قول رفاقنا « الماديين » واذ زارنا بعض من حضرات القراء والاصدقاء في الثغر واخذوا يتكلمون عن لذة العلم وتفضيلها عند من يعرف قيمتها على كل لذة . فقال احدهم ما معناه : سأل احد الملوك عالمًا مكبًا على مطالعة كتاب في يده ما لذتك في هذه القراءة التي تحصر



فسيواس . وفي عام ١٢٩٩ عين والياً لكربت ولكنه لم يسافر اليها بل بقي مقيماً في سيواس . ومن سيواس نقل الى ولاية ايدين فبغداد فمناستير فازمير . وفي عام ١٣٠٧ عين وزيرًا للداخلية وفي ٢٦ نوفمبر من عام ١٣١١ عين صدرًا اعظم

وقد كان رحمه الله في منصبه السامي في الصدارة العظمى مطواعاً لا يخالف لجلالة مولاه امرًا . ولذلك قال له جلالة السلطان في ذات يوم « انك ستموت في الصدارة » . ولم يكدر صفوه سوى امر واحد وهو مقتل نجله جاويد بك الذي كان يحبه حباً شديدًا . ولعل هذه المصيبة هي التي زهدته في الحياة في آخر عمره وزعزعت صحته فقربت اجله



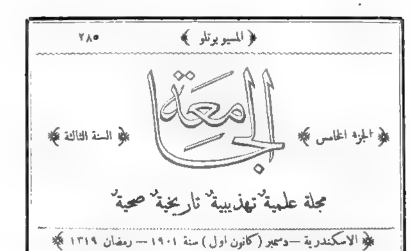
﴿ خليل رفعت باشا ﴾
الصدر الاعظم

وقد احتفل بالاستانة بنقل جثة الفقيد الى جامع ابي ايوب الانصاري احتفالاً كبيرًا ودفن فيه بما هو اهله من الاجلال . تغمده الله برحمته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء .

وقد صدرت ارادة جلالة السلطان بعد وفاته باسناد مسند الصدارة العظمى الى دولتلو سعيد باشا المشهور بحزمه وعزمه فعسى ان يحمل دولته منصبه العظيم في مكانه من الاهمية فان المناصب بالرجال كما ان الرجال بالاعمال .



﴿ نجل رفعت باشا جاويد بك المقتول ﴾



﴿ الجزء الخامس ﴾ الجامعة ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠١ — رمضان ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

المجد للعلماء فانهم خالدون

﴿ المسيو (برتلو) اشهر علماء الكيمياء اليوم ﴾

(واحتفال الجمهورية الفرنسوية في هذا الشهر بيوبيله الذهبي)

لما كنا في المدرسة كان رئيسها واساتذتها الافاضل يوزعون على التلامذة في ختام السنة المدرسية جوائز من الكتب مصدرة بشهادة عليها هذه الكلمات « خير لي ان اكون عالمًا فقيرًا من ان اكون جاهلاً غنيًا » فكان التلامذة الذين خُلقوا من فطرتهم « ماديين» ونريد بهم الذين يفضلون المادة الذهبية والفضية على كل شيء يقولون ضاحكين : ان هذه العبارة تعزية للعلم فقط

وبينما كنا نفكر في جعل هذا التذكار تمهيدًا للمقالة التالية لنستخلص منه نتيجة تنفي قول رفاقنا « الماديين » واذ زارنا بعض من حضرات القراء والاصدقاء في الثغر واخذوا يتكلمون عن لذة العلم وتفضيلها عند من يعرف قيمتها على كل لذة . فقال احدهم ما معناه : سأل احد الملوك عالمًا مكبًا على مطالعة كتاب في يده ما لذتك في هذه القراءة التي تحصر

فسيواس . وفي عام١٢٩٩اعين والياً لكريت ولكنه لم يسافر اليها بل بقي مقيماً في سيواس . ومن سيواس نقل الى ولاية ايدين فبغداد فمناستير فازمير . وفي عام ١٣٠٧اعين وزيراً للداخلية وفي ٢٦ نوفمبر من عام ١٣١١ عين صدراً اعظم

وقد كان رحمه الله في منصبه السامي في الصدارة العظمى مطواعاً لا يخالف لجلالة مولاه امراً . ولذلك قال له جلالة السلطان في ذات يوم « انك ستموت في الصدارة » . ولم يكدر صفوه سوى امر واحد وهو مقتل نجله جاويد بك الذي كان يحبه حباً شديداً . ولعل هذه المصيبة هي التي زهدته في الحياة في آخر عمره وزعزعت صحته فقربت اجله



﴿ خليل رفعت باشا ﴾
الصدر الاعظم

وقد احتفل بالاستانة بنقل جثة الفقيد الى جامع ابي ايوب الانصاري احتفالاً كبيراً ودفن فيه بما هو اهله من الاجلال . تغمده الله برحمته والهم اسرته الكريمة جميل العزاء .

وقد صدرت ارادة جلالة السلطان بعد وفاته باسناد مسند الصدارة العظمى الى دولتلو سعيد باشا المشهور بحزمه وعزمه فعسى ان يجعل دولته منصبه المعظم في مكانه من الاهمية فان المناصب بالرجال كما ان الرجال بالاعمال .



﴿ نجل رفعت باشا جاويد بك المقتول ﴾



﴿ الجزء الخامس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون اول) سنة ١٩٠١ — رمضان ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

المجد للعلماء فانهم خالدون

﴿ المسيو (برتلو) اشهر علماء الكيمياء اليوم ﴾

(واحتفال الجمهورية الفرنسوية في هذا الشهر بيوبيله الذهبي)

لما كنا في المدرسة كان رئيسها واساتذتها الافاضل يوزعون على التلامذة في ختام السنة المدرسية جوائز من الكتب مصدرة بشهادة عليها هذه الكلمات " خير لي ان اكون عالمًا فقيرًا من ان اكون جاهلاً غنيًا " فكان التلامذة الذين خلقوا من فطرتهم ... وتزيد بهم الذين يفضلون لذة الصحة والغنية على كل شيء يقولون ضاحكين : ان هذه العبارة تعزية للعلم فقط

وبينما كنا نفكر في جمل هذه التذكارات تعيدنا حقيقة ثابتة تستخلص منه نتيجة تنفي قول رفاقنا المذكورين ، وذلك ان بعض من حضرات القراء والاصدقاء في [illegible] يتكلمون عن ثمرة العلم وتقصيتها عند من يعرف قيمتها على كل [illegible] سأل احد [illegible] عن مكة [illegible] كتب في [illegible] في هذه [illegible]

بها نفسك وتضيق صدرك . فاجاب العالم : هذه لذة لو عرفتموها ايها الملوك لحاربتمونا بسيوفكم لتاخذوها منا

فقلنا حين سماعنا هذا القول الجميل حقاً ان هذا المثل جدير بان يكون تتمة لذلك التذكار في صدر هذه المقالة

ولكن ما هو العلم الذي لو عرف لذته الملوك لهاجموا العلماء بسيوفهم لياخذوا منهم عقولهم توصلاً الى لذته . هل هو ان يدرس الشاب سنتين او ثلاثاً في مدارسنا الشرقية ثم يخرج منها ودماغه محشو بقواعد الصرف والنحو والشعر والسجع البارد الذي « نبت في المهد . وصار في كل يد » كما قال الهمذاني . ام ان يصرف عشرين عاماً في الكتابة ثم يضطر الى القاء القلم من يده لانه عجز عن ان يُنشئ به لنفسه مركزاً خاصاً يخدم به ابناء جنسه بشرف واجتهاد من غير ان يخفض من دعواه الفارغة وكبريائه المضحكة . ام ان يترجم القصص والروايات او ياخذ في الكتابة في الجرائد مع جهله مبادىء العلوم الاولية واصول المواضيع التي يعبث بها قلمه . ام ان يلجأ الى التزويق والتمييق والتمليق استمالة لبسطاء القراء متوقعاً رضاهم عنه من نظافة طبع كلامه وجمال صوره من غير ان يهتم بنصرة المبادىء وتقرير الحقائق . كلا ان هذه كلها تجارة وصناعة لا علم وادب . واصحابها لا يقصدون بها طلب العلم لذاته ولكن ربح المال . ولذلك لا يجوز لك ان تعتب على العلم اذا رايته منحطاً في الشرق ولا ان تعجب اذا قيل لك انه قد مرّ عليه في بلادنا نصف قرن وهو لا يزال في دور الطفولية

خمسون سنة مضت على العلم في بلادنا وهو لا يزال في دور الطفولية مع ان عالماً واحداً في اوربا قلب علم الكيمياء في ٥٠ سنة وفتح للعالم ابواباً جديدة . وهذا العالم هو المسيو مارسلين برتلو اشهر علماء الكيمياء في هذا الزمان الذي احتفلت الجمهورية الفرنسوية في ٢٤ نوفمبر الماضي بيوبيله الذهبي تذكاراً لانقضاء ٥٠ سنة عليه وهو يخدم وطنه وبني جنسه انفع خدمة . فلم نرَ في هذا الشهر موضوعاً لتصدير الجامعة به احق من ترجمة هذا الرجل العظيم وذكر الاحتفال الكبير الذي اقيم له في يوم يوبيله لنري الشرقيين ولاسيما المشتغلين بالعلم منهم صورة العالم الحقيقي فضلا عما في ترجمته من الوقوف على اكتشافاته الكيماوية العظيمة التي غيرت علم الكيمياء وما في افكاره وآرائه الفلسفية من الفائدة . فنقول

***

﴿ ترجمته ﴾ ولد المسيو برتلو في باريز في ١٣ فبراير من عام ١٨١٤ . فعمره اليوم

٧٧ عاماً . وقد كان ابوه طبيباً في باريز فتلقى برتلو الصغير دروسه في مدرسة هنري الرابع فيها وظهرت نباهته منذ صغره . وفي عام ١٨٤٦ نال جائزة الشرف في الفلسفة ثم ترك المدرسة واخذ يدرس لنفسه . وفي عام ١٨٥٤ نال رتبة دكتور في العلوم بعد الامتحان . وكان يومئذ مساعداً للاستاذ بالارد في تعليم الكيمياء في مدرسة كوليج دي فرانس . فيظهر من ذلك ان ارتقاءه كان باعتماده على نفسه لا على المدرسة

وظهر اول تأليف لبرتلو في الكيمياء في عام ١٨٥٠ . وقد حدث عن نفسه بالامس فقال . انه كان في ذلك الزمان يتناول كل ما يُنشر في العام من الاسفار الكيماوية و يطالعها بامعان ويحللها لنفسه تحليلاً كيماوياً مع انَّ عددها كان يتجاوز احياناً ٣٠٠ سفر. فهذا الدرس المستمر والبحث الدائم مكناه من الوقوف على جميع اصول هذا العلم وفروعه واكسباه شهرة بعيدة بين زملائه فلم تأتِ سنة ١٨٦٣ حتى سأل اساتذة كوليج دي فرانس المسيو ديروي وزير المعارف يومئذ ان ينشئ في هذه المدرسة كرسياً للكيمياء الآلية ليبسط منها الاستاذ برتلو آراءه وافكاره . فاجابهم الوزير الى ذلك ومنذ هذا الحين عُين برتلو استاذاً للكيمياء الآلية في هذه المدرسة ولا يزال في هذه الوظيفة الى اليوم . ومن هذا الكرسي العلمي اطلع الناس في السنوات التالية على الاكتشافات العظيمة التي اكتشفها وسيرد تفصلها

ولما اشتهر برتلو هذا الاشتهار تسابقت اليه الجمعيات العلمية في اوربا وفرنسا فجعله اكثرها عضواً منه اومراسلاً له . ومنحته الحكومة الفرنسوية وسام جوقة الشرف من رتبة كران اوفيسيه فضلاً عن الاوسمة التي جاءته من ملوك اوربا . ولما شبت نار الحرب بين فرنسا وبروسيا وحصر الالمانيون باريز عُين برتلو رئيساً للجنة علمية انشأت للدفاع عن تلك العاصمة فانصرف برتلو يومئذ الى البحث في المتفجرات والمتفرقعات كالبارود والديناميت والنيتروغليسرين وصنع المدافع واتخاذ الارض او ماء النهر موصلاً كهربائياً يغني عن السلك التلغرافي في ارسال الرسائل البرقية من باريز المحصورة الى ما جاورها . ثم عُقد الصلح فعينه الشعب عضواً في مجلس الشيوخ مدة حياته مكافأة له على خدمته النافعة في اثناء الحصار . فالقى في مجلس الشيوخ خطباً بليغة دافع بها عن وجوب جعل مدارس الحكومة مجردة عن الصبغة الدينية وجعل المعلمين فيها من غير رجال الدين لاختلاف عناصر الامة الفرنسوية بين كاثوليك و بروتستنت واسرائيليين وجاحدين وقد قرر مجلس الشيوخ يومئذ هذا الامر ولا يزال معمولاً به الى اليوم . ثم عُين وزيراً للمعارف في عام ١٨٨٦ في وزارة المسيو غوبله

الراديكالي . وقد ساح في اوربا كلها وحضر الاحتفال بفتح ترعة السويس واغتنم هذه الفرصة فزار اكثر مدن القطر المصري . ومنذ بضع سنوات عُين وزيرًا للشؤون الخارجية في فرنسا فضحك الساسة يومئذٍ لهذا الكيماوي الذي جعلوه في يوم واحد سياسيًا . ولكنهم لو كانوا ممن عرفوا برتلو وعلموا باطلاعه على جميع شؤون الحياة حتى الحياة السياسية مع انصرافه الى الكيمياء والعلم الوضعي لتحققوا ان السياسة لا تخسر شيئًا بدخول رجل مثله اليها بل انها تكتسب رزانة العلم وصدقه وعدالة الفلسفة وحكمتها . وهي الامور التي تحتاج السياسة اليها ولا سيما في هذا الزمان

وفي العام الماضي جعلته الاكاذمية الفرنسوية عضوًا من اعضائها خلفًا للعالم المسيو برنارد فالقى المسيو برتلو فيها خطبة شائقة واجابه عنها المسيو جول ليمتر . وربما لخصنا الخطبتين في جزء قادم

وما زال برتلو عاملاً نافعًا تارة في الجمعيات العلمية الذي هو منها وتارة في كرسي التعليم في كوليج دي فرانس وطورًا في مجلس الشيوخ الذي هو عضو منه واحيانًا في رئاسة الجمعيات واللجان الاقتصادية والعلمية حتى حال عليه هذا الحول وبه انقضى نصف قرن على دخوله في الكيمياء فقررت الحكومة الفرنسوية الاحتفال بهذا اليوبيل احتفالاً رسميًا كما تقدم . ولكن قبل ان نأتي على تفصيل هذا الاحتفال لا بدّ من الاشارة الى اكتشافات برتلو المفيدة

***

﴿ اكتشافاته المفيدة ومؤلفاته ﴾ اعظم اكتشافات برتلو اكتشافان الاول « التركيب الكيماوي » والثاني « النمو الكيماوي بواسطة الحرارة » وكل واحد من هذين الاكتشافين قد اغنى الصناع والتجار وادرّ عليهم اخلاف الثروة . ولبيان ذلك نقول

كان للكيمياء قبل برتلو دوران . الدور الاول دور التخرصات والاوهام وهو الدور الذي كان فيه كيماويو المتقدمين يريدون بها تحويل المعادن كالنحاس والرصاص الى ذهب وفضة . وقد اشتغل بذلك كثيرون من باحثي اليونان والرومان والعرب . وللعرب في ذلك قصص كثيرة وسيرد راي برتلو في هذا الامر . ولكن الباحثين في هذا الموضوع اذا كانوا لم يصلوا اليه فانهم افادوا العلم افادة خالدة بسببه وهو وضعهم فن الكيمياء وتمهيد الطريق لجعل هذا الفن علمًا باصول . فانه بعد ان انقضت الاجيال على علم الكيمياء وهو خرافة وصل الى دوره الثاني وهو التحليل فصارت الكيمياء كما قال فيها لافوازيه ابوها « عبارة عن علم التحليل » وقد اراد بذلك تحليل المواد المركبة الى موادها البسيطة . فاذا

اخذ الكيماوي المواء مثلاً استطاع حله الى اكسيجين ونيتروجين واذا اخذ الماء حلله الى العنصرين اللذين تركب منهما وهما الاوكسيجين والهيدروجين وقس على ذلك باقي المواد الطبيعية . هكذا كانت الكيمياء قبل برتلو . وقد حاول كثيرون ان يتخطوا هذا الحدّ الى التركيب بدلاً من التحليل فما استطاعوا ذلك . وقد قال العالم برزيليوس في عام ١٨٤٨ بهذا الشان ما نصه « ان النواميس التي تجري عليها المواد غير الآلية (١) مخالفة للنواميس التي تجري عليها المواد الآلية فاذا تمكنا من تركيب الاولى فاننا عاجزون عن الثانية . ولذلك لا سبيل لنا الى معرفة طريقة تركيب المواد الآلية » وقال جيرهرت في عام ١٨٥٠ وهو العام الذي ظهر برتلو فيه « ان علماء الكيمياء يصنعون عكس ما تصنعه الطبيعة ولا يقدرون على غير ذلك . فانهم يحللون واما الطبيعة فانها تركب »

فلما جاء برتلو وجد ان التركيب في الكيمياء اعظم مجهولاتها واكبر حاجاتها فصرف فكره اليه . وفي عام ١٨٦٠ اصدر كتاب « التركيب في الكيمياء الآلية » فكان لهذا الكتاب دوي في اوربا واميركا ومنذ هذا الحين انفتح لعلم الكيمياء باب جديد وهو التركيب . فكان به تمامه

وقد تمكن برتلو بالقواعد الكيماوية التي اكتشفها من صنع مواد كثيرة كان بها غنى الصناع والتجار . فانه صنع من مجرد المواد الكيماوية الكحول التي تستخرج من الاثمار والحبوب والبنزين والنفتالين والكربون وغيرها فكانت قوة علمه عبارة عن قوة الطبيعة الحية تُركب المواد الطبيعية كما ركبتها الطبيعة على نسبة واحدة وبخواص كخواصها . والامر العظيم في هذا الاكتشاف ان برتلو لم يحتكر صنع المواد التي اكتشف تركيبها ولم يبع حق صنعها من احدى الشركات بل اطلقها للجميع فرنسويين وغير فرنسويين مع انه لو احتكرها لجاءته بجبال من الذهب . فاكرم بالعلم الذي يكون غرضه النفع العام لا ابتزاز الاموال

واما اكتشافه الثاني وهو « النمو الكيماوي بواسطة تولد الحرارة » فقد ساعده على اتقان التركيب في الكيمياء اذ وسع دائرة هذا التركيب فضلاً عما افاد به وزارة الحربية الفرنسوية من تحسين المتفرقعات والبارود الفرنسوي . وهذا ما دعا الحكومة الى جعله في ذات يوم رئيساً لجنة البارود والمتفرقعات

وللمسيو برتلو ٦٠٠ سفر في الكيمياء تقريباً . وله في التركيب الكيماوي والمواضيع الكيماوية

(١) يعنون بالمواد الآلية المواد التي في تركيبها آلة كالحيوان والنبات ويريدون بالمواد غير الآلية الجماد

الخطيرة كتب يرجع اكابر العلماء اليها

***

﴿ اخلاقه وصفاته ﴾ اما اخلاق برتلو فهي كاخلاق كثيرين من الرجال العظام تنشأ شديدة عنيفة في الصغر ثم تفضي الى الهدوء والبساطة التامة في الكبر. وقد قاسى برتلو عناء شديداً في صغره من حدة طبعه واستقلال فكره وغرابة آرائه. اما اليوم فقد صار شيخاً مهيباً بسيطاً في جميع حركاته وسكناته. وهم يسمونه اليوم «انبه رجال فرنسا واكثرهم بساطة» انظر اليه حين مسيره الى معمله تره في الشارع ماشياً ببساطة كباقي الناس وهو سريع الخطى مع شيخوخته وملابسه من ابسط الملابس. ولكنه يمشي وكتفه اليمنى اعلى من كتفه اليسرى لتعوّد يمناه رفع قوابل الكيمياء الى موازاة عينيه لفحصها ومراقبتها. واذا كان سائراً على هذا الوجه ولمح صديقاً له من بعيد ساءه هذا الاتفاق لان محادثة الصديق تقطع مجرى افكاره. ذلك ان دماغ برتلو لا يستريح ابداً بل هو كالقدر المنصوبة فوق النار يغلي دائماً في الليل والنهار في سيره وفي وقوفه في معمله وفي خارج معمله ولولا ذلك لما تسنى له ولغيره من اصحاب الاعمال الكبيرة ان يقوموا بشؤون اعمالهم العديدة. وكثيراً ما ينام برتلو نوماً متقطعاً لاشتغال دماغه بمسألة هامة فينتبه من النوم بالرغم عنه ويقوم الى مائدته لحل هذه المسألة

ولبرتلو عدة اولاد واحفاد. وهو يحب احفاده (اولاد اولاده) حباً شديداً وقلما تخلو جيوبه من الحلويات المصنوعة للاولاد ليقدمها لهم. ولكن هذا الرجل الممتلئ الدماغ بالافكار والمسائل العلمية لا يترجم حبه للاولاد بهتاف او بتقبيل او ملاعبة لان معيشة الانفراد والاشتغال العلمي المستمر لا يعدان الانسان لذلك

و برتلو مشهور بثبات الجاش وقد عرض حياته للخطر في كثير من الامتحانات العلمية. يروى انه كان في ذات يوم يجرب في احد المدافع مادة من المتفرقعات وهو واقف وراء المدفع مع ضابط فرنسوي وكل واحد منهما ينظر الى تلك المادة من ثقب في ظهر المدفع. فبعد حين انفجرت المادة وجرى منها لسان الى الثقب الذي كان الضابط ينظر منه فمات الضابط في الحال. وفي ذات يوم قدم برتلو الى كوليج دي فرانس ليلقي فيها الدرس الاعتيادي فوجد ان ضابطاً روسياً قد عبث بكمية من البارود فتركها تحمى الى درجة توجب انفجارها فبادر برتلو في الحال الى تبريدها ولولا ذلك لنسفت المدرسة نسفاً. وفي مرة اخرى اشتعلت زجاجة من الاثير السولفيريكي بجانب وعاء كبير مملوء من الاثير ففرّ جميع الحاضرين

خوفاً من الانفجار اما برتلو فدنا من الوعاء الكبير بجاش رابط وحمله بين يديه وخرج بـه الى غرفة اخرى

***

﴿ آراؤه الفلسفية وقوله في الدين والفلسفة ﴾ وقد اشتغل برتلو بالفلسفة فوق اشتغاله بالكيمياء وله كتابات في ذلك الموضوع . منها « كتاب الى المسيو رنان » يجدر ان يكون مثالاً لجميع الفلاسفة الالهيين والماديين . وقد بسط برتلو في هذا الكتاب خلاصة فلسفته . و يؤخذ منها انه يعتقد بان اصل المادة في الارض واحدة فان اكتشفاته اثبتت ان المادة غير الآلية مشبهة في تركيبها وحقيقتها ونواميسها للمادة الآلية وانه ما من فرق بين المادة الحية والمادة الجامدة في الكيمياء قطعياً . واذا كان ذلك امراً ثابتاً فاصل المادة واحد وهو المادة . اما كيف دبت الحرارة والحياة في هذه المادة فهو امر مجهول ولا سبيل الآن الى الوصول اليه

وليس هذا بالامر الذي ذكرنا استحسانه آنفاً فان هذا الراي راي الماديين من قديم ولا جديد فيه سوى اثبات برتلو باكتشفاته الكياوية اشتراك المادة الآلية وغير الآلية ورجوعهما الى اصل واحد ولم يكن هذا الامر ثابتاً قبله . الا ان اصحاب الكتب لا ينكرون هذا الامر لان كتبهم تدلّ على ان الانسان لم يُخلق الا من تراب الارض . ولكن الراي الخطير الذي رآه برتلو هو هذا : ان العلم الوضعي يبني قصوره تارة على اساس المشاهدة والتجربـة والحس وطوراً على اساس القياس والافتراض . ومتى بنى علماؤه على الاساس الاول كان لهم ان يجزموا بصحة علمهم ولكنهم متى بنوا على الاثاث الثاني وجب ان لا يقطعوا فيه

اما علماء ما وراء الطبيعة فانهم يبنون تعاليمهم على اراء اوقيسة ومبادىء عقلية و يقطعون بصحتها دون ان يقبلوا رداً عليها فهم في ذلك مخطئون . ولكن هل خطأهم دليل على ان القواعد العديدة التي يضعونها والمذاهب الفلسفيـة الكثيرة التي ينشئونهـا فاسدة لا يجب الالتفات اليها . كلا . لان العقل البشري اذا لم يشتغل بهذه المواضيع السامية فباي شيء يشتغل . فلا باس ان يتوسع اصحاب هذه المذاهب الفلسفية بمذاهبهم و يؤكدوا صحتهـا و يثبتوا حقيقتها ولكن على شرط ان لا يتخذوها ذريعة الى نفي العلم ومقاومته ولا يدّعوا تعيين سبيله بها و بقواعدها

ومعنى ذلك بالايضاح ان العلم والدين حاجتان من حاجات البشر فيجب ان يعيشا جميع

الى جنب باتفاق وتساهل . ولكل فريق من علمائها ان يبني المذاهب التي يراها و يعتقدها صحيحة دون تعرض لمذهب صاحبه . وهذا القول خاص ببرتلو دون سواه من فلاسفة العلم الوضعي لان هؤلاء لا يقبلون قولاً عما وراء الطبيعة قطعياً ولا يسلمون الا بما هو ضمن الطبيعة من القضايا التي تُدرك بالحس وتُرى بالمشاهدة . فبرتلو اذاً اكثر تساهلاً منهم جميعاً . ولذلك قال له جول ليمترما قال حين استقباله في الاكاذيمية الفرنسوية في العام الماضي كما سيجيء في مقالة ثانية

***

﴿ رأيه في مستقبل العلم والعالم والبشر ﴾ وفي ليلة الاحتفال بيوبيل برتلو ذهب مخبرو الجرائد الباريزية لمحادثته فدار بينه و بين احدهم حديث في غاية الاهمية عن مستقبل العلم والعالم ومصير البشر . وقد سأله محادثه اولاً : هل تروم ايها المعلم ان تعود الآن شاباً وتعيد حياتك مرة ثانية . فابتسم المسيو برتلو واجاب كلا لا اريد ذلك لان للحياة آلاماً جسدية وادبية كثيرة فضلاً عن ان جميع الاصدقاء الذين كانوا يعرفون اخلاقي « و يفهمون » نفسي قد ماتوا جميعاً . قال الكاتب : ثم اخذ برتلو يتكلم عن الحياة ومستقبل العلم والعالم متدفقاً تدفق السيل . وكنت انظر الى دماغه وهو يتكلم فيخيل لي انني ارى معملاً كيماوياً تُعد فيه الافكار السامية والآراء الصائبة . فصرت آسف حينئذ لانه متى وقف دولاب هذا المعمل وتفرق قفير النحل الذي فيه لم نجد لدينا احداً يرث عظمته وعلمه

اما ما كان يقوله حينئذ برتلو فهذه خلاصته

لما نشرت اول سفر كيماوي في عام ١٨٥٠ كان عدد الاسفار الكيماوية التي تُنشر في كل عام ٣٠٠ سفر . فكنت اطالعها كلها واحللها تحليلاً . اما اليوم فيبلغ عدد هذه الاسفار الف سفر في العام فضلاً عن الجرائد والمجلات الكيماوية التي يبلغ عددها ١٠٣ . وما عدا هذا فقد كان التاليف في الكيمياء في الزمن الماضي محصوراً على اللغة الفرنسوية والانكليزية والالمانية والايطالية . فكان العالم يكتفي بدرس هذه اللغات الاربع للوقوف على جميع اعمال العلماء . اما اليوم فان علماء الروس يكتبون بالروسية وعلماء هولانده بالهولاندية وعلماء نروج بالنروجية وهلم جراً . فصار من المستحيل على العالم الكيماوي ان يقف على مجرى هذا العلم وعلى جميع اعمال رصفائه . وربما كنتُ انا آخر ذلك النسل الكيماوي القديم الذي استطاع في حياته الوقوف على جميع الاعمال الكيماوية في زمانه

وما قلته عن الكيمياء اقوله في باقي فروع العلم كالطبيعيات والطب والتاريخ وما اشبه .

وحسبي ان اقول لك انه يردني من مجلات الطب فقط ثلاث مجلات في كل يوم · ولا ريب ان عدد العاملين في العلم سيزيد في المستقبل باقبال ابناء الاجيال الآتية · وبناء عليه يصير كل عالم عاجزًا عن الوقوف على اعمال جميع رصفائه في فنه فيصبح والحالة هذه عاجزًا عن تقديم علمه وترقيته لان الترقية والاكتشاف والاختراع تستلزم وقوف العالم على جميع ما يجري في الفن الذي يشتغل به · فغير بعيد ان يُصاب العلم في المستقبل بالوقوف عند حد محدود للسبب الذي تقدم ·

وما قلته في التقدم العلمي اقوله في التقدم المادي

فانه لما كان داب الشعوب الصيد والقنص كانت معيشتها تستوجب وجود اراضي واسعة · ولما صار دابها الزراعة صارت تكتفي باراضي اقل اتساعاً · اما اليوم فقد صار كل شعب قادراً على المعيشة في اية ارض كانت وان كانت ضيقة لان اصول الزراعة الحديثة ولا سيما اصول الاستنبات الصناعي تمكنه من استخراج غذائه منها كيف كانت الحال · ولكن الانسان متى قدر في المستقبل على استخدام قوات الشلالات ومجاري المياه واكتشف طرق استخدام المد والجزر وحرارة الشمس والارض واستبدل الحيوانات والنباتات التي يتخذها غذاء بغذاء صناعي كيماوي فانه يصل حينئذٍ الى قمة الارتقاء فيتكاثر وينمو في الارض حتى تصير الارض ضيقة دونه · فيقف تقدمه بالرغم عنه

فساله الكاتب · وهل يجب ان نعتقد بامكان الغذاء الصناعي في المستقبل · فاجاب برتلو لا ريب في ذلك ابدًا · فانني ارى منذ الآن ان البشر في المستقبل يستبدلون غذاءهم من الحيوان والنبات بغذاء كيماوي يؤلف من المواد المغذية · وهذه المواد حاضرة لدينا الآن وفي امكاننا تاليف غذاء الانسان منها فيتغذى بها كما يتغذى بالحيوان والنبات الآن الا انها لا تزال غالية الثمن · وانما ترخص اثمانها متى تمكن الانسان من استخدام حرارة الشمس في استخراجها وتاليفها كما تمكن من استخدام مجاري المياه لتوليد الكهربائية · وحينئذٍ يستغني الانسان عن الارض لانه يصنع بالكيمياء بثمن قليل جدًا ما يقوم مقام اللحم والخبز وغيرهما

فساله الكاتب · وهل تعتقد بمقدرة الانسان على اطالة الحياة في المستقبل · فاجاب برتلو · لا اعتقد بذلك مطلقاً وان كان متشنيكوف يقول بامكانه (راجع مقالة اطالة الحياة في الجزء ٢١ السنة الثانية) ولا اجهل انه اذا قدر العلم على تغيير خلايا الدماغ وكريات الدم وتقويتها وتحسينها استطاع ان يصنع من البشر نسلاً يختلف شانه عن البشر

ويستغرقهم جميعاً . ولكن هذا القول حلم وخيال . فقال الكاتب : تريد ان تقول انه افتراض . فاجابه برتلو : بل حلم وخيال . حلم وخيال

***

﴿ رايه في مستقبل العمال وارباب الاعمال ﴾ وقد القى المسيو برتلو منذ سنتين خطبة في احتفال اقامته جمعة « تعميم الفنون » التي لها ٥٤٩ فرعاً للتعليم في باريز ونشر مبادئها الفنية فقال في هذه الخطبة في مستقبل العمال وارباب الاعمال قولاً صفقت له جميع الجرائد الجمهورية . وهذه خلاصته . قال

« انني اتكلم الآن عن العلم . ولكني لا اريد به العلم المنتفخ كبرياء وقسوة الذي يجلس في القصر العاجي بعيداً عن اهواء الانسانية ومتاعبها وغير عابيء بها . فان هذا العلم لم يكن علم اجدادنا الذين رفعوا اصواتهم في القرن الثامن عشر واعدوا الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث بعدهم (اي بعد الثورة التي تحكي قصتها في نهضة الاسد) وقد كان من نتيجة ذلك الانقلاب تاسيس العلم على دعائم جديدة وحدوث الاكتشافات العظيمة التي اصبحت تحول دون قيام طبقة من النبلاء تحتكر لنفسها كل شيء وتبني احتكارها على نظام اجتماعي تظنه ثابتاً . واهم تلك الاكتشافات دخول الآلات الميكانيكية الى المصانع ولكن لما دخلت هذه الآلات الى المصانع خيل لبعضهم ان دخولها هذا سيكون داعياً الى عبودية البشر بتقييد العملة بخدمتها كانهم من بعض دواليبها . فاذكرنا هذا القول قول ارسطو الذي كان يعتقد بوجوب الاسترقاق لحاجة المطاحن وآلات النسج الى ارقاء يديرونها .

ولكن من حسن حظ الانسانية انه لم يقض على البشر بهذه الحالة الهائلة . فان انقلاباً جديداً بدأ يحدث تحت نظرنا في هذه الايام . وذلك ان الآلة الميكانيكية تقتضي ادارتها ذكاء ومعرفة فصار العامل منها بمثابة مدير ومحرك لا بمثابة جزء او دولاب . وبما انه صار من الواجب ان يكون العامل وراء الآلة عارفاً بنواميسها لادارتها فقد صار من الواجب بحكم الطبع ارتقاء حاله عن حالة الجهل والشقاء الماضيين . لان معرفته بادارة الآلة تجعله رجلاً وتملأ الحفرة العميقة التي كانت بينه وبين العلماء وتصيره عالماً او نصف عالم . وفي ذلك ما فيه من تحسن حالته الادبية . وحاجة الآلة اليه تستلزم ان يكون شريكها في الفائدة الحاصلة من عملها معاً وفي ذلك ما فيه من وجوب زيادة اجرته واشتراكه مع صاحب المال في الربح الناتج عن عمله . وهكذا تكون الآلة البخارية سبيلاً لزيادة هناء

الهمة واستقلالهم بدلاً من اشقائهم واذلالهم · ولا يخفى ما في هذا القول من الراي الاصيل والحكم العادل

***

﴿ رأيه في تحويل المعادن ذهباً ﴾ ولا بدَّ عند الكلام عن الكيمياء من الكلام عن الموضوع الذي كان سبباً في نشأة الكيمياء وهو تحويل المعادن ذهباً · اما المسيو برتلو الذي على رايه المعول في هذه المسالة لانه اكثر الكيماويين اطلاعاً في هذا الزمان فانه يقص بهذا الشان قصة غريبة · وخلاصة هذه القصة ان في مدينة دوّيه في فرنسا بعضاً من المشتغلين بالكيمياء القديمة التي مدارها على تحويل المعادن ذهباً وقد دعوا المسيو برتلو في ذات يوم الى زيارة معملهم الذهبي فذهب برتلو الى دوّيه · قال : ولما وصلت الى منزل المسيو جوليفه كاسترو رئيس هولاء الكيماويين دخلت فوجدت عنده اثنين آخرين وهم يشتغلون باتون كيماوي بين ايديهم · وقد نظرت لديهم كثيراً من كتب برتلو (اسمه كتبه) وكتب لافوازيه وغيره · فسالتهم اين ذهبهم المعدني فاروني اولاً الاتون الذي يطبخون الذهب فيه وقال لي رئيس المعمل ان درجة الحرارة في هذا الاتون لا تتجاوز ٣٠٠ درجة ابداً ولكنها تستمر على هذه الدرجة شهوراً عديدة · ذلك ان الذهب في رايه لا يُطبخ الا بحرارة مستمرة شهوراً · ثم ان رئيس المعمل جاء بحجر غريب الشكل لم اعرف من مادته سوى انها ذات لون بنفسجي قاتم وفيها نقط حمراء · وقال لي : انظر هذا الحجر فهو حجر الفلاسفة الذي يحول المعادن ذهباً ولكنني لا اذكر لك تركيبه قطعياً · فقلت له ارني ذلك · فاخذ حينئذ شيئاً من الزئبق والرصاص والقصدير ووضعها في اناء على النار ثم كسر قطعة من الحجر الذي سماه حجر الفلاسفة والقى القطعة في ذلك المزيج · فشهدتُ عند ذلك مشهداً غريباً · فان المزيج اخذ يتحرك ويتماسك حتى صار كتلة واحدة · ثم اخذ لونه بالتغير وظهرت على سطحه قشرة ذهبية لا شك فيها · فاستغربت الامر وازددتُ انتباهاً الى هذا التركيب العجيب وانا لا اصدق ما ارى بعيني · ولكن تلك القشرة الذهبية ما لبثت ان غابت بعد حين وعاد المزيج الى لونه · فالتفت الى رئيس المعمل وقلت له لماذا غاب ذلك اللون · فاجابني الى هنا وصل علمنا واكتشافنا حتى الآن · فانا نؤلف بهذا ما نسميه « ذهباً وقتياً » وهو عبارة عن مادة تحضر حيناً ثم تغيب · ولم يبق علينا سوى ان نمنعها من الغياب بعد حضورها · ولو لم ينفجر الاتون في الايام الاخيرة لنلنا امنيتنا

ومما لا يحتاج الى بيان ان المسيو برتلو يقص هذه القصة وهو يضحك ولكنه يعتقد

ان تحويل المعادن ذهباً امر ممكن في المستقبل وان الكيمياء لا بد ان تصل الى ذلك يوماً من الايام

***

﴿ احتفال الجمهورية بيوبيله ﴾ اما الاحتفال الذي اقيم في قاعة كلية السوربون في باريز أكراماً للمسيو برتلو وتعييداً لمرور خمسين سنة على نشره اول سفر كيماوي فقد كان شبيهاً بالاحتفال الذي اقيم للعالم باستور منذ بضع سنوات . ولما حانت ساعة الاحتفال غصت القاعة بالوف من خاصة الناس فضلاً عن الوف الشعب التي كان يزحم بعضها بعضاً حول الكلية لرغبتها في مشاهدة العالم المشهور والاشتراك في الاحتفال بعيده العلمي مكافأة له على خدمته الشعب باكتشافاته ولسانه وقلمه اكثر من نصف قرن . ولما دقت الساعة العاشرة قبل الظهر دخل جناب المسيو لوبه رئيس الجمهورية يتلوه المسيو برتلو والوزراء والعلماء فجلس المسيو برتلو في كرسي في الوسط وجلس المسيو لوبه عن يمينه والمسيو (لايك) مدير الجلسة لانه وزير المعارف عن يساره . وتلاهما عن اليمين رئيسا مجلس الشيوخ ومجلس النواب ورئيس الوزارة وباقي الوزراء وعن اليسار اشهر علماء فرنسا ودكاترتها . وقد حضر الاحتفال وفود خصوصية قدمت من البلاد الاجنبية للاشتراك بهذا العيد العلمي العام وفي جملتها وفد انكليزي من قبل المجمع العلمي البريطاني يتقدمه المستر غلادستون والمستر رمساي ووفد الماني من قبل اكاذمية بروسيا الملكية يتقدمه المسيو فيشر ووفد نمساوي وغيرها من جميع اكاذميات اوربا . وكلها تحمل رسائل تهنئة خصوصية من اكاذمياتها الى المسيو برتلو . وفي جملة هذه الرسائل واحدة من ملك بلجيكا ووسام شارل الثالث من درجة كران كوردون من ملكة اسبانيا

﴿ خطبة وزير المعارف ﴾

ولما انتظم عقد الاحتفال انتصب المسيو لايك وزير المعارف ومدير الجلسة والقى خطبة تاتي على اهم ما فيها . قال مخاطباً رئيس الجمهورية

« يا حضرة الرئيس

« ان حضورك الآن بيننا يكسب هذا الاحتفال صبغته الحقيقية ويدلنا الآن على ان فرنسا كلها تشترك في اكرام احد ابنائها

ثم التفت الى المسيو برتلو واتم خطبته . فقال

« ايها المعلم العظيم

« لو كان لا يجوز لاحد غير رؤسائك ان يثني عليك وعلى اعمالك لما وجدت بينهم من يقدر على ذكر اعمالك ومجدك بشرح وايضاح . لذلك اترك بيان ذلك للعلماء . ولكن في اعمالك شيئاً نفهمه نحن وان لم نكن علماء وهو جمال العلم وعظمته وشرف مقاصده ومنافعه التي لا تشبهها منافع . فاننا ننظر الى معملك الكيماوي كنظرنا الى هيكل لانك في هذا المعمل سألت الطبيعة فاجابتك بما اجابتك . على اننا ننظر اليه ايضاً برهبة وخشوع لان في الاكتشافات التي صدرت منه شيئاً يكاد يشبه السحر لغرابته وعجائبه

ولقد جاء لافوازيه قبلك فنقض القول بالعناصر الاربعة ووضع للكيمياء دعائم ثابتة بدلاً من الافتراضات والتخمينات التي كانت قديماً . اما انت فقبضت على هذا العلم بيدك القوية ووسعت دائرته بما زدت فيه وادخلت اليه من الحقائق الثابتة حتى اصبحت انت نفسك لا تستطيع الوقوف على جميع اجزاء مملكتك

ولقد كان لافوازيه يقول : ان علم الكيمياء يسير متقدماً نحو غرضه وهو الكمال بقسمته الاشياء ثم قسمتها ثم قسمتها . وهو عبارة عن فن التحليل » اما انت فاجبت على هذا القول بقولك « ان الكيمياء توجد مادتها . وهي تركب المادة التي حللتها . وبهذا التركيب توسع دائرة سلطتها على المواد ايًا كانت ومهما كان اختلاف عناصرها دون ان يقوى شيء على الوقوف في وجهها » وبناء عليه اكتشفت قواعد التركيب

فاصبحت منذ ذلك الحين تأمر المادة فتطيعك . وتزيد على الموجود فيزداد . وتأخذ الاحلام فتجعل منها عوالم حقيقية جديدة

فاذا كان صحيحاً ان العلم كما تقول غرضين ساميين الاول البحث عن الحقيقة الطاهرة المجردة عن كل شيء والثاني خدمة البشر ونفعهم وزيادة هنائهم ومدنيتهم فانت افضل الذين ادركوا هذه الحقيقة وعملوا بها . فان اكتشافاتك قد حققت احلام الفلاسفة الذين يعلّون الناس الثقة بتقدم العالم ويبنون تعليمهم على ثقتهم بالعقل والادراك البشري . ولكنك لم تشأ ان تنتفع باكتشافاتك فتركت الناس يلتقطون امواج الذهب التي كانت تفور من بين يديك .

فيا ايها المعلم العظيم ان الوطن يمجدك في هذا اليوم . والعالم المتمدن يحييك بافواه رسله ووفوده . ولقد قبضت اعمالك على المستقبل واستولت عليه وصار حولك هدوء الاحترام سائداً . حتى انك وانت الآن بيننا ممتلىء الجسم قوة وحياة صرت تظهر لنا كأنك بعيد عنا ومقيم في هدوء التاريخ وعالم الخلود الابدي

﴿ خطبة المسيو برتلو ﴾

ثم جلس الوزير والناس يصفقون استحساناً وتلاه الخطباء من علماء فرنسا والوفود الاوربية فاثنوا على المسيو برتلو اطيب ثناء ولقبوه ابا الكيمياء وكان التصفيق لم مستمراً. ولما فرغوا من الخطابة وقف المسيو برتلو ليجيبهم ويشكر لهم فهتف الحاضرون هتافاً ارتج له المكان وظلوا يهتفون ويصفقون والمسيو برتلو واقف يخفي تاثره واولاده حوله يبكون لتاثرهم؛ وبعد ذلك سكنت الضوضاء فالقى برتلو خطبة هذه خلاصتها:

يا حضرة الرئيس . و يا حضرة الوزير . ويا رصفائي واصدقائي الاعزاء . وانتم ايها الشبان تلامذتي واصدقائي

لقد تاثرت جداً من هذا الاكرام الذي وجهتموه الي الان . وانا اعلم انكم لا توجهونه الي لحبكم لي فقط بل انكم توجهونه ايضاً الى شيخوختي واعمالي الطويلة والخدم القليلة التي قمت بها لوطني ولبني جنسي . فودادكم هذا يزيد شيئاً من الزيت على سراج حياتي الذي صار قريباً من الانطفاء في الليل الابدي . وان الانعطاف الذي يجده الشيوخ لدى الهيئة الاجتماعية لهو بمثابة رباط يربط الاجيال الحاضرة بالاجيال الماضية والمستقبلة

ثم قال ان الفضل في تقدم العلم ولا سيما علم الكيمياء للعلماء الذين تقدموه وهو يشرك معهم في هذا الفضل العلماء المعاصرين الذين ساعدوه . فلا يجوز اذاً ان ينسب الفضل في ذلك لرجل واحد لان العلم صناعة اشتراكية يعمل فيها الخاصة من بني الانسان في كل مكان . ثم استطرد من هذا القول الى ذكر منافع العلم فقال ان القدماء كانوا يعتبرون العلماء قوماً لا شأن لهم غير تسلية الاغنياء بما ينشرونه و يؤلفونه لهم . اما اليوم فقد صار العلم قائد الانسانية ومنارها الاعلى فلا تقدم الا به . ويكفي في بيان ذلك مقابلة حالة الشعوب في الزمن الماضي بحالتها في هذا الزمان من حيث صلاح الحال وقلة الاوهام والجهل . ولذلك صارت الحكومات تساعد العلم ولا سيما المعامل الكيماوية لما يترتب عليها من النفع الاقتصادي والفائدة الصحية العمومية . وبعد ذلك قال: فبناء على ذلك تغير وجه العالم وصار للشعوب ميل الى الاتفاق والتقرب بعضها من بعض فضلاً عن رغبتها في صلاح حالها وبلوغ آمالها بالطرق العلمية التي يختطها لها علماؤها

الى ان قال في الختام:

ولذلك عظمت وظيفة العالم في هذا الزمان وهي تعظم كل يوم . ولكن اذا كانت وظيفة العلماء قد عظمت فواجباتهم قد عظمت ايضاً ولا يجب ان ننسى ذلك مطلقاً .

فلتجهر ايها السادة بهذه الحقيقة على رؤوس الاشهاد في هذا المكان الذي هو قصر من قصور العلم الفرنسوي ولنقل ان العالم لا يكرم العلماء اليوم ارضاء لانانيتنا وحبنا للذات ولكن لانه يعلم ان العالم الذي يستحق هذا الاسم يوقف حياته لخدمة العامة بقطع النظر عن مصلحته الخصوصية اي لتحسين احوال الناس بوجه الاجمال من الاغنياء والسعداء حتى المساكين والفقراء والضعفاء . هذا هو الامر الذي احتفل اولو الشان باكرامه في هذا المكان منذ خمس سنوات حين احتفالهم بباستور وهذا هو الامر الذي حاول صديقي (شابلين) الاعراب عنه بالرسم الذي رسمه على المدالية الجميلة التي سيقدمها لي الآن رئيس الجمهورية . ولا اعلم اذا كنتُ قد قمت كل القيام بالفرض المرسوم في هذه المدالية ولكني لم آلُ جهداً في جعل ذلك غاية حياتي من اولها الى آخرها »

وبعد هذا الخطاب جلس برتلو . اما الجمهور فكان يقطع كلامه في اثناء الخطاب عند كل عبارة ويصفق تصفيق الاستحسان ويهتف له هتاف الاكرام . وكان في جملة هذا الجمهور كل ذي شهرة في باريز في العلم والادب والسياسة والرئاسة . ولما جلس برتلو قام المسيو لوبه رئيس الجمهورية ودنا منه فنهض برتلو اكراماً له فقبله المسيو لوبه في وجنتيه وقدم له المدالية الفضية التي وضعنا رسمها في صدر هذا الباب

فنهض حينئذٍ جميع الحاضرين وهتفوا للعالم هتافاً بلغ العنان

وهذه المدالية من صنع الرسام شابلين المشهور وهي تمثل المسيو برتلو جالساً امام مائدة عليها الآلات الكيمية وهو يفتكر في الموضوع الذي في ذهنه وفوقه فتاتان واحدة تمثل « الوطن » وهي تحمل الراية الفرنسوية في يمناها واكليلاً من الغار في يسراها تكلل به آلة الكيماوي وواحدة تمثل « الحقيقة » وفي يدها مصباح ساطع يضيء طريق العلم والعلماء وعلى جسمها ستار اخذت تزحزحه عنها كناية عن ظهور الحقائق للناس شيئاً فشيئاً . وتحت هذا الرسم هذه الكتابة

سنة ١٨٥١ — من اجل الوطن والحقيقة — سنة ١٩٠١

وعلى الصفحة الثانية رسم برتلو وتحته ما ياتي « التركيب الكيماوي . العلم ينير طريق الانسانية »

***

فيا منيرة طريق الانسانية انيري طريق محبيك وانصارك . يا حاملة المصباح تضيء به الغرب ألا لفتة للشرق منك ومن مصباحك . الى مَ النفور منه والاعراض عنه اما هو

الذي كان المبزغ الاول لنورك وسنائك · واذا كنت تنكرين هذا فقولي لنا من اين جئت بمصباحك

امن بلاد اوربا لما كانت قفارًا تملأها اكواخ الصيادين · ام من اقطار اميركا لما كانت مرتعًا للبرابرة والمتوحشين · هل جئت به من لندن ام باريز · من رومه ام واشنطون · من فينا ام برلين

كلا انك جئت به من منفيس وصور وصيدا وبابل واورشليم واثينا وكريت · انك جئت به من هذا الشرق التعيس الذي تخفين مصباحك عنه الآن وتتركينه في ليل بهيم · فردي لنا ياحاملة المصباح مصباحنا واعيدي بضاعتنا الينا

ولكن ماذا نسمع ؟ اننا نسمعك تقولين : « لا اوجه نور مصباحي اليكم لانني اشفق عليكم · اذ ماذا يحلّ بكم يوم تقع امواج نوره على بلادكم وتُظهر ما في نفوسكم وما في هيئة اجتماعكم · انظروا الى الجهل السائد في بلادكم في رؤوسكم واذنابكم · انظروا الى الآفات التي تاكل احشاءكم وتشرب دماءكم : استبداد وظلم في الطبقات العاليـة ودناءة وعبودية في الطبقات الواطئة · انقسام ديني اليم يجعلكم اعداء بعضكم لبعض مع انكم في الاصل اخوة وطن واحد وابناء ارض واحدة · فضلاً عن فقر شامل وشقاء عام واوهام مجبولة بالحم والدم ونافذة الى العظام · فهل تريدون ان يكشف مصباحي كل هذه الشرور الكامنة في هيئتكم »

كلا ياحبيبتنا حاملة المصباح انك لا تشفقين علينا كما تقولين ولكنك تفضكين منا · اما كان قومك منذ مدة كما نحن الآن · فهل منعتهم حالتهم الماضية من ان يصيروا الى الحالة الحاضرة · فلماذا تبثين روح اليأس في نفوسنا ؟ ارفعي مصباحك في وجوهنا ولو بهرنا نوره ونبش عيوبنا وكشف كل شرورنا · فان الصلاح لا ياتي الا بعد ظهور الفساد · واذا لم يكن لمصباحك من فضل على الشرق سوى اعداد بضعة لماهضة الشرايًا كان مصدره وطلب صلاح الحال بالعلم طلبًا مجردًا عن كل نفع خصوصي ومصلحة ذاتية اقتداء بعلماء قومك خصوصاً صديقك برتلو الذي تنيرين هنا طريقه — فكفى ذلك لحدوث خطوة كبيرة في سبيل التقدم المطلوب



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي أبواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

بعد عودة السيد من اورشليم

ولما عاد السيد من اورشليم كان قد قطع في نفسه كل علاقة بمذهب اليهود واخذ يستعد للعمل العظيم الآتي وهو انشاء ملكوت الله . وكان قد عزم عليه وان ذهب فدى الناس وفداء . ذلك ان ملكوت الله لا يُنشأ من غير مقاومة ومناهضة ولذلك كان لا بدّ من المقاومة والمناهضة . وكان روح الله فيه ملأه قوة ونشاطاً . وكان الله في نظره اباً لكل الناس وكل واحد عليه ان يدعو الله « اباه » في صلاته . فبهذا التعليم وثب السيد وثبة واحدة عن الحفرة القائمة بين المخلوق والخالق ووصل اليه

وكانت نبوّات الانبياء عن قدوم السيد شائعة بين اليهود ولكن المجامع لم تكن قد احصتها في صفحة واحدة ولذلك كان اليهود يطبقون اقوال الانبياء على الحالة في تلك الايام. اما العجائب فكان في السامرة رجل ساحر يُدعى سمعان وهو يصنع شيئاً كثيراً منها . وقد كان صنع العجائب امراً شائعاً في القديم . فان الفلاسفة الاسكندريين ومنهم بلوتين كانوا يزعمون انهم يصنعون العجائب وقد روى ذلك اونابوس و بورفيروس . وكان صنع العجائب محسوباً امراً اعتيادياً لان كل رجل فيه روح الله كان في اعتقادهم قادراً على ان يصنع شيئاً منها

وكانت صناعة الطب في المشرق في ذلك الزمان كما هي اليوم (كذا) فان اليهود في

فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التي وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ.
وكان من الشائع في كل العالم لا في عالم اليهود فقط ان الشياطين تدخل في بعض الناس وتجعلهم يعملون بالرغم عنهم اشياء يكرهونها . ومن ذلك شيطان ورد ذكره في تقاليد الفرس وهو الذي يدخل في النساء ذوات الاميال غير المعتدلة . وقد اخذ اليهود ذلك عنهم وورد ذكر هذا الشيطان في سفر طوبيا . فهذا الشيطان صار سبباً في اثارة نفوس النساء اليهوديات وانشاء الهستيريا وغيرها من الامراض العصبية فيها . وكان قد ظهر قبل ذلك باربعة قرون ونصف كتاب لابوقراط ابي الطب موضوعه « العلة المقدسة » يعني الهستيريا وفيه وصف اسباب هذه العلة وذكر دوائها . الا ان اليهود في فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب . وكان في اليهودية في ذلك الزمان كثيرون من المجانين وربما كان ذلك ناشئاً عن شدة الحماس الديني الذي اشعل النفوس . وكان هؤلاء المجانين يأوون الى المغاور والمغاريب في الجبال والاودية وكان قليل من الرفق واللين كافياً لشفائهم . ولا يزال الناس في سوريا حتى عصرنا هذا يسمون « مجنوناً » كل من كان في افكاره شيء من الغرابة (كذا) . وفي اصطلاحاتهم في الحديث قولهم لمن لا يعجبهم رايه : انت مجنون

ملكوت الله

اما مدة بقاء السيد في العمل فان الانجيلي يوحنا يجعلها سنتين او ثلاثاً . ومهما يكن من الامر فانها لا تتجاوز سبع سنوات لان بيلاطس قد عُزل قبل عيد الفصح من عام ٣٦ للميلاد . وكان السيد يكرز باقتراب ملكوت الله . والمراد بذلك على ما في الانجيل قدوم السيد لدينونة الناس في نهاية العالم . وطريقة ذلك ان يُقسم البشر قسمين قسم الصالحين وقسم الاشرار . اما الصالحون فيدخلون الى الاماكن المنيشة المعدة لهم منذ ابتداء العالم وهناك يلبسون النور ويجلسون على مائدة ابرهيم . اما الاشرار فانهم يذهبون الى « جهنم » وجهنم هذه هي وادٍ في غربي اورشليم . وكان اليهود يوقدون النار اولاً في هذا الوادي ويحتفلون بذلك على سبيل العبادة . ثم صار الوادي مكاناً للاقذار والنجاسة

ومهما يكن من هذا الامر فان السيد بنى ملكوت الله وهو يكرز تلك الكرازة . وهذا الملكوت الحقيقي هو ملكوت العقل الذي يجعل كل انسان ملكاً وكاهناً معاً والذي كان كحبة الخردل زُرعت في الارض فانبتت شجرة عظيمة . هذا الملكوت هو : روح الله

يرفرف على الارض بعد مجيئه · وخطبة السيد على الجبل · وتقوية الضعفاء بذكر الغبطة والسعادة الابدية · ومحبة الشعب · والميل الى الفقير · واعلاء شان كل ما هو حقير ومتواضع وبسيط وصحيح · وقد تمَّ هذا العلو وسيدوم بعده الى الابد · وكل واحد من البشر مديون له بافضل ما في نفسه من المبادىء الشريفة

اما مسالة انتهاء العالم واقتراب هذه النهاية فسالة صفقت لها الانسانية طرباً في ذلك الزمان · فانه اول ما قيل لها ان قد حان اجل كرتك الارضية اقتبلت هذا الخبر بابتسام كالابتسام الذي يقتبل به الاولاد الموت وصارت مسرورة بهذه النهاية سرورًا ما بعده سرور · اما العالم فانه كان يزداد تمسكاً بالحياة كلما ازداد ابتذالاً فيها ولذلك كان يوم الخلاص الذي كانت تنتظره نفوس الجليليين الطاهرة بشوق وسرور معتبرًا من تلك الاجيال الحديدية التي كانت تخشن كلما طالت عليها الحياة كيوم غضب وحرمان

ولكن مع اعتقاد المسيحيين الاولين بقرب انتهاء العالم يومئذ كان فيهم كثيرون يحاربون شرور العالم باسم الانجيل و يطلبون اصلاح الحالة استنادًا الى مبادئه · وسيبقى مبدأ « ملكوت الله » اعظم المبادىء المحركة على طلب الاصلاح في كل مكان الى ما شاء الله · اما الاشتراكيون الذين يطلبون اصلاح الارض اليوم فانهم يبقون عاجزين عن انفاذ اصلاحهم ما لم يلجئوا الى افكار المسيح نفسها و يعملوا بها · فانهم يطلبون بناء على مبدإ مادي غليظ امرًا مستحيلاً وهو جعل جميع الناس سعداء ولذلك لا ينجحون · وانما ينجحون متى عملوا بقواعد المسيح وهي ابتغاء اعلى صورة للكمال في الارض لا خيرات الارض · وهذا المبدأ يوجب على طالبي اصلاح الارض التخلي عنها وعن خيراتها لا الاستيلاء عليها

ومن جهة اخرى فانه ربما كانت كلمة « ملكوت الله » تعزية واي تعزية للذين يرون فساد العالم الآن و يعتقدون بحدوث تغيير فيه في مستقبل الزمان · فان الذين لا يقدرون على الاعتقاد بوجود عنصرين مستقلين في جسم الانسان لان هذا الاعتقاد مناقض لعلم الفيسيولوجيا يطيب لهم ان يؤملوا بحدوث تغيير عظيم في نهاية العالم و ينتظروا في القرون الآتية عالمًا صالحًا يكون صلاحه جائزة للبشر على ما احتملوه من الشقاء والفساد في حياتهم الماضية · ومن يعلم اذا كان ذلك لا يتم في بضعة ملايين من القرون فتنتبه حينئذ في الارض كل المبادىء الصالحة و يصير البشر كالملائكة · ان مليون سنة تمرّ كساعة تمر · وقد قال القديس بولس « هوذا سرٌّ اقوله لكم · لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الاخير فانه سيبوق فيقام الاموات عديمي فساد ونحن نتغير » (كورنثوس

(الاصحاح ١٥ العدد ٥١ و٥٢)

فيومئذ يُنتقم للصالح من الشرير . يومئذ تسود في الارض انسانية فاضلة كريمة يكون فيها المقام الاول للفضل والفضيلة لا للقوة والمال ويكون فيها ابن الفقير الفاضل حاكماً وصدراً . يومئذ تظهر صورة السيد اكثر جلاء ويخجل كل الذين نظروا تلك الصورة المؤلفة من الفقر والتواضع والفضيلة ولم يؤمنوا بها وكل المتكبرين الذين آمنوا بها ولكنَّ انانيتهم وكبرياءهم وطياشتهم منعتهم من العمل باوامرها

روح الانجيل

وكان التلامذة يومئذ لا يكتبون شيئاً من اقوال السيد لان « ملكوت الله » صار قريباً فلا حاجة الى الكتابة . وكان من اجمل اوقاتهم وقت الجلوس الى مائدة الطعام . فان السيد كان يحادث كل واحد منهم على المائدة . وكان من عادات اليهود ان يأخذ كبير البيت الخبز ويباركه بصلاة وجيزة ثم يكسره ويقدمه الى كل واحد من الجالسين . وكذلك الخمر . ولا تزال هذه العادة عند الاسرائيليين الى هذه الايام . وقد غالى الايسينيون في ذلك فجعلوا للمائدة احتفالاً وطقوساً خصوصية . وكان اذا اكل بضعة من الرجال الخبز معاً عُدَّ ذلك بمثابة رباط يربطهم بعضهم ببعض بسبب هذا الاشتراك (١) وكان السيد يكسر الخبز على هذا الوجه ويناوله الى تلامذته . وكان يقول لهم انا غذاؤكم الروحي لانه سيدهم ومعلمهم . ولما كان يناولهم الخبز والخمر كان يقول لهم هذا جسدي وهذا دمي

وكانت هذه المعيشة المبنية على انتظار « ملكوت الله » مما يزيد التلامذة انقطاعاً عن الارض وكراهة العالم . فكان الميل لاقتناء الملك في الارض يُعتبر نقصاً في النفس وكل ما يُبعد الانسان عن السماء يجب ان يُنبذ نبذاً . وكان بعض التلامذة متزوجين الا ان التلميذ العازب بعد اتباعه السيد لم يكن يتزوج على الارجح لان العزوبة كانت مفضلة على الزواج . وكان يجب على الذين يدخلون في سلك التلامذة ان يتركوا كل شيء في العالم حتى النفس والاب والام والاخوة والمال ويتبعوا السيد . ومن المبادىء المسيحية : من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر . واذا اعثرتك عينك فاقلعها . ودع الموتى

(١) وفي الشرق يقولون اليوم « من اكل خبزاً وملحاً مع انسان وجب عليه ان لا يخونه » وذلك لان هذا الاشتراك يوجب الصداقة والامانة . ومن اقوالهم « تفضل وما لحنا » يدعون به الى مائدة الطعام والصداقة

يدفنون موتاهم وغير ذلك من المبادىء السامية التي هي عبارة عن اعلى صورة للكمال البشري . ولكن سمو هذه المبادىء الكريمة وعلوها كانا لا يخلوان من خطر على المستقبل . فانها تجعل الانجيل كتاباً كريماً بالغاً من الكمال درجة قلما يهتم كثيرون من الناس بالوصول اليها و بناء عليه تبقى تلك المبادىء غير معمول بها حتى من الاكليروس نفسه . وفضلاً عن ذلك فانه اذا رام احد من الناس الرجوع الى الانجيل والعمل بمبادئه و بروحه عدَّ الاكليروس عمله ذا خطر على الناس . واذا قام ملك وكان اكثر الناس تكبراً وتجبراً واشدهم حباً للمصلحة واكثرهم قسوة مثل لويس الرابع عشر مثلاً فانه يجد من الكهنة من يقنعه بالرغم عن الانجيل انه مسيحي لا شك فيه . ولكن كما يقوم اناس كهؤلاء يقوم ايضاً اناس لعمل بمبادىء الانجيل حرفاً بحرف فيضطرون الى المعيشة خارج الهيئة الاجتماعية في الصوامع والاديار كما يصنع الرهبان .

بدء مقاومة السيد

ولما بلغت اعمال السيد الى انتيباس والي الجليل رام مشاهدته فرفض السيد ذلك لكراهته الدخول في المسائل السياسية وانصرافه الى تعليم الشعب واستمالته دون سواه . ولكن انتيباس لم يلبث ان سمع من الناس ان السيد هو يوحنا المعمدان وقد بعثه الله فاضطرب انتيباس لذلك ورغبة في ان يخرج السيد من ولايته بعث اليه بعض الفريسيين يقولون له ان انتيباس عزم على القاء القبض عليه وقتله كما قتل يوحنا المعمدان فلم يعبأ السيد بهم ولا بحيلتهم . اما انتيباس فانه لما رأى بساطته وكراهته لاثارة خواطر الشعب اطمأن باله وعدل عن اضطهاده

اما الفريسيون فانهم كانوا يقاومون السيد و يعارضونه معارضة شديدة فكان يجب مقاومتهم مقاومة شديدة ايضاً . ومن المشهور عن اليهود ان من صفاتهم شدة الوخز في الجدال والمناظرة حتى انه لم يقم يوماً بين الناس مناظرات شديدة كالمناظرات التي كانت تقوم بينهم . وكانت الشدة ضرورية في هذه الحالة لمقاومة القوة بالقوة . ومما لا يحتاج الى بيان ان لوثيروس ورجال الثورة الفرنسوية لو لم يظهروا شدة وعنفاً في اعمالهم لما كانوا قد عملوا شيئاً

وكان هؤلاء الفريسيون قوماً يراعون الظواهر الدينية دون البواطن . وكانوا اقساماً . فمنهم فريق يدعى « نيكفي » وهم الذين يسيرون في الشوارع و يجرون اقدامهم جراً و يصدمون بها الحصى والحجارة . ومنهم فريق يدعى « كيزاي » اي ذوي الجباه الدامية

وهم الذين كانوا يسيرون في الشوارع مغمضي العيون. لئلا يقع نظرهم على النساء ولذلك كانوا يصدمون الجدران في مشيهم فتدمى جباههم · ومنهم فريق يُدعى « ميدوكيا » وهم الذين كان كل واحد منهم يعيش مطوياً قسمين · ومنهم فريق يُدعى « شيكمي » اي ذوي المناكب القوية وهم الذين يسيرون وظهورهم محنية كانهم يحملون عليها اثقال الناموس كلها · ومنهم فريق يُدعى « اي عمل يجب عمله لاعمله » وهم الذين كانوا يطلبون قواعد الناموس في كل مكان للعمل بها

ولكن الفريسيين لم يكونوا في الحقيقة يعملون بالقواعد التي تقدمت ولا بقواعد الناموس بل كانوا يُظهرون انهم يعملون بهـا · اما الشعب فكان ينخدع بهم ويصدق اقوالهم · ذلك ان الشعب سهل الانخداع خصوصاً متى كان لرؤسائه مصلحة في خداعه فانه يرى فيهم اموراً جديرة بالحب فيحبها ولكنه لا يرى ما تحت هذه الامور من الحقيقة الهائلة

فبناء على ذلك كان لا بدَّ من قيام النفور بين نفس السيد الكريمة البسيطة ونفوس الفريسيين الجافة اليابسة · فان السيد كان يدعو الى ديانة مبنية على نقاء الباطن وصفاء القلب اما الفريسيون فكانت ديانتهم عاداتهم وطقوسهم الاعتيادية · وكان الفريسي في اعتقادهم رجلاً معصوماً عن الخطاء فاذا جادل كان الحق في جانبه دائماً واذا دخل الى المجالس طلب المجلس الاول واذا مشى في الشوارع راقب الناس اذا كانوا يحيّونه ام لا واذا تصدق بشيء بوق بصدقته تبويقاً · ولقدقام كثيرون من كرام اليهود لمقاومة هولاء الفريسيين منهم يشوع بن سيراخ وغمالائيل وانتيكون دي سوكو والرجل الكريم اللطيف الفيلسوف هلل وكلهم علموا تعليماً سامياً يكاد يكون انجيلياً · ولكن الفريسيين استطاعوا خنق تعاليمهم وحرموا من يقرأها · وكانت قاعدة مبادىء الفيلسوف هلل ان الناموس الحقيقي هو العدالة والحق · وقاعدة مبادىء يشوع بن سيراخ ان الديانة الحقيقية هي عمل الخير في العـالم

الا ان مبادىء شماي تغلبت على هذه المبادىء العاليـة وقوي الفريسيون وانصارهم فكان من نتيجة هذه القوة نشأة كثير من التقاليد والعادات التي غطت الناموس الاصلي فلم يعد ظاهراً معها · ولا يُنكر ان ذلك قد كان مفيداً من جهـة حفظ التقاليد اليهودية قروناً عديدة لتكون خميرة للديانة المسيحية ولكن المجامع التي كانت امَّ تلك التقاليد لم تعد بعد استفحالها الا امَّ الخطاء والضلالـــ · ولذلك كان قد قُضي عليها بالسقوط ان لم يكن

بالاضمحلال . ومع ذلك فقد كان من الظلم ان يُطلب منها حينئذ ان تُنكر ذاتها وتتنازل عن سلطتها من تلقاء نفسها لان ذلك امر لا يصدر عن البشر في هذه الحياة

وبناء على ذلك كانت المقاومة مستمرة بين السيد وبين الرياء الفريسي الرسمي . ومما كان يُضعف حجج الفريسيين ابتعادهم يومئذ عن التوراة ابتعاد المسيحيين عن الانجيل في هذا الزمان . فنشأ عن ذلك في نفوس الفريسيين بغض للسيد لا ينتهي حتى الموت . فانهم تركوا الشعب يسمي يوحنا المعمدان نبياً اذ كان امره صغيراً اما السيد فان روحه كانت تنقض اساس هيئتهم نقضاً ولذلك كان الخلاف ينتهي للموت . ومما كان يفقدهم الرشد سهام التهكم الحادة التي كان السيد يرشقهم بها . فان هذه السهام كانت تصيب قلوبهم . واذا قيل من الف هذه الامثال البديعة المملوءة تهكماً قاتلاً وتلك العبارات القاصمة بسهام حادة تنفذ في لحم المرائين كانها صُنعت من نار ومَن علقها في ذيول الفريسيين وجعلهم يجرونها وراءهم منذ ١٨ قرناً الى اليوم . فيجيب ان السيد هو الذي صنعها وعلقها . فيالك من تهكمات هائلة هدمت عالماً وقتلت امة . ان سقراط وموليير قد رشقا بسهام ولكن سهامهم كانت تخدش الجلد خدشاً . اما هذه السهام فكانت تغوص الى القلوب وتضع النار واليأس فيها . فلا ريب ان هذه الضربات ضربات اله

سفره الاخير الى اورشليم

وقد كان السيد يرى الخطر الذي على حياته من الفريسيين ولذلك اقام ١٨ شهراً في الجليل دون ان يسافر الى اورشليم . وكان الفريسيون قد حاولوا جره الى الامور السياسية في الجليل ليتخذوها حجة لدى انتيباس والحكام الرومانيين الا ان السيد تغلب على مكرهم هناك . ولكنه كان يرى انه اذا بقي في الجليل لم يستطع ان يتمّ عمله لان اورشليم مركز كل عمل فراى بالرغم عن الخطر وجوب السفر الى اورشليم فعاد اليها مع تلامذته للتعليم في الهيكل ومناظرة الفريسيين

وقد اختار السيد في اورشليم ثلاثة مواضع للاستراحة فيها من عناء مباحثة الفريسيين . الاول وادي « الجثمانية » التي ربما كان معناها معمل الزيت وكان سكان اورشليم يتخذون هذا المكان للتنزه فيه في كل مساء . والموضع الثاني جبل الزيتون وكان السيد يصعد اليه بعد التنزه في الجثمانية ويصرف الليل فيه . اما هذا الجبل فهو قائم في شرقي المدينة وهو المكان الوحيد الذي يظهر فيه الخصب والنبات في اورشليم . فقد كان فيه وفي ما جاوره من القرى

كيت فاجي والجثمانية و بيت عنيا اشجار كثيرة من الزيتون والتين والنخيل · وكان في الجبل ارزتان كبيرتان كانت تعشش فيهما طيور الحمام و يبسط الباعة تحت اغصانها بضائعهم للبيع والشراء · وقد حفظ اليهود بعد تشتت شملهم تذكار هاتين الارزتين

ففي هذه الاماكن كان يقيم السيد وتلامذته · اما الموضع الثالث الذي كان يتخذه لراحته فهو قرية بيت عنيا · وهذه القرية قائمة على احدى الآكام المشرفة على الاردن والبحر الميت وهي على مسافة ساعة ونصف من اورشليم · وكان السيد يفضل الاقامة في هذه القرية الجميلة على ماسواها وفيها تعرف بمرتا ومريم ولعازر · وكان السيد اذا اقام في الاماكن التي تقدم وصفها نسي شيئاً من عناء المجادلات الشاقة مع الفريسيين المرائين · وكان اذا اشرق الفجر وطلعت الشمس على جبل الزيتون تنثر تبرها الجبل عليه وقف السيد متاملاً في تلك المناظر البديعة التي حوله فيسر بها سروراً يخالطه شيء من تذكار مؤلم · فيلتفت حينئذ الى اورشليم ويخاطبها قائلاً :

« يا اورشليم يا اورشليم · يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اضم اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدي »

وليس المقصود بذلك ان الشعب اليهودي في اورشليم لم يكن يقبل تعاليم السيد لانه اغلظ نفساً من رجال الجليل كلا ولكن التعاليم الفريسية الرسمية كانت تضغط على النفوس الى حد انه لم يكن احد من الناس يجترئ على التصريح بذلك · وفضلاً عن هذا فان اليهود كانوا يخشون اذا تبعوا السيد ان يُقال انهم خضعوا لرجال من الجليل ولا يخفى ان بلاد الجليل كانت بلاداً مكروهة في اورشليم كما تقدم · ومن جهة اخرى فان اتباع السيد كان يفضي الى الطرد من المجامع (المعابد) والحرمان من الحقوق الدينية · وهذا الحرمان يستوجب في الشريعة اليهودية حجز الاملاك وفي ذلك ما فيه من الاهانة والخسارة · وزد على ذلك ان الذي كان يخرج من اليهود لم يكن له ان يصير رومانياً بل يبقى بلا حامٍ ولا نصير تحت ضربات سلطة جائرة · وفي ذات يوم جاء اصاغر حراس الهيكل الى كهنتهم بعد ان سمعوا احدى عظات السيد واطلعوهم على ما قام في نفوسهم من الشكوك وعن رضى الشعب عن تلك التعاليم فاجابهم كهنتهم « هل رايتم احداً من الرؤساء او من الفريسيين آمن به · ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون »

اما السيد فانه كان يجدّ في الوعظ وتعليم الشعب في الهيكل · وكانت سلطته آخذة في التعاظم والازدياد والشعب يقبل تعاليمه السامية البسيطة دون ان يُظهر التسليم بها

خوفاً من رؤسائه . ففي ذات يوم جاءه الفريسيون بزانية وسألوه بماذا يجب ان تُعامل وقد ظنوا انهم بذلك يُظهرون ضعف تعاليمه امام الشعب . فاجابهم السيد بذلك الجواب الهائل الذي كان كسهم اخترق الرياء وغاص في قلوبهم . فقد قال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ومنذ هذه الكلمة اضمروا له الشر ونووا قتله ليستريحوا من مقاومته . ولا غرو فان الحمقى يكرهون العظمة اشد كراهة ولا سيما اذا اقترنت بفصاحة اللسان وبلاغة الجنان

وكانت همة الفريسيين مصروفة الى جعل السيد يتداخل في الامور السياسية ليتخذوها حجة عليه لدى اسيادهم الرومانيين كما تقدم . فجاءه بعضهم في ذات يوم مظهرًا الحب له وقالوا « يا معلم . نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي باحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . ايجوز ان تُعطى جزيةٌ لقيصر ام لا » وكانوا يتوقعون عند هذا السوءال ان يجيب السيد عنه جوابًا يوجب تسليمه الى بيلاطس لقتله كما قُتل يهوذا الغولونيقي الذي كان يحرّم دفع الجزية للرومانيين كما تقدم . اما السيد فانه اجاب جوابًا بديعًا . فانه قال لهم اروني اولاً النقود فاروه دينارًا فسالهم لمن هذه الصورة وهذه الكتابة اللتين على الدينار فاجابوه انها لقيصر . فقال السيد . اذًا اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

فما اسمى هذه الكلمة في هذا المقام . فان السيد وضع بها اساس الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية وبنى بكلماتها دعائم مستقبل الديانة المسيحية

وكانت بلاغته الالهية تحضره كلما رام محاربة الرياء والمرائين كما تدل على ذلك الاقوال الآتية التي فاه بها في الهيكل . وجدير بالناس في كل مكان ان يتأملوا هذه الحكم الرائعة . وهي

« على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فاعملوا حسب اقوالهم ولكن لا تعملوا حسب اعمالهم لانهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم . « وهم يعملون كل اعمالهم لكي تنظرهم الناس فيعرّضون عصائبهم ويعظّمون اهداب ثيابهم ويحبون المتكأ الاول في الولائم والمجالس الاولى في المجامع والتحيات في الاسواق وان يدعوهم الناس سيدي سيدي . فالويل لهم

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم اخذتم مفتاح المعرفة ولم تستعملوه الا لاغلاق ملكوت السماوات فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم يا من تأكلون بيوت الارامل باطالة صلواتكم ولذلك تكون دينونتكم على قدر ذلك . ويل لكم

يا من تطوفون البحر والبر لتضموا اليكم رجلاً واحداً ومتى حصلتم عليه تصنعونه ابناً لجهنم · ويل لكم لانكم مثل القبور المستورة والذين يمشون عليها لا يعلمون

« ويل لكم ايها المراؤون والعميان لانكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتتركون افضل ما في الناموس اي الحق والرحمة والايمان · فقد كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك · ويل لكم ايها القادة والعميان الذين يصفون الكاس عن البعوضة حالة كونهم يبلعون الجمل

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكاس والصحفة وهما من داخل مملوآن سرقة وشراهة · ايها الفريسي الاعمى (١) نق اولاً داخل الصحفة لكي يكون خارجها ايضاً نقياً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام اموات وكل نجاسة · انتم من خارج تظهرون للناس ابراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثماً

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام آبائنا لما شاركناهم في دم الانبياء · فانتم اذاً تشهدون على انفسكم بانكم ابناء قتلة الانبياء · فاتموا اذاً عمل آبائكم فقد جاء في حكمة الله « ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وعلماء فنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يقع عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم ذكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح · الحق اقول لكم ان هذا كله يقع على هذا الجيل »

واشد ما كان يغيظ الفريسيين في هذه التعاليم امران · الاول ان ملكوت الله آخذ في الانتقال من اليهود الى باقي الامم لان اليهود يضطهدون ويقتلون الانبياء والرسل الذين جاءوا ليرشدوهم اليه · والامر الثاني دعوة السيد الفقراء والصغار الى احتلال محل الكبراء لتأييد ملكوت الله · وقد كان يقول انه جاء الى هذا العالم ليفتح عيون الذين لا يبصرون ويعمي الذين يبصرون (يوحنا الاصحاح ٩ العدد ٣٩) ولكنه في ذات يوم بدرت من فمه هذه العبارة عن الهيكل « اني اهدم هذا الهيكل الذي بنته يد الانسان وابني في ثلاثة ايام هيكلاً آخر غير مصنوع بالايادي » فتمسك الفريسيون بهذه الكلمة لانهم اعتبروها

---

(١) ربما كان في كلمة « الاعمى » اشارة الى فريق الفريسيين ذوي الجباه الدامية الذين ورد ذكرهم في الصفحة ٣٠٦ السطر ١

تجديفاً على الهيكل واتخذوها حجة لشكواه الى الحكومة . وكانت حكومة الرومانيين توجب احترام الديانة اليهودية وتنفذ القرارات التي يصدرها رؤساؤها

مساعي اعداء السيد

وقد صرف السيد فصل الخريف وقسماً من الشتاء في ذلك العام في اورشليم وكان البرد شديداً فيها . وكانت اقامته في رواق سليمان في الهيكل . وبعد شهر دسمبر من ذلك العام ساح سياحة في بلاد بيريا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد . فوجد سروراً وراحة في هذه السياحة ولا سيما في مدينة اريحا . وكانت هذه المدينة قائمة في طرف طريق عمومية كبرى وفيها كثير من الحدائق والحقول الخصيبة ولذلك اقام الرومانيون فيها جركاً كبيراً . وكان رئيس هذا الجرك رجلاً غنياً وهو العشار زكا فاحب مشاهدة السيد . وبما انه كان قصير القامة صعد الى جميزة ليراه منها في مروره. ولما درى السيد به رام النزول في بيته دون ان يعبأ بكراهة اليهود للعشارين كما تقدم . اما واحة اريحا فقد كانت بقعة من اجمل بقاع سوريا يومئذ وقد وصفها يوسيفوس معجباً بخصبها كما اعجب ببلاد الجليل ولقبها « البلاد السماوية »

وبعد ان زار السيد البلاد التي عمد فيها يوحنا المعمدان والتي كان فيها مبدأ تعليمه عاد الى بيت عنيا حيث كانت تطيب له الاقامة وبعد اعجوبة لعازر عاد الى اورشليم

اما الفريسيون فانهم كانوا في اثناء ذلك يتباحثون في شانه . وقد جمع رؤساء الكهنة في شهر فبراير او في اوائل مارس من ذلك العام مجمعاً وطرحوا فيه هذه المسالة «هل في الامكان بقاء الديانة اليهودية اذا بقي يسوع حياً » واحياناً قد يكون في السؤال جواب ولذلك لم يلبث رئيس الكهنة ان قال « لا باس ان يموت واحد لتحيي الامة كلها »

وكان رئيس الكهنة يومئذ يوسف قيافا وقد رقاه الى هذا المنصب الحاكم الروماني فالاريوس كراتوس ولذلك كان مخلصاً للرومانيين . وقد ثبت هذا الرجل في رئاسة الكهنة من عام ٢٥ للميلاد الى عام ٣٦ . اما سلطة هذا الرئيس فقد كانت اسمية على الارجح لانه كان فوقه رجل يدعى حنانيا او اناس وهو شيخ كان رئيساً للكهنة ثم فصل وتزوج قيافا بابنة له . ولكنه مع انفصاله عن رئاسة الكهنة بقيت له سلطة كبرى عليها وبقي الشعب يناديه « رئيس الكهنة » وكانوا يستشيرونه في كل المسائل الهامة . ومما زاد سلطته ان رئاسة الكهنة بقيت في اسرته مدة ٥٠ سنة وكان قيافا الرئيس الحقيقي صهراً له .

ولذلك كان يرد اسماها معاً في هذه الحوادث وكثيرًا ما كان يرد اسم الحم مقدماً على اسم الصهر · وقد ذكر يوسيفوس ان هذه الاسرة كانت مشهورة بالقسوة في الاحكام ومما يجدر ذكره ان الذي حكم برجم يعقوب اخي السيد هو من ابنائها · وبناء على ذلك تكون تبعة الحوادث القادمة على حنانيا لا على قيافا · وهو الذي يجب ان يحمل على عاتقه لعنة الانسانية اكثر من بيلاطس وقيافا

وكان جمهور الاكليروس اليهودي راغباً في وضع حد لهياج الشعب وثورة الافكار · ذلك انهم توقعوا من وراء هذا الهياج استفحال سلطة الرومانيين في بلادهم ومتى استفحلت تلك السلطة هدمت الهيكل وقطعت رزقهم · ولا ريب ان الاسباب التي دعت الى خراب الهيكل بعد مرور ٣٧ سنة على هذا التاريخ لا علاقة لها بالامر الذي تقدم ولكن خوف الفريسيين من انقلاب الاحوال كان عظيماً · ولو قبل اليهود يومئذ تعاليم السيد لسقط الهيكل وسقطت امتهم معه · ولذلك قال حنان وقيافا « خير ان يموت واحد من ان تموت الامة كلها » ولكن هذا الحكم فظيع وهائل · و يسوءنا ان نقول ان جميع الاحزاب المحافظة التي تسمي نفسها « حزب النظام والامن العام » تحكم احكاماً كهذا الحكم · فانها تعتبر ان اكبر واجبات الحكومة منع تاثر الشعب وهياجه بكل الطرق ولذلك لا يقوم احد قادر على الحركة الا وتقف في وجهه ولو افضى الامر الى سفك دمه · وهي بذلك تشهر حرباً على كل ذي اقدام وكل ذي فكر وتجهل ان هذا الفكر لا بدَّ ان ينتصر · ومما لا يحتاج الى بيان ان الحركة السامية التي كان يديرها السيد كانت حركة روحية لا علاقة لها بالسلطة الزمنية ومع ذلك فقد كانت هذه الحركة كافية لاثارة اوهام الرجال الذين يسمون انفسهم رجال النظام والهدوء لانها حركة · ولذلك صنعوا ما صنعوه

وكان هؤلاء الرؤساء قد قضوا على السيد بالموت منذ شهر فبراير ومارس ولكن السيد كان قد سافر مع تلامذته الى مدينة تُدعى افراين او افرون وهي بلدة على حدود البرية في جهة يبثل على مسافة يوم من اورشليم · وقد صرف السيد في هذه القرية بضعة اسابيع مع تلامذته لعل الزوبعة في اورشليم تسكن قليلاً · ولكن الزوبعة لم تسكن لان الرؤساء اصدروا الامر بالقاء القبض على السيد حينما يُشاهد في الهيكل · ذلك ان عيد الفصح اليهودي كان قريباً وكانوا يعلمون ان السيد سيصرفه في اورشليم

(ستاتي البقية وفيها الخاتمة)

عبرة لاغنياء الشرق والغرب

﴿الفريد نوبل مخترع الديناميت وجوائزه﴾

(غني يوصي بجميع ماله للعلماء)

سيبقى النزاع قائماً بين الاغنياء وغير الاغنياء الى ما شاء الله . فغير الاغنياء يقولون « ان الاغنياء يجمعون الاموال بوسائط شريفة وغير شريفة واحياناً يسلكون اليها كل سبيل ثم لما يجتمع منها لديهم ما يكفيهم ويكفي اولادهم واولاد اولادهم بعدهم الى آخر العمر ينقلبون على الهيئة التي جمعوا تلك الاموال منها و يعاملون بني جنسهم بالكبرياء والفلاغلة والدناءة بدلاً من ان يشكروهم على جهلهم و يحمدوا الهيئة الاجتماعية على تراخيها لانها تركت اناساً مثلهم يجمعون ما جمعوا » و بعض الاشتراكيين في اوربا قد تطرفوا فقالوا بوجوب فحص دفاتر كل الاغنياء لمعرفة مصادر ثروتهم واسترداد كل ما كسبوه منها بطرق غير مشروعة . غير ان بعضاً من الساسة طرقوا في هذا الشان باباً آخر معقولاً . فان البرلمان الفرنسوي قرر منذ بضعة اشهر نظاماً جديداً فحواه ان الاب الغني متى مات ورث منه ابنه مليون فرنك وما زاد على هذا المليون من التركة تستولي الحكومة على نصفه او ثلثيه وتعطي الباقي للوارث . فاذا كانت ثروة الاب مائة الف جنيه مثلاً اخذ ابنه قبل كل شيء مليون فرنك منها اي ٤٠ الف جنيه والستون الف جنيه الباقية تقسم مناصفة بينه و بين خزانة الحكومة . اما اذا كانت ثروة الاب لا تزيد على مليون فرنك فان الحكومة لا تمد يدها اليها . — ولقد وافق اعضاء مجلس النواب على هذا النظام بعضهم لنكاية اغنياء الاسرائيليين في فرنسا و بعضهم لمقاومة الحكومة لانها كانت تكره . والراجح ان مجلس الشيوخ سيعترض عليه و يرفضه

واما الاغنياء فانهم يردون على غير الاغنياء بقولهم « هل جئنا بالاموال من بيوت آبائكم حتى تحسدونا عليها . ام وجدناها على الطريق غنيمة باردة . الا تعلمون اننا نقاسي في جمعها عرق القربة ونصرف العمر ونحن نطلبها ونركض وراءها . فما الذي يمنعكم من ان تقتدوا بنا وتصنعوا صنعنا »

ولا يخفى ان في كل قول من هذين القولين شيئاً مقبولاً معقولاً . ولا نظن احداً من الناس ينكر على الاغنياء حق التصرف المطلق في اموالهم سواء كانوا جمعوها بطرق شريفة

او غير شريفة · فلهم ان يبذلوا منها ولهم ان يمنعوها · ولكنا ايضاً لا نظن احداً يُنكر على الناس اظهار استياءهم من الاغنياء اذا كانوا لا يخصصون جزءا من النعمة التي اخذوها من الهيئة لمساعدة تلك الهيئة وهو ما يسميه رجال الدين الواجب الديني ويسميه الفلاسفة الواجب الادبي · وسيبقى هذا النزاع بين الاغنياء وغير الاغنياء حتى يُدرك اولئك هذا الواجب·

والظاهر ان اغنياء الغرب اكثر استعداداً لادراك هذا الواجب من اغنياء الشرق ولا غرو فان الغرب اسبق من الشرق في كل الامور· فان اغنياء اميركا قد بنوا في تلك الاقطار ام الكليات والمكاتب والحدائق العمومية · وهباتهم تمطر على الحكومة والجمهور والعلماء والكتاب الذين هم خدمة الجمهور احياناً كوابل واحياناً كطل · واما اغنياء اوربا فانهم مقصرون عنهم ولكنهم اخذوا ينتبهون لذلك· وآخر ما روي عنهم بهذا الشان وصية الفرد نوبل الذي اوصى لعلماء الارض بثروته البالغة مليوني جنيه ودخلها السنوي ٥٠ الف جنيه توزع في كل عام على النابغين من العلماء مقسومة الى خمس جوائز · وبما انه سيدور في كل عام ذكر هذه الجوائز راينا من الفائدة نشر ترجمة الرجل وتفصيل جوائزه وذكر العلماء الذين نالوها في هذا العام · وبينما كنا نفكر في ذلك وردتنا الترجمة الاتية فاكتفينا بها

الفريد نوبل وجوائزه السنوية

بقلم جناب الاديب الياس افندي خليل عساوي

كثر تحدث الناس باسم جوائز نوبل وتشوق كثيرون لمعرفة هذا الرجل الذي وهب كل ما ملكت يداه لمساعدة العلم · فرأيت ان اوافي قراء « الجامعة » بتاريخ حياته معتمداً على مجلة المجلات الانكليزية

ترجمته

ولد الفرد نوبل في مدينة استوكهلم قاعدة البلاد الاسوجية في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٣٣ · وورث الجد والاقدام عن ابيه عمانوئيل نوبل الذي كان من اشهر رجال عصره · وكان سبب شهرة ابيه انشاءه في روسيا معملاً لبناء سفن التوربيد ربح منه ارباحاً طائلة ثم قدومه بعد حرب القريم الى استوكهلم مسقط راسه حيث وجه كل اهتمامه الى اختراع المواد المتفجرة · وكان البارود الاعتيادي هو المادة المتفجرة الوحيدة المستعملة بين الناس · ومع ان النيتروغلسرين (مركب من ملح الغلسرين والحامض

النيتريك) كان قد اخترع في فرنسا قبل عدة سنوات لكن الناس كانوا يتخوفون منه لتعدد حوادث انفجاره . فجعل نوبل يسعى في تحسين تلك المادة ومنع انفجارها فنجح بعض النجاح بين سنة ٦١ و٦٢ . ثم عهد بالعمل الى ابنه الاكبر صاحب الترجمة فابتدأ اذ ذاك الفرد نوبل دوره المهم في تاريخ المتفجرات. الا انه كان يرى ان مادة النيتروغليسرين كانت لا تزال سريعة الانفجار والفتك بالارواح في عمله وذلك مما هيج الراي العام على هذه المادة فعمد الى تحسينها بحيث تقل اخطارها فتم له ذلك في عام ١٨٦٧ واعلن الناس انه توفق الى اختراع « الديناميت » بمزج مركبه الاول مع مادة رملية مركبة من قشور حيوانات صغيرة تدعى الانفيوزوريا . فجرب كثيرون هذه المادة الجديدة فحققوا قلة خطرها ورأوا ان الحرارة والرطوبة لا فعل لها فيها . فربح منها مخترعها مالاً وافراً . ولم يكتف نوبل باختراع الديناميت وصنعه في معامله بل كان يتقن البارود بلا دخان و يصنع المدافع و يشتغل بالاشتراك مع احد اخوته في تصفية زيت البترول في ماكو بالقوقاس. وقد بلغ عدد العمال عنده في العشر سنين الاخيرة من حياته ١٢٠٠٠ عامل ولم يحدث في كل مدة شغله اوفى اعتصاب او شكوى منهم وهذا يدل على حسن معاملته لهم

وصرف نوبل عدة اعوام في باريز ثم انتقل منها الى سان ريمو فبنى لنفسه « عشاً » جميلاً فيها . وبقي عازباً طول حياته جارياً على قول القائلين بان ارتباط المرء بالعائلة يثبط همته و يضعف عزيمته و يقلل نفعه للمجتمع الانساني. وقد توفي في سنة ١٨٩٦ وهو في الثالثة والستين من العمر وآخر ما عمله في حياته مساعدة العلم هو دفعه نصف نفقات الرحالة الاسوجي اندريا الذي قصد القطب الشمالي راكباً منطاداً فلقي حتفه في تلك الاصقاع المتجمدة

الثروة والارث

وكان شغل نوبل الوحيد في اواخر سني حياته كما هو شغل من كان غنياً بدون عقب مثل سسل رودس وكارنيجي — تدبير طرق يصرف بها الاموال التي جمعها في حياته — وتقدر بمليوني جنيه — بحيث تعود بفوائد عظمى للجنس البشري . وكان يكره انتقال المال بالارث لاقربائه وكثيراً ما كان يقول لهم « لا تتكلوا على اموالي فانها سوف تذهب لغيركم بعد وفاتي » وقال يوماً لاثنين من اخص اصدقائه : « علمتني التجارب ان الثروة التي ينالها الانسان بالارث لا تجلب له السعادة الحقيقية وتكون واسطة لاماتة كل قواه العقلية . واني انصح لكل غني بان لا يترك لاقربائه سوى النزر اليسير من ماله بحيث

يكفيهم في بدء حياتهم لتدبير اشغال يتعيشون منها والا فتكون ثروته قد اماتت استقلالهم الذاتي الذي يحصلونه بجدهم »

وقال ايضاً لاحد محدثيه « انني لا اريد ان اترك شيئاً من مالي لمن يقدر على الشغل فاعوده على البطالة والكسل ولكني اهب منه بكل سرور كل من يسعى في ترقية البشر ولا يكون ينقصه غير المال »

تقسيم الجوائز وتوزيعها

وعلى هذه القاعدة الشريفة كتب الفرد نوبل وصيته الآتيه

تقسم فائدة اموالي الى خمسة اسهم متساوية توزع سنوياً فيعطى سهم منها في كل عام لاعظم مكتشف او مخترع في الطبيعيات . وسهم لمن يخترع اعظم اختراع في الكيمياء او يفوق على اقرانه فيها في ذلك العام . وسهم للمجيد او المكتشف في الطب والفيسيولوجيا . وسهم لمؤلف افضل كتاب ادبي فلسفي . وسهم لمن يكون اكثر سعياً في تأييد السلم العام وابطال الحروب او تخفيف شرورها

اما توزيع هذه الجوائز فيكون كما يأتي

تعطي اكاذمية العلوم الاسوجية الجائزة الاولى والثانية . وتعطي كلية كارولين في استوكهلم الجائزة الثالثة واكاذمية ستوكهلم الرابعة واما الجائزة الخامسة فتمنحها لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء ينتخبهم البارلمان النروجي . ولا اخصص جوائزي بامة من الامم او بدين من الاديان لكي يعلم الجميع ان العلم الصحيح لا تغيره الظواهر ورغبة في ان لا ينالها الا المستحق

والذي حدا بنوبل لان يكتب هذه الوصية هو ما شاهده في مدة حياته من ان مجازاة العلم قليلة للغاية وان اكثر العلماء والمخترعين يعيشون ويموتون فقراء فلا يستفيدون من اختراعاتهم شيئاً وتذهب كل الارباح الى جيوب اصحاب المعامل . وقد خصص الجائزة الاولى والثانية بالطبيعة والكيمياء لشغفه بهذين النوعين ولانهما مورد ثروته وخص الثالثة بالطب لانه كان يحب باستور محبة شديدة وجعل الجائزة الرابعة للادب والفلسفة لانه اولع في آخر حياته بمطالعة الشعر وكتب الفلسفة والادب اما الجائزة الخامسة فقد جعلها للسلم . ومن الغريب ان مخترع الديناميت وصاحب معمل المدافع والمتفجرات يطلب السلم . وقد ظن البعض ان ضميره وبخه على اختراعاته الجهنمية فجعل الجائزة الخامسة لكي يتخلص من وخز الضمير ولكن هذا الظن في غير محله لان نوبل كان يعتقد انه كلما زادت معدات

الحرب خطرًا قل عدد الحروب


﴿ الفريد نوبل واضع الجوائز ﴾

وربما كانت تغيرت الوصية لو قام اقرباؤه يطالبون بالمال ولكن ابن اخيه لم يشأ مخالفة وصية عمه . اما التركة فمنها نقود محفوظة في بنوك انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج ومنها اراض واسعة في فرنسا وايطاليا ونروج . ويقدر الدخل السنوي بخمسين الف جنيه يصرف منها ١٠ الآف جنيه نفقات فيبقى اربعون الف جنيه فيخص كل جائزة ٨ الاف جنيه . ويجب في توزيع الجوائز ان تهدى لاكثر اولئك العلماء اجادة في خلال السنة ويعطى مستحقو الجائزة علاوة عن المال شهادة ومدالية ذهبية عليها رسم الفرد نوبل صاحب هذه الجوائز وكان موعد تفريق الجوائز للمرة الاولى في ١٠ دسمبر الجاري » اه

﴿ العلماء الذين نالوا هذه الجوائز في هذا العام ﴾ تقول وفي ١٠ دسمبر الجاري اجتمعت الاكاذميات التي تقدم ذكرها والبرلمان الاسوجي باحتفال عظيم حضره جلالة الملك والملكة وولي العهد ووزعوا هذه الجوائز بالاقتراع . فنال العالم فان توف الالماني جائزة الكيمياء والعالم برهن جائزة الطب والعالم رنجن جائزة الطبيعيات والمسيو سولي بريدوم الشاعر الفرنسوي جائزة الادب والفلسفة . واما جائزة السلم فقد قسمت بين المسيو فردريك باسي الفرنسوي والمسيو دريان السويسري . وكل جائزة من هذه الجوائز تبلغ قيمتها ثمانية الاف جنيه كما تقدم

فردريك باسي — اما المسيو فردريك باسي الذي نال نصف جائزة السلم فان الناس يلقبونه في فرنسا رسول السلام وهو شيخ قطع مراحل العمر في دعوة الناس الى الزامية التحكيم لفصل المشاكل التي تقوم بينهم . فانه لا يسمع بخلاف بين الدول حتى يمدّ يده

و يرفع صوته . وقد تداخل بين وزارتي الحرب في فرنسا والمانيا قبل اعلان الحرب في سنة ١٨٧٠ لمنع حدوثها فلم ينجح . ورام مقابلة بسمارك فتعذر عليه ذلك . وبعد هذه الحرب وقعت مشاكل جديدة بين فرنسا والمانيا وكادت تحدث حرب ثانية لهياج افكار الشعب الفرنسوي فزار المسيو باسي ادارات الجرائد الفرنسوية ليحملها على تسكين هياج الشعب فاجابه يومئذ مدير جريدة الطان اننا قد فقدنا كل سلطة على الافكار فقال له جربوا ذلك فجربوا ونجحوا في اخماد الهياج . وهكذا زال سبب الحرب

ولما شبت حرب الترانسفال كتب المسيو فردريك باسي كتاباً الى المرحومة فيكتوريا ملكة الانكليز يقول لها فيه انه على ثقة بان الملكة تكره هذه الحرب وان وزراءها اجبروها عليها ولذلك فهو ينصح لها ان تتنازل عن الملك ولا تلطخ ملكها بالدماء لعله يكون في ذلك تنبيه للشعب الانكليزي من سباته . فلم يرده جواب هذا الكتاب

و بالجملة فان المسيو باسي رسول التحكيم في العالم الآن يدعو اليه كل المتقاتلين . وهو رئيس لجنة الرامية التحكيم في باريز . ولهذه اللجنة فروع في بلاد اخرى

المسيو دريان — اما المسيو دريان الذي نال النصف الثاني من جائزة السلم فهو الرجل الكريم الذي انشأ جمعية الصليب الاحمر لمساعدة المرضى والجرحى في ساحة الحرب. وسبب ذلك ان المسيو دريان حضر واقعة سولفرينو بين الفرنسويين والنمساويين في حرب تحرير ايطاليا فهالته حالة الجرحى والقتلى في ساحة الحرب . وكان عدد هؤلاء في هذه الواقعة ٤٠ الف جندي . فعاد الى اوربا وكتب سفرًا عنوانه « تذكار سولفرينو » وصف فيه تلك الحالة الهائلة وصفاً مؤثرًا . ثم طاف اوربا كلها يدعو الانسان الى الرفق بالانسان في ساحة القتال . فقابل الملوك والعظماء وكتاب الجرائد واخذ يحرك الهمم حتى تحركت فعقدت الدول في سنة ١٨٦٣ مؤتمرًا في جنيف قررت فيه شروطاً كثيرة في غاية الرفق والانسانية . وهو مؤتمر جنيف المشهور . ومن جملة هذه الشروط اعتبار الجرحى والمرضين واطباء جمعية الصليب الاحمر في ساحة القتال مسالمين لا محاربين اي على الحياد مع اي فريق كانوا . وكان دريان قد انفق كل ثروته في تاسيس جمعيات الصليب الاحمر حتى افتقر . ولو لم يُمنح جائزة نوبل الآن لمات شيخاً فقيرًا منسياً من هذه الانسانية التي وهبها كل ماله وخدمها انفع خدمة

فانْت توف — وفانت توف حائز جائزة الكيمياء رجل الماني اصله من هولانده وهو عالم

كيماوي مشهور ولكنه ليس بشهرة برتلو . وقد اشتهر هذا العالم باكتشاف كان له دوي شديد في عالم العلماء وهو اثبات ان الفحم والمتبلورات مؤلفة من دقائق كل واحدة منها جسم مستقل بنفسه و بتركيبه وهندسته . ولقد بنت مدينة امستردام في عام ١٨٩١ لفان توف معملاً ومنزلاً وتعهدت له بكل ما يحتاج اليه لتصرفه عن الذهاب الى مدينة ليزيج التي كانت تستدعيه ولكن مدينة برلين قويت عليها و بنت له معملاً عظيماً يشتغل فيه حينما يريد وجعلته استاذاً في احدى مدارسها العليا يلقي فيها الدروس على ارادته غير مقيد بزمان . وهو الآن مقيم فيها هنئ البال

سولي بريدوم — اما المسيو سولي بريدوم حائز جائزة الادب الكتابي والفلسفة فهو شاعر مشهور بسمو الافكار وعضو من اعضاء الاكاذمية الفرنسوية . ولما ورد الخبر بنيله جائزة الادب تواردت عليه الرسائل من كل جهات فرنسا . قال المسيو بريدوم لاحد محدثيه « واصحاب هذه الرسائل هم من رصفائي الشعراء ولا سيما المبتدئين منهم وكلهم يطلبون فيها مساعدات تمكنهم من اتمام دروسهم . وقد بلغ الى الآن قيمة المطلوب مني اضعاف اضعاف الجائزة . منهم واحد يقول انه يكتفي مني بمائة فرنك في كل عام اعينها له ليطالع بها اشهر المؤلفات الفرنسوية » فسأله محدثه فاذا عزمت ان تصنع بالجائزة . فاجاب انني سابذل جهدي في مساعدة المبتدئين من الكتاب ولا سيما رصفائي الشعراء لاظهار مواهبهم وتمهيد الطريق امامهم

رنتجن — اما رنتجن حائز جائزة الطبيعيات فهو عالم طبيعي الماني مشهور باكتشافه المعروف باشعة رنتجن . وقد اكتشف هذا الاكتشاف في عام ١٨٩٥ فكان له طنين في كل البلاد . و بواسطة هذه الاشعة يستطيع الجراح ان ينظر في داخل جسم الانسان كما ينظر في صندوق بفتحه . بل ان هذه الاشعة صارت تغني عن فتح الصناديق في الجمارك لان الناظر بواسطتها ينظر ما في الصندوق دون فتحه . وسن رنتجن اليوم ٥٦ عاماً وقد ولد في لينب من اعمال بروسيا

هذا وسنسيع دائماً في شهر دسمبر من كل عام بجوائز نوبل واسماء الذين ينالونها من العلماء . ولكن كثيرين يرون ان التوزيع الاول دلّ على ان الموزعين لا يوزعونها على مستحقيها . فان الكونت تولستوي والمسيو برتلو واللورد سبنسر واللورد كلفن والدكتور كوخ والدكتور رو لم ينالوا شيئاً منها مع انهم اشهر من الذين نالوها . اما تولستوي فانه نال ثلاثة اصوات

على جائزة الادب الكتابي والفلسفة التي نالها المسيو سولي بريدوم فكتب اليه جمهور من كتاب الاسوجيين وعلمائهم كتابًا يقولون فيه « انهم يعتبرونه شيخ الفلسفة والادب الكتابي في هذا الزمان وان لم ينل الجائزة »

هذه جوائز العلماء في الغرب وهذا قدرها في تلك البلاد . اما في الشرق عندنا فانه يظهر ان جوائز ارباب العلم لا تكون الا من انفسهم . لانه لما قيل انه قد عُين مائتا جنيه لمن يؤلف احسن كتاب في تاريخ مصر سألنا فوجدنا ان هذا التعيين من ادارة رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء

الحرارة في جوف الارض

﴿ قياس فعلي جديد ﴾

يقول العلماء ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المواد التي فيها ولكنهم لم يختبروا هذا القول قبل الآن اختبارًا ينفي كل ريب ويعين درجات الحرارة المذكورة . وقد نقلت المجلات العلمية الواردة في هذا الاسبوع ان حكومة بروسيا قد قامت بهذا الامر خير قيام لفصل الخلاف بين العلماء . وتفصيل ذلك انها بدأت منذ عام ١٨٩٣ في حفر ثقب في مدينة باوشوويتز قرب راتيبور في بروسيا وقد ظل الحافرون يحفرون بتأنٍ وصناعة حتى هذا العام فبلغوا الى عمق ٢٠٠٤ امتار في جوف الارض وهو اعمق ثقب حفره الحافرون الى اليوم . اما الامر الذي اكتشفوه في هذا الحفر فهو ان الحرارة في جوف الارض تزداد كلما ازداد الحفر . وقد قاسوا معدل هذه الزيادة فبلغت درجة واحدة من مقياس سنتيغراد في كل ٣٣ مترًا و١٠ سنتيمترات . وقد بلغت الحرارة عند فوهة الثقب على سطح الارض ٦ درجات وبلغت في قعر الثقب في جوف الارض ٦٠ درجة فتكون الحرارة قد زادت ٥٤ درجة . اما استدارة هذا الثقب فهي ٨٠ ميليمترًا

وقد اختلفت آراء العلماء في سبب هذه الحرارة لاختلافهم في سبب نشأة الارض . فمنهم من يقول ان الحرارة في جوف الارض باقية من حين تكون هذه الكرة بانفصالها عن الكتلة الشمسية . ومنهم من يقول غير ذلك . والله اعلم

بولونيا والترانسفال

﴿ حديث حديث يذكر بالحديث القديم ﴾

بولونيا اخت الترانسفال في الحزن · نشأة بولونيا وتاريخها · اسباب هلاكها · ثوراتها وبسالة ابنائها · دائرة الترانسفال والدوران فيها · الامل في الحرية عند الشعوب المستعبدة

بولونيا والترانسفال · او الترانسفال و بولونيا : مَن جمع هاتين الكلمتين في سطر واحد وهاج شجناً قديماً في نفس الانسانية · من اعاد ذكرى تلك الدولة البولونية التعيسة التي قتلتها بروسيا والنمسا و روسيا منذ مائة عام كما يقتل الجيش الانكليزي جمهورية الترانسفال في هذه الاعوام — لقد هاج هذا الشجن واعاد تلك الذكرى المؤلمة اطفال صغار من نسل تلك الامة سئموا من احتناء الاعناق تحت نير الاستعباد السياسي فرفعوا رؤوسهم اللطيفة الصغيرة يحتجون برفعها على حقهم المسلوب وحريتهم المقتولة · وقبل تفصيل ذلك يجدر بنا ان نأتي على شيء من تاريخ بولونيا وتفصيل اقتسامها

﴿ بولونيا وقتلها ﴾

بولونيا دولة قديمة كانت واقعة بين روسيا والنمسا و بروسيا · واسمها مشتق من كلمة « بولاك » وهي في السلافية « السهل » لكثرة السهول فيها · اما اصل سكانها فهم من السلاف ايضاً وكانوا في بدء امرهم متفرقين قبائل قبائل كالعرب قبل الاسلام وهم يعيشون في شمالي اوربا حتى جبل الالب · واما اسماء قبائلهم فمنها المازوفيون والكروباتيون والبورموريون والسيلزيون والبولونيون · وهذه القبيلة الاخيرة هي التي اول ما خطر لها انشأ مملكة بتوحيد القبائل السلافية كلها · ففكر الجامعة السلافية اذًا فكر بولوني لا روسي

وكان عدد سكان بولونيا في عام ١٧٧٩ اي قبل الاقتسام الاخير ١١ مليون نسمة · اما اليوم فان عددهم في الاحصاء الاخير يبلغ اربعين مليوناً موزعة في الممالك الثلاث التي اقتسمتها · والبولونيون في بروسيا والنمسا اكثر عدداً واقوى ساعداً منهم في روسيا

اما بدء اجتماع البولونيين فهو بدء تنصرهم · فان اول زعيم لهم يعرفه التاريخ هو الزعيم بياست الذي يلقبونه الدوق ميسكو وقد اقترن هذا الدوق في عام ٩٦٥ بالاميرة دبيراونكا

ابنة دوق بوهيميا لجعله زوجته هذه يترك الوثنية ويعتنق الديانة الكاثوليكية . وربما كان في هذا الامر قضاء على بولونيا من اول نشأتها لان اعتناق البولونيين الكاثوليكية جعل بعد ذلك بينهم وبين جيرانهم الروس الذين اعتنقوا الارثوذكسية حرباً للموت . ولو ان هذه الصدفة التي جعلتهم يعتنقون الكاثوليكية جعلتهم يعتنقون الارثوذكسية بدلاً منها فربما كانوا حفظوا حياتهم الى الآن والفوا مع جيرانهم الروس دولة عظيمة لم يرَ التاريخ مثلها بدلاً من ان تقتسمهم الدول التي تجاورهم

ومنذ هذا الزواج عظم شان البولونيين. وفي عام ١٠٠٠ للميلاد زار الامبراطور اوتون العظيم امبراطور المانيا بولسلاد نجل الزعيم ميسكو الذي تقدم ذكره ورفع عن راسه تاجه الامبراطوري ووضعه على راس بولسلاد علامة على انه صار من اصدقاء الامبراطورية. ثم اشتد ساعد بولسلاد فحارب الالمانيين والبوهيميين وكان اول زعيم بولوني هاجم الروس فوصل في غاراته عليهم الى مدينة كييف واستولى على اقليم تشرفنسك وعين اسقفيات في بلاده ثم نادى بنفسه في عام ١٠٢٤ ملكاً على بولونيا . وكانت روسيا لم تعتنق الديانة المسيحية بعد فرغب هذا الملك في دعوتها اليها بالقوة . وكان شديد الشكيمة قوي السلطة والشعب يعايمه ويحبه لقوته وصرامته . ولكنه من سوء حظه امر بقتل احد الاساقفة ويدعى ستانيلاس فغضب الشعب عليه فاضطر الى الفرار من بولونيا وترك مشروعه الروسي وربما كانت هذه الحادثة قد غيرت تاريخ بولونيا كله كما تقدمت الاشارة

اما خلفه فقد كان ضعيف السلطة ولذلك بداء في ايامه الداء الذي اودى ببولونيا وهو الفوضى في الاحكام وضعف السلطة الحاكمة . فقد تالف في بولونيا في ذلك العهد احزاب كثيرة من النبلاء والاكليروس والجند وقويت سلطة هذه الاحزاب حتى صارت دولة في الدولة . ولم ينحصر ذلك في هذا الامر بل ان بولونيا انقسمت قسمين فقسم سمي بولونيا الكبيرة وهو في الشمال الغربي يحكمه امير من نسل بياست الزعيم الاول وقسم سمي بولونيا الصغيرة وهو في الجنوب الغربي يحكمه امير آخر من نسل بياست المذكور ايضاً . وما زالت هاتان الامارتان في منازعات وحروب حتى كانت غارة التتر والمغول على بلادهما في عام ١٢٤١ فاتحدت الامارتان وثبتتا في وجه القبائل التترية ثباتاً عجيباً ادهش الناس وانقذ اوربا كلها من الهلاك . اذ لو قهر التتر والمغول البولونيين فربما كان السيل التتري جرف اوروبا كلها

وبعد ذلك رات الامارتان ضرورة اتحادهما لا سيما وان المانيا بدات تقوى وتفرك

نحوها والروس كذلك . فعادتا الى الاتحاد وقررتا ان كل واحدة منها لا تعين اميرها الا بموافقة الامارة الاخرى ثم عين مجلس نيابي لمراقبة اعمال الملك في وقت كان يجب فيه تقوية السلطة الملكية لا اضعافها . وكان في اكثر المدن مجالس نيابية صغيرة لا تقدر الحكومة على صنع شيء فيها او ادخال امر جديد اليها من غير موافقتها . وقد بقيت بولونيا في هذه الفوضى الى ما شاء الله

اما الدول التي حولها فانها كانت تكبر شيئاً فشيئاً فان الروس اخذوا يؤلفون دولة . وبروسيا كذلك . وتركيا كانت تتهدد بولونيا فاصبحت هذه المملكة فريدة في وسط جيرانها فخطر لها ان تحالف هنغاريا وبوهيميا لمقاومة تركيا وروسيا والمانيا ولكن نظامها السياسي كان يحول دون اي عمل تريد عمله لتشعب الآراء والسلطات فيها . وكان شانها يومئذ شان النمسا والمجر اليوم من حيث الاختلاف والنزاع على المصالح السياسية ولذلك يتنبأ الساسة اليوم بمصير النمسا الى ما صارت اليه بولونيا

ولقد احس بهذا المصير كثيرون من عقلاء البولونيين في ذلك الزمان منهم اورزيشوسكي وكريتيوس في اواخر القرن السادس عشر ولكن اصواتهم ذهبت في الهواء وفي عام ١٦١٢ شبت نار الحرب بين بولونيا واسوج فضعفتا كلتاها واستفادت روسيا من ضعفها . الا ان سيجيسمون ملك بولونيا تداخل على اثر ذلك في شؤون روسيا الداخلية ورام تعيين ابنه ولاديسلاي قيصراً لروسيا فرفض الروسيون مداخلة الاجانب في شؤونهم وعينوا قيصراً منهم . وفي اثناء ذلك اخذ البولونيون يضطهدون الارثوذكس في بلادهم فتداخلت روسيا لحمايتهم وثار قسم من بولونيا عليها باغراء القوزاق الذين فيها . وحينئذ بلغ الاضطراب في بولونيا اشده واستفحل امر الاحزاب الى حد لم يسبق له نظير . فان مجلس النواب قرر انه لا يجوز للحكومة ان تعمل اي عمل كان اذا عارض فيه بضعة من الاعضاء فصار الملك اسماً بلا مسمى . ولكنه كان يحل مجالس النواب كلما عارضته . فنشاء عن ذلك اختلال عام واخذ الشعراء البولونيون يتنباءون بسقوط دولتهم ولا غرو فان الشعراء كالطيور تعلم بالزوبعة قبل حدوثها . وقد قال الشاعر تواردوسكي « نخشى اننا لكثرة ما نحل المجالس ننتهي الى حل دولتنا » وقال كوشوسكي « ان الله صنع العالم بكلمة واحدة وهي « كن » اما نحن فاننا سنفقد بولونيا بكلمة واحدة وهي « اعتراض مجلس النواب » وقال مورزتين « ماذا تحتاج بلادنا . اجنداً عسكرياً ام سلاحاً ام خبزاً . كلا فلديها شيء كثير من هذا . ولكنها تحتاج الى حكومة »

وفي هذا الحين صار لروسيا في فارسوفيا قاعدة بولونيا سلطة عظيمة حتى انه صار السفير الروسي يدير مجلسها النيابي كيفما يشاء وعظم اختلاف العناصر البولونية وغير البولونية في داخل البلاد فاتفقت عليها روسيا وبروسيا وكان الملك فردريك ملك بروسيا اول من اقترح اقتسامها للاستراحة من اضطراباتها الداخلية والخارجية فرضيت روسيا به واقنع فردريك النمسا بوجوب ذلك فجرى اول اقتسام في ٢٠ يوليو من عام ١٧٧٢ . اما البولونيون فانهم ثبتوا ثبات الابطال ولكنهم لم يكونوا قد بنوا حصوناً في بلادهم ولا انشئوا جيشاً منظماً ولا اعدوا اسطولاً وكانوا متفرقي الكلمة والقوى فدارت الدائرة عليهم . وفي عام ١٧٩١ عادت بروسيا الى بولونيا فجرى اقتسام ثانٍ وفي عام ١٧٩٥ جرى اقتسام ثالث كان به القضاء على حريتها واستقلالها

اما الاهوال التي لاقاها البولونيون فانها صارت مضرب المثل فانهم لما تحققوا زوال استقلالهم قاموا يطلبون الموت من كل صوب وحدب فذبحت نساؤهم وصبيانهم وشيوخهم في الثورات التي ثاروها على اسيادهم ولكن دماءهم ذهبت هدراً ولم تغنِ شيئاً . ولما جاء نابوليون الاول انخرط كثيرون منهم في جيشه وحاربوا روسيا والمانيا والنمسا مستيقنين فثاروا لانفسهم اشد ثأر ونبغ منهم كثيرون من اكابر القواد . وكان نابوليون يعدهم بانقاذ بولونيا واعادة استقلالها اليها ولكنه لم ينجز وعده

اما الدول التي اقتسمتها فقد صرفت همها الى افناء لغتها وتقاليدها القديمة لتنسيها ماضيها ولذلك تحرم التعليم باللغة البولونية . وقد حدث في هذا العام انه صدر امر الامبراطور غليوم بتدريس التعليم المسيحي في المدارس الابتدائية البولونية باللغة الالمانية بدلاً من البولونية فتمنع صغار البولونيين في مدينة وارشين من درس التعليم المسيحي بالالمانية فاخذهم المعلمون فجلدوهم حتى ادموهم ثم سجنوهم في المدرسة . فلما رات ذلك امهاتهم هاجمن المدرسة وانقذن اولادهن منها بعد رجمها بالحجارة . فقبض البوليس على بعض النساء والرجال وحكم عليهم بالسجن عقاباً لهم فهاج لذلك البولونيون في روسيا والنمسا انتصاراً لاخوانهم في بروسيا وتظاهروا مظاهرات اهانوا فيها المانيا ومحوا في الوحل شعار القنصلية الالمانية في فارسوفيا

هذه لمحة من تاريخ بولونيا المسكينة ولا يزال كثيرون من ابنائها متفرقين في اقطار اوربا يدعون الى حريتها واستقلالها وفيهم نخبة من العلماء ورجال العقول والاقلام وقد كتب كثيرون من نابغي كتابهم كتباً عديدة في الفظائع التي صنعت في بولونيا مما

ابكي الجماد وجعل اسم البولوني مقروناً بالقوة الشهامة وحب الموت في الدفاع عن ذويه ·

﴿ الترانسفال وحربها ﴾

واما الترانسفال فانها تشبه بولونيا ولا تشبهها · تشبهها من حيث انها ستصير بعد حين الى ما صارت اليه بولونيا ولا تشبهها من حيث انها كانت مستعدة للحرب استعداداً كافياً وكانت سلطتها مؤيدة في داخل بلادها ولم يكن فيها شيء من الاضطرابات والقلاقل التي تضعف الممالك والدول ·

ولقد مضى اكثر من سنتين والحرب دائرة في جنوبي افريقيا دون ان يخضع البوير او يضعف لهم ساعد مع ان عدد المحاربين منهم الآن في الترانسفال والكاب واورانج والناتال لا يتجاوز ١٥ الف مقاتل وعدد الجيش الانكليزي اكثر من مائتي الف مقاتل· وهذا ما حدا الناس في الشرق الى تشبيه هذه الحرب « بالموال الافرنجي » الذي لا ينتهي وجعل الناس في الغرب يشبهونها بدائرة يدور فيها الانكليزي والبويري دون ان يدركا نهاية · وهذا التشبيه مرسوم في الرسم الاول فانك تجد فيه دائرة مرسومة وفيها جندي من البوير يدخن غليونه وهو سائر يتبختر ووراءه جندي انكليزي يطارده ويدور وراءه في هذه الدائرة على غير فائدة · وهكذا تدوم الحرب الى ما شاء الله

لكن من يعلم ان الحكومة الانكليزية تنفق على هذه الحرب في كل شهر ١٢٥ مليون فرنك لا بد ان يعجب لهذا الصبر الغريب والعناد العجيب وينتظر ان يكون اللورد كتشنر قد جرب شيئاً لانهائها · وفي الحقيقة ان اللورد كتشنر قد صنع شيئاً من هذا القبيل · وهذا الشيء صغير بحد ذاته كالحركة الصغيرة التي قهر بهـا اللورد روبرتس البوير في وقائعهم معه

حرب الترانسفال عبارة عن دائرة يدور بها الانكليز والبوير دون ان تنتهي

وبيان ذلك بالاختصار ان قواد حرب الترانسفال قبل اللورد روبرتس كانوا يهاجمون البوير مواجهة فيقف البوير في وجوههم ويطلقون عليهم ناراً حامية حتى يرجعوهم · ويذكر القراء ان الجنرال بولر هاجمهم ثلاث مرات عند نهر التوجيلا لانجاد لاديسمث المحصورة

وفي المرات الثلاث كانوا يردونه برصاصهم . فجاءه اللورد روبرتس وهاجمهم في المرة الاولى من جهات كبرلي المحصورة ثبتوا في وجهه وحاولوا صدّه ولكن اللورد روبرتس قائد نبيه فانه ما تحقق ثباتهم في وجهه حتى مد خطوط جيشه ورام ان يدور من ورائهم ليوهمهم انه يبغي الاحاطة بهم . فلما ابصر البوير هذه الحركة عادوا القهقرى خوفاً من الانحصار .

وهكذا اكتشف اللورد روبرتس سر النجاح معهم فصار كل ما لقيهم لا يهاجمهم ولكنه يمد خطوط الجيش ويُظهر انه يروم الاحاطة بهم فيفروا من بين يديه كالعصافير من مخالب الباشق . وقد اسر الجنرال كرونجه وجيشه امام كبرلي لانه لم يستطع الفرار سريعاً قبل احاطة فرسان الجنرال فرنش بجنوده

هذا هو السر الذي اكتشفه اللورد روبرتس في هذه الحرب وكان مفتاح نجاحه ولكن بعد ان عاد اللورد روبرتس الى انكلترا وتفرق البوير شراذم شراذم لحرب المناوشات لم يعد ذلك السر نافعاً . فلجأ اللورد كتشنر الى امر آخر وهو بناء الحصون والمراكز العسكرية في السهول والقفار لتلجأ الجنود الانكليزية اليها وتحارب شراذم البوير منها . وهذه المراكز مبنية فوق آكام من حجارة على مسافة ميلين او ثلاثة بعضها عن بعض واليها ينسب اللورد كتشنر ما ناله من النجاح في المدة الاخيرة . ويقول العارفون ان البوير لا يخضعون ويسكنون حتى تمتلئ اراضي بلادهم سهولها وجبالها بحصون كهذه الحصون . وقد رسمنا في الشكل الثاني احدها

المراكز العسكرية الجديدة التي يُرجى اخضاع البوير بها

ومع ذلك فاذا خضع البوير الآن فان مثال بولونيا التي تنتفض وتنتقض من حين الى حين يدل على صدق قول المتنبي

وان الجرح ينفر بعد حين   اذا كان الشفاء على فساد

وهذا يذكرنا قول من قال « لا يجب ان تقطع الامم المستعبدة املها من الحرية معها طرأ عليها لان المستقبل مثقل بالنواجئ والمباغتات . ولكن عليها ان تحفظ نفسها اي ان تصون لغتها وعاداتها ولا تفنى في سيدها . فالامر المهم هو ان تبقى ثابتة كامنة واما حريتها فتاتي نوبتها في المستقبل الابدي »

كلام للقراء عن موضوع رنان

﴿ بضع رسائل ﴾

لما نشرنا ترجمة بوذه في السنة الماضية قلنا اننا سننشر تراجم اصحاب الشرائع اليهودية والمسيحية والاسلامية كما يكتبها العلماء وكما يكتبها المتكلمون اي علماء الدين. ولم يكن الغرض من ذلك ذكر التراجم ذكرًا دينيًا وانما كان الغرض ذكر تلك الحوادث العظيمة الماضية باسباب يُطلع القراء على حالة الوسط التاريخي الذي كان في ايام اصحاب هذه الشرائع لان تلك الحوادث هي اعظم الحوادث البشرية التي غيرت وجه العالم ومن الواجب الاطلاع عليها . وقد لخصنا في الاجزاء الاخيرة وفي هذا الجزء كلامًا للفيلسوف رنان عن تاريخ السيد المسيح وكنا نؤمل ان يكون له من الجهة التاريخية وقع عظيم لدى القراء لما فيه من الوصف التاريخي الذي جردناه عن كل ما يخدش الاذهان. فيظهر من الرسائل التي تراكمت علينا ان املنا كان في محله بل انه تجاوز محله وقد ارتاح جميع القراء الى المباحث التاريخية اللطيفة التي وردت في هذا السياق

على ان الرسائل قد تكاثرت علينا الى حد يوجب علينا الاشارة اليها ونشر شيء منها. فنبدأ بالرسالة التالية

كتب الينا صديق من سوريا يقول:

« لما رأيتُ عنوان كتاب رنان في الجزء الثاني من الجامعة قلت سقيًا لكِ يا مصر ام الحرية التي صارت اقوال رنان تُترجَم فيكِ . ثم سررتُ بان الجامعة عملت عملاً يدل على استقلالها وعدم خوفها في ما تنشره لومة لائم. ولكن بقدر سروري حين وقوع نظري على عنوان الكتاب كان استيائي حين قراءتي مقالات رنان في الجزء الاول والثاني والثالث. فانني كنتُ كلما اقرأ لا اشم شيئًا كثيرًا من رائحة رنان بل كنت ارى ان الجامعة تصرفت بالكتاب الذي « قطع رنان عمره في كتابته » تصرفًا اخرجه عن موضوعه الاصلي. ولو عاد رنان الآن من قبره الازلي لانكر هذا التلخيص الذي شوَّه فكره ولما عرف كتابه . فكيف تستجيز مجلة كالجامعة هذا التصرف . وهل تطيق ان ياخذ احد احدى مقالاتها ويقلبها الى غير الغرض المقصود بها بحذفه كل ما لا يريده منها

« ومما اضحكني ان احد المعارف بعد مطالعته جميع مقالات رنان في الجامعة جاءني

وقال : حقاً ان الاكليروس في اوربا على غاية من التعصب . فسألته ولماذا . فاجاب انني قرأت تاريخ رنان في الجامعة فلم اجد فيه شيئاً يستحق الاضطهاد الذي لقيه منهم مؤلفه . فضحكتُ حينئذ واجبته : ليس الذي قرأته في الجامعة تاريخ رنان ولكنه تلخيص رنان فاذا شئتَ رنان الحقيقي فاقرأه في كتابه المطول تعلم مقدار التصرف الذي تصرفت به الجامعة لتهوّن على الناس قراءته . وحينئذ مثلتُ له الجامعة واقفة بازاء رنان « تشمط » اذنه من هنا وتدفعه من هناك وتقطع من ثوبه من هنالك ثم لم اتمالك ان قلتُ ضاحكاً ان رنان اذا التقى بحضرة منشيء الجامعة في اليوم الاخير فانه يناقشه الحساب على ذلك

« والخلاصة انني آسف لان الجامعة لم تنقل هذا الكتاب كما كتبه مؤلفه لاننا نعتبر انها تحرص على مبادىء الحرية وصدق النقل في ما تنشره حرصاً ما وراءه حرص . وعندي انه خير للجامعة ان لا تنقل هذا الكتاب من ان تنقله وتحذف منه ما تظن حذفه واجباً الخ ... »

وكتب الينا احد القراء الافاضل من اميركا يقول :

« ان القراء ينتظرون وصول الجامعة كما ينتظر الظمآن الماء لمتابعة مقالات رنان وغيرها من مباحث الجامعة الجامعة . ويسرني ان اخبر جنابكم ان تلك المقالات قد حازت رضى العموم مهما كانت اعتقاداتهم لانهم يقرأونها كما يقرأون تاريخاً لا كما يقرأون بحثاً دينياً فاذا وجدوا فيها شيئاً غير منطبق على اعتقادهم اغضوا عنه وتركوه والتفتوا الى المسائل التاريخية التي صرف رنان عمره كما قلتم في البحث فيها . ومما يساعدهم على هذا الاعتدال في الاميال والافكار هواء الحرية هنا الذي ينعش الصدور ويجلو الجهل عن العقول ويعلم ان البشر انهم اخوان ومن طبيعتهم الاختلاف في الاراء والمذاهب فيجب ان يحملوا بعضهم بعضاً كما يقول المثل والا كان العالم كله عبارة عن ساحة حرب ونزال فنرجوكم ان تكثروا من هذه المباحث وحبذا لو ملأت كل مقالة من تلك المقالات في كل جزء نصف صفحات المجلة »

اما كاتب الرسالة التالية فهو من اصدقاء الجامعة ولكنه يصرخ كانه ينفخ في بوق « سلام في سلام .. اما بعد فالآن قد وُضعت الفاس على اصل الشجرة فكل شجرة لا تُعطي ثمراً تُقطع وتُلقى في النار . فنرجو منكم ان تكلوا هذه المباحث ولا تتصرفوا بها كما ذكرتم في ترجمة مؤلفها . وانما نطلب ذلك بنوع خصوصي لنقرأ ما قاله فيهما رنان عن

الكهنة اليهود فانه قد بلغني ان رنان وصفهم وصفاً ينطبق عليهم وعلى أكثر كهنتنا لتشابه الحالتين . فلا تلطفوا اللهجة هناك اذ ليس فيها ما يمس المذاهب قطعياً بل انها نافعة للشعب لانها تنبهه الى مصالحه الحقيقية وهي مراقبة اعمال رؤسائه وطلبه الاشتراك معهم في ادارة شؤون الطوائف والعمل لمنفعتها لا لمصلحته . فالآن قد وُضعت الفاس على اصل الشجرة فدعوا رنان يضرب ولا تخففوا ضرباته »

وكتب صديق قريب من الجامعة جدًا يقول « قد يستاء بعض البسطاء والجهلاء من مقالات رنان لانهم لا يفهمونها فهم معذورون واذا فهموها اوّلوها الى غير المقصود منها. اما انا فلو سُئلتُ عن رايي الشخصي في هذا الموضوع لاجبتُ اني قرات الصيف الماضي كتاب « تاريخ المسيح » لرنان واری ان هذا الفيلسوف مع ما يتهمونه به من انكاره المسيحية لهو في الحقيقة كما يقول عن نفسه « الماشي على خطوات المسيح » وليس غريباً ان يُضطهد الرجل لتصريحه بحقائق يثقل سمعها لاول مرة فالمسيح قبله صلبوه لانه قال ما يقوله الآن رنان من وجوب عبادة الله بالروح والحق لا بغير ذلك من الامور التي لا يُفقه لها معنى »

هذا ما اكتفينا به من الرسائل العديدة التي وردتنا بهذا الشان . وعليها نرد بقولنا — ان صاحب الرسالة الاولى اخطأ بقوله اننا تصرفنا بكتاب رنان تصرفاً غير وضعه فاننا لم نتصرف بكتاب رنان ولكننا « حذفنا منه كل ما لا يجب ذكره احتراماً للمعتقدات» كما قلنا في ترجمة رنان في الجزء الثاني (الصفحة ٧٩ السطر الاخير) وذلك لان « غرضنا علمي تاريخي محض واما المسائل الدينية الكبرى فلا دخل لها هنا » وهكذا قلنا في الصفحة ٨٠ ايضاً . وانما حذفنا ذلك لسببين الاول ان رنان تطرف في بعض الاقوال تطرفاً لم يبنه الا على الظن والتخمين وقد اشار الى ذلك في مقدمة كتابه . فما الفائدة من التعب في نقل الظن والتخمين . والسبب الثاني ان عدد صفحات الكتاب ٥٥٢ صفحة فلو نقلناها كلها لملأت اجزاء كثيرة من الجامعة . اما قول المراسل انه يجوز لرنان ان يناقش الجامعة الحساب على هذا التصرف فنرده بكلمة واحدة وهي ان رنان نفسه قد راى في حياته وجوب تلخيص كتابه وحذف كل ما يخدش اذهان المؤمنين منه فلخصه في كتيب صغير يقراه المسيحي وغير المسيحي بسرور وهو يباع للشعب الفرنسوي بفرنك مع ان ثمن كتابه الكبير سبعة فرنكات ونصف . فهل تُلام الجامعة اذا صنعت ما صنعه رنان نفسه

وآخر ما نقوله بهذا الشان اعادة ما ذكرناه قبلاً وهو اننا لا نقصد بنشر هذا الكتاب

الا المواضيع التاريخية والاجتماعية منه . ونحترم ما بقي احتراماً يوجب علينا عدم الدخول فيه كما قال ديكارت لاننا ابعد الناس من البحث في القضايا الدينية ولاسيما في زمن كهذا الزمن . وقد قال لنا كثيرون من القراء انهم بحثوا كثيراً منذ سنوات ليقفوا على وصف الاماكن المقدسة يوم ظهور السيد المسيح وكيف كانت حالة بني اسرائيل يومئذٍ وعلاقتهم بالرومانيين وذكر المبادىء التي كانت تختلج في نفوسهم ووصف مجامعهم ورؤسائهم وعلمائهم فلم يجدوا ذلك الا في هذه المقالات . نقول وهذا غرضنا من نشرها

اما صاحب الرسالة الثالثة الذي هو صاحب القاس فاننا لا نقبل رايه وقياسه الا من جهة واحدة . ذلك لانه اذا كان في طبقة رؤساء الاديان في كل ملة ودين قوم يصح فيهم ما قاله رنان عن الفريسيين ففيهم ايضاً قوم افاضل بسطاء الاخلاق قد نبذوا الكبرياء والطمع في المال ونذروا الفقر والتواضع ووقفوا انفسهم لخدمة شعبهم وبني جنسهم . فالعدل يقتضي الثناء على هؤلاء حين ذم اولئك لئلا يؤخذ الصالحون بجريرة الاردياء وان كان الاردياء يتسلطون في اكثر الاحيان على الصالحين ويكون القول قولهم والفعل فعلهم . ولا ريب عندنا ان الفئة الصالحة من رؤساء الدين يفيدها ان تطلع على ما يقوله العلماء عن الامور الدينية لتاخذ من اقوالهم فوق ما تاخذه من مصادرها اليومية قوة تعصمها عن الوقوع في ما وقعت به الفئة الرديئة وتذكرها الحادث العظيم الذي ضُحيت فيه منذ ١٩ قرناً اثمن فدية في هيكل التعصب والجهل والطمع والاستبداد ونسيان الدين الحقيقي

تاريخ السكر وصناعته

❊ تاريخ استعمال السكر ❊ السكر كلمة هندية معناها المحبب اي الجسم ذا الحب واصله من الهند والصين . اما ناقله من الهند الى اوربا وآسيا فهو احد قواد اسكندر المكدوني وقد عاد به من تلك البلاد في عام ٣٢٥ قبل الميلاد المسيحي ولم يكن معروفاً قبله . وكان اليونان يسمونه «عسل القصب» او «الملح الهندي» وكان نادراً في بدء امره وغالي الثمن جداً فلم يكن يبتاعه احد غير الاغنياء . وبعد موت الاسكندر زُرع قصب السكر في بلاد العرب فاخذه الرومانيون منها ولكنهم كانوا يفضلون السكر الهندي على السكر العربي كما روى مؤرخهم بلينيوس



ولما حدثت الحروب الصليبية عاد الاوربيون من الشرق بشيء كثير من السكر ولم يكونوا قبل ذلك يستعملون للتحلية محليًا غير العسل. ومنذ هذا الحين احتكرت البندقية تجارته فكانت سفنها تفد على الاسكندرية لملاقاة السفن القادمة بالسكر من الهند. وكانوا لا يستعملون السكر حينئذ الا بمثابة دواء في الصيدليات لغلو ثمنه ولكن لما تكاثر وروده انخفض ثمنه وعم استعماله. وفي عام ١٤٩٧ اكتشف البرتغاليون راس الرجاء الصالح وكانوا اقوياء فاستولوا على تجارة السكر ثم تغلب الهولانديون واخرجوا هذه التجارة من ايديهم. وبعد ذلك تغلب الانكليز واخرجوها من ايدي الهولانديين. ولكن لم يات القرن السادس عشر والسابع عشر حتى انتشرت زراعة القصب في جزائر كناريا والراس الاخضر واميركا وجزائر الانتيل فاغنى سكرها عن السكر الهندي

﴿ صبي مصري يمص قصب السكر ﴾

﴿ اختراع عظيم ﴾ وكان السكر لا يُستخرج من قبل الا من قصب السكر ففي اول القرن الماضي حتم نابوليون الاول بحصر شواطىء اوربا وانكلترا لمنع المؤن عن انكلترا اذلالاً لها فامتنع بذلك ورود السكر الى اوربا. فاستدعى نابوليون بعض علماء الكيمياء وعهد اليهم ان يصنعوا سكرًا يقوم مقام السكر الطبيعي وكان بعض علماء الالمان يقول بوجود مادة سكرية في جذور البنجر (الشمندور) فتوفق المسيو ديليسر والمسيو تيبري الكيماويان الى استخراج السكر من البنجر فاكرمهما نابوليون اجل اكرام لهذا الاختراع ومنذ هذا الحين خطت تجارة السكر خطوة واسعة

﴿ محصول السكر في العالم ﴾ ولما اعلن هذا الاختراع قاومه كل زراع القصب ولكن البنجر لم يلبث ان تغلب عليهم. ويبلغ الآن محصول السكر في العالم ٧ ملايين طن



﴿ قطف قصب السكر وحمله الى معاصر الدائرة السنية ﴾

ونصفًا منها خمسة ملايين طن تستخرج من البنجر والباقي من قصب السكر · ومن غرائب تجارة السكر ان فرنسا تصدر منه الى انكلترا شيئًا كثيرًا فيباع الكيلوغرام الواحد في لندن باربعين سنتيماً حالة كونهُ يباع في باريز نفسها بفرنك و٢٠ سنتيماً · وسبب هذه الغرابة ان الحكومة الفرنسوية تدفع جوائز للتصدير مساعدة للزراعة فيسهل على التجار الفرنسويين بيع سكرهم في لندن بثلث ثمنه في باريز

اما القطر المصري فقد اخذت زراعة القصب والبنجر تنتشر فيه منذ سنة ١٨٨٩ وهي مطردة الزيادة وقد وضعنا في هذا الفصل رسم قطف قصب السكر في مصر وحمله على الجمال الى معاصر الدائرة السنية ورسم صبي مصري يمص القصب بشراهة كأنه يعلم انه يمص شيئاً كان يعز على اولاد الملوك مصه لندرته وغلاء ثمنه

نشر صفحات مطوية

﴿ من تاريخ آداب اللغة الانكليزية ﴾

(او شكسبير الحقيقي في مصر)

حضرة منشىء الجامعة الغراء

يزعم كثيرون من ادباء الانكليز ان الروايات المنسوبة لشكسبير اشهر شعرائهم ليست من تاليفه بل هي تاليف اللورد فرنسيس باكون الفيلسوف المشهور الذي يُعد هو وديكارت اول واضعي الفلسفة الحديثة . وقد افتتح في الاسبوع الماضي حضرة نجيب افندي شاهين بحثاً في جريدة « الاجبشن غازت » مثبتاً روايات شكسبير لباكون فرد عليه قوم وعضده اخرون . وبينما انا اطالع عدد الجريدة المذكورة الصادرة في هذا النهار وجدت فيها كتاباً بامضاء «يكسبير» لا يخلو ذكره من فائدة . قال ذاك المراسل : —

« استعرت يوماً من المكتبة الخديوية كتاب خط قديم باللغة العربية وبينا كنت اقلب صفحاته عثرت فيه على اوراق مكتوبة باللغة الانكليزية وموقع عليها بامضا المسترجون بنت في حلوان بتاريخ ٢ يناير سنة ١٦٢٤ وكان المذكور قد قدم مصر كاتماً لاسرار اللورد باكون . وهو يذكر في كتابه عن سفر اللورد باكون الى القطر المصري وكيف ان الاطباء اشاروا عليه بالسفر الى جنوبي فرنسا لتبديل الهواء فقدم الى مرسيليا ووجد هنالك عدداً من ادباء البندقيين قاصدين الاسكندرية فاتى برفقتهم اليها ثم سار منها الى رشيد ثم الى بولاق حيث قُدم الى رئيس المماليك بصفة ابن الملكة اليصابات المتوفاة ونسيب الملك جيمس ومفتي انكلترا الاكبر . وكيف انه قوبل بالاجلال والاكرام . ويذكر ما يدل على ان باكون هو مؤلف الروايات ولكنه كان يصدرها ويمثل باسم شكسبير . الى ان يقول « كانت رواية « انطونيوس وكليوباترا » التي الفها سيدي في سنة ١٦٠٨ احب مؤلفاته اليه وبما

انه كان يحب النيل كتب في المشهد الثاني منها عن ارتفاع النيل وهبوطه وذلك قبل زيارته للبلاد . وعندما قدم القطر المصري وجال في كل انحائه اشار على حكامه بان يجعلوا سداً في مدينة اصوان ودرس الشريعة الاسلامية بواسطة مترجميه وباحث علماءها وشيوخها وعرض عليهم اقامة محاكم اهلية وتنصيب بعض الانكليز فيها . وكثيرًا ما كان يقول لو درى ابناء وطني ما هي بلاد مصر لكانوا تواردوا عليها زرافات في طلب الرزق والصحة . وكان يحب اللغة العربية الفصحى و يسر بسماعها وقد تلقنها من العلماء واعجب برواية الف ليلة وليلة وكان في نيته ان يؤلف رواية يبنيها على قصة السلطان حسن الخ ..»

ويقول المراسل ان ذلك الكتاب محفوظ لحد الآن في المكتبة الخديوية ويطلب في حرف الجيم ١٠٥٦ و٣٥٦ الف فاذا صح ما قيل ولم يكن ذلك مزاحاً كانت تلك الرسالة فصل الخطاب ورُفع اسم شكسبير من عداد مشاهير الشعراء والروائيين

﴿ الياس عيساوي ﴾

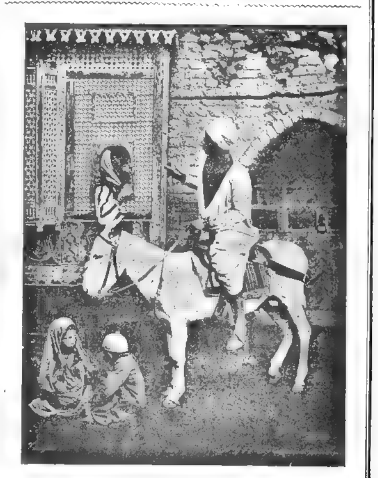
﴿ الجامعة ﴾ كنا منذ اسبوعين نعدّ بعض المواد لترجمة باكون وديكارت مؤسسي الفلسفة الحديثة فلما وردتنا هذه الرسالة راينا من الفائدة ترجمة باكون وشكسبير معاً . وسننشر ترجمتهما في العدد القادم . وحبذا لو اهتم احد من القراء في العاصمة بالبحث عن الكتاب الذي اشار اليه حضرة صاحب الرسالة

عادات واخلاق

﴿ بعض عادات مصرية عامية ﴾

يسمع القراء في خارج مصر بشهرة « حمّارة » مصر ولكن لم يروهم ولذلك وضعنا لهم في الشكل الاول رسم احدهم في اعظم مواقفه . وهو موقف يدل على ان « الحمّار » اكثر نباهة مما يظنه بعضهم وانه ذو قلب حساس كباقي البشر

وعلى ذكر الحمارة نروي طرفة لاحد السياح . فان هذا الرجل الشفوق كتب الى جرائد لندن يذم الحمارة لانهم يشدون لجم حميرهم ليعودوها رفع اعناقها وقال بعد هذا الذم انه يرجو من جميع السياح ان لا يركبوا الحمير التي تكون كذلك معاقبة لاصحابها وحماية لها لان هذا الشدّ يعذبها في بدء الامر عذاباً شديداً



﴿ حمّار نبيه ﴾

اما الشكل الثاني ففيه رسم بائع اللبن (الحليب) وعنزاته يطوف بها على المنازل والدور ليبيع الناس لبنها سخناً جديداً . وهذه الطريقة افضل من طريقة حلب اللبن في وعاء والدوران لبيعه لان الشاري يكون على ثقة من ان اللبن الذي يشتريه غير ممزوج بماء قذر ولا شيء فيه من جراثيم الامراض المنتشرة في الطرق والاسواق . ولكن يشترط

فيه ان تكون ثدي العنزة نظيفة من غبار الطرق ويد صاحبها الذي يحلب لبنها اشد نظافة منها . ولولا خوفنا من اشمئزاز نفوس القراء لذكرنا لهم ما وجده المجلس البلدي في لبن الثغر لما حلله تحليلاً كيماويًا . فننصح كل انسان ان لا يشرب لبنًا الا بعد غليانه على النار غليانًا شديدًا . ويحق لجميع السكان ان يعتبوا اشد عتب على المجلس البلدي الذي لا يراقب لبن المدينة ويوجب بيعه في آنية مقفلة مخصوصة كما في برلين واميركا على الخصوص



﴿ بائع لبن وعنزاته ﴾

اما الشكل الثالث فانه رسم اثنتين من الفتيات جامعات اعقاب السكاير . وهما واقفتان في المنشية تشاهدان المركبات الفخيمة الصادرة والواردة وتقولان اما في اولئك الاقوام رحمة فينشئوا لنا مدرسة تنتشلنا من هذه الوهدة وتغنينا عن هذه المعيشة . اما جمع اعقاب السكاير فالمقصود منه ان ينتشر الصبيان والفتيات في نواحي المدينة وقهاويها يجمعون فضلات السكاير التي يلقيها الناس بعد ان يدخنوها . ومتى ملأوا الاوعية التي معهم عادوا وباعوا اعقاب السكاير الى باعة التبغ فيجمعها هؤلاء ويصنعوا منها سكاير جديدة للبيع . . وقد اصدرت جزيرة جرسي الانكليزية منذ شهرين قرارًا قاضيًا بمنع جمع اعقاب السكاير لانه ثبت ان في تلك الاعقاب كثيرًا من ميكروبات السل وغيره من الامراض . فتأمل



﴿ جامعات اعقاب السكائر ﴾

اما آداب هذه الفئة المسكينة فانها مما يفطر الفؤاد · وكثيرًا ما كنا مارين في المشية فوقفنا بازائهم نتلاهى بامرهم ونصغي الى حديثهم على غير علم منهم فكنا نسمع عجائب ونرى غرائب · ولا لوم على هؤلاء المساكين الذين يعيشون من انفسهم كما يعيش النبت في البرية وينامون في ليالي الصيف والشتاء متراكين بعضهم على بعض في زوايا الطرق ومنعطفات الشوارع وانما اللوم على الهيئة التي لا تلتفت اليهم ولا تفتح ابواب الرزق في وجوههم · فلو جمعتهم الحكومة من الاسكندرية والعاصمة وباقي مدن القطر مع كل المتشردين والتعساء الذين لا عمل لهم وانشأت منهم مستعمرة زراعية في السودان او في بعض الاطيان في مصر تستعملهم لزراعتها والعناية بها لقامت بالواجب عليها واستفادت وافادت في وقت واحد



﴿ الشكل الرابع ﴾

اما الشكل الرابع فهو رسم واحد من الشعب المصري جاء احد الكتبة العموميين وساله ان يكتب باسمه رسالة الى حضرة الوزير الخطير صاحب العطوفة مصطفى باشافهمي رئيس النظار ليقول فيها له : « يا صاحب العطوفة لقد سئمنا ونحن ننتظر من الحكومة التعليم الالزامي » وقد كتب الكاتب العمومي هذا الكتاب واذا كان لم يصل الى عطوفة المرسل اليه فالجامعة توصل هذا الامل الى عطوفته

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والافكار من اخص وظائف المدرسة

ربين اولادكن بانفسكن

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — بالرمل

كما ان الله اعطى المرأة عملاً تعمله في هذا العالم اعطاها ايضاً مواهب تؤهلها له . قال رسكن « قد اعطى الله المرأة خمس مواهب . ان تسرّ . ان تغذّي . ان تُلبس . ان تحفظ الترتيب . ان تعلم » وعلى الامر الاخير مدار الكلام

ولا يُقصد بالتعليم ان تذهب المراة لتعلم في المدارس بل المقصود ان تستخدم قواها ومواهبها لتدريب وتعليم كل من حولها . وقد خصها الله بالصفات الداعية للنجاح في هذا التدريب والتعليم مثل الصبر والمهارة والشفقة وهي صفات قلما توجد في الرجل . وقد قالت احدى الكاتبات تخاطب معلمات المدارس: كم تصنعن من الخير بتخصيصكن وقتاً لتهذيب الفتيان لانكنّ تستطعنَ ان تكلن فيهم ما لا يستطيع المعلمون الرجال ان يكملوه . ولذلك يضعون للصبيان في المدارس الاوربية الابتدائية معلمات بدلاً من المعلمين

والولد هو اكبر واصرح كتاب اوجدته الطبيعة فكم معلم تراه يغضب وينتهر تلامذته لعدم فهمهم ما يلقيه عليهم و يدعي ان غضبه ناتج عن غيرة ورغبة مع انه لو علم السبب لخجل . فان ذلك ناتج عن جهله بطبيعة الاولاد . ولو جرب وكتب بيده اليسرى لتعلم ان يصبر على الاولاد اذ يعلم ان كل ولد هو ايسر اي قواه غير ممرنة ولاجل ذلك وضعوه في المدرسة . فالمعلم الحاذق والمعلمة او الام الحاذقة يكونان هادئين باشين دائماً ويقبلان غلطات الاولاد وبلادتهم بصبر وابتسام وبالاخص اذا كانا يذكران سني صغرهم

واحسن تربية تكون للصغار هي ما قالته ام فاضلة انكليزية عن اولادها . قالت « اني اترك اولادي لنموهم الطبيعي وادعهم يختارون و يرفضون الخير والشر لانفسهم

بعد ان اظهر لهم ماهية الاثنين . واعودهم الاعتماد على النفس وقضاء حاجاتهم وان يكن عندي خدم كثيرون لان بذلك نفع عظيم لمستقبلهم . ولا اسمح لهم بالعب مساء ولا بعمل ما من شانه تنبيه اعصابهم لكي لا يزعج نومهم المادي، اللطيف اللازم لنموهم الطبيعي . ثم انني اغرس فيهم حب الطبيعة . واول درس القيه عليهم هو عن الازهار والطيور والحيوانات ولا سيما الحشرات التي يستطيعون امساكها . واقنعهم بان لا شيء ادنى واقبح من الكذب . ولا شيء يجلب تعاستهم مثل عصيانهم سواء كان ذلك العصيان لمن يحكم عليهم او لنواميس الطبيعة . واريهم كيف يجلبون الامراض ويدفعونها عنهم وكل تربيتي لهم احصرها في ثلاثة امور . وهي : ان الصحة الجيدة والاسنان القوية والطبع اللطيف تاتي من الطعام البسيط المغذي ومن كفاية النوم وصلاح الانسان . فاذا ارادت الام جعل الاولاد سعداء فلتجعلهم يلعبون كثيرًا وينامون اكثر ويأكلون اقل . لاني رايت هذه اصلح طريقة لاصلاح اجسامهم واخلاقهم . وكنت ايضًا اربي فيهم حب خدمة الغير على اختلاف اجناسهم لان بذلك سرورًا عظيمًا . وكنت اقابل دائمًا ذنوبهم بالاساءة وصلاحهم بالاحسان لان هذه افضل واسطة لتربية الاولاد . واذكر دائمًا انه يجب القصاص ولكن لين بقضيب من حديد لان راس الولد يجب ان ينحني ولكن لا ان ينكسر . ويجب ان تخضع روحه ولكن لا ان تنسحق

«واول ما يجب ان يتعلم الولد ايضًا هو ان يحترمك . وربما تضحك كل ام عند سماعها هذا ولكن لتتذكر ان حب الولد لامه غير احترامه لها . فان كل الاولاد يحبون امهاتهم ولكن لا يحترمونهن كلهم . وكثيرات من الامهات تخسرن احترامهن من شدة شفقتهن على اولادهن »

وقال رسكن ان تربية الولد تبتدىء في الشهر السادس من عمره لانه في ذلك الوقت يبتدئ يتاثر من الحالة التي هو فيها فاما اساس اخلاقه يوضع في هذا الحين . وقال آخر ان تربية الطفل تبتدىء ٢٠ سنة قبل ولادته اي بتربية امه

واذا كان في كل ما تقدم فائدة فما هي الا تمهيد للفائدة الكبرى التي نقصدها في هذا الفصل وهي : « ربين اولادكن بانفسكن » . فان تسليم الامهات اولادهن الى الخادمات والمراضع امر لا يعلم اضراره الا الله . وكلنا نعلم ان كل ام تغار على جسم ولدها ولا تسمح ان يخدشه اقل شيء فكيف والحالة هذه تسمح بان تتخدش نفسه بسوء معاملة المراضع والخدم وقدوتهم السيئة . فهل النفس عندنا ارخص من الجسد . كلا . فلا تسلمي اذا

ايتها الام فلذة كبدك الى مرضعة او خادمة بل اخدميه بنفسك دائماً ولا تدعيه يفارقك ابداً · غذيه من نفسك لا من نفس الخادمة لانك تعلمين ما في هذه النفس المسكينة · واذا كنت لا تحسنين تربية الاولاد وتعليمهم فاطلبي الكتب التي تبحث في ذلك واسالي معلماتك في المدرسة ان يسلمنك صفاً لتعلميه لمعرفة اخلاق الاولاد والتعود على سياستهم ·واعلمي ان الغرض الذي من اجله وُجدتِ في هذه الارض هو تربية الاولاد تربية صالحة فاذا لم تعبئي بهذا الامر المقدس وتركتيه لغيرك — لزوجك او مرضعتك او خادمتك — فانك تنزعين بذلك تاج السلطة والسيادة عن راسك · فاحذري ايتها الملكة من ضياع مملكتك

آثار الشرق القديمة

اكتشاف مصري جديد في الوجه القبلي

﴿ جثة الحسناء تايس المشهورة ﴾

﴿ المكتشف ﴾ بين علماء اوربا الذين يطلبون الآثار المصرية في ارض مصر عالم يُدعى المسيو كايت وهو من مستشرقيهم وقد نشر الى الآن كتابين الاول موضوعه « فن البناء العربي » والثاني « الفن الفارسي » وشرع في تاليف كتاب ثالث موضوعه « الفن القبطي » · وقد بدأ هذا العالم يحفر في الوجه القبلي منذ عام ١٨٩٦ على نفقة متحف (كيمه) في باريز فاكتشف هيكلاً من عهد رعمسيس الثاني وهيكلين من عهد الرومانيين · وفي العام الماضي اكتشف في سهل رملي واسع ١٠ الاف مدفن من مدافن قدماء المصريين ولكنها مدافن للعامة اما مدافن الخاصة التي فيها النفائس والحلى فانها لا تكون في الرمل بل تكون في سفح الآكام او منقورة في الصخور · ولذلك يقتضي كشفها نفقات طائلة

﴿ اكتشافه الكبير ﴾ على ان اهم الاكتشافات التي اكتشفها في العام الماضي هو جثة الحسناء تايس وجثة الزاهد سرابيون · ولما سمع العلماء بهذا الاكتشاف صفقوا طرباً له لان تايس مشهورة في التاريخ المصري القديم · وخلاصة ترجمتها ان هذه المراة عاشت في مصر في القرن الثالث او الخامس للميلاد وكانت حسناء زمانها فكان الناس والامراء

يتزاحمون على خطبة ودادها و بعضهم كانوا يقتتلون و يموتون في سبيل حبها . فبناء على ذلك جمعت تايس اموالاً ونفائس لا تحصى وصارت ملكة النفوس في زمانها . فسمع بها رجل مسيحي يدعى بافنوس فقام في نفسه ان يدعوها الى المسيحية فقصدها واقام يظهر لها اباطيل الحياة وفناء ملاذها و يزهدها في معيشتها حتى اجابته الى ذلك فاضرمت النار في كل اموالها ونفائسها وتبعت مرشدها الى القفار حيث عاشت ثلاث سنوات بسلام وهدوء ثم عادت وبعد ذلك ماتت موتاً هادئاً

اما سرابيون صاحب الجثة الثانية فهو مسيحي قديم لجأ الى القفار تشبهاً بالاب انطونيوس وعاش فيها معلقاً بعنقه قيداً من حديد ثقله سبع ليبرات وبقدميه اطواقاً حديدية ثقيلة وشاداً وسطه بطوقين حديديين ايضاً قهراً للنفس الامارة بالسوء

ولقد عرض المكتشف هاتين الجثتين في متحف كيمه في باريز مع ما تبعهما من الاشياء التي وجدها في قبريهما . منها (بابوج) منسوج من خيوط ذهب كان في قدمي تايس و باقات من ورد اريحا وعقود من ماس ثمين وثياب مطرزة ثمينة جداً وجرة كانت فوق نعشها وقد نضب منها الخمر الذي كان فيها

وقد اقبل الناس من كل صوب لمشاهدة الجثتين . وزار المتحف رئيس اساقفة باريز وفحصهما فاثبت فيما يختص بتايس ان الجثة جثتها ولكنه قال ان جثة الرجل ليست للزاهد سرابيون . ومما يجدر ذكره ان هذه هي المرة المائتان والثانية والسبعون التي ادعى فيها المكتشفون انهم اكتشفوا جثة الراهب سرابيون . ومما دعم به رئيس الاساقفة رايه ان سرابيون لم تطأ قدماه قط الوجه القبلي حيث وجدت هذه الجثة

باب تدبير الصحة

معالجة السل بغاز الحامض الكربونيك

بقلم جناب ايليا افندي بارودي الصيدلي

لقد ثبت بالاختبار المكرر والبحث المدقق ان غاز الحامض الكربونيك من الد اعداء ميكروب التدرن الرئوي . وقد تحققت صحة هذا الامر في مؤتمر اجاثيو بفضل الاستاذ جيرود والدكتور بوطون . فهذان العالمان اكدا انه اذا اتيح للرئتين المصابتين بالسل ان

تحاطا بالحامض الكربونيك دب الفنـاء الى باشلوس كوخ وشفيت الرئتان من ذلك الداء الرهيب

ولقائل يقول انى لنا السبيل الى بلوغ امانينا من هذا الامر والحامض الكربونيك سم من السموم الزعافة فالجو الذي يكون فيه عشر من هذا الحامض لا يصلح للاقامة فيـه بل يخنق الانسان وبناء عليه فمن يبتغي الايقاع بالميكروب يؤدي بالانسان في وقت واحد . فجواباً على ذلك نقول ان أكثر الادوية كالافيون والبلادونا والاكونيت والدجيتال وجوز القيء الخ تعد في مرتبة السموم ومع ذلك نرى الاطباء في كل يوم يلجأون الى استعمال هذه الادوية لشفاء الامراض . ولا يخفى ان الحامض الكربونيك لا يكون سماً الا حينما يستنشق واذا تناوله المرء بطريق القنـاة الهضمية فقد تاثيره السمي بالجسم . وقد كتب الاستاذ برليوز انه ليس من داع الى الخوف من حوادث التسمم بالحامض الكربونيك بالامعاء لان الرئتين تدفع الغاز بسرعة الى الخارج

اجل ان الامتحانات العديدة قد اظهرت ان استنشاق غاز الحامض الكربونيك وبيل جداً ولكن بقي علينا استعمال الغاز المنوه به في القناة الهضمية . فكم ليتراً من الماء الغازي يجب ادخاله الى المعدة لحصول على فائدة من تاثير ذلك الغاز بالجهاز التنفسي

ولعمري ان الحصول على مقدار الغاز الكربونيك بالطريقة المذكورة يعد من الامور المستحيلة الا ان جيرود استند الى الطريقة المشار اليها التي هي عمليـة نظرية محضة وكرر اختبارات رئيسه وبرجون مبيناً انه اذا ادخل الى الامعاء مقدار من الحامض الكربونيك تفلّت ذلك الحامض خارجاً على طريق الرئتين بعد مروره بالنسيج الرئوي الاسفنجي الذي يقوم مقام المصفاة . واذا ادخل بطريق المستقيم خمسة ليترات من الغاز لا يلبث ذلك الغاز ان يدفع الى الخارج بالطريقة التي مرّ ذكرها فانه يصل الى الرئتين بطريقين وهما الاقنية اللمفاوية والاوردة ولا يصعد الى المعدة كما يتبادر الى الذهن في بادىء الامر لكنه يمتص بالاوعية الشعرية في المعدة ويُساق الى المجرى الدوري حتى ينتهي الى الشريان الرئوي فيتوغل من هناك في الخلايا الرئوية ويُدفع الى الخارج مع الهواء المتنفس . فبهذه الذريعة لا يكون الغاز الكربونيك قد اقتصر على تنظيف الرئتين بتنويمه النسيج الرئوي الاسفنجي وقتله باشلوس التدرن ولكنه يكون قبل ذلك قد مازج الدم وساق امامه كل السموم التي عاشت في الجسم مفسدة . وبناء عليه لا يكون فعله مقصوراً على اهلاك معظم الميكروبات ولكنه يساعد على تطهير الجسم من مفرزات تلك الميكروبات التي هي اشد ضرراً منها

ويتحصل من ذلك انه اذا حقن المستقيم بمقدار ما من الحامض الكربونيك تلاه الشفاء من جميع الامراض النازلة في الاعضاء التي يمرّ بها الغاز في طريقه

ولا يتوهم البعض ان هذا الاكتشاف المهم مبني على افتراضات وهمية فان المسيو جيرود والمسيو بوطون قد اعلنا انهما قد عالجا بهذه الطريقة اناساً كانوا مصابين بالاسهال المزمن فنالوا الشفاء وقد نجحا ايضاً بمعالجتهما بعض الناس الذين كانوا مصابين بالتهاب الامعاء ودوسنطارية البلاد الحارة والتهاب الامعاء الناجم عن التدرن الرئوي . واذا ما اقتفينا اثر الغاز في مسيره وجدناه يكيف الرئتين وينوعهما ويؤثر كل التاثير بالجهاز التنفسي . وبهذه الوسيلة قد تمكن جيرود من شفاء التهاب الشعب الرئوية المزمن والربو الشديد الوطأة والتهاب الحنجرة التدرني والذبحة والزكام البسيط ذاته . ولا بد من شروط جوهرية في المعالجة بالحامض الكربونيك اهمها كون الغاز صرفاً فاذا خالطه شيء حصل للمعالج مغص

وانه لامر ضروري ان يكون استعمال الحامض الكربونيك بطيئاً وتدريجياً ومحدوداً ومنظماً وان يستمر من ١٥ الى ٢٠ دقيقة وان لا يتجاوز مقدار الغاز الحاصل القدر المطلوب وقد اخترع المسيو مريس احد الصيدليين في بزانسون آلة خاصة بذلك سماها غازوجين مريس المضاد الباشلوس

﴿ الجامعة ﴾ فوائد الحامض الكربونيك — وقد نقلت الشركات البرقية والجرائد في هذا الشهر ان الفرنسويين جربوا الحامض الكربونيك المحول الى سيال في قتل الجرذ في باخرة « الجنا » في مرسيليا فنجح نجاحاً تاماً . ومن فوائد الحامض الكربونيك ايضاً استعماله في نقل البيرة (الجعة) من اوعيتها الى اوعية اخرى لان قليلاً منه يمنع نمو جراثيم الاختمار فيها . ومنها ايضاً صنع المشروبات الغازية بان بعض نقط منه كافية لتحويل اي شراب كان الى شراب غازي . ومنها خاصة التبريد والتجليد وذلك بسرعة تبخره . ومنها استعماله لاخماد الحرائق فانه متى دُفع على النار وتبخر جعل حول المواد الملتهبة نطاقاً من الغاز يحول دون امتداد اللهيب . واول معمل لتحويل الحامض الكربونيك الى سيال انشئ في برلين في عام ١٨٨٣ بجانب ينابيع الحامض الكربونيك الطبيعية . وفي امكان المعمل الذي قوته ٧٠ حصاناً ان يحول من الغاز ١٢٠٠ كيلو غرام كل يوم . وقد رخص ثمنه اليوم فصار الليتر الواحد منه يُباع بخمسين سنتيماً . والحامض الكربونيك سم قتال وهو يولد باحراق الفحم في الهواء ولذلك يموت به الذين ينامون في غرف مقفلة ويدعون الفحم متقداً فيها

شؤون نسائية

﴿ ارضاع الاطفال وتنبيه للامهات ﴾ لقد خدم الدكتور كرامر من اساتذة كلية بون جميع الامهات والمراضع خدمة جليلة . فانه بحث بحثاً دقيقاً في غذاء الاطفال في كثير من البلاد فثبت له ان اكثر الوفيات من الاطفال واكثر الامراض التي تصيبهم ناشئة عن مصدر واحد وهو كثرة الرضاعة و زيادة الغذاء عن حاجة معدهم . فان الطفل كما بكى ارضعته امه لاسكاته ظناً منها انه يطلب الغذاء مع ان البكاء طبيعي في الولد كالتنفس وبناء عليه فان هذا الدكتور لا ياذن للامهات ان يرضعن اولادهن الا كما ياتي — في اليوم الاول من ولادة الطفل لا شيء اي يجب ان لا يرضعنه شيئاً . وفي اليوم الثاني يُرضع الطفل ٢٠ غراماً من اللبن (الحليب) وفي اليوم الثالث ٧٠ غراماً وفي اليوم الرابع ١٢٠ وفي اليوم الخامس ١٩٠ وفي اليوم السادس ٢٦٠ وفي اليوم السابع ٢٧٠ وفي اليوم الثامن ٢٩٠ وفي اليوم التاسع ٣٠٠ . اما اذا اعطي الولد اكثر من هذه النسبة في الايام الاولى فانه ينشأ ضعيف البنية من ضعف معدته هذا اذا لم يقض نحبه . فلتهتم بذلك الامهات اشد اهتمام

اما علامات المرض في الاولاد فهي اربع . الاولى حرارة الحمى والثانية السعال والثالثة الاسهال والرابعة القيء المتكرر . فمتى تحققت ظهور احدى هذه العلامات فاستدعي الطبيب في الحال

﴿ تنظيف الدنتله وتجديدها ﴾ اذا عتقت الدنتله وتوسخت فخذيها واغمسيها بتأن في كاس مملوءة بيرة (جعة) حارة ثم اغسليها وافركيها بعضها ببعض في كاس اخرى فيها بيره باردة وبعد ذلك اضغطي عليها بقطعة نسيج لتجفيفها وضعيها تحت المكواة واكويها من قفاها فتصبح نظيفة وتعود جديدة

﴿ فورشات الراس والثياب ﴾ اذا اردت اطالة عمر فورشات الراس والثياب و زيادة نظافتها فضعيها على مائدة زينتك واجعلي وضعها عليها معكوساً اي ظهرها الى سقف الغرفة وخيوطها الى سطح المائدة وذلك لكي لا يقع بين خيوطها ما في جو الغرفة من الغبار والهباء

باب التقريظ والانتقاد

الرذيلة باثواب جميلة

قال لنا بعضهم بعد صدور الجزء الماضي ان انتقادكم كتاب « الحب والزواج » كان داعياً الى ترويجه فان كثيرين راحوا يطوفون على مكاتب الثغر في هذا الصباح يسالون عنه . وقد اراد هذا القائل اقامة الدليل بقوله على ان الانتقاد على كتاب فيه شيء مما يمس الآداب العمومية يفضي الى غير الغرض المقصود منه

اما نحن فلا ننكر انه قد يكون في انتقادنا لهذه الكتب خدمة لاصحابها اي ملتزمي طبعها ولكننا نعتقد اننا نخدم ايضاً آباء العيال الكريمة وامهاتها خدمة غير صغيرة فضلاً عن خدمتنا لرصيفاتنا التي تقرظ تلك الكتب من غير ان تقرأ حرفاً منها فتكون بذلك مسئولة لدى الآداب العمومية عنها

ومعلوم اننا لا نقول هذا القول عن كتاب « الحب والزواج » لانه — لولا بضعة اسطر فيه — من الكتب المفيدة اللذيذة . ونحن نبخس مؤلفه الفاضل حقه اذا وضعناه في جملة الكتب التي نريد الكلام عنها في هذا الفصل . ومن هذه الكتب رواية وردتنا في هذا الشهر بعنوان « باغندور » وقد قرظتها الجرائد تقريظاً جميلاً

فهذه الرواية حسبنا ان نقول فيها ان معربها خجل من وضع اسمه عليها فاكتفى بهذه الاحرف (ا . ي . خ) وهي معربة عن الكاتب الفرنسوي دي موباسان ومطبوعة على نفقة المكتبة الشرقية في العاصمة . اما موضوعها فلا يفيه حق وصفه الا القول عنه بانه « الرذيلة باثواب جميلة » لاننا نشك في ان الروايات المعربة عن الافرنجية قد وصلت عندنا قبل هذه الرواية الى هذا الحد من التهتك والتصريح الغني عن كل تلميح . ومداره على فتى « غندور » ماهر في اصطياد فضيلة النساء فلا يدع امراة الا ويوقعها في اشراكه . ولا ريب عندنا ان الفتيان والفتيات الذين يقرأون هذه الرواية يدسون السم القاتل في آدابهم وهم لا يشعرون . فنصيحتنا الى الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات ان يراقبوا اشد مراقبة الكتب والروايات التي تقع في ايدي اولادهم . وحبذا لو انهم يتشبهون بالعيال الافرنجية الكريمة التي لا تاذن لاولادها ان يقرأوا كتاباً ما لم تستشر فيه الاصدقاء العارفين . فان ذلك صار ضرورياً في زمن تصدر فيه روايات كرواية « الغندور »

وقد اهدتنا المكتبة الشرقية ايضاً رواية « العبر لمن اعتبر » معربة عن الفرد دي موسه بقلم « احد الادباء » ايضاً

ونحن نومل المعذرة من ملتزم هاتين الروايتين لهذه الكلمات ولا شبهة عندنا في انه يعتقد معنا بان علاقته الودية بالجامعة لا تمنع من الجهر بالحقائق في سبيل الاداب العمومية

﴿ تفسير الفاتحة ﴾

لحكيم المسلمين الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

كل ناطق بالضاد يعرف ما لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية من المكانة السامية في العلوم الاسلامية والعصرية . واشد ما تظهر هذه المكانة في الدروس التي يلقيها فضيلته في الجامع الازهر لتفسير القرآن وتطبيق العلم على الدين . ولقد عني حضرة صديقنا الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء باقتطاف بعض تلك الدروس من تفسير الفاتحة وتفسير مسالة الغرانيق ومسالة زيد وزينب وجمعها في كتاب مفرد بعد نشرها في مناره الاغر . وهذا الكتاب يطلب من جناب ملتزم طبعه احمد افندي عمر المحمصاني الازهري البيروتي في العاصمة

﴿ ورده ﴾

تعريب جناب محمد افندي مسعود

صدر الجزء الثاني من رواية ورده التي ذكرناها في احد الاجزاء السابقة وهي رواية تمثل اخلاق وعادات المصريين في عهد رعمسيس الثاني وترسم للقارىء نظام حكومتهم وما وصلوا اليه من التقدم في العلوم والمعارف . وكفى لبيان فوائد هذه الرواية ان يقال انها من تاليف الدكتور جورج ايبرس الالماني وتعريب حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد . وهي تطلب من ادارة جريدة المؤيد . وقد عهدنا الى احد الكتاب البارعين مطالعة جزئيها لتلخيص فوائدها التاريخية والادبية لقراء الجامعة فعسى ان يردنا التلخيص قريباً لننشره في الجزء القادم

﴿ اشهر مشاهير الاسلام ﴾

لجناب عزتلو رفيق بك العظم

عزم حضرة الفاضل عزتلو رفيق بك العظم على تاليف كتاب مطول في ترجمة اشهر

مشاهير الاسلام · وقد اصدر الجزء الاول منه في ١٨٤ صفحة كبيرة مطبوعاً طبعاً حسناً على ورق جيد · وهذا الجزء يتضمن ترجمة اول الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق وفصولاً في نسبه واخلاقه ومبايعته وتفاصيل الردة التي حدثت في عهده وفتوحاته وسياسته وادبه وخطبه وكذلك ترجمة خالد بن الوليد القائد المشهور · وهذا الكتاب احق بان يسمى كتاب تاريخ لا كتاب تراجم لاستيفائه الحوادث التي يتكلم عنها فنحث كل قارىء يحب الاطلاع على تاريخ الاسلام على اقتنائه وهو يطلب من مكاتب العاصمة · اما مؤلفه الفاضل فانه يستحق كل شكر وثناء على هذه التحفة التاريخية

﴿ الفقه والتصوف ﴾

لحضرة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي

وضع حضرة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي ثلاث رسائل في الفقه والتصوف وبحث فيها بحثاً يدل على علو منزلته في هذين الفنين · ولكنه قال في التصوف اقوالاً يُشَمّ منها انه يحارب اشخاصاً لا مبادىء · وهذا مما يُضعف حجة الباحث في بحثه مهما كان قوياً

﴿ ثلاثة كتب ﴾

بقلم جناب مينا افندي راغب

اهدانا جناب مينا افندي راغب ثلاثة كتب من وضعه · الاول كتاب عوامل النجاح ووسائل الاصلاح وهو رواية تهذيبية موضوعها اصلاح شؤون الطائفة القبطية ولكن فيها كلاماً لا يخلو من التطرف فان الاصلاح لا يكون بالشدة وما على طالبه الا ان يبسط الحقائق ويدع القارىء يستنتج ما يريد ان يستنتجه · وهذه الرواية قد صدرت اخيراً وهي تطلب من جناب مؤلفها في بنها · والثاني « هيام الملوك » وهو رواية صغيرة معربة عن المجلة الجديدة الفرنسوية · والثالث كتاب غذاء النفوس في تاريخ حياة الانبا باسيليوس · فنشكر له هديته ونرجو له زيادة التقدم في صناعة القلم

﴿ المصباح ﴾

لمديره يوسف افندي ابرهيم صادر

عادت جريدة المصباح الغراء الى عالم الصحافة بادارة جناب يوسف افندي ابرهيم صادر صاحب المطبعة العلية في بيروت فنحن نرحب بها ونرجو لها النجاح

الغرض من الحياة

القى جناب ابادير افندي حكيم احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية في جمعية الاتحاد الادبية في اسيوط خطبة موضوعها « الغرض من الحياة » وقد طبع هذه الخطبة واهدانا نسخة منها عليها هذه الكلمات « لما كان الانتقاد من اعظم الوسائل لترقية الاداب وارشاد الكتاب وخصوصاً اذا كان المنتقد كالجامعة فارجو التكرم بانتقاد هذه الرسالة الصغيرة ولكم الفضل »

فنحن نشكر لجناب صاحب الرسالة حسن ظنه بنا وقد طالعنا رسالته فوجدنا فيها كثيرًا من الفوائد كما وجدنا فيها كثيرًا من الاقوال التي لا دليل عليها . وقد احسن الخطيب في اثباته ان الغنى وحب الشهرة وملاذ الحياة لا يمكن ان تكون الغرض من الحياة لانها لاتؤدي الى السعادة ولكن الذي يؤدي اليها هو الدين دون سواه . غير انه من سوء الحظ لم يعرّف الدين المؤدي الى السعادة . فان كان المقصود به الظواهر الدينية التي ليست في شيء من الدين الحقيقي فانه في خطاء مبين واذا كان قصده الدين الصحيح المنزه عن كل شائبة فقد قال الحق . ولكن هذا الدين الصحيح يوآخي الادب والفلسفة فلماذا حمل عليهما تلك الحملة المنكرة في خطابه . اما سمع ان العلم الصحيح لا ينفي الدين الصحيح . اما العلماء الذين طعن عليهم لانهم فلاسفة فالظاهر انه لم يقرأ كتبهم ولكنه سمع بها . لان كل مطلع على مؤلفات روسو مثلاً لا تطاوعه ذمته ان يعزو الكفر اليه لكونه الفيلسوف الالهي الوحيد الذي وقف في وجوه الماديين في اواخر القرن الثامن عشر ودك ببراهينه حصونهم دكاً . واذا كان من عادة البسطاء والجهلاء ان يكفروا كل من خرج عن العادات البسيطة المالوفة فالنبهاء والادباء يجب ان يحكموا عقولهم وقلوبهم في هذه المواضيع والا لم يبق بينهم وبين اولئك فرق كبير

وقد استشهد حضرة الخطيب بفقرة من كتاب المسيو ادمون ديمولين صاحب كتاب « سر تقدم الانكلوسكسون » لتايد ارائه . فنحن نؤكد له ان الذين طعن عليهم لا ينكرون سطرًا واحدًا ولا كلمة واحدة من الفقرة المذكورة وهي

« لا يغيبن عن القراء ان بعض المتصفين بالتقوى يخطئون خطاء فاحشاً في العمل »
« بمقتضى قاعدة التسليم فيتذرعون الى الكسل والخمول ويقولون في انفسهم ان الحياة »
« لا تساوي تلك المتاعب كلها ثم يرمون تكلاتهم كله على الله (الذي لا ينسى من آمن »

مشاهير الاسلام . وقد اصدر الجزء الاول منه في ١٨٤ صفحة كبيرة مطبوعاً طبعاً حسناً على ورق جيد . وهذا الجزء يتضمن ترجمة اول الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق وفصولاً في نسبه واخلاقه ومبايعته وتفاصيل الردة التي حدثت في عهده وفتوحاته وسياسته وادبه وخطبه وكذلك ترجمة خالد بن الوليد القائد المشهور . وهذا الكتاب احق بان يسمى كتاب تاريخ لا كتاب تراجم لاستيفائه الحوادث التي يتكلم عنها فنحث كل قارىء يحب الاطلاع على تاريخ الاسلام على اقتنائه وهو يطلب من مكاتب العاصمة . اما مؤلفه الفاضل فانه يستحق كل شكر وثناء على هذه التحفة التاريخية

﴿ الفقه والتصوف ﴾

لحضرة السيد عبد المجيد افندي الزهراوي

وضع حضرة السيد عبد المجيد افندي الزهراوي ثلاث رسائل في الفقه والتصوف وبحث فيها بحثاً يدل على علو منزلته في هذين الفنين . ولكنه قال في التصوف اقوالاً يُشتمّ منها انه يحارب اشخاصاً لا مبادىء . وهذا مما يُضعف حجة الباحث في بحثه مهما كان قوياً

﴿ ثلاثة كتب ﴾

بقلم جناب مينا افندي راغب

اهدانا جناب مينا افندي راغب ثلاثة كتب من وضعه . الاول كتاب عوامل النجاح ووسائل الاصلاح وهو رواية تهذيبية موضوعها اصلاح شؤون الطائفة القبطية ولكن فيها كلاماً لا يخلو من التطرف فان الاصلاح لا يكون بالشدة وما على طالبه الا ان يبسط الحقائق ويدع القارىء يستنتج ما يريد ان يستنتجه . وهذه الرواية قد صدرت اخيراً وهي تطلب من جناب مؤلفها في بنها . والثاني « هيام الملوك » وهو رواية صغيرة معربة عن المجلة الجديدة الفرنسوية . والثالث كتاب غذاء النفوس في تاريخ حياة الانبا باسيليوس . فنشكر له هديته ونرجو له زيادة التقدم في صناعة القلم

﴿ المصباح ﴾

لمديره يوسف افندي ابرهيم صادر

عادت جريدة المصباح الغراء الى عالم الصحافة بادارة جناب يوسف افندي ابرهيم صادر صاحب المطبعة العلمية في بيروت فنحن نرحب بها ونرجو لها النجاح

الغرض من الحياة

الى جناب ابادير افندي حكيم احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية في جمعية الاتحاد الادبية في اسيوط خطبة موضوعها « الغرض من الحياة » وقد طبع هذه الخطبة واهدانا نسخة منها عليها هذه الكلمات « لما كان الانتقاد من اعظم الوسائل لترقية الاداب وارشاد الكتاب وخصوصاً اذا كان المنتقد كالجامعة فارجو التكرم بانتقاد هذه الرسالة الصغيرة ولكم الفضل »

فنحن نشكر لجناب صاحب الرسالة حسن ظنه بنا وقد طالعنا رسالته فوجدنا فيها كثيرًا من الفوائد كما وجدنا فيها كثيرًا من الاقوال التي لا دليل عليها · وقد احسن الخطيب في اثباته ان الغنى وحب الشهرة وملاذ الحياة لا يمكن ان تكون الغرض من الحياة لانها لاتؤدي الى السعادة ولكن الذي يؤدي اليها هو الدين دون سواه · غير انه من سوء الحظ لم يعرّف الدين المؤدي الى السعادة · فان كان المقصود به الظواهر الدينية التي ليست في شيء من الدين الحقيقي فانه في خطاء مبين واذا كان قصده الدين الصحيح المنزه عن كل شائبة فقد قال الحق · ولكن هذا الدين الصحيح يوآخي الادب والفلسفة فلماذا حمل عليهما تلك الحملة المنكرة في خطابه · اما سمع ان العلم الصحيح لا ينفي الدين الصحيح · اما العلماء الذين طعن عليهم لانهم فلاسفة فالظاهر انه لم يقرأ كتبهم ولكنه سمع بها · لان كل مطلع على مؤلفات روسو مثلاً لا تطاوعه ذمته ان يعزو الكفر اليه لكونه الفيلسوف الالهي الوحيد الذي وقف في وجوه الماديين في اواخر القرن الثامن عشر ودك بيراهينه حصونهم دكاً · واذا كان من عادة البسطاء والجهلاء ان يكفروا كل من خرج عن العادات البسيطة المالوفة فالنبهاء والادباء يجب ان يحكموا عقولهم وقلوبهم في هذه المواضيع والا لم يبقَ بينهم وبين اولئك فرق كبير

وقد استشهد حضرة الخطيب بفقرة من كتاب المسيو ادمون ديمولين صاحب كتاب «سر تقدم الانكلوسكسون» لتاييد ارائه · فنحن نؤكد له ان الذين طعن عليهم لا ينكرون سطرًا واحدًا ولا كلمة واحدة من الفقرة المذكورة وهي

« لا يغيبن عن القراء ان بعض المتصفين بالتقوى يخطئون خطاء فاحشاً في العمل « بمقتضى قاعدة التسليم فيندرعون الى الكسل والخمول ويقولون في انفسهم ان الحياة « لا تساوي تلك المتاعب كلها ثم يرمون تكلانهم كله على الله (الذي لا ينسى من آمن «

« به ولجا اليه) وينسون قوله تعالى (اعن نفسك يعنك ربك) والادعى للراحة عندهم »
« ان يرموا احمالهم كلها عليه . ومن كان هذا فكره اصبح ضعيفاً لقاء اتعاب الحياة مادياً »
« وادبياً . وعليه فالدين اذا فسد العمل به (ولا يكون اذ ذاك ديناً) يصير آلة ضعف »
« وانحطاط مع انه قوام الحياة وفيه اكبر معين على تحصيل السعادة ولكن الناس يعزون »
« انفسهم متى فسدوا بقولهم (ان الله يبتلي عبيده المخلصين) او بقولهم (ابنا الجحيم اكبر »
« حذقاً واوفر حظاً في الدنيا من ابناء النعيم) وما اسهلها طريقة في ارجاع الانسان خطاياه »
« الى الله وحده »

﴿ الشرق المصور ﴾

لمديره جناب احمد افندي كامي الكربدي

انشأ جناب رصيفنا احمد افندي كامي الكربدي منذ مدة مجلة تركية عنوانها «الشرق المصور» وقد اصدرها في عاشر رمضان باللغة العربيـة ايضاً . وفي هذا العدد عدة رسوم متقنة ومقالات علمية وادبية فنرجو النجاح للشرق التركي والعربي

﴿ العدل ﴾

لصاحبه جناب شكري افندي جرجس انطون

ذكرنا في الجزء الماضي صدور « المنارة » الغراء في البرازيل ونحن نذكر الآن صدور جريدة اخرى فيها وهي « العدل » لمديرها جناب شكري افندي جرجس انطون وقيمة اشتراكها مائتا غرش عملة البرازيل وهي تصدر في ريو دي جنيرو في كل اسبوع فنرحب بالرصيفة ونرجو لها التوفيق في الخدمة النافعة

﴿ الامل ﴾

لصاحبه جناب بشير افندي انطاكي

الامل جريدة سياسية اخبارية لصاحبها ومحررها جناب بشير افندي انطاكي وهي تصدر في كل اسبوع وقيمة اشتراكها ٥٠ غرشاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج فنرجو لها النجاح





﴿ الجزء السادس ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٢ — شوال ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف باكون والشاعر شكسبير

﴿ اشهر فلاسفة الانكليز . واشعر شعرائهم ﴾

(وهل كان الاول مؤلف روايات الثاني)

مشاهير الناس آلهة للناس في هذه الحياة . ولكنهم آلهة لا تُعبد في اكثر الاحيان الا بعد ان تلقى الممات . فمثلهم مَثَل تلك الجبال الشاهقة كالمقطم وجبل لبنان . فانك اذا كنتَ قريباً منها او مقيماً فوقها ظهرتْ لك صغيرة منخفضة ولا تظهر لك شاهقة كبيرة الا اذا بعدتَ عنها

ومن اشهر هؤلاء المشاهير الذين رفعتهم الانسانية بعد موتهم الى اعلى عليين الفيلسوف باكون اشهر فلاسفة الانكليز والمؤلف شكسبير اشعر شعرائهم . وقد جمع هذين الاسمين في صدر باب المشاهير فصل نشرناه في الجزء السابق عنوانه « شكسبير الحقيقي في مصر » ومناظرات طويلة عريضة دارت عنها في الجرائد الانكليزية في الشهر الماضي حتى لم تخلُ منها جريدة من جرائدهم . ويسرنا ان نغتنم هذه الفرصة لترجمة هذين الرجلين

لنا في ترجمتها من الفوائد الفلسفية والادبية لا سيما اذا صيغت بقالب بسيط سهل يحل اعقد عقد الفلسفة ويجلو غوامضها فيجعلها سهلة المنال لعقول الشيوخ والاطفال كما قال صاحب الزبور عن اصول الحكمة

ونبدأ اولاً بترجمة باكون لان الفلسفة حق التقدم

فرنسيس باكون

﴿ ترجمة باكون ﴾ هو الفيلسوف الشهير فرنسيس باكون بارون دي فاردلام وفيكونت دي سان البانس واحد وزراء المملكة الانكليزية . ولد في لندن من نقولا باكون المحامي المشهور في ٢٢ يناير من عام ١٥٦١ ولما بلغ السنة الثالثة عشرة من عمره دخل كلية كمبريدج حيث تلقى العلم ثلاث سنوات ثم الحق بالسفارة الانكليزية لدى البلاط الفرنسوي فزار باريز وباقي المدن الفرنسوية الكبرى واخذ يجمع شذرات عن حالة اوربا في ذلك الزمان . وفي عام ١٥٧٩ توفي ابوه فعاد الى لندن وكان المال الذي ورثه منه لا يقوم بحاجاته للنفقات الكثيرة التي كان ينفقها تاييداً لمركزه فعمد الى درس الحقوق فنجح فيها نجاحاً سريعاً فعين في عام ١٥٨٧ مستشاراً خاصاً للملكة اليصابات . وكان عصر هذه الملكة في انكلترا شبيهاً بعصر لويس الرابع عشر في فرنسا من حيث النهضة العلمية والادبية . وكفى عصر اليصابات فخراً ان يكون قد نبغ فيه رجلان كباكون وشكسبير

ولكن باكون راى انه لا يكسب من وظيفته لدى الملكة كسباً يسد نفقاته الطائلة فرام احتراف المحاماة وطلب وظيفة تمكنه من الكسب فلم يُجب الى طلبه ولكن جاء الكونت ديسه ووهبه املاكاً ذات دخل كاف لرضى باكون وسكت . ولكن لماذا وهبه الكونت هذه الاملاك وهل ان الملكة هي التي اوعزت اليه بان يهبه اياها . الله اعلم

وفي عام ١٥٩٢ اختارته مقاطعة ميدلسه نائباً عنها في البرلمان فكان هذا الزمن اشد الازمان عليه لان باكون كان فيه اشده اضطراباً . فانه تارة كان يتملق الشعب وطوراً يتملق الوزارة وآونه يبعث بقصائد المدح الى الملكة اليصابات تزلفاً وتملقاً . وفضلاً عن ذلك فانه اضطر ان يكتب يومئذ عريضة ببيان التهم التي وُجهت الى الكونت ديسه الذي احسن اليه . وبعد ذلك اشتدت الحاجة به حتى صدر الامر بالقبض عليه وسجنه مرتين من اجل ديون عليه . ولم يسترح من هذه المصائب حتى ارتقى جاك الاول الى العرش . وبعضهم يزعم ان الملكة اليصابات كانت تقصد اضطهاده لتتخلص منه بناء على اسباب

سنذكرها في ما يلي

ولما ملك جاك الاول قرب باكون اليه ووهبه ما كان قد طلبه فاحترف باكون المحاماة وكسب منها اموالاً طائلة ثم تزوج بفتاة ذات غنى واسع وتراكمت الرتب على راسه فجعل في عام ١٦١٧ وزيرًا للعدلية ثم جعل في رتبة بارون وفيكونت. وسبب هذه النعم كلها نشره في اثناء ذلك كتباً في الادب والفلسفة وجهت اليه انظار الناس في جميع اقطار العالم وجعلته في اعلى ذرى المجد العلي

ولكن هذا الفيلسوف الذي هدم اساس الفلسفة القديمة بقوة عقله ووضع به اساساً حديثاً للادب والفلسفة كان عاجزًا عن تدبير نفسه وحفظ قواعد الادب والفلسفة . فانه لما عين وزيرًا للعدلية جعل يبيع بعض الوظائف بيعاً بالثمن لحاجته الى المال الكثير بناء على اسرافه . وكان يقبض كثيرًا من الاموال من اصحاب الدعاوي والقضايا ليسرع في انجاز قضاياهم . وجاءه يوماً صديقه وحاميه بكنكهام يساله وظائف لصنائعه والمقربين اليه فاضطر الى اجابته مكرهاً ولم يقدر على رفض طلبه . فبناء على ذلك اخذ المظلومون يصرخون ويشكون ورفعوا شكواهم الى مجلس العموم فامر المجلس باجراء تحقيق في هذه التهم فثبت بعضها على باكون فصدر الامر بمحاكمته لدى مجلس اللوردات . اما بكنكهام والملك فانهما خشيا عاقبة الامر لتداخلهما فيه فاوعزا الى باكون ان يتوارى فرارًا من المحاكمة .ولكن باكون رفض الفرار وقال انه يستسلم الى عدالة المجلس فحاكمه مجلس اللوردات في ٣ مايو من عام ١٦٢١ وحكم عليه بغرامة قدرها ٤٠ الف جنيه وبتجريده من كل وظائفه وقضى عليه بانه غير اهل لان ينوب في البرلمان بعد تلك الحادثة ولا ان يولى منصباً عمومياً وبان لا يقيم في مدينة يقيم البلاط الملكي فيها وبسجنه في سجن لندن . فسجن باكون ولكن الملك لم يطل مدة سجنه بل عفا عنه واعاده الى لندن ولما ارتقى الملك شارل الاول الى العرش اعاد الى باكون شرفه وارجعه في عام ١٦٢٥ الى البرلمان . غير ان باكون لم يضع هذه السنوات التي صرفها بلا عمل لانه انصرف في اثنائها الى مراجعة كتبه الفلسفية واتمامها . وهذه الكتب اساس مجده ودعامة فخره ولولاها لما كان شيئاً مذكورًا . وقد توفي باكون بعد مرور سنة على عودته الى البرلمان اي في ٩ ابريل من عام ١٦٢٦

ولا يسعنا بعد ما تقدم من فساد تدبير باكون وسوء تصرفه الا ان نلقي هذا السؤال على القارىء : ايّ اوجب للاستغراب ؟ انزال فيلسوف عظيم كباكون نفسه في هذه المنزلة من اخذ الرشوة وافساد الاحكام ام قيام طبقة عالية من نفس الامة الانكليزية سورًا كثيفاً دون

البلاط ومقربيه حتى ان الملك نفسه يخافها ويداريها لمعرفته بانها تحمي شرف الدولة وتمنع حدوث الشر فيها . لا ريب ان هذه الطبقة طبقة النبلاء هي التي حفظت انكلترا الى اليوم ورفعت شانها في اقطار الارض . واذا اسقطت الديموقراطية في انكلترا هذه الطبقة العالية في هذا القرن او الذي يليه ولم تضع مكانها ديموقراطية حقيقية لا « سطحية » كالديموقراطيات التي في اوربا اليوم فان انكلترا تسقط يومئذ عن قمة مجدها سقوطاً حقيقياً

***

﴿ آراؤه الفلسفية التي احيت الفلسفة ﴾ اما فلسفة باكون فقد تضاربت الاقوال فيها . ففريق الفلاسفة الماديين يعتبرونه هو وديكارت (١) زعيمين للفلسفة الحديثة وواضعين لاصولها وينزلون باكون في اسمى منزلة بين فلاسفة العالم . وفريق الفلاسفة الالهيين ولا سيما الكاثوليك لا يرونه شيئاً مذكوراً ولا يجدون في فلسفته كما يقولون الا غموضاً . وقد طعن عليه زعيمهم جوزيف دي ماستر الفرنسوي طعناً شديداً . اما الفلاسفة الانكليز وعلماؤهم فلا يعرفون لهم زعيماً ورئيساً غير باكون مهما قيل فيه

والسبب الذي جعل اخصام باكون يجترئون عليه ان هذا الفيلسوف لم يضع فلسفة جديدة ولم يكتشف امراً جديداً ولكنه اقتصر على وضع قواعد فلسفية جديدة تنقض القواعد القديمة . فكانه اقتصر على الهدم دون البناء ولبيان ذلك نقول

ميزان ارسطو — كانت الفلسفة قبل باكون وديكارت مبنية على الفلسفة اليونانية التي وضعها ارسطو وهي المعروفة بالفلسفة المدرسية (سكولاستيك) (٢) . وكان يكفي ان

(١) ﴿ ترجمة ديكارت شريك باكون في الفضل على الفلسفة ﴾ راجع ما كتبناه عن ديكارت في باب التربية والتعليم في الجزء ٢١ من السنة الثانية . وسناتي على ترجمته بالتفصيل في جزء قادم لانه شريك باكون في الفضل على الفلسفة ومحاربة المذهب المدرسي . وقد عاصر باكون وحمل مثله حملات شديدة على هذا المذهب دون ان يكون بينهما صلة او معرفة . ولا ريب ان تاريخ هذين الرجلين انما هو تاريخ اساس الفلسفة وشرف الدولتين « فرنسا وانكلترا » اللتين نبغا فيهما

(٢) ﴿ السكولاستيك ﴾ السكولاستيك ماخوذة من « السكولا » وهي المدرسة والمراد بها الفلسفة التي كان يدرّسها اليونان واللاهوتيون في المدارس وواضعها الفيلسوف ارسطو اليوناني

يقال « قال اريسطو » لينحسم كل جدال . فكانت العقول خاملة لا تتصرف بشيء ولا تجترىء ان تُحدث شيئاً حذراً من الخروج عن القواعد المقررة . وكان راس هذه القواعد « القياس » وهو المعروف « بآلة اريسطو » او ميزانه لان الحقائق لا تُدرك بدونه . مثال ذلك اذا اخذتَ النار ووضعت فيها ماء فان الماء يتبخر . فكرر هذه التجربة عدة مرات فاذا تبخر الماء في كل مرة وجب ان تجزم بان التبخر ناموس من نواميس الطبيعة . ثم انك تقيس اللبن على الماء فتقول : بما ان اللبن سائل كالماء فهو يتبخر ايضاً مثله . وبناء عليه تكون قد عرفتَ طبيعة اللبن من قياسه على الماء . هذا هو القياس

فلما جاء باكون وجد ان هذه القواعد متضعضعة فاخذ على نفسه اصلاحها . فكتب في ذلك عدة كتب منها كتابه « الاصلاح العظيم » وهو اهم كتبه ولم يصدر منه سوى جزئين وذلك في عام ١٥٩٧ وكتابه « كتاب في الادب » وغيره من المؤلفات الفلسفية . واليك خلاصة الآراء التي نشرها في كتبه

رايه في التمدن اليوناني وفلسفته — يحمل باكون في كتبه على الفلسفة السكولاستيك اليونانية حملات شديدة . ومن اعتراضاته ان كل ما يدرّسونه اليوم (اي في ايام باكون) يدرّسونه بناء على اقوال اليونان ولا سيما اريسطو مع ان اليونان لم يعرفوا شيئاً من نواميس الطبيعة ولم يقرأوا شيئاً في كتابها السامي . فكيف يريد الفلاسفة تقييد العقل البشري بمعارف اليونان اذا كان هولاء لم يدرسوا الطبيعة نفسها . وفضلاً عن ذلك فان اليونان امة قديمة وقد كان البشر في عصرهم في دور الطفولية ونحن الآن في دور الشيخوخة . فلمن نسمع ؟ وممن نتعلم ؟ من الاطفال ام من الشيوخ . فالواجب علينا اذاً ان نُطلق العقول من قيود فلسفة اليونان ونترك كل واحد منا يمتحن الامور بنفسه و يشاهد نواميس الطبيعة بعينيه و يزن احكامها بعقله . ومع ذلك فان الفلسفة اليونانيه لم تُثمر شيئاً الى الآن ولم نحصل بواسطتها على فوائد ومنافع عملية . وكل ما استفدناه منها انها تعلمنا طرقاً سفسطائية في الجدل تجعلنا لا نطلب الحقيقة في مباحثنا ولكن حب الفوز والغلبة . فيجب تغيير هذه القاعدة التي جعلها العلم دعامته ووضع دعامة عملية جديدة له ليثمر ثماراً عملية . وقد جرب اليسوعيون واستبدلوا دعامة اريسطو بدعامة جديدة فنجحوا في تعليمهم . فليجرب العلم ذلك ايضاً . فانه لا بد ان ينجح

ولكن قبل هدم القاعدة القديمة يجب انشاء « ترتيب » جديد للعلم اصولاً وفروعاً لوضع

اصول كل فرع منه على الترتيب . وبناء على ذلك وضع باكون « الترتيب » المنسوب اليه وعليه يعتمد العلماء

الترتيب المشهور بترتيب باكون — قسم باكون قوى نفس الانسان في هذا الترتيب الى ثلاثة اقسام « الذاكرة . والتصور . والعقل » وجعل اصول العلم وفروعه تتفرع من هذه الكلمات الثلاث . فمن « الذاكرة » يشتق التاريخ ومن « التصور » يشتق الشعر . ومن « العقل » تشتق الفلسفة

ثم ان باكون ياخذ « التاريخ . والشعر . والعقل » كلاً بمفرده ويفرع منه فروعه . فالتاريخ طبيعي وبشري . والطبيعي يشمل درس الطبيعة ما فوق وما تحت من علم الهيئة (علم الفلك) والجيولوجيا والجوغرافيا الخ . والتاريخ البشري يشمل التاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي (غير الديني) وتاريخ الادب والفنون — واما الشعر فانه يكتفي بقسمته الى ثلاثة اقسام وهي : الشعر للوصف . والشعر للروايات . والشعر للامثال — واما الفلسفة فهي ثلاثة فنون . فن معرفة الله . وفن معرفة الطبيعة . وفن معرفة نواميس الانسان . ثم يفرع باكون من كل واحد من هذه الفروع فروعاً عديدة يضيق المقام دونها . ولو اتينا عليها كلها لوجد القارىء انه لا يبقى اصل للعلم ولا فرع خارج هذه الدائرة

ميزان باكون ضد ميزان ارسطو — فبعد وضع باكون هذا الترتيب للعلم وشرحه كل اصوله وفروعه شرحاً كافياً وافياً وجه همته الى وضع قاعدة لبنائه . فقال بوجوب ترك قواعد اليونان وارسطو والاعتماد على العقل في ذلك البناء . وكانت قاعدة ارسطو تقضي كما تقدم الكلام بان كل امر يُجرب عدة مرات ويفضي الى نتيجة واحدة يجب ان يُعدّ ناموساً طبيعياً . وقد ذكرنا مثالاً لذلك في تجربة تبخير الماء وقياس اللبن عليه . اما باكون فانه قال ان التجربة عدة مرات لا تكفي بل يجب معها امران . اولاً اعادة التجربة والامتحان الى ما شاء الله حتى لا تبقى زيادة لمستزيد واستئناف التجربة في كل جزء من اجزاء المادة ومطاردة الاسرار الطبيعية الى ابعد مكامنها . وثانياً عدم الاكتفاء بالامتحان الايجابي بل اجراء امتحان سلبي معه . مثال ذلك بخر الماء بالنار يتبخر فاعد التجربة عدة مرات تجده يتبخر دائماً . هذا هو الامتحان الايجابي . اما الامتحان السلبي فهو ان تاخذ بخار ذلك الماء وتبرده فاذا عاد ماء كان العمل صحيحاً وجاز لك ان تعدّ التبخر ناموساً طبيعياً . — واليك مثلاً آخر وهو اضرب ٢ في ٢ فان

الحاصل ٨ ولكن اياك ان تعتقد ان الحاصل هو ٨ قبل اجراء الامتحان السلبي اي قسمة هذا العدد على ٢ ثم قسمة الخارج على ٢ ايضاً . وهلم جرّا . ولا يخفى ان ذلك يهدم قياس ارسطو من اساسه لانه يوجب عليك في المثل الذي تقدم عن الماء واللبن ان تاخذ اللبن وتفحصه بنفسك فحصاً ايجابياً وسلبياً عدة مرات بدلاً من قياسه على الماء وان لا تعتقد الا على مشاهدتك وامتحانك . ويُعرف هذا الامتحان بامتحان باكون وقد اطلق به واضعه عقول العلماء والفلاسفة من قيود الماضي واعدّ للعلم ميداناً فسيحاً قرن فيه المعرفة بالعمل فنشأت عنه الاكتشافات والاختراعات التي عرفتها في عالم العلم والصناعة والزراعة . فكانه روح الحرية بُث في العقل والعلم فاحياها معاً

باكون وحجر الفلاسفة — و يعتقد باكون اعتقاداً غريباً . فانه يرى كما تشهد بذلك عدة سطور من كتبه ان غرض العلم والفلسفة البحث عن حجر الفلاسفة اي المادة التي تحول المعادن الى ذهب . وهو لا يذهب هذا المذهب طلباً للذهب ولكن استناداً الى درسه المادة . فانه راى من درسه المادة الطبيعية ان اصلها واحد وان المادة التي صُنعت منها الحصى شبيهة بالمادة التي رُكب منها الذهب . ولذلك يقول انا متى حصلنا على المادة المشتركة بين جميع المواد (وهي ما يسمونه حجر الفلاسفة) فاننا نحقق حينئذ ان اصل المادة واحد ونقدر بسهولة على تحويل اي معدن كان الى ذهب

وقد ذكرنا في ترجمة (برتلو) في الجزء الماضي ان ذلك العالم قد اثبت وحدة المادة في الارض محققاً راي باكون وغيره وانه يعتقد بان تحويل المعادن ذهباً امر ممكن في مستقبل الكيمياء

***

﴿ اعتقاد باكون بالله و بالنفس ﴾ هذا ما راينا اثباته عن اكبر فلاسفة الانكليز فرنسيس باكون . ومنه يرى القارئ انه لم يكتشف امراً جديداً عظيماً ولكنه هدم عالماً قديماً . وسبب شهرته الواسعة انه قام في زمن كانت فلاسفته مستعدة لخلع نير ارسطو وكان اعلام صوتاً واقدرهم على ترجمة ما في نفوسهم فنجح النجاح الذي مرّ ذكره

بقي علينا ان نذكر معتقد هذا الفيلسوف . فنقول انه كان يؤمن بالخالق سبحانه وله في ذلك كلمته المشهورة

« القليل من العلم يُبعد الانسان عن الله والكثير منه يقربه اليه »

يعني بذلك ان من درس نواميس الطبيعة ونظام الكائنات درساً صحيحاً لا يسعه الا ان يعجب بذلك الترتيب البديع الكائن في كل شيء حتى في ذرات الرمل ونقط الماء واوراق النبات وحينئذ يسلّم بالطبع من غير بحث ولا سؤال بوجود صانع حكيم ويقول مع فنلون وفولتير عن تشبيه الارض ونظام كائناتها بساعة وجدت دائرة في رمل الصحراء : « هل يمكن وجود هذه الساعة من غير ساعاتي »

وكان باكون يعتقد بوجود النفس ايضاً و يقول ان من قواها علم الغيب اي معرفة الحوادث قبل حدوثها والتاثير على نفس اخرى اذا تسلطت عليها كما يحدث في التنويم المغنطيسي

هذا ما نقوله عن باكون فلننتقل الآن الى شكسبير

وليم شكسبير

﴿ تمهيد في فن الروايات ﴾ اشتقت الروايات من اصل ديني اي انها وضعت حين نشأتها لغرض ديني . فان الفرس والاشوريين واليونان كانوا يمثلون بها قصص آلهتهم . ولكن لما قامت النهضة اليونانية في الادب والفلسفة والشعر خرجت الروايات من الحيز الديني الى الحيز الاجتماعي فنبغ في هذا الفن كثيرون من اليونان(١) اخصهم . اشيل الذي يلقبونه ابا التراجيدية اليونانية وقد اخذ عنه موليير و راسين وكورنيل وغيرهم من الروائيين . وقد ارتقى هذا الفن عند الرومانيين ايضاً ومن مؤلفيهم بلوت وترانس الشاعران المزليان الشهيران (٢)

---

(١) كفى لبيان تاثير التمثيل عند الاقدمين ان نقول ان اسكندر المكدوني لما سمع ان بيكسودوروس ملك كاريا سيزوج ابنته من « اريده » ابن فيليبوس ابيه خاف ان تقوى سلطة اريده بهذا الزواج فيزاحمه على الملك فبعث الى بيكسودوروس بالممثل المشهور تسالوس ليمثل لديه رواية يظهر فيها فضل اسكندر على « اريده » وقد مثل الممثل هذه الرواية واستمال بها بيكسودوروس الى اسكندر

(٢) لما اراد لافونتين الشاعر الفرنسوي المشهور تابين صديقه موليير اشهر مؤلفي الروايات الفرنسوية الهزلية نظم ستة ابيات ونقشها على قبره وخلاصتها « هذا القبر يضم بلوت وترانس ومع ذلك فليس فيه سوى رجل واحد »

اما النهضة الاوربية في هذا الفن فهي حديثة العهد . وقد كان شانها في ذلك شان النهضة الروائية اليونانية والرومانية اي انها كانت في بدء امرها عبارة عن تمثيل ديني . وذلك ان رجال الدين المسيحي كانوا يتلون الاعياد المسيحية التي يعدّونها اليوم تمثيلاً . وكان هذا التمثيل على نوعين . نوع محزن ونوع مضحك . ومن النوع المحزن تمثيل رواية صلب السيد المسيح في جمعة الآلام بما فيه من المحاكمة امام بيلاطس وصعود السيد الى الجلجلة ووقوف النساء يبكين لصلبه . ومن النوع المضحك تمثيل العادات والتقاليد الدينية كحادثة اليهودي التائه وحادثة برباس ونطق اتان بلعام . ومما يُستغرب ذكره انهم كانوا اذا راموا تمثيل حادثة الاتان جاءوا بحمارة حقيقية الى مكان الاحتفال اي الى المعبد وجعلوا يعالجونها لتصرخ . وكانوا ينشدونها قصيدة منها

غني ياجلالة الحمارة يا ايها الفم الجميل غني فنقدم لكِ كفاية من التبن
وقدر ما تطلبين من الشعير

وكان بعضهم ينشد هذا النشيد والشعب يجاوب عليه بفرح وابتهاج بلازمة ملازمة

ولما اعتاد الشعب هذا التمثيل الفه فتالفت منه جمعيات للقيام به في ايام الآحاد والاعياد في خارج المعابد . فكان الشعب يقبل على حضور هذا التمثيل ويشترك فيه . وكانت الروايات مكتوبة بشعر عامي . وقد روي ان احدهم كان يمثل الصلب فصلب نفسه بالفعل لاتمام الشبه وكاد يلقى حتفه لو لم يتداركه رفاقه . ولما تمادى الشعب الفرنسوي في هذا التمثيل اصدر البرلمان في ١٧ نوفمبر من عام ١٥٤٨ قرارًا بمنع تلك الجمعيات من التمثيل الديني واباحة ما سواه . ومنذ هذا الحين دخل التمثيل في دور جديد وانتقل من الحيز الديني الى الحيز الاجتماعي . ونشأ من الكتاب والشعراء شكسبير وكوت وشيلر وراسين وكورنيل وموليير وفولتير وفيكتور هيغو ودوماس الكبير والصغير وهين وغيرهم فابلغوا بمؤلفاتهم هذا الفن الى المقام السامي الذي صار اليه في اوربا في هذه الايام

وقد قابل الامبراطور غليوم في هذا الشهر الممثل الفرنسوي الشهير كوكلين الكبير فقال له انه من انصار الروايات وكتابها لانه يعرف ما لها من الفضل والتاثير على آداب الامة وعلى اخلاقها . وكفى ذلك شهادة بفائدة فن التمثيل اذا اجاد مؤلفوه وممثلوه وكان غرضهم نشر الآداب والسرور معاً في المراسح لا اثارة عواطف العامة والحاضرين بمناظر واقوال تشبه فقاقيع الصابون بسرعة زوال تاثيرها

ولا ريب ان في ترجمة شكسبير من هذا الوجه عبرة وفائدة لجميع محبي هذا الفن الجليل

***

﴿ ترجمة شكسبير ﴾ ولد وليم شكسبير من اب تاجر في قرية سترتفورد (القائمة على ايفون) في ٢٢ افريل من عام ١٥٦٤ . وكان له اخوة ثلاثة فدخل معهم في احدى المدارس المجانية وتلقى فيها شيئاً من اللغة اللاتينية . ولكن لم تات عليه السنة الثالثة عشرة حتى اخرجه ابوه من المدرسة لاختلال اشغاله التجارية واستخدمه في احد البيوت التجارية . ومن ذلك يظهر ان شكسبير لم يتلقن في المدارس شيئاً من الدروس العليا التي ظهرت ثمارها في رواياته بعد ذلك

ولما بلغ شكسبير السنة الثامنة عشرة اقترن بفتاة عمرها ٢٦ عاماً وتدعى مس حنه هاتاواي وقيل انها كانت عشيقته وبعد انقضاء ستة اشهر على زواجها ولدت له هذه الزوجة ابنة وبعد ثلاث سنوات ولدت له توأمين فدعاهما همنت وجوديت . ولكن الاولاد جاؤه بالضيق الى البيت لانه لم يكن يكسب من خدمته شيئاً يذكر ففر من سترتفورد في عام ١٥٨٣ وعمره ٢١ عاماً . ولما صار بعيداً عن اهله رام الصيد والقنص في الاحراش التي حرم الصيد فيها فطلبه الخفراء للقبض عليه ففر من وجههم وسار مشياً الى لندن حيث انخرط في سلك الممثلين فيها

وبعد ان صرف شكسبير مدة في التمثيل جمع جوقاً وتولى ادارته . اما الروايات التي كان يمثلها فكان بعضها من الروايات القديمة يتصرف بها جرياً مع ذوق العصر وبعضها من تاليفه . ويقال ان اول رواية ظهرت من قلمه كان ظهورها في عام ١٥٩١ اي بعد انقضاء ٨ سنوات على فراره من وطنه . وقد قال شراح هذه الرواية ان شكسبير اظهر فيها من المعرفة بعادات الطبقات الاجتماعية يومئذ والتلميح الى بعض الحوادث العصرية اللندنية ما وجه الانظار اليه ودل على عظيم استعداده . نقول فهل كانت تلك السنوات الثماني التي صرفها في لندن كافية لجعل ذلك الفتى الطائش الذي لم يتلقن علماً في مدرسة — في ذلك المقام من المعرفة والاستعداد

ومنذ هذا الحين بدأت شمس شهرة شكسبير تطلع في سماء الادب فصار له اصدقاء في البلاط ورغبت الملكة اليصابات في حضور احدى رواياته فتمثل في البلاط احداها في ليلة عيد الميلاد من عام ١٥٩٧ فاعجب الملكة هذا الجوق ووعدته بحمايتها فازدادت بذلك شهرته انتشاراً

وكان المال يرد عليه مع الشهرة لكثرة مكاسبه من رواياته . فساد شكسبير

الى وطنه سترتفورد فوجد احوال عائلته في اختلال تام فتلافى تلك الحالة وزاد على ذلك ان ابتاع احسن قصر في المدينة (سنة ١٥٩٧) . ثم اخذ يبتاع كثيرًا من الاراضي ويؤجرها للفلاحين من ابناء وطنه فضلاً عما كان يقرضهم اياه من الاموال تحسينًا لاحوالهم . ولكنه مع مساعدتهم على هذا الوجه كان شديد الوطأة عليهم فيما يختص باستيفاء امواله وكثير التفنن في طرق كسب المال . ولذلك يتخذ فلاسفة العمران شكسبير مثلاً حينما يرومون بيان المزايا التي خُصت بها الامة الانكليزية من حيث المعرفة بطرق الكسب والتزام هذه الطرق ، فانهم يقولون ان اسمى رجالهم فكرًا لا يُهملون الامور المادية ويطلبون الكسب من كل وجوهه المشروعة . اما الفرنسويون فانهم يغارون من هذا القول لانهم مشهورون بعدم اعتدادهم بالمال وتفضيلهم الشرف والمجد عليه ولذلك يذكرون شاعرهم فيكتور هيغو كما ذكر الانكليز شكسبير لان فيكتور هيغو كان شبيهاً بشكسبير من حيث الجمع بين سمو الفكر والمعرفة بطرق الكسب

وفي عام ١٦٠٣ توفيت الملكة اليصابات التي كانت حامية لصاحب الترجمة فلم يخسر صاحب الترجمة شيئاً بوفاتها لان الملك شارل الاول شمله بعنايته وحمايته . فابرز يومئذ شكسبير افضل رواياته وهي « كما تريد » و « هملت » و « اوتلو » و « مكبث » « والملك لير » فبلغ بها شكسبير ما لم يبلغه في انكلترا شاعر ولا مؤلف لا قبله ولا بعده . ولكن بعد هذه الروايات الجليلة خمد فكر المؤلف او فرغت جعبته فصار يكتب فصولاً متقطعة . وفي عام ١٦١١ احس بحاجته الي الراحة فعاد الى وطنه سترتفورد فازوج ابنتيه سوسان وجوديت وانصرف الى ادانة الاموال وشراء الاراضي حتى ادركته الوفاة في ٢٣ افريل او ٣ مايو من عام ١٦١٦ وعمره ٥٢ عاماً فقط فدفن في كنيسة سترتفورد . ويقال ان وفاته كانت بسبب السكر وهو حديث خرافة على الاصح

اما عائلة شكسبير فقد انقرضت بعده اذ مات كل اولاده واحفاده دون ان يتركوا عقباً . ولكن من ترك مؤلفات كمؤلفاته فان اسمه لا ينقرض ما دام الانسان انساناً

***

﴿ مؤلفات شكسبير ومواضيعها ﴾ وهذه المؤلفات كثيرة يضيق المقام دون ذكرها بالتفصيل فنكتفي بالاختصار . فنقول انها ظهرت بين عام ١٥٩١ وعام ١٦١١ اي بين السابعة والعشرين من عمره والسابعة والاربعين . فيكون شكسبير قد اشتغل بعد سن الاربعين سبع سنوات فقط . ولا يخفى ان سن الاربعين هي السن التي تنضج بها مواهب الانسان

وتبلغ فيها قوى نفسه اشدها فيظهرحينئذ بما خلقه الله من القوة

وكانت اول رواياته رواية « شقاء ضائع في الحب » مثلها في عام ١٥٩١ وهي التي اشرنا اليها آنفاً وموضوعها غرامي هزلي انتقادي . وتلتها رواية « كريم فيلونه » في سنة ١٥٩١ ايضاً وقد اخذ موضوعها من رواية هزلية قديمة . وكذلك رواية « الخطاء » . اما رواياته المحزنة (التراجيدية) فقد كانت اولاها رواية « روميو وجوليت » وقد مثلها في عام ١٥٩٢ بعد رواية « الخطاء » فكان لها تاثير عظيم ولا سيما على السيدات لما حوته من العواطف الرقيقة التي يتبادلها الحبيبان روميو وجوليت . وفي عام ١٥٩٢ ايضاً وضع روايته التاريخية « هنري السادس » ثم تلتها في عام ١٥٩٣ رواية « ريشار الثالث » التي وردت فيها العبارة المشهورة المذكورة بالتفصيل في روايات « نهضة الاسد » وهي : « عليّ بجواد عليّ بجواد فانني اهب ملكي لمن يعطيني جواداً » وفي عام ١٥٩٤ ابرز روايته « طيطس اندرونيكوس » و بعضهم يرى ان هذه الرواية لم تكن من قلمه . وفي عام ١٥٩٤ كتب رواية « تاجر البندقية » ومدارها على رجل اسرائيلي يقرض الاموال . ثم كتب رواية « الملك حنا » في عام ١٥٩٤ ورواية « لوكريس » وكلتا الروايتين نتيجة دخول المبادئ اليونانية الى انكلترا في تلك الايام . وفي عام ١٥٩١ و١٥٩٤ مثل « الشذرات او المقاطيع » وهي رواية ودادية اظهر فيها فضل الصداقة على الحب . ومما قاله فيها عن لسان صديق يوبخ صديقه لانه خطف عشيقته قوله

« خذ كل حب لي ايها الصديق . نعم خذه كله . وقل لي الآن ماذا زاد على ما كان عندك . اعلم ان كل حب لي وكل خير لي ليس لي فيه شيء لانه لك من قبل ان تاخذه . وانا اصفح لك عن سرقتك ايها اللص اللطيف وان كنت قد سلبتني كل ما ملكت يداي »

ومما يجب ذكره هنا ان شكسبير كان يشير بهذا الكلام على ما يظهر الى اللورد سوتنتون او اللورد بمبروك لانهما فعلا تلك الفعلة اما المرأة ذات العينين الدعجاوين التي ورد ذكرها في هذه الرواية فلم يُعرف لها خبر

وفي عام ١٥٩٥ ابرز روايته الجميلة « حلم في احدى ليالي الصيف » فكانت خير ذيل « للمقاطيع » التي تقدم ذكرها . واليك ما قاله في هذه الرواية البديعة في وصف الحب

« ولما راى كويدون (١) الملكة العذراء تناولـ سهماً ورشقها به . اما انا فتبعت السهم بنظري فوجدته قد طاش وانطفأ في نور القمر الطاهر الذي كان يحف بها . ولذلك نجت العذراء المكللة من الحب واتمت سيرها وهي تفتكر افكارًا طاهرة . غير اني بحثت عن المكان الذي وقع السهم فيه فوجدت انه وقع على زهرة صغيرة من ازهار الغرب كانت بيضاء اللون كاللبن فجعلها السهم حمراء من شدة الطعنـة . وتسمي العذارى هذه الزهرة — زهرة لا تنسني »

وفي عام ١٥٩٥ برزت روايته « كل ما حسنت خاتمته فهو حسن » وفيهـا قصة امرأة باسلة تكره الاستسلام الى حوادث الحياة وتنشيء لنفسها مركزًا باجتهادها ونشاطها . وفي العام التالي (١٥٩٦) مثّل رواية من احسن رواياته وفيها اظهر انه يكره اعطاء المرأة حقوق الرجال ومن قوله عن لسان النساء « لماذا نرى اجسامنا ضعيفة واعضاءنا واهنة لا تحتمل متاعب الحياة واضطرابات العالم . الجواب لان اجسامنا واعضاءنا يجب ان تكون على اتفاق تام مع عاداتنا وحالة نفوسنا الداخلية »

وفي عام ١٥٩٧ ابرز شكسبير رواية « هنري الرابع » وفي عام ١٥٩٧ رواية «حاذيات وندسور » وفيها طبيب فرنسوي يتكلم باللغة الانكليزية كلاماً مشوهاً مضحكاً وكان فرنسوي يقول اقوالاً مضحكة . وفي عام ١٥٩٩ وضع « هنري الخامس » ومنذ هذا الحين بدأت احاسن رواياته

فوضع اولاً رواية « عناء كبير بشيء صغير » ومدارها على رجل آلى على نفسه ان يكره النساء وامرأة لا تطيق رؤية الرجال ولكن الرواية تجعلها بطرق مضحكة يحبان بعضها بعضاً في النهاية حباً شديداً . وبعد هذه الرواية ظهرت روايته « الليلة الحادية عشرة » وذلك في عام ١٦٠٠ ومدارها على امرأة تتزيا بزي رجل وتخدم حبيبهـا وتحميه وتسهر عليه على غير علم منه . وهي بذلك تمثل الحب الخفي السكوت الذي يكمن في النفس كمون النار في حجارة الزناد

وفي عام ١٦٠١ برزت رواية « يوليوس قيصر » واهم ما فيها وصف اخلاق بروتوس قاتله وصفاً بديعاً . وفي عام ١٦٠٢ مثل « هملت » اشهر رواياته وهي رواية فلسفية تسمو عن مدارك

---

(١) كويدون في الميثولوجيا اليونانية اله الحب وهو فتى يحمل نبالاً مشتعلة فاذا رشق الحسناء باحدها اصابها الهوى في الحال

الشعب ومع ذلك فقد طرب الشعب الانكليزي لها اشد طرب واختارها على ما يقال على جميع رواياته ، ومدار هذه الرواية على فتى يكره الحياة لمصابه بامه التي قتلت اباه لتستبد بالملك بعده . ومن ينس صراخه في وسط احزانه و يأسه وهو يستعد للانتقام « لله يا ملاذ الحياة كم تظهرين لي فارغة باردة » وهذه الحالة هي نتيجة استغراق الفكر والم كل عواطف النفس وايأسها ايأساً

وبعد هملت كتب شكسبير « ترولوس وكريسيده » وذلك في عام ١٦٠٣ . وقد وصف في هذه الرواية حرب تروادة وجعل مدارها على حب فتى صادق في حبه . وفيها تقول احدى نسائها

« ليست السعادة واللذة الا في الطلب ومتى بلغ الطالب غرضه منا فكل شيء قد ذهب . فلتعلم ذلك الحبيبات فان التي لا تعلم ذلك لا تعلم شيئاً . ان الرجال يخضعون و يذلون لنا قبل استيلائهم علينا ولكنهم يصيرون اسياداً لنا بعد الاستيلاء » (١)

وفي عام ١٦٠٤ كتب شكسبير (قياس للقياس) ثم كتب في هذا العام ايضاً روايته (اوتلو) فابرز فيها كل قوى نفسه ولذلك قالوا انها ابلغ رواياته وان كانت هملت اشهرها . ومدار (اوتلو) على حب شديد يغار من نسمات الريح من جهة وعلى الخيانة من جهة اخرى . ولكن الحب لا يجيز لنفسه اقل شكوى ولا ضجر مع معرفته خيانة الحبيب له . وتلك غاية في الحب ما بعدها غاية

وبعد اوتلو برزت (مكبث) وذلك في عام ١٦٠٥ ومدارها على درس بسيكولوجي في تاثير الرذيلة والجناية في نفس مجبولة على الفضيلة . وفي عام ١٦٠٦ برزت روايته (الملك لير) وموضوعها مصائب وفظائع تصيب شعباً بامره وهي من افضل رواياته أيضاً . وبعدها ظهرت في عام ١٦٠٧ (تيمون الاثينوي) و (بريكليس) ولكنها احط من الروايات الكبيرة التي تقدم ذكرها لا سيما وان شكسبير ارتكب فيها كثيراً من الاغلاط فيما يختص بتاريخ اليونان لاقتباسه تفاصيله من الكتب الخرافية التي كانت تطبع يومئذ . وفي عام ١٦٠٨ مثل رواية (انطونيوس وكليوباتره) و (كوريولن) وفي عام ١٦١٠ (سمبيلين) وفي عام ١٦١١ (حكاية الشتاء) والرواية البديعة التي ختم بها مؤلفاته وهي

---

(١) سلطة النساء في راي شكسبير

(الزوبعة) . كانه قصد جعلها مسك الختام

***

﴿ شهرة شكسبير في العالم ومناظروه ﴾ واذا كان في العالم كاتب يصدق فيه قول شاعرنا العربي

لا يعرف القوم الفتى الا اذا قضى فيعطى حقه تحت الثرى

فانما ذلك الكاتب هو وليم شكسبير صاحب الترجمة . فان مناظريه من الكتاب لم يعرفوا له فضلاً كبيرًا في حياته لانهم اخذوا عليه الابتداع في التاليف وترك الاتباع. ومما كانوا ياخذونه عليه عدم مراعاته وحدة السياق في رواياته وما دروا ان ذلك الاختلاف كان سرًّا من اسرار نجاحها . وهكذا الناس في التاليف وسواه متى كانوا لا يحسنون الابتداع لضعف قوام او لالفة اذواقهم للقديم البالي انقلبوا على المبتدع ونادوا بفضيلة الاتباع

ولكن شمس شكسبير لم يطل احتجابها بهذه السحب في انكلترا اكثر من قرنين فانه ما اتى آخر القرن الثامن عشر حتى سكنت جميع اصوات المنتقدين ولم يبق غير المعجبين والمستحسنين و بذلك انتصر اسم شكسبير انتصارًا تامًا

اما اوربا فانها كانت اسرع من انكلترا في اعطاء شكسبير حقه . ففي عام ١٦١٤ اي قبل وفاته بسنتين انتشرت شهرته في المانيا وفي عام ١٧٦٧ وضعه لسنغ فوق كورنيل وراسين اللذين كانت اوربا تعجب بهما في ذلك الزمان وفي عام ١٧٦٢ ترجم ويلند كل رواياته واقتبس منها (كوت) المشهور في سنة ١٨٠١ رواية روميو وجوليت واخذ شيلر رواية مكبث وكتب هنري هين كتبه عن (ابطال روايات شكسبير) . اما فرنسا فقد كان فولتير اول مترجميه فيها (سنة ١٧٣١) وقد قال في الكلام الذي بسطه للجمهور الفرنسوي عنه (انه كورنيل لندن ولكنه مجنون كبير ومع ذلك فله اقوال بديعة في غاية السمو) . اما شاتو بريان فانه كان يقول انه لا (يذوقه) اي لا يستحسنه . ولكن لما جاءت مدام دي ستايل وقالت ما قالته عنه انتصر اسم شكسبير واقبل الجمهور الفرنسوي عليه . وقد اجمع الناس اليوم على ان شكسبير اعظم مؤلفي الروايات في العالم. والصفة التي يميزونه بها عن باقي المؤلفين ما ظهر منه من سعة الاطلاع في كل شؤون الحياة . فاذا مثل ملكاً مثلاً عرف ما يختلج في نفس الملك واذا مثل صعلوكاً عرف ما يناجي الصعلوك به نفسه . وقس على ذلك باقي حالات البشر من الحب والبغض والرذيلة والفضيلة والحلال والحرام والغنى والفقر

وكل ذلك مكتوب باسلوب يسحر الالباب . وبذلك كان لشكسبير تاثير عظيم على فن الروايات وعلى الحركة الادبية في جميع اقطار العالم لا في انكلترا فقط . وقد نقلت بعض رواياته الى اللغة العربية

هل كان باكون كاتب روايات شكسبير

ولكن كأنه قدر لشكسبير ان لا يكمل مجده ابداً . فانه قام منذ مدة عدة من انصار باكون يزعمون ان الروايات التي تقدم ذكرها ليست من تاليف شكسبير وانما كان هذا ممثلاً لها فقط . واذا سالتهم فمن الف اذاً تلك الروايات البديعة فانهم يجيبون ان مؤلفها هو الفيلسوف باكون

وبناء على ذلك تالف في انكلترا حزبان عظيمان اكبر من حزبي المحافظين والاحرار الواحد منهما ينتصر لباكون والواحد ينتصر لشكسبير . ولكن انصار شكسبير اشد غضباً وانكى سهاماً وافرغ صبراً من رفاقهم الباكونيين لان هولاء هم المهاجمون

اما الادلة التي يتخذها الباكونيون لاثبات ان باكون هو الذي كتب روايات شكسبير فهي كثيرة منها اولاً ان شكسبير لم يتلقن في المدرسة دروساً تجعله قادراً على كتابة روايات فلسفية سامية كتلك الروايات بل كان من اصله رجلاً جاهلاً ولم يذكر التاريخ عنه شيئاً . ثانياً ان في اكثر تلك الروايات تلميحاً واشارات الى حوادث الطبقات العالية في لندن ولا سيا حوادث حياة باكون التي مرّ تفصيلها . وقد سالت الملكة اليصابات شكسبير غير مرة اذا كان احد يساعده في تلك الروايات . ثالثاً ان باكون كتب الى احد اصدقائه كتباً خصوصية يقول له فيها انه يؤلف تلك الروايات ويدفعها الى شكسبير ليمثلها باسمه . — هذه بعض ادلة الباكونيين . واما الشكسبيريون فانهم يقولون لم ان اقوالكم هذه مزاعم لا ادلة فهاتوا شهودكم ان كنتم صادقين

وبينما كان الفريقان في هذا الجدال واذا بصوت رنّان من اميركا يقول « قد وجدت الدليل الذي لا يرد على ان باكون هو الذي كتب روايات شكسبير »

فالتفت الجميع فابصروا مسز غالوب الاميركية قادمة من نيويورك الى لندن وبيدها مفتاح ذلك السر . وهذه السيدة تقول انها وجدته في كتب باكون واليك التفصيل

من المعلوم ان باكون هو الذي وضع اصول المخابرات الخفية بالارقام التي تستخدمها الدول في مخابراتها الرسمية . وكل من وقف على نسخ من الطبعة الاولى التي نشرت من كتبه

في حياته وجد في بعض صفحاتها ارقاماً عديدة مختلطة اختلاطاً لم يظهر الغرض منه · فلما وقفت مسز غالوب على تلك الارقام قام في نفسها ان تستعمل الارقام السرية التي وضعها باكون في قراءة هذه الارقام المختلطة في كتبه الاولى · فجربت ذلك وعند اول تجربة صاحت كما صاح ارخميدس « وجدتها وجدتها »

ذلك ان مسز غالوب تقول انها استخرجت بواسطة مفتاح الارقام السرية من تلك الارقام المختلطة العبارة التالية

« ان امي الحقيقية هي الملكة اليصابات وانا وارث العرش الحقيقي · تعقب تاريخي »
« السري المنشور بالارقام في كتبي تجد فيه اسرارًا عظيمة لو بحتُ باحدها لبانت »
« حياتي في خطر ·　　　　التوقيع فرنسيس باكون »

فلما ظفرت مسز غالوب بهذا التفسير الغريب استانفت القراءة بالمفتاح السري الذي وجدته فاستخرجت من ارقام اخرى في مكان آخر العبارة التالية

« ان فرنسيس دي فرولام هو الذي الف كل الروايات التي نُشرت الى الآن باسماء »
« مارلو وغرين و بيل وشكسبير »

ولما نشرت مسز غالوب هذا الاكتشاف قامت له الجرائد الانكليزية وقعدت وانبرى الشكسبيريون يوسعون الباكونيين طعناً وتقريعاً حتى غصت الجرائد في هذا الشهر بمناظرات الفريقين · ولكن الطعن والتقريع لا يقومان مقام الدليل والبرهان ولذلك راى احد مراسلي جريدة التيمس امتحان اقوال مسز غالوب فاخذ الصفحات التي زعمت هذه السيدة انها اكتشفت فيها تلك الاقوال وصار يبحث في ارقامها بواسطة المفتاح السري الذي ذكرته ويضيق المقام عن بيانه · ولا يخفى ان ذلك عمل شاق لما فيه من جمع الارقام المختلفة الشكل فضلاً عما يستغرقه من الوقت · ولما فرغ هذا المراسل من عمله ظهر له انه ينقص الفقرة الاولى التي ذُكر فيها باكون ابناً لاليصابات مائة حرف ايطالي لتكون كلماتها منطبقة كل الانطباق على الكلمات التي ذكرتها مسز غالوب و ينقص الفقرة التالية التي ذُكر فيها ان باكون مؤلف روايات شكسبير ١١٩ حرفاً ايطالياً ليكون المعنى تاماً كما ذكرته هذه السيدة

فاستنتج كلُ واحد من الفريقين من هذا الامتحان نتيجة تؤيد رايه · فالشكسبيريون قالوا ان هذا الاكتشاف باطل لنقص الحروف والباكونيون قالوا ان هذا الاكتشاف صحيح لان باكون لم يكن يُطلب منه ان يذكر سره كاملاً فاذا ترك بعض حروف ناقصة فانما ذلك من خوفه ان يكتشف احدٌ هذا السر في حياته

وتاييدًا لهذا الزعم يقول الباكونيون ان باكون كان ابنًا للملكة اليصابات من اللورد لستر . فان هذا اللورد سُجن في برج لندن وكان يحب الملكة اليصابات فزارته زيارة سرية في سجنه وبعد تسعة شهور وضعت غلامًا والقته الى الحامي نقولا باكون الذي تقدمت الاشارة اليه بعد ان شملته بالنعم فتبناه نقولا باكون وسماه باسمه . ولما شبَّ هذا الغلام ظهر انه نابغة عصره فدارته الملكة في بدء الامر وسهرت عليه ولكنه لما درى بانه ابنها انقلبت عليه وصارت تروم التخلص منه لان وراء امره امورًا سرية اخرى تضرب صفحًا عن ذكرها . فكبر هذا الامر على فرنسيس باكون واخذ يكتب روايات يلمح فيها بحوادث حياته وحوادث البلاط ويدفعها الى ممثلي عصره كشكسبير وغيره . وكان قد ورث عظمة النفس من امه وابيه فطلب العلى من طريق العلم والفلسفة فنبغ فيهما وكتب كل الكتب المنسوبة اليه والى رجال النهضة الادبية الانكليزية في ذلك العصر كشكسبير ومار يو و بيل وغرين . فبناء عليه يكون فرنسيس باكون ملكاً وابن ملك من حيث النسب ومن حيث العقل والوارث الحقيقي للعرش الانكليزي . فليحذر جلالة الملك ادوار على عرشه من ورثة باكون وليطأطىء الفلاسفة والعلماء والادباء رؤوسهم امام ملك العلم والادب والشعر والفلسفة الذي اجتمع فيه هوميروس وافلاطون واليصابات وغرين وشكسبير

هذا ما يزعمه الباكونيون . ولا ريب ان باكون جدير بهذا الشرف العظيم ولكنهم لم يثبتوه له بحجة قاطعة لا تقبل الرد . بقي لتمام هذا البحث ان نقول ان كثيرين من اعاظم الانكليز وفي جملتهم بيرون وبالمرستن وبيكنسفيلد وبريت وكلريدج وايمرسن يعتقدون بان الروايات المنسوبة لشكسبير ليست من قلمه استنادًا الى ان شكسبير كان اجهل من ان يؤلف مثلها . ولا تزال الحقيقة ضائعة بين الفريقين



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

(تابع لما قبله)

السيد المسيح في الاسبوع الاخير . مبارك الآتي باسم الرب

وفي الواقع ان السيد المسيح رام العودة الى اورشليم قبل عيد الفصح . ولكنه عاد اليها مع تلامذته بنفس مضطربة لما كان يتوقع حدوثه فيها . وكان يُحدث تلامذته في الطريق عن نفسه بحزن ويقول لهم انه قد بلغ النهاية فساء التلامذة هذا الامر لانهم كانوا يتوقعون تحقق الملكوت الذي كانوا في انتظاره . اما السيد فانه كان يرى انه مستقبل الموت ولكنه كان يعتقد بان موته يخلص العالم ويحقق ذلك الملكوت . فكانه كان شيء من سوء الفهم بين السيد وبين تلامذته

وكانت العادة ان الذين يرومون الحجّ الى اورشليم يفدون عليها قبل عيد الفصح ببضعة ايام ليستعدوا للعيد . فلما اقترب الفصح ولم يأتِ السيد خشي الكهنة من ان يكون قد عدل عن القدوم فيفوتهم القبض عليه . ولكن لم يلبث ان سكن خاطرهم اذ دروا انه قد قرب من اورشليم او كان قد وصل الى بيت عنيا في ٢٨ مارس اي قبل عيد الفصح عند اليهود بستة ايام . وكان نزوله في بيت عنيا في بيت مرتا ومريم او بيت سمعان الابرص وقد احتفل بعودته احتفالاً عظيماً . وفي هذه الزيارة اقيمت للسيد مادبة في بيت سمعان الابرص ورغبة في زيادة اكرامه دخلت مريم في اثناء المادبة وفي يدها قارورة طيب ثمين فسكبت الطيب على قدمي السيد ثم كسرت القارورة جرياً على عادة شرقية قديمة توجب كسر الاناء الذي يستعمله ضيف كريم . ثم انها مبالغة في اظهار حبها واحترامها

السيد اتت امرًا لم يسبق له مثيل قبل ذلك وهو انها جثت على الارض امامه ومسحت بشعرها الطيب الذي كان على قدميه . فانتشرت عند ذلك في المكان رائحة الطيب الذكية فانشرحت لها صدور الحاضرين الا صدر يهوذا الخريوطي . وذلك ان هذا التلميذ كان امينًا لصندوق الطائفة المسيحية الاولى وكان مشهورًا بالبخل والاقتصاد . فلما راى ذلك الطيب الثمين ضائعًا لم يتمالك ان يعنف مريم على هذا الاسراف بقوله انه كان يجب ان يُباع ويُعطى للفقراء اي ان يدخل في صندوق الجمعية . فلما سمع السيد هذه الملاحظة قال « ان الفقراء معكم في كل حين واما انا فلست معكم في كل حين » ثم وعد تلك المراة بخلود الاسم الى الابد

وفي اليوم التالي نزل السيد من بيت عنيا الى اورشليم . ولما صار في منعطف الطريق على قمة جبل الزيتون وراى اورشليم منبسطة تحت عينيه بكى عليها وخاطبها . ثم وصل الى حي بيت فاجي القائم تحت سفح الجبل قرب اورشليم . وكان هذا الحي من احياء المدينة المقدسة وفيه يقيم اكثر الكهنة . فاستقبله عند هذا الحي كل الجليليين الذين اتوا يحجون الى اورشليم وجاءوه باتان يتبعها جحش واركبوه عليها . ثم انهم فرشوا الطريق بملابسهم وباغصان الاشجار وحملوا سعوف النخل ودخلوا بالسيد الى المدينة يهتفون « اوصنا لابن داود . مبارك الآتي باسم الله » ولم يكتفِ بعضهم بذلك بل سماه ملك اليهود . فلما سمع الفريسيون ذلك قالوا له « يا ربي اي يا معلم مرهم ان يسكتوا » فاجابهم السيد اذا سكتوا فان الحجارة تهتف بدلاً منهم

وحين دخول السيد سال بعض الجموع من هذا فاجابوهم « انه يسوع نبي الناصرة في الجليل » . وكان عدد سكان اورشليم في ذلك الزمان ٥٠ الف نفس . والعادة ان حادثة كهذه الحادثة لا تترك بعدها اثرًا وقتًا طويلاً ولكن اورشليم لم تكن لسكانها في ايام الاعياد بل كانت للغرباء القادمين اليها . ولذلك ازدحم هولاء الغرباء وتحمسوا يرومون مشاهدة يسوع . وبعض من المتكلمين باللغة اليونانية لم يكتفوا بالمشاهدة بل خاطبوا التلامذة وطلبوا مقابلته . ولا يدري احد بما تم بعد هذا الطلب

اما السيد فانه عاد في ذلك المساء الى قريته العزيزة « بيت عنيا » فبات ليله فيها . وفي الايام الثلاثة التالية اي الاثنين والثلثاء والاربعاء كان ينزل الى اورشليم في النهار وفي الليل يبيت في بيت عنيا او في احدى المزارع القائمة في غربي جبل الزيتون حيث كان له اعزاء كثيرون

وكان الفريسيون والكهنة قد ابتهجوا بعودته الى المدينة . اما يسوع فانه كان سكوتًا

مضطرباً . وقد اجمعت على ذلك الاناجيل الاربعة . وكان يقول احياناً « نفسي حزينة حتى الموت . خلصني يا ابتاه من هذه الساعة » واحياناً يصعد الى الجبل مع بعض تلامذته و يصلي فيه ووجهه لاصق بالثرى . فكل ما نقوله في هذا الامر هو ان العمل العظيم الذي اقدم السيد عليه ظهر له حينئذٍ بمظهر جديد وانتبهت فيه الطبيعة البشرية . فان من اوقف نفسه لفكر عظيم و بذل في سبيل هذا الفكر كل رخيص وغال حتى راحته وقواه وكل ما تملكه يداه لجدير بان يعود الى نفسه عند ظهور خيبة ذلك الفكر له ويتامل في مصيره . ولكن قوة السيد الالهية لم تلبث ان تغلبت على الطبيعة البشرية ودفعته الى الامام دون مبالاة بموت . ومنذ هذا الحين دخل السيد في دور جديد وصارت صورته عبارة عن صورة كاملة فيها تعزية وقوة لجميع النفوس الحزينة المعذبة في هذه الحياة . اما التلامذة فانهم كانوا لا يعلمون شيئاً مما قام في نفس سيدهم

واذا كانت عودة السيد الى اورشليم قد سرت الفريسيين واكابر اليهود فقد ساءهم ذلك الاحتفال العظيم الذي اقيم له حين دخوله الى المدينة . ولذلك انعقد مجلس رؤساء الكهنة في يوم الاربعاء عند يوسف قيافا وتقرر فيه القبض على السيد في الحال . وبما ان عيد الفصح كان واقعاً في يوم الجمعة والناس يزدحمون فيه ازدحاماً شديداً فقد قرروا القبض عليه قبل العيد لئلا يحدث شغب في الشعب لان السيد كان محبوباً اليه . فعينوا يوم الخميس لذلك . وفضلاً عن ذلك فانهم قرروا ايضاً القبض عليه وهو في احدى خلواته لا في داخل الهيكل فراراً من الشغب ايضاً . ولذلك ذهب بعض من الكهنة ليجسوا تلامذته و يستعلموا منهم ما يريدون علمه فوجدوا ضالتهم لدى يهوذا الاسخريوطي . فان هذا التلميذ التعيس خان سيده لاسباب لا تزال مجهولة . وكان هذا الرجل محسوباً تلميذاً حتى ذلك الوقت وله الحق بلقب « رسول » وكان يصنع عجائب و يطرد شياطين . وكان اميناً لصندوق الطائفة المسيحية الاولى . فاذا سلّم سيده وسيدها انفرط عقدها وخسر وظيفته ومكانته . فما الفائدة التي كانت له من هذا التسليم . امبلغ تافه من المال كثلاثين فضة . ذلك امر غير معقول والراجح انه كان بينه و بين التلامذة منافسات بسبب حبه للاقتصاد وتوفير المال للطائفة . و ربما كان في الملاحظة التي لاحظها السيد في بيت عنيا على يهوذا عن الطيب الذي سُكب على قدميه ما احنق هذا الرجل وابعد قلبه عن سيده . ولكن هذا الرجل لا يستحق كل اللعنات الهائلة التي صُبت على راسه من جراء هذا التسليم لان قلبه لم يبتعد عن سيده الا ابتعاداً وقتياً بدليل انه بعد ارتكابه الجرم ذهب وشنق نفسه . فرجل فاسد

السيرة والسريرة فساداً حقيقياً لا يندم هذا الندم على جرمه . وانما كان جرمه نتيجة فساد ساعة طرأ على نفسه ثم عاد ضميرها اليها

والآن قد وصلنا الى الساعة الهائلة التي كل دقيقة منها تحسب بمثابة قرن في تاريخ الانسانية . وصلنا الى يوم الخميس ٢ ابريل وهو موعد القبض على السيد . وكان بدء عيد الفصح واقعاً في اليوم التالي وفيه يأكل اليهود حمل الفصح . ثم يستمر العيد ستة ايام يؤكل فيها الخبز المقدس . فتكون مدة العيد عندهم سبعة ايام واعظمها الاول والاخير اذ يقام فيهما احتفالات كبيرة ولذلك اخذ التلامذة يستعدون لليوم الاول من الفصح

اما يسوع فانه علم بخيانة يهوذا ووعده الفريسيين ان يسلمه اليهم . وفي ذلك المساء جلس السيد والتلامذة الى الطعام الاعتيادي لان الفصح لا يؤكل الا في اليوم التالي . وكان السيد في هذه الجلسة هادئاً لطيفاً ولاسيما مع يوحنا وبطرس انما كان في نفسه شيء من خيانة يهوذا . وكان يوحنا ممدداً على « الديوان » وراسه مسنود الى ركبة السيد . وفي نهاية الطعام ثقلت خيانة يهوذا في نفس السيد فقال « الحق اقول لكم ان احدكم سيخونني » فدهش التلامذة وبهتوا واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض . وربما كان قصد السيد من ذلك ان يرى ماذا يكون لذلك الكلام من التاثير على وجه يهوذا . اما بطرس فان نفسه المستقيمة الكريمة اصبحت عند ذلك في عذاب شديد فاشار الى يوحنا الذي كان قريباً من السيد ان يساله عن معنى هذا الكلام . فساله يوحنا همساً فلم يصرح له السيد باسم احد من التلامذة لان خيانة يهوذا لم تكن قد ثبتت بعد وانما قال له ان الخائن هو الذي سيقدم له لقمة مغموسة بالمرق . وكانت العادة في الشرق ان رئيس المائدة اذا رام اكرام احد من الجالسين معه تناول شيئاً من الطعام وجعله لقمة ثم قدمه اليه . ففعل السيد ذلك وقدم اللقمة الى يهوذا فلم يدرِ بهذا السر غير بطرس ويوحنا . وبعد ذلك وبخ السيد يهوذا توبيخاً لم يفهم التلامذة معناه وخرج (١)

وفي هذه الجلسة غسل السيد ارجل تلامذته وقال لهم « انتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لاني انا كذلك . ولكن ان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم

---

(١) « فغمس اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي . ثم قال له يسوع « ما انت تعمله فاعمله باكثر سرعة » فظن السامعون ان يسوع قال له اشترِ ما نحتاج اليه للعيد او ان يعطي شيئاً للفقراء » يوحنا ص ١٣ ع ٢٦

يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض لانني اعطيتكم مثالاً » وفيها ايضاً قال لهم «وصية جديدة انا اعطيكم وهي ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا . بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي » وهما وصيتان ساميتان لو عمل بهما البشر لزال كل شقاء وشر في العالم

وبناء على ذلك ترك هذا المساء في نفوس التلامذة اثراً شديداً لمبادىء السامية التي نشرها السيد فيها عليهم . ولما حدثهم عن قرب تسليمه الى القضاة والكتبة والفريسيين قال تلامذته انهم سيتبعونه فقال لهم بل انكم تتفرقون . فقال له بطرس بل اتبعك واضع نفسي مكانك فاجابه السيد انك تنكرني قبل صياح الديك . فحلف انه يتبعه ولا ينكره وحلف جميع التلامذة معه

القبض على السيد ومحاكمته

ولما خرج يسوع والتلامذة من مكان العشاء كان الليل قد ارخى ستائره فعبر يسوع وادي قدرون حسب العادة وذهب مع تلامذته الى بستان الجثمانية في سفح جبل الزيتون . ولما وصلوا الى البستان جلس يسوع يصلي ونام تلامذته بجانبه . وبينما هم في هذه الحال واذا بشرذمة من الجند قادمة على نور المشاعل . وكان هذا الجند من الجند اليهودي الذي يحرس الهيكل وسلاحه العصي وقد ترك الرومانيون لليهود امر استخدامه في اماكن العبادة . ولكن كان معهم ايضاً شرذمة اخرى من الجند الروماني المسلح بالسيوف . وكان في يدهم امر من رئيس الكهنة والمجمع بالقبض على يسوع . وكان يهوذا في صحبتهم وقد جاء يدلهم على المكان الذي يقيم فيه السيد في الليل . وقد بلغت منه النذالة والجنون انه جعل تقبيله يد السيد علامة بينه وبينهم ليعرفوه . ومما لا ريب فيه انه لما وصل الجنود حدث شيء من المقاومة بينهم وبين التلامذة وروى الانجيلي يوحنا ان بطرس استل سيفاً وضرب به احد خدام رئيس الكهنة فقطع اذنه . اما يسوع فانه ابطل هذه المقاومة في الحال وسلم نفسه الى الجند . فعاد الجند به واما التلامذة فانهم تفرقوا خوفاً من سلطة اليهود ولم يتبعه منهم احد سوى بطرس ويوحنا فانهما تبعاه من بعيد . وتبعه تلميذ آخر قال عنه مرقس هذه العبارة « وتبعه شاب لابساً ازاراً على عريه فامسكه الشبان فترك الازار وهرب منهم عريان » ولعل هذا التلميذ هو مرقس نفسه

اما التهمة التي وُجهت الى السيد وصدر الامر بمحاكمته من اجلها فهي تهمة « تضليل الشعب » وافساد عقيدته ومخالفة الديانة اليهودية . وكان الرؤساء اذا راموا محاكمة المتهم بتضليل

الشعب ومقاومة الشريعة اليهودية صنعوا في التحقيق صنعاً غريباً . فانهم ياتون بشاهدين و يخفونهما في مكان ثم يجيئون بالمتهم و يوقدون امامه شمعتين ليراه الشاهدان من مكنهما فلا يبقى لديهما شبهة فيه . ثم يسالونه عما اتهم به فيجيب و يجهر بما في نفسه والشاهدان يسمعان . فيطلب منه الروساء حينئذ تغيير معتقده واذا اصرّ عليه اخذه الشاهدان الى المحكمة فتحكم برجمه بالحجارة . وقد جاء في التلمود ان روساء اليهود فعلوا هذه الفعلة ايضاً بالسيد المسيح وان الحكم الذي حُكم عليه لم يصدر الا بناء على شهادة شاهدين خفيين . غير ان الشريعة اليهودية لا تُجيز هذا الكمين الشنيع للمتهم الا في تهمة التضليل ومقاومة الشريعة دون سواها

ولما القي القبض على يسوع ذهب به الجند اولاً الى حنان الذي كان صاحب الكلمة العليا بين روساء اليهود كما تقدم لان قيافا الرئيس الحقيقي كان صهرًا له . فسال حنان السيد عن تعاليمه وتعاليم تلامذته فقضت حينئذ عظمة النفس على السيد بترك الدفاع عن نفسه وانما ردّ حنان الى الذين سمعوا وعظه في الاجتماعات العمومية . فلما سمع احد الحاضرين هذا الجواب اعتبره اهانة لحنان فلطم السيد بيده على خده

وقد ذكرنا آنفاً ان بطرس و يوحنا كانا يتبعان السيد من بعيد . اما يوحنا فقد كان معروفاً في بيت حنان ولذلك استطاع الدخول اليه . واما بطرس فان حارسة الباب رامت منعه من الدخول فجاء يوحنا وسالها ان تاذن له بالدخول فاذنت . وكان البرد شديدًا في ذلك الليل فذهب بطرس الى نار موقدة واخذ يصطلي على حرارتها في جملة المصطلين . ولما اخذ يتكلم عرف السامعون من لهجته انه جليلي اي من بلاد الجليل ومن تلامذة السيد فسالوه وانت ايضاً من تلامذته . فانكر بطرس ذلك ثلاث مرات وقال انه لا يعرف السيد ولا علاقة له به . ومما سهل له هذا الانكار ان يسوع لم يكن يسمعه . ولكن طبيعته الكريمة جعلته بعد حين يحس بالغلطة الكبيرة التي ارتكبها . فان الديك صاح في ذلك الحين فاذكر صياحه بطرس كلام يسوع . فثارت لذلك نفس بطرس واضطربت فخرج من المنزل و بكى بكاء مرًا

و بعد دخول السيد منزل حنان ارسله حنان الى صهره قيافا رئيس الكهنة . وقد تقدم ان قيافا كان آلة صماء في يد حنان . وكان المجمع معقودًا في دار قيافا . فلما جيء بالسيد تقدم عدة شهود من شهود الخفية الذين تقدم ذكرهم وشهدوا بان يسوع قال « انه يهدم الهيكل و يبنيه في ثلاثة ايام » وكان التجديف على الهيكل في الشريعة اليهودية بمثابة التجديف على الله . فساله قيافا رئيس الكهنة اذا كان قد قال ذلك القول . فلزم السيد

السكوت بعظمة وانفة . ذلك انه كان عالماً بان الروساء قد قرروا الحكم عليه كيفما كانت الحال فلا يجدي الدفاع نفعاً . وكثيراً ما يكون السكوت في مثل هذا المقام ابلغ واسمى من الكلام

فلما سمع المجمع الشهود حكم باجماع الاصوات بثبوت ما اتهم به السيد من رغبته في ابطال الدين اليهودي والشريعة اليهودية . ومتى ثبتت هذه التهمة فجزاء صاحبها الاعدام لامحالة . وكان في رؤساء المجمع بضعة يميلون الى السيد فبعضهم غاب ولم يحضر الجلسة وبعضهم لم يعطِ صوتاً . وقد اصدر ذلك المجمع حكمه بطياشة وخفة لان الدماء كانت رخيصة في ذلك الزمان . ولم يكن المجمع عالماً بانه سيقدم حساباً عن ذلك الحكم الهائل للاجيال المستقبلة

ومتى اصدر المجمع حكماً كان تنفيذه منوطاً بالسلطة الرومانية . ومع ذلك فقد حسب الناس السيد منذ تلك الساعة محكوماً عليه لاختلاط السلطات في اورشليم في ذلك العهد . ولذلك بقي تلك الليلة هدفاً لاعتداء جماعة من الاوباش اللئام الذين كانوا يبصقون في وجهه ويضربونه

وفي الصباح اجتمع روساء الكهنة ثانية وتشاوروا في رفع قرار المجمع الى بنطس بيلاطس حاكم اورشليم من قبل الرومانيين لانفاذه في السيد . وكان شان اليهود مع الرومانيين في ذلك الزمن شان عرب الجزائر مع فرنسا اليوم او شان المدن الهندية المقدسة مع الاحتلال الانكليزي او شان دمشق الشام اذا احتلت سوريا احدى الدول الاوربية . ومقتضى ذلك ان الرومانيين كانوا يحترمون ديانة اليهود ويجارونهم في جميع احكامهم اتقاء للفتن الدينية . وقد زعم يوسيفوس انه اذا تخطى احد من الرومانيين في الهيكل المكان المحرم على الوثنيين ان يتخطوه اخذه الرومانيون انفسهم واسلموه الى اليهود لقتله . ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة

فبناء على ما تقدم امر الكهنة بشد وثاق السيد وساقوه الى دار الحكومة التي هي قصر هيرودوس الكبير . وكان اليوم يوم جمعة (٣ ابريل) وفي مسائه يأكل اليهود طعام الفصح . فاذا دخل اليهود في هذا اليوم الى دار الحكومة تنجسوا من مخالطة الوثنيين (اي الرومانيين) وحُرم عليهم اكل طعام الفصح في ذلك المساء . ولذلك لم يدخل اليهود حينئذ الى دار الحكومة بل اقاموا خارجاً . فلما سمع بيلاطس الحاكم الروماني بقدومهم صعد الى «البيما» وهي كلمة يونانية دخلت الى السريانية الكلدانية ومعناها «محكمة في الخلاء» . وكانت

قائمة في المكان المدعو «جباثا» اي البلاط لان الارض كانت مبلطة فيه . ولما استخبر بيلاطس الخبر وعلم بالتهمة والحكم استاء من ادخالهم اياه في مسالة كهذه المسالة . ثم دعا يسوع وخلا به في دار الحكومة . وهناك جرى بينهما حديث لم تُعرف بعد ذلك حقيقته لان يسوع لم يُحدث قبل صلبه تلامذته منذ هذه الساعة

ولم يكن بنطس بيلاطس (١) قد شاهد قبل ذلك احدًا من الطائفة المسيحية . ذلك لان هذا الوالي كان مبغضاً لليهود ولم يكن يهتم باضطراباتهم ومنازعاتهم الداخلية . وكان اليهود يبغضونه كما يبغضهم لانهم كانوا يرونه قاسياً شرساً محتقرًا لهم ولذلك اتهموه تهماً شنعاء كما روى فيلون . وكانوا يعتقدون ان ذلك الحاكم اليوناني ينوي ابطال الشريعة اليهودية وانه يعمل لذلك سرًا . اما بيلاطس فانه كان يستاء اشد استياء من التعصب والبغض والاضطهاد وغيرها من النقائص التي كان يلجأ اليهود اليها لان نفسه الرومانية التي الفت الحكومة المدنية كانت مشربة حب العدل كنفوس اصغر الرومانيين واكبرهم . واول قدومه الى اورشليم كان كلما رام ادخال اصلاح في ولايته من انشاء الطرق واقامة المباني كان يلقى الشريعة اليهودية في وجهه تقاومه وتمنعه كسد لا يجتازه احد مهما كانت تلك الاعمال نافعة ضرورية . ذلك ان هذه الشريعة كانت تضغط على حياة الامة ضغطاً يحول دون اقل تحسين او تغيير . وكان احداث الامور النافعة معتبرًا فيها بمثابة ادخال بدع جديدة

وكان لبيلاطس منزل في جوار الهيكل ففي ذات يوم خطر له ان يضع فوق باب منزله شعارًا يدل على ان المنزل منزل والي المدينة . فلما وضع هذا الشعار (وكان شبيهاً بالالواح المكتوبة التي توضع اليوم على منازل القناصل والادارات الكبرى) هاج اليهود وماجوا كما روى فيلون . فاصرّ بيلاطس على وضع الشعار فثار اليهود عليه لاجباره بازالته ثم نشأت عن ذلك فتن جرت فيها الدماء . فهذه الحادثة وامثالها جعلت بيلاطس كثير التأني في معاملة ذلك الشعب الغريب . وكان يسوءه ان يكون آلة لانفاذ تلك القسوة الشنيعة من اجل شريعة يكرهها كما روى يوسيفوس . ذلك لعلمه ان التعصب الديني اذا

---

(١) بيلاطس كلمة لاتينية ماخوذة من « بيلوم » ومعناها « قوس الشرف » وهي وسام رفيع عند الرومانيين . وقد سمي بنطس « بيلاطس » نسبة الى هذه القوس التي نالها من الرومانيين هو او احد اجداده

جعل الحكومات الدينية تعمل اعمالاً جائرة فانه يعود و يلقي تبعة تلك الاعمال عليها وحدها ، وهو ظلم فاضح لان الجاني الحقيقي انما هو الذي اغرى بها وحرض عليها

و بناء على ذلك فان بيلاطس رغب في انقاذ يسوع · ولا ريب ان هدوء السيد وثبات جاشه ولطف منظره قد اثرت في نفس الحاكم الروماني · وفضلاً عن ذلك فان زوجة بيلاطس كانت على ما يظهر قد اطلت في ذات يوم من شباك قصرها المشرف على ساحة الهيكل ولمحت منه السيد فراقها هدوؤه ولطفه وطهارته ولما سمعت بان اليهود سيقتلونه ثقل على نفسها هذا الامر الفظيع فجاءها في الحلم ان تكلم زوجها في شانه · ومهما يكن من هذا الامر فان الشيء الذي لا ريب فيه هو ان بيلاطس كان ذا ميل الى السيد حين دخوله عليه

وكان كهنة اليهود قد حكموا على السيد بالاعدام لانه قاوم تقاليدهم فلما دفعوه الى السلطة الرومانية لم يكتفوا بذكرهم مقاومته للدين اليهودي بل زادوا على ذلك انه سمى نفسه ملك اليهود · ومعلوم ان السيد لم يتلقب بذلك قط وانه كان يعترف بالسلطة الرومانية كما تقدم و يوجب دفع الجزية اليها · ولكن الاحزاب الاكليريكية التي تروم حفظ كيانها لا تُحجم عن الكذب والافتراء والنميمة لانفاذ اغراضها · ولذلك دفع كهنة اليهود السيد الى بيلاطس وهم يفترون عليه انه يزعم انه ملك اليهود و يحرم دفع الجزية الى قيصر · وقد روى الانجيلي يوحنا ان بيلاطس سال السيد : اصحيح ما يقوله الكهنة · اما السيد فانه وجد جواباً جامعاً · فانه اجاب انه ملك ولكن مملكته ليست من هذا العالم وان مقتضى ملكه الحصول على الحق والنداء به · اما بيلاطس فانه لم يفهم شيئاً كثيرًا من هذا الكلام لان الرومانيين في ذلك العصر كانوا لا يهتمون بالمسائل الفلسفية والدينية وكانوا يرون الانتصار للحقيقة وتكريس النفس لها امرًا خيالياً لا شان له · فكان البحث في مثل هذه الامور يلقي الضجر والملل في نفوسهم · وكانوا يومئذٍ لا يرون ما هو مخبوء في الخبرة المسيحية من الخطر للامبراطورية الرومانية ولذلك لم يرَ بيلاطس ضررًا في انقاذ السيد · وقد بقي الرومانيون حتى خراب اورشليم يعاملون اليهود هذه المعاملة اي عدم المداخلة في اضطراباتهم الداخلية

فخطر لبيلاطس خاطر ظن به حلاً لهذه المشكلة · فقد جرت عادة الرومانيين في اورشليم ان يطلقوا للشعب في كل فصح سجيناً اكراماً للعيد · وبما ان بيلاطس كان عالماً بان يسوع لم يُقبض عليه الا لحسد الكهنة له حسب انه يُرضي الشعب باطلاقه لم في ذلك

العيد . فخرج بيلاطس من دار الحكومة الى البيا اي المحكمة في الخلاء واقترح على الشعب ان يطلق لهم في ذلك العيد « ملك اليهود » . وقد دعاه بيلاطس ملك اليهود ليظهر للشعب انه غير مهتم له . اما الكهنة فلما سمعوا ذلك خافوا عاقبة هذا الاقتراح فاندفعوا يغرون الشعب ويحرضونه على طلب برابا بدلاً من «ملك اليهود» . وكان برابا رجلاً مشهوراً عند الشعب وقد قبض عليه الرومانيون وسجنوه لاشتراكه في فتنة حدثت في المدينة مقرونة بسفك دماء . فلما سمع الشعب اقتراح بيلاطس وكان قد اثر فيه اغراء الكهنة صاح « لا نريد هذا ولكننا نريد برابا » فاضطر بيلاطس في ذلك اليوم ان يطلق برابا

ولكن المشكلة ازدادت بذلك تعقداً في عينيه . وخشي اذا بالغ في الرفق بالسيد ان يُتهم بمجاملة رجل يزعم نفسه ملك اليهود وهذا مما يلقي عليه في رومة شبهة سياسية عظيمة . ولا عجب ان يجول هذا الامر في فكر بيلاطس فان كل سلطة في العالم مضطرة الى مسالمة التعصب والمتعصبين . ولذلك ظن هذا الوالي انه يلزمه ان يصنع شيئاً . وبما انه كان يكره سفك الدماء ارضاء لاناس يكرهم فقد خطر له ان يجعل للمسألة شكلاً مضحكاً لعل ذلك يصرف حقد الحاقدين وغضبهم . فجاء بالسيد وامر بجلده . وكان الجلد في العادة مقدمة الصلب . وربما كان قد خطر لبيلاطس ان يُوهم الكهنة بانه عزم على صلب السيد ارضاء لهم ثم يكتفي بالجلد دون الصلب حين رضاهم

وحينئذٍ حدث حادث فظيع تتفطر له المرائر وتدمى القلوب . فان بعضاً من الجنود جاءوا بثوب قرمزي فجعلوه على هامة السيد ثم وضعوا على راسه اكليلاً من شوك وجعلوا في يده قصبة واخذوه بعد ذلك الى منبر عالٍ منصوب امام الشعب . ثم صار الجنود يمرون امامه فيجثون لدى المنبر على سبيل التهكم ويلطمون السيد على خديه ويبصقون في وجهه ويضربونه بالقصبة وهم يقولون متهكمين « السلام يا ملك اليهود » وانه من الصعب ان يصدق الانسان ان الجنود الرومانية المشهورة بالرزانة وسكون الجاش تاتي عملاً سافلاً فظيعاً كهذا . ولكنه ثبت ان الجنود التي كانت لدى بيلاطس لم تكن الا من الجنود الاضافيه المساعدة التي يستعملها الرومانيون لحاجاتهم . ولو كانت تلك الجنود من افراد الرومانيين الحقيقيين لما نزلوا الى هذه الدرجة من الدناءة والسفالة

وقد ذكرنا ان بيلاطس امر بان يُفعل هذا الفعل في السيد اخماداً لحقد اليهود ورغبة في حل تلك المشكلة حلاً هزلياً بدلاً من حلها حلاً دموياً . ولكنه يظهر ان هذا لم يُرضهم قطعياً . فان دعاة الفتنة ازدادوا زئيراً ونعيراً وصاروا يصرخون « فليصلب

فليصلب » . وازداد الكهنة ايضاً شدةً في طلب ذبح الحمل الوديع فوجد بيلاطس انه لا يستطيع انقاذ السيد الا اذا جرد جنده وقمع به فتنة تلك الغوغاء . ومع ذلك فانه حاول تاجيل الامر لعل في الاطالة افادة . فدخل ثانية الى دار الولاية وسأل عن السيد من اي بلد هو ليحتج بذلك ويرسله الى والي بلده . وقد روي انه لما علم انه من الجليل ارسله الى انتيباس والي تلك البلاد وكان يومئذ في اورشليم وقد جاء للحج . اما السيد فانه لم يساعد بيلاطس في سعيه في انقاذه بل كان ملتزماً الرصانة والسكوت التزاماً ادهش بيلاطس . وفي اثناء ذلك اشتد صخب الشعب في الخارج وكثر صراخ الصارخين ضد اهمال بيلاطس . واخذ دعاة الفتنة يتهمون هذا الوالي الروماني بمحاباة عدو قيصر . وبذلك جعل اولئك اليهود انفسهم من اكثر الناس دعوة الى طاعة القيصر طيباريوس مع انهم كانوا من الد اعداء حكمه . وكانوا يقولون « ليس لنا ملك الا قيصر وكل من يزعم انه ملك فهو ضد قيصر . فاذا كان الوالي يطلق هذا الرجل فهو لا يحب قيصر » فلم يستطع حينئذ بيلاطس الضعيف الراي ان يثبت على رايه بعد هذا الكلام . لانه علم منذ تلك الساعة ان اعداءه يغتنمون هذه الفرصة ويرسلون الى رومة تقارير سياسية ضده مآلها انه يدافع عن اعداء الامبراطور . وقد اختبر بيلاطس اليهود في مسالة الشعار التي تقدم ذكرها فوجد انهم خاطبوا رومه في شانها وتغلبوا عليه فيها . وكان هذا الوالي حريصاً على منصبه فلم يرَ بدّاً من الاذعان لليهود . ولكنه يقال انه القى عليهم تبعة ذلك الحادث حين تسليمه فاجابوه « فليقع دمه علينا وعلى اولادنا »

ومما لا ريب فيه ان ذلك الوالي الروماني لم يكن قادراً على ان يصنع شيئاً غير ما صنعه لان الرومانيين كانوا قد اتخذوا مسالمة اليهود خطة لهم اتقاء للفتن والثورات وما دروا ان هذه المسالمة ستكون باعثاً في تجريئهم عليهم وقيامهم الى الفتن والثورات . ولا عجب فان السلطات الدينية متى كانت لها سيادة او قوة على الحكومات المدنية فانها تدفعها الى سفك الدماء . وليس يصعب القول بان ملك اسبانيا الذي كان يُسلم الى النار مئات من رعيته بناء على اغراء الاكليروس لهو اعظم ذنباً من بيلاطس . لان سلطة هذا الوالي كانت في اورشليم ناقصة فكان عاجزاً عن انقاذها واما ملك اسبانيا فان البلاد بلاده وكانت سلطته كاملة فيها . ولكن قد يطرأ على الحكومات ضعف يجعلها تضطهد الناس من اجل الاكليروس . واذا كان في هذه الحكومات واحدة عارية عن هذه الوصمة فلترم بيلاطس بحجر . وليس الجاني في حال كهذه الحال اليد التي تضرب ولكن الارادة الاكليريكية التي تختبئ

وراءها . وليس لاحد ان يدعي انه يكره سفك الدماء اذا كان يحرض على اهراقها

فليس الذي قضى بقتل السيد اذًا هو طيباريوس او بيلاطس وانما هو الحزب اليهودي القديم اي الشريعة اليهودية نفسها . غير ان الافكار العصرية توجب عدم انتقال الذنوب من الابناء الى الآباء لان كل انسان لا يُسأل لدى عدالة الله والناس الا عن الاعمال التي يكون قد عملها بنفسه . فبناء عليه لا يجب ان يحمل اليوم كل الاسرائيليين تبعة ذلك العمل الفظيع . وهب ان اليهود يجب ان يحملوا اليوم هذه التبعة فمن ادرانا ان الذي نكلمه منهم لو عاش في ذلك الزمان لما دخل بين الذين كانوا يصيحون حول دار الحكومة « اصلبه اصلبه » . بل من ادرانا انه لا يكون سمعان القيرواني الذي حمل عن السيد صليبه . ولكن مع اعتبارنا هذا الامر لا يسعنا الا ان نقول ان مسئولية الشعوب تختلف عن مسئولية الافراد . واذا كان في العالم جناية تسمى « جناية امة » فهي هذه الجناية . لان السيد لم يُصلب الا بقضاء من الشريعة اليهودية نفسها . وقد قال الكهنة ذلك لوالي الرومان قولاً صريحاً . فانهم قالوا « لنا شريعة وهذه الشريعة توجب موته لانه جعل نفسه ابن الله » (يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٧) ذلك ان هذه الشريعة كانت توجب قتل كل من يحاول تغيير الدين او مقاومته وهي شريعة كريهة واثر من آثار الوحشية الماضية . ولقد قُدر على السيد الذي جاء لالغائها ان يموت بها

ولكن وا اسفاه كم من قرن ينبغي ان يمرَّ قبل ان تثمر تلك الدماء الزكية الثمار التي سُفكت من اجلها . ينبغي ان يمرَّ ١٨ قرناً للوصول الى شيء من النتيجة . وفي اثناء هذه القرون الطوال كم قد قُبض على الفلاسفة والعلماء باسم يسوع وعُذبوا ايضاً . حتى في هذا العصر لا يزال في بعض البلاد التي تسمي نفسها بلاداً متمدنة عقوبات للذين يخالفون التقاليد الدينية و يرتئون آراء مخالفة لآراء غيرهم . وليتهم يعلمون ان السيد ما جاء الى الارض ليعلّم الناس ان يجعلوه « مولوخاً » (١) يحبُّ رائحة الدماء واللحم البشري ولكن ليعلمهم المحبة والعدل والاخاء والسلام والصفح والاعتدال . ولقد وقعت الديانة المسيحية في التعصب في بعض الازمان ولكن وقوعها فيه كان امراً طارئاً ثم زال لان التعصب والديانة المسيحية الحقيقية نقيضان لا يجتمعان . وانما التعصب ثمرة يهودية بدليل ان الشريعة اليهودية كانت اول شريعة في العالم وضعت اساس العصمة والحقيقة المطلقة

---

(١) اله الكنعانيين والفينيقيين او هو الاله بعل نفسه

وقضت بلا بحث ولا عفاكمة برجم كل من يخالفها ولو ايد قوله بصنع العجائب . ولا ريب ان الشعوب الوثنية كانت على شيء كثير من التعصب ولكن تعصبها لم يبلغ حد تعصب اليهود بدليل انها لو كانت متعصبة الى ذلك الحد لما كانت اعتنقت الديانة المسيحية . فالديانة اليهودية كانت عبارة عن قواعد راسخة كالجبال لا يجب ان يزعزعها شيء او يعترض عليها بشيء وفوقها سيف لحمايتها. فلو ان الديانة المسيحية بدلاً من مطاردة اليهود و بغضها ايام بغضاً اعمى الفت تلك القواعد والمبادىء التي ضحي بها صاحب شريعتها لكان عملها هذا اكثر انطباقاً على اصل نشأتها وكانت اعظم فضلاً على الانسانية

صلب السيد المسيح

وقد تقدم الكلام ان كهنة اليهود لم يحملوا السيد الى بيلاطس الا بتهمة سياسية مقتضاها انه يقاوم قيصر والامبراطورية الرومانية . ولو كانوا سلموه اليه بحجة دينية لما كان ذلك الوالي الذي كان لا يؤمن بشيء يجاريهم على هواهم . ولذلك جعل الكهنة يحرضون الشعب على طلب صلب السيد لان الصلب جزاء الجرائم السياسية . اما الجرائم الدينية فقد كان جزاؤها عند اليهود الرجم بالحجارة ثم الشنق بعد الرجم في اكثر الاحيان . ولعل ذلك سبب ما جاء في التلمود من ان اليهود رجموا السيد اولاً ثم شنقوه . وهو خطأ لان السيد لم يرجم ولكن صلب صلباً

وقد روى تاسيت ان الجنود الرومانية كانت تقوم في ذلك الزمن مقام الجلادين في اعدام المتهمين السياسيين . فدفع السيد اذاً الى شرذمة من الجند يقودها قائد مائة . وحينئذ بدأوا بالعمل الهائل الفظيع الذي عزموا عليه . ارتجفي ايتها الارض وارتعدي ايتها السماء فان الصالح الذي لا عيب فيه قد دفع للصلب كاحد المجرمين

وكان الوقت منتصف النهار . وكان في السجن لصان حكم عليهما بالصلب . فالبس السيد ثيابه التي كانت قد نزعت عنه من قبل حين عرضه على المنبر امام الشعب ثم سيق الى مكان الاعدام مع الاثنين اللذين تقدم ذكرها

وهكذا يعلق الابن الصالح الذي ارسلته العناية الالهية ليخلص البشر و ينقذ الارض من الغباوة وفظاعة الوثنية — في وسط اللصوص الذين يعبثون في الارض ويفسدون

وكان مكان الاعدام يدعى « الجلجثة » وهو كائن في الجانب الشمالي او الشمال الغربي خارج المدينة قريباً من سورها. ومعنى « الجلجثة » « الجمجمة » و ربما سمي ذلك

المكان كذلك لكونه اكمة شبيهة بجمجمة الانسان

وكان يجب على المحكوم عليه بالصلب ان يحمل بنفسه صليبه . ولكن جسد السيد كان ضعيفاً لا يقدر على ثقل الصليب . وكان محرماً على الجنود الرومانية ان تحمل صليب المحكوم عليه لان ذلك يحط من شانها . فاتفق انه مرَّ حينئذ رجل يُدعى سمعان القيرواني فجعله الجنود يحمل صليب السيد . ولم يكن بجانب السيد في هذه الساعة احد من التلامذة

ولما وصلوا الى مكان الاعدام قدموا اولاً الى الثلاثة خمرًا شديدة الفعل . ذلك انهم كانوا يقدمون هذه الخمر الى جميع المحكوم عليهم قبل انفاذ الحكم وذلك كما روى التلمود لتخدير حواسهم على سبيل الرفق بهم لئلا يشعروا بعذاب شديد . وقد روى التلمود ايضاً ان سيدات اورشليم كن يبتعن هذه الخمر من مالهن ويقدمنها لهذا الغرض . واذا رام الرومانيون صلب احد ولم تقدم له واحدة من النساء خمرًا فان الخمر تُشرى حينئذ من مال الحكومة . فلما قدم الجنود الخمر الى يسوع ذاقها ثم اعاد الكاس دون ان يشربها . ولا عجب فان هذا المخدر قد جُعل للنفوس الصغيرة التي لا تقوى على احتمال العذاب . اما النفوس الكبيرة فانها تود استقبال الموت وهي ممتلكة جميع حواسها وقواها

ثم ان الجنود دنت من السيد ونزعت عنه ملابسه . وكان الصليب مؤلفاً من جذعين على شكل الحرف T . ولم يكن مرتفعاً كثيرًا لان قدمي المصلوب كانتا تمسان الارض . فاخذه الجنود ونصبوه في الارض . وكانت العادة ان يسمروا يدي المصلوب في الصليب بمسامير واما قدماه فاحياناً يسمرونها بمسامير واحياناً يربطونها بحبل . وكانوا ياخذون ايضاً قطعة من خشب ويسمرونها في وسط الصليب بين ساقي المصلوب لتحول دون تمزق يديه وسقوط جسمه عن الصليب . واحياناً يضعون تحت قدميه افقياً لوحاً يسند رجليه لمنع سقوطه

ولما فرغ الجنود من اعداد الصليب ادنوا السيد منه وصلبوه عليه كما تقدم . فذاق السيد كل هذه الآلام الهائلة . وكان صليبه بين صليبي اللصين . وبعد الصلب جلس الحراس بجانب الصلبان ينظرون الى المصلوبين بعد ان اقتسموا ثيابهم . ففتح السيد حينئذ فاه الكريم وهو على الصليب بعد سكوته الطويل وقال « يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يصنعون »

وكانت جرت العادة عند الرومانيين ان يعلقوا كتابة على كل صليب . فعلقوا هذه

المرة على صليب السيد كتابة باللغة العبرانية واليونانية واللاتينية هذه ترجمتها « ملك اليهود » وربما حمل الجنود هذه الكتابة امام السيد في طريقهم الى الجلجثة . اما اليهود فلما دروا بهذه الكتابة رأوا فيها اهانة لهم لانهم كانوا يؤملون عودة الملك اليهم فجاء كهنتهم الى بيلاطس وقالوا له « لا تكتب ملك اليهود ولكن هو قال انه ملك اليهود » (يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٢١) وكان بيلاطس قد ضجر منهم ومن كثرة طلباتهم فلم يسمع لهم

اما التلامذة فانهم تركوا السيد ولجئوا الى الفرار كما ذكر جوستينوس . ولكن يوحنا يقول انه بقي هو نفسه مقيماً بجانب الصليب . ومما لا ريب فيه ان النساء الجليليات اللواتي تبعن السيد الى اورشليم قد تبعنه الى الجلجثة ايضاً ولم يتركنه (١) وهؤلاء النسوة هن العذراء امه ومريم اختها ومريم المجدلية وصالومه وغيرهن . ويقول الانجيلي يوحنا انهن كن واقفات بجانب الصليب واما الانجيليون الآخرون فيقولون انهن كن ينظرن اليه من بعيد

ولكن ما عدا هؤلاء النسوة الكريمات لم يكن امام السيد وهو على الصليب سوى مناظر الدناءة والهمجية البشرية . فانه كان يسمع حوله التهكم والشماتة من كل صوب . فمن قائل « يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام خلص نفسك » ومن قائل « خلص آخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلصها . أن كنت ملك اسرائيل فانزل عن الصليب لنؤمن بك » وغيره كان يقول « قد قال انه ابن الله واتكل على الله فلينقذه الله لنرى » (متى ص ٢٧ ع ٤٠ ومرقص ص ١٥ ع ٢٩)

وكانت السماء حينئذ سوداء من الغيوم الملبدة في وجهها والارض في تلك الجهات قاحلة مجدبة . فكأنَّ احتجاب السماء عن وجه ابن السماء اثار في الطبيعة البشرية شكاً وارتياباً فحسب انه يتعذب ويسفك دمه الذكي من اجل جنس دنيء لا يثمر ذلك الدم فيه . فالتفت حينئذ الى ابيه وقال « الهي الهي لماذا تركتني » ولكن هذا اليأس الوقتي لم يلبث ان انقشع عن نفسه وعادت اليه عواطف الواجب الذي جاء من اجله . فرأى من الخشبة

---

(١) وفي ذلك قال لويس مينار قولاً اراد به اظهار اخلاص النساء ورقة عواطفهن وشدة تاثيرهن في المجتمع البشري وهو « ان يسوع أُسلم الى الموت من احد تلامذته وأُنكر من تلميذ آخر وتُرك وهُجر من الجميع الا النساء فانه وجدهن يبكين على طريقه وهو صاعد الى الجلجثة »

التي كان عليها ان موته سيخلص العالم ويحييه وينشر الكرازة والبشارة باسمه في جميع اقطار الارض · ومنذ تلك الساعة بدأت حياته الالهية مع ابيه تلك الحياة التي مرت عليها القرون الطوال وهي في صميم قلب الانسانية

وكان من اشد عذابات الصلب ان المصلوب يعيش على الصليب ثلاثة او اربعة ايام وهو في تلك الحالة · ذلك ان الصلب غير مميت بحد ذاته لان الجروح التي تحدث في القدمين واليدين بسبب المسامير سهلة الشفاء · وانما الصلب يحدث في المصلوب خللاً شديداً في الدورة الدموية لقيام الجسم قياماً غير طبيعي وقتاً طويلاً فينشأ عن ذلك صداع شديد لا يحتمل ويعقبه الموت · وكان غرض الرومانيين من صلب المجرمين تشهيرهم وترك اجسادهم تبلى على الخشبة عبرة للناس لا قتلهم · ولذلك كان كثيرون من المصلوبين الاقوياء الاشداء ينامون وينتبهون على الصليب عدة ايام ولا يموتون الا من الجوع

ومن نواميس الصلب انه يثير في النفس ظمأً شديداً · فعطش السيد وطلب ماء · وكان هنالك اناء مملوء من شراب الجنود المالوف وهو مركب من ماء وخل ويسمي الرومانيون هذا الشراب « بوسكا » · وكان يجب على الجنود الرومانية ان تحمل من هذا الشراب في كل البعثات والحملات وفي جملة ذلك بعثة الاعدام · فقام احد هولاء الجنود وتناول قصبة فوضع على طرفها اسفنجة ثم غطسها في وعاء الخل والماء وادناها من شفتي السيد · فامتصها السيد · وبعد ذلك احنى راسه الكريم على صدره وقال « يا ابتاه في يديك استودع روحي » واسلم الروح

فالآن قد تم كل شيء · قد تم العمل العظيم الذي ستبني عليه الانسانية · قد وضعت الديانة الابدية بعذاب لم يتجاوز بضع ساعات · وواضعها العظيم ينظر الآن من علو مجده الالهي الى هذه الكرمة التي غرسها · كرمة مبنية على الدفاع عن الحق والاستماتة في سبيله وعبادة الله عبادة حقيقية وصنع الخير والمحبة والفضيلة والايمان وحب الفقر والرحمة · وستمر القرون والاجيال والعالم تابع له ولها · اما اسمه فانه يكون الراية الكبرى التي تدور حولها رحى اعظم حرب قامت بها الانسانية · وسيكون هذا الاسم الكريم محبوباً بعد هذه الحادثة الف مرة اكثر مما كان يوم مرور صاحبه في هذه الدنيا · بل انه يكون حجر الزاوية في بناء الانسانية حتى ان من يحاول نزعه منه يزعزع الانسانية من اساسها

﴿ سبب نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ﴾

﴿ الجامعة ﴾ هذا مارأينا تلخيصه في هذا الجزء عن الفيلسوف رنان . وسنأتي في فرصة اخرى على ما يلي ذلك من انزال السيد عن الصليب ودفنه وتفاصيل القيامة . اما الآن فاننا نفارق هذا المؤرخ حيناً من الزمن لنلقي سوءالا لابد منه وربما كان تعبنا في تلخيص هذا الكتاب من اجله . وهو راي الجامعة الذي ينتظره حضرات القراء منذ عدة شهور

وهذا السوءال هو : هل حفظت الديانة المسيحية بعدصاحب شريعتها كل المبادىء التي جاء لغرسها في الارض . وهل لم يدخل اليها بعده شيء من المبادىء التي حاربها وضحى نفسه في سبيل تحريمها

ونحن نرجو هنا ان ياذن لنا القارىء ايا كان مذهبه بابراز كل ما يكنه الضمير بهذا الشأن . وهذا الرجاء لانوجهه الا الى البسطاء الذين لا يعرفون مصلحتهم الحقيقيــة . اما النبهاء والافاضل والادباء الذين تتوقف عليهم حياة كل امة و يرجى منهم كل اصلاح وصلاح فاننا لا نوجه اليهم مثل هذا الرجاء لمعرفتنا بانهم هم انفسهم يوجبون على الجامعة ان تجهر بكل شيء ولا يعتبرونها اهلاً لان تمسك قلماً وتتكلم عن قواعد الفلسفة والعلم اذا كانت تخشى في الحق لومة لائم ولا تفضل ارضاء الضمير الحي على ارضاء البسطاء وذوي المصالح . ومن عساه يقوم الى النداء بكلمة الاصلاح اذا سكت الذين لا غرض لهم من بقاء الفساد ولم ينطق الا الذين لهم مصلحة في بقائه

ونحن نقول هذا القول ولا نجهل الانقلاب الاجتماعي الذي حدث في العالم منذ ايام السيد المسيح واوجب التغيير الذي حدث . فاننا نعلم انه بما ان الدين في كل امة من قواعد مدنيتها وحضارتها « ما بقي الانسان انساناً » فقد وجب بحكم الطبع ان يتغير شيء من هذا الدين تبعاً للزمان والمكان (دون خروج عن قواعده الاصليه التي بُني عليها) والا اصبح عبارة عن آلة انحطاط وتاخر بوقوفه في وجه تيار التقدم

نعلم ذلك ونسلم به اذ لا بدَّ من اجتماع البشر كما هم مجتمعون اليوم في الممالك والمدن وتزاحمهم وا اسفاه على شوءون الحياة من كل وجه . ولكنَّ الامر الذي لا يمكن العاقل ان يسلم به هو خروج هولاء البشر عن القواعد الدينية الاصلية الابدية التي بُنيت عليها كل ديانة صحيحة وكل هيئة اجتماعية

ابحث في الدين المسيحي وقل لنا ما هي دعائمه . وما هي خلاصة كتابه . هل دعائمه بناء الهياكل الشاهقة وتزيينها بالصور والتماثيل واقامة العبادات المادية فيها ؟ كلا لانه لو كان الدين قائماً بالهياكل لما جاء ابن الانسان سيد البشر لهدم الهيكل . واي مكان اولى بالبقاء اذا صحّ ذلك الافتراض من هيكل سليمان

وهل دعائمه ان يقوم بين رؤساء الدين فئة « كالفئة الرديئة التي ذكرناها في العدد السابق » لا همّ لها الا الاستعلاء في الرئاسة وطلب الاموال من طرق شريفة وغير شريفة والهاء الشعب بظواهر الدين عن فضائله الحقيقية التي تفتح العيون والتجبر على الفقير ولحس اقدام الغني واتخاذ الرئاسة الدينية الكريمة آلة شنعاء « لاشباع الخزانة وملء الخزانة » كما قال الزمخشري . كلا فان الدين لو كان قائماً بذلك لما جاء ابن الانسان سيد البشر لمقاومة الفريسيين والكهنة الطامعين والمرائين

وانما دعائم الدين المسيحي وكل دين صحيح مبنية على النواميس الطبيعية الالهيـة التي بدونها لا تقوم قاعدة ولا يثبت بناء . ومن هذه الدعائم : خطبة السيد على الجبل . وعبادة الله بالحق والروح . وحب الشعب لانه الانسانية الحقيقية وخدمته وغسل اقدامه كما غسل السيد اقدام تلامذته . والاحسان الى كل انسان ومساعدته وحبه وخدمته ولو كان سامرياً اي منبوذاً . ومقابلة الشر بالخير لا بمثله . واعتبار الانسانية عائلة واحدة بالفعل لا بالقول كل واحد منها ملك وكاهن بحد ذاته ولا سيادة لاحد عليه . واذلال القوة اذا رامت دوس الفضيلة . ونبذ المال ودوسه بالاقدام اذا كان يضغط على الحق والضمير . والصفح عن كل اهانة تصدر من كبير او صغير . والمعيشة في الفقر والمسالمة والتواضع واعطاء ثوبك وردائك لمن يطلب منك رداءك فقط . وغير ذلك من الاحوال التي تقدم وصفها في الكتاب الذي تقدم

فالغرض المقصود من نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية غير ما تقدم من اخبار الوسط التاريخي هو نشر عبير هذه الفضائل التي نسيها الناس وفي جملتهم المسيحيون واعادة ذكر المبادىء التي ضحى ابن الانسان نفسه من اجلها . وهل يُستنكر ان يقال ان ابن الانسان لو عاد مرة ثانية الى الارض لاضطر ان يضحي نفسه مرة ثانية من اجلها ايضاً

كلا ليس ذلك بمستنكر لان الوسط الذي نعيش فيه في هذا القرن شبيه من عدة وجوه بالوسط الذي عاش فيه ابن الانسان . ولقد قام بين المسيحيين كثيرون من الذين طلبوا كسر نير ثقيل كالنير اليهودي القديم . ولكن ما لنا والغرب فلنقتصر الكلام على الشرق

فاننا نجد فيه حادثاً عاماً في كل طائفة وكل ملة وهو جدير بكل اهتمام. نجد ان مستنيري الامة وادباءها والمطلعين منها في جانب والرئيس مع حزب محافظ قديم في جانب آخر. وورعها او تحتها حزب آخر يضحك منها كليها اما لعدم اكترائه او لانه نبذ كل ايمان من القدوة السيئة التي امامه. فقبل الاصلاح السياسي الذي يطلبه الشرقيون يجب ادخال اصلاح اجتماعي بهذا الشان. اذ اية عدالة تجيز لنا طلب اصلاح بيت لغيرنا اذا كان بيتنا خراباً. ومما يسهل سبيل هذا الاصلاح انه في قبضة الرؤساء كلهم مسيحيين وغير مسيحيين وفي امكانهم. فلو ان هولاء الرؤساء المحترمين يقربون منهم الافاضل والمستنيرين الذين يحسنون خدمة الامة ويبعدون عنهم المتملقين والعاجزين والمرتزقين الذين يكونون كالعلق على جسمها. ويراقبون الرئيس الشرس الذي يتخذ رئاسته ذريعة الى ابتزاز الاموال ولا يرقون الى منصب الرئاسة الا اهلها. ويخدمون الرعية بالهمة والامانة والمبادىء التي خدم بها السيد تلامذته غير قاصدين الا وجه الله والقيام بالواجب المقدس — لما كتب رنان تاريخه ولما ترجمناه عنه ولسهل التوفيق بين الاحزاب الثلاثة التي تقدمت الاشارة اليها وحل محل الخلاف الظاهر في كل مكان تقريباً نهضة عامة الى التقدم الحقيقي

هذا اجمال موجز وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة ثانية

الاهرام وابو الهول وتاريخها

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عساوي

﴿ تمهيد لمن لم يشاهد الاهرام ﴾

مصر مشهورة باهرامها ولذلك يفد الناس من اقاصي اوربا واميركا لمشاهدتها هي وباقي الاثار المصرية القديمة. ولكن كم من المصريين وغير المصريين يعيشون على مسافة بضع ساعات من تلك الاثار ولا يزورونها وربما صرفوا العمر ولم يعرفوها. وكثيراً ما يتفق ان يلقوا بعضاً من الافرنج فيسالهم هؤلاء عن الاهرام وعن طريقها وتاريخها فيفضل اولئك ان يكذبوا ويقولوا بانهم زاروها على الاعتراف بالحقيقة المخجلة. فرغبة في مساعدة هولاء المهملين وتخفيف تلك الكذبة التي يدافعون بها عن اهمالهم رايت ان اكتب لهم ولقراء الجامعة في خارج القطر المصري وصفاً جامعاً لابي الهول وللاهرام كبيرها وصغيرها فاذا



﴿ قرية على النيل في سفح الاهرام ﴾

حفظه القارىء عرف بالفكر تلك الآثار العظيمة ان لم يعرفها بالنظر ووقف على وصفها وعلى تاريخها وتاريخ بنائها مما لم اجده مجموعاً في موضع واحد في المجلات والجرائد العربية . وساوجز الكلام بقدر الامكان واعتمد فيه على سائح انكليزي كريم قضى في هذا العام

اشهرًا وهو يفتقد الاهرام واماكنها . فاقول

﴿ الغرض من بناء الاهرام ﴾ كان المصريون القدماء يعتقدون بان نفس الانسان تعود الى جسده بعد الموت ولذلك كانوا يحنطون اجساد موتاهم حفظًا لها من البلى حتى اذا عادت النفس الى جسدها وجدته صالحًا لسكنها . اما ملوكهم فالظاهر ان التحنيط لم يكن كافيًا لارضاء كبريائهم ولذلك رأوا ان يبنوا ابنية عظيمة لحفظ اجسادهم المحنطة فيها فبنوا الاهرام المعروفة الآن . ولعلهم اول البشر الذين اعتقدوا بالبعث ونصبوا تحت قبة السماء المباني الفخيمة التي تذكر الانسان بفناء هذه الحياة والامل في الحياة الثانية

﴿ اهرام الجيزة ﴾ اما هذه الاهرام جميعها فعددها ٦٧ هرمًا وهي واقعة على طرف صحراء ليبيه وتمتد على بعد ستين ميلًا من مدينة القاهرة . وهي عدة مجموعات اعظمها اهرام الجيزة . واول هرم (١)

﴿ ترجمان مصري لمرافقة السياح ﴾

من هذا المجموع هو الاقدم عهدًا والاكبر حجمًا والاحسن بناء . وقد اقامه احد ملوك المصريين القدماء المدعو خوفو وذلك في سنة ٣٩٥٠ قبل الميلاد المسيحي . وكان علوه في بدء امره ٤٨٠ قدمًا اما الآن فقد تسطح من اعلاه . ومساحة قاعدته ١٣ فدانًا من الارض وقد اشتغل في بنائه مائة الف عامل في مدة ٢٠ سنة بلا انقطاع . والناظر من قمة هذا الهرم الى السهل الذي في جواره يرى الى مسافة بعيدة مجموعات الاهرام الواحدة وراء الاخرى ويرى في الجهة الشرقية جبل المقطم الذي كانوا يقطعون منه الحجارة لبناء الاهرام . وكانوا يقطعونها ثم ينتظرون ارتفاع النيل لكي يضعوها على اطواف ويأخذوها في النهر الى مكان البناء . وتظهر مدينة القاهرة من قمة هذا الهرم جميلة المشاهد . اما داخله

(١) نشرنا رسم هذا الهرم وابي الهول في احد الاجزاء السابقة فلا حاجة الى اعادته

فعبارة عن عدة معابر وغرف في احداها تابوت حجري للملك خوفو وهذا التابوت ضخم جداً ويظهر انه نُحت قبلما شُرع في بناء الهرم لانه اكبر من الباب المؤدي اليه · وحول هذا الهرم ثلاثة اهرام صغيرة بناها الملك خوفو لبناته الثلاث · وكانت هذه الاهرام الاربعة حتى ايام اليونان والرومان مطلية بمادة بيضاء ثمينة تنعكس عنها اشعة القمر في الليالي المقمرة فتظهر بابهى الحلل· ولكن الزمان جردها من تلك الحلة فلم تعد جميلة كما كانت اولاً



﴿ ابو الهول ﴾ وقريباً من هذا الهرم شخص ابي الهول العظيم وهو اقدم عهداً من الاهرام ويُظن انه بني على عهد مينيس اول الفراعنة او على عهد الدولة الرابعة وقد كتب عنه مؤرخو اليونانيين والرومانيين فقالوا ان وجهه كان غاية في الجمال ولكن الآن وقد نزع عنه لم يبق له غير جمال الشيخوخة والكبر · اما عينا ابي الهول فهما باقية على صحتهما ويظن ان وجهه بقي كاملاً حتى سنة ١٣٠٠ بعد المسيح حين ستوف ... على زمة البلاد المصرية فشوه روحاً شريرة تعبث في البلاد فجعلوه هدفاً يصوبون اليه السهام والمقذوفات · ويغلب ان جثته في جوف من صورة له صغيرة وجعلتحت مدة في تلك البلاد

﴿ شيخ بدوي يمثل شيخ في الاهرام ﴾

وقد اكتشف مؤخراً هيكل قديم بالقرب من ابي الهول بناه ملك متقدم او متأخر صاحب هذه الآثار وهو مبني من حجارة صوانية ... بعضها · ... ويظن على ... الصور المصرية ... هيكل ... حجارة بعضها ... ثلاثة ... كل ... وهيكل ... ابي الهول الآن مطمور تحت الرمل ... ولكن ... فيه ... منحوتة فيه ... الاهرام ... البلاد ...



﴿ ذهبية في النيل بين الآثار المصرية في جزيرة انس الوجود ﴾

فكسروها وطرحوها في تلك البئر لئلا ينظرها الاهالي فتذكرهم بمجدهم القديم · وهي منحوتة من رخام غاية في الصلابة واحسنها موجود في متحف القاهرة

اما الهرم الثاني فبانيه خفرع كما ذكرنا وذلك سيف سنة ٣٨٦٠ ق · م · وهو يظهر للناظر اكثر ارتفاعاً من الهرم الاول ولكنه ليس بالحقيقة كذلك بل سببه ان الارض المبني عليها مرتفعة وقمته باقية على علوها الاصلي خلافاً للاول · والى الجهة الشرقية من هذا الهرم بقايا هيكل كان عظيماً في يومه ولكنه ليس الان سوى انقاض وبعض حجارة



﴿ عودة السياح من الاهرام على الخيل من طريق الجيزة ﴾

منتشرة في ذلك السهل · ووراء الهرم الثاني دكة واسعة يقول عنها العالم المستشرق بتري ان المائة الف عامل الذين كانوا يبنون الهرم الاول كانوا يأوون اليها و يستريحون عليها عند ارتفاع النيل في ايام الصيف · والهرم الثالث قريب من هذه الدكة وهو اصغر من الاولين حجماً ولكنه اكثر زخرفة وبانيه هو الملك منقاوره · والى الشرق هيكل صغير والى

جنوبيه ثلاثة اهرام صغيرة بنيت لعائلته · وقد وُجدت فيه منذ ٤٠ سنة فقط مومياء الملك منقاوره موضوعة في تابوت حجري وداخله ابسط جدًا من الهرم الاول والصعود اليه من الخارج اسهل من الصعود الى الاهرام الاخرى

﴿ اهرام ابي روش ﴾ وقريبًا من اهرام الجيزة قبور عديدة مخونة في الصخر ومغطاة جدرانها بصور ونقوش تدل على انها جُعلت لوزراء الملوك وسكان بلاطهم كما ان الاهرام جُعلت منازل ابدية للملوك انفسهم · وعلى بعد اربعة او خمسة اميال مجموع اهرام ابي روش وقد امحت الآن آثارها ولم يبق فيها علاوة على الانقاض سوى غرفة واسعة مخونة في الصخر ويقال انه كان هنالك عدة من الاهرام ولكن لا يُعرف الآن شيء عنها

﴿ هرم ابي صير ﴾ وبعد هذه الاهرام تأتي اهرام ابي صير وهي اقل اتقانًا وحجارتها اقل صلابة وادنى جنسًا من اهرام الجيزة وهي عبارة عن ١٤ هرمًا جُعل كل واحد منها على ما يرجحون لملك من ملوك الدولة الخامسة التي ملكت حوالى سنة ٣٥٠٠ ق · م · وحتى الآن لم يتم التنقيب فيها ويُظن ان موميات اصحابها لا تزال باقية فيها

﴿ مدينة منف ومقبرتها ﴾ وكل المسافة الواقعة بين الهرم الاول والاخير كانت مقبرة لمدينة منف اول عاصمة الفراعنة · وقد غير « مينيس » مجرى النيل وبنى منف ثم بنى حولها سدودًا تقيها من الفيضان وبقيت كذلك الى سنة ٤٥٠ ق · م حيث خربت السدود ففاض النيل عليها وغمرها غير تارك لها من اثر سوى تمثالين عظيمين لرعمسيس الثاني · وقد بنى بعض الافرنج مؤخرًا نزلاً كبيرًا قرب الاهرام دعوه « نزل مينا » تخليدًا لاسم باني منف الشهير · وترى في سهل الاهرام عظامًا بشرية غاية في الخفة لقدمية عهدها · وسبب تبعثرها في ذلك السهل ان بعض الاهالي ينبشون القبور في ايام الصيف طلبًا للاواني الزجاجية والمسكوكات القديمة ثم يتركون تلك القبور مفتوحة فتتبعثر العظام · ولا يظنن القارئ ان الذين يرتكبون هذا الذنب هم الاهالي فقط فان كثيرين من الباحثين الافرنج يسابقونهم اليه

﴿ هرم سقاره ﴾ وعلى خمسة اميال من مجموعة ابي صير هرم سقاره وهو مبني بشكل درجات الواحدة اعلى من الاخرى ولذلك سمي « المدرَّج » وشكله حسن يسرّ الناظر ويختلف عن غيره بانه مبني من حجارة صغيرة بدون كلس يلصق بعضها ببعض وهو اقدم

الاهرام على الارجح . ومن الغريب ان هذا الهرم ثبت ٧٠٠٠ سنة او اكثر بدون ان يسقط او يتداعى للسقوط مع ان هندسته لا تذكر بالنسبة لهندسة الهرم الاول . وحوله حفر ومهاوي تجعل السائر في خطر اذا لم يتنبه اليها . واصل هذه الحفر اما قبور بسيطة نبشها الاهالي كما ذكرنا او قبور ومغاور واسعة مزخرفة حجارتها بالصور والنقوش وكثير منها جعلت له الآن ابواب خصوصية ووضع لحراستها اشخاص من لدن الحكومة ولا يؤذن بدخولها الا لمن يشتري اوراقاً خصوصية لذلك . وادق هذه القبور صنعاً قبر ميري وهو منحوت في الصخر ويؤدي الى قبرين شبه جناحين جعل الواحد لابنته والآخر لزوجته . وقريب منه قبر « تي » المقاول لعدة اهرام وهو الذي اخذ على نفسه بناء هذه المعاهد العظيمة ولا عجب فان من تعب مثله جدير بتخليد اسمه . وعليه فقد كتب هذا الرجل على قبره بالخط الهيروغليفي القديم عن تاريخ حياته وبيان عظيم افعاله وغناه ومكانته من قومه الى غير ذلك مما يكشف شيئاً من النقاب عن الهيئة الاجتماعية في زمنه

ومكتشف اكثر هذه القبور هو العالم المستشرق ماريت وقد بنى لنفسه بالقرب من هرم سقاره بيتاً خشبياً وداوم البحث عدة سنوات ومن جملة ما اكتشفه في سنة ١٨٥٦ مغارة عظيمة وجد فيها ٣٠ تابوتاً حجرياً طول الواحد منها ١٥ قدماً وعرضه وعلوه ٨ اقدام وفي جميعها موميات العجول المقدسة (ابيس) التي كان يعبدها المصريون والتي اختفت منذ ٢٠٠٠ سنة فلم تظهر حتى ذلك الحين

﴿ هرم يوناس ﴾ وقد فتح السير جون كوك الشهير هرماً فوجد فيه تابوت الملك يوناس الذي ملك في سنة ٣٥٦٠ ق . م وقد نقلت عظامه الى متحف بولاق اذ لم يكن محنطاً ويمتاز هذا المدفن عن غيره بالكتابات الهيروغليفية . وقد قرأها العلماء فوجدوها صلوات « لراحة نفس الملك الابدية حتى القيامة »

﴿ اهرام دهشور ﴾ وسوى ما تقدم لم يبق من الاهرام سوى مجموع اهرام دهشور وهي اربعة اثنان منها مبنيان من حجر واثنان من آجر . فالحجريان لم يبدأ بفحصهما بعد ولذلك لا نعرف عنهما شيئاً . اما المبنيان من الآجر فانهما غاية في الاتقان وحسن الهندسة وقد كشف في داخلهما من العاديات والآثار القديمة ما تساوي قيمته ٧٠ الف جنيه وجميعها من اثمن ما وجد في مصر . وقد تحقق العالم دي مورغان انهما قبران لاميرتين من اميرات المصريين القدماء . ومن المستغرب ان كل هذه النفائس

بقيت في هذين المرمين مع ان رعمسيس الثاني قد سلب كل المجوهرات النفيسة التي في الاهرام. ذلك لانه اضطر يوماً الى المال واذ لم يجد منه ما يكفي عند الاحياء لجأ الى الاموات . فكأن الانسان لم يكن يخلص من طلب حكامه في ذلك الزمان حتى ولو فارق الحياة .

النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

﴿ اقتراح على الكتاب والقراء ﴾

(هل هذه النهضة نهضة حقيقية أم لا)

الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة

اذا تناول القارىء البصير الجرائد والمجلات العربية التي تُطبع في مصر وسوريا واميركا سمع فيها في اكثر الاحيان انيناً بعيداً تختلط فيه اصوات اصحاب تلك الجرائد والمجلات واصوات قرائها ومحرريها

فرصفاؤنا اصحاب الجرائد والمجلات يشكون تلميحاً وتصريحاً من قلة القراء وعدم اهتمام الجمهور بالجرائد الاهتمام الواجب لها . ورصفاؤنا المحررون يشكون — ولكن سرًّا لا علانية — من ان اصحاب الجرائد لا يوفونهم حقهم من الجزاء في مقابلة التعب الذي يعانونه في تحرير جرائدهم ولا يدعون لهم من سبيل ولا وقت للظهور . والقراء الذين هم الجمهور ومن مالهم تعيش الصحافة العربية وتثري يشكون من ان الصحافة لا تبذل كل جهدها في مراقبة الهيئة الحاكمة وجلب النفع للهيئة المحكومة

وفي ذات يوم زارنا احد القراء الافاضل الذين نجلّ آراءهم واسهب في الكلام عن هذا الموضوع . فقال « انني مولع بالمطالعة ولا اضنّ في سبيلها بمال ولا بوقت ولكن على شرط ان ارى شيئاً يستحق المطالعة . وانني مشترك بجريدة يومية فرنسوية فكلما حملها البريد اليَّ صرفت ساعتين او ثلاثاً في مطالعة كل عدد من اعدادها لكثرة موادها ولطف اسلوبها وتنوع ابحاثها مع انني لا اصرف في قراءة الجريدة اليومية العربية الا عشر دقائق على الكثير . فهل يصحّ ان تبقى هذه الحالة حالة الصحافة العربية عندنا الى ما شاء الله . لا ريب انه لو قامت مجلة عالية الصوت غير متحازة الى فريق دون فريق وفتحت باب المناقشة في هذا الموضوع لتوجيه الانظار الى هذه الحالة انحاز اليها كل افاضل الكتاب

الذين يودون شحذ عقولهم واظهار مواهبهم في جرائد تمكنهم من ذلك وكل القراء الذين يطلبون صحافة قوية كالصحافة الاوربية وكل اصحاب الجرائد والمجلات المنصفين الذين يعرفون في نفوسهم سوء هذه الحالة »

وقد طرق هذا القول مسامعنا في ساعة كنا نفكر فيها بكتابة تاريخ موجز للنهضة الادبية العربية الحديثة ونقرنه بذكر رصيفاتنا من المجلات والجرائد العربية التي تُطبع في مصر والشام واميركا ذكرًا يدل على حيّز كل واحدة منهن ويكون كتاريخ صغير لهنّ او كدليل عليهنّ وعلى ما يعانينه من التعب في خدمة الجمهور . وبما ان هذا البحث مرتبط بالبحث الاول اشد ارتباط رأينا ان نضمّ الواحد الى الآخر ونستمد في هذا الموضوع آراء افاضل الشرقيين وعلمائهم وكتابهم وقرائهم على سبيل الاسترشاد بعلمهم والاهتداء بهديهم

ولم نصنع كذلك لتسليمنا بالراي الذي تقدم لاننا من اعرف الناس بعقبات الصحافة في الشرق وما يقتضيه تقدمها من التدريج وما يعانيه رصفاؤنا الكرام من التعب في سبيل هذه الخدمة . لاسيما واننا تولينا في مدة سنة رئاسة تحرير احدى الجرائد اليومية وذقنا من خل التحرير اليومي وخمره وعرفنا ما بطن وما ظهر من امره . ولكنا راينا من الفائدة ان يتبادل الكتاب والقراء آراءهم في موضوع خطير كهذا الموضوع فان الحقيقة بنت البحث كما قيل وربما كان في هذا البحث فائدة عامة لارباب الصحافة ومحرريها وقرائها معاً . ولذلك انشأنا الاسئلة التالية والقيناها على بضعة من اهل الفضل والرصفاء والادباء . وقد انتظرنا صدور هذا الجزء لنلقيها على حضرات القراء . وهذه الاسئلة هي

١ ما رايكم في الصحافة الحاضرة من مجلات وجرائد وكم واحدة تطالعون منها

٢ ما الواجب صنعه في رايكم لتحسين حالتها وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

٣ هل تعتقدون بوجود نهضة ادبية حقيقية في الشرق وهل هي جارية على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجاً

٤ هل لديكم نصيحة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصاً المصريين والعثمانيين كالدعوة الى ادخال شيء جديد ونبذ شيء قديم

٥ ما رايكم في مجلة الجامعة بنوع خصوصي وهل لديكم نصيحة خصوصية لها (١)

---

(١) وهنا نعيد ما ذكرناه في ذيل الاسئلة : لمن يتكرم بالاجابة الخيار في ان يجيب عن كل الاسئلة او عن بعضها . وله الحق بطلب كتمان اسمه على شرط ان يكون معلوماً لدى المجلة . وتُنشر الاجوبة على الترتيب بحسب ورودها

هذا ونرجو من القراء وغير القراء الذين يتفضلون بالمجاوبة على هذه الاسئلة او على بعضها ان يلتزموا الاختصار بقدر الامكان لنتمكن من نشر جميع الاجوبة التي تردنا والا اضطررنا الى تاجيل بعضها كما فعلنا في هذا الجزء بسبب ضيق المقام . وقد كتب الينا بعض ممن القيت عليهم هذه الاسئلة يستمهلوننا الى الجزء القادم ليروا كيف يكون مجرى هذا البحث لانهم وجدوه جديداً وهم يخشون الدخول في كل امر جديد . فنحن نمهلهم ما شاؤوا . ومتى فرغنا من نشر الاجوبة نستخرج منها كلها ١٠ او ١٢ مادة تكون دستوراً للصحافة الصحيحة التي يُرجى منها دون سواها النفع والفائدة . ويكون الفضل في ذلك لمراسلي الجامعة الذين امدوها بآرائهم الصائبة وافكارهم الثاقبة

اما البند الخامس الموضوع في آخر الاسئلة فقد اثبتناه في هذه المناسبة لنقف على آراء قراء الجامعة في مجلتهم وما يرونه زائداً او ناقصاً فيها لنصلحه في التحسين الجديد الذي ننوي ادخاله قريباً كما اشرنا الى ذلك في غير هذا الموضع

﴿ البصير ﴾ وقد كان اول جواب وصلنا جواب رصيفنا المفضال عزتلو رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير الغراء وهي الجريدة اليومية الوحيدة في الثغر الاسكندري وهذا نصه

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة الغراء

اطلعنا على سؤالاتكم وعنها نجيبكم بما ياتي

(١) الجرائد العربية في الشرق حسنة مفيدة بالتعميم وسيئة مضرة بالتخصيص وذلك بالمقابلة بينها وبين حالة البلاد الشرقية سواء كانت بحكومتها او بشعبها واني اقرأ العدد الاكبر منها حينما يسمح لي وقتي المخصص لمثل ذلك

(٢) لا تحسن حالة الجرائد الا اذا كانت حاصلة على الحرية التامة وقد لا تملك الجرائد في القطر المصري حريتها الا باتساع دخلها ولا تملك سائر الجرائد حريتها الا بذلك وبان تقدرها الحكومة حق قدرها فاذا تم للجرائد الشرقية ذلك وكان لها نقابة منها فقد لا تقل فائدة عن اعظم الجرائد الاوربية

(٣) لا نعتقد بوجود نهضة ادبية بالشرق ولكن التقدم الادبي القليل الذي يراه العقلاء انما هو سنة الارتقاء العرضي او الاضطراري اما ما يسميه الغير المتطلعين الى العواقب نهضة ادبية في الشرق فما هو الا اندفاع غير مرتب ناجم عن ظل الحرية الفجائية المخيم على بعض

المقول وهذه النهضة اذا صحت تسميتها انما هي كثيرة العثرات مبينة العواقب وقد تنقلب يوماً ما اذا لم يقوّم العلم الصحيح معوجها الى عكس المراد بالنهضة الادبية الصحيحة

(٤) النصيحة التي نراها مفيدة لبلوغ الشرقيين النهضة الحقيقية هي العلم والاخاء

(٥) في اعتقادنا ان المجلات افيد للعامة من الجرائد السياسية اليومية ونصيحتي الى الجامعة ان تكون اجمع للارشاد الى سبل النهضة الادبية والى ما يفيد البلاد التي تصدر فيها وتجني ثمرات اتعابها منها

هذا ما عنّ لنا ان نجيبكم عليه بكل اختصار لان الجواب على سؤالاتكم بالتطويل والشرح الوافي تضيق دونه صفحات الجامعة واقبلوا احترام رصيفكم

رشيد شميل صاحب البصير

﴿ امام تسجد له الاقلام ﴾ اما الكتاب التالي فهو من امام في القاهرة تسجد لذكره الاقلام في المحابر وتتشرف الجامعة بصداقته ورسالته وهذا نصها

حضرة الفاضل صاحب مجلة الجامعة

لا اجد الآن من الوقت ما يسع الجواب عن مطالبك جميعها . ولكنني احب ان اجيبك عن كل واحد منها متى امكنني الوقت من ذلك . وانما يسهل عليّ ان اجيبك الآن عن آخر سؤال . رأيي في مجلة الجامعة انها من ابعد المجلات عن سوء الظن الذي يكثر نشوبه بغيرها وليس يعلق بذهن الناظر فيها الا حسن القصد . والنصيحة التي اقدمها لمجلة الجامعة ان تستمر على خطتها وان تثابر السعي وراء طلبتها وارجو ان تقبل تحية الاحترام من الفقير الى الله وحده   محمد

وقد سجلنا هذا الوعد وعد الحر الكريم ديناً انما اضطررنا الى اختصار الكتاب والاكتفاء بسطر من الثناء الذي وجهه كاتبه الكريم الى الجامعة تنشيطاً لها . ولا غرو ان يصدر التنشيط من مثله

﴿ مصر ﴾ اما رصيفتنا جريدة مصر الغراء فانها كانت اول من فتح باب البحث في النهضة الادبية ووجوب اصلاح حالها . وقد كان رايها من الاراء التي استندنا اليها في فتح هذا الباب لانها لسان حال طائفة عظمى في مصر فضلاً عن ان جناب رئيس تحريرها المشهور بطول الباع وسعة الاطلاع من الذين على رايهم المعول في هذا الموضوع وهذا ما

كتبته من الاقتراح

« اهتمت مجلة الجامعة الغراء لموضوع النهضة الادبية التي كتبنا في شانها مرارًا وعزمت على نشر مقالات متتابعة في هذا الصدد وقد ارسلت كتبًا الى بعض من ارباب الاقلام تسألهم رايهم في هذه النهضة وهل هي حقيقية . وما راي الكتاب في الصحافة الحقيقية وكم جريدة او مجلة مصرية هم يقرأون وكيف يمكن التحسين الى غير ذلك من المباحث المفيدة التي وردت في موضعها حين شرعت مجلة الجامعة الغراء في البحث عنها لانه اذا كان في القطر مجلة شهية مفيدة طلية فان تلك المجلة هي الجامعة الغراء . ومن راينا ان تطرح هذه المسائل على جمهور القراء ولا تقصر على قليل من الكتاب والمحررين »

فعسى ان لا تضن رصيفتنا برايها في هذا الاقتراح الذي استحسنته

﴿ صديق ﴾ ووصلنا من صديق الكتاب التالي

حضرة منشىء الجامعة الغراء

في رايي انكم فتحتم بابًا كان الاولى بالجامعة سده اذا كانت تخاف ثورة الخواطر عليها لان هذا البحث يشمل كثيرًا من القصور والتقصير . ذلك ان المسئول عن حالة الصحافة الآن ليس اربابها فقط بل محرروها والحكومة والجمهور والاغنياء والحكام ايضاً . فان الحكومة مسئولة لانها لا تتفق مع التناسل لتضع للصحافة لجامًا اي قانونًا يجري عليها كلها اجنبية ووطنية وتُحاكم كل واحدة تخرج عن حد وظيفتها بالطعن والسباب ولا تبيح الصحافة الا لاربابها . والجمهور مسئول لانه يرضى بكل ما يُقدم له غثًا كان او سمينًا وقلما يميز بين النافع وغير النافع وجمله الاشتراك « مسالة امتنان ومحسوبية » واغضاء الاغنياء عن مساعدة الكتاب وجعل جوائز مالية لهم . والحكام مسئولون ايضاً لان الجريدة التي تجترىء على انتقاد عمل من اعمالهم في الارياف تُحسب عدوة لهم فينتقموا منها بان يقربوا اليهم الجريدة التي تناظرها لتمدحهم وتثني عليهم ولو ضد الحق وهكذا يبقى الفساد سائدًا . والمحررون مسئولون ايضاً لانهم لا يتعبون في ما يكتبون وانما يسطرون ما يسطرون « لتملية الورق » مقابل الثمانية او العشرة جنيهات التي يقبضونها في كل شهر والتي هي اجرة مقالة واحدة للكتاب في جرائد اوربا . اما ارباب الصحافة فانهم يقولون ان القراء معدودون فاذا اتقنوا جرائدهم او لم يتقنوها لم يزد عددهم ولم ينقصوا . وبناء عليه يكون اقتراح الجامعة داعيًا لاستياء كل الطبقات ولا يُسر به الا قراؤها الذين يقرئون موضوعًا جديدًا . واقبلوا جزيل السلام « صديق »

﴿ احد القراء ﴾ اما الرسالة التالية فهي من « احد القراء » الذين يحبون الاختصار ونصها

« لو علمت المجلات والجرائد الشرقية انها اذا نهضت نهضة واحدة لحث الحكومات على التعليم الالزامي تكون كمن يسعى لمصلحته لما قعدت عن ذلك طرفة عين . فاصلاح شان الصحافة العربية متوقف على التعليم الالزامي لان به يصير القراء يعدون بمئات الالوف »

« احد القراء »

﴿ كاتب ﴾ واما الرسالة التالية فهي من كاتب يحب مزج الهزل بالجد وهي

(١) رايي في المجلات والجرائد انها تثقف الالباب ولا غنى للعقلاء عنها اذا كانت صالحة

(٢) يجب ان تكون ذات راس مال في العلم والمال لتقول الحق ولا تخشى لومة لائم . ونصيحتي الخصوصية اليها ان تبطل من صفحاتها ذلك المدح البارد وتلك الالقاب الثقيلة

(٣) النهضة الادبية لا تُنكر وهي سائرة سيرًا تدريجيًا . والجامعة من الادلة على وجود هذه النهضة كما ان الكون من الادلة على وجود الله

(٤) نصيحتي الخصوصية للشرقيين لا اقولها لانهم لا يعبئون بها وانا اكره وعظ الذي لا يسمع الوعظ

(٥) نصيحتي للجامعة ان تبقى في دور الشباب ولا تدخل في دور الشيخوخة ابدًا

« احد الكتاب »

﴿ كاتب شديد الوطأة ﴾ واليك الآن راي كاتب شديد الوطأة

« صحافة الشرق ولا حياء في القول صحافة تقليد ومتابعة على غير قياس وتطريس على آثار السابقين ولكنه تطريس مهين للغة العرب فباتت الصحافة مضروبة على قالب واحد وطبعة واحدة لا تجديد فيها ولا ابداع ولا يهم رجالها توليد مادة جديدة للكلام لانها قائمة بلا احزاب ومرماها تجاري بحت لا تدفع مقتضيًا ولا تستجاب اتيًا لعلم العاقلة منها (وقليلة ما هي) ان الشرق مأكول وان الامة مستغرقة بسيل الاجنبي محصودة بمنجل القوة فلا نجاة لها ولا امان . فما ضرّ هذه الصحافة لو اصطفت للقيام عليها رجالاً يعرفون كيف

يسيرون بها الى ما هو اوضح سبيلاً واعلى منارًا . والذي يضحك المجتهد الباحث اقتصار اكثر اهل الصحافة العربية في هذا الوقت على مطالعة انقاس بعضهم بعضاً واقتباس الالفاظ والتراكيب على اسلوب واحد خلا ما هنالك من سقم وجوه التعريب ونقل الاخبار التافهة التي لا تفيد الشرقي ولا تجديه نفعاً

ولا اكتم قارئ هذه السطور انني لا ارى في هذه النهضة العربية ما يحق ان يسمى نهضة حقيقية لان حاملي لواء هذه النهضة ليسوا كلهم رجال الامة المشرقية. وليست عندي من كلمة اقولها في هذا البحث غير الاتحاد على جمع شتات رجال الاقلام وتاليف مجمع علمي لغوي يضم الافراد الى حظيرته

وغير منكر ان النهضة في الشرق كائنة ولكنها لسوء حظ الشرق غير جارية على قاعدة طبيعية من شانها الارتقاء تدريجياً وذلك لفقدان العلم والتربية وانحصارها في نفر قليل من خاصة الشرقيين . ومعلوم ان التربية اس تقدم الامم ودعامة العمران فما زالت هذه التربية التي هي ام الفضائل والكمالات الانسانية معدومة من بين اهل هذه الامصار على اختلاف طوائفهم فلا امل للشرقيين بالحياة السياسية وما دامت الحياة السياسية غير موجودة فلا سبيل الى صعود سلم العلم والفضيلة. والحالة اظهر من ان ينبه عليها لان الفوضى شاملة كل شيء والاختلاط في احوال هذه الشعوب والاقوام ساد الى درجة ادمج الفاضل في سلك المفضول وادخل العاقل في سمط المخبول وارتفع سعر الجهل بارتفاع قيمة حامل الدينار فحق على العالم والفاضل التستر والتظاهر بما يرضي اولي العمى والجهالة ولسان الحال ينشد قول شيخ المعرّة

اقررتُ بالجهل وادعى فهمي قوم فامري وامرهم عجبُ
والحق اني وانهم هدرٌ لست نجيباً ولا هم نُجبُ

وليس عندي انا الفقير غير نصيحة واحدة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصاً العثمانيين وهي عقد موتمر اصلاحي في مصر . وما تنفع الخطط والمناصب ولا تجدي الاموال والمراتب اذا قالوا لم يظهر في سوريا او في مصر رجل فرد يبز الرجال ويستظهر بعمله على الملوك والاقيال فانما الامة تموت برجل وتحيي برجل فاربنا يا مصر او فاظهري يا سوريا هذا الرجل لنعبده ونقيم له هيكلاً اعلى من اهرام تشيوس وارفع من برج ابفل . ثم ان الامة تموت برجل وتحيي برجل فاننا اليوم يا ابناء مصر وسوريا في حاجة قصوى الى ذلك الرجل . فليكن كلكم ذلك الرجل المطلوب ويد الله مع الجماعة

ويتعين على هذا الضعيف العاجز ان يقول في الختام كلمه للجامعة الزهراء التي فتحت باب هذا البحث المفيد وسالت الكتاب تشريع عوامل اقلامهم في انفع مطلب وافضل بحث. ان الجامعة مجلة لو كان في بلادنا عدة مجلات على طرازها لهبطت اسعار الجهالة وسقطت قيمة الدينار الذي المه الغني في هذه الايام وراجت بضاعة العلم وبارت اسواق الزخارف والاباطيل فبارك الله فيها وبامثالها لان فوائد المجلات لا تقوم بثمن ورحم الله عبداً علم فعمل »   « نجيب الجاويش »

« مع ان الجرائد العربية ارتقت لمجتها عن ذي قبل وما برحت آخذة في الارتقاء كل سنة لم يزل ينقصها شيء من الاصلاح لتضاهي جرائد الامم الراقية . يلزمها اولاً ان تسلم عبارتها من اللحن الذي لاتكاد تخلص منه جريدة ولا مجلة وثانياً ان يكون في الجرائد خصوصاً اليومية شيء من العلم مثل سائر الجرائد الاوروبية وكل ذلك لا يتاتى الا بكثرة ايدي العاملين في هذه الجرائد من علماء وادباء ومصححين ومحررين ومراسلين

نعم ان ارباب الجرائد والمجلات وطابعي الكتب يشكون من قلة القراء وعدم اقبال القوم على بضائعهم حتى ان بعضها ما كانت تصدر لو لم ينفق عليها بعض الكبراء وتنتسب الى حزب من الاحزاب ولكن هذا الاصلاح الذي تتطلبه جرائدهم يتاتى بقليل من النفقات وشيء من العناية . وهذه الجرائد الكبرى والمجلات العلمية قد يستقل بها الواحد والاثنان مع انه ليس في اوربا واميركا مجلة او جريدة كبيرة الا ويعمل في تحريرها عشرات. واكبر الجرائد اليومية عندنا ليس فيها اكثر من ثلاثة محررين او اربعة

تحسن حال المجلات والجرائد الكبرى في مصر بالاستكثار من الرسائل المفيدة التي تكتب بروية وتنتج عن عقول نيرة فاذا فرض اربابها مثلاً لكل كاتب مقالة ادارية وسياسية جنيهاً واحداً او جنيهين ولكل كاتب مقالة علمية ثلاثة جنيهات او اربعة ترتقي احوال الصحافة ويزيد ولا شك عدد القراء على نسبة هذا التحسين . والشعوب مهما انحطت لايزال فيها بقية تميز الحسنات من السيئات .

اذا عمل ارباب الصحف بذلك يتمحض كثير من رجال العلم والادب للكتابة والتاليف وعندها يتوفر على محرري تلك الصحف اوقات طويلة يصرفونها في التدبر فيما يكتبون واذا كتب احدهم مقالة او مقالتين في الاسبوع فيكون قد وفى الفرض وقام بالواجب المفروض. ويختص كل محرر بالكتابة في فرع من فروع العلم او السياسة فيستفيد ويفيد

كما هو شان الكاتب الاوربي والاميركي ويخلص من الكتابة في كل موضوع والخبط والخلط في اكثر ما يكتب

وربما قيل ان هذا الاصلاح في الجرائد تحتاج كل جريدة ان تنفق عليه في السنة ضعف ما تنفقه الآن والصحيح ان بذل مئة او مئتي جنيه تكفي وتزيد مهما كانت حالة الجريدة وحجمها ٠ وليت شعري لم لم تحذُ جرائد مصر حذو جرائد الاستانة على الاقل فان صحف الاستانة على ماهو معلوم من شدة الضغط عليها رائجة اكثر من صحف العاصمة ٠ نعم يدل ذلك على ان القراء هناك كثروا لحاجتهم الى الجرائد الوطنية اشد ولكن هذا لاينافي ماتقدم في الجرائد التركية من المقالات الادبية والعلمية والصناعية والمقاطيع الشعرية والقصائد البديعة من اقلام الكتاب والعلماء ما لا تجد مثله في جرائدنا وا كلاف الجريدة اليومية التركية تبلغ ثلاثة اضعاف الجريدة اليومية العربية في الغالب وهي تربح على هذه النسبة ٠

تصدر جريدة « اقدام » في عاصمة السلطنة كل يوم ويطبع منها عشرون الف نسخة وقلما تجد منها عدداً بعد صدورها بساعتين او ثلاث على الاكثر وكل هذه الاعداد تباع في العاصمة وهكذا قل عن سائر الجرائد التركية كصباح وترجمان حقيقت ومعلومات وغيرها ٠ على حين ان جرائد مصر ترجع منها الاعداد الكثيرة لتحفظ في ادارتها في سلة سقط المتاع ٠ ومادة العدد الواحد من الجريدة التركية تبلغ مواد ثلاثة اعداد من جرائدنا اليومية وتُباع النسخة منها بمتاليك واحد او بمليمين جيدة الطبع والورق ٠ فما بال جرائدنا لا تقلد تلك الجرائد لتروج رواجها على ما يساعد عليه محيط البلاد

وانا لنرجو من ارباب الجرائد والمجلات الكبرى في القطران يضعوا هذا الاقتراح على بساط البحث ليخدموا بذلك اللغة والعلم ولا يبقوا صحفهم مقصورة على الترجمات والاماديح والدفاع والمطاعن حتى لا يقول لنا الافرنج اننا محتاجون ولغتنا الى الاصلاح فان جرائد اليونان من هذه الجهة انفع والحق يقال من الجرائد العربية على ان عددهم لايبلغ خمس سكان عدد مصر ٠ وهذا مما يسوءنا التصريح به ولكنها كلمة حق لاينبغي السكوت عليها »

« الرائد المصري »

هذا ما اكتفينا بنشره في هذا الجزء بسبب ضيق المقام الا اننا سنوسع المجال في الجزء التالي لننشر كل مايردنا من حضرات الكتاب والقراء ٠ اما حضرات الشعراء فنرجو بتتم ما كان شعراً

بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني

لحضرة الكاتب الاديب سليم افندي قبعين في الناصرة

شاهدتُ بنفسي في اثناء تجولي في جميع انحاء سوريا كوكيل عام لجريدة المؤيد الغراء بان جميع محبي المطالعة متفقون على امر وهو سلامة ذوق الجامعة في نقل المقالات والكتب المفيدة البادية عليها آثار التعب والمشقة وانهم يقدرون خدمتها للعلم والادب حق قدرها. ومما اراه لها من المزايا التي خُصت بها انها تورد الصعب المستعصي الذي يشق فهمه مع بلاغته وسموه باسلوب بسيط سهل هو السهل الممتنع ومقالاتها تعمل في نفوس مطالعيها تاثيراً شديداً يرسخ في النفس ولا يزول ابداً

ومن هذه المقالات مقالات « رنان » التي يقرأها القراء من كل الطبقات بارتياح ولذة يقصر القلم عن وصفها . وانني اشكُّ في ان قراء اللغة العربية اقبلوا قبل اليوم على مطالعة اية كتابة كانت كاقبالهم على مطالعة هذه المقالات

غير انني ارى اتماماً للفائدة ان اقرن كلام رنان بوصف الاماكن والبلاد التي يرد ذكرها في ابحاثه ولاسيما وصف حالتها الحاضرة وعليه اقول

﴿ بلاد الجليل ﴾ ان رنان لدى كلامه عن الجهات التي عاش فيها السيد المسيح ذكر عدة مرات بلاد الجليل وسماها بلاد الشمال ووصفها بجمال الطبيعة . وقد ذكر جهات اورشليم فوصفها بالجدب والقحط . والحق يقال ان من يعرف هذه البلاد يشهد بصحة هذا الكلام ولا يزال اهالي الجليل على ما وصفهم رنان من رقة الجانب ودماثة الاخلاق ومحبة الغريب واكرام الضيوف والانصباب في ابان الراحة على اللهو والمسرات . حدثني بعض شيوخهم انه منذ ثلاثين عاماً كان اهالي الجليل يقسمون السنة الى ثلاثة اقسام : اربعة اشهر للعيد . واربعة اشهر يقضونها في اللهو والمسرات والسفر الى حمامات طبريا وزيارة جبل ثابور وجبل الكرمل وغير ذلك حيث يقيمون الملاهي على ساق وقدم كما يحتفل المصريون بالموالد . واربعة اشهر للعمل . ذلك ان هذه البلاد جيدة التربة كثيرة المحصولات تدرّ على اهلها الخيرات الوافرة والنعم الجزيلة ولا يخفى ان سعة العيش تتطلب اللهو وعدم السعي الزائد لتحصيل الرزق . اما اورشليم فان جهاتها واراضيها جبلية عقيمة جرداء لا تنتج شيئاً ولذلك يجب على اهلها السعي الشديد لتحصيل الرزق واتخاذ الوسائل لتحصيله . ولم تزل

تلك البلاد تقتات بخيرات الجليل ومحصولاته وفي ايام الحصاد يتقاطر كثيرون من الرجال والنساء من جهات اورشليم ونابلس الى الجليل لتحصيل الرزق

﴿ قانا الجليل ﴾ اما قانا الجليل التي ذُكرت في كلام رنان فانها تُعرف اليوم بكفر قنا وهي واقعة على مسافة ساعة من شمال الناصرة ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نفس وفيها عدة كنائس اشهرها كنيسة الطائفة الارثوذكسية وقد انشأتها الحكومة الروسية وارسلت ايقونوسطاسها واوانيها الفاخرة من روسيا واهدتها الى الطائفة . وقد احتفل بتدشينها احتفالاً شائقاً حضره صاحب السعادة المسيو فاسيلي ختروفو سكرتير الجمعية الفلسطينية ويعتقدون بانها قائمة على آثار البيت الذي صنع به السيد عجيبته الاولى وهي تحويل الماء الى خمر حسب نص الانجيل . ولا يزال في الكنيسة جرنان حجريان كبيران يؤكدون انهما من ايام المسيح . وفيها كنيسة اخرى لطائفة اللاتين يعتقدون انها قائمة على بيت سمعان القانوني احد تلاميذ المسيح وفي البلدة مدارس اجنبية ابتدائية

﴿ طبريا ﴾ ولقد اطال رنان بالكلام عن طبريا وجهاتها ووصفها وصفاً مطولاً فاكتفي بذكر حالتها الحاضرة . فهي بلدة قائمة على طرف بحيرة طبريا الى الجنوب الغربي تحيطها اسوار اخنى عليها الزمان فجعلها اطلالاً دارسة . ولم يزل قائماً فيها بعض الابراج المتهدمة . وشوارع هذه البلدة في غاية القذارة هذا اذا كان يجوز ان نسميها شوارع . وليس فيها ما يهم الالتفات اليه سوى خراباتها وذكرى حالتها القديمة وما كانت عليه من التقدم والحضارة وفخامة الابنية التي زينها بها مؤسسها هيرودس انتيبا قاتل يوحنا المعمدان الذي بناها باسم طيباريوس قيصر وجعلها عاصمة ملكه . وقد كانت طبريا في القديم مركز الحكمة اليهودية والسندريون اليهودي ووطن اشهر علمائهم وفي جملتهم الفيلسوف الاسرائيلي الشهير يهوذا واضع التلمود الذي عاش في اواسط القرن الثاني . اما اليوم فلم يبقَ فيها شيء من عظمتها الماضية واكثر سكانها هم من اليهود الذين يتقاطرون اليها من جميع اطراف المعمورة لاستيطانها ولهم فيها زيارة مشهورة يحتفلون بها في كل عام باحراق الامتعة ويسمونها « الشعلة » . وبالاجمال فان طبريا بلدة اسرائيلية ولذلك ترى جميع اسواقها مقفلة في يوم السبت . وقد ذكر رنان بان جهات طبريا كانت في ايام المسيح بلاداً غناء في غاية الخصب والنضارة وانه لم يبقَ منها شيء بعد ذلك حيث اصبحت قفراء صلعاء ذات هواء حار . اقول وهي لم تزل على هذه الحالة الى يومنا هذا غير ان جمعية الاستعمار الاسرائيلية ابتاعت

في جهات طبريا نحو ستين الف دونم ارض وشرعت تغرس الكروم وتنشيء الحدائق والاشجار المختلفة والابنية العديدة · ولا ريب انه لا تمر بضعة اعوام حتى تصبح جهات طبريا كما كانت عليه في ايام المسيح من النضارة والخصب وجودة المناخ ولطافة الهواء · وفي طبريا حمامات معدنية تفضل كثيرًا حمامات حلوان وقد انشاء المرحوم ابرهيم باشا المصري في هذه الحمامات عدة غرف وبلط ارضها واحواضها بالمرمر · اما اهلها غير الاسرائيليين فانهم يتعاطون صيد السمك لوجوده بكثرة في بحيرة طبريا كما ذكر رنان · فكانهم ورثوا هذه الصناعة من الاسرائيليين الذين تقدموهم في هذه البلاد · وكان بودنا ان يتشبهوا بمواطنيهم الاسرائيليين الذين يستدرون اليوم خيرات الارض من طرق الزراعة لا بالاسرائيليين الاولين

هذا ما رايت كتابته في هذا الفصل وساتعقب الفيلسوف رنان لاصف لحضرات قراء الجامعة حالة الاماكن الفلسطينية التي ورد ذكرها في تاريخه رغبة في مزج الماضي بالحاضر مزجًا فيه تمام الفائدة والسلام

﴿ الجامعة ﴾ نشكر لحضرة الكاتب حسن ظنه بالجامعة وتفضله عليها بوصف حالة الاماكن الفلسطينية التي ورد ذكرها في كلام رنان · ويسرنا ان تنشر كل ما يكتبه بهذا الشان لاسيما واننا ننوي ضم هذه الفصول الى الكتاب الذي يطلبه القراء من كل الجهات

﴿ جمع كتاب رنان على حدة ﴾

كتاب فريد

ذلك ان كثيرين من القراء بعثوا يقترحون علينا جمع ما نشرته الجامعة من اقوال رنان على حدة فترددنا في بدء الامر لان الكتاب منشور في الجامعة ولدينا كتب لم تنشرها بعد ولكن لم يلبث ان زال ترددنا لعزمنا على اضافة اشياء كثيرة اليه تجعله كتابًا فريدًا في اللغة العربية

٤٠ او ٥٠ رسمًا — واول تلك الاضافات ٤٠ او ٥٠ رسمًا كالرسم المنشور في صدر باب المقالات في هذا الجزء · فانه من المعلوم ان اشهر مشاهير المصورين في العالم كرفاييل ودافيد ورمبران وميشل انج وغيرهم قد صرفوا نصف مواهبهم تقريبًا في تصوير حوادث المسيح من ولادته حتى صلبه وقيامته ولهم في ذلك صور تباع اليوم الواحدة من نسخها الاصلية بعشرة

الاف جنيه او عشرين الفا . فرغبة في اتمام الفائدة سعينا في استنساخ بعض تلك الصور التي تمثل المسيح في جميع ادوار حياته وسننشرها في هذا الكتاب على ورق جيد جداً كما صنعنا باحداها في هذا الجزء

تتمة صلب المسيح والقيامة — وسنضم الى هذا الكتاب تتمة كلام رنان عن نزول السيد عن الصليب وتفاصيل القيامة وهي ٥ او ٨ فصول . اما الجامعة فانها تبتدىء في الجزء التالي بتلخيص الكتاب الثاني من كتب رنان وهو انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد والاضطهادات التي اصابتها وسفر تلامذته الى اقطار الارض للبشارة بالكلمة فان في ذلك تاريخاً مسهباً لنشأة الديانة المسيحية وحوادث العالم في ذلك الزمان ولا سيا سوريا وفلسطين وما تلا ذلك من خراب اورشليم وسقوط الدولة الرومانية

سياحتان — ولقد زرنا اورشليم وما حولها مرتين المرة الاولى منذ ١٤ عاماً والمرة الثانية منذ ٨ اعوام وكتبنا اخيرًا تفصيل هاتين الزيارتين وما شاهدناه فيهما من جمال الطبيعة هناك ولطف اخلاق السكان وتعدد الاماكن المقدسة وسنضيف هذا الى ذاك ايضاً

اضافات اخرى — ثم نضيف اليه اضافات اخرى كثيرة كترجمة المؤلف الفيلسوف رنان ورسمه . واقوال مؤرخي العرب عن حوادث السيد المسيح . ورسوم اشهر الاماكن التي يزورها اليوم المسيحيون في اورشليم والناصرة وغيرها . وكل ما يتعلق بالحرم الشريف ورسومه

ولا شبهة عندنا في انه لا يبقى احد من محبي المطالعة واقتناء نفائس الكتب الا ويطلب هذا الكتاب سواء كان من المسيحيين وغير المسيحيين لان جميع مواضيعه تاريخية محضة . وسنطبعه بقطع الجامعة على ورق جيد جداً اجود من ورقها ولا سيا الرسوم ويكون طبعه اتقن من طبعها وربما كان حجمه بقدر اربعة اجزاء منها . اما ثمن النسخة الواحدة منه فهو عشرة غروش صاغ فقط تُدفع بعد صدور الكتاب

فبناء عليه نرجو من حضرات القراء الذين يرومون الحصول على هذا الكتاب ان يبلغونا اسماءهم فقط لنعلم عدد النسخ التي يجب طبعها منه . ويكفي في الطلب كارت صغيرة عليها هذه العبارة « قيدوا اسمي بين اسماء طالبي كتاب رنان الذي سيصدر بعد ٣ اشهر » وعلى الله الاتكال

مراسلات بين بنات شرقيات

(لا يجوز ان تقرأها الا القارئات)

« من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي تبريزه

« أكتب اليكِ بسرعة زائدة لاسألك عن امر شغل بالي ٠ وهو انني سمعت ان (مجلة الجامعة) باذلة جهدها لاخذ نسخ المكاتبات الكثيرة التي دارت بيني وبين صديقتنا العزيزة (المدموازل سليمة) في مصر القاهرة لتنشرها في بعض اجزائها ٠ فهل هذا صحيح ؟ ارجوكِ ثم ارجوك ان تستخبري عن ذلك ليطمئن بالي ٠ ولم اسأل عزيزتنا سليمة هذا السؤال لانني اخاف ان يكون الخبر الذي بلغني كاذباً فتنسب اليَّ صديقتي سوء الظن بها٠ فاستحلفك بصداقتنا ان لا تهملي ذلك ٠ وانا انتظر جوابك بصبر فارغ لانني اخشى ان يكون الخبر صحيحاً ٠ واذا كان صحيحاً لا سمح الله فارجوك غاية الرجاء ان تتوسطي لدى صديقتنا وتقولي لها ان عملها مخل بالصداقة ٠٠٠٠ و بالادب ايضاً ٠ ولكن لماذا الومها بارباه قبل معرفة الحقيقة ٠ لا تؤاخذيني فانني اقول هذا الكلام لشدة استيائي من هذا الامر ٠ فانني لما كتبت لسليمة كتبتُ لها كصديقة تقول لصديقتها كل ما يخطر في بالها لا ككاتبة تزن كلماتها علماً بانها ستنشر في المجلات والجرائد ٠ فانني تكلمت معها عن واجبات الابنة قبل الزواج وواجباتها بعده وعن رفيقاتنا البنات اللواتي لا يمشين الا للموضة واحوالها وعن شبان هذا الزمان وما لاحظته من بعضهم في المجتمعات الاعتيادية والعمومية وعن خطيب فريدة وزوج سلمى واخي ليا ٠٠٠ وغير ذلك مما اضرب الآن صفحاً عن ذكره من احوال حالتنا الحاضرة التي تعرفين افكاري بشانها ٠ فهل يليق ان تُنشر اقوال كهذه الاقوال عن لسان ابنة ٠ وحياتك انني منذ الآن اذوب خجلاً لدى ذكري ذلك ٠ فعجلي وطمني بالي فانني منتظرة جوابك

« صديقتك كليمه »

« من الاسكندرية الى المحدث في لبنان

« صديقتي كليه

« قرات كتابك وقد كنت اتوقع حدوث هذا الامر . لانني منذ مدة سمعتُ بان الجامعة علمتْ بوجود مراسلات عديدة تدور بين بعض من فتيات مصر وسوريا فسمت في السر للحصول على كتاب منها ولما حصلتْ عليه واطلعت على موضوعه رامت الحصول على جميع تلك المراسلات . فمهدت في السر الى اخي اديب ان يدبر لها هذه المسالة فجاء اخي وسالني عنها ولم اكن اعرف قصده فاعترفتُ له باننا نحن عدة من البنات درسنا في مدرسة واحدة وقد الفنا من بعضنا جمعية في داخل مصر وخارجها لنكتب الى بعضنا البعض ما نستحسنه وما نستهجنه من الاشياء التي نشاهدها والاشخاص التي نعرفها فضلاً عن وصف الاماكن التي نعيش فيها . وغرضنا من ذلك ممارسة الكتابة وقطع الوقت في شيء فيه فائدة . فقال اخي وهل يرضي رفيقاتك بنشر ما تعين في كتابته . فاجفلتُ عند هذا السوال وقلت له لا لا . فقال سنرى . ثم اتفق انه سافر الى القاهرة و بعد عودته منها اخبرني انه اقنع صديقتنا المدموازل سليمه بتسليمه كل الرسائل التي لديها منكِ ومني ومن رفيقاتنا وقد دفعتها اليه بحجة انه يطلبها من قبلي . فلا تستائي ياعزيزتي فان ما جرى قد جرى وقد صرنا في عصر لا نستطيع فيه ان نردّ الصحافيين طلباً . ومع ذلك فان الجامعة ابتاعت تلك الرسائل بمبلغ غير قليل ووُهب هذا المبلغ الى احدى الجميات الخيرية وهذا يسلينا قليلاً

غير انني لم افهم السبب الذي من اجله اظهرتِ ذلك الاستياء العظيم . فان كان ذلك خوفاً من ظهور اسمك فقد تعهدت المجلة بان تكتم اسماءنا كلنا وتدل عليها باسماء تستعيرها . وان كان ذلك خوفاً من نشر افكارك فالوم عليك لانه يجب ان لا تكتبي شيئاً تخجلين من نشره . ومع ذلك فقد ابلغتني المجلة ايضاً انها تضمن لنا انه لا يطلع احد من الرجال على رسائلنا لانها ستكتب فوقها « لا يجوز ان يقراها الا القارئات » ولا يخفى عليك ان حضرات الرجال حريصون على مراعاة كل نظام ... وفضلاً عن هذا وهذا فانني اظن ان قلمك اللطيف لا يخط شيئاً يُخجل منه

وقد كتبتُ اخيرًا الى صديقتنا سليمه فاجابتني انها كتبت اليك ايضا . واختم جوابي هذا بتقبيل وجناتك « صديقتك تبريزه »

حاشية . اخبركِ ان الجامعة لا تبدأ بنشر الرسائل الا في الجزء السابع

« من مصر القاهرة الى المحدث

« عزيزتي كليمه

« اظنك تبكين متى علمتِ ان رسائلنا ستنتشر بين الناس وتتناولها الايدي في كل مكان في مصر والشام واميركا واقاصي الكرة الارضية واما انا فان ذلك يضحكني و يسرني لانني اخجل بتلك الرسائل الجميلة التي تعبنا فيها ان تبقى مطوية في خزائننا. وانما اخبرك انني ابقيتُ لديَّ كتابين منك لانني لا اريد اخراجهما من يدي الا بعد استئذانك . (هنا تضحكين وتقولين لماذا لم استاذنك في الباقي ولكن ما عليش على راي اخواننا المصريين) وانتِ تعرفين هذين الكتابين فهل امزقهما ام اضمهما الى الكتب الاخرى . واما الرسائل التي خرجت من يدي فهذا عددها — ١٠ كتب منكِ و٥ من صديقتنا تبريزه في الاسكندرية و١٠ مني كنتُ ارسلتها الى صديقاتنا و١٠ من صديقتنا خديجه في القاهرة ايضاً و٥ من ليا في يافا و١٠ من ايفا في بيروت و٥ من دلال في اللاذقية و٥ من عليا في دمشق الشام و٥ من اميرة في مرسين و٨ من نبيهة في طرابلس و٣ من صديقتنا التركية عصمت في اضاليا و٥ من ادال في القدس و٣ من الاستانة و٥ من البرازيل و٤ من الولايات المتحدة . ولكني لا اكتم عنك ان هذه المجموعة تكون ناقصة اذا لم تُضم اليها رسائل صديقاتنا في البلاد الاخرى وقد عُهد اليَّ استحضارها فكتبت الى رفيقاتنا اسالهن نسخها

هذا واذا كنتِ مستاءة الآن فان صدرك سينشرح حين نشر هذه الرسائل التي هي عبارة عن نفوس لطيفة ذائبة فيها كما يذوب السكر في الماء . وفي الختام اقبل وجناتك

« صديقتك سليمه »

حاشية . الراجح ان المجلة لا تبدأ بنشر الرسائل الا في الجزء السابع. وستكون متسلسلة في اجزاء كثيرة فهيئي نفسك لقراءتها

تلغراف من المحدث عن طريق طرابلس الشام الى مصر القاهرة

المدموازل سليمه

احرقي الكتابين حالاً . سامحك الله على عملك

« كليمه »

الماسونية وغرضها

(ملزمة الرواية في هذا الجزء الصفحة ٧١و٧٦)

كان الناس يستغربون سكوت الجمعيات الماسونية عن حرب الترنسفال أشد استغراب لان شعار هذه الجمعيات « الاخاء والحرية والمساواة » فلم يلبث محفل الشرق الكبير في باريز ان نشر منشورًا ينكر فيه هذه الحرب ويظهر ميله الى البوير . ومما قاله في منشوره ان مصارعة انكلترا والترنسفال تذكر الناس بمصارعة جليات وداوود . ثم سال المسيحيين في العالم الجديد والقديم على سبيل التعجيز : ما رايهم في الحرب ولماذا لا يتوسطون لايقافها

وقد حذا محفل سويسرا الكبير حذو محفل الشرق الباريزي فاذاع منشورًا على الماسونيين في كل اقطار الارض مآله الاحتجاج على هذه الحرب وعلى الفظائع التي حدثت فيها من احراق المزارع وحصر النساء والاولاد في ملاجىء موبؤة . فردّ محفل لندن على محفل سويسره بناء على امر جلالة الملك ادوار نفسه فقال ان قواد الانكليز لا يالون جهدًا في الرفق بالبوير اما ملاجىء النساء والاولاد فقد اقيمت للعناية بهم وقد سال الانكليز القائدين دي ويت وبوتا اذا كانا يرومان اعانة نساء البوير واولادهم ليطلقوا سراحهم فرفضا الاهتمام بهذا الامر . وغني عن البيان ان جلالة الملك ادوار لم يهتم بشكوى الماسونيين ولم يسع باقناعهم ببراءة جيشه الا لاحترامه آراءهم لانه كان رئيس المحافل الماسونية الانكليزية قبل ارتقائه الى العرش الانكليزي

ويرى القراء في ملزمة الرواية في هذا الجزء (الصفحة ٧١و٧٦) كلامًا مسهبًا عن الماسونية واجتماعاتها وطريقة دخول الاعضاء فيها وتفسير الكلمات الثلاث التي اتخذتها شعارًا لها وهي « الحرية والاخاء والمساواة » . وقد نقلنا ذلك عن اسكندر دوماس كما كتبه دون تصرف فيه ولذلك نترك عهدته اليه . ولا يعرف القارىء حين تلاوته تلك الاقوال اذا كان مؤلفها يكتب ما يكتبه مستحسنًا او مستهجنًا

اما الكونت كاليوسترو الذي يرئس الجلسة في ذلك الاحتفال ويلقي تلك الخطب الثلاث ليفسر كلمات الماسونية فهو رجل غريب الاطوار كما تقدم وصفه . وقد كان له في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر شان عظيم . وقد اختلفت الاقوال في نشأته . على انه

كان يزعم انه ولد في مالطة او في المدينة وانه ساح في تركيا والنمسا وجزائر الارخبيل وآسيا وافريقيا فلم يترك بقعة من الارض حتى داسها وعرف اخلاق سكانها · وكان يزعم معرفة الغيب ويدعي انه اكتشف سر تحويل المعادن الى ذهب ولذلك كان ينثر الذهب نثرًا في البلاد التي كان يسوح فيها · وقد عظمت شهرته في آخر ايامه وخشيه الناس حتى العظماء وخصوصاً النساء فانهن كنَّ يحسبنه الهاً لشدة تسلطه عليهن وخوفهن من افشائه اسرارهن · وكان يقول انه يجعل كل فتاة عذراء تقرأ المستقبل من نظرها الى زجاجة ماء يريها اياها · وقد كان صديقاً حميماً للكردينال روهان الذي كان يثق بقوته ومن اجل ذلك اتهم بمسألة « عقد الملكة » كما فصلنا ذلك في ما تقدم وحُكم عليه بالسجن ثم بالنفي من فرنسا · وكانت الملكة ماري انطوانت تخشى شره وتريد بُعده · واكثر المحققين على ان هذا الرجل مشعوذ كبير يتلاعب بعقول الناس ويدجل عليهم · اما دياس فانه يجعله رجلاً قويًا كما ترى في هذا الفصل والفصول الغريبة التي تتلوه واحياناً يسميه نابغة من نوابغ الزمان · وقد كان كاليوسترو يتاجر بالماسونية اي انه كان يتخذها لقضاء اغراضه · ولما كان يقول عن الملوك « اننا نسقطهم » فقد كان يعني بقوله هذا نفسه والماسونيين رفاقه · وقد انشاء في باريز في حوالى سنة ١٧٨٤ لوجاً ماسونيًا سماه « اللوج المصري » وجعل فيه لقب « القبطي العظيم » مكان لقب « المحترم » ثم انشأ لوجاً آخر سماه لوج « ايزيس » كان خاصاً بالنساء وكان في جملة الداخلات فيه مدام جنليس والكونتة بريين ومدام شرلوت دي بولينياك من عائلة بولينياك الشهيرة وغيرهن · وكان اللوج المصري تحت رعاية الدوق دي لكسمبورج · وليرابو رسائل يصف فيها اخلاق هذا الرجل وقد الف كثيرون كتباً في هذا الموضوع ايضاً

الاحباش والاقباط

سبب اتباع الحبشة الاقباط · يد الحبشة عند المسلمين الاولين · كتاب منليك الى بطريرك الاقباط · تمدن الاقباط القديم والحديث · اورمة نابوليون القبطية في مصر

نشرنا في الجزء السادس عشر من السنة الاولى تاريخ نشأة الحبشة وترجمة النجاشي منليك واخبار حروبه وتغلبه على نجل الملك يوحنا (الراس منغاشيا) الذي كان عرش الحبشة من حقه واخلاق الاحباش وعاداتهم ودياناتهم وغير ذلك مما تحسن مراجعته قبل



﴿ النجاشي منليك سلطان الحبشة ﴾

مطالعة الفصل التالي . وقد رأينا كتابة هذا الفصل بمناسبة قدوم سيادة الانبا متاؤس رئيس اساقفة الحبشة الى مصر لزيارة وطنه الذي فارقه منذ اكثر من ٢٠ عاماً فنقول

﴿ المسيحية في الحبشة وسبب اتباعها للاقباط ﴾ دخلت المسيحية الى الحبشة في القرن الرابع بعد المسيح . وذلك ان شابين سوريين من شواطىء فينيقيه كانا مسافرين في البحر الاحمر في عام ٣٣٠ بعد الميلاد فغرقت بهما السفينة فنزلا في افريقيا في شاطىء الحبشة . وكان احدهما يُدعى « فرومنس » والثاني « اديسيوس » وكانا مسيحيين . فلما مثلا لدى ملك الحبشة في بلاطه في أكسوم اطلعاه على الديانة المسيحية فمال اليها الملك واعتنقها هو وشعبه . وكان هذان الشابان عالمين بوجود كرسي بطريركي في الاسكندرية وكان البطريرك يومئذ يُدعى اثناسيوس فنزل فرومنس الى الاسكندرية وطلب من البطريرك اثناسيوس ان يجعله مطراناً للحبشة فرضي البطريرك بذلك وهذا سبب اتباع الاحباش الكرسي القبطي الاسكندري . ثم نبغ في الحبشة عدة وعاظ وزهاد يسميهم الاحباش « قديسين » وسيف جملتهم اراغاوي وغريه وسهاما وليكانوس وكوبها وتكلاها يمانوت وهو اشهرهم جميعاً . وقد اصلح هذا الرجل الاديار الحبشية وخالط كل رهبانها وكهنتها فثبت له ان الحبشي غير اهل لادارة شؤونه الدينية ولذلك قضى بوجوب جعل رئيس الكهنة في الحبشة من الاقباط لا من الاحباش . ولا يزالون على هذه العادة الى هذه الايام . وهم يسمون هذا الرئيس « ابونا » وهو اليوم سيادة الانبا متاوءوس الذي سبق ذكره وهو قبطي كما تقدم . فشان اخواننا الاقباط في الحبشة شان اليونان في كرسي انطاكية الارثوذكسي قبل خروجهم منه

وللحبشة مأثرة جليلة في التاريخ الاسلامي وهي حمايتها المسلمين الاولين الذين هاجروا



﴿ دير في الحبشة ﴾

من مكة اليها فرارًا من الاضطهاد قبل غلبة الاسلام . وقد حفظ المسلمون لهم هذا الجميل فلم يغزوا بلادهم ولم يتحرشوا بهم قبل امتداد سلطتهم الى افريقيا. ولكنهم لما تاخموهم في افريقيا احتكت مصالح الفريقين فقام المسلمون عليهم فلجات الحبشة في القرن السادس عشر الى البورتغال وكانت دولة كبيرة فانفذ اليها البورتغاليون عدة من الاباء اليسوعيين لربط الكنيسة الحبشية بكنيسة رومه فلم يفلح سعيهم ثم دخل اليها الانجيليون فالقى الامبراطور ثيودورس القبض عليهم وسجنهم مع السفير الانكليزي. فثار خاطر انكلترا عليه وحاربته في سنة ١٨٦٨ . ومن ذلك يظهر ان الاحباش قوم شديدو التمسك بتقاليدهم

﴿ الاسلام في الحبشة ﴾ اما ما تقدم ذكره من صنع الحبشة مع المسلمين في بدء ظهور الاسلام فاليك تفصيله نقلاً عن مؤرخي العرب



﴿ قرية حبشية على نهر ﴾

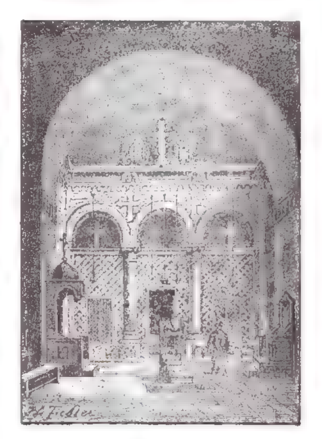
لما ذاق المسلمون الاولون من قريش عذاب الاضطهاد في مكة هاجروا منها الى الحبشة وبقي صاحب الشريعة الاسلامية في مكة يدعو الى الاسلام سرًّا وجهرًا . فكانت اول هجرة في الاسلام . وكان عدد المهاجرين « تمام عشرة رجال — وقيل احد عشر رجلاً واربع نسوة وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من اظهار الدعوة » فاقاموا في الحبشة شعبان ورمضان ولما كان شهر شوال بلغهم ان قريشاً قد آمنت ودخلت في الاسلام فعادوا الى مكة ولكنهم لما قربوا منها سمعوا ان اسلام قريش باطل فعاد بعضهم الى الحبشة ودخل بعضهم مستخفين او بجوار . ثم تتابع المسلمون الى الحبشة حتى بلغ عددهم فيها ٨٢ رجلاً . فالظاهر ان قريشاً خافت استفحال امرهم واطمئنانهم هناك فبعثت الى النجاشي عمرو بن العاص (فاتح مصر) وعبد الله ابن ابي امية ومعهما هدية اليه والى اعيان قومه . ولما وصل الرسولان الى الحبشة اختليا ببعض من الاعيان وقالا لهم « ان ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك (اي النجاشي) وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد ارسلنا اشراف قومنا الى الملك ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يرسلهم معنا » فوعدهما الاحباش خيرًا . ثم انهما حضرا عند النجاشي وطلبا منه ذلك الطلب فاشارت عليه حاشيته برد المسلمين الى قومهم . فدعا النجاشي المسلمين اللاجئين وسألهم عن دينهم فاجابه عنهم جعفر بن ابي طالب بهذا الكلام الجليل « ايها الملك كنا اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام



﴿ غبطة البطريرك كيرلس بطريرك الاقباط المحترم ﴾

ونسيء الجوار و ياكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وان لا نشرك به شيئًا ونخلع ما كنا نعبد من الاصنام وامر بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وامرنا بالصلاة والصيام فآمنا به وصدقناه فتعدى علينا قومنا وعذبونا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك » فقال النجاشي « هل معكم مما جاء به عن الله شيء » فقال « نعم ثم قرأ عليه اسطرًا من كهيعص فقال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة . انطلقا والله لا اسلمهم اليكما ابدًا »

وغير بعيد ان يكون في هذا الحديث زيادة او نقصان من حيث التاريخ ولكن لا شبهة في ان روحه تدل على صحة اصله



﴿ داخل كنيسة الاقباط في القاهرة ﴾

وقد كنا نتمنى ان تلك المبادىء الشريفة المبنية على حماية حرية الفكر والتساهل تبقى محفوظة في الحبشة لان الكتاب يروون عن سوء معاملة الاحباش في بلادهم لمن لم يكن على مذهبهم ولا سيما المسلمين روايات غريبة يصعب تصديقها

﴿ مقدم سيادة الانبا متاؤوس وكتاب من منليك ﴾ اما مقدم سيادة الانبا متاؤوس رئيس اساقفة الحبشة الى مصر فقد احتفلت به الامة القبطية الكريمة احتفالاً

عظيمًا نادر المثال . وقد جاء سيادته يحمل عدة اوسمة من جلالة النجاشي الى سمو الجناب الخديوي وغبطة بطريرك الاقباط وعطوفة رئيس النظار وصاحبي السعادة ناظر الخارجية وقليني باشا فهمي وغيرهم من اكابر المصريين . وكتابًا من خط النجاشي باللغة الحبشية الى غبطة البطريرك المحترم هذه ترجمته

غلب الاسد الخارج من سبط يهوذا

« من منليك الثاني الذي صار بنعمة الله ملك ملوك الحبشة الى السيد الطوباني الكلي القداسة والاحترام الذي دعي لتعليم الانجيل المقدس . عامود الدين الثابت الذي لا يتزعزع . الكنز المختار الذي لا يسلبه لص . النور الذي يضيء في الظلام . الجالس على كرسي مارى مرقص الانجيلي باستحقاق . الكامل في رهبنته . الثابت في ايمانه . عبد ورسول يسوع المسيح . الاب الاقدس انبا كيرلس رئيس اساقفة الاسكندرية والحبشة وكل جهاتها دامت رئاسته علينا امين

« ايها السيد الجليل والحبر العظيم — انا منليك الثاني الذي جعلني الله ملك ملوك الحبشة اسجد تحت موطىء قدميك واطلب بركتك الشاملة جميع الخليقة واني بحمد الله في خير وعافية بنعمة الرب يسوع المسيح وطهارة السيدة مريم العذراء . ثم اعرض لمقامك السامي ان قداسة ابينا السيد الطوباني الانبا متاوءوس راعي نفوس شعب الحبشة المبارك طلب مني اكثر من مرة الترخيص لجنابه بالنزول الى مصر لزيارة غبطتكم وحضرات الاباء المطارنة والاساقفة ورؤساء الاديرة القبطية وباقي الشعب القبطي الارثوذكسي المحبوب . وغير خاف على شريف علمك المنيف ان تقاليدنا القديمة وعوائدنا الخصوصية لا تساعد على التسليم لرئيس احبار الحبشة بمبارحتها ولكن بالنظر لما لقداسة الانبا متاوءوس عندنا من المكانة السامية وحبًا في حصوله على نعمة مشاهدة ذاتكم الكريمة قد التزمت ان اجيب سيادته الى ما طلب وكلفته بان ينوب عني في الاعراب لقداستكم عما يكنه ضميري من الميل الزائد لمشاهدة طلعتكم المنيرة ومحبتي الخالصة لابويتكم الفخيمة وباقي حضرات الرؤساء المكرمين وسائر اولادكم الاعزاء المباركين . واملي ان يعود الينا جنابه قريبًا حاملاً البركات الرسولية الينا من قبل قداستكم . وفي الختام التمس من غبطتكم ان تمدونا دائمًا بصلواتكم الطاهرة لكي يعمنا الرب القدوس نحن واهل بيتنا الملوكي وقوادنا وجيوشنا وسائر افراد رعايانا الامناء برعايته العلوية وبركاته السماوية امين

« كـتب في مدينة الزهرة الجديدة (اديس ابابا) في ٢٥ هدار (هاتور) سنة ١٨٩٤ ميلادية حبشية الموافقة سنة ١٩٠١ غربية »

هذه رسالة منليك . ومنها يظهر سمو مقام غبطة البطريرك لدى دولة الاحباش التي هي الدولة الافريقية الوحيدة التي تحفظ استقلالها في افريقيا لاعتبار التاريخ ان مراكش ماكولة لا محالة . واذا تمّ خروج الحبشة من حالة البداوة الى الحضارة التامة وصارت دولة عظيمة في افريقيا فان مقام البطريركية القبطية يصير مزدحماً للدول ذات المصالح فيها . ولا غرو ان يتمّ هذا الامر فان الامة القبطية القديمة انتبهت من سباتها منذ زمن ونهضت نهضة يحق لها ان تفتخر بها . واذا استمرت في سبيل التقدم فانها ستعيد قديم مجدها

هذا و بعد كـتابة ما تقدم عثرنا على رسم صغير فوجدنا من الفائدة والفكاهة ان نجعله تتمة لهذا الفصل . وذلك ان نابوليون الاول لما قدم بجيشه الى مصر احتاج الى جندوطني فانشاء القائد كليبر احد قواده اورطة من الاقباط . وكان عدد هذه الاورطة ٦٠٠ رجل من خيار الرجال الاشداء . وقد جعل كليبر لباسهم كلباس الجنود الفرنسوية وذكرهم بالثناء غير مرة . واليك رسم احدهم في هذا الفصل . وربما اتينا في فصل آخر على ما يهم الاطلاع عليه من تاريخ الامة القبطية والحوادث

﴿ جندي قبطي ﴾

التاريخية الدينية الكبرى التي حدثت بينها و بين كرسي القسطنطينية وكرسي رومه مما له اشد علاقة بتاريخ مصر الحديث

الميكروب سبب شيب الشعر

نشر العالم متشنيكوف المشهور مقالة بشان شيب الشعر كان لها وقع شديد في نوادي العلم . فقد قال انه تحقق من تجارب عديدة ان سبب شيب شعر الانسان هو صعود ميكروب خصوصي من جلد الراس الى الشعرة واكله كل ما فيها من الداخل حتى يجوفها فتبقى جوفها صارت بيضاء . واحياناً يصاب الانسان بخوف عظيم او حزن عظيم فيشيب راسه في ليلة واحدة وسبب ذلك هياج دمه الى حد تثور عنده كل ميكروبات الشعر من مكامنها فتخرج الى الشعر وتجوفه في ليلة واحدة . ثم قال انه اذا تمكن من قتل هذا الميكروب استطاع منع الشيب على الاطلاق ولو بلغ الانسان مائة سنة . وهي بشرى للذين يصبغون شعورهم وخبر سيء للذين يحبون جلال الشيب في الشيوخ

باب تدبير الصحة

راديكا ودوديكا

توأمان هنديان وعملية فصلهما في هذا الشهر



في باريز ملهى مشهور يسمونه ملهى « بارنوم » يعرضون فيه على الناس كثيرًا من غرائب المخلوقات . ففيه امرأة بلحية طويلة كلحى الرجال ورجل هندي من مخلفات المجاعة في الهند ليس فيه لحم ودم تقريبًا بل هو عبارة عن هيكل من عظام . وفي جملة هذه الغرائب فتاتان صغيرتان بالغتان من العمر ثمانية اعوام واصلهما من الهند واسم الواحدة « راديكا » والثانية « دوديكا » وهما ملتصقتان من جهة الصدر اتصالاً خلقيًا كما ترى في الرسم

ولتمام نحس هاتين الفتاتين المسكينتين اصيبتا بداء السل لسوء معيشتهما واشتد هذا

الداء على « دوديكا » حتى خيف من وفاتها ووفاة أختها معها . ولذلك رأى الدكتور « دوين » في باريز ان يفصلها الواحده عن الاخرى بعملية جراحية

وقد قصّ الدكتور دوين في الجرائد تفصيل هذه العملية الغريبة فقال: انه عمل هذه العملية في ٢٠ دقيقة وكان يساعده واحد من الجراحين . اما الدم الذي جرى من الجرح في اثناء العمل فانه لا يتجاوز ٢٠ او ٣٠ غراماً . ولم يربط ربطاً صناعياً لكل واحدة من الاختين سوى شريانين عند العملية . ذلك لان الاتصال بين الاختين كان على طريق الجلد والانسجة التي تحته دون الاعضاء الداخلية . ولما تم الانفصال وحملت كل واحدة الى مائدة انتبهت الاختان معاً وقالتا « اشعر بالم في صدري » ثم اردفتا بدهشة « آه لقد فصلونا » . وكان نبض راديكا في تلك الساعة ٤٨ نبضة في الدقيقة ونبض دوديكا ١١٦ نبضة . اما نبضها قبل العملية فقد كان ٩٠ لرديكا و١٣٠ لدوديكا . وكانت حرارتها قبل العملية ٣٧ و٥ لراديكا و٣٩ لدوديكا . واما حرارتهما بعد العملية فقد كانت ٣٧ و٢ للاثنتين . ولما استراحتا في المساء طلبتا لعبتهما . وجاءهما القزم الذي كان رفيقهما في ملهى بارنوم فاضحكهما بنكاته . وبالجملة فان كل شيء يدل على نجاح هذه العملية الغريبة وقد وردت الجرائد الاخيرة تخبر عن سلامة الاختين . فاذا تحققت نجاتهما من خطر الفصل وجب ان يصرف الدكتور دوين اهتمامه الى انقاذها من خطر السل ايضاً

ولقد طيرت هذه العملية اسم الدكتور « دوين » في جميع اقطار العالم وانصبت عليه الاقلام والالسنة الباريزية تداعبه مداعبة لطيفة . ومن ذلك ما كتبه بعضهم اذ قال : « كانت فلانة في قاعة فلانة فقالت ان المسيو الفريد ومدام الفريد زوجان متحابان متفقان كانهما جسد واحد . فاجابتها فلانة : ابعثوهما اذاً الى الدكتور دوين لفصلهما في الحال »

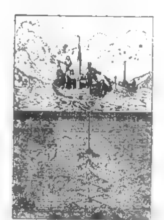
﴿ جمال وجوه السيدات ﴾

ازالة الغضون اي التجعيد

وصف احد الاطباء الانكليز لازالة الغضون من وجه الحسناء التي دخل جمالها في الكهولة الوصفة الآتية : ثلاثة غرامات ونصف من زيت اللوز الحلو و٧ غرامات من دهن الكوكاو و٥٦ غراماً من اللانولين و٣ غرامات ونصف من الغليسرين و٣ نقط من روح الورد تمزج معاً ويدهن الوجه من هذا المزيج في كل ليلة قبل النوم فيكسبه جمالاً ويمحو الغضون منه

باب الاخبار العلميّة

المرجان وصيده



﴿ زورق يصطاد المرجان في البحر الاحمر ﴾

ذكرت الجرائد المحلية ان الجناب الخديوي انفذ الى بعض الجزر في البحر الاحمر احد العارفين بالحجارة الثمينة كالزبرجد واللؤلؤ والمرجان ليستعلم عن وجود هذه الحجارة في تلك الجزر . وبهذه المناسبة نذكر شيئاً عن المرجان ووظيفته وصيده فنقول

للمرجان — هذه الحبوب الثمينة التي يتخذ منها اكابر المسلمين مسابح والتي يتخذها بعض النساء عقوداً وتدخل في كثير من شؤون الزينة النسائية — شان عظيم في العلم . وربما دهش النساء والرجال اذا قيل لهم انها من اصل بحري وانها بيوت حيوان صغير يبنيها ليعيش فيها في قعر البحر وعلى سطحه . واحياناً تتالف منها شجيرات طول الواحدة شبر او قدم فتكون في قعر البحر عبارة عن حرش صغير

اما سبب اشتهار المرجان في عالم العلم فهو راجع الى تكون كثير من الجزائر في الاوقيانوس بسبب هذا الحيوان المرجاني . ولذلك يسمونه جزائر المرجان . وطريقة ذلك ان هذا

الحيوان يتراكم بعضه على بعض و يبني بيوته المرجانية على تتابع السنوات والقرون و يستمر في هذا البناء بعضه على انقاض بعض حتى يبلغ سطح البحر فتتراكم عليه مقذوفات البحر من المواد التي يحملها ماؤه فيزداد البناء علوّاً حتى يعلو الماء فيموت المرجان الذي في الوسط ولا يبقى حياً الا المرجان الذي في الاطراف . ثم يقذف البحر اليه ما يكون قد حمله من الجذور والحجارة البركانية الخفيفة وذرات التراب فتتكون فوق البناء جزيرة صالحة التربة . فتاتي الطيور وتقع عليها وتاتي برازها فيها . والغالب انه يكون في هذا البراز حبوب من حبوب النبات والاثمار او ان بعض هذه الحبوب تصل الى تلك التربة محمولة على ماء البحر فتنبت فيها . وهكذا تصير هذه الجهة التي لم يكن فيها من قبل غير الماء المائج المتلاطم ارضاً غناء فيها النبات والاشجار وعليها صنوف الاطيار تزقزق على نغم الامواج مسبحة الخالق الحكيم الذي هيأ لها ذلك الناموس العظيم

وهذا الحيوان المرجاني يعيش على الشواطىء ايضاً وينشىء حلقات من الصخور خارجية وداخلية مما يطول شرحه . وهو انواع منها الاسود والاحمر والابيض وغير ذلك

اما صيده فله طريقتان . الاولى ان يغوص الصياد عليه الى قعر البحر و يقتلع اشجاره منه . او ان يطرح في البحر شبكة خصوصية اذا كان القعر قريباً ويجرها فوقه فيخرجها . وقد وضعنا في هذا الفصل رسم زورق يصطاد المرجان في احدى الجزر في البحر الاحمر بالطريقة الثانية

اللورد كتشنر عالم ارشيولوجي

كثيرون يجهلون ان اللورد كتشنر كان في بدء حياته عالماً ارشيولوجياً . وقد روى ذلك العالم الفرنسوي المسيو كليرمون كانو فقال : لم اعرف اللورد كتشنر في اثناء حرب السبعين كما ظن بعضهم لانه كان في سنة ١٨٧٠ في مدرسة وولويش العسكرية . وفي اثناء هذه الحرب لم نشعر الا وقد قدم كتشنر بغتة من هذه المدرسة وتطوع بين جنودنا في جيش شانزي لمحاربة الالمان وشهد معركة اللوار . وانما عرفتُ اللورد كتشنر في فلسطين في عام ١٨٧٤ وكان قد سافر اليها ليرسم خريطة لتلك البلاد بناء على طلب جمعية فلسطين . وقد تصادقنا هناك واعجبني منه بشاشته ومنظر جسمه القوي . وبعد ان رسم كتشنر خريطته صرف همه الى فحص آثار الجوامع والمعابد الاسرائيلية في فلسطين وكان مولعاً بهذا الدرس . ولما عاد الى لندن كتب اليَّ ليطلعني على كتابات قديمة وجدها في بعض المدافن

في صور و بعث الي نسختها واليك كتابه فانني ما زلت احفظه

قال راوي هذا الخبر : لقد كان بلد الورد كتشنر في بدء حياته ان يعيش بين خرابات اورشليم والناصرة و بيت لحم . وها هو الآن يعيش ايضاً بين خرابات مدن في الترنسفال تدعى اورشليم والناصرة وبيت لحم . ولكن الفرق بين الخرابين ان الاول لا يد للورد كتشنر فيه واما الثاني فهو الذي احدثه

باب التقريظ والانتقاد

﴿ ملاحظة اخرى لاحد القراء على الهلال ﴾

هل تولى العرب دمشق الشام ام لا

كتب الينا من العاصمة القارىء الذي تكلم على غلاف الجزء الماضي عن رصيفنا الهلال الاديب النزيه المحترم يقول مرة ثانية

« قال حضرة عزتلو رفيق بك العظم عن علاقة العرب بدمشق الشام في الصفحة ٦٥ من كتابه « اشهر مشاهير الاسلام » الذي قرظته الجرائد العربية مانصه « والظاهر ان دمشق نفسها كانت عربية يومئذ بدليل انها كانت تحت « الحرث » الغساني احد ملوك بني غسان » فانتقد الهلال هذا الكتاب في ثلاث صفحات في الجزء السابع من اجزاء هذه السنة ولم يجد في كل بحثه مجالاً للانتقاد سوى هذه العبارة « لم نقرأ ان احداً من ملوك غسان اقام في دمشق او تولى حكومتها وانما كان حكامها من قواد الرومان » الجزء ٧ السنة ١٠ الصفحة ٢٢٥ السطر الاخير

« فيؤخذ من ذلك ان العرب لم يتولوا قط دمشق الشام

ولكن الهلال بحث في الجزء التاسع في نقود العرب قبل الاسلام فقال في الصفحة ٢٧٨ السطر ٥ (كانوا يريدون « بالحارث » اي ملك من ملوك عرب الشام على عهد الدولة الرومانية . وفي رواية يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي الشهير ان ملكاً عربياً اسمه « الحارث » عبيدة كان معاصراً للملك اسكندريانوس في القرن الاول قبل الميلاد وانه تغلب على انطيوخوس ديونسيوس ملك سوريا « وتولى دمشق »)

« وهذا كلام صريح يثبت ان العرب تولوا دمشق . فايهما نصدق : القول الاول ام القول الثاني ؟ ؟ ام اننا لا نصدق هذا ولا ذاك بل نعتبر الهلال كالمترجمين الذين ينقلون اليوم ما يكون مخالفاً لما نقلوه امس ثم انهم يزيدون ذنبهم لدى العقلاء بكتابتهم للبسطاء انهم يؤلفون لا يترجمون ... » انتهى بحروفه

نقول اما مسالة الخلاف على دمشق فربما عدنا اليها في فرصة اخرى للالمام بشيء من تاريخ تلك المدينة العظمى

﴿ الاخبار ﴾ الاخبار جريدة يومية لصاحبها جناب صديقنا الكاتب الفاضل الشيخ يوسف الخازن . وكل من اطلع على عدد من اعدادها عرف تفنن جناب صاحبها ومساعديه في تحريرها ومقدرتهم على استمالة القراء . فان فصولها ومقالاتها واخبارها مختصرة شاملة لكل موضوع ومكتوبة باسلوب رشيق يلذ للمطالعين فضلاً عن الفكاهات التي يتفكه بها قارئها . فلا ريب ان صاحب الاخبار قد سدّ بجريدته هذه فراغاً في الصحافة اليومية بالنظر الى عامة القراء في هذه البلاد ولذلك راينا راي العيان يقبلون على قراءتها . فعسى ان تحلّ الاخبار في الصحافة العربية محلّ جريدة البتي جورنال في الصحافة الفرنسوية . اما قيمة اشتراك هذه الجريدة اليومية فهي ٦٠ غرشاً صاغاً فقط في القاهرة وتضاف اليها في الخارج اجرة البريد

﴿ الطب الحديث ﴾ الطب الحديث مجلة طبية لجناب منشئها الفاضل الدكتور عيد صاحب مجلة طبيب العائلة وهي مختصة بالشؤون الطبية ولذلك تهم جميع الاطباء . ومن مزاياها انه يشترك في انشائها ومراسلتها نخبة من اطباء مصر فنتمنى لرصيفتنا الانتشار فانه ليس بكثير على مصر وسوريا ان يكون فيها مجلتان طبيتان يعول عليهما الاطباء وهما مجلة الطبيب في بيروت والطب الحديث في القاهرة

﴿ الاستقلال ﴾ وكما ان الاطباء حصلوا على مجلة جديدة فان المحامين حصلوا على واحدة ايضاً . وهي « مجلة الاستقلال » لجناب منشئها الفاضل نجيب افندي شقرا المحامي . وهذه المجلة شهرية تصدر في اربعين صفحة وقيمة اشتراكها ريال واحد ويشترك في مراسلتها نخبة من افاضل المحامين . وقد تضمن الجزء الاول منها كلام في الصحافة وخطة المجلة ومقالة في تسخير المحامين وبيان لمذاهب الاشتراكيين واخلاق الانسان وكتاب المسؤلية والغرض منه ارشاد الخاصة والعامة الى اجتناب امور شرعية تجلب لهم الضرر

﴿ جمعية الشبيبة المصرية ﴾ تالفت في العاصمة جمعية ادبية عنوانها « جمعية الشبيبة المصرية » وهي بادارة جناب رصيفنا توفيق افندي عزوز صاحب مجلة المفتاح الفراء · وقد انشأت ناديًا لمطالعة الكتب والجرائد ايضا · اكثر الله الجمعيات الادبية في هذا القطر لانها مدرسة يتعلم بها الناس التعاون والاتفاق ومبدأ الادارة

﴿ اعتذار ﴾ لدينا عدة تقاريظ اخرى ضاق عنها هذا الجزء مع اننا زدناه ٢٠ صفحة عن حجمه الاعتيادي · وقد اخرنا تقريظها لنسهب الكلام عنها لانها من الكتب التي لا يجب ان يُشار اليها اشارة فقط · وقد تاخر ايضاً تلخيص رواية ورده الفريدة في بابها فنعتذر الى القراء لاننا حرمناهم في هذا الجزء فوائد هذه الرواية

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

اية لغة نتخذ للعلم والتعليم

﴿ الفصحى ام العامية ﴾

لم تبقَ مجلة ولا جريدة من المجلات والجرائد العربية الا وبحثت في هذا الموضوع الذي فتحت بابه رصيفتانا جريدة المؤيد وجريدة الاجبشن غازيت · ونحن نذكر باختصار لقرائنا تاريخ هذه المسالة ورأينا فيها

وضع جناب المستر ويلمور القاضي الانكليزي في محكمة الاستئناف المختلطة كتابًا انكليزيا في غاية الاهمية اقترح فيه على ابناء اللغة العربية امرين · الاول ان يتخذوا الحروف الافرنجية لكتابة الكلام العربي بدلاً من الحروف العربية وذلك لضبط اللفظ في الكلمات المتشابهة الكتابة المختلفة اللفظ · والثاني استعمال اللغة العامية في الكتابة بدلاً من اللغة

الفصحى . ونجته في هذا الطلب ان الرجل الافرنجي يصرف سنوات في درس اللغة العربية ثم هو لا يفهم اللغة التي يكتب بها كتّابها اليوم ولا اللغة التي يتكلم بها قومها . وفضلاً عن ذلك فان الذين يفهمون لغة الكتابة اليوم من المصريين لا يتجاوزون ١٢ في المئة من السكان واما باقي السكان وهو ٨٨ في المائة فانهم لم يتعلموا لغة الكتابة واذا وجب ان يتعلموها ليدرسوا بها اضطروا الى صرف عدة سنوات في ممارستها . فهل من الواجب وضع هذه العقبات في طريق تعليمهم او تسهيل هذا التعليم لهم لتلقينهم الدروس بلغتهم ؟ ويقول المستر ولمور ان هذه اللغة (العامية) لغة مستقلة عن اللغة العربية وقد جاء عليها وقت كانت فيه لغة باصول وقواعد فاذا جُمعت اصولها وقواعدها صارت لغة سهلة عمومية لجميع افراد الامة خاصتها وعامتها

ولكن الكتّاب قاموا على المستر ويلمور قومة واحدة فنقضوا الراي الذي رآه واظهروا له ان اللغة العامية ليست لغة مستقلة وانما هي تشويه محلي يعتري كل لغة في العالم . وهو ما يسمونه لهجة . واللهجات متفاوتة في كل امة وكل بلد تقريباً فاية لهجة يستعملون . وهل جُنّ ابناء اللغة العربية ليقطعوا باللغة العامية الجديدة الصلة الجليلة التي بينهم وبين اسلافهم من فلاسفة العرب ومؤلفيهم وحكمائهم وعظمائهم

على ان بعضهم يظن ان اقتراح المستر ويلمور فريد في بابه والحقيقة ان هذا الاقتراح موضوع اليوم في مجال البحث في كل بلد تقريباً . ففي كل ممالك العالم المتمدن اليوم فريقان يتنازعان في مسائل التعليم تنازعاً شديداً . وهما يُسميان الفريق القديم والفريق الجديد . فالفريق الجديد يطلب اختصار التعليم اشد اختصار وتسهيله اشد تسهيل وان يُقرن بكل ما يحتاجه المتعلم من الدروس العملية ليحصل رزقه في زحام هذه الحياة ويُنبذ منه كل ما يُثقل دماغ الطالب وذاكرته دون ان يفيده فائدة عاجلة كالاسهاب في الصرف والنحو وآداب اللغة والشعر والهندسة والجبر وغيرها . والفريق القديم يقول ان التعليم مسالة تهذيب وتثقيف لا مسالة تجارة او صناعة . والابتكار والاختراع في العلم لا ينشأن الا عن التضلع من اصول العلوم والفنون والغوص في اعماقها . ولذلك يوجب هذا الفريق درس اعصى العلوم واصعبها ويجعل درس اللغة اللاتينية الزامياً لان هذه اللغة كانت منذ قرنين لغة العلم في اوربا وبها كُتب كثير من اشهر كتب العلم والفلسفة فضلاً عن الكتب التي كتبها موءلفو الرومان

وان قيل اي الفريقين هو المصيب قلنا ان الفريق الثاني مصيب بالنظر الى خاصة

الامة الذين يرومون الانقطاع الى العلم والفريق الاول مصيب بالنظر الى العامة وطالبي الرزق . والظاهر ان المستر ويلمور هو من هذا الفريق الذي يبغي التسهيل

ولكن المستر ويلمور لا يعلم على ما يظهر ان للتسهيل حدًّا لا يتعداه وان ما حصل في اللغة اللاتينية لا يمكن حدوثه في اللغة العربية لاختلاف النسبة بين اللغتين . فانه لما قام ديكارت وخالف العادة التي جرى عليها علماء عصره من التاليف باللغة اللاتينية وجد لغته الفرنسوية لغة صحيحة فصيحة فيها كثير من كتب الادب . وهذا ما زاد كتبه رواجاً واقبالاً وانساه سخط العلماء عليه من اجل تلك البدعة . ولكن ماذا يجد كاتب اللغة العامية اليوم اذا رام التاليف فيها . أتكفيه لغة الحارة والجارة للتعبير عن اشرف عواطف القلب واسمى خطرات الفكر مع انه يشكو من ضيق لغة ابن رشد نفسها

والحاصل ان المستر ويلمور قد حاول امرًا مستحيلاً . ولا خوف على لغتنا منه ومن امثاله لانهم لا يحاربون فقط اللغة العربية بهذا الاقتراح وانما يحاربون النواميس الطبيعية ايضاً . ذلك ان النواميس الطبيعية ضدهم في هذه المسألة . وان اللغة التي قتلت اللغة الارامية واليونانية في سوريا وفلسطين . واكتسحت لغة المصريين قبل الاسلام . وانتشرت أوسع انتشار في افريقيا . ودخلت في اثر السيف الى اواسط آسيا واوربا . والتي لا تزال تتغلب حتى اليوم على لغات الهند في عهد الاحتلال الانكليزي نفسه — هي لغة نافذة كالسيف فلا تؤثر سطور كتاب انكليزي فيها

ولكن هل يؤخذ من هذا القول انه لا يجب علينا ان ننظر في كتاب المستر ويلمور نظرة اعتبار لنستفيد منه ما يمكن استفادته ؟ لا ريب عندنا ان هنالك فائدة في غاية الاهمية . وقد ضاق المجال في هذا الجزء وسناتي على ذكرها في الجزء التالي فنوجه اليها الانظار مقدماً

﴿ المطران قسطنديوس طرزي ﴾ نعي الينا من المقام البطريركي الانطاكي للروم الارثوذكس في دمشق الشام المأسوف عليه المطران قسطنديوس طرزي . توفاه الله فجأة في ٢٦ يناير بعد سيامته مطرانًا لابرشية ارزروم ببضعة ايام . وقد كان رحمه الله يقول قبل ارتقائه الى درجة الاسقفية كما سمعنا ذلك من بعض اخصائه « يارب ارفع تاج الاسقفية على راسي ثم توفني اليك » يريد بذلك انه قانع بان يصير مطرانًا بضعة ايام ويموت . وقد تم له ذلك باتفاق غريب . فنحن نرفع واجبات التعزية الى مقام غبطة الحبر الجليل البطريرك الانطاكي السيد ملاتيوس المحترم ولآل الفقيد سائلين له الرحمة عداد حسناته ومبراته





﴿ الجزء السابع ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — ذو الحجة ١٣١٩ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

تاريخ فيكتور هيغو

﴿ مقالة تهديها الجامعة الى روحه الكريمة ونفسه العظيمة ﴾

وهي عبارة عن تاريخ فرنسا في قرن كامل يجد فيه القارىء مزيجاً من التاريخ والادب والشعر والفكاهة كانه كتاب مستقل مختصر · وقد عانينا مشقة كتابته بهذا الاسهاب لمناسبة احتفال الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادة هذا الرجل العظيم · وهذه الترجمة اول ترجمة كاملة صحيحة تُنشر في اللغة العربية عن هذا الانسان الذي يجب ان لا يجهله انسان

خطب المسيو برانديس المؤلف الدانمركي في هذا الشهر في باريز فقال : ان ظهور اعاظم الرجال في الارض منحة الهية من السماء · فان هؤلاء الرجال يرقون شأن البشر ويزينون الحياة بما يبتدعونه فيها · واي رجل عاقل لا ينسى برهةً مصائب الحياة ومصاعبها اذا اخذ كتاباً من كتب شكسبير او كوث وصار يطالعه بامعان تحت ظل صفصافة على شاطىء نهر او تحت ظل سنديانة في اعالي الجبال · واذا كان هؤلاء المؤلفون المبتدعون هم بهجة الارض وزينتها فمن مصلحة الحكومات والامم ان يسهلوا لهم سبيل الظهور ويمهدوا امامهم

طريق الحياة لئلا تقتل مصاعبها ما خصتهم به الطبيعة من القوات والقوى· ثم قال ان الحكومات الملكية افضل من الحكومات الجمهورية من هذا القبيل لانها اصلح لنشأة اعاظم الرجال فيها

وليس غرضنا من نشر هذا القول الاشارة الى خطاءه او صوابه وانما غرضنا ان نأخذ منه هذه العبارة : ان اعاظم المؤلفين الذين يستحقون ان يُدعوا كذلك هم بهجة الارض وزينتها في هذه الحياة ولولاهم لما كانت الحياة على هذه القبضة الترابية التي يسمونها كرة ارضية جميلة كما هي الآن · ولذلك ننشر في كل جزء عرف فضائلهم في صدر المجلة

وحسبك لتأييد هذا القول ان تنظر الى رجل واحد احتفلت الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادته · ونريد به فيكتور هيغو الشاعر الفرنسوي المشهور · فان هذا الرجل ملاء الارض شرقاً وغرباً من تاثيره فكانه شمس انارت العالم كله او كانه عالم مفرد انارته شمس المواهب السماوية · ولذلك راينا ان ناتي على ترجمة هذا الشاعر بالاسهاب الواجب لرجل مثله ونهديها الى نفسه الكريمة التي هي الآن حيث كان يلذ لها الارتفاع في اعالي السماء فوق الكواكب والنجوم

***

﴿ تاريخ صباه ﴾ هو فيكتور ماري هيغو ولد في ٢٦ فبراير من عام ١٨٠٢ وتوفي في ٢٢ مايو من عام ١٨٨٥ · وقد قال عن نفسه في احدى قصائده عن القرن التاسع عشر « لما ولدتُ كان عمر هذا القرن سنتين » اما ابوه فهو الجنرال هيغو واما امه فهي صوفيا تريبوشه كريمة احد اصحاب البواخر في نَنت · ومنهم من يزعم ان اباه كان من اسرة قديمة من اللورين نالت رتبة الشرف في عام ١٥٣١ ولذلك كانوا يلقبون اباه « الكونت هيغو » ويلقبونه هو « الفيكونت فيكتور هيغو » · وقد اثبت فيكتور هيغو هذا النسب لنفسه في كتاب عنوانه « ترجمة فيكتور هيغو بقلم احد رفاقه » ولم يكن هذا الرفيق سوى مدام هيغو نفسها التي كتبت هذا الكتاب وزوجها املاه عليها · على ان قوماً آخرين ينكرون هذا الزعم ويقولون ان جدّ فيكتور هيغو كان نجاراً في نَنسي وكان يُدعى « يوسف هيغو »

وقد ولد فيكتور هيغو في مدينة بيزانسون · وكان له اخوان اكبر سناً منه وهما آبل واوجين · ومن غريب امره انه كان شبيهاً بنيوتن من حيث ضعف البنية في صغره · فقد كان هزيل الجسم نحيفاً اصفر اللون ولكنه كان فوق جسمه راس كبير كانّ كل قوته

قد صُرفت اليه وخُزنت فيه . ولذلك كان بعضهم يضحك من ذلك الجسم الصغير والرأس الكبير

عائلة هيغو

وكان هيغو ابو صاحب الترجمة عزيزًا على جوزيف بونابرت شقيق نابوليون وقد تُرقى في جيشه وتحت امرته وكان مضطرًا الى الانتقال من بلد الى بلد طوعًا لنظام خدمته . فلم يقم في بيزانسون سوى بضعة اشهر ثم انتقل الى مرسيليا فكورسيكا فجزيرة الب فجنوه . وكان ارساله الى جنوه في عام ١٨٠٥ فكرهت زوجته ان تصحبه الى تلك الجهات الغريبة فعادت باولادها الى باريز وارسلتهم الى مدرسة في شارع مون بلان . ولكن زوجها لم يلبث ان جُعل حاكمًا لمقاطعة افيلينو في ايطاليا فاستدعى زوجته واولاده لظنه انه القى عصى التسيار في تلك الجهات . فسارت مدام هيغو باولادها الى ايطاليا . غير انه لم يستقر بها المقام حتى جُعل جوزيف بونابرت ملكاً لاسبانيا وكان ذا ميل الى هيغو ابي صاحب الترجمة كما تقدم فاستدعاه اليه . فسار هيغو الاب الى اسبانيا وعادت زوجته باولادها الى باريز فادخلتهم الى مدرسة في شارع سنت جاك انشأها رجل يُدعى المسيو دي لاريفيير وكان قبل الثورة راهبًا فلما شبت نار الثورة تزوج وعمد الى التدريس . وقد زعم بعض مترجمي هيغو ان هذا المعلم هو الذي بث في نفسه من صغر حب الجمهورية حبًا شديدًا ظهر بعدئذ في كتاباته ظهورًا عظيمًا . وكان يومئذٍ عمر هيغو الابن سبع او ثماني سنوات . فاذا صح ذلك الزعم كان اكبر دليل على اهمية التعليم الابتدائي وصدقِ من قال : ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي عام ١٨١١ رُقي ابو هيغو من رتبة كولونيل الى رتبة جنرال وجُعل من ياوران ملك اسبانيا وعُين مديرًا لمائدة الملك وواليًا لمقاطعات افيله وسكوفيه وصوريه . فارسل هيغو واستقدم زوجته واولاده الى اسبانيا . ولما قدمت امرته ادخل اولاده الى مدرسة النبلاء الاسبانية فكان التلامذة الاسبانيون يسيئون معاملتهم حسدًا لهم لانهم كانوا غرباء بينهم . ولكن لما كانت سنة ١٨١٢ اضطربت حال الفرنسويين في اسبانيا وخشي هيغو من خروجها من ايدي دولته فابقى لديه ابنه آبل واعاد زوجته وولديها الآخرين الى باريز خوفًا عليهم من فتنة او اضطراب . وكان عمر هيغو الابن حينئذٍ عشر سنوات وقد زار في اثنائها مع امرته رومه ونابولي واسبانيا فافادته هذه الزيارات كثيرًا خصوصًا زيارة اسبانيا التي ابقت في قريحته وعقله آثارًا اسبانية لم تُمحَ منها . وقد وجد شارحو

كتبه في كتاباته ما لا يحصى من التعابير والمواضيع والصفات الخاصة باللغة الاسبانية
ولما عادت مدام هيغو بولديها الى باريز اعادتهما الى مدرسة الراهب الذي تقدم ذكره . وكانت مدام هيغو من النساء اللواتي يحتضنَّ آراء فولتير ورسو فتركت ولديها يطالعان كل الكتب التي كانت تقع في ايديهما من مكتبة جار لها حتى ما كان منها غير ادبي . فاقتبس الولدان من هذه المطالعة المستمرة المتنوعة كثيرًا من المبادىء الابتدائية المختلفة . وربما كانت بذور الحرية القيت في نفس فيكتور من هذه المطالعة لا من مبادىء الراهب الذي تقدم ذكره
وفي عام ١٨١٥ عاد الجنرال هيغو الى باريز . وكانت اخلاقه لا تنطبق على اخلاق زوجته فاشتد الاختلاف بينهما في هذا العام حتى انفصل عنها واخذ ولديه منها بناء على حقوق الاب في فرنسا . ثم ادخل هذين الولدين في مدرسة كورديه فاقاما فيها الى عام ١٨١٨ ثم اخذا يتلقيان الفلسفة والرياضيات والطبيعيات في مدرسة لويس الكبير فظهر منهما استعداد تام لاقتباس العلوم والفنون . ولما بلغ فيكتور هيغو صاحب الترجمة السنة الرابعة عشرة بدأ بالنظم وكان ذا ميل فطري اليه

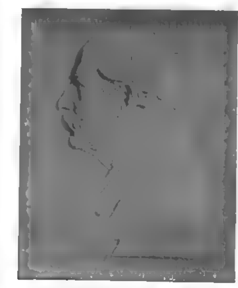
***

﴿ بدء حياته الادبية ﴾ واول منظوماته رواية دعاها « ايرتامين » واخرى دعاها « اثيليا » ثم كتب رواية عنوانها « اينس دي كاسترو » وكلها صنع طفل في عالم الكتابة ولعلها لم تنشر . وكان الشاعر فرجيل اللاتيني احب الشعراء اليه فترجم بعض ابيات من اياته .

الفتى هيغو والاكاذمية

ولكن كل ذلك لم يدل عليه الدلالة الواجبة . ففي ذات يوم فتحت الاكاذمية الفرنسوية بابًا للشعراء والكتاب للمباراة في موضوع « منافع الدرس والمطالعة » . وكان عمر فيكتور هيغو يومئذ ١٥ عامًا . فخطر له الدخول في هذا السباق لان نفسه الكبيرة في جسمه الصغير كانت تحدثه بكل امر كبير . وكان يقرأ منظومات عصره فيجدها جافة ناشفة بازاء كنز الشعر والموسيقى الذي كان في باطنه يموج شيئًا فشيئًا . فنظم قصيدة طويلة في هذا الموضوع ووقعها بهذا التوقيع « فيكتور هيغو وعمره ١٥ عامًا » ثم انه اخفى هذا الامر عن كل انسان الا عن معلمه لانه رام مفاجأة رفاقه واهله بفوزه اذا فاز وكتمان فشله اذا فشل . فجعل معلمه التلامذة في ذات يوم يمرون عن باب الاكاذمية وبينما كان التلامذة

المدالية الفضية التي احتفلت الجمهورية الفرنسوية باهدائها اليه



❋ رسم المسيو برتلو ❋

وتحته : التركيب الكيماوي · العلم يرشد الانسانية

❋ برتلو امام معمله يفكر ❋

وفوقه الوطن يكلل العمل والحقيقة تنير طريقه

راجع صفحة ٢٨٤



﴿ الفريد نوبل واضع الجوائز ﴾

راجع صفحة ٣١٧



﴿ وليم شكسبير ﴾



﴿ فرنسيس باكون ﴾

راجع صفحة ٣٥٠



﴿ عودة المسيح الى اورشليم ﴾

احتفال الشعب بعودته ودخوله به الى المدينة المقدسة في وسط الاحتفال · وهو عيد الشعانين عند النصارى

راجع صفحة ٣٦٨



﴿ فيكتور هيكو في اواخر عمره ﴾

Victor Hugo

(اسمه بخط يده كما كان يوقع به على رسائله)

راجع صفحة ٤٢٨



« باسم الجمهورية الفرنسوية احييك ايها الشاعر »
« العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته »
« والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما »
« كانت واكثر حنانا »
(خاتمة خطبة وزير المعارف في يوم الاحتفال بعيده)

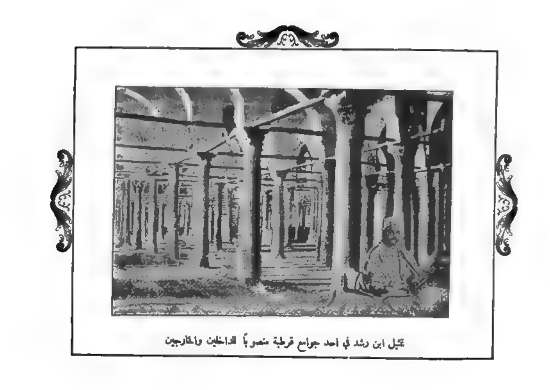
﴿ رسم آخر لفيكتور هيكو وهو رابض ربضة الاسد ﴾

راجع صفحة ٤٤٤



﴿ التلامذة والنسوة يُنزلون السيد المسيح عن الصليب ﴾

راجع صفحة ٤٦٠



تمثال ابن رشد في احد جوامع قرطبة منصوباً للداخلين والخارجين

راجع صفحة ٥١٦

مشغولين بالحديث اسرع الفتى فيكتور ومعلمه فدخلا الى الاكاذمية كالبرق ووضعا تلك القصيدة في موضع المراسلات ثم عادا وهما يضحكان وقلب الفتى فيكتور يرقص طرباً واملاً ·

وبعد ايام كان فيكتور هيغو يلعب في دار المدرسة واذا باخيه الكبير آبل قد دخل يطلبه · فلما رآه صاح به آبل : تعالَ ايها الابله · من طلب منك ان تذكر سنك في القصيدة التي قدمتها الى الاكاذمية · يالك من حمار · فان الاكاذمية حسبت ان ناظم القصيدة يهزاء بها بقوله ان سنه ١٥ سنة ولذلك حرمته من الجائزة واكتفت بذكر اسمه بين الفائزين · ولولا ذلك لكانت الجائزة لك

وكان آبل يتكلم وهو يضحك وقلبه يمتلىء سروراً · اما فيكتور هيغو فلو نظر ناظر الى قلبه في ذلك الحين لرآه يخفق خفوق فراشة امسكت من احد جنحيها · وهذا اول فوز ناله فيكتور هيغو في عالم الادب · ومنذ هذا الحين صار معروفاً لان مجرد ذكر الاكاذمية كاتباً بين الفائزين كان سبباً في اشتهاره · وكان هذا الامر شرفاً يصبو اليه كثيرون من الكتاب والشعراء · فكأنَّ الاكاذمية مجلس ادبي عالٍ يوزع الشهرة على مستحقيها من رجال الشعر والادب

هيغو والملكية

ومنذ هذا الحين انصبَّ فيكتور هيغو على النظم والكتابة فنظم في عام ١٨١٩ قصيدة موضوعها « فوائد التعليم العملي » وقدمها الى الاكاذمية فذكرت الاكاذمية ناظمها بين الفائزين ايضاً · ثم نظم بعد ذلك قصائد موضوعها : عذارى فردون · واعادة تمثال هنري الرابع · وموسى في النيل · والتلغراف · فارتاح الجمهور الى منظوماته واعترف له بالشاعرية · اما انصار الملكية فانهم كانوا يصفقون طرباً لكل قصيدة من قصائد هذا الفتى لانهم وجدوا في كلامه المنمق وعباراته الانيقة وعواطفه التي تلذُّ لها الوقفات بين الشؤون الملكية لوصف احوالها السامية ما جعلهم يؤملون ان ذلك الشاعر النابغ بينهم سيكون في المستقبل شاعرهم وحامل لواء مجدهم · ذلك ان فيكتور هيغو كان يومئذ ملكياً بحتاً · وكان لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا في ذلك الزمان وقد دخلها بعد معركة واترلو واسر نابوليون الاول · وكان شاتوبريان الكاتب المشهور يدير يومئذ جريدة « الكونسرفاتور » اي المحافظ وهي جريدة كاثوليكية ملكية غرضها الانتصار للملكية · فانشأ فيكتور هيغو مع اخويه جريدة سماها « المحافظ الادبي » وجعلها بمثابة ملحق لجريدة شاتوبريان · وكان شاتوبريان

يسميه « الفتى المعظم » . وقد دلّ فيكتور هيغو على هذه العظمة منذ صغره فانه كان يحرر جريدته « المحافظ الادبي » وحده منستراً تحت اسماء مختلفة فكان يكتب فيها في التاريخ والادب والشعر والروايات في آن واحد . وفي ذات يوم نشر في جريدته قصيدة في موت الدوق دي بري فراقت هذه القصيدة للملك ومنحه خمسمائة فرنك جائزة له . وفي عام ١٨٢١ انضمت جريدة « المحافظ الادبي » الى جريدة « اساطير الادب والفنون » ولكن فيكتور هيغو خرج منها

زواجه بمسماية فرنك

وفي هذا العام توفيت امه وكان يحبها حباً شديداً . فجعلت وفاتها فراغاً حوله فاخذ يفكر بالزواج . وكان فيكتور قد عرف في صباه فتاة تُدعي مدموازل ادال فوشه وكان يحبها اشد حب . وقد كانت الفتاة تحبه ايضاً الا ان اباها لم يرضَ عن هذا الحب لان فيكتور كان فقيراً لا يملك شيئاً . اما ابوه فانه اقترن بعد وفاة زوجته بالكونتس دي سالكانو ولذلك غضب فيكتور هيغو من عمله وابتعد عنه . على ان ذلك لم يكن يوقعه في اليأس بل انه لجأ الى صناعة الادب يفرج بها همه ويطلب منها خبزه . واكرم بها من صناعة تسلي الانسان العاقل عن جميع هموم العالم ومصائب الحياة وتبني له في صميم قلب الانسانية ما يريد بناءه من الآثار الخالدة

فنشر الفتى هيغو في عام ١٨٢٢ كتاباً منضمناً قصائد مختلفة . فلما اطلع الملك على هذا الكتاب اعجب به ومنح مؤلفه الف فرنك من جيبه الخاص . وكانت المكاتبات في اثناء ذلك دائرة بين فيكتور وحبيبته ادال . وقد نُشرت رسائلها منذ مدة في كتاب عنوانه «رسائل الى الخطيبة » وكله كلام ارق من النسيم واحلى من الشهد . وكفى ان يقال انه من فيكتور هيغو وتلك النفس اللطيفة التي ملاءها من روحه . فلما راى ابو ادال عند صدور الكتاب الذي تقدم ان الملك يعطف على فيكتور هيغو و يساعده سقطت معارضته في هذا الزواج وعلم ان لصهره مستقبلاً عظيماً . فكانت خطبة فيكتور هيغو لادال غاية غاياته واقصى امانيه . وقد كتب ابو ادال الى ابي فيكتور هيغو يجيبه الى ما طلبه من تزويج ابنه بابنته وقال له في هذا الكتاب انه من سوء حظه لا يستطيع ان يمنح ابنته من الدوطة الا ما قيمته ثلاثة الاف فرنك من الاثاث . وانه سيخلي للعروسين قسماً في منزله يعيشان فيه بجانبه الى ان يصير فيكتور قادراً على الاستقلال في منزل وحده . وكان ابو فيكتور هيغو يومئذ في حاجة ايضاً وهو يطلب من لجنة التعويضات العسكرية النظر في ما يحق من

التعويض عن الخسائر التي اصابته بعد حروب نابوليون · ولما اقترن فيكتور هيغو بحبيبته ادال جاءه ناشر كتابه ودفع اليه سبعمائة فرنك وهي ربحه من الكتاب الذي تقدم ذكره فابتاع العريس بهذا المبلغ لعروسه شالاً كشميرياً · وهذه كانت هدية زواجه وكل ثروته

وبعد الزواج اكبَّ هيغو على الكتابة لعلمه انها مورده الوحيد وسلم ارتقائه في المستقبل. ولم يعقه زواجه عن التفرغ الى عمله · فنشر اولاً رواية « هانديسلاند » دون ان يضع عليها اسمه · وموضوع هذه الرواية تمثيل الهول الانساني وحب الانتقام الفظيع اعظم تمثيل. وقد تحدى فيها الكاتب الانكليزي ولترسكوت لانه كان كثير المطالعة لكتبه · وفي العام الذي صدرت فيه هذه الرواية صدر امر الملك بتعيين راتب سنوي له قدره الفا فرنك · فمنذ هذا الحين تنفس فيكتور هيغو الصعداء وزاد انصباباً على عمله

***

﴿ الحرب الادبية ﴾ وفي هذه الاثناء تالف في باريز حول اسم فيكتور هيغو حزبان كبيران يصح ان يُسميا حزب القديم وحزب الجديد · اما الفرنسويون فانهم يسمونهما حزب الكلاسيك وحزب الرومانتيك · ومعنى الكلاسيك هنا الحزب الذي يوجب على الكتاب اتباع من تقدموهم من مؤلفي اليونان والرومان والفرنسويين وعدم الخروج عن قواعدهم المقررة· ومعنى الرومانتيك الحزب الذي يوجب تقديم قواعد الطبيعة على كل القواعد القديمة والحديثة · فاذا كتب فهو يكتب كما تملي عليه طبيعة الاشياء التي يكتب عنها بصرف النظر عن قواعد المتقدمين · وربما جاز ان يُسمى الحزبان حزب « الاتباع » وحزب « الابتداع » او حزب التقليد وحزب الاستقلال

رئاسته حزب الابتداع·

وكان فيكتور هيغو زعيماً لحزب الابتداع · ولا عجب في ذلك فان طبيعته التي سمت عن طبيعة كل شاعر فرنسوي قبله و بعده لجديرة بان لا تجد في من تقدمها شيئاً تقلده وان ترى ببصيرتها النيرة الفراغ الواسع الذي كان في اللغة الفرنسوية

وكان حزب « الاتباع » يباهي براسين وكورنيل وغيرهما من مؤلفي قرن لويس الرابع عشر· اما حزب « الابتداع » فيردُّ عليه بقوله ان المؤلفين الذين نبغوا في ذلك القرن كانت كتاباتهم عبارة عن صورة منعكسة عن هيئة قديمة مبنية على العبودية الادبية والسياسية والاجتماعية· اما اليوم فيجب نبذ تلك الطريقة القديمة وجعل الكتابة في هذا العصر سهلة مطلقة ومنطبقة على حاجاته ومقتضياته· فاصطلت نيران النزاع بين الفريقين وكان الخلاف شديداً حتى

انه لم يبق كاتب ولا شاعر الا انضمّ اليها · وكثيرون من كتاب الفرنسويين ذكروا في الايام الاخيرة تلك الحرب الادبية فقالوا : سقياً لعصر يصرف اهله هممهم الى تعزيز آرائهم الادبية ويفنون حياتهم لنشرها لا ان يجعلوا هممهم مصروفاً الى جمع المال للتمتع بملاذ الحياة كما يصنعون في هذا العصر · ولا ريب ان العصر الاول يثمر ثماراً عظيمة ادبية واجتماعية يكون من ورائها ارتقاء البشر وتحسين الحياة في الارض · واما العصر الثاني فلا يثمر الا شهوات ومطامع وازدحاماً وحشياً على الرزق وانانية شرسة تقوي الحيوانية في البشر وتُضعف الانسانية

ورغبة في الانتصار لحزب الابتداع انشأ فيكتور هيغو في سنة ١٨٢٣ مع بعض اصدقائه من الشبان جريدة « القريحة الفرنسوية » فدوت حينئذ في قاعات السيدات والسهرات والاندية العمومية والخصوصية صدى الخلاف بين الحزب القديم والحزب الجديد واشتد النزاع بين الفريقين ولكنه لم يكن قد بلغ اشده · وفي هذا العام صالح فيكتور هيغو اباه ونشر في جريدته قصيدة عنوانها « قصيدة الى ابي » . الا انه اقفل هذه الجريدة في العام التالي لينقطع الى التاليف والنظم · وفي هذا العام مُنح هو والشاعر لامارتين المشهور وسام جوقة الشرف من درجة شفاليه وحضر معه حفلة تتويج الملك شارل العاشر وقد نظم قصيدة في ذلك · وكان فيكتور حينئذ على وفاق تام مع لامارتين وقد زاره في سان بوانت ونزل ضيفاً عنده · الا انهما بعد ذلك تقاطعا « للعداوة الحانوتية » كما جاء في المثل الافرنجي « او لعداوة الصناعة » كما جاء في المثل العربي · وبئست هذه العداوة

ولما انقطع فيكتور هيغو الى التاليف نشر رواية عنوانها « بوك جاركال » ثم نشر منظومات عنوانها بالفرنسوية « اود وبالاد » فكان لهذه المنظومات تاثير عظيم · ثم نشر كتاب « كرومويل » وفيها مقدمة شديدة قطع فيها كل صلة لحزبه مع الحزب القديم · ومما قاله فيها ان حوادث الروايات يجب ان تكون كحوادث الحياة مختلفة متنوعة فليس يجب فيها مراعاة وحدة السياق ولا وحدة الزمان والمكان لان ذلك يخنق حوادثها خنقاً · ثم حمل في المقدمة حملة شديدة على ما في مؤلفات الحزب القديم من الجفاف والجمود والخروج عن الطبيعة بسبب القيود الغريبة التي يتقيدون بها

الشرقيات وليلة هرناني المشهورة

فكان لهذه المقدمة تاثير عظيم على الحزب القديم لانه اعتبرها بمثابة اعلان الحرب فعزموا على مقاومة هيغو واي مقاومة · وفي عام ١٨٢٨ مثل هيغو رواية « أمي روبسار » فحضر

حزب القديم التمثيل ولبث يصفر ويضحك كل الوقت فاضطرت ادارة التمثيل في اليوم التالي ان تبطل تمثيل هذه الرواية . وفي العام التالي نشر هيغو « الشرقيات » وكلها قصائد يصف بها الشرق واحواله وسنعود الى هذا الديوان في فرصة اخرى . فلما نُشرت « الشرقيات » (وقد كاد القلم يكتب « الشوفيات ») ارتاح اليها الجمهور الفرنسوي اشد ارتياح لان ناظمها صوَّر الشرق فيها تصويرًا راه الغربيون جديدًا جيلاً . وبعد ذلك نشر كتابه « اليوم الاخير لرجل حُكم عليه بالاعدام » وفيه احتج على عقاب الاعدام لانه كان من اشد المعارضين فيه . وفي عام ١٨٢٩ رام تمثيل رواية عنوانها « ماريون ديلورم » فمنعه قلم المراقبة من ذلك لما ورد فيها عن لويس الثالث عشر . ومن حسن حظه انه كان قد الف رواية « هرناني » ايضاً فدفعها الى التمثيل تعويضاً عما فاته . فسعى انصار الحزب القديم لدى الملك شارل العاشر لمنع تمثيلها فاجابهم الملك « انني في مسالة الروايات رجل مثلكم ما عليَّ الا مشاهدتها » . وفي الليلة التي مُثلت فيها هذه الرواية قامت قيامة الناس في قاعة الملعب . فقد حضر الى هذه القاعة اربعمائة شاب من الحزب الجديد وكثيرون من الحزب القديم . الاولون للتصفيق والاستحسان والآخرون للتصفير والضحك والاستهجان . وكان كل فريق عازماً على انفاذ غرضه وان افضى الامر الى الضرب . فحدث حينئذ في القاعة حادث في غاية الغرابة . فانه لما كان بطل الرواية يقول اقواله البديعة كان الحزب الجديد يصفق تصفيقاً يرتج له المكان ويصيح برافو برافو بينما كان الحزب القديم يصفر ويضحك ويصرخ صراخ الاستهجان . وقد قص الكاتب المشهور سنت بوف هذه القصة فقال ان الاستحسان كان اشد من الاستهجان فلن رواية هرناني ضعضعت مبدأ الكلاسيك ودفعت مبدأ الرومانتيك مائة خطوة الى الامام . وقد مُثلت هذه الرواية ٤٥ مرة في سنة ١٨٣٠ وحدها وبها فازت الطريقة الرومانتيك فوزًا مبيناً

عدة مؤلفات

ومنذ هذا التاريخ صار الجمهور ينتظر مؤلفات هيغو ويعتبر صدور كل واحد من كتبه حادثاً عظيماً . فكتب الكاتب بعد ذلك رواية « كنيسة نوتردام دي باري » ونشرها في عام ١٨٣٠ فقراها الناس بارتياح شديد . وفي هذا العام ثار شعب باريز على الملك شارل العاشر فاستقال هذا الملك والتجاء الى انكلترا فاغتنم صاحب الترجمة هذه الفرصة وسعى في تمثيل روايته « ماريون ديلورم » التي منع قلم المراقبة تمثيلها في عهده . ثم نشر ديواناً عنوانه « اوراق الخريف » وموضوعه وصف شؤون وعواطف بيتية وصفاً في

غاية الرقة والانسجام . وفي عام ١٨٣٢ عاد الى فن التمثيل فوضع رواية « الملك يتسلى » ولكن قام في اثناء تمثيلها بين الحزب القديم والحزب الجديد نزاع شديد اضطر ادارة التياترو الفرنسوي الى ابطال تمثيلها . فرفع صاحب الترجمة الى محكمة التجارة قضية على هذه الادارة لابطالها روايته فخسر القضية . فوضع المؤلف بعدها رواية « لوكريس بورجيا » فاصابت نجاحاً عظيماً عوضه ما فاته في الرواية السابقة وزاد اسمه ارتفاعاً بين المؤلفين . وقد مثلت الممثلة مدام ردوه اهم ادوار هذه الرواية فاحبها هيغو حباً درى به الجميع حتى زوجته ادال المسكينة . فآلمها ذلك وسحق قلبها سحقاً

ثم نشر هيغو في عام ١٨٣٣ « ماري تودور » وتلتها « كلود كو » وبحث في ميرابو وانجيلو ظالم دي بادو » ثم تلاها في سنة ١٨٣٥ ديوان « نشيد الشفق » وفي ١٨٣٧ « الاصوات الباطنية » وفي ١٨٣٨ رواية « البورجراف » وفي ١٨٤٠ ديوان « الاشعة والاظلال » فبلغ بها هيغو ارفع منزلة بين شعراء عصره وصار المشار اليه بالبنان . وكان عمره يومئذ ٣٨ سنة . وكان شعب باريز يحوم في كل مساء حول منزله ليشاهده مع انصاره فكان هيغو يخرج الى شرفة منزله لمقابلته . غير ان كثيرين من خصومه كانوا يفضلون عليه شاعراً نسي الفرنسويون اسمه اليوم وهو الشاعر بونسارد وكان بعضهم يقول : تباً لزمن يجوز فيه لاناس كهيغو نظم الاشعار

تاثيره وحكم المسيو هانوتو عليه

وفي عام ١٨٤٢ وضع صاحب الترجمة كتاباً اسمه « الرين » اقترح فيه رغبةً في استواء ميزان السياسة في اوربا ان تقسم ممالكها بين فرنسا وبروسيا . وبعد ذلك بقليل دخل الى ميدان السياسة . وبما اننا وصلنا الآن الى اهم الادوار في ترجمة صاحب الترجمة فقد وجب ان نضع لذلك تمهيداً سياسياً وجيزاً . غير اننا قبل ذلك نختم الكلام عن الحرب الادبية التي اثار غبارها على كتّاب زمانه بقولنا ان فيكتور هيغو قد احيى في فرنسا فن تاليف الروايات وتمثيلها لانه منح الملاعب الفرنسوية حريتها المطلقة وفكها من قيد وحدة السياق ووحدة الزمان والمكان الذي كانت تتقيد به قبله . وقد بثّ في لغتها روحاً طبيعياً جديداً احيى به فنّ الشعر وغير طريقة الكتابة والتاليف . ولذلك قال المسيو هانوتو في الخطاب الذي تلاه في يوم الاحتفال العظيم الذي اقيم له في البانثيون في الشهر الماضي من قبل الاكاذمية الفرنسوية الذي كان مديرها في هذا العام « اذا حلّت بمؤلفات فيكتور هيغو مصيبة افنتها وذهبت بها فان اثره لا يذهب بذهابها لان التاثير الذي كان له على اللغة

الفرنسوية يبق فيها ما بقيت هذه اللغة في حيّز الوجود » وكفى بذلك ثناء على عمل هيغو الادبي . فلننظر الآن في عمله السياسي

***

﴿ الحرب السياسية ﴾ وتمهيداً لذلك نذكر لمحة من تاريخ فرنسا منذ الثورة اتماماً للفائدة وايضاحاً للحوادث التي سيرد ذكرها

تاريخ ٤٠ عاماً

بعد اعدام الملك لويس السادس عشر وقيام الجمهورية كما تقصّ ذلك في روايات (نهضة الاسد وفريسة الاسد) بات الفرنسويون حزبين . حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة . ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتدّ الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة . ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طماعاً لا يهنأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فحارب بروسيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسبانيا وانكلترا فغلبهـا كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة . ولما سيق نابوليون اسيرًا الى جزيرة القديسة هيلانه اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا الملك لويس السادس عشر الذي قُتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) . اما ابن الملك لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر . غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً نحيف الجسم فمات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى الملك لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضايقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حلّ البرلمان ارضاء للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه . وذلك مما يدلّ على ان اصطدام الافكار والمبادىء بين الملكيين والجمهوريين كان مستمرًا ولم يقف ابدًا . وقد عاصر فيكتور هيغو هذا الملك كما تقدم . وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبونابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك ولجأ الى انكلترا . وكان لهذا الملك ابن ثان يدعى فيليب وكان مشهورًا بميله الى المبادىء الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » وفي ايامه دخل هيغو الى ميدان السياسة كما تقدم

وكان لويس فيليب يميل الى هيغو ويعجب بمواهبه وقد اهداهُ رسماً جميلاً يمثل تتويج اينس دي كاسترو . وكان هيغو من المعجبين بحوادث نابوليون الاول وقد نشر في عام ١٨٤٠ ديواناً عنوانه « قصائد عن نابوليون » فيه ابلغ وصف لعظائم نابوليون وعجائبه الحربية . فلم يسخط لويس فيليب من ذلك الثناء على خصم اسرته بل رقى ناظمه الى مجلس النبلاء وجعله عضواً له باسم الفيكونت فيكتور هيغو . وقد القى فيكتور هيغو في هذا المجلس عدة خطب في الانتصار لبولونيا والاذن لاسرة بونابرت في العودة الى فرنسا وغير ذلك . وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة الملك لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو كان واقفاً في وجه كل اصلاح وقد منع بعضاً من انصار حزب الاصلاح من اقامة اجتماع في المدينة . فتنازل حينئذ الملك لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري ولكن الشعب رفض ذلك والفحكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية . وهي الجمهورية الثانية

وكان فيكتور هيغو في اثناء ذلك من حزب اليمين اي الملكيين الا ان كتاباته يومئذ كانت تدل على دخول روح حر جديد الى نفسه . وقد انشأ في هذا العام مع ولديه شارل وفرنسوى هيغو جريدة سماها « الافتقان » اي الحادثة وانتصر فيها اشد انتصار للويس بونابرت الذي كان مرشحاً نفسه لرئاسة الجمهورية مع ان لا مارتين كان يعارض في هذا الامر مع كل الحزب الجمهوري معارضة شديدة . ومن هو لويس بونابرت هذا ؟ هو الرجل الذي اصبح بعد ذلك « الامبراطور نابوليون الثالث » فيالغرابة الحوادث البشرية التي جعلت هيغو يحث الحكومة على ارجاع اسرة بونابرت الى فرنسا وينتصر لزعيمها الذي طلب النيابة عن الشعب في مجلس النواب فرئاسة الجمهورية نفسها رغبة في ان يصنع بها ما صنعه عمه نابوليون الاول — ثم ينقلب عليه ليهدم العرش الذي ساعده على بنائه

نفيه والصراع بينه وبين نابوليون الثالث

وفي ٢ دسمبر من عام ١٨٥٢ اغتصب لويس بونابرت الحكم وهو رئيس الجمهورية ليجعل نفسه امبراطوراً فثار شعب باريز لهذا السبب . ووقف الفيلسوف جول سيمون في قاعة مدرسة السوربون يصيح من منبر الخطابة : قد داس الدستور ذلك الذي عُهد اليه ان يصونه . فعزل الفيلسوف في اليوم الثاني من وظيفته فتركها غير آسف عليها لانتصاره للحق ودستور الدولة . اما فيكتور هيغو فان روحاً جديداً دبّ يومئذ في نفسه . فقد تمثلت له الجمهورية فتاة ضعيفة جاءها رجل قوي وقتلها فقام في نفسه في الحال ان ينتصر للضعيف ضد القوي . ومنذ هذا الحين صار جمهورياً بحتاً واصبح اشد الجمهور بين انتصاراً للحرية

وقد ذكر جول سيمون في كتاب له صدر في هذا العام وموضوعه تاريخ حياته ان فيكتور هيغو التقى به في اثناء هذه الثورة وقال له هل تظن اذا جعلتُ الجنود يقتلونني ان الطلبة يثورون ثورة واحدة انتصارًا لي . فاجابه جول سيمون لا ريب في ذلك عندي . فقال فيكتور هيغو سترى . ثم سار الى حي الطلبة . فسأل احد الواقفين جول سيمون هل تظنه يقتل نفسه فاجاب هذا الاستاذ الكبير الذي خبر كل شؤُون الحياة : ربما ولكن حي الطلبة بعيد من هنا . . .

وقد حاول فيكتور هيغو اثارة الشعب في ذلك اليوم ثورة تُسقط المغتصب عن عرشه فلم يستطع ذلك مع ما نشره من المنشورات والمخاطبات للامة . فلما تحقق ارتخاء عزائم الشعب وخيبة مساعيه رام السفر الى بلجيكا فارسل اليه نابوليون الثالث سيدة تقول له : ما رايك في مصالحة الامبراطور . فاجاب صاحب الترجمة انه لا يُصالح . فقالت له وان فتحت الآن هذا الباب ودخل منه الامبراطور الى بيتك فماذا تقول له . فاجاب اقول له انك في بيتك ثم انني اخرج واذهب في سبيلي

وفي ١١ دسمبر من ذلك العام اي بعد مرور تسعة ايام على يوم الاغتصاب سافر فيكتور هيغو الى بلجيكا منفيًا من وطنه مع كثيرين من الحزب الجمهوري . فاقام في بروكسل واخذ يشتغل فيها للانتقام من نابوليون . فساعدته الاحوال في ذلك مساعدة ما قبلها ولا بعدها مساعدة . فقد كان الحزب الجمهوري متفرق الكلمة وهو بحاجة الى نفير يدوي صوته في كل الضمائر الحية فينبه الغافلين ويحمس الساهرين وراية عالية تبقى منصوبة بكبريائها وعظمة امام عدو الجمهورية : فكان هيغو ذلك النفير وتلك الراية . وكانت اوربا كلها تنظر الى فرنسا بعين الحيرة والخوف لعودة الامبراطورية البونابرتية اليها . فلما اصدر هيغو من بلجيكا ديوانه « نابوليون الصغير » يعني نابوليون الثالث تزعزع له العرش الامبراطوري وتخاطفه الناس في اوربا كلها . فضغطت حكومة نابوليون على بلجيكا لتطرد صاحب الترجمة فسنت بلجيكا نظامًا جديدًا يقضي بخروجه من بلادها . فنفض صاحب الترجمة عن حذائه غبار الاضطهاد وسار الى جزيرة جرسي الانكليزية مصطحبًا ابنته ادال وزوجته ونجليه فرنسوى وشارل فوجد في هذه الجزيرة كثيرين من رفاقه الجمهوريين وهم ينشئون فيها جريدة تُدعى « الانسان » يطعنون فيها على الامبراطورية طعنًا شديدًا . فاستقبله هؤلاء الرفاق اكرم استقبال وصار زعيمًا لهم . ولما استقر به المقام في هذا الملجاء اعاد الكرة على نابوليون فنشر ديوانًا عنوانه « العقاب » فكان ابلغ ما خطته يد انسان في الطعن على خصم او عدو . وصار

الناس في جميع البلاد المتمدنة لا يهنأ لهم عيش الا اذا قراءوا ما يكتبه شاعر الجمهورية عن قاتلها ومغتصب حقها . فادرّت هذه الكتب على مؤلفها اخلاف الثروة وهو في منفاه وشفت غليل نفسه الشديدة البغض والحب بالانتقام من نابوليون . ولكن نابوليون انتقم منه ايضاً بان جعل حكومة انكلترا تطرده من جرسي فسار الى جزيرة كيرنيزه وابتاع فيها منزلاً جيلاً كان مهملاً لان السكان كانوا يزعمون ان الارواح اتخذته مسكناً لها . واسم هذا المنزل « هوتفيل هوس » واليه يحج اليوم كل المحبين بهذا الشاعر . ومن هذا المنزل صدرت كثير من كتب المؤلف اهمها « التاملات » و « خرافات القرون الخوالي » «وشكسبير» و « عملة البحر » و « الادب ممزوج بالفلسفة » و « اغاني الشوارع والغابات » و « الرجل الضاحك » .

الميزرابل

ولكن اهمّ هذه المؤلفات كتابه « الاشقياء » او التعساء او البوءساء (الميزرابل) وقد اظهر فيه المؤلف فلسفته وكل قوى نفسه الشعرية والاجتماعية . وموضوع هذه الرواية لص يرفعه المؤلف فيجعله رجلاً كريماً شريف الاخلاق وامراة ساقطة يُنهضها المؤلف ويرفع نفسها . ويتخلل ذلك حوادث تاريخية وادبية واجتماعية لم يخط مثلها قلم على قرطاس . وقد كتب المؤلف في مقدمته يقول انه ما دام في الوجود شقاء وفقر وسجون وظلم اجتماعي فان كتاباً ككتابه يبقى نافعاً

ولما انتشر هذا الكتاب كان انتشاره حادثاً عظيماً . وقد ارادت حكومة باريز حذف شيء منه لانه طُبع في باريز فبعث المؤلف الى ناشره يتوعدها بقوله ابلغهم انهم اذا اصروا على الحذف فانني اعود الى « نابوليون الصغير » و « العقاب » فتركته حينئذ حكومة نابوليون وشانه خوفاً من قلمه الذي كان مداده الكهرباء وكلماته الصواعق . وقد صار منزل موءلف هذا الكتاب بعد صدوره مقصداً لاهل العلم والادب والشعر فكانوا يحجون اليه من كل اقطار العالم ليشاهدوا نصير الانسانية ومحامي الضعفاء

انتصاره على نابوليون

وكانوا اذا قالوا له لماذا تصرّ على ابتعادك عن وطنك فان الامبراطورية صارت في جاه وعز وارتفعت كلمة فرنسا في العالم . فانه كان يجيبهم بقوله انتظروا : فعند صفو الليالي يحدث الكدر . واذا قالوا له ان اصدقاءك يُسالمون الامبراطورية واحداً واحداً فانه كان يقول في شعره : ولو لم يبقَ الا واحد اميناً للحرية فانني ساكون ذلك الواحد . ولما اصدرت

الحكومة الفرنسوية قرارًا بالعفو العام وعودة كل المنفيين الى وطنهم رفض صاحب الترجمة قبول هذا العفو والعودة الى وطنه قبل ان تعود الحرية اليه . وكان يصرف اكثر اوقاته على شواطىء جزيرة كيرنيزه بين الرمال والصخور متاملاً في الطبيعة ودارساً عناصرها ومناجياً نفسه بالمواضيع التي يروم التاليف فيها . وقد اقام في منفاه نحو ٢٠ عاماً

ولو ان نابوليون الثالث فاز في سياسته ولم يدفع فرنسا الى محاربة المانيا لما انتصر هيكو عليه ذلك الانتصار الهائل ولما كان لصوته الصدى الذي له الآن . ولكن نابوليون كان قد سكر بخمر الفوز وراى اوربا كلها تحت يده فرام ان يحذوا حذو عمه . فحاربه الالمانيون في سنة ١٨٧٠ واسروه في واقعة سيدان ونادى الشعب في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية . فلما سمع صاحب الترجمة بذلك اسرع الى باريز قبل ان يحصرها العدو فدخل اليها باحتفال عظيم . وقد كان دخوله اليها دخول نبي تنبأ « بعقاب » المغتصب وسقوط عمله فصدقت نبوّته . ومما زاده رفعة انه كان من اكبر المساعدين على هذا السقوط لان قصائده المملوَّة تهكماً هائلاً وطعناً قاتلاً كانت تصغّر نابوليون في عيون اوربا وفرنسا معاً وتُضحك الناس منه ضحكاً متتابعاً تتضعضع له اقوى العروش واسماها . وهكذا انتصر هذا الشاعر في حربه السياسية كما انتصر في حربه الادبية

هيكو في الحرب وبعدها

ولما عاد صاحب الترجمة الى باريز وحصرها العدو صار نقطة دائرة الادب واصبح صوته نفيرًا رنانًا يبث الحياة والحرارة في نفوس المحصورين ويحثهم على الحرب والمقاومة . وكان ينشر القصيدة بعد القصيدة في هذا الموضوع . وبعد الحرب جمع هذه القصائد فتالف منها ديوانه « السنة الهائلة » . وفي اثناء الحصار اعاد طبع كتابه « العقـاب » وخصص ايراده بصنع المدافع للاستمرار في الحرب ومساعدة المستشفيات . فكانه كان يومئذ حياة باريز وروحها يحث على الدفاع عنها الى آخر نسمة من حياته . وبعد سقوط باريز في يد العدو ثار الشعب على الحكومة الجمهورية الوقتية التي تالفت يومئذ لانه كان في ريبة من اخلاصها للحرية بسبب ما كان يراه من مؤامرات الحزب الامبراطوري والملكي . وهذه الثورة تُعرف في تاريخهم بثورة « الكومون » وقد استولى الشعب فيها على باريز وحارب الحكومة وكانت قد فرت منه برئاسة المسيو تييرس الى فرساليا فجرت الدماء انهارًا من الفريقين . اما فيكتور هيكو فانه ربي بنفسه بين الحزبين فعارض حزب الكومون في ما قرره من هدم عمود فندوم الذي كان قائماً عليه تمثال نابوليون الاول وحثه على ترك النظائع

وعارض حزب الحكومة لما راى جنودها تفتك برجال الكومون كانهم اعداء في ساحة حرب لا ابناء وطن واحد . ثم انتخب الشعب في باريز صاحب الترجمة عضوًا في مجلس النواب الذي كان مجتمعاً في بوردو فعارض هيكو في عقد الصلح واصرّ مع غمبتا على وجوب الاستمرار في محاربة الالمانيين . وبينما كان في ذات يوم يخطب في المجلس ويمدح غاريبالدي الايطالي قطع كلامه الحزب الامبراطوري والملكي غير مرة وكادوا يمنعونه من الكلام بضوضائهم فاستقال يومئذ من المجلس

وفي عام ١٨٧٢ انشاء مع ابنه فرنسوي جريدة ديموقراطية سماها « الشعب الملك » . وفي عام ١٨٧٦ انتخب عضوًا لمجلس الشيوخ فالقى فيه خطبة دافع بها عن رجال الكومون . ثم انصرف الى النظم والتاليف . فنشر الكتب التالية « الاقوال والاعمال » وقد قصد به ذكر المبادىء التي تقلب بينها في اثناء حياته الادبية والسياسية ليبرىء نفسه بسبب انحيازه الى الجمهورية . و « سنة ٩٣ » وموضوعه وصف في غاية السمو لاهم ادوار الثورة الفرنسوية . و « كيف تكون جدًّا » وهو يتضمن قصائد عيلية ورد فيها وصف حفيده جورج وحفيدته جانّ اللذين كان يلاعبهما وقد خلد اسمهما بهذا الوصف وهذه الملاعبة . ولا يزال الآن جورج في قيد الحياة وقد كتب قبل الاحتفال الذي اقيم لجده في الشهر الماضي مقالة في احدى الجرائد الفرنسوية ذكر فيها كيف كان جده يلاعبه هو وشقيقته جانّ وكيف كانوا ينادونه « بابابا » . وقد حضرت اخته جانّ الاحتفال بعيد جدهما فكان الناس يقولون عند رؤيتهما هذا جورج وهذه جانّ اللذين وصفهما شاعرنا . فلا ريب انهما كانا في ذلك اليوم حبيبَيْن الى كل القلوب

وفي عام ١٨٧٧ نشر صاحب الترجمة « تاريخ جناية » يريد جناية اغتصاب نابوليون الثالث للملك . وقد نشر هذا الكتاب قبيل الانتخاب العمومي ليؤثر على الراي العام ويذكره بالاغتصاب فينتخب للنيابة الجمهوريين دون سواهم . فكان لهذا الكتاب دوي عظيم في فرنسا واوربا . ثم نشر من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٣ « خطب فولتير » و « ملاك الجمهور » و « البابا » و « الشفقة العليا » و « الحمار » و « الديانة والديانات » و « اربع جوانب العقل » و « توركاده » و « ارخبيل المانش »

احتفال الشعب بحياته ومماته

وفي عام ١٨٨٢ بلغ صاحب الترجمة الثمانين من عمره . فقامت باريز وقعدت في ذلك اليوم احتفالاً بهذا العيد . فان خمسمائة الف نفس من الشعب توافدوا من جوانب باريز

الاربعة على نغم الآلات الموسيقية الى منزل هذا الشيخ الجليل . وكانوا ينادون بعضهم بعضاً في الطرق هلموا هلموا الى معايدة « الاب هيكو » . فلما اطلّ جمهم على منزله صعد الشيخ الجليل الى شرفة المنزل مع حفيديه جاك وجان وحينئذ حدث حادث لم ترَ مثله عينان ولم تسمع به اذنان . فان الوفاً من الشعب رفعت في الفضاء ايديها كتابات مشتبكة هاتفة « فليحيى الاب هيكو » وهيكو يبكي وهو واقف على الشرفة بين حفيديه ويشير مسلماً ومرسلاً اليهم القبلات العديدة . وقد استمر واقفاً هنالك نحو ساعة والالوف تسير امامه على نغم الموسيقى وتجدد الهتاف له . ولم يكن هذا العيد عيد هيكو ولكنه كان عيد امتزاج روح الشعب بالعقل العظيم والقلب الكريم الذي وقف نفسه لخدمة بني جنسه

ولم تحتفل به باريز يومئذ ذلك الاحتفال الذي لا يزال له تاثير الى اليوم في نفوس اهلها الا لان الشيخ هيغو اصبح في ذلك الزمن روح عصره وشيخ الحرية وملاك الانسانية . وكانت الحيوانية التي املت عليه ذلك البغض الشديد لنابوليون الثالث وحكومته قد أفلتت من جسمه بعد الانتصار وبلوغه اقصى حدود الشيخوخة كما يُفلت الماء متبخراً من القدر المنصوبة على النار . ولم يبقَ في ذلك الهيكل الضخم الذي كان يكلله تاج من الشيب الجليل المهيب كانه قمة شاغة من قمم حملايا او الالب سوى الانسانية الرقيقة الشفوقة التي تذوب حناناً وشفقة على مصائب البشر وتعاستهم . ففي هذا الزمن كان هيغو يقول في شعره « بارك الله في من يحبني وفي من يبغضني » وايضاً « لو وقع في يدي من يروم اضطهادي ونفيي لاحسنتُ اليه وعطفت عليه . ولو كنتُ يسوع المسيح لانقذت يهوذا الاسخريوطي » وبناء عليه كان هيغو بمثابة جد واب لابناء عصره بل كان بمثابة اثر جليل من عصر تاريخي قديم . وكانوا يسمونه « الاب » من فرط احترامهم له وكان منزله في باريز كعبة يحجُّ اليها اهل العلم والسياسة والادب من كل اقطار العالم .

وفي عام ١٨٨٥ بلغ الشيخ هيغو اقصى حدود الشيخوخة فلما دنا اجله اقام اثنين من اصدقائه لتنفيذ وصيته ونشر ما بقي غير منشور من مؤلفاته . وكان من جملة ما اوصى به ان يُدفن في نعش الفقراء ليجعل نفسه قريباً من الشعب في وفاته كما كان قريباً منه وخادماً له في حياته . وقد اقام هيغو ثمانية ايام في النزع . ولما اتمّ انفاسه ونودي في العالم ان فيكتور هيغو فرجيل المتأخرين وهوميرالفرنسويين قد مات قامت فرنسا قومة واحدة الى منزله . وبكى الشعب وفاة «ابيه» والشعراء وفاة زعيمهم . واوفدت الحكومات الاوربية والمجامع العلمية والادبية وفوداً لحضور جنازته . فشيعت جثة الفقيد العظيم على نعش الفقراء

الى البانثيون وسط زحام هائل لم يسبق له مثيل · وكان لسان حال كل واحد من مشيعيه ينشد ما قاله جناب شوقي بك فيه

ستدوم ما دام البيان وما ارتقت ... للعالمين مدارك وشعورُ
ولئن حُجبتَ فانت في نظر الورى ... كالنجم لم يُرَ منه الا النورُ
لولا التقى لفتحتُ قبرك للملا ... وسألتُ اين السيد المقبورُ
ولقلتُ ياقوم انظروا انجيلكم ... هل فيه من قلم الفقيد سطورُ
مَنْ بعده ملكُ البيان فعندكم ... تاج فقدتم ربه وسريرُ
مات القريض بموت هيغو وانقضى ... ملك البيان فانتم جمهورُ
فقدت وجوه الكائنات مصوراً ... نزل الكلام عليه والتصويرُ
كشف الغطاء له فكل عبارة ... في طيها للقارئين ضميرُ
مسلي الحزين يفكه من حزنه ... ويرده لله وهو قريرُ
ثأر الملوك وظل عند ابائه ... يرجو ويأمل عفوه المثؤورُ
واعار واترلو جلال يراعه ... فجلال ذاك السيف عنه قصيرُ
انت الحقيقة ان تحجب شخصها ... فلها على مر الزمان ظهورُ
ارفع حداد العالمين وعد لهم ... حكما يعدّ بائس وفقيرُ
وانظر الى البؤساء نظرة راحم ... قد كان يسعد جمعهم ويجيرُ
الحال باقية كما صورتها ... من عهد آدم ما بها تغييرُ
البؤس والنعمى على حاليهما ... والحظ يعدل تارة ويجورُ
ومن القوي على الضعيف مسيطر ... ومن الغني على الفقير اميرُ
والنفس عاكفة على شهواتها ... تاوى الى احقادها وتثورُ
والعيش آمال تجدّ وتنقضي ... والموت اصدق والحياة غرورُ

فكان هذا الاحتفال بمأتم الفقيد اعظم احتفال جرى في باريز كما قيل

***

﴿ احتفال الجمهورية بتذكاره ﴾ ولكن بعد انقضاء ١٧ عاماً على ذلك الاحتفال اقيم لفيكتور هيغو احتفال آخر يشبهه · فان الجمهورية الفرنسوية قررت في هذا العام الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على هذا الشاعر (لانه ولد في عام ١٨٠٢ كما تقدم) وقد اقامت في ٢٦ فبراير هذا الاحتفال امام قبر الفقيد في البانثيون تحضره كل ذي شهرة في

باريز في العلم والسياسة والرئاسة وفي مقدمتهم وكلاء الدول ووفود من النمسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها . وقد خطب وزير المعارف في هذه الحفلة امام رئيس الجمهورية فكلل الفقيد بازهار البلاغة والثناء وختم خطبته بقوله : اني باسم الجمهورية الفرنسوية احييك ايها الشاعر العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما كانت واكثر حناناً » — ثم تلاه المسيو هانوتو بالنيابة عن الاكاذمية الفرنسوية وقد ذكرنا في اثناء الكلام عن الحرب الادبية في هذه المقالة خلاصة ما قاله في هذه الخطبة عن تاثير هذا الشاعر . انما نقول في هذا المقام ان فيكتور هيغو طلب الدخول في الاكاذمية مرتين قبل نفيه من فرنسا فكانت الاكاذمية يومئذ تفضل عليه اناساً نسي الفرنسويون اسماءهم اليوم . ولم تقبله الا في المرة الثالثة

وفي هذا اليوم الذي حضر فيه رئيس الجمهورية والوزراء والكبراء هذه الحفلة في البانثيون حضروا ايضاً حفلة اقيمت في « ساحة فيكتور هيغو » في باريز امام المنزل الذي كان يسكنه الفقيد في حياته . وفي هذه الحفلة كُشف الستار عن التمثال الذي انشىء لفيكتور هيغو في هذه الساحة المسماة باسمه . وقد زُين المنزل والتمثال اجمل زينة ونصب فوق البيت جسم بلوري يمثل فتاة تحمل بيدها مصباحاً وقد رمزوا بها الى « ملاك الشهرة » وهو يهبط عليه في بيته . وقد انير هذا الجسم في الليل فكان له منظر يسحر الالباب

وقد اقيمت في ذلك اليوم احتفالات عظيمة في ايطاليا والنمسا وبلجيكا ومصر وكل المستعمرات والمدن الفرنسوية اكراماً لهذا التذكار ايضاً . واشترك في هذه الاحتفالات جميع العالم المتمدن في كل الاقطار . ولم تخلُ جريدة من جرائد الدنيا في ذلك الاسبوع من الكلام عن صاحب الترجمة

اما المسيو ادمون روستان شاعر فرنسا اليوم فانه صرف ذلك اليوم في قرية « هرناني » الاسبانية التي سمى هيغو احسن رواياته باسمها وقد تقدم ذكرها في هذه المقالة . وقد نظم في هذه القرية قصيدة طويلة اهداها الى جناب المسيو « بول موريس » صديق فيكتور هيغو ومنفذ وصيته والساعي في انشاء تمثاله . وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الغولوى اولاً ثم جُمعت في كراس على حدة . وفي ختامها يقول هذا الشاعر ما خلاصته « كلنا اليوم تلامذة الاستاذ هيغو . فابتسم لنا ايها الاستاذ وامنحنا الثقة بانفسنا لنستطيع ان نجترىء ونمسك القلم بعدك » وقد ذكرنا هذا الخبر لان هذا الثناء اعظم ثناء يُقال في فيكتور هيغو

وهذه القصيدة مطبوعة في ٣٠ صفحة على ورق صقيل جميل · ولدينا منها نسخة واحدة نقدمها هدية لمن يسبق الى طلبها من حضرات القراء

***

﴿ ترجمة احدى قصائده ﴾ ولقد ذكرنا مؤلفات هيغو في ما تقدم وبقيت له مؤلفات اخرى كثيرة نُشرت بعد وفاته وهي « اطلاق فن التمثيل » و« عاقبة الشيطان» و« الله » و« اشياء منظورة » و« كل القيثارة » و« الاوقيانوس » و« في السفر » و« فرنسا وبلجيكا » و« الالب والبيرينه » وغيرها من المؤلفات العديدة التي لم يتم نشرها الا في هذا العام اذ نُشرت فيه خاتمتها وهي ديوان عنوانه « النبتة الاخيرة » · وسنلخص للقراء في الجزء القادم شيئاً من اهم الكتابات التي كتبها هيغو لاطلاعهم على آرائه وفلسفته المبنية على المبادىء الانجيلية الاشتراكية · اما الآن فنكتفي بنشر ترجمة احدى قصائده في نابوليون الاول الذي كان هيغو يجله بقدر ما كان يحتقر نابوليون الثالث كما تقدم · وقد اتحفنا بهذه القصيدة احد اصدقاء المجلة

نابوليون الاول

ملخصة من قصيدة لفكتور هيغو صاحب الترجمة بقلم جناب الشاعر الناثر طانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء

يُمثَّل لي حق يُجسَّم في فكرى	ويعظم بي حق يضيق به صدرى
واطلق افكاري ارتياداً لوصفه	فالقاه مني فوق مرتبة الفكر
وانظم فيه الشعر رفعاً لقدره	فيغلو به شعري ويعلو به قدري
ويخفق مني القلب حين احتلاله	لقلبي فيمسي في احرّ من الجمر
اراه وقد خاض الصفوف مظفراً	بطعنته النجلاء والفتكة البكر
يشاغل عن بيض وسمر فؤاده	ويبني اساس العرش بالبيض والسمر
اراه وقد قاد الالوف فما مشى	الى الحرب الا تحت الوية النصر
يسيّر للاعداء ابطال جيشه	فيسبق هذا الجيش جيش من الذعر
اراه بوادي النيل والجند حوله	ظماء الى مجد عطاش الى فخر
يقول انظروا الادهار ترنو اليكمُ	مشيراً بيمناه الى هرمَي مصر
اراه وقد اضحى بباريس قنصلاً	ولم يتمادى بعد في حلبة العمر

يؤيد جمهورية القوم ظاهرًا ويهدمها كي يبلغ الملك بالسر
اراه مليكاً لم يخف جور دهره وقد كان يُخشى ان يجور على الدهر
يقلد تيجانًا وينشي ممالكًا وينظر بسّامًا لكوكبه الدري
اراه ولا كفران تبسط نفسه له فتح ابواب السماوات بالقسر
فلم يبقَ ما بين السماء وتاجه باعين اصحاب المجاز سوى فتر
اراه اسيرًا في بقاع جزيرة تسامت به حتى غدت ربة الحجر
مقيماً على صخر يرى عرشه وقد تصدع لما لم يؤسس على صخر
فلما دعا داعي المنون ومثّلت لعينيه اشباح الردى هوّة القبر
واطفأ ريب الدهر انوار نجمه وقصت يداه جانحي ذلك النسر
وفكّر في ماضيه دون ندامة ولم يخشَ في الآتي عقاباً على وزر
وحدّق بالاكفان لم ير فوقها سلاحًا ينيل الفتح في موقف الحشر
جرت دمعة من عينه وهو مطرق فكانت لاقلام التواريخ كالحبر
ولم يك هذا الدمع الا لانه تمنى الردى ما بين عسكره المجر
ولم يكن الاطراق الا تعاميًا عن الناس حتى لا يرى اثر الغدر
فلم يجب التاريخ في صفحاته باخلق من هذا المخلد بالذكر
ولم اره فيما مضى من جلاله باعظم منه حين قُيد بالاسر

الخاتمة

قول يُهدى الى شعراء الشرق وكتابه واميانه .

ولقد طالت هذه المقالة فوق ما كنا نريد فترتب علينا الآن ان نختتم الكلام بقول فيه تمام الفائدة فنقول

بماذا امتاز فيكتور هيغو عن اقرانه حتى استحق ذلك المجد العظيم الذي لبس تاجه ؟ الجواب انه امتاز بعدة امور منها . اولاً انه وُهب مواهب خصوصية كانت تجعله اذا مسّ احقر المواضيع صيره ساميًا رفيعًا فكأنه ساحر يتناول التراب فيجعله تبرًا . ثانيًا انه عاش في وسط ادبي كان محتاجًا الى مثله فاحيي اللغة الفرنسوية بما ادخله اليها من التعابير والاساليب الجديدة وفك التمثيل من قيده كما تقدم بيانه . ثالثًا ان آمال الجمهوريين كلها قد تجسمت فيه ولما انتصرت الجمهورية بعد ذلك عُدّ انتصارها انتصارًا له وكان

نفيرها الاعلى . رابعاً ان الالمانيين اسقطوا فرنسا في زمنه واستولوا على باريز بعد سقوط الامبراطورية فصارت فرنسا في ضعة وصغار بعد عزها ومجدها ولم يبق لها شيء كبير تتفاخر به العالم غير « الشاعر هيغو » الذي كانت جميع الانظار في جميع الاقطار شاخصة اليه تنتظر كلامه السحري ونظمه الدري . فكأن كل عظمة فرنسا الماضية اجتمعت يومئذ في نفسه . خامساً ان فلسفة هيغو مبنية على حب الانسانية ومساعدة الضعفاء والرفق بالشعب واعتباره انه الانسانية الحقيقية . وحسبنا شاهداً على ذلك كتابه « الميزرابل » الذي هو اهم كتبه فانه عبارة عن وصف الشعب واطراء صفاته الطبيعية . ولذلك كانت مبادىء هيغو عامة لكل شعب من الشعوب وشديدة التاثير في كل امة من الامم لان كل واحدة منها تظن عند الاطلاع عليها ان هيغو انما كتبها من اجلها . فكانه كان يخاطب الانسانية كلها لا فرنسا وحدها

هذه اخص مزايا هذا الرجل العظيم ولكن كل هذه المزايا صغيرة في راينا بالقياس الى مزية لم نُشر بعدُ اليها . وهذه المزية هي « صبره على العمل وانصبابه على التاليف والنظم ستين عاماً بلا انقطاع ولا تعب ولا ملل »

ولقد عددنا في هذه المقالة كل مؤلفات فيكتور هيغو في حينها فتعقبها الآن واحصها وقل لنا ماذا يظهر لك منها ؟ يظهر لك ان هذا الكاتب كتب مدة ستين عاماً وكان ينشر كتاباً من تاليفه في كل سنة تقريباً . اي انه كان يصرف كل اوقاته في المطالعة والكتابة والنظم ولم يكن له لذة في غيرها . فتارة ياخذ كتابه ويطوف شوارع باريز واطرافها متاملاً متفكراً في الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه . ذلك لانه كان كثير الطلب للهواء النقي والخلاء ولولا ذلك لقتله عمله العقلي الطويل مع ما تقدم من نحافة جسمه في بدء عمره . وطوراً يجلس الى مائدته خمس ساعات او سبع ساعات متتابعة وهو يسود صفحات الورق الابيض امامه بقلم يخط سحراً ويُبرز تبراً ثم يلقيها وراء ظهره على الارض واحدة وراء اخرى . وكان لا يترك حادثة من حوادث زمنه الا وينشب اظفاره الاسدية فيها حتى صارت مجموعة موءلفاته عبارة عن تاريخ القرن الذي عاش فيه . وكان فوق ذلك اذا هبط الليل شرع في المطالعة . وقد يكون مستغرقاً في نومه بعد منتصف الليل فينتبه ويقوم الى قصيدة يكون قد بدأ بها او خاطر جديد مرّ في باله فينهض لتقييده . ومن ذلك يظهر ان المواهب لا تكفي الانسان ان لم تكن مقرونة بالصبر على العمل والجد فيه وقوة الارادة عليه وهو ما يسميه بعضهم « بالثبات »

فهذا الجد الغريب والجهد العجيب يذكرنا بالرغم عنا حالة كتاب الشرق وشعرائه ومن اجل ذلك وضعنا هذه الخاتمة . وانما نذكرهم لا لنظهر الفرق بينهم و بين نوابغ الغرب وانما لنذكّرهم بالداء الذي اضعف جميع المواهب التي ظهرت في بلادهم وغادرها كانها لم تكن شيئاً مذكوراً . وهذا الداء هو ما تقدم ذكره من عدم الصبر على التعب وخلود كل عامل الى الكسل بعد اكتسابه شيئاً من الشهرة وتركه العمل الشاق لانهُ يقتضي جهداً وعناء مع معرفته « بان الوصول لا يكون الا بهذه الاصول » كما يقول كتاب العرب . وكفانا ان نستشهد الآن على هذا القول بحضرات الشاعرين احمد بك شوقي وحافظ افندي ابرهيم . وانما نخصهما بهذا الاستشهاد لانهما احب الشعراء الى الجمهور . فنسالهما بلسان هذا الجمهور الذي يحبهما و يهتزُّ طرباً لاقوالهما باي شيء يقطعان اوقاتهما الآن واين الكتاب المفروض على كل واحد منهما في كل عام

وان قيل ان سوق الادب كاسدة ولذلك لا يؤلفان ولا يترجمان فنحن نردُّ على ذلك بان فيكتور هيغو لم يكن يربح من ديوانه في بدء امره اكثر من ٧٠٠ فرنك كما تقدم . ونحن الضامنون ان اية مطبعة من المطابع التي تنشر الكتب تبتاع الآن من حافظ افندي او شوقي بك الديوان الجديد بسبعمائة فرنك على شرط ان يكون منظوماً كما يريد الجمهور وفي المواضيع التي يحبها . وان قالا ان احوالنا لا تساعد رجالنا نقول ان احوالنا على قدر رجالنا وها هي الحوادث العظمى تحدث وتمر دون ان نسمع فيها لاحدهم صوتاً . وان كانا يقولان ان الناس لا يعنيهم امرنا فاننا ننظم حينما نريد ونسكت حينما نريد فنقول ان كل امة يهمها امر نوابغها كما قال المسيو برانديس في صدر هذه المقالة لانها وصية عليهم ولها لا لانفسهم . ولذلك يحق لكل واحد من الجمهور ان يخاطب شاعريْ مصر بما خاطبهما به جناب داوود بك عمون ولكن لمعنى آخر غير المعنى الذي اراده

اشوقي أحافظ طال السكوتُ وترك الامور لاقدارها
فصوغا القوافي مصقولةً وشقا الجلود بيتارها
عساها تحرك اوطاننا وتنشر ميتَ افتكارها

ولكن اذا كان حضرة شوقي بك يلتزم السكوت طول العام ولا يرفع صوته فيه الا ثلاث او اربع مرات لتهنئة الجناب الخديوي بيضع قصائد فان حافظ افندي يسعى ويعمل . وقد كتب الينا جنابه منذ مدة يخبرنا انه عرب رواية التعساء (الميزرابل) عن فيكتور هيغو وتفضل بان وعد الجامعة بنشر بعض فصوله فيها . فنحن نرحب بكل

ما يحكتبه جناب حافظ افندي ولكننا نستغرب ان يكون في يده قيثارة عليها اوتار من اوتار هيغو (اي قلم الشعر) ثم يعدل عنها الى ربابة (اي قلم النثر) فليته يعدل عن النثر الى ما ُخلق له . بل ليته يخمص « التصاه » شعرًا فتكون احسن منها نثرًا

وختام الكلام ان رجلاً كهيغو لا ينبت من الارض ولا يهبط من السماء . بل هو ينشئ نفسه بنفسه . وذلك بالصبر على العمل وسهر الليالي فيه وتفضيل لذته على كل لذة وطلبه لذاته لا للمال الذي ياتي عنه ومعرفته ان الشاعر او الكاتب اذا نام على أكاليله كما يقول الافرنج فقد مات وأمات في نفسه عالمًا معه . فالعمل والسهر والتعب : هذه هي عصا السحر التي تضع صبيًا ضعيفًا فقيرًا كهيغو فوق الاميراطرة والملوك . وما ُخلق البشر في هذه الارض ولا سيما نوابغهم الا للعمل والتعب وخلق مواد جديدة من العدم لا لصرف الاوقات في ما لا يفيد شيئًا. فعسى ان يعتبر نوابغ الشرق بذلك فلا يقتلوا مواهبهم في الكسل والاهمال والملاذ الشبيهة بفقاقيع الصابون من حيث سرعة زوالها . وهنا نذكر ما قاله وزير التجارة الفرنسوية في ختام الخطبة التي القاها يوم افتتاح معرض باريز الماضي « سقيًا لك ايها العمل المقدس . يامحرر الانسان ومشرفه ومعزيه . بك يتلاشى الجهل . بك يزول كل شر . بك تتحرر الانسانية من نير العبودية والظلام . وترتقي في الآفاق العلوية المنيرة الهادئة التي لا بدَّ ان تبلغها يومًا من الايام »

هذا ما نقوله للمشتغلين بالعلم والادب والشعر في الشرق . بقيت لنا كلمة نقولها للامهات وهي ماخوذة عن قصيدة روستان التي مرَّ ذكرها وهي : ايتها الامهات ابذلن كل ما في ايديكن وفي نفوسكن لتربية نفوس اولادكن . ولا تهملن ولدًا اذ من يعلم متى يمر في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهًا ؟ ومتى اخذتن راس ولدكن بين ايديكن لتقبيله فلا ضغطن عليه كثيرًا فانه ربما كان هذا الراس وحده يضمّ عالمًا عظيمًا



المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية ما لا يدخل في باقي أبواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

رد رنان على حارميه ومناظريه

الروحيون والماديون

من كتاب تاريخ الرسل التابع لتاريخ المسيح

اتينا في الاجزاء السابقة على خلاصة كتاب تاريخ المسيح كما كتبه الفيلسوف رنان ولم نبقِ منه سوى بضعة فصول موضوعها الحوادث التي تلت انزال السيد عن الصليب وسننشرها في الكتاب الذي شرعنا في جمعه على حدة كما اعلنا في الجزء السابق. وقد ذكرنا في ختام هذا الموضوع في الجزء المذكور الغرض الذي لخصنا من اجله هذا الكتاب وهو :

(١) اطلاع قراء اللغة العربية على تاريخ ام حركة اجتماعية غيرت وجه العالم وبسط حالة الشعوب في زمن حدوث تلك الحركة وهو ما عبرنا عنه بتاريخ الوسط الذي نشأت الديانة المسيحية فيه . ولا يخفى ان هذا التاريخ لا يُكتب الا من وجه تاريخي اي غير ديني .

(٢) تذكير البشر بالفضائل الانجيلية المنطبقة على النواميس الطبيعية التي تُبنى عليها كل ديانة صحيحة . والنداء بان كل ما خرج عن هذه الفضائل يُعد شيئاً عرضياً وجوده وعدمه سيان

ومما يسرنا ايراده انه كان لهذا التاريخ فوائد اخرى لم نكن نتوقعها . ولما ذكرها لنا اصحابها كانوا كمن يطلعوننا على امر جديد لم يخطر لنا في بال . فبعضهم اتانا وقال ضاحكاً : « اني كنتُ مسيحياً بالاسم قبل مطالعة مقالات رنان فاصبحت مسيحياً بالاسم والجسم بعد مطالعتها فلا ريب عندي ان الجامعة خدمت المرتابين والمشككين في قوة الحقيقة المسيحية انفع خدمة » . وبعضهم (وهو من الوعاظ الانجيليين) قال لنا ما نصه « اني مسرور بنوع خاص من مقالات رنان لانني رايت اخواننا المسلمين مقبلين على مطالعتها اقبال المسيحيين عليها فلا ريب عندي ان عقلاءهم يقفون منها على حقيقة الديانة المسيحية و يغيرون رايهم

فيها » • نقول وقد قال حضرة الواعظ هذا القول وهو يجهل ان جناب شوقي بك شاعر الحضرة الخديوية قال الابيات التالية في وصف الشريعة المسيحية وصاحبها

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروآت والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناه من الثرى الارجاء
وسرت آية المسيح كما يسري من الفجر في الوجود الضياء
تملأ الارض والعوالم نورًا فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيد لا صولة لا انتقام لا حسام لا غزوة لا دماء
ملك جاور التراب فلما مل ناب عن التراب السماء
واطاعته في الاله شيوخ خشع خضع له ضعفاء
اذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء

ولكن هنالك فائدة اخرى وغرض اخر من نشر هذا الكتاب لم نُشر اليه بعد مع انه من اهم الاغراض التي تقدمت الاشارة اليها. وهذا الغرض هو تقريب طوائف البشر بعضها من بعض وتعليمها التساهل ليحتمل بعضها بعضاً و يعرف جميعها ان الحقائق والفضائل ليست خاصة بامة دون امة ولا بفريق دون فريق لان الخالق تقدست اسماؤه اله للجميع لا اله شعب خاص ولا امة خاصة • واذا كان ابناؤه البشر متفقين على الحقائق الاصلية التي مقتضاها عبادته وطاعة نواميسه الطبيعية وشرائعه الادبية واحترامه بجعل القوة والحياة التي اعطاهم اياها مصروفة الى الخير الحقيقي والفضيلة الحقيقية لا الى الشر والجهل والبغض والوهم فما الذي يوجب عليهم بعد ذلك ان يتقاطعوا و يتدابروا و يعتبر بعضهم بعضاً اعداء لا يهنأ لهم عيش الا بادخالهم تحت سلطتهم او افنائهم من الوجود • فما كان اسعد البشر وما كان اكملهم لو كانوا يتبعون هذه الحقيقة الازلية الابدية التي يحومون حولها وقلما يدنون منها • وليس المراد باتباعها ان يترك كل واحد منهم ما في يده و يتبعها • كلا فان هذا القول لا يقوله الا من يجهل ماهية النواميس الطبيعية التي مقتضاها تشعب الاراء واختلاف المذاهب لان الوحدة امر مستحيل في العالم • واي شيء في الكون تجد فيه وحدة عامة ليجوز طلب الوحدة في الآراء والمذاهب • ان ناموس الطبيعة ونظامها قائم على « التنوع في الوحدة » لا على الوحدة • ولو كانت الوحدة عامة في العالم لكانت المعيشة فيه مملوءة مللاً وضجرًا • فلا ريب اذًا ان الآية « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » ليست حقيقة دينية فقط بل هي حقيقة طبيعية ايضاً تنطبق كل الانطباق على لباب النواميس الطبيعية • ولكن

المراد بذلك الاتباع ان لا يفضل البشر العرض على الجوهر والقشر على اللب والتراب على التبر ولا يدعوا انفسهم ينخدعون بسلطان الوهم والمصلحة الذاتية التي من مصلحتها تفريقهم وابقاؤهم في ظلام الجهل والوهم ليكون لها سلطان عليهم تستعمله في اكثر الاحيان لمنفعتها لا لمنفعتهم ولا سيما في زمن مادي كهذا الزمن الذي شوهت شراعته المادية كل النفوس حتى بلغت نفوس الرؤساء

واذا كان ما نشرناه الى الآن وما ننشره فيما يلي مفيداً في تأييد تلك « الحقيقة الازلية الابدية » التي اشرنا اليها وتوجيه عقول الوف من قراء الشرق وافاضله الى جهتها فاننا نعتبر انفسنا اننا قمنا بما كان يجب علينا . واذا كان صوتنا الضعيف اول صوت ارتفع في فضاء الشرق بهذا الموضوع فما الفضل في ذلك الا للاحوال التي كانت ملائمة له واستعداد نبهاء الشرق وافاضله من كل حزب لطلب الحقيقة المجردة عن الاباطيل والفضيلة الخالصة من كل شائبة .

ولكن هل ان هذا الحزب الجديد الذي يجتمع فيه اناس من كل الاحزاب يقوم ينقص في مستقبل الزمان ؟ ذلك امر يتوقف على مجرى الافكار المستقبلة وعلى حسن سياسة الرؤساء او فسادها . فاذا كان الرؤساء يضيقون حلقة الاخاء على البشر ويبقون على اهتمامهم باعراض الامور دون جواهرها واتخاذ الرئاسة آلة لتحصيل الغنى والجاه وقوة السلطان دون اهتمام بالفضائل التي بُني عليها الدين والاجتماع فلا بدَّ من تكاثر هذا الحزب. ويومئذ يصبح الرؤساء الذين هم عماد كل مجتمع في حالة لا يحبها احد لهم . واما اذا كانوا يعدلون عن المبداء القديم الى مبداء جديد مبني على الاخلاص للشعب وترك الاطماع والثروة لابناء العالم وتقديم الفضيلة الدينية على التقاليد فانهم يكتسبون كل القلوب و يزدادون رفعةً في عيون الناس اجمعين

كتاب تاريخ الرسل

بقي الآن ان نعود الى تاريخ رنان . فنقول انا نشرنا منه الآن « تاريخ السيد المسيح » ونحن نشرع الآن في كتابة « تاريخ الرسل » الذي هو تابع له . وموضوع هذا الكتاب اعمال الرسل بعد المسيح . وسيرد فيه وفي ما يليه تفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وما لقوه من الاضطهاد فيها وطريقة انتشار الديانة المسيحية بعد السيد

وتزاحم تلامذته على العمل. ويتخلل ذلك كلام بديع عن حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتيت اليهود ثم سقوط الدولة الرومانية . ومما لا يحتاج الى بيان اننا نكتب هذا التاريخ من الوجه التاريخي ايضاً ونترك للمؤلف عهدته مع حذفنا منه كل ما يجب حذفه حباً بالاختصار ومراعاة للزمان والمكان . اما المسائل الدينية فلا نبحث فيها قطعياً

وقبل الشروع في تلخيص هذا الكتاب نود تلخيص المقدمة التي قدمها المؤلف له رداً على حارميه ومناظريه . وبيان ذلك انه لما انتشر تاريخ السيد المسيح صدر امر من الكنيسة الكاثوليكية بحرمان رنان منها كما حرم المجمع الروسي المقدس الفيلسوف تولستوي في العام الماضي . وانهالت الردود على صاحب الكتاب . وكان الرادون عليه فريقين . فريق الاكليريكيين ولا حاجة الى ذكر براهينهم لانها معروفة . وفريق الماديين وهؤلاء عنفوا المؤلف لانه اعتمد على الانجيل في كتابة تاريخه واثنى على المسيحية وعلى العواطف الدينية ثناء لا يصدر عن اعظم انصار الاديان . وسنلخص في ما يلي ردود رنان على الفريقين كما وعدنا في صدر ترجمته لانه قال فيها اقوالاً يجب اطلاع الناس عليها لانها مما يساعد على تربية التساهل والاعتدال في النفوس ولاسيما ما كان منها متعلقاً « بنبوته الدينية »

مقدمة المقدمة

قال رنان في صدر مقدمة الكتاب ان مؤسس الديانة المسيحية هو السيد المسيح لا الرسول بولس كما يزعم بعضهم وان كان هذا الرسول قد نشر هذه الديانة في اقطار الارض. ولقد جاء في بعض الاقوال ان بعض خصوم بولس راموا بعد موته وضعه خارج الكنيسة واعتباره كسمعان الساحر ولذلك لم يظهر اسمه و يشغل المكان الذي له في التاريخ المسيحي الا بعد وضع الكتابة في الكنيسة موضع التقاليد الشفاهية وتدوين تاريخها

ثم قال المؤلف انه اعتمد في كتابة تاريخ الرسل على رسائل بولس بالاكثر لانها آية في التدقيق والوصف الصحيح . اما باقي الرسل فرسائلهم لا تشبه هذه الرسائل . وطلب الى منكري الكتب والمعارضين في صحتها ان يطالعوا الصفحتين الاوليين من رسالة الرسول بولس الى غلاطية ليعرفوا ان بولس متى حدث عن نفسه تكلم بدقة وتفصيل لا يقبلان الاعتراض . ثم قال المؤلف . ان الافتراض والاستنتاج لا بد منها في كتابة كل تاريخ قليل التفاصيل وان ضمير الكاتب يكون مستريحاً اذا كان يكتب كما يفتكر و يعتقد

فيقول عن الصحيح انه صحيح وعن الممكن انه ممكن

اما « اعمال الرسل » فقد اعتمد عليها المؤلف اقل من اعتماده على رسائل بولس • وهو يعتقد ان كاتب هذه الاعمال هو كاتب الانجيل الثالث اي الانجيلي لوقا لشدة الشبه بينهما من حيث اساليب الكتابة ومخاطبة الكاتب فيهما رجلاً يدعى ثاوفيلوس • ومما يراه ان كاتب الاعمال كان تلميذاً لبولس وقد رافقه في اسفاره، وحيث انه كان بين تلامذة بولس رجل يدعى لوقا وقد ورد ذكره في رسائل بولس الى كولومي ص ٤ ع ١٤ والى فليمون ص ٢٤ والى تيموثاوس ص ٥٤ ع ١١ فهو يعتقد ان كاتب الانجيل الثالث واعمال الرسل هو لوقا الذي تقدم ذكره • ويقول رنان ان « الاعمال » لم تكتب الا في عام ٨٠ بعد الميلاد

العجائب

ثم تكلم رنان عن العجائب في هذه المقدمة بعد ما ذكره عن اعمال الرسل فقال : ان العقل لا يصدق العجائب • واذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون • ولكنهم يقولون ان العجائب لا تحدث الا امام من يصدقها اي ان من شروط حدوثها الخفاء وبساطة الناظر واستعداده لتصديقها • ولقد قال شيشرون عن عجائب قومه الرومان قولاً يصدق في هذا الزمان وهو : « متى تلاشت تلك القوة السرية ؟ لقد تلاشت منذ صار الناس اقل تصديقاً لها »

وربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها • فنجيبهم « ان البينة على المدعي » لا على سواه • ولو جاء قوم الى يبفون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فماذا يجيبهم • انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا لا اعتقد بها • وان قالوا له اقم دليلاً على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة بل عليكم انتم ان تقيموا الدليل لا عليّ

واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يخلق الا بقدرة الله ومن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً • فالجواب عن ذلك ان هذا القول يغير وجه المسألة • فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب • ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعد ماهيتها حق المعرفة • وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً

لان الفسيولوجيا لم تعرف بعد كما نريد معرفته عنه . والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرًا من الاسرار الغامضة . وهكذا يصير كل مجهول عجيبة . فهل هذه هي العجائب . كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح « خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطه ارادة خصوصية » . واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي يمد يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المألوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المألوف لانه لم يثبت انه صنع ذلك . واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي

وقد يعدل المعارضون عن العجائب المادية ويلجئون الى العجائب الادبية . اما نحن فنقول ان البوذيين والبابيين راح منهم كثيرون من الشهداء ولم يكونوا اقل من غيرهم حماسةً واستماتة واستسلاماً . ولا انكر ان عجائب الديانة الاسلامية الراجعة الى هذا الشان تختلف عن هذه العجائب وهي قلما تهمني الا ان علماءها يعتبرون ايضاً ان انتشار الاسلام بسرعة البرق وانتصاره على ممالك الارض دليل على اتحاد الله معهم وصنعه ما صنع من اجلهم . بل فلنترك هذا الامر ولننظر الى اليونان فاننا نجد تمدنهم وفنونهم عجيبة من العجائب التي لا شبيه لها في العالم . فانه اذا كانت الديانة المسيحية عجيبة في العالم من حيث الادب والقداسة فان اكروبول اثينا الذي اجتمعت فيه نفائس البناء التي لا يُذكر بازائها بناء المتقدمين والمتاخرين لهو عجيبة ايضاً من حيث الجمال واتقان الفنون . فليس كل شيء مفرد عجيبة . لان الله تعالى كائن في كل ما هو جميل وحسن وصحيح في الارض بدرجات مختلفة . ولا يجوز اعتباره خاصاً بشيء دون شيء او بمدنية دون مدنية

لماذا ألف كتابه

واني اؤمل ان بعض القراء الذين تحمسوا منذ سنتين ونصف سنة لمطالعتهم « تاريخ يسوع » يطالعون هذا الكتاب بهدوء ورزانة . فان المجادلات الدينية انما تُبنى دائماً على سوء القصد من طالب المجادلة على غير علم منه ولا قصد . ذلك لانه لا يطلب الحقيقة بهدوء ورزانة حيثما كانت ولكنه يوءكد ان الحقيقة في قبضته ولذلك لا يكون له مرغ غير نسبة الجهل والافتراء الى مناظره . فالطعن والسب وتزوير الافكار والاقوال والافتراء والاحتماء بعواطف البسطاء والجهلاء — كل ذلك يراه طالب المناظرة الدينية امرًا جائزًا

له لانه يزعم انه يدافع عن الحقيقة التي يراها في قبضته . ولقد كنت اتوقع ذلك لانني لا اجهل حوادث التاريخ وارى في نفسي من الهدوء وثبات الجاش ما يحول بيني و بين التاثر منه . فانا استقبله بهذا الهدوء كما استقبل بسرور وتلذذ العواطف البسيطة المؤثرة التي حملت مناظري على هذه المناظرة . وكلما بدا لي ذلك الغضب الصادر بصراحة من نفوس ذكرية نقية فانني لا اتمالك ان اصيح « يا للبساطة المقدسة » كما صاح جان هوس (اللاهوتي الذي اعدم حرقاً) لما راى امراة تاتي الى محرقته بحزمة حطب والعرق يتصبب منها من التعب . ولكني اسفتُ كل الاسف لان كل ذلك الصياح والغضب لا يفيد الحقيقة شيئاً . ولا غرابة في ذلك فان الحقيقة لا تُعطي للذين يطلبونها بحماسة وغضب ولكن للذين يطلبونها بهدوء وتامل دون غرض ولا بغض . وليس في ذكر الانسان مبدأه من المبادئ اهانة لاحد فان الذين يرون فيه اهانة لمبادئهم يستطيعون التخلص منه بعدم وقوفهم عليه . فحسناً يصنع الجبناء وضعفاء العقول اذا لم يقرأوه

ولقد كتب اليَّ بعض الناس من كل صوب يقولون « ما غرضك من هذا . وماذا تريد » فانا اجيبهم بان غرضي هو كغرض كل مؤلف يكتب في التاريخ . ولو كان لي عدة اعمار لا عمر واحد لوقفت احدها لكتابة تاريخ الاسكندر المكدوني والثاني لكتابة تاريخ اثينا والثالث لكتابة تاريخ الثورة الفرنسوية (التي ننشر تاريخها الآن في روايات فريسة الاسد) والرابع لكتابة تاريخ جمعية سان فرنسوى . واي غرض يكون لي اذا كتبت هذه الكتب ؟ لا يكون لي من غرض سوى وجود الحقيقة واحيائها واعادة ذكر الحوادث الكبرى التي حدثت في الزمن الماضي بقدر ما يمكن من الصدق والتدقيق . اما ضعضعة عقائد الناس فهذا امر بعيد عن فكري . ولو كنت اقصده لطرقت هذا الموضوع من باب آخر بان اتناول الاقوال والافعال واظهر ضعيفها دون قويها وابسط التناقض الذي بينها ولا اعطي احداً من كلامي حجة عليَّ . ولكنني لا اكتب لذلك وانما اكتب لتقرير الحقيقة . ومتى كتب الانسان لهذا القصد وجب ان لا يعباء بشيء وان لا يتساهل في شيء بل ان يكتب كانه يكتب لكرة قفراء لا ناس فيها . والا فان كل تساهل وكتمان يُعدُّ اهانة للحقيقة ولصناعة الكتابة السامية

فنحن اذاً نكتب ما نكتب دون ان نطلب اسكات المبادىء التي تناقض مبادئنا او ان نقضها ونحمل عليها . بل نكتب دون التفات اليها كانها غير موجودة عندنا . واذا قبل احد مبادئنا فذلك دليل على ان عقله مستعد لها اما من كان عقله غير مستعد لها فانه لا

يقبلها. وليس يسوءني شيء في العالم مثل ان يقنعني احد بان اجتذب الى هذه المبادىء رجلاً لا ياتي اليها من تلقاء نفسه . وذلك مما يجعلني استنتج انني اما اصبحت مضطرب الفكر بعد الهدوء واما ان شيئاً خصوصياً قد ثقل فيَّ حتى صرت لا تروقني بهجة الدنيا ولا اكتفي بمشاهدة جمال العالم

فعملي اذاً مقصور في كتبي على البحث عن الشرائع العامة التي تحكم الانسانية وتدرج الانسانية فيها . ولست اتنازل عن هذا العمل الى فن المجادلة وان كان هذا الفن اكثر ثمرة لصاحبه . واذا لزمت المجادلة فان فولتير يكفي . فانه اذا نُشرت كتبه من جديد كان فيها جواب لكل طالبي الجدال . ولا انكر انه جواب سيء في ذاته ولكنه منطبق على ما يروم نقضه . فهو جواب متاخر لفن متاخر . اما نحن معشر عشاق الحق وطالبي الحقيقة فعلينا ان نصنع افضل من ذلك . علينا ان نترك تلك المجادلات لمن يطلبونها ونشتغل للفئة القليلة التي تسير في جادة الانسانية والصراط المستقيم

نبوءته الدينيه . الجديرة بانتباه كل عاقل

هذا هو سبيلي في كتابة التاريخ . ولستُ اجهل ان بعض الناس يستبطئون سير الفكر ولا يُمهلونه ولذلك يطلبون منه السرعة في عمله . اما نحن فلا نكوننَّ من جملة هؤلاء الناس بل فلنجتنب العجلة ولا نؤسسن شيئاً جديداً . وليبقَ كل واحدنا في قلب كنيسته منصرفاً الى فضائلها القديمة واعمالها الخيرية ومتمتعاً بجمال الماضي . ولا ننبذنَّ تعصب هذه الكنائس بل فلنصفح عنه لان هذا التعصب حاجة من حاجات القلب البشري مثل حب الذات الفطري . ومن المحتمل ان العلائق بين البروتستانت والكاثوليك واليهود تتغير بعد مائة سنة ولكنها لا تتغير كثيراً (ولم يذكر الارثوذكس اذ ليس في فرنسا احد منهم) . الا انه سيحدث انقلاب عظيم من وجه آخر . فان كل واحد من هذه المذاهب ينقسم اهله قسمين . قسم يعتقد بقواعد مذهبه حرفياً كما كان يعتقد الناس بها في القرون الوسطى وقسم يعتقد بآدابها فقط لا بكل ما فيها حرفياً . وهذا القسم الثاني يزداد وينمو في كل مذهب . وبما انَّ الذي يفرّق الناس الآن هو حرفية القواعد لامبادئها الاجمالية فان انصار هذا القسم من كل المذاهب يتقربون بعضهم من بعض الى درجة يرون انفسهم عندها في غنى عن قطع صلاتهم بالقسم الاول للاتحاد بعضهم مع بعض . ويومئذ يغرق التعصب في سيل من التساهل العمومي . وتصبح الطقوس فلكاً سرياً يتفق الجميع على عدم فتحه . واذا كان هذا الفلك فارغاً فاي

ضرر في فراغه . على انني اخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا الارتقاء العام في العقائد . ولكنني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة و بلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة . الا انني اخشى ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء . فاذا اختنقت قضي على الدين الاسلامي . ذلك انه من الثابت الآن امران : الاول ان التمدن الحديث لا يريد اماتة الاديان القديمة موتاً نهائياً لانه يتخذها آلة له . والثاني انه لا يطيق أن تكون هذه الاديان عثرة في سبيله . فعلى هذه الاديان اما ان تسالم وتلين او ان تموت

حرمه من الكنيسة

فما الفائدة اذاً من وضع مبادىء الدين الاصلية النقية من كل شائبة في موضع يؤذيها بدلاً من بقائها خارج دائرة الاحزاب والمذاهب ؟ ما الفائدة من اقامة مذهب ضد مذهب وراية ضد راية اذا كان الخلاص ممكناً للجميع وغير متوقف الا على نقاء باطن الانسان وشرف أخلاقه ؟ ومن المعلوم ان الانقسام بين البشر والغلو في المعتقدات يؤديان الى رد الفعل في كل امر وكل مذهب . فانه لولا لوثيروس وكالفين لما قام كارافا وشيسليري ولو يولا وفيليب الثاني . و بناء عليه فاذا نبذتنا كنيستنا وجب ان لا نغضب ولا نشكو . وانما يجب ان نذكر بسرور تلطف العادات العصرية وانقلاب الزمان الذي صيَّر هذا البغض بلا تاثير كانه لم يعد شيئاً مذكوراً . ولنعزِّ انفسنا عن ذلك بالتأمل في تلك الكنيسة الغير المنظورة التي تشتمل على رجال الصلاح المحرومين اولئك الرجال الذين هم في كل مذهب نخبة الكنيسة التي تحرمهم . وهؤلاء الرجال هم متقدمون عصرهم وقواد الجيل الآتي لانهم سيكونون في المستقبل بالنظر الى تطرف الاجيال الآتية أكثر الناس انتصاراً للمبادىء الدينية . ومع ذلك فاي معنى للحرمان وما الفائدة منه . ان الاب السماوي لا يحرم الا العقول الجافة والنفوس الشرهة والقلوب الضيقة . واذا كان معنى الحرم ان الكاهن لا يقبل جثتنا في مدفنه فعلينا ان نمنع عيلتنا من تقديمها له . والله بيننا خير الحاكمين . اما الارض فانها ام حنون لا تفرق بين جثة وجثة . وجثة الرجل الصالح متى دُفنت في حفرة فيها فانها تجلب البركة معها من عند نفسها

الشكوك

ولست اجهل ان اتباع هذه المبادىء صعب على بعض الناس خصوصاً المرتبطين بالنذور كرجال الاكليروس. مثال ذلك ان كاهناً شريف الاخلاق تحقق فراغ الفلك الذي اشرنا اليه واستحالة العمل بحرفية القواعد. فما عليه ان يعمل. هل يجب ان يسيء الى الذين كان يعزيهم ويسليهم بان يطلعهم على اكتشاف لا يفهمونه؟ معاذ الله ان يكون ذلك واجباً عليه فانه ليس في العالم كله رجلان واجباتهما متساوية. فان مطران كولانسو مثلاً قد صنع صنعاً دلَّ على استقامة سيرته وسريرته لما دوَّن بين اوراقه الشكوك التي قامت في نفسه بشان معتقداته. وهذا العمل فريد في بابه منذ قيام الديانه المسيحية. ولكن الكاهن الفرنسوي الذي تقوم في نفسه شكوك كتلك الشكوك عليه السكوت في بلاد ضيقة العقول كبلادنا. ولذلك سكت كثيرون من الكهنة. واذا فتشت حول كنائس القرى وجدت كثيرًا من القبور تضم امرارًا لم يقف عليها احد غير الله. فهؤلاء الذين سكتوا مساوون في الفضل لاولئك الذين نطقوا

العدو الحقيقي للعلم والدين

فالعلم اذًا شيء والعمل شيء آخر. والكمال يجب ان يبقى كمالاً في جوه الرفيع والا فانه يتلوث اذا اريد العمل به. وكم من الافكار والمبادىء تكون مفيدة لاهل الفهم واصحاب العقول النيرة ومضرة بالطبقة الواطئة. ذلك ان الانسان لا يستطيع ان يعمل اعمالاً عظيمة الا اذا كانت له خطة مقررة وطريق مخطوطة. وهذا ناشيء عن ان لقواه حدودًا معينة. واذا كان الانسان مجردًا عن كل وهم وعادة واصطلاح فانه يكون مخلوقاً ضعيفاً. فلنتمتع اذًا بنعمة الحرية المعطاة لنا نحن ابناء الله ولكن لا نجعلنَّ انفسنا شركاء في ما يصيب الهيئة الاجتماعية من تناقص الفضائل اذا ضعفت الديانة المسيحية. اذ ماذا نكون بدون هذه الديانة اذا امّحت. ومن يقوم مقام تلك الجمعيات (يعني بعض الرهبنات الصالحة) التي هي عبارة عن مدرسة للنظام والجد والاحترام والاخلاص. وكيف لا يخيفنا حينئذ الجفاف والقسوة اللذان يسطوان على كل القلوب والصغائر التي تستولي على العالم. نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين. وانما الخلاف الذي بيننا على لا ديني. فقلوبنا اذًا معهم وعدونا عدوهم. ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين

يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية

الكلمة الاخيرة

فنسئلكم اذاً باسم الله ان تتركوا كل خصام ونزاع . دعوا الاحزاب والمذاهب التي وضعها البشر تعيش بتساهل واحتمال بعضها مع بعض. ولا تطلبوا من بعضها ان يتنازل عن شيء من مبادئه اكراماً للآخر فان ذلك يحط من قدرها . وانما اطلبوا ان يحمل بعضها بعضاً ويتسامح بعضها لبعض فانه ليس في العالم قوة تستطيع ملاشاة باقي القوات ولا في امكان مبداء ان يعيش دون نقيضه . بل ان الشيء ونقيضه في هذا العالم لا بدَّ ان يعيشا معاً وانما ينشأ نظام الانسانية من اتحاد اصواتها الكثيرة مهما كانت مختلفة . ولكن هب ان ما يسمونه « استقامة الايمان » قد تمكن من قتل العلم فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا القتل معروفة لا تخفى على احد . فان العالم الاسلامي واسبانيا قد قاربا الموت لانهما خنقا العلم وسدا سبيله . وكذلك هب ان العلم المادي رام حكومة العالم من غير التفات الى حاجات النفس الدينية فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا الامر معروفة ايضاً وقد ظهرت في اثناء الثورة الفرنسوية . وهذا مصير كل افراط وكل تفريط في العالم . انظر الى ايطاليا في ايام نهضتها تجد ان ارتقاء الفنون فيها الى اسمى درجات الكمال جعلها مكاناً قذراً لان ذلك الكمال في الفنون لم يكن مقروناً بالفضيلة والحشمة . وانظر الى بعض البلاد البروتستانتية تجد ان الفجور والصغائر والتاخر في الفنون امور تتولد فيها عقاباً لها على الغائها الفنون والزينة وتشديدها على العلم بحجة البساطة وحفظ اصول الدين الحقيقية . فاوكريس وسنت تريزه . وار يستوفان وسوقراط . وفولتير وفرنسوى داسيز . ورفائيل وفنسان دي بول — كل واحد من هولاء الرجال لا غنى للعالم عنه وان اختلفت وجهاتهم ومقاصدهم . واذا فقدت الانسانية شيئاً من هذه العناصر المختلفة التي تتالف منها صغرت ونقصت نقصاً يظهر فيها » ا ه

انتهت مقدمة رنان . وهي في الكتاب ٦٤ صفحة بحجم كبير . وسندخل في الجزء القادم في موضوع الكتاب تتمة لهذا الموضوع الخطير



الشكوك

ولست اجهل ان اتباع هذه المبادىء صعب على بعض الناس خصوصاً المرتبطين بالنذور كرجال الاكليروس. مثال ذلك ان كاهناً شريف الاخلاق تحقق فراغ الفلك الذي اشرنا اليه واستحالة العمل بحرفية القواعد . فما عليه ان يعمل . هل يجب ان يسيء الى الذين كان يعزيهم و يسليهم بان يطلعهم على اكتشاف لا يفهمونه ؟ معاذ الله ان يكون ذلك واجباً عليه فانه ليس في العالم كله رجلان واجباتهما متساوية . فان مطران كولانسو مثلاً قد صنع صنعاً دلّ على استقامة سيرته ومريرته لما دوّن بين اوراقه الشكوك التي قامت في نفسه بشان معتقداته . وهذا العمل فريد في بابه منذ قيام الديانه المسيحية . ولكن الكاهن الفرنسوي الذي تقوم في نفسه شكوك كتلك الشكوك عليه السكوت في بلاد ضيقة العقول كبلادنا . ولذلك سكت كثيرون من الكهنة . واذا فتشت حول كنائس القرى وجدت كثيراً من القبور تضم اسراراً لم يقف عليها احد غير الله. فهؤلاء الذين سكتوا مساوون في الفضل لاولئك الذين نطقوا

العدو الحقيقي للعلم والدين

فالعلم اذاً شيء والعمل شيء آخر . والكمال يجب ان يبقى كمالاً في جوه الرفيع والا فانه يتلوث اذا اريد العمل به . وكم من الافكار والمبادىء تكون مفيدة لاهل الفهم واصحاب العقول النيرة ومضرة بالطبقة الواطئة . ذلك ان الانسان لا يستطيع ان يعمل اعمالاً عظيمة الا اذا كانت له خطة مقررة وطريق مخطوطة . وهذا ناشيء عن ان لقواه حدوداً معينة . واذا كان الانسان مجرداً عن كل وهم وعادة واصطلاح فانه يكون مخلوقاً ضعيفاً . فلنتمتع اذاً بنعمة الحرية المعطاة لنا نحن ابناء الله ولكن لا نجعلن انفسنا شركاء في ما يصيب الهيئة الاجتماعية من تناقص الفضائل اذا ضعفت الديانة المسيحية. اذ ماذا نكون بدون هذه الديانة اذا امحت. ومن يقوم مقام تلك الجمعيات (يعني بعض الرهبنات الصالحة) التي هي عبارة عن مدرسة النظام والجد والاحترام والاخلاص . وكيف لا يخيفنا حينئذ الجفاف والقسوة اللذان يسطوان على كل القلوب والمضائر التي تستولي على العالم . نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين . وانما الخلاف الذي بيننا على لا ديني. فقلوبنا اذاً معهم وعدونا عدوهم. ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لا ترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين

يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية

الكلمة الاخيرة

فنحلفكم اذاً باسم الله ان تتركوا كل خصام ونزاع . دعوا الاحزاب والمذاهب التي وضعها البشر تعيش بتساهل واحتمال بعضها مع بعض. ولا تطلبوا من بعضها ان يتنازل عن شيء من مبادئه اكراماً للآخر فان ذلك يحط من قدرها . وانما اطلبوا ان يحمل بعضها بعضاً ويتسامح بعضها لبعض فانه ليس في العالم قوة تستطيع ملاشاة باقي القوات ولا في امكان مبداء ان يعيش دون نقيضه . بل ان الشيء ونقيضه في هذا العالم لا بدَّ ان يعيشا معاً وانما ينشأ نظام الانسانية من اتحاد اصواتها الكثيرة مهما كانت مختلفة . ولكن هب ان ما يسمونه « استقامة الايمان » قد تمكن من قتل العلم فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا القتل معروفة لا تخفى على احد . فان العالم الاسلامي واسبانيا قد قاربا الموت لانهما خنقا العلم وسدا سبيله . وكذلك هب ان العلم المادي رام حكومة العالم من غير التفات الى حاجات النفس الدينية فماذا تكون النتيجة ؟ ان نتيجة هذا الامر معروفة ايضاً وقد ظهرت في اثناء الثورة الفرنسوية . وهذا مصير كل افراط وكل تفريط في العالم . انظر الى ايطاليا في ايام نهضتها تجد ان ارتقاء الفنون فيها الى اسمى درجات الكمال جعلها مكاناً قذراً لان ذلك الكمال في الفنون لم يكن مقروناً بالفضيلة والحشمة . وانظر الى بعض البلاد البروتستانتية تجد ان الضجر والصغائر والتاخر في الفنون امور تتولد فيها عقاباً لها على الغائها الفنون والزينة وتشديدها على العلم بحجة البساطة وحفظ اصول الدين الحقيقية . فلوكريس وسنت تريزه . وار يستوفان وسوقراط . وفولتير وفرنسوى داسيز . ورفائيل وفنسان دي بول — كل واحد من هؤلاء الرجال لا غنى للعالم عنه وان اختلفت وجهاتهم ومقاصدهم . واذا فقدت الانسانية شيئاً من هذه العناصر المختلفة التي تتالف منها صغرت ونقصت نقصاً يظهر فيها » ا .

انتهت مقدمة رنان . وهي في الكتاب ٦٤ صفحة بحجم كبير . وسندخل في الجزء القادم في موضوع الكتاب تتمة لهذا الموضوع الخطير



الذهب المصري والكيماوي برتلو

اكتشاف جديد

ساعد الكيماوي برتلو الباحثين في الآثار المصرية مساعدة تُذكر فتشكر . فانهم يُرسلون اليه شذورًا او لفائف من الذهب الذي يجدونه في المدافن المصرية فيحلل هذا الذهب ويعلم منه على التقريب العصر الذي استخدمه فيه دافنوه . على ان هنالك فائدة اخرى وهي تعيين العصر الذي استخدم فيه قدماء المصريين الذهب الخالص . ولبيان ذلك نقول

من المشهور ان الامم المتقدمة كانت تستخرج الذهب من الشواطىء البحرية والنهرية حين انحسار المياه عنها . ولا تزال هذه العادة شائعة عند بعض طلاب الذهب الى هذه الايام . واذا نزلتَ الى شاطىء الميناء الشرقية في الاسكندرية بعد يوم كان بحره هائجًا وزوابعه شديدة فانك ترى على شاطئه احيانًا بضعة رجال في ايديهم قصع يغرفون بها الرمل من الشاطىء الذي قلبته الامواج ثم يصفونه بالماء كمن يغربله بغربال وهم يبحثون عن شذور الذهب بين حبات الرمل . بل اذا كنتَ ذا بخت نظرتَ منظرًا اجمل من هذا : وهو منظر ثلاث فتيات من حسان الابطاليات تجلس اثنتان منهن على الشاطىء بين الجمع المجتمع وتذهب الثالثة وهي اجملهن بحذائها النظيف الجميل وحلتها الانيقة فتخوض البحر حتى يعلو قدميها شبرًا او شبرين ثم تمد يدها الى الماء وتقبض قبضة من الرمل الذي تحته وتعود به الى رفيقتيها ليبحثن فيه معًا عن حبات المرجان

وقد كان المصريون الاولون يستخرجون شذرات الذهب من الشواطىء بطريقة كهذه الطريقة الا ان الذهب الذي كان يُستخرج بهذه الطريقة كان ممزوجًا بالفضة . ولذلك كان لونه ضاربًا الى البياض . وقد كانوا يسمونه « الكتروم » او « آزم » . ولم يكونوا يومئذ يعرفون الذهب الخالص قطعيًا . غير ان هذا الجهل لم يكن خاصًا بهم فان جميع الامم المتقدمة كانت تستخدم الذهب ممزوجًا بالفضة لجهلها طريقة فك الواحد من الآخر

ولكن هل طالت مدة هذا الجهل . وهل بقي المصريون على استعمال الذهب ممزوجًا بالفضة ازمانًا طويلة . — هذا هو السؤال الذي وجد برتلو جوابه . فانه حلل اللفائف الذهبية التي بعث بها المسيو ماسبرو اليه فوجد في اللفافة الذهبية التي من عهد « الاسرة السادسة » ٩٢ جزءًا من الذهب و٥ اجزاء من الفضة وفي اللفافة التي من عهد « الاسرة

الثانية عشرة » ٩٠ جزءا من الذهب و٤ من الفضة . ووجد في القنافة التي من عهد الفتح الفارسي ٩٩ جزءا من الذهب . فثبت له ان الذهب الخالص لم يُعرف في مصر قبل الفتح الفارسي . ولا ريب انه اذا بحث في جميع لفائف الذهب التي توجد في المدافن حول الرمم المحنطة تمكن مع طول البحث من معرفة عصر اي مدفن من المدافن التي يكتشفها الكاشفون من مجرد تحليل الذهب الذي يكون فيها

هذا وقد قدم المسيو برتلو ملاحظاته هذه الى مجمع العلوم في باريز فنقلناها نحن عن وقائع هذا المجمع . وقد قدم اليه هذا العالم ملاحظة اخرى تختص بمصر . فان احد الباحثين بعث اليه بقطعة من اناء يظهر انه من فضة وقد وجد في مدفن من مدافن الاسرة الرابعة اي من نحو ٦ الاف سنة . فلما حلل برتلو هذه القطعة وجد انها من الرصاص لا من الفضة وانما صار لها منظر الفضة ولونها لاتحاد مادتها بكلوريد الصوديوم

الانكليكان

او تاريخ انكلترا الديني

لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي عيساوي

سألني بعض الاصدقاء ان اشرح في الجامعة تاريخ الطائفة الانكليكانية لكثرة الكلام عنها في الايام الاخيرة في مصر والشام وخصوصاً في بيروت فرايت ان اذكر ما وصلت اليه يدي من امورها بعد البحث والتنقيب ولا غرض لي من ذلك غير اطلاع القارىء على تاريخ انكلترا الديني اذا كان يجهله . فاقول

الكنيسة الانكليكانية وتدعى ايضاً كنيسة انكلترا هي جزء عظيم من الطائفة الانجيلية في العالم . وتختلف عن باقي الكنائس الانجيلية بان لها اساقفة وشمامسة كما في الكنيسة الارثوذكسية ولها رئيسا اساقفة يقيم احدهما في كنتربري والاخر في يورك . وهذان الاسقفان هما بمثابة البطاركة في الكنيسة الشرقية . وهي الكنيسة الرسمية عند الحكومة البريطانية وتعترف بسيادة ملك انكلترا على املاكها . وهي كنيسة رسولية تحفظ شرائع الرسل وتعاليمهم

تاريخها

وتاريخ هذه الكنيسة تاريخ النصرانية في انكلترا · والنصرانية دخلت الى انكلترا بعد ظهور الديانة المسيحية بقليل · ومن الرواة من يقول ان الرسول بولس ذهب الى تلك الجزائر وكان حينئذ سكانها من المتوحشين فنشر التعاليم المسيحية فيها مبتدءاً من مقاطعة غلاستنبرج لان طقوس هذه المقاطعة الى الآن تقارب الطقوس الشرقية · ثم جعلت النصرانية تمتد حتى القرن الثالث بعد الميلاد حين اصبحت البلاد تابعة لسلطة المملكة الرومانيــة فابتداء قياصرة الرومان اذ ذاك باضرام نار الاضطهاد وهدم كنائس النصارى فيها ولكن ذلك لم يثن من عزم الاكثرين على التدين بها حتى ان مجمع نيقية المشهور الذي عقد في عام ٣٢١ ب · م كان فيه من ينوب عن كنيسة انكلترا · وظلت النصرنية تمتد حتى الفتح النورمندي وكانت قد صارت اكثر المقاطعات البريطانية تعترف بالنصرانية وصار فيها ٤٥٠٠ كنيسة ما عدا كثير من الاديرة والصوامع وكاتدرائيات الاساقفة الخصوصية · وصار للاساقفة السلطة العظمى فكانوا يحاكمون الناس كالقضاة

وكانت كنيسة انكلترا يومئذ غير تابعة تماماً للسلطة البابوية · وبنــاء عليه رأت الحضرة البابوية ان تساعد الملك وليم الفاتح النورمندي على التغلب على انكلترا ليجعل هذا الملك سلطتها تامة فيها · وتمهيداً لذلك قبل وليم الفاتح في انكلترا علاوة عن رئيس اساقفة يورك كاردينالين رومانيين اوفدها البابا من قبله · وعليه فالفتح النورمندي كان ذا صبغة دينية · واتماماً لنفوذ الحضرة البابوية في انكلترا ارسل الفاتيكان كاردينالاً لومبارديا اسمه لانفرانك وجعله رئيساً لاساقفة كانتربري مخالفاً بذلك العادة القاضية بوجوب ان يكون رئيس الاساقفة من الانكليز دون سواهم · ثم كثر الكهنة والرهبان النورمنديون فانشئوا عدة كنائس وكاتدرائيات جميلة الهندسة على الشكل النورمندي · وصارت بعد الفتح كل شؤون الكنيسة في ايدي الغرباء · اما وليم فلما راى ان السلطة البابوية ستكون فوق سلطته ابى الاعتراف بها تمام الاعتراف وارسل يبلغ الحضرة البابوية انه لا يستطيع مخالفة العوائد القديمة التي توجب على السلطة البابوية ان لا تتخطى الحدود المرسومة لها · فنشأ عن ذلك نزاع طويل بين الملك والبابا ولكن لما توفي وليم اشتدت سلطة البابا والكنيسة حتى قام ادوارد الاول فسن عدة قوانين لتحديد هذه السلطــة · وفي هذه الاثناء تألف البارلمان الانكليزي وصارت له اهمية تذكر في انكلترا فساعد البارلمان الملك من جهة ومن جهة اخرى كثر اعتداء الاكليروس واتهمهم الانكليز بفظائع القتل ايضاً فنفرت قلوب

الناس منهم . وفي هذا الحين قام كاتبان انكليزيان انصرفا الى اظهار مساوىء الكهنة والرؤساء فرماها الاكليروس بالزندقة والكفر واضطهدها ولكن احدهما وهو (ويكليف) كان تعليمه تمهيداً « للاصلاح » . وفي عام ١٥٠٩ قام شاب على كرسي انكلترا فنشط الهمم لترجمة التوراة الى اللغة الانكليزية وترجم ايضاً كتاب الصلوات فوافق عليه البارلمان في عام ١٥٤٩ والزم جميع الكهنة باستعماله . ثم دخلت تعاليم « الاصلاح » في زمن هنري الثامن وكان من نتائجه الغاء الصور والتماثيل من الكنيسة وابدال مذابح القربان بمائدة اعتيادية وقد حدث كل هذا التغيير بتدبير احد دهاة الاساقفة المدعو كرنمر . وقام كثيرون يطلبون كتابة عقائد ايمانهم فاجابهم كرنمر وغيره الى طلبهم والفوا ٤٢ عقيدة فوافق عليها الملك والزم الاكليروس بالاعتراف بها . ثم ادخلوا في عام ١٥٥٢ التغيير والابدال في كتاب الصلوات وجعلوا له صبغة بروتستانتية . وبعد موت هذا الملك بقليل قامت ماري ستوارت الكاثوليكية فارجعت التعاليم القديمة . الا ان ١٥٠٠ — ٣٠٠٠ كاهن ابوا الموافقة عليها فاضطر بعضهم الى الفرار واضطهد بعضهم . ثم امرت ماري فاجتمع جمع اساقفة في عام ١٥٥٥ لمحاكمة المراطقة (اي البروتستانت) فاحرق منهم عدة اشخاص في جملتهم كرنمر المذكور الذي صرف ٢٣ سنة في رئاسة كنيسة انكلترا . وكان ذلك في ٢٢ مارس من عام ١٥٥٦

وفي عام ١٦٤٢ قامت طائفة البيورتيين . واصحاب هذه الطائفة بروتستانت لا طقوس عندهم ولا كتب صلوات ولا يعتقدون بشيء غير الكتاب المقدس . فقويت هذه الطائفة وكان من اتباعها كرمويل الشهير الذي اضرم نار الفتنة الاهلية في انكلترا وقتل كارلوس الاول والف جمهورية دامت مدة سنوات تحت رئاسته ولكن عفت اثارها بعد موته . وقد صارت هذه الطائفة ذات اهمية عظمى في مدة الجمهورية لان كرمويل قضى على الجميع باتباعها ومنع التعييد يوم عيد الميلاد وجعله يوم صيام ومنع اساقفة كنيسة الانكليكان من التعليم والوعظ مهدداً اياهم بالنفي اذا خالفوا امره . ثم لما رجعت الملكية رجع النفوذ الديني للكنيسة الانكليكانية وفر كثيرون من البيورتيين الى اميركا حيث وضعوا اساس الجمهورية الاميركية . وبقيت الانكليكانية في تقدم ونمو الى عهد جمس الاول وهو الملك الثاني بعد انقلاب الجمهورية . وكان هذا الملك كاثوليكيًا فرام ارجاع الكثلكة فاضطره الشعب الى الاستقالة والفرار . ولم يحدث تغيير في الكنيسة الانكليكانية الا في القرن التاسع عشر فانه كان من المفروض قبل هذا القرن ان يكون النواب في البارلمان الانكليزي من

الانكليكان دون سواهم · الا ان الحكومة اتباعاً لمبداء الحرية الغت هذا النظام واذنت بالنيابة في المجلس اولاً للبروتستانت غير الانكليكان ثم للكاثوليك فالاسرائيليين · وكان قبلاً كل انكليزي اياً كان مذهبه مرغماً بدفع ضريبة للحكومة تسمى ضريبة الكنيسة وكانت هذه الضريبة تختص بالكنيسة الانكليكانية بالطبع ولكنهم ابطلوا هذا ايضاً في القرن الماضي لانهم رأوا انه ليس من العدل ان يدفع الاسرائيلي مثلاً ضريبة لكنيسة لا شان له فيها · وقد امتدت الكنيسة الانكليكانية في القرن التاسع عشر في كل اقطار الدنيا بواسطة جمعية دينية أُلفت في نهاية القرن الثامن عشر · ولها الآن ٦٠ اسقفاً (مطراناً) في بربطانيا والمستعمرات ومثل هذا العدد في اميركا · ويبلغ عدد خدمة هذا الدين في انكلترا وحدها ٢٠٠٠٠ شخص

طقوسها وتعاليمها

وطقوس هذه الكنيسة وتعاليمها ماخوذة من الطائفة اللاتينية والطائفة الارثوذكسية وهي منقولة من كتاب لاحد رؤساء اساقفتهم المدعو هرمن وقد الفه في عام ١٥٤٣ وجعل اكثره مبنياً على تعاليم لوثيروس · والكاهن عندهم يلبس في اثناء القداس ثوباً ابيض ويلقي على كتفه حمالة سوداء وللكهنة ثياب خصوصية خارج الكنيسة تميزهم عن عامة الناس والزواج مباح لهم خلافاً لغيرهم من كهنة الطوائف المسيحية · ولهم في كتاب الصلاة خدم مخصوصة بالصلوات المختلفة كصلاة الصبح وصلاة المساء وصلاة عيادة المرضى ودفن الموتى خلافاً لطائفة البرسبيتيريين وهي الطائفة الانجيلية الاكثر اهمية في اميركا ومنها اميركان بيروت وسوريا · فان هذه الطائفة ليس لها طقوس ولا كتب صلوات مطبوعة

وتعليم الكنيسة الانكليكانية موجودة في كتاب الصلاة وفي كتاب التسع والثلاثين عقيدة وكلاها مترجم الى اللغة العربية · وقد وضع هذه العقائد الا ٣٩ كرغر وردلي · وكان عددها في الاصل ٤٢ عقيدة كما تقدم ولكن في عهد اليصابات قرّ رأي الرؤساء على حذف ثلاثة منها · وخلاصة هذه العقائد ان الكتاب المقدس هو وحده مصدر التعليم المسيحي وان الخلاص يكون بالايمان · وهي ترد رئاسة البابا وسر الاستحالة وخدمة القداس اللاتينية والمطهر والسجود للقديسين او لايقوناتهم وتحافظ على سر المعمودية والافخاريستا (الشركة) · واما تقليدات الكنيسة القديمة فتقبل منها ما وافق الكتاب المقدس موافقة صريحة لا تقبل التاويل · ويعتبر الكهنوت في هذه المواد كما يُعتبر لدى الكنيستين الشرقية والغربية اي موهبة تُعطى بواسطة وضع الايدي (الشرطونية) بحسب درجاتها الثلاث اي

الشماسية والكهنوت ورئاسة الكهنوت . وعلى هذا فان الكنيسة الانكليكانية قريبة من الكنيستين الشرقية والغربية بحيث تكون واقعة في نقطة الوسط بينهما من جهة وبين سائر المذاهب البروتستانتية من جهة اخرى . وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام اولاً الكنيسة العليا وهي الاشد تمسكا بكتاب الصلوات ومنها ظهر الانكليز المتكثلكون او محبو الطقوس وهم من اعلى طبقات الانكليز. ثانياً الكنيسة الدنيا وهي قلما تلتفت الى الطقوس وانما تصرف اهتمامها الى المبادىء والفضائل الدينية وتسعى في نشرها في الداخل. ثالثاً الكنيسة المتوسطة وهي موسومة بحرية الافكار والاهتمام بالمعارف والعلوم

املاكها

وللكنيسة املاك كثيرة في انكلترا ولها يد طولى في سن القوانين لان الكنيسة معتبرة عند الحكومة كالهيئة المالكة للابنية والعقارات المختصة بها . وعليه فبسبب كونها من اصحاب الاملاك يلزم ان تشارك اصحاب الاملاك في سن القوانين للبلاد ولذلك تعتبرها الحكومة جدّاً . ولكل اسقف من الاساقفة المقيمين في بريطانيا كرسي في مجلس الاشراف . وسبب ذلك انه لما توحدت ممالك انكلترا صار الملك يطالب الكهنة بالضرائب وبحسب الشريعة الانكليزية ان كل من يدفع الضرائب على العقارات والاملاك يجب ان يكون له مَن ينوب عنه في البرلمان . وعليه الّف الاكليروس اولاً جمعية مختصة بهم تعمل عمل البرلمان وتنعقد وتنحل معه . وكانت وظيفة هذه الجمعية الى سنة ١٦٦٤ البحث في مسائل الضرائب وبعد هذه السنة حلوا هذه الجمعية وجعلوا للمطارنة كراسي في البارلمان

وللكنيسة ايراد وافر من املاكها الواسعة ومن تاجير المقاعد في كنائسها وكاتدرائياتها ومن تقدمات عيد الفصح ورسوم التعميد والمآتم والاعراس . وتبلغ ميزانيتها خمسة ملايين جنيه انكليزي وهي تدفع رواتب باهظة لخدمة الدين اقلها ٨٠ جنيهاً في السنة . وجلالة ملك انكلترا محسوب رئيساً لها ولذلك يُسمى في لقبه « حامي الايمان » وهو يحكم في مسائلها الكبرى التي تُرفع اليه بدرجة استئنافية

والكنيسة الانكليكانية تميل الى الكنيسة الارثوذكسية وتود الاتفاق معها وقد سعت لهذه الغاية لدى بطريرك القسطنطينية غريغوريس السادس بواسطة رئيس اساقفة كنتربري في عام ١٨٦٩ فاصدر البطريرك المذكور على اثر ذلك منشوراً ياذن فيه بدفن الانكليكان بواسطة كهنة ارثوذكس اذا مست الحاجة . وفي عام ١٨٧٢ بعث الانكليكان على اثر اجتماعهم العام في اميركا برسالة الى متربوليت اثينا السيد ثيوفيلوس والى بطاركة المشرق يعربون بها عن ميلهم الى الكنيسة الارثوذكسية

بين مرسين وطرابلس الشام

بقلم جناب الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة أفوروف

(اذا عاش الانسان في هذه الحياة معيشة الفضل والعقل والتواضع وخفض الجناح واحتمل كل اذى وكل ضر بصبر جميل وصدر رحب ثم مات اشنع ميتة دون ان يذوق في حياته الراحة التي يستحقها اهل الخير فماذا تستنتج من ذلك ؟ الا تستنتج وجوب وجود عالم آخر افضل من هذا العالم تستريح فيه تلك النفس الفاضلة التي لم تجد غير العذاب في هذا العالم . وهكذا استنتج صاحب هذه القصيدة في وصفه حادثة حقيقية حدثت في العام الماضي على نهر في جهات طرابلس الشام . ونحن في هذا المقام نشكر جناب الناظم لتفضله بالاجابة الى ما اقترحناه عليه من نظم هذه القصيدة التي جعلناها جائزة لنفس فتاة فاضلة)

(الجامعة)

يامصاباً يضيق عنه احتمالي عمرك الله لا تمرّ ببالي

ليت شعري أأنت حادث جدٍّ ام خيالٌ من ساريات الليالي

صدق النعيُ والحقيقة نادت يا لهول من اشأم الاهوال

***

غادةٌ تزري بالنجوم بهاء صاغها الله آيةً في الجمال

ولدت في ثغر به الماء كاللو لؤ رصاف ينساب في الادغال

بين روضات ظللتها خيامٌ من غمام بوارف الاظلال

خيمت فوقها سما لازوردٍ رصعتها كواكب كاللآل

سابحات في موجها كعذارى مسرعات تحت جنح الليال

وسط تلك الجنات حسناؤنا قد نشأت بين اهلها في دلال

زهرة للحياة قد بسمت كا صبح للشمس والدجى للهلال

ثمّ اذ شبت بعد حين اتاها زائر الحب طاهر الاذيال

سمعت صوته اللطيف يناجي قلبها في براعة استهلال

فاطاعت ذاك النداء وزفت للخليل قد راقها في الرجال

ثم ان الزوجين عما قليل ودّعا رهط الاصدقا والآل

والى صقع آخر هاجرا قصـ ـدَ ارتزاقٍ وبسطةٍ في الحال
وباحدى البلدان بادىء بدء صادفا قيسار خير مجال
بيد ان الزمان اذ خان يوماً خسر البعل ماله من مال
وعلى اثر ذلك اعتلَّ في دا ءِ عقام قد اعتراه عضال
ثم ان السقام اضناه حتى لم يكن يُرجى معه من ابلال
فبتلك الاثناء صارت له الزو جة اماً فضلاً عن الانجال
ورفيقاً معزياً وملاكاً حارساً حتى حان وقت الزوال
فقضى نحبه وخلف للار ملة الهمَّ مع صغار العيال
ولقد كان نجم قطب بعينيـ ـها ومصباح دقة الامال
في رضاه ترى العسير يسيراً والبعيد البلوغ سهل المنال
تحسب القرب منه جنة عدن ولديه الحياة اهناه حال
ان اشار انقادت اليه بلين او نهاها تطيع دون جدال
واذا اغتاظ لا تحير جواباً او اجابت بالطف الاقوال
لا تكاد الاحزان تبدو على جبـ ـهتها حتى تبتلي بالزوال
كظلال الرياض فوق حياض حركتها الرياح في الآصال
ولئن كانت تزرف الدمع حيناً فوق خديها ساقطاً كاللآل
انما كانت فيه تزداد حسناً كالرياحين رصعت بالطلال

***

ثم ان الفتاة من بعد ذاك الر زء عادت الى ربوع الآل
وعلى اثر الخطب اسقمها الهـ ـمُّ فرامت تخفيف بعض الوبال
فانتحت ديراً مع فتاها المرجى تبتغي وجه ربها ذي الجلال
فكأنَّ النفوس ترتاح ان تسـ ـتقبل الله في اعالي الجبال
ثم بعد المقام في الدير حيناً صممت ان تعود نحو الآل
فاستخارت وسافرت مع فتاها والمكاري تبغي محط الرحال
فالتقوا نهراً فاصلاً فتحرى صاحب البغل قطعه باحتيال
اذ بدون القطع المسافة كانت حائلاً دون سرعة الايصال
ما درى انه بتلك المجاري سوف يلقي ركابه في الوبال

من عساه يدري اذا كانت الا | م به صاحت وهو غير مبالـــ
ويلك فاعدل عن العبور فبادا | ها المكاري بافظع الاقوال
وامتطى النهر طاغياً ماؤه يض | رب فوق الركاب حتى الشكال
ولقد حان للركوب عثارٌ | فهوى البغل ساقطاً في الحال
فارادت تخليصه امه فاذ | قلبت مثله لشر المآلـــ
يد ان المكاريَ السوء ظناً | منه ان الاثام دون البغالـــ
اخرج البغل في سلام وام | مع فتاها ماتا باسواء حال
ليت شعري من ظن ان بغالاً | تفتدى صاح بالنفوس الغوال
سلم البغل ناجياً وفتاةٌ | مع فتاها غاصا مع الاوحال
يمما « ميناء » امينٍ فماتا | قبل ان يبلغا محط الرحالـــ
يا فتيَّ الصواعق الدم هيا | واصعقي راس ذلك البغال
ليته لا تذوق اجفانه طع | م رقاد من مرعبات الخيال
وليعذب فؤاده وخز تقريـ | ع اليم يفوق وخز النصال
ولتطارده من ابالسة الوهم | جيوش بافظع الاهوال
ليت شعري هل ناله من لدن عد | ل القوانين صاح شر النكالـــ
ام ترى اعتلت القوانين بالاشـ | ـكال خلي والقلب والابدال
فمضى دون ان يمس بقبض | او نجا مطلقاً بحل عقال
كسواه من الجناة الاولى قد | افعموا الارض من فظيع النصال
واقل الجزاء كان قديما | ك الشقي اللئيم ضرب النصال

***

ربما قال قائل بعد هذا | اين عدل المهين المتعال
مع فتاة كانت ملاك سلام | ولمعنى العفاف خير مثال
شقيتْ في حياتها مع زوج | قرنتها به ظروف الحالـــ
معه ذاقت من العذاب صنوفاً | دون ادنى سآمة وملال
ولقد زاد طينها بلة ما | دام الزوج من ضياع المال
فاعتلال بشرّ داء فموت | قد رماها في اسواء الاحوال
ثم لم يكفها الذي كابدته | من صنوف الويلات والاهوال

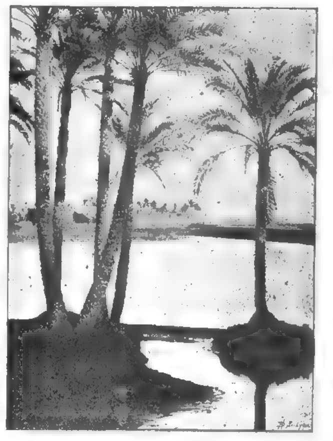
فاتتها المنون من حيث لا تد ري وسدت موارد الآمال
غرقاً ماتت مع فتاها المرجى فدية عن بقل وعن بغال
ليت شعري هل الفضيلة تجزى بوخيم العقبى وسوء المآل
ايها المشتكي المسوغوم رويداً في تجنيك واتئد في المقال
ان في ذا اقوى دليل على ان بعد هذي الحياة دهر تال
فيه يجزى خير بخير سواه وبحسن العقبى حميد الفعال
حيث يزهو وجه الفضيلة كالشم س سناء بل فاقها في الجمال

***

ولذا خاطب الفتى امه في نعشها ناطقاً بذي الاقوال
راعني يا اماه قرع النواقي س بطيئاً مقطعاً اوصالي
واحتشاد الجموع من حولنا اي ضاً اراه يزيد في بلبالي
اين كنا واين نحن ايا ام اه قولي وافصحي في المقال
حرتُ في ما اليه صرتُ ولكن ياترى هل عرفتِ ماذا جرى لي
شمتُ في الماء صورتي في ثياب كالثلوج البيضا باعلى الجبال
وعلى هامتي اكاليل زهر فائح العرف رائع الاشكال
احدقت بي آلاف آلاف غلما ن حسان الوجوه ولد دلال
بسطوا لي منهم اكفاً كان قد حضروا يا اماه لاستقبالي
وكانٌ الزعيم اذ ذاك مني جذب الجسم نحوه في الحال
ثم طاروا بالروح مني جميعاً في طباق الفضاء نحو الاعالي
وبتلك الاثناء جسمي عانى داخل الماء افظع الاهوال
اترى يا امي جرى لك مثلي او رات عيناك الذي قد بدا لي
وكانٌ الفتاة اذ ذاك قالت لابنها كن يا ابني براحة بال
خطفتنا ملائك النور من ار ض الشقا نحو ربها المتعال
والذي شمت انما بان في الما ء انعكاساً عن الفضاء العالي

نخيل مصر وزراعتها وتمرها

اهدانا بعضهم رسماً لاحدى جزائر النخيل في اثناء فيضان النيل · وقد وقع نظرنا ونحن نقلب هذا الرسم على كلام عن النخل وزارعته ورد في تقويم المؤيد الذي صدر



﴿ جزيرة نخيل في النيل في اثناء الفيضان ﴾

حديثًا فاجبنا نشره في هذا الفصل للذين تهمهم المسائل الزراعية

﴿ زراعة النخل ﴾ توافق زراعة النخل الاراضي الرملية الرقيقة المحتوية على نسبة صغيرة من الطين ويكون ثمره افضل اذا نما بيطء في ارض ضعيفة . وهو يتكاثر اما بغرس النوى او بالنخل الصغير الذي ينبت من الساق الارضية للاناث وهذه الطريقة هي المعول عليها بخلاف الاولى التي لا تاتي بنفس الثمر ولا تحفظ نسبته الاصلية . وقبل نقل النخل الصغير تقلع بعض اوراقه الخارجية وتربط الباقية بحصيرة لوقاية الزر الانتهائي من حرارة الشمس وتفك الحصيرة قليلاً كلما اشتدت الاوراق ونمت وترفع الحصيرة تمامًا بعد ٨ اشهر والابعاد التي تراعى في زرع النخيل ينبغي ان تكون من ٣,٥٠ الى اربعة امتار من كل جانب ويكون الزرع في حفر تحفر طويلاً وتستعمل كساقٍ ولا توضع اسمدة مطلقًا واذا وضعت فتكون من اسبخة المواشي او من روث الاغنام والماعز . ويجب ان تكون ارض النخل رطبة عند جذوره لا سيما في ابتداء امره وحينما يزرع صغيرًا لا بد من سقيه مرة في كل اسبوع اثناء الثلاثة شهور الاولى ومرة في الاسبوعين مدة الثلاثة شهور الثانية ثم يروى في فترات معلومة من السنة بانتظام وكثرة الارواء يجب ان تكون قبل التزهير . والنخيل اذا اجيد زرعه اثمر بعد ٤ او ٥ سنوات ولكن ثمره لا يكون وافرًا الا اذا بلغ ٨ سنوات وهو اذا اعتني به دام ثمره نحو جيل ولكنه ينحط في جودته بعد مائة سنة . والنخلة القوية تعطي ٨ سباطات (اقراط) في كل منها من ١٥ الى ٢٥ رطلاً . ويبدا البلح في تغيير لونه في اواخر فصل الصيف

﴿ بلحه ﴾ نخيل البلح منتشرة من بلاد النوبة الى البحر الابيض المتوسط وبلح الواحات والوجه القبلي الذ مذاقًا . وبلغ متوسط ما صدر منه من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ٦٤٥ طنًا سنويًا بسعر ١٨ جنيهًا الطن . وصدر منه عام ١٨٩٩ — ٨٩٢ طنًا بمبلغ ١٤٢٢١ ج . وعدد النخيل في الوجه القبلي اكثر منه في البحري وفي قنا اكثر منه في مديريات الصعيد وفي بني سويف اقل منه فيها وفي الشرقية اكثر منه في مديريات الوجه البحري وفي المنوفية اقل منه فيها . وضرائب النخيل بمقتضى قرار ٢٨ مايو سنة ١٨٨١ غرشان ونصف صاغًا عن كل نخلة تحمل ثمارًا وتعفى النخيل غير المثمرة او النامية في جنائن منزلية او في جبانات او في غيرها فانه لا يدفع عنها اموال . وظهر من تعداد سنة ١٩٠١ ان عدد النخيل التي تدفع الضرائب عنها ٥٢١٩١٩٣ نخلة والتي لا يدفع الضرائب عنها

٤٧٨٣٠٧٤ نخلة — وانواع البلح الذي يؤخذ من نخيل مصر هي : الرشيدي او السماني وهو مدبب الطرف غليظ الحجم صغير النواة و يزرع بقرب رشيد وعلى ساحل البرلس و يطلب بكثرة في اوربا والطريقة لحفظه قطع طرفيه وازالة النواة و رفع القشر وغليه في الماء ثم وضعه في الشراب الحلو . والزغلول لا يزرع منه الا القليل و يعمل مربى و ينضج بدريًا و يكون طويلاً كبيرًا ونواته صغيرة . والعمري ومنه اغلب الصادر و يزرع في الشرقية و ينضج موءخرًا وقبل ان يجف تمامًا يرتب في صناديق للتصدير . والسيوي وهو قصير ثخين اصفر ويكبس في بعضه لتكوين ما يسمى بالعجوة والنوع الجيد يوضع في اكياس من جلد بدون نوى . والحياني او البركاوي يصير اسود حين تمام النضج الذي يحصل قبل انواع البلح وقد ادخل من المرج الى القليوبية . والامهات وهو صغير اصفر تزول قشرته بسولة وينمو فيما عدا النواحي القريبة من البحر ويختمر بسرعة لكثرة سكره واهم موارده البدرشين في الجيزة . والرملي ويتاخر في نضجه و يصير لونه الاحمر اسود حين النضج و ينمو بسرعة قرب البحر لا سيما في ضواحي الاسكندرية . وبنت عيشه وهو كبير ثخين مستدير احمر يصير اسود حين الارطاب ونواه صغيرة بالنسبة لغيره . والابريمي ويجلب جافًا من النوبة حيث ينمو بكثرة وهو طويل رفيع قمته سمراء فاتحة و يؤكل جافًا ونواته كبيرة وهو غير مطلوب بكثرة

﴿ اصلاح خطاء ﴾ وقع خطأ في عجز البيت الحادي عشر من قصيدة نابوليون (الصفحة ٤٤٨) فقد جاء فيه « لم يتمادى بعدُ » وصوابه « ولم يتوغل بعدُ » فلزم التنبيه

رأي عالم مصري وعالم سوري

﴿ في النهضة الادبية في الشرق ﴾

اما باقي الاجوبة فانها ستنشر في الجزء التالي بسبب ضيق المقام

لو اردنا نشر جميع الرسائل التي وردت علينا جواباً عن اسئلة الجامعة المنشورة في الجزء السابق بشان النهضة الادبية في مصر والشام لاستغرق نشرها صفحات هذا الجزء كله. فلا ريب ان تراكم الاجوبة الى هذا الحد يدلُّ على استعداد الافكار لهذا البحث وان الجامعة قد اصابت به الموضع المؤلم الذي يشكو منه جمهور القراء والكتاب في الشرق · ومن الاتفاق الغريب انه لم ينتشر الجزء السابق حتى وقعت حادثتان محليتان جعلت الجرائد كلها تخوض في موضوع الصحافة وواجباتها وحريتها مما يدخل في البحث الذي نحن في صدده اذا اردنا ضمه اليه · ولكن المجال محدود في هذه المقالة لتكاثر المواد فنكتفي في هذا الجزء بنشر رأيين لعالمين فاضلين كل منهما علَم في قومه ومنار يستضاء به في عاصمتي الشقيقتين سوريا ومصر · ولو ارادت مصر ان تُنيب عنها رجلاً من ابنائها في عكاظ العلم والادب لما وجدت خيرًا من جناب الامام صاحب الراي المصري · ولو رامت سوريا ان تنيب عنها رجلاً من ابنائها في هذا المؤتمر لما وجدت ايضاً خيرًا من جناب الاستاذ صاحب الراي السوري · فالكاتبان اللذان يمثلان مصر وسوريا في هذا البحث ممن تفتخر مصر وسوريا بهما وتعدانهما في مقدمة ابنائها علماً وادباً وكمالاً · وحسبنا ذلك للدلالة على قيمة رأييهما

(راي العالم المصري)

حضرة صاحب مجلة الجامعة اللامعة

«لعل الجامعة تعني بالصحافة الحاضرة والمجلات والجرائد ما هو منها في مصر وهكذا ينبغي ان يكون السؤال عنها خاصة ولذلك سيكون كلامي قاصرًا عليها ولا اذكر ما ينشر منها في غير البلاد المصرية الا اذا دعت الحال الى القياس والمقارنة

من البديهي وان غفل عنه كثيرون ان قيمة ما يُكتب تعلو وتحط على حسب ما يكون من قصد الكاتب واثر المكتوب في نفس القارئ، فان كانت الجريدة او المجلة

انشئت لمقصد نبيل وكان لما يدرج فيها اثر جميل في نفوس قارئيها قدرها قدرها العقلاء وعدت من حاجيات البلاد او كمالاتها . فان افادت صاحبها مع ذلك غنى في مال او سموًا في مقام او بسطة في جاه كانت كالخلق الجميل ينفع صاحبه ويسر معاشريه والا كانت كالهمة العالية تُتعب من تكون له . وان رفعت به قومه واهله

وقد كان لمصر جريدة واحدة هي الجريدة الرسمية ينشر فيها ما كانت تحب الحكومة ان تنشره من اوامرها وقليل من الاخبار الخارجية التي يروق للحكومة درجها فيها وبقية صفحاتها كانت وقفاً على مدح امير البلاد وبعض رجاله الفخام. واذا نكب الامير احد اولئك الرجال وجد محرر الجريدة اوسع المجال لذكر مثالبه والنيل منه فكانت قيمة الجريدة بمقدار ما تحتوي عليه ولهذا لم يكن الناس يشتركون فيها الا جبرًا

وانشئت بعض الجرائد والمجلات بعد ذلك ولكنها كانت اشبه بالرسمية . انشئت مجلة روضة المدارس يكتب فصولها اساتذة المدارس وبعض موظفيها وقليل من سواهم ولم يكن الغرض من انشائها الا اظهار كل كاتب ما عنده من العلم على زعمه افهم ام لم يفهم اخذ القارىء حظًا منه ام لم ياخذ ولذلك ماتت بموت اصحاب تلك الرغبة ولم يرثها احد من الناس . وانشئت جريدة وادي النيل ولها ميل الى الغرض الذي انشئت له روضة المدارس فيما ينشر فيها من الآداب والى الجريدة الرسمية في المدح والهجاء . ولم يكن في عبارتها ما يسر غير ممدوحها ولا يسيء غير من صدر الامر بذمه فيها . ولكن كان في اسلوبها ما لا يسيغه الا ذوق كاتبها رحمه الله لهذا ماتت بموته غير ماسوف عليها من احد

ثم جاء زمن بحوادث غيرت الحال التي كانت عليها مصر من قبل وظهرت في الناس حاجة الى الاطلاع على ما يحدث بينهم فاحس بعض المهرة وطلاب العيش بهذه الحاجة فاسرعوا الى موافاة الناس بما يسدها ولكنهم وآ اسفا لم يكتنهوا كنه الحاجة ولم يحيطوا بحقيقتها وغلبتهم حاجتهم الى الكسب العاجل فانشأوا جرائد مستقلة عن الحكومة لكنها اشتقت من جرائدها فجاءت من نوعها وعلى طريقتها من حيث اضطرارها الى ارضاء الحكام والامراء ومقالاتها في المدح والهجاء . وزادت على ذلك انها كانت في حاجة الى اجابة ما يطلب مشتركوها من ذلك وهم قوام معيشتها فكانت تنال اجرًا من الحكومة على بعض ما يكتب فيها ومن المشتركين على ما يوافق اهواءهم منها وصاحب الجريدة لا غرض له يرمي اليه من تعبه في تحريرها الا ان ينال مالاً او يكسب جاهاً يستثمره في جلب المال . ثم جاء من ينافسه فاتخذه قدوة وحذا في عمله حذوه . فما قيمة تلك الجرائد . هي قيمة الغرض الذي

انشئت له وذلك الغرض ان يعيش محروما بحق او باطل. في قيمة اثرها في الناس ؛ وهو صرفهم عن كسب الفضيلة والتحلي بها الى الاكتفاء بذكرها ودفع اجرة نشرها

وانشئت جريدة من الجرائد لغرض سياسي حقيقي اثناء الحرب بين الدولة الروسية والدولة العثمانية . وكان يكتب فيها افاضل معروفون وكانوا يستشيرون العقل والحق والعدل فيما يكتبون . ولكن غلب على الجريدة مع ذلك حب الظهور ولم تجد اليه سبيلاً الا بسب من يعارضها فيما تكتب او يخالفها فيما تقرر خصوصاً ان كان المعتدي عدوها وكان عليها ان تمر به مر الكرام ولكن كان ذلك في طبيعة الوقت فجرت عليه فكنت ترى الجرائد في ذلك الزمن معارض سباب يضحك لمناظرها السفهاء ويبكي من عواقب ما تتقاذف به الحكماء

ثم ظهرت جرائد كثيرة في هذه البلاد لم يدعُ اربابها الى نشرها الا الحاجة الى الكسب سواء كان بتحميلها العامة فمن لم يحملها انتظر ما لا سبيل الى اتقائه من شتم وقذف ام كان بحملها على الحكومة فان لم تمدها بما تريد اتخذت الحرية سلاحاً ظالماً تشق به عن العورات وآلة لقلب الحقائق وتغييرها الى ضلالات وكثيراً ما جرعت العامة ما خدر عقولها وخيل لها انها سعيدة في شقائها . غير ان ذلك لم يمنع بعض تلك الجرائد ان تتخذ لها سبيلاً الى مشرب من المشارب تثبت على وروده سواء كان ما يوافق العامة او يوافق الحكومة . لهذا قويت وصار لها كون مستقل بحيث لو ذهب شخص القائم بها صح لها ان تبقى وان يستمر وجودها اذا خلف الذاهب من يسلك مسلكه . ولكني لا انكر انها مع ذلك قليلة الفائدة لقلة ما يودع فيها مما ينفع الناس ولارضائها العامة بوهم لا حقيقة له

كان هذا شان جرائد الزمن الماضي الى ما يقرب من الحاضر ببضع سنين وبعضها استمر في ذلك الى الآن اما اليوم فامر الجرائد اصبح من اضر الامور بالعامة فانه اذا سدت السبل في وجه العاجز وكان يقدر على صف الكلمات بعضها بجانب بعض بادر الى انشاء جريدة تحت اسم ضخم ونادى في مقدمتها بانه لا يريد الا تقويم العقول وتغذية الارواح ثم شرع في تهديد بعض الاغنياء او الامراء او الحكام بكشف اسراره وابداء عواره لا يريد بذلك الا ان يشتري الناس سكوته

ويعظم هذا الخطر ضعف طبيعة اغلب العامة من هذه البلاد وميلهم الى الهزل وغلبة البطالة عليهم ولا شيء يدعو الى الاشتغال باعراض الناس كالفراغ من العمل ولا يسلي الناقص عن نقصه مثل عيب الكامل بما يُعاب هو به ولا لذة للناقصين تساوي لذتهم

بالحط من الكاملين

هذه العاقبة السيئة التي صارت اليها الجرائد في هذه البلاد لم تذهب على بصيرة بعض الناس قبل الحوادث العرابية وفي اثنائها حتى عملوا على السعي في اعدام الجرائد التي يسمونها جرائد اخبار ليستبدل بها مجلات ادبية لتربية العامة وافادة الخاصة تحت مراقبة من هو اهل لان يراقبها ويكون لها ذيول تجارية فقط تصدر كل يوم ولا عجب كان من ترقب تلك الحالة فانها من الترقي الطبيعي للنشأة الاولى

هذا الذي ذكرته فيما يختص بمعاني ما تنشره تلك الجرائد اما ما هو من ناحية الفاظها واساليبها فذلك مما يُحمد في قليل منها ولكنه يسوء اهل الذوق ويخيف اهل الغيرة على اللغة في الكثير الاغلب فانك ترى اولئك العجزة الضعفاء يخترعون الفاظاً من عند انفسهم يستعملونها فيما يشاؤن من المعاني ويهشمون بناء اللغة تهشيماً فلا يبالون بما يقدمون او يؤخرون لا يرجعون في ذلك الى معجم ولا يجرون على قاعدة فيزيدون اللغة ضعفاً على ضعفها ويصكون وجه الفصاحة ويصفعون قفا البلاغة وما ظنك بأمة تهان فيها ملكة العلوم وهي البلاغة

اما المجلات فاغلب ما صدر منها انشيء على ذوق منشئيها اما لكسب المال من قوم مخصوصين تروج عندهم بضاعتها واما لنشر شيء من المعارف بين طبقة خاصة من الناس وهذا القسم انبلها ولكن الفائدة منه ليست عامة وقد يسوء اثره في الناس متى دخل فيه الغلو في مشرب او التفاني في نصرة مذهب والطعن في مذهب آخر بدون تحكيم الانصاف. غير ان المجلات اكثر خيراً واقل شراً من الجرائد على كل حال لانها لم تشتق من الشعر القديم القائم على عمودي المدح والهجاء كما اشتقت منه جرائد الاخبار

اما النصيحة للجرائد والمجلات فهي اولاً ان يمتاز اهل الفضل من اربابها بوحدة تجمعهم وتلصق بعضهم ببعض حتى لا تدع فرجة لدخيل فيما بينهم فيكونوا طبقة خاصة تفرق عند الناس ولا يمنعهم من ذلك الاختلاف في المشرب ولا الضغائن التي تسربت في قلوبهم من المنافسة فلهم ان يستمروا على اختلافهم وان يبقوا على ضغنهم وانما الذي عليهم ان يتلاحموا في الادب ليكونوا عصبة ينصرونه اذا هوجم ويقوونه اذا ضعف ثم يعودون فيما بينهم الى ما يجب كل منهم ان يكون عليه وهذا امر يسوء العقلاء بل هو ما يمتازون به عن الحمق والسفهاء

ثانياً ان ينظروا في جميع تلك الجرائد الاخرى فاذا وجدوا فيها ما يخالف حقيقة او يذل فضيلة او يروج رذيلة او يخالف شريعة او لغة حملوا عليه حملة واحدة ونفروا من

قراءته بكل ما تبلغه الاستطاعة وفي هذا وحده ما يقوي وحدتهم ويحمل النازل عنهم على الالتحاق بهم ومن لم يستطع ذلك كفت الايدي عن تناول ما يكتب خوف العار اللاحق من قراءته فتنضب مادته ويدركه الموت الفاضل قبل الحياة الخبيثة. وان يجتهدوا في تنقية عباراتهم مما يخالف اوضاع اللغة او يخرج عن اساليبها الصحيحة الفصيحة وذلك لا يجشمهم الا مراجعة المعجمات وبعض الكتب من فنون الادب

ثالثاً ان يبعدوا من مجادلة بعضهم بعضاً عن كل ما فيه تعريض بعيب او رمز الى مذمة . وان تتجه مقاصدهم الى تربية فكر يصح ان يكون عاماً في الاهالي ويحملوا الناس عليه كالعمل والاهتمام بما هو من العدل والتعاون على الخير والحق وان يجعل ذلك غرضاً يرمي اليه الكاتب في جميع ما يكتب مع تسهيل العبارة ما استطاع

رابعاً ان ينشيء كل منهم لجريدته شيعة تنصر غرض صاحبها وينصر هو ما نماه في نفوس اعضائها على ان يكون سبيل الجريدة وشيعتها ان يصل الى منفعة ثابتة في البلاد ولا يكون سبيلها كذلك حتى تراعي في العمل حالة الاهالي ودرجات استعدادهم وتدقيق النظر في كيفية قيادتهم الى منافعهم. اما ما عليه او باب الجرائد المعتبرة الآن من اتباع اهواء العامة فتى مدحت شيئاً مدحوه ومتى نفرت من شيء نفروا منه او تطلعهم لما يبدو على وجوه بعض الحكام من رضى وسخط فيرضون اذا رضوا ويسخطون اذا سخطوا فذلك مما يجعل الجرائد مزعزعة الاركان ضعيفة البناء تسقط لاول عاصفة تهب عليها من حيث كانت تنتظر السكون

ثم اخص المجلات بامر يجوز ان تشركها الجرائد فيه وهو البحث في عوائد البلاد واخلاقها والتنقيب عن مناشئها حتى اذا عرف ما عراها من الامراض واجيد تشخيصه وعرفت علله واسبابه بُحث في تدبير العلاج النافع له وقُدم الى الانفس بالمقدار الذي تحتمله

هذا ما خطر ببالي الآن ان اقوله والله يوفقكم الى صالح العمل والسلام

(راي العالم السوري)

حضرة منشيء الجامعة الغراء

«الصحافة على الاطلاق ليس من ينكر عظم شانها وفائدتها في المجتمع الانساني . واما الصحافة الحاضرة فكيفما كان حالها هي نوع من الصحافة العامة ويصدق عليها ما صدق على تلك من الفائدة والاهمية ولا يناقض هذا الحكم العام الاجمالي ان يقال هذه الجريدة

مثلاً هي دون تلك او ان هذه المجلة التي يكتبها زيد اكثر مادةً واسمى موضوعاً من التي يكتبها عمرو

اما الواجب صنعه لتحسين حالها فان كان المراد بتحسين الحال ان تبلغ مبلغ الصحافة الغربية (وهذا ما يتبادر الى الذهن) فما ارى الا الايام كفيلة به لانه موقوف على اصحابها ومحرريها من جهة وعلى الامة من جهة اخرى

واصحاب الجرائد كاكثر اصحاب الاعمال العظيمة من شرائطهم ان يكونوا ممن يحسنون ادارة الامور العظيمة بحيث ينفعون وينتفعون بها واما المحررون فان يكون كل منهم ثقةً فيما يكتب يُقتدى به في البلاغة ويُرجع الى قوله ويعول على رأيه في العلم

ولو فرضنا هنا ان اصحاب صحافتنا الحاضرة ومحرريها كلهم ممن تمت فيهم الشروط التي المعنا اليها لم يكفِ ذلك في ان تبلغ صحافتنا الحاضرة مبلغ الصحافة الغربية من اهمية الشان وعلو المكانة الا ان تكون الامة عندنا مستعدة لهذا التحسين استعداد الامم الغربيـة له ٠ والمعلوم ان امتنا غير مستعدة لتحمّل حال تلك الصحافة الراقية وعليه فلو حاول بعض من اصحاب جرائدنا ممن هم مستعدون بالفطرة لادارة الاعمال الكبيرة ان يبلغ بجريدته من التحسين مبلغ مثلها في المنزلة من الجرائد الغربية فارصد لها راسمالاً كبيراً واقام لهـا من الكتاب رجالاً يُقتدى بهم في البلاغة كما ذكرنا ويُرجع الى ارائهم عند التحقيق فمثل هذا الرجل لا يلبث ان يضيع راس ماله واذا تسامحنا فقلنا انه لا يُضيعه فلا اقل من ان تكون ارباحه تافهة لا يُعتدُّ بها ٠ ورجال الاعمال على ما يُعلم (وعلى ما ينبغي ان يكونوا ايضاً) لا يقدمون على عمل ارباحه تافهة على حين يكون في امكانهم ان يديروا عملاً آخر غيره ارباحه كثيرة

والذي يؤخذ مما ذكرناه اننا لا ينبغي ان نطمع في ان تجاري صحافتنا الصحافة الغربية لكن ذلك لا يمنعنا من النظر في الوسائل الممكنة لترقيتها الى احسن ما يوءذن به استعداد الامة عندنا ٠ وافضل هذه الوسائل على ما ارى ان يكون اصحابها من العارفين حاجة البلاد والامة ومن المخلصين في الخدمة وفوق ذلك ينبغي ان يكونوا من التهذيب والحنكة بحيث يستطيعون ان ينتقوا من المحررين من بهم الكفاءة وان يكتبوا هم ايضاً ويحرروا اذا مست الحاجة

اما النهضة الادبية في الشرق فان قلتُ انها حقيقـة استحييت من كثيرين من الافاضل الذين كتبوا الى الجامعه وان قلتُ انها غير حقيقية استحييت من الافاضل الذين

يقولون انها حقيقية · والذي يتراءى لي انها غير اصيلة في الشرق بمعنى ان ابناءه لم يشعروا من انفسهم بالحاجة ابتداء ولا نهضتهم كنهضة مسافر بقصد وجهة معلومة انما ادركه الكلال فنام على الطريق وطالت نومته الى ان ايقظه لذع اشعة الشمس فانتبه مذعورًا من تقصيره فقام يجري لعله يدرك من تقدمه انما هي نهضة دعانا اليها الاجنبي ممن علموا بعض شباننا في سوريا ومصر فاجبناه وما رايناه ايضاً من عز الاجنبي الذي تهجم علينا في بلادنا فاننا لما رايناه امامنا بمراحل كثيرة في التجارة والصناعة ورايناما له فينا من نفوذ الكلمة وعلو المكانة قلده السواد الاعظم منا في ظواهر ترفه من لباس ومأوى وما الى هذين وقلده بعض خاصتنا وهم قليلون في طلب الادب والاشتغال ببعض مسائل العلم والسياسة · ولكن لا يزال خاصتنا هؤلاء مع احترامي لمقدار ما حصلوه مقلدين لعلماء الغرب يقولون بقولهم حتى في المباحث المتعلقة بعوائد الشرقيين واخلاقهم ولغتهم ولعلي مخطىء فاني انما اتكلم عن الطبقة التي انا منها طبقة المعلمين والكتاب الذين يعيشون بطريقة من طرق الاستخدام او ما يقرب منها كتاليف كتاب او ترجمة رواية

على انا نؤمل ان هذه النهضة كيفما كان اصلها تتقوى شيئًا فشيئًا وتقويها انما هو بكثرة عدد الناهضين فيها من سائر اصناف الطبقات ولا سيما الطبقة المديرة على اختلاف مظاهرها فانها اذا تقوت كما اشرنا فلا يبعد ان تنقلب نهضة حقيقية تجري على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجًا

اما نصيحتي الخصوصية للشرقيين واعني بهم اهل سوريا ومصر والعراق العربي فانصح للمشتغلين بالتعليم ان يصرفوا وكدهم الى علم تهذيب الاخلاق وتربية القوى العاقلة والادبية وانصح للمشتغلين بالعلم من المعلمين والاساتذة وغيرهم ان يدرسوا العلوم الطبيعية ويتعمقوا فيها تعمق الثقاة الذين يُرجع الى اقوالهم فيها لا يقتصرون على علوم البلاغة والادب · واما الطلبة فان كانوا من ابناء الاغنياء والتجار فانصح لهم بعد ان يحصلوا كل ما في استطاعتهم تحصيله من مبادىء العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية والادبية ان يصرفوا وجهتهم الى درس علوم الاقتصاد والتعمق فيها

واما من سوى هؤلاء من اعياننا ووجهائنا واغنيائنا فلا انصح لهم انما اطلب اليهم ان يكونوا قدوة لنا في الاستقامة وفي الجد والنشاط والبعد ما امكن عن السفاسف وتقليد الغربيين في هاته الظواهر التي لا تزيدنا جاهاً ولا عقلاً انما غايتها ان تؤدي بنا الى الافلاس والمذلة يومًا ما · واكثر من ذلك فاني اطلب بل اضرع اليهم ان يتقدموا

جاههم في كل ما يعود على الامة بالنفع والخير العام ولا سيما في ان يجمعوا اهواءنا المتفرقة ويوجهوا التفاتنا الى جامعة كبرى سياسية ننسى عندها اختلافنا في المذاهب والاديان واختلافنا في الغنى والفقر وما سوى ذلك من اختلاف الجنسية والعوائد والاخلاق فاننا ما دمنا على حالنا هذه لا جامعة كبرى لنا يرتبط بها كبيرنا وصغيرنا . اميرنا وصعلوكنا . عالمنا وجاهلنا . تقينا وفاجرنا ولا لواء اذا نُصب نتسارع اليه من تلقاء انفسنا كتسارع افراد الامة الانكليزية الذي شاهدناه مؤخرًا في الحرب الترنسفالية . اذا لم يكن لنا هذه الجامعة الكبرى ندافع بها عن كياننا وامتنا فنحن بعيدون عن كل فلاح لا ينفعنا تحسين حال الصحافة ولا يعززنا وجود نهضة ادبية بيننا . بل مقياس منفعة الصحافة عندنا الآن واهمية النهضة الادبية انما هو بالنسبة الى ما ترمي اليه وتسعى فيه من ايجاد هذه الجامعة الكبرى التي تصيرنا ابناء وطن واحد واعضاء جسم واحد هو الامة والمملكة

(ثم يلي ذلك ثناء على الجامعة يوجب الشكر لحضرة الاستاذ الكريم لتنشيطه اياها)

﴿ الجامعة ﴾ هذا ما وسعه المجال في هذا الجزء . ولا ريب في ان كل شرقي يتدبر المقال الذي تقدم بامعان واهتمام . وسنأتي في الجزء القادم على بقية الاجوبة والرسائل خصوصاً الاجوبة الشعرية اللطيفة التي وردت من الشعراء ونرجو من اصحابها المعذرة لتاخير نشرها . والجامعة مستعدة لنشر كل ما يردها في هذا الموضوع

ولكن مع ضيق المجال في هذا الجزء ننشر جواب رصيفنا « المقتطف » عن المسائل التي نشرناها في الجزء السابق في هذا الموضوع . ومعلوم ان رأي « المقتطف » في هذا الشان رأي من يتتبع سير المشرق خطوة خطوة منذ ٢٦ عاماً . قال

«لا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل مسألة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان للصحافة الآن شأناً كبيرًا في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواه لدى ولاة الامور وصار كثيرون من ولاة الامور يلتفتون الى ما تقوله الجرائد فيحتمي صغارهم عن الحيف ويهتمّ كبارهم برفع الظلامات وهذا نراه كل يوم تقريباً . وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يوماً فيوماً فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار . عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول . وما في الصحافة من غث يزول بناموس « بقاء الانسب » ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلّ لها وغيّر بعضها لهجته حتى تناسب احوال العصر .

اما المجلات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل

«ونصيحتنا لرصفائنا اصحاب الجرائد والمجلات ان لا ينشروا شيئاً الا وهم واثقون تمام الثقة انه صحيح وان من نشره فائدة ما . فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافاً . ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جلياً من مقابلة حاله الآن بحاله منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولاسيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصد نساءها على الاقل . ومن المقرر ان الحكومة لا تستطيع ان تعلّم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة الفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلّم والترقي ويجب عليها ان تساعدها فتنفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشيء المدارس ومكافأة من ينفع بلاده بتاليف او اكتشاف او استنباط . وربما كان خيرما تفعله ان ترسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سر ارتقائها حتى صارت قرينة لانكلترا ثم يعود الينا بالخبر اليقين»

افريقيا والمسيو هانوتو

﴿ وكلامه الجديد عن الدين الاسلامي ﴾

كأنّ المسيو هانوتو قد غار من المستر ويلكوكس . فانه كما ان المستر ويلكوكس القى خطبة منذ عدة اسابيع في مصر موضوعها « مصر بعد ٥٠ عاماً » ذكر فيها ما ذكر من المسائل الهامة التي ستتم في نصف قرن في مستقبل مصر كذلك راى المسيو هانوتو ان يتكلم عن المستقبل على سبيل قياس الآتي على الحاضر فالقى في المؤتمر الجيوغرافي الذي انعقد في هذا الشهر في وهران من اعمال الجزائر خطبة تكلم فيها عن افريقيا ومستقبلها وقال في اثناء هذه الخطبة عن الدين الاسلامي ووجوب اتفاق الاوروبيين والمسلمين في البلاد الاسلامية كلاماً يجب على كل عاقل ان يمعن فيه النظر . ولذلك نلخص هذه الخطبة بما امكن من الايجاز حرصاً على فوائدها لا سيما ان الخطيب يتكلم عن القارة التي نحن فيها

ولكننا قبل تدوين نبوّة المسيو هانوتو بشان افريقيا لا باس من تدوين شيء من نبوّة المستر ويلكوكس بشان مصر . فقد قال المستر ويلكوكس في هذه النبوّة ان مصر

ستصبح بعد ٥٠ عاماً في عز عظيم . فان سكانها البالغ عددهم اليوم ١٠ ملايين نفس سيبلغ عددهم في هذه المدة ٢٠ مليون نفس . ويُزرع فيها الآن ٦ ملايين فدان من الاطيان اما بعد ٥٠ عاماً فسيزرع فيها ١٥ مليون فدان . وستنتشر السكك الحديدية في افريقيا انتشار الاعصاب في الجسم فيسافر السائح من راس الرجاء الى الاسكندرية على خط واحد . ويتخاطب ابناء اوغنده وابناء مصر بالتلغراف اللاسلكي كانهم في غرفة واحدة . ويقام للمستر سسل رودس تمثال على خط الكاب والقاهرة عند خط الاستواء كما اقيم تمثال لفردينان دي لسبس على ترعة السويس . وقس على ذلك ما اشبه من الاقوال التي من هذا القبيل

اما المسيو هانوتو فانه لم يقتصر في خطبته على مستعمرات فرنسا كما اقتصر المستر ويلكوكس على مستعمرات انكلترا بل انه ارتفع الى ما فوق المصالح الخصوصية ووسع موضوعه فجعل الكلام عاماً افريقيا كلها . وقد ابتدأ اولاً بذكر الاسباب التي حالت دون تمدين افريقيا وجعلتها آخر الاصقاع في التمدن فقال ان الاسباب محصورة في شواطئها الخالية من الثغور المناسبة لحماية السفن وانهرها التي تعترضها شلالات وصخور تمنع السفن من مخر عبابها « والذبابة القاتلة » التي يسمونها تسه تسه لانها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة العجماوات . ومسالة الاتجار بالرقيق وما يتبعها من الشقاء وفساد الحال

ثم بحث المسيو هانوتو في هذه المصاعب واحدة واحدة . فقال ان الانسان اقتحم افريقيا اليوم ليمدنها وفي قبضته آلات جديدة ومبادىء جديدة

الآلات الجديدة

اما مسالة الثغور فان فتح ترعة السويس انقص اهميتها وغير وجهها . وسيتمكن العالم من توسيع الثغور الموجودة وفتح ثغور جديدة . واما مسالة الانهر وصعوبة السفر فيها فقد تسلط العلم عليها ايضاً وصار يتصرف بمجاري الانهار كما يشاء . وفضلاً عن ذلك فقد اقامت الصناعة لافريقيا فاتحاً عظيماً وهو « السكك الحديدية » . فان هذه السكك ستنتشر في كل حدب وصوب فتنفتح بها داخلية افريقيا الى البحيرات الكبرى التي كانت مقفلة في وجه التمدن . ونقيم على شواطىء هذه البحيرات تمدناً عظيماً

واما مسالة الذبابة القاتلة فقد خلق لها العلم عدواً لا تقوى عليه ايضاً وهو : الحديد . فان المركبات الحديدية تنقل البضائع من اقصى افريقيا الى اقصاها دون ان تؤثر تلك

الذبابة فيها . وفضلاً عن ذلك فان العلماء صاروا يجربون مداواة جروح هذه الذبابة بالمصل المستخرج منها وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تم لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة

وقد صار العلم يصرف جهده ايضاً الى شق الغابات الكثيفة المظلمة وادخال نور السماء اليها وتجفيف مستنقعاتها المضرة وصرف المياه من الاماكن التي تكثر فيها الى الاماكن التي تكون فيها قليلة او خزنها الى حين الحاجة واستخراج المياه التي في جوف الارض لارواء سطحها . وربما فكر ايضاً في اصلاح الصحراء نفسها فغرس فيها نوعاً من الاشجار يكون فيه شيء من صلاح حالها

اما الخيرات الكامنة في تربة افريقيا فان اللسان يقصر عن ذكرها كلها . ولو قال قديماً قائل للرشال (بيكو) الذي فتح الجزائر ان في تربة هذه البلاد (اي الجزائر) مناجم فوسفات كافية لسد النفقات التي انفقت على فتحها لادهشه هذا القول لا محالة . وفضلاً عن ذلك فان في ظلمات الغابات الاستوائية الكبرى مادة هي من اثمن المواد في الزمن الحاضر واريد بها « الكاوتشوك » رفيق الحديد وساعده . ومن جهة اخرى تجد المعادن الماسية والذهبية منتشرة حوالى شواطىء افريقيا في امكنة مختلفة كانها نطاق معدني تتمنطق هذه القارة به

ثم ذكر الخطيب ايضاً وجود الزنك والفحم والبترول في التربة الافريقية وقال ان الانسان متى تمكن من استخدام الشلالات فيها اقام حوالى الشلالات في كل اقطار افريقيا كثيراً من المعامل العظيمة التي تكون مصدراً للثروة والغنى . وذكر السكك الحديدية التي تُمد الآن من الشواطىء الافريقية في جميع جوانبها الى داخلها فقال ان فرنسا انفقت في مستعمراتها الافريقية ثلاثة مليارات فرنك لتحسين حالها وانشاء الطرق فيها وان الطرق الحديدية توجه خطوطها الآن الى نقطتين عظيمتين. الواحدة بحيرة تشاد والثانية شلالات ستنلي . وغير بعيد ان يُعقد بين الدول اتفاق عام على وضع نظام عمومي لسير هذه السكك في المستقبل وادارتها كما تقتضي مصلحة افريقيا العامة فيصبح بذلك داخل افريقيا عبارة عن خلية عظيمة تشبه خلايا النحل بشدة ضوضاء الحركة والعمل فيها واتجاه قطاراتها من كل الجوانب الى مدن عظمى واسواق عمومية في قلب القارة . وهكذا يتحقق ما جاء في التوراة « فليسكن الله خيمة سام وليوسع بلاد يافث »

وانما يكون الفضل في اقامة هذا التمدن الجديد لابن العصر الذي يتغلب على افريقيا « بالآلات الجديدة العظيمة » لينشىء فيها « اعمالاً عظيمة » طلباً « للارباح العظيمة »

المبادىء الجديدة

اما المبادىء الجديدة الواجب اتخاذها في تمدين افريقيا فهي مخالفة للمبادىء القديمة التي كانت قاعدة للسياسة الاستعمارية في الزمن الماضي . فانه من المعلوم ان الاجنبي في افريقيا لا يستغني عن الوطني قطعياً لحرارة الاقليم فيها . ومن اجل ذلك يجب على الاجنبي ان يتخذ الوطني صديقاً ورفيقاً ويعامله بالقسط والعدل . وانه من العار على التمدن الاوروبي ان لا يتخذ في فتوحاته سواء كانت ناشئة عن مطامعه او عن حاجاته مبدءاً سامياً يرجع اليه في معاملة الشعوب التي تقع تحت حكمه . واول نعمة يجب عليه ادخالها الى افريقيا هي السلم والامن . ولقد ضايق هذا التمدن تجارة الرقيق ويكاد يستاصلها . ومتى تم ذلك وزالت عن تلك الشعوب والقبائل المصائب والنكبات التي كانت تحني ظهورها فانها تنصرف حينئذ الى الزراعة التي تحبها حباً ما وراءه حب كما قال الرحالة ليفنستون . وهكذا يكون « السلام الاوربي » لهذا العالم الجديد كما كان « السلام الروماني » للعالم القديم . هذا اذا لم تصب الامم المتمدنة الاوربية بجنون هائل يستفزها الى اعادة بذور العدوان والنزاع الى هذه الارض التي لم يرعلها زمن طويل وهي خالصة من شرور الحروب

وكما اننا مديونون لهم « بالعدل والسلم » فاننا مديونون لهم « بالتساهل الديني » ايضاً . ولست اشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة . فاقول ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في افريقيا ولا سيا في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذى هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال افريقيا) اكثر نشاطاً منه في غيرها . وهذا الدين يدعو الى اله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل الذاتية والاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يعود قادراً على التفلت منه . فعلينا واجب التساهل في هذا الشان . بل لا يكفي التساهل في ذلك ولكن يجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا لفهمه . ومن واجباتنا ان نتخذ الحديث الاسلامي « لا اكراه في الدين » شعاراً لنا لا نخرج عن حدوده وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارىء . وحسناً نصنع اذا كنا نذكر في هذا المقام كلمة للامير عبد القادر وهي تشبيه اصحاب الشرائع الثلاث بثلاثة اخوة من ثلاث امهات .

ثم قال المسيو هانوتو ان العامل الثالث في تمدين افريقيا (غير المبادئ الجديدة والآلات الجديدة) هو العمل . ولكنه لا يريد بذلك العمل المضجر الشاق الذي يكرهه العامل بل العمل المحبوب الذي ياتيه العامل منبسط النفس قرير العين . فقال ان افريقيا بلاد زراعية وهي ستكون للامة التي تكون اقدر من غيرها على زراعتها واستمالة سكانها . وبناء على ذلك فهو يكره سياسة الفتح فيها و يطلب سياسة الحماية (كتونس خلافاً للجزائر) — ثم اثنى على مستعمرة الجزائر وقال انها اعظم مستعمرة اقامها التمدن الاوربي في القرن التاسع عشر . ولقد سرى سناؤها الى تونس فانجذبت اليها والى مراكش فاستمالت قسماً من سكانها . ثم حث عناصرها المختلفة بين مسلمين وكاثوليك و بروتستانت واسرائيليين على الاتفاق لترقية البلاد ونبذ الضغائن التي هي من آثار العصور الماضية والا وقعوا في العقاب الذي وقع فيه ابناء العصور الماضية اي الجهل والفقر والشقاء . وختم خطبته بما خلاصته :

«ويحق لنا ايها السادة ان نتامل في عبر التاريخ العظيمة . فان التمدن الذي رحل الى اقطار العالم عن هذه البلاد (افريقيا) قد اخذ الآن يعود اليها . ولكنه يجدها اكثر شقاء وخشونة مما كانت قبل رحيله عنها . على انه قد جمع في سياحته هذه آلات جديدة وسلطة قوية يقدر بها على محو الخشونة والشقاء الماضيين . فعسى ان الامم المتمدنة في اقدامها على اجراء هذه التجربة الكبرى في ارض حام تحفظ من كل الوجوه قواعد النظام الذي وضعته وناموس العدل والاخاء والانسانية »

مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لا يجوز ان يقرأها احد غير القارئات ﴾

« من مصر القاهرة

« عزيزتي كليمة .

« يسافر من عندنا في هذا الاسبوع ابن عمي « كريم » للتصييف في اعالي لبنان . ولذلك اغتنمتُ هذه الفرصة لاكتب اليكِ واسالكِ لماذا مضتْ عليَّ عدة شهور دون ان تكتبي لي . هل هذا نسيان ام كسل ام دلال . فان كان كسلاً او دلالاً فلكل شيء حد ياعزيزتي . وان كان نسياناً فلا ريب عندي ان اقامة ابن عمي كريم في وطنك

تجهلك تذكريني دائماً بعد الآن .... فلا باس . انما اؤمل منك ان لا تجافي كريم كما تجافين غيره جرياً مع اخلاقك ... فهو اولاً ابن عمي وقد جاء في المثل « ان صديق صديقي صديقي » وثانياً انه شاب لطيف ظريف لا عيب فيه سوى انه قادر على ارضاء كل سيدة وكل مدموازل تراه فهو اذاً يستحق التفاتك يا كليتي . ثم اسالك هل تحبين ياعزيزتي الاقامة في مصر لنعيش هنا معاً . اذا كنتِ تحبين ذلك فدعي كريم يجيبك... واللبيب من الاشارة يفهم . والسلام لك من صديقتك

« سليمه »

حاشية — مزقي هذا الكتاب بعد قراءته

« من الحدث في جبة بشراي في اعالي لبنان

« عزيزتي سليمه — في مصر القاهرة

اخطأتِ ياعزيزتي فما هو بكسل ولا دلال ولا نسيان ولكني بعد انتهاء دروسي في المدرسة تراكمت عليَّ افكار سوداء فتركتُ قريتي وصعدتُ الى هذه القرية لعلَّ النفس تصفو من كدرها في اعالي الجبال القريبة من ابواب السماء . ولقد ساءني كتابك جداً لانه دلني على انك لا تزالين كما كنتِ من حيث المزاح والمزل . وعلى افتراض انني افكر بالامر الذي ورد في كتابك فهل تظنين انه يجوز لبنات مثلنا ان يتكاتبن فيه . كلا ياعزيزتي فان هذا الشغل ليس بشغلنا . سامحك الله على كتابك كما انني ارجو ان يسامحني على الافكار التي تجول في نفسي

وان قلتِ ما هذه الافكار لم اكتمها عنكِ . فانني لما خرجتُ من المدرسة كنتُ كسمكة خرجت من الماء الى عالم غريب عنها . نعم ان ابي غنيٌّ واسع الثروة ولكن اي تاثير للغنى في تهدئة خاطر الانسان وتسكين نفسه . فبناء عليه بقيتُ قلقة مضطربة حتى في وسط الابتهاج والفخفخة . ذلك لانني افتش عن الراحة والسعادة فلا اجدها . فاين توجدان يا ترى ؟ افي السوق . انني حيثما التفتُ فيه اجد ابتساماً ولطفاً ولكنه ابتسام مسموم ولطف يلدغ كالافعى . افي الجمعيات والسهرات ؟ ولكنني قد صرت اشمئز منها لما اراه فيها . فانني افرُّ من كل صاحبة تلقاني هناك فراري من العقرب لانني اخشى ان تلدغني بلسانها متى اديرلها ظهري . واهرب من كل شاب القاه هناك كما اهرب من ذئب مفترس . استغفر الله بل من حيوان اشد قسوة من الذئاب لان الذئاب الاعتيادية

لا تفترس غير اللحم واما الذئاب الناطقة فانها تفترس الصيت والشرف والادب

«ومما يزيد شجني انني لا اجد احداً « يفهمني » بل ان الجميع يستغربون انكماشي الدائم وانقباضي . وهم يسألون بعضهم بعضاً احياناً لماذا تجلس المدموازل كليجة في الزاوية مبهوتة وحدها . ولماذا اذا خاطبوها لاتجيب الا بسمة صفراوية معناها « خلوني وحدي » . ولماذا اذا ابتسم لها شاب تصرف وجهها عنه من غير ان تجاوب عن ابتسامه بابتسام مثله؟ السبب في ذلك ان كليجة لا تطيق هذه الهيئة التي يعيش الناس فيها الآن . فدعوها منكم ومن قبوركم المكلسة . اف اف من السيدات المسترجلات اللواتي يرمين الظهور بمظاهر الرجال والرجال المتأنثين الذين يرومون الظهور بمظهر السيدات

« ولو كانت امي وا اسفاه لا تزال في قيد الحياة لكنت اجد في المسرات العائلية الطاهرة ما ينسيني تلك الاحزان والاشجان . ولكنها ماتت من سوء حظي منذ سنتين . ماتت وهي تقول « ستبقى كليجة وحدها »ولقد صدقت فانني الآن وحدي لا رفيق لي غير ابي . ولكن الاب مهما كان حنوناً فانه لا يقوم مقام الوالدة

« هوذا قد سقطت هنا على الورقة دمعة من عيني . فماذا اصنع بها فانها ما نزلت الا تذكاراً لامي . أامسحها بيدي . كلا فانها تتوسخ بالحبر و بتوسخها يتوسخ تذكار «ماَمتي» . اطيرها بخاراً بوضع الورقة فوق حرارة النار . كلا واي يد تجسر على احراق تذكار حبيبتي . فانا اذاً اتركها حتى تجف على الورق ثم اقبّل موضعها اكراماً للغائبة التي سقطت من اجلها . واذا رمت تقبيل الموضع الذي قبلته انا تمس شفتاك شفتيّ فضعي فمك على كلمة « الوالدة » في ختام الفقرة الماضية . ولكن فاعلمي انك بذلك لا تقبّلين دمعتي فقط بل تقبلين ايضاً والدتي

« لماذا وُجدنا في العالم ياترى ؟ ولماذا جاءت امي الى هذه الارض ثم رحلت عنها ؟ هل كان مجيئها لتترك بعدها فتاة ضعيفة مثلي تبكيها وتبكي نفسها ؟ ما هذه الحياة ؟ وما الغرض من المعيشة ؟ ولماذا ارى الدنيا هكذا سوداء في عينيّ ؟ وهل كل الناس ياترى في قلوبهم مثل هذا الجفاف وفي رؤوسهم مثل هذا القلق وفي عيونهم مثل هذه الدموع ؟

« ان نفسي تحدثني احياناً بدخول الدير ولكني اعود فاقول ان الدير وُجد لتبريد النفوس الحامية وتسكين القلوب المتقدة لا لفتاة مثلي تظنينها وهي في وسط الهيئة الاجتماعية كانها في دير منفرد على قمة جبل

« فن كل ذلك تعلمين ايتها العزيزة سبب انقطاعي عن مكاتبتك وحالة نفسي في الزمن

الحاضر مما يجعلك تعتقدين بانني بعيدة عن الامر الذي تذكرينه في كتابك بعد الارض عن السماء · وبما انني ذكرت السماء في ختام كتابي كما ذكرتها في مقدمته فاسالي معي المنا الذي منه اتينا واليه نعود ان يحسن خاتمتي · ودمت لصديقتك

« كليمة »

« من مصر القاهرة الى المحدث

« عزيزتي كليمة

الحق اقول لك يا عزيزتي انني لم افهم شيئاً من كتابك· ماذا تقولين ؟ هل من كانت مثلك تهرب من الناس لانه لا يسرها فيهم شيء ؟ · ولم تفهم لماذا وجدت · وتطلب ان تدخل الدير · لقد صدق فيك يا عزيزتي المثل القائل « الله يبعث اللحم لمن ليس له اسنان » · وهكذا انت مع غناك · كيف تجدين الحياة سوداء وفي يديك من الاصفر والابيض ما يجعلها كلها بيضاء وصفراء وحمراء · هذا امر لم يُسمع به قبل الآن · فاطردي هذه الافكار من راسك يا عزيزتي وعيشي مثل باقي الناس

« بحياتك قولي لي ما الذي ينغص عيشك هذا التنغيص مع وجود كل الاسباب الداعية الى سعادتك · هل ان الخياطات عندكم لا يعرفن كيف يُلبسن جمالك المحبوب ام ان الاقمشة الجميلة النفيسة نادرة الوجود في اسواقكم · قولي فارسل اليك في اول وابور انفس الاقمشة واذا شئت « شحنت » لك خياطة ماهرة ايضاً · · ولا عجب ان تسوء حالة اللبس في بلادك فان الفتاة جمالها في لبسها · وهنا مسالة اللبس يا عزيزتي فوق كل مسالة · ولا تستغربي قولي هذا لان على هذه المسالة الصغيرة في حد ذاتها تتوقف مسائل كبيرة جداً · فان الشبان لا يميلون الى المدموازيلات الا بواسطة التنميق والتزويق · فالتي تروم ان تصطاد بسرعة على خاطرها تصرف كل نشاطها واجتهادها الى لبسها · هكذا يعتقد بعض البنات هنا · ولعل هذا الاعتقاد شائع في كل مكان ايضاً

وان لم يكن هذا هو السبب فما السبب اذاً · هل ان اباك يضيق عليك ويمنعك من المخالطة والمعاشرة كما تشائين · هذا امر سهل اصلاحه · ويكفي لذلك ان يجالس ابوك ابن عمي (كريم) مرة واحدة فيعلّمه (كريم) ان ذلك العصر قد مات من زمان وان العصر اليوم عصر الحرية والامان

«وماذا بي ايتها العزيزة . اليس عندكم بالآت ومتنزهات لتظهري فيها جمالك الساحر وقوامك الفتان وتفتلي السآمة والضجر . اف من القعود في البيت و ياما احلى الخروج منه لتزيين الشوارع والاسواق مع باقي السيدات . فلعلك ياحبيبتي تزينين في كل صباح ومساء ربى لبنان اذ تتنزهين بين اشجاره وازهاره لطرد الانقباض من صدرك فارى من هنا تغامز الطيور عليك وهي واقفة على اشجار الارز حين مرورك من تحتها . واسمع الازهار تنكس رؤوسها خجلاً منك حين مرورك بينها

«فهل ياعزيزتي يجوز لفتاة سعيدة مثلك محبوبة الى الناس والى الطبيعة مثل هذا الحب ان تترك الحزن والقلق يدخلان الى نفسها . ام هنالك سبب آخر تكتمينه عن صديقتك ومحبتك . افضي لي خبايا قلبك ياعزيزتي واعلمي انك تخاطبين مَنْ هي اصدق لكِ من شقيقتك « سليمه »

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدار من اخص وظائف المدرسة

اللغة العربية الجديدة

﴿ واللغة القديمة ﴾

(ما في اقتراح المستر ويلمور من الصواب)

اتينا في الجزء السابق على تفصيل المناظرة التي جرت في القطر بشان ما اقترحه المستر ويلمور من وضع اللغة العامية في مصر موضع اللغة الفصحى في تعليم الشعب المصري والكتابة له . وذكرنا ردود مناظريه عليه ونقضهم اقواله . ثم قلنا في ختام ذلك الفصل ان في اقتراح المستر ويلمور عبرة وفائدة و وعدنا بذكر هذه العبرة والفائدة وانجازاً للوعد نقول

يزعم بعض فلاسفة العمران ان في كل قول حتى ما كان منه خطاء شيئاً من الصواب . واقتراح المستر ويلمور هو من هذا القبيل . فانه خطاء محض اذا نظرتَ اليه من جهة

لفظه ولكنَّ فيه شيئاً كثيرًا من الصواب اذا نظرتَ اليه من جهة معناه . وغرضنا الآن الاشارة الى هذا الصواب

وبعبارة اخرى نقول ان المستر ولمور مصيب كل الاصابة اذا كان غرضه في اقتراحه هذا انشاء اسلوب جديد للكتابة يفهمه جميع ابناء اللغة . فان اللغات لا يمكن استبدالها لان ذلك فوق طاقة الانسان وانما يمكن تغيير اسلوبها كأنْ يُهجر القديم البالي الذي كان حسناً في عصره الى الجديد الذي هو حسن ومفيد في هذا العصر . فاذا نظرنا الى اقتراح المستر ولمور من هذا الوجه تغيَّرت مسألته وصار المقصود بها « تسهيل اللغة الفصحى على المعلمين والمتعلمين » لا استبدال اللغة العامية الساقطة بها . وحينئذ يكون صوته الجهوريُّ الذي دوى في فضاء مصر صوتاً يدعو الى امر في غاية الاهمية ويشير الى احدى مصائب العلم والتعليم في اللغة العربية

نقول ذلك لاننا لا نجهل المصاعب العديدة التي تعترض طلبة العلم وناشريه في اللغة العربية . فاننا نعرف كثيرين من المعلمين يحسبون العلم محصورًا في اللغة ولذلك يصرفون اليها عقول تلامذتهم دون سواها من الفروع التي توسع دائرة العقل وتنمي الادراك . فيشب الولد بين ايديهم ويخرج من مدرستهم وهو لا يعرف غير « ضرب اضرب ضرَّب ضارب تضرَّب » وهذا بلاء شديد على الشرق . وانما كلامنا هنا عن المعلمين في المدارس الابتدائية التي هي بمثابة القوالب الحقيقية الاولى التي تتكون فيها عقول الطلبة ونفوسهم فاذا كان غذاؤهما فيها من لباب العلم وثمار المعارف الحقيقية شبت قوية وكان في امكانها بلوغ حد البلوغ والرجولية . واذا كان غذاؤها ضعيفاً من قشور اللغة وما يتبعها من صرف ونحو وشعر دون سواها من المبادىء التي تقدم ذكرها فانها تبقى طفلة وان بلغت في العمر مبلغ الرجال

وكما ان هذا البلاء شديد على بعض المعلمين والمتعلمين في الشرق فهو شديد على بعض الكتاب ايضاً . فان هؤلاء الكتَّاب يصرفون اعمارهم في تصفح كتب اللغة القديمة واقتفاء مناحي بلغاء المتقدمين فينطبع في نفوسهم ان صناعة الكتابة لا تقوم الا بتنميق العبارة وذكر المترادفات من الالفاظ وانتقاء الضخم منها حتى انك حين قراءتها تخالها كالبندق الذي قال فيه الشاعر « خلي من المعنى ولكن له فقش » . وعلى ذلك تصير الكتابة عندهم عبارة عن الفاظ واسعة الاكمام ضخمة الاجسام يضيع فيها المعنى الذي تدلُّ عليه كما تضيع كأس من السكر في بركة من الماء البارد . او تكون اسلوباً جافاً ناشفاً تنتظم فيه

معان قليلة بسلك معوج لا يفهمه القارىء الا اذا راجعه عدة مرات وربما راجعه طول النهار اذا كان ضعيف الفهم ولم يفهم منه شيئاً

فالفضل العظيم الذي يرجع الى المستر ويلمور في هذه المسالة هو في راينا حذفه مسالة اللغة بكلمة واحدة وذلك بقوله « استبدلوا العامية بالفصحى » فكانه قال للذين يقدمون اللغة على كل شيء : انكم تشتغلون بالقشر وتتركون اللب فدعوا القشر واذا كانت لغتكم تحول دون تركه فاتركوها هي نفسها ايضاً واتخذوا اللغة العامية بدلاً منها طلباً اللب الذي هو العلم الحقيقي والفائدة الحقيقية

اما نحن فاننا نقول للمستر ويلمور اننا نعدُّ هذا القول جناية على اللغة العربية . لان هذه اللغة الجميلة الحلوة لا اسهل منها على من يحسن تسهيلها ولا اطوع منها لمن يُحسن التصرف باساليبها . فالعجز اذاً انما هو في نفوس اهل اللغة لا في اساليب اللغة نفسها

وهنا نصل الى النقطة الهامة في هذا البحث . فنسال المستر ويلمور الا يعدل عن اقتراحه اذا ثبت له ان اللغة الفصحى قد تقوم بوظيفة اللغة العامية من ابلاغ المعاني الى افهام العامة . وهذا امر ممكن . وايضاحاً لذلك نقول

تقتضي « المخاطبة » ثلاثة امور . الاول المعنى الذي في ذهن المتكلم . والثاني الكلام الذي يُراد ايصاله الى فهم المخاطب . والثالث فهم المخاطب نفسه . فاذا كان معنى الكلام والكلام نفسه صريحين واضحين مسبوكين باسلوب على قدر فهم السامع وصل ذلك المعنى الى ذهن المخاطب بلا عناء ولا مشقة . فالعمدة في ذلك اذاً « المعنى » « والكلام » « والاسلوب »

وبناء عليه اذا كان المتكلم مالكاً زمام المعنى ووضعه في الفاظ بسيطة حسنة مفهومة لدى العامة وسبكه باسلوب بسيط ايضاً تحتم وصول ذلك المعنى من ذهن المتكلم او الكاتب الى ذهن المخاطب لا محالة

مثال ذلك العبارة التالية

« ان المقصود بالسنن الموضوعة في السياسات كلها هو المدينة والكل لا الشخص »

فهل يعرف القارىء من اين اخذنا هذه العبارة ? لقد اخذناها من كلام الفيلسوف ابن رشد في تعريبه كلاماً لارسطو . واصلها هكذا « هذه السياسات كلها المقصود بالسنن الموضوعة فيها انما هو المدينة والكلّ لا الشخص » فانظر ايهما اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان

وليس المراد بذلك ان العبارة التي بسطناها اولاً هي ابلغ من العبارة الثانية التي خطها قلم بن رشد كبير فلاسفة العرب وامير البلغاء . ولكن المراد انها اقرب الى افهام القراء في هذا الزمان . ولقد قال الجاحظ « كما لا ينبغي ان يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي ان يكون وحشياً الا ان يكون المتكلم به بدوياً اعرابياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس كما يفهم السوقيُّ رطانة السوقي » ومن ذلك يثبت ان الفهم هو شرط الجواز في استعمال المعاني والالفاظ

ولكن قد يصيح هنا كثيرون من محبي اللغة ويقولون ان ذلك يقتل ملكة البلاغة والفصاحة لانه يضيق دائرة اللغة ويقضي على اساليبها الجميلة وتعابيرها الانيقة . اذ ماذا يحل بنا وبلغتنا اذا وجب علينا ان لا نخاطب الناس الا بما يفهمونه ؟ . فالجواب عن ذلك سهل جدّاً على المستنير والمنور وهو قادر على ان يحجهم من كلام ائمة البلاغة انفسهم . قال الامام فخر الدين الرازي « اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد . واصلها من قولهم افصح اللبن اذا ذهبت عنه الرغوة . وهي بالاصطلاح عبارة عن الالفاظ المبينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمانوسة الاستعمال لمكان حسنها »

وقال ابو هلال العسكري « سميت البلاغة بلاغة لانها تُنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه » والبلاغة ماخوذة من قولهم « بلغتُ الغاية اذا انتهيتُ اليها وبلغتها غيري » وقال في الفصاحة « اما الفصاحة فقد قال قوم انها من قولهم افصح فلان عما في نفسه اذا اظهره . والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب افصح الصبح اذا اضاء » وقال في موضع آخر « يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً اذا كان واضح المعنى سهل اللفظ وجيد السبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من احد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف »

وقال صاحب المثل السائر « ان الكلام الفصيح هو الظاهر البيّن واعني بالظاهر البين ان تكون الفاظه مفهومة لا يُحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة . وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مالوفة الاستعمال »

هذا ما يعتقده في الفصاحة والبلاغة ائمة اللغة وكتابها . واذا كان فهم السامع كلامَ المتكلم والقارىء كلامَ الكاتب هو الشرط في الفصاحة والبلاغة فقد جاز ان يقال ان البلاغة والفصاحة عند الامم تكونان بحسب اخلاقها وعاداتها وحاجاتها واساليبها . فما يكون بلاغة وفصاحة في البدو لا يكون بلاغة وفصاحة في الحضر . وما يكون بليغاً لدى العرب

لا يكون بليغاً لدى الافرنج و بالعكس . فبناء على ذلك يجب على المعلمين والكتاب ان لا يتقيدوا بالماضي تقيد الاعمى فان « الماضي » انما هو الطفولية كما قال باكون والانسانية تتقدم صاعدة شيئاً فشيئاً في مراقي الزمن الازلية . وهي جسم حيّ كل ما فيه نامٍ : جسمه ونفسه ولغته فاذا تقدمت النفس وارتقت و بقيت اللغة متاخرة جامدة صارت النفس خرساء لا تحسن التعبير عن حاجاتها

فيؤخذ من ذلك كله ان المستر و يلمور مصيب في طلبه « لغة جديدة » غير « لغة الطفولية » ولكن هذه اللغة الجديدة المطلوبة التي تقتضيها حالة العصر و يوجب سير التمدن قيامها ليست اللغة العامية لان هذه لغة ساقطة ولكنها لغة بين اللغة الفصحى القديمة التي لا يفهمها العامة والخاصة ايضاً و بين العامية . وهذه اللغة الجديدة موجودة الآن وهي لغة المجلات والجرائد التي تُحسن اختيار الفاظها واساليبها وتتقي الخطاء فيها . فما طلب اذاً المستر و يلمور الا شيئاً موجوداً

نعم اذاً ان اللغة الجديدة التي ستكون اللغة العربية في المستقبل هي تلك اللغة البسيطة السهلة التي لا يكون فيها لفظ غير مالوف الاستعمال ولا تعبير من التعابير البدوية القديمة التي لا مسوغ لاستعمالها في زمن كهذا الزمان . هي تلك اللغة التي تغيب الفاظها وراء عرائس المعاني كانها زجاج شفاف يظهر باطنه مع ظاهره او نبع صافي الماء تُعد في قعره درر الحصى واحدة واحدة . هي تلك اللغة التي يقرأ ابناؤها مقامات الزمخشري والحريري واليازجي ورسائل الخوارزمي والهمذاني فياسفون على الوقت والقوى التي انفقوها في صف الالفاظ بعضها وراء بعض ويضحكون من تلك الكلمات الغريبة والاساليب العجيبة كما ضحك اعرابي من بيت لابي تمام تُلي عليه فلم يفهمه وقال انه ليس بعربي . هي تلك اللغة التي اذا مات رجل عظيم من ابنائها قال كاتبها في تأبينه « مات رجل عظيم » لا « كسفت الشمس وخسف البدر ومادت الجبال وغارت البحار » . بل هي تلك اللغة التي كل كاتب وكل معلم من ابنائها يكتب في دفتره الخصوصي مقال الجاحظ « ليست الفصاحة بالتفصّح لانه لا يزيد متزيّد في كلامه الا لنقص يجده في نفسه »

وربما اتينا في عدد قادم على امثلة من اللغة القديمة والحديثة ماخوذة من الكتابات القديمة والحديثة ليعلم القارئ، منها ان في القديم شيئاً كثيراً حديثاً وفي الحديث شيئاً كثيراً قديماً

آثار الشرق القديمة

آثار من زمن ابرهيم الخليل

﴿ اكتشاف جديد ﴾

صرف المسيو مورغان الباحث الارشيولوجي زمناً طويلاً في البحث عن الآثار القديمة في بلاد فارس وقد عاد منها الى باريز بكثير من الآثار التي وجدها فيها . ولقد جعلت له الحكومة الفرنسوية مكاناً مخصوصاً في قصر الفنون الكبير لعرض هذه الآثار فيه وسيفتح هذا المعرض في اول مايو القادم

وقد حدث المسيو مورغان عن هذه الآثار فقال انها في غاية الاهمية من حيث الدلالة على تمدن مملكة علام القديمة . ومملكة علام هذه مملكة مجاورة لبلاد الكلدانيين وكانت قاعدتها مدينة سوس . وهذه المدينة مشهورة بانها كانت عاصمة السلطنة الفارسية في زمن داريوس . وفيها وجد المسيو مورغان الآثار العلامية التي نحن الآن في صددها

ومن هذه الآثار كثير من الالواح الحجرية الموجودة في المدافن والبرونز والزجاج والطين الجاف . وعلى اكثرها كتابة باللغة العلامية اكثر حروفها ظاهر كانها مطبوعة عليها من زمن قريب

وكانت المادة التي يتخذونها لطبع الكتابة عليها الطين الجاف على الغالب . وكان لهم في ذلك طريقة خصوصية . وهي انهم يطبعون عليه اولاً الكلام الذي يرومون تخليده ثم يعمدون الى طبقة اخرى من الطين الجاف فيطلون بها سطح الكتابة ويطبعون عليه نسخة اخرى من ذلك الكلام . فاذا وقع اختلاف يوماً ما في اصل هذه الكتابة كسرت الطبقة الثانية وهي الظاهرة وعورضت كتابتها بالكتابة الاصلية المطبوعة على الطبقة الاولى . وبذلك يزول كل خلاف

واهم هذه الآثار كلها عمود نقشت عليه شريعة العلاميين المدنية والتجارية والزراعية وهي تدل احسن دلالة على مبلغ تمدن الامة العلامية في ذلك الزمن . وطول هذا العمود

متران ونصف متر وهو مصنوع من الحجر الصلد وعليه كثير من العلامات والرسوم تمثل الملك خامورابي احد ملوك بابل واقفاً والناس يعبدونه

وقد قدَّر المسيو مورغان ان هذا الملك كان من معاصري ابرهيم الخليل ابي اسحق واسماعيل لانه حكم بابل قبل الميلاد المسيحي بالفي سنة . ولذلك يسمي آثاره « آثاراً من زمن الخليل ابرهيم » فيزداد الناس اهتماماً بها والتفاتاً اليها

اما الشريعة العلامية المنقوشة على هذا العمود فانها تبتدىء بدعاء الى الآلهة عليه مسحة التصور والشعر . وتتلوه بنود كثيرة تريك حالة الانسان في العصور الاولى . واليك بعض هذه البنود :

« اذا اضطرمت النار في احد المنازل وركض احد لاخمادها ثم خطر له ان يسرق شيئاً من ذلك المنزل وجب القاؤه في النار المضطرمة

« اذا نقب احد منزلاً ليسرقه وقُبض عليه فانه يجب قتله ودفنه امام الجدار الذي نقبه

« اذا قطع احد شجرة من غير اذن صاحبها وجب ان يدفع اليه مبلغاً من الفضة

« اذا استاجر بقرة وماتت من سوء معاملته وجب ان يردَّ الى صاحبها بقرة مثلها . واذا كان قد قلع عينها فقط وجب ان يدفع اليه نصف ثمن مثلها

« اذا وهب رجل امراته شيئاً من ماله او من حقوله و بساتينه فليس لابنائه ان يستردوا منها شيئاً بعد وفاته . ولها ان توصي بالمال الموهوب الى الولد الذي تختاره

« اذا اودع رجل لدى رجل آخر وديعة ولم يكن عليها شاهد ثم وقع خلاف بهذا الشان فلا يجوز رفع هذه القضية الى المحاكم

هذه فقرات من الشريعة العلامية والفارسية القديمة التي اكتشفت حديثاً . واذا كانت جميع الشرائع الحاضرة ماخوذة في الاصل عن الشريعة الفارسية كما زعم بعضهم فان هذه الشريعة تكون اصل شرائعنا الحاضرة كلها . وقد قرأ هذه الفقرات باللغة العلامية المسيو شيل العالم بهذه اللغة . ومن تصفح كل الاثار التي نحن في صددها وقف منها على تاريخ مملكتي العلاميين والكلدانيين وعلى وصف احوالها الاجتماعية وصفاً كاملاً

وهكذا كلما تقدم عالمنا وشاخ ابرز العلم من بطن الارض العوالم العديدة التي تقدمته فيصير القديم حديثاً والحديث قديماً

باب التقريظ والانتقاد

هملت

تعريب جناب طانيوس افندي عبده

نشرنا في الجزء السابق ترجمة شكسبير اشعر شعراء الانكليز واعظم مؤلفي الروايات في العالم . ولم يكد يصدر الجزء الذي فيه الترجمة حتى وردتنا رواية « هملت » التي هي احسن رواياته معربة بقلم جناب الفاضل طانيوس افندي عبده المحرر في جريدة البصير الغراء في الثغر . وقد ذكرنا موضوع هذه الرواية الجليلة في ترجمة شكسبير . وخلاصتها ان ملك الدانمرك قتلته زوجته بالاتفاق مع اخيه ثم اقترنت بشريكها القاتل وخلفاه على العرش . وكان للملك المقتول ولد يدعى « هملت » وهو بطل الرواية فبعد وفاة ابيه تجلت له روحه متجسمة واطلعته على انه لم يمت موتاً طبيعياً ولكن قتلاً بيد اخيه وزوجته . ثم حثته الروح على الانتقام من القاتل . وكان هملت يحب « اوفيليا » ابنة بولونيوس حاجب الملك وكانت الفتاة تحبه ايضاً حباً شديداً . ولكن لما درى هملت بالجناية التي وقعت في ابيه انصرف فكره اليها فاشار على حبيبته ان تدخل الدير فراراً من مفاسد العالم . وكان ذلك نتيجة استغراق الفكر والم كل عواطف النفس وايياسها اياساً » كما قلنا في الجزء السابق . وبعد ذلك تفرغ هملت للانتقام من عمه فاظهر الجنون . وبينما كان في ذات يوم خالياً بامه يعنفها على جنايتها تعنيفاً هائلاً واذ دخل عليه ابو حبيبته فقتله هملت خطاء لانه ظنه عمه داخلاً عليه . فجنت حبيبته لمقتل ابيها والقت بنفسها في النهر . فلما درى بذلك شقيقها طلب مبارزة هملت لانه كان السبب في شقائه . وقبل المبارزة دسّ الملك من وضع في قبضة خصم هملت سيفاً مسموماً وجعل له سماً في كاس الشراب حتى اذا نجا من السيف لم ينجُ من الكاس . ثم تنتهي الرواية بان السيف المسموم يصير الى قبضة هملت فيصيب به خصمه فيقتله . واذ ينتصر على مبارزه تشرب امه الكاس المسمومة وهي تحسب انها تشرب نخب ولدها لانتصاره وبذلك تموت . اما هملت فانه لما يعلم ان السيف الذي في يده مسموم ويرى ما جرى امامه يطعن به عمه . وحينئذ تظهر روح ابيه امام الجثث

الممددة على الارض وتقول له : اصعد امامي الى مقام عمك فما خُلق هذا العرش الا لاجلك

هذا موضوع هملت . ولكن في هذا الموضوع شيئاً كثيرًا من الافكار السامية والعواطف الرقيقة التي اجاد جناب المعرب في نقلها . من ذلك قول هملت وهو يندب اباه

ايتها امي انتِ تنظر ما تمّ صار عرساً ذاك الذي كان مأتم
قبض الموت روح زوجك يا ام وقد كان قبل فيك متيم
اتخونين روحه ثم لا يثنيك ان ابنه بها قد تجهّم
اي فرق بين الكواسر والانسان ان كان قلبه ليس يرحم
ان تكوني احببته وهو م فلك ابن اولى بحبك من عم
انما انت مع حليلك هذا حية قد تحالفت مع ارقم

ولما رام هملت مقابلة روح ابيه قال له صديقه هوراتيو « ماذا تفعل الا تخاف » فاجاب هملت بهذا الجواب البديع الذي يدل على عظمة نفسه ويأسه من الحياة « على مَ الخوف ايها الصديق اعلى حياتي وهي من بنات الموت ام على نفسي وهي من بنات الخلود » فلا خلاف في ان هذا من روح شكسبير

ثم يشتد اليأس بهملت فيصيح من اعماق قلبه

عجبتَ يازمنا تغيّر عهده حتى كأنَّ ضياءه ظلماته
زمن يحلنا الفجور ملوكه فيه وآثام الخنا ملكاته

ومن الغريب ان يمرّ قول كهذا القول على جمهور الناس في مرسح الملعب العباسي حين تمثيل هذه الرواية ولا يثير في نفوسهم اشد الاستحسان والحماسة في زمن كهذا الزمن

ولما اظهر هملت الجنون والتقى بحبيبته اوفيليا قال لها « ايتها الفتاة اسرعي الى الدير » فقالت ولماذا قال « لانك عظيمة في نفسك وجمالك وكل عظيم يكون هدفاً لسهام الزمان . . . . . ايتها الفتاة انك تجدين في الدير على الاقل حجاباً كثيفاً بين هذا العالم الفاسد وبين قلبك النقي . هنالك حيث تناجين الله في صلواتك الطاهرة وحيث يفوح العفاف من نسمات انفاسك النقية فلا يصدأ بانفاس البشر ولا ينشقها غير ملائكة الله »

فقالت اوفيليا « هناك حيث اصلي واحب واموت . نعم فقد طالما حدثني قلبي الكسير بهذا المصير »

فقال هملت « ادخلي الى الدير ايتها الفتاة فان ذلك خير لك وابقى . ولئن تلقي

الله عذراء نقية تخير لك من ان تلقيه زوجة تكذب في كل يوم على زوجها وعلى نفسها وعلى الله . تلك المرأة التي تقسم اعظم الايمان المقدسة على ان حبها دائم الى الابد ولكنها لا تلبث ان تشرب اول كاس من كؤوس هذا الغرام حتى تدنس تلك الايمان وحتى يصبح ذلك الابد الطويل يوماً واحداً فان غرام المرأة لا يزيد عن اليوم. ادخلي الدير ايتها العذراء فان اسوار جهنم ما بنيت الا بذنوب اولئك النساء » فقالت اوفيليا « ان كلامك يا همات هائل ومخيف » فقال هملت « كلا ولكن هي الحقيقة تقرع الاسماع . خذيني مثلاً ايتها الفتاة يهن عليك الامر . الم يكن الاجدر بامي ان تخنقني بالمهد بدلاً من ان تلدني على فراش الالم ... اصغي اليّ ايتها الفتاة اذا اردت ان تتزوجي بعد جميع ما قلت فتزوجي الموت فهو ستار العيوب ... او اقترني اذا كان لا بدَّ من الزواج برجل لا عقلَ له فان العاقل يعلم في الحال انه آلة بيد امرأته.. اسرعي الى الدير »

وفي موضع آخر ينفرد هملت بحاجب الملك ويقول له مظهراً الجنون ومشيراً الى السماء : « انظر الى هذه الغمامة اليست هي التمساح » فيقول الحاجب « ما هذا الاتفاق الغريب اني اراه جلياً حتى اني ارى انيابه بارزة من الفك » فيقول هملت لصديق له « لم يكن شيء في السماء ولكنهم تعودوا التمليق حتى مع المجانين »

وفي موضع آخر ينفرد هملت بنفسه ويصيح وهو يستعد للانتقام من عمه

وقبيح قتل النفوس ولكني تعلمته من الاعمام

ولما ماتت اوفيليا جاء هملت الى حفرتها وجلس هناك يندب الدنيا وفنائها ومما قاله بلسان المعرب

وانك ان مثلت يوماً لغادة وكانت لدى مرآتها تتخضب
والفيتها سكرى من الحلي والصبا تهاب وترجى حين ترضى وتغضب
فقل هامساً في اذنها عابثاً بها كفى الحسن تيهاً انه سوف يذهب
فان جمال النفس في النفس خالد وان جمال الوجه بالوجه يذهب

وبعد ذلك يبارز هملت واخو حبيبته على ما تقدم وتنتهي الرواية بمصرع عمه وامه اي بانكسار الرذيلة وانتصار الفضيلة

هذه بعض محاسن هذه الرواية . ومنها يعلم القارىء التعب الذي عاناه معربها الفاضل لسبكها في قالب يليق بمؤلفها شكسبير. بقيت هنالك هنوات صغيرة لا نرى بدّاً من الاشارة اليها بعد ذكرنا محاسن الرواية . منها حذفه جواب الشرط في عدة مواضع .

مثال ذلك قوله في الصفحة ١٨ « اذا استمر على غوايته اخي لا يلبث سيفي مقيماً في غمده » وصوابه « فلا يلبث » اي بادخال الفاء على لا جواباً للشرط . وقوله في الصفحة ٩ « عليه ملامح الجلال » والصواب « لوائح » لان الملامح تُطلق على الشبه فيقال « عليه ملامح من ابيه » اي هو شبيه بابيه . وقوله في هذه الصفحة « عرفته انه شبح ابيك » والاحسن « عرفت انه شبح ابيك » وفي الصفحة ٢٠ يقول هملت لروح ابيه « ابتها الروح سواء هبطت من دار النعيم او قذفتك نار الجحيم » فهل من حسن الذوق ان يقول ذلك ابن عن ابيه . وفي الصفحة ٢٣ تسال الروح هملت « هملت هملت اتحب اباك » فيجيب هملت « لا احب سواه » وهذا التعبير خطأ لان هملت يحب اوفيليا حباً شديداً . وفي الصفحة ٢٥ « دع الآن كل مطمع الى المجد » والصواب « مطمح الى » او « مطمع في » وفي الصفحة ٣٢ « والذي اراه أن موت ابيه الذي احدث فيه هذا الانقلاب » وصوابه « هو الذي احدث فيه » اي بادخال ضمير الفصل حذراً من الالتباس . وفي الصفحة ٦٤ « يدخل ليكانيوس اخ ملك التمثيل » وصوابه « اخو » وفي الصفحة ٦٩ « انها صناعة يقتضي درسها وانا لم ادرس منها شيئاً » وصوابه « يجب درسها » والا يجب ان يقال « يقتضي درسُها هذا » وفي الصفحة ١٠٤ « فقد يمكن ان يصنع من جسم القيصر وانيبال احقر الآنية » والصواب ان شكسبير يريد في الاصل « يوليوس قيصر الروماني وانيبال » لا كل قيصر على الاطلاق . وفي الصفحة ١٠٦ في البيت السادس « لا يرتُّ دمه لا تجيب الا ترى » وصوابه لا تجبْ و بذلك يختل وزن البيت . وفي الصفحة ١١٣ (يرتاح المتبارزان) وصوابه يستريح . وفي الصفحة ١١٧ « خمرًا مسموماً » والصواب « مسمومة »

وربما كان بعض ما تقدم ذكره ناشئاً عن خطاء في الطبع . على ان ذلك لا ينقص من فضل الكاتب خصوصاً لانه من الكتاب المصريين الذين يجتنبون التقعر في الكتابة وينحون منحى الطبيعة بصرف النظر عما وراء ذلك من الامور الصغيرة التي لا تؤثر في الغرض الحقيقي المقصود من الكتابة . فنحن نثني على اجتهاده وفضله ونتمنى ان يتحف قراء اللغة العربية في كل عام برواية جميلة كهذه الرواية

﴿ يوبيل قداسة البابا ﴾

احتفل العالم الكاثوليكي في هذا العام باليوبيل الفضي لقداسة البابا لاون الثالث عشر فيلسوف الكنيسة الكاثوليكية والربان الحاذق الذي انقذها في القرن الماضي من

الاخطار العديدة التي كانت امامها كما جهر بذلك خصومه واصدقاؤه • وقد اقيمت في ذلك اليوم لحضرة البابوية احتفالات عامة في جميع الاقطار الكاثوليكية وامامنا الآن كراس عنوانه « صدى الوطنية » مرفوع من المدرسة الوطنية الكاثوليكية في بعبدات الى العرش البابوي حاوية التهنئة بهذا اليوبيل • فنحن نشارك اخواننا في تهانئهم ونرجو ان يتعود عقلاء الشرق مشاركة بعضهم بعضاً في السراء والضراء في كل حوادث حياتهم بصرف النظر عن الامور الصغيرة الثانوية التي تقسمهم

﴿ تقويم المؤيد ﴾

لمؤلفه جناب الكاتب المشهور محمد افندي مسعود

في كل عام يصدر من ادارة جريدة المؤيد الغراء كتاب صغير الحجم جليل النفع لمؤلفه حضرة محمد افندي مسعود احد محرريها • ولو اردنا تقريظ هذا الكتاب لوضعنا كلمات الثناء تحت كل صفحة من صفحاته وفي كل باب من ابوابه الاربعة والعشرين الا باب التنجيم والطوالع الموضوع فيه لغرض فكاهي عامي لا لغرض علمي كما نظن • وهذه الابواب الاربعة والعشرون هي عبارة عن انسيكلوبيذية صغيرة تدخل فيها فوائد عديدة في علم الفلك وتاريخ العالم والجوغرافيا وتراجم الرجال واحوال مصر والاكتشافات والقضاء والطب والزراعة واسماء ارباب الرتب • ولما اردنا نشر شيء من هذا التقويم في الجامعة تنازعتنا ابوابه كلها لان كل باب اكثر فائدة من اخيه • ويقيننا على ما نعرفه في همة المؤلف وطول باعه ان هذا التقويم سيصير باستمرار الارتقاء في كل عام مضاهياً للتقاويم الاوربية التي تصدرها المكاتب الكبرى في اوربا • وهو يفضلها لدى ابناء الشرق من حيث ان كثيراً من مباحثه مبني على المواضيع الشرقية • ولذلك نحث كل قارىء على اقتنائه لاجتناء الفوائد التي يتعب مؤلفه الفاضل في جمعها فيه طول السنة

﴿ المصور ﴾

لمنشئه جناب الفاضل خليل افندي زينيه

يعرف القراء في مصر جناب الكاتب الفاضل خليل افندي زينيه رئيس تحرير جريدة الاهرام سابقاً وصاحب كتاب العلم والتربية الذي نقلنا احد فصوله في السنة الاولى • وقد ساء الكتاب والقراء خروج جنابه من عالم الاقلام بعد مفارقته تحرير الاهرام

بقدر ما مرَّكم عوده اليه الآن بجريدة المصور التي انشأها لنشر الفوائد وطبع الصور بالالوان لتمثيل الحوادث الكبرى التي تقع في العالم . وقد صدرت من جريدته الحسناء الى الآن عدة اعداد مملوءة بالمقالات والفصول المفيدة والرسوم الملونة الجميلة الماخوذة من ادارة جريدة البتي جورنال في باريز بموجب اتفاق خصوصي بينهما وبين ادارة المصور . ومن هذه الرسوم رسم دوديكا و راديكا ورسم فيكتور هيغو وابطال رواياته و رحلة الجناب العالي في السودان وسقوط منطاد سنتوس ديمون في البحر وغير ذلك من الرسوم التي هي اثمن واجمل رسوم نُشرت الى الآن في الجرائد العربية . فنرجو للمصور مستقبلاً عظيماً يليق به ونحث القراء على اقتنائه لاجتناء فوائده . وهو يطلب من ادارته في العاصمة وقيمة اشتراكه ٥٠ غرشاً في مصر و١٥ فرنكاً في الخارج

﴿ الغزالة ﴾

لحضرات صاحبها يعقوب افندي جمال ومحررها ن . ب

الغزالة مجلة فكاهية ادبية لصاحبها جناب يعقوب افندي جمال صاحب الروايات الشهيرة ومحررها ن . ب . وهي تُكتب باللغة العامية . وقد صدر العدد الاول من سنتها الثانية حاوياً كثيراً من الانتقادات الادبية المفرغة في قالب هزلي منها قولها في الصفحة ٣٠

« ما يُكتب في البيت : على باب السلاملك او اودة الاستقبال : ممنوع رمي اعقاب السجاير والتف والنف في الارض * على باب اودة النوم : ممنوع شرب الدخان * على البلكون : ممنوع الكلام بصوت عال ورمي او كب شيء في الشارع * على المرايات :

كلٌّ يظنّ نفسه (ما فيش كدا) فمن هوّ الشنيع منا يا ترى

فنحن نرجو النجاح للغزالة انما نرجو منها ان لا تكثر الملح في اساليبها فان خير الهزل ما طالعه القراء والقارئات من غير اشمئزاز ولا استحياء

﴿ الساحر العليم ﴾

لجناب محمود افندي سلامه

وضع حضرة الفاضل محمود افندي سلامه كراساً عنوانه « الساحر العليم » وقد قال في مقدمته ما نصه .

« عاب بعض صيارفة الكلام . قول ابي تمام :

تسعون الفا كآساد الشرى نضجت ... جلودهم قبل نضج التين والعنب

« فقالوا وقد جهلوا السبب ، اين ذهب بصفوة العرب . وخلاصة اهل الادب . حتى اغفل البيت من البيض واليلب . والقواضب والحرب . والغنائم والسلب . وحشاه بحشف التين وسقط العنب؟ ... ولما ذاقوا ما فيها من حلاوة التلميح . وملاحة التلميح سال اللعاب . وجف سيل العاب

«وكتابي هذا كذاك التين وذاك العنب . وضع لسبب . من جهله استهجنه . وحقره . ومن عرفه ربما استحسنه . واكبره »

اما هذا السبب فهو ظاهر في الاسطر التالية

« اذ كنت اعلم ما للنفس من شوق غريزي . يسوقها لمعرفة كل خفي . سوق الولي للصبي العصيّ بالعصيّ . ويجبب الجد في طلبه اليها . كما تعاصي اكتشافه عليها . رايت ان استر اسرار الاعداد في سرائر الالعاب . واذكي لاستطلاعها شوق ذلك الشاب . لعلي ابلغ الاسباب . اسباب تحبيبه في علم الحساب . ولقد احبه حب قيس ليلى . وشغف به شغف الخليل بالقريض . وساوره الشوق اليه نهاراً وليلاً . وكان الكريه البغيض »

ومحصل ذلك كله ان هذا الكتيب قد جعل لترويض افكار الطلبة بالغاز حسابية تصرف عقولهم الى المسائل الرياضية العقلية وهم لا يشعرون . فنثني على اجتهاد مؤلفه الفاضل ولكننا نتمنى ان يكون جنابه من زمرة الكتاب الذين هجروا ذلك الاسلوب الكتابي القديم الى الاسلوب الطبيعي

﴿ سلم الارتقاء ﴾

لجناب محمد افندي امين

نشر جناب محمد افندي امين في نظارة الاشغال العمومية كتاباً سماه « سلم الارتقاء في دروس الاشياء » وموضوعه كلام عن المملكة الحيوانية . وكل من تصفح هذا الكتاب علم التعب الذي كابده كاتبه لجمعه من الكتب العلمية وذلك مما يوجب الثناء على اجتهاده . ولقد اعلن في حاشية في الكتاب عزمه على « تاليف رواية تجمع بين الفكاهة والعلم وتحتوي على خلاصة ما وصلت اليه المباحث الفلسفية والعلمية في العصر الحديث » فنحن نحثه على اتباع هذه الطريقة في ما يكتبه وترك طريقة التقرير العلمي التي اتبعها في كتابه سلم الارتقاء

لان التاليف في المباحث الطبيعية ولا سيما الفسيولوجيا لا يسمى تاليفاً حقيقياً الا اذا كان مبنياً على الدرس العملي الذي اساسه التجربة والامتحان والمشاهدة بالنظر كأن يكون المؤلف منقطعاً الى ذلك العلم علماً وعملاً . ولو اتبع جناب الكاتب في هذا الكتاب طريقة الرواية التي عزم على اتباعها في كتاب آخر لما ترك للنقد مجالاً من هذا القبيل

باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والبيتية التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

﴾ سكر المصريين القدماء ﴿

(اكتشاف جديد)

دلَّ نوح بسكره على ان السكر قديم من ايامه . وقد روت احدى المجلات الانكليزية في هذا الشهر انه قديم من زمن المصريين القدماء . قالت :

كان السكر شائعاً لدى قدماء المصريين . وكان شرابهم كثير الانواع واهمه ثلاثة . الاول يسمونه « ارب » وهو الخمر المعصورة من عنب كان يرد من سوريا بواسطة الفينيقيين . والثاني يسمونه « هك » وهو البيرة (الجعة) وكانت تستخرج من الشعير ايضاً وكان في بور سعيد اهم معاملها . والثالث يسمونه « سكودو » وهو خمر مستخرج من التمر . وكان في بلاط الفراعنة رجل وظيفته « رئيس معامل البيرة الملكية » . وقد اقبل الشعب المصري في زمن سيزوستريس على السكر بالبيرة اقبالاً شديداً فتالفت لجان صحية لمقاومة السكر . ووجدت في الآثار المصرية صور عديدة لهذه اللجان . ومما وجدوه ايضاً على جدران الهيا كل والمدافن رسوم عديدة للسكارى بعضهم محمول على ايدي رفاقهم وبعضهم تسوقهم الشرطة الى دار الحكومة . ولكن اهم تلك الصور كلها صورة عدة سيدات لابسات اجمل الحلل بعضهن جالسات امام مائدة يتناولن عليها كؤوس الخمر وهن مبتهجات مسرورات وبعضهن اديات ينظرن اليهن من بعيد نظرة الاشمئزاز والاحتقار

وقد قال صاحب هذا الاكتشاف ان سكان مصر في زمن موسى كانوا في درجة منحطة جدًا لاقبالهم على المسكرات وان قدماء المصريين هم اول الشعوب التي افرطت في استعمالها

معرفة رطوبة الفراش

الرطوبة مضرة جدًا خصوصاً بضعفاء الاجسام والشيوخ فعليهم ان لا يناموا بفراش رطب · والطريقة لمعرفة الفراش الرطب من الجاف ان ياخذ احدهم ساعته ويضعها في الفراش ثم بعد حين يفتحها · فاذا ظهر على زجاجتها شيء من البخار المائي كان الفراش رطباً فانزع غطاءه او لا تنم فيه · والا فلا

احياء الازهار الميتة

قد تذبل الازهار وتقارب اليبس بعد قطفها فالطريقة لاحيائها هي ان يُقطع قليل من اصولها ثم تغمس هذه الاصول في ماء يغلي فالحرارة الشديدة تنبه الزهرة وتعيد اليها الحياة التي اوشكت ان تفقدها حتى تجعلها كانها مقطوفة منذ ساعة

اصلاح طعم القهوة

لاصلاح طعم القهوة واجادتها طريقة بسيطة وهي ان تلقي ربة البيت بين حبوب البن حين تحميصها عدة حبوب من القرنفل او قليلاً من البن اليمني المشهور

منع انكسار زجاج المصابيح

تضع ربة البيت زجاجات المصابيح (القناديل) في اناء فيه ماء وتغليه على النار ثم تدعه يبرد بالتدريج فتصبح الزجاجات منيعة لا تتكسر حين اشتعال المصباح · او انها تثقب الزجاجة بمثقب من ماس فلا تعود الحرارة توثّر فيها لتفلتها من هذا الثقب

معرفة فاسد البيض وصحيحه

اذب ١٢٥ غراماً من الملح في ليتر من الماء ثم ضع البيض فيه فاذا غرق الى قعر الاناء فهو طريء من يومه واذا بقي في بطن الماء ولم يغص الى القعر فهو من يومين واذا عام على سطح الماء فهو من ايام ويكون فاسدًا اذا لم يغص منه في الماء غير قشرته التي تمس سطحه

الضيق يحدث الهياج والشجاج حتى عند الدجاج

حدث المسيو لموان قال : عندي دجاجات تحب الخصام فلا يمر عليها نهار حتى تشتبك بالنزاع و ينتف بعضها ريش بعض . فخطر لي يوماً ان اشغلها عن نزاعها واعلها المسالمة فلم اجد لذلك طريقة خيرًا من تعليق كثير من اوراق الكرنب في الارض التي ترعى فيها فصارت بدلاً من ان تنقر بعضها بعضاً تذهب وتنقر تلك الاوراق معاً . وهكذا السعة تطرد الهياج والشجاج حتى عند الدجاج

الخيل وسقوطها واكلها الخشب

قد يكون الجواد سائرًا على بلاط الاسفلت يقود المركبة واذ تزلق قوائمه فيسقط . فيجتمع عليه الناس حينئذ يحاولون انهاضه ولا سبيل لهم الى ذلك الا بجهد وعناء . اما الطريقة البسيطة لانهاضه فهي ان يُسدَّ منخراه بشيء من النبات اليابس او التبن او الورق فانه حينئذ يستجمع قواه كلها و ينهض من تلقاء نفسه طلباً للهواء . وكثيرًا ما يكون للخيل خصلة شنيعة وهي قضمها باسنانها ما يكون بجانبها من خشب الابواب والنوافذ فالطريقة لمنعها من ذلك ان يُفرك ذلك الخشب بالصابون الاسود فلا تعود الخيل تقربه

الحبر على السجادات

اذا وقع الحبر على السجاد والبسط فلا تحاول ربة البيت ازالته مسحاً بل يجب ان يُذر على الحبر شيء من الملح الناعم ومتى اسود الملح ترفعه وتضع غيره مكانه وهي ابسط طريقة لازالة الحبر

الارشمندريت جراسيموس مسرة

﴿ رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية ﴾

المنتخب مطراناً لبيروت

حلَّ غبطة البطريرك المحترم السيد ملاتيوس دوماني بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس بحكمته وعنايته المشكلة التي وقعت فيها الطائفة الارثوذكسية في بيروت ووافق مع المجمع المقدس على انتخاب سيادة المفضال الارشمندريت جراسيموس مسره



﴿ مطران بيروت الجديد للطائفة الارثوذكسية ﴾

مطراناً للطائفة فيها خلفاً للمرحوم السيد غفرئيل . فحقّ لابرشية بيروت ان تشكر غبطته لانه انالها الآمال وان تفرح بسيادة راعيها الجديد المشهور بين الاكليروس الارثوذكسي السوري بالفضل والعلم . ونحن نهنىء سيادته بارتقائه الى اسمى وظيفة بعد وظيفة البطريركية بالنسبة الى مركز بيروت ونرجو ان تنال طائفته في بيروت كل خير على يده ان شاء الله

باب الاخبار العلميّة

تاريخ الاخبار العلمية

﴿ في العام الماضي ﴾

لو رام احد جمع اخبار الاكتشافات والاختراعات والآراء العلمية التي تصدر من كل اقطار العالم المتمدن في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وايطاليا وغيرها لجمع منها في كل شهر مجلدًا ضخمًا يساوي حجمه حجم ١٢ جزءًا من اجزاء الجامعة. وهذا هو السبب الذي يجعلنا نقتصر على تدوين القليل منها. على اننا عثرنا في تقويم المؤيد الذي صدر حديثًا على خلاصة من تاريخ الاخبار العلمية والاكتشافات التي حدثت في العام الماضي في فرنسا وغيرها. فرأينا من الفائدة نقلها للقراء

﴿في الزراعة﴾ ١٥ يناير. عالج الدكتور (جار) الحمى القلاعية بحمض الكروميك — ٢٧ منه بلغ عدد المشتغلين بزراعة الكراز في فرنسا ١٢٨١١٤ وبحث الزارعون عن الطرق للاستفادة بالكحول الفاسدة — ١ فبراير. استنبط المسيو اشمن دواء لآفات شجر البطاطس وهي وضع كيلوغرامين ونصف من سلفات الحديد في ٩٠ ليترًا من الماء مخلوطة بكيلوغرام ونصف من سيليكات الصودا في ١٠ لترات من الماء يذاب فيها ٨٠٠ جرام من كربونات الصوده المكلسة — ٦ مارس. عالج المسيو كروكتيل الحمى القلاعية بمحلول سلفات الحديد في درجة ٢٠ — ٩ افريل. بلغ ما استنفدته اراضي فرنسا لسمادها ٨٤٠٠٠٠ طن من فوصفات الجير. في المانيا يوجد لدى ٩٠٩٠٠٠ مزارع آلات زراعية ميكانيكية — يوليو. دلت التجارب على ان محلول سلفات النحاس بنسبة ٣ الى ٦ في المئة هو انجع دواء لابادة حشرات النباتات. لاحظ المسيو فيلموران انه لترقية الزراعة وتاصيلها ينبغي ان لا يعتبر في انتقاء البذور كبر حجمها فقط بل حصولها من شجرة جيدة البذرة اذ كثيرًا ما يكون الوسط سببًا في كبر البذور مع دناءة اصلها — اكتوبر. قال المسيو كركلاند ان الضفدع تقتل في عام واحد حشرات تتلف من الزراعة ما قيمته مئة فرنك. في سنة ١٨٩٩ اعطت حكومة الولايات المتحدة ١٢٦٠٠ براءة بانواع جديدة للحارث. يبلغ قيمة الازهار

التي تصدر سنويًا من ايطاليا ٣٠ مليون فرنك — دسمبر . قال المسيو بينار بزيادة محصول القمح اذا زرع في ارض كان البنجر مزروعًا فيها من قبل

﴿ في العلم ﴾ ٢٩ يناير . استنبط المسيو ارمان طريقة جديدة لاستخراج الكاوتشو بسحق اشجاره — مارس . اقترح المسيو ابيري عمل جهاز جديد لاعدام الفيران بحمض الكربونيك — ٢ افريل . اخترع المسيو تورس آلة لاجراء العمليات الحسابية ١٥ مايو . اخترع المسيو تمازي آلة تصان بها اسرار المراسلة بالتلغراف العديم السلك . اخترع المسيو كورنو جهازًا سماه بجهاز سمت الراس والنظير والغرض منه قياس المسافات السمتية بين السمت والنجوم — ٢٨ منه . كان كسوف الشمس كليًا في اسبانيا — يونيو . وجد المسيو بارفيل ان الصواعق قتلت ٦١٩٨ نفسًا في ٦٠ عامًا . فيه اخترع بولسن التلغرافون وهو عبارة عن تلفون يقيد بالكتابة في جهة ما يقال باللفظ في جهة اخرى . انشأ المسيو ستل ترمومترًا زئبقيًا مقسمًا الى ٥٠٠ درجة سنتيجراد — ٩ يوليو . يؤخذ من تجارب المسيو ا . جوتييه ان الهواء في عرض البحر هو انقى الهواء وانه يحتوي على ٢٠ من ١٠٠٠٠٠ جزء من حجمه ايدروجينًا نقيًا — ١٠ اغسطس . اخترع فينون جهازًا لتنظيم سير البندول . انشأ دوفور ترمومترًا من الكوارتز لبيان درجة الحرارة البالغة في الشدة . اخترع فرانكو تقويمًا ابديًا يعرف منه الوقت بدورانه بآلة كآلة الساعة . استعمل ديجربه الكيماوي بي اوكسيد الصوديوم لجعل الهواء المحصور في مكان ما قابلاً للتنفس — نوفمبر . وضع شارل فرايسينه مذكرة عن ٤٢٨ كوكبًا من الكواكب التلسكوبية — ١٠ دسمبر . اخترع تومازيني آلة للبحث في العواصف البعيدة . تمكن ج كلسي من تبادل المحادثة بالتلفون العديم السلك على مسافة ٣٠٠ متر

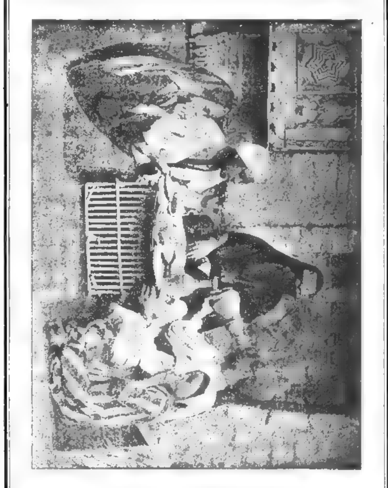
﴿ في الصناعة ﴾ يناير . استخرج كنيس الكحول من نبات الالنا والاسفوديل بنسبة ١٤ لترًا من ١٠٠ كيلو من الالنا — فبراير . بلغ محصول الحديد عام ١٨٩٨ ٣٦٥٦٨ مليون طن والصلب ٢٤٠٣١ طنًا وربعها من الولايات المتحدة . اما التصدير فبلغ المستخرج منه ٧٧٣٣٠ طنًا — مارس . بلغ المستخرج من الفحم عام ١٨٩٩ في العالم ٦٦٢٨٢٠٠٠٠ طن . صنع الدكتور بوم اسفنجًا صناعيًا من سلولوز عجينة الورق — ١٤ افريل . افتتاح معرض باريز . بلغ قيمة ما صدر من الجوالات (الاتوموبيل) الفرنسوية الى الخارج ٤٢٦٠٠٠٠ فرنك . تمكن المسيو دولابورت من تنقية الزيت باضافة ١٠ بالمئة عليه من كرور الكلسيوم — يوليو . اخترع المسيو فويلدر طريقة للتفضيض على البارد

بواسطة ذلك الاشياء · صدرت سويسره في ١٨٩٩—٣١٦٦٦٨٤ ساعة قيمتها ١١٢ مليوناً فرنك — اغسطس · ازال ج · هنتر طلاء الصفيح بوضعه في محلول سلفات النحاس · استخرج كروس ورمنجتون النشاء من قسطل الهند (ابو فروه) · اخترع المسيو بري صواني متحركة لمنع وقوف القطارات في محطات السكك الحديدية — اكتوبر · بلغ عدد العجلات القدمية سنة ١٨٩٩ في فرنسا ٨٣٨٨٥٦ منها ١٨٥٧٨١ في باريز وحدها · رفع المسيو فيفر بقع الرخام بواسطة بلها بمخلوط من عصارة الليمون وحمض الكبريتيك · اخترع رانجلار به غطاء لايقاف الخيول الجامحة — ١٢ نوفمبر · اغلق المعرض الباريزي · محصول قطن الولايات المتحدة سنة ١٨٩٩—٥٥٥١١٢ طناً · صنع المسيو بيتيزيب مادة جديدة غير قابلة للاحتراق

﴿ في الطب ﴾ يناير · استنبط الدكتور بونييه طريقة لتشخيص الصمم · استعمل وايت الهواء السائل بصفة مخدر محلي · اخترع الاساتذة بروكا وسابليه وتيبو مصلاً جديداً ضد الكحول — فبراير · اقرت الجمعية الطبية على اعتبار الحصباء من الامراض المعدية التي يجب على الطبيب اظهار امرها للحكومة — مارس · قال المسيو كرتزمن ان سبب داء النقطة مرض في مسالك البول · منع الدكتوران دو تراميلي وبرديولا دوار البحر باستنشاق الاوكسيجين المضغوط عليه — مايو اثبت المسيو منسن ان البعوض يمكنه بلذعاته ان يدخل جراثيم الامراض الى الجسم · عالج منشيكوف وبسروكا داء البرص بحقن المصل · عالج المسيو مالري داء الجريب باستنشاق الديهيد فورميك — اغسطس · لاحظ الاستاذ جرانشر في مستشفى تروسو انه بعزل الاطفال المصابين بالامراض المعدية وبمراعاة وسائل التطهير قد قل عدد المصابين بالحصباء بمقدار الثلثين — اكتوبر وفق الدكتور بوت الى معالجة اللوبس الدر في ببرمنجنات البوتاسا

عادات واخلاق

اعتدنا ان نطبع في هذا الباب بعض الرسوم التي تدل على بعض العادات والاخلاق في مصر وسواها · اما الرسوم التي طبعناها في هذا الجزء فاولها رسم مختص بعيد « شم النسيم » فانه من المعلوم ان سكان مصر وطنيين واجانب قد اتفقوا على يوم يخرجون فيه من المدن الى الخلاء « لشم النسيم » والاحتفال بقدوم الربيع وهذا العيد يقع في اليوم التالي لعيد



﴿ عيلة مصرية في شم النسيم ﴾

الفصح عند الارثوذكس وتخلو المدن فيه من سكانها لامتلاء البرية بهم . وهذا الرسم يمثل عيلة مصرية خرجت الى شم النسيم وهي تتناول الطعام على بساط الطبيعة

اما الرسم الثاني فهو رسم المؤذن في المنائر يدعو الى الله في ظلمة الدجى والناس نيام



﴿ المؤذن يدعو الى الله ﴾

فيكون لدعائه وقع شديد في النفوس ولاسيما اذا كان صوته رخيماً

والرسم الثالث رسم شجرة في المطرية يزورها بعض السكان · وسبب زيارتهم لها توهمهم ان يوسف والعذراء مريم لما جاءا بالسيد المسيح الى مصر وهو طفل جلسوا تحت هذه

الشجرة للاستراحة قليلاً والمسيحيون يزورون هذه الشجرة تبركاً بها والسياح يزورونها لمشاهدتها

﴿ شجرة المطرية المشهورة بان يوسف والعذراء مريم والسيد المسيح جلسوا تحتها ﴾
﴿ حين مجيئهم الى مصر ﴾



﴿ الجزء الثامن ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — ربيع اول سنة ١٣٢٠ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

تاريخ ابن رشد وفلسفته

﴿ وهو اعظم فلاسفة الاسلام ﴾

واشهر شراح فلسفة ارسطو في القرون المتوسطة · ومن اجل ذلك كفّره معاصروه وعزلوه من منصب قاضي قضاة الاندلس واهانوه ومحوا كتبه ونفوه من وطنه · وهذه اول ترجمة كاملة لهذا الفيلسوف العظيم في اللغة العربية مقرونة بشرح فلسفته وآرائه بابسط عبارة · وسنردفها بغيرها من تراجم مشاهير فلاسفة العرب الذين شغلوا في تاريخ الحضارة والعلم حيزًا عظيمًا · وحسبنا رضى القراء واستحسانهم جزاء على ما نعانيه في كتابة ترجمة كهذه الترجمة

بين الفلاسفة مسألة يسمونها مسألة « انكار العدالة في العالم او اثباتها » · فمنهم فريق يرى ان العالم انما هو عبارة عن بطون تدفع وارض تبلع فلا نظام ولا ناموس وانما الحياة عراك شديد بين البشر يتغلب فيه القوي ويسقط الضعيف · وليست الفضيلة والخير والصلاح شرطًا للانتصار في هذا العراك وانما القوة هي الشرط الوحيد · وبناء على ذلك كثيرًا ما تسلّحت الرذيلة بالقوة فانتصرت اعظم انتصار وانكسرت امامها الفضيلة اقبح انكسار ·

وكفى دليلاً على ذلك سقراط وار يستيذس وابن الانسان سيد البشر . أفما سق الاثينيون سقراط سمًا لانه جهر بحقيقة من ابسط الحقائق وهي وحدانية الخالق . اما اهانوا ار يستيذس مثال الصدق والاستقامة ونفوه من وطنه من اجل صدقه . فهل كانت الفضيلة تسقط هذا السقوط وتُداس بهذه الوقاحة لو كان في الكون عدالة ساهرة

فيردّ على ذلك انصار العدالة بقولهم وهم يبتسمون : اتحسبون ان سقراط كان مغلوباً مع الاثينيين . كلا بل انه انتصر عليهم وان كان قد شرب السمّ من ايديهم . ذلك ان الانتصار الحقيقي لا يتوقف على ظلم ساعة ولا على عذاب يوم . قال الفيلسوف بلوتين « ممّ تشكو ايها الانسان ؟ امن ظلامة ؟ ولكن ما تاثير الظلامة في النفس الخالدة » . فظلامة الاثينيين لم تضر سقراط بل عاد شرها عليهم . ذلك ان كل فرد من افراد الانسانية منذ تلك الحادثة الفظيعة الى هذه الايام لا يُذكر على مسمع منه اسم سقراط واسم الاثينيين الا و يعظّم الحكيم سقراط ويحقّر اولئك الذين سمموه . اذًا فمن الغالب ومن المغلوب من الفريقين . أليس الغالب ذلك الذي يعيش ذكره مبجلاً معظماً في نفوس بني البشر الى آخر القرون والاجيال . وهل تريدون دليلاً افضل من هذا على انه « ليس بالامكان ابدع مما كان » كما قال الامام الغزالي وعلى وجود عقل عام يدبر الكون بمبادئ ونواميس ثابتة ويجعل النصر فيه للفضيلة دائماً ولو بعد حين

اذا رمتم دليلاً آخر فاليكم ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فان معاصريه كفروه ومنعوا كتبه واهانوه ونفوه . ولكن اي شأن لهذا كله في نظر العاقل الحكيم الذي ينظر الى جواهر الامور لا الى اعراضها . الا ينسى ابن رشد كلّ تلك الهنات الصغيرة اذا تسنى له ان يشاهد من مكانه الابدي ما يقوله البشر عنه اليوم في اللغة العربية وغيرها

واليك ترجمة هذا الفيلسوف العربي الذي يعتقد الافرنج انه الفيلسوف الحقيقي الوحيد الذي نبغ في الاسلام

***

﴿ ترجمته ﴾ هو ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد وكانت اسرته من اكبر الاسر في الاندلس (اسبانيا) وقد ولي ابوه وجده منصب قاضي القضاة فيها . وكانت ولادة صاحب الترجمة في قرطبة في سنة ٥٢٠ هجرية (١١٢٦ مسيحية) وتوفي في بلاد المغرب (مراكش) في ٩ صفر من سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة

وقد تلقى ابن رشد في صغره علم الكلام وهو في الدين الاسلامي بمنزلة اللاهوت في

الدين المسيحي · غير ان عقله المطبوع على طلب الحقيقة وحب التوسع في العلم لم يكتف بذلك فاقبل برغبة شديدة ونشاط عظيم على درس الطب والرياضيات والفلسفة · وكانت مدارس قرطبة والاندلس في ذلك الزمان مصابيح علم وهدى لجميع الامم· وقد فصلنا ذلك في مقالة « الاندلس وعز الاسلام القديم » في الجزء الاول من هذه السنة

ولما شبّ ابن رشد جُعل قاضياً في قرطبة · وكانت دولة الموحدين قد اسقطت دولة المرابطين في مدة شبابه وحلت محلها وكان بن طفيل صديق بن رشد من اعظم اخصاء الدولة الغالبة فقرب صديقه من الخليفة يوسف الذي خلف الخليفة عبد المؤمن · وفي سنة ٥٤٨ هجرية عبر ابن رشد البحر بين الاندلس و بلاد المغرب (مراكش) واقام فيها مساعداً على انشاء مدارسها وانارة مصباح العلم فيها · وفي عام ٥٦٥ هـ جعل قاضياً لاشبيليه في الاندلس وفي عام ٥٦٧ هـ عاد الى قرطبة · ثم سافر الى بلاد المغرب في عام ١١٨٢ وقد استدعاه اليها الخليفة يوسف وجعله طبيبه الخاص مكان بن طفيل · ثم رقاه الى منصب قاضي القضاة في قرطبة عاصمة الاندلس · فتربع بن رشد في كرسي ابيه وجده

***

وفي عام ١١٨٤ للميلاد ولي يعقوب المنصور بالله الخلافة في الاندلس خلفاً ليوسف ابيه فبلغ صاحب الترجمة لديه اسمى منزلة في بدء حكمه · واصبح في ذلك الزمان سلطان العقول والافكار لا راي الا رايه ولا قول الا قوله · ولكنه مكتوب لكل اصحاب العقول الذين يمتازون عن البله والبلداء واصحاب الدعوى في هذا العالم ان يتكاثر حسادهم لسبب ولغير سبب · ولذلك حسد بنَ رشد جماعةٌ من الذين قصروا عن شق غباره و بلوغ منزلته فوشوا به لدى الخليفة يعقوب المنصور بانه يجحد القرآن و يعرض بالخلافة و ينشط الفلسفة وعلوم المتقدمين بدلاً من الدين الاسلامي · ولا غرابة في هذه التهمة بعد انصراف بن رشد الى الفلسفة وطلبه الحقيقة من طريق العقل في زمن كذلك الزمن وانما الغرابة ان لا تحدث يومئذ تهم كهذه التهمة · ولذلك فكل فيلسوف اهل لان يلقب بهذا اللقب يحتمل هذا العدوان من المعاصرة احتماله امرًا طبيعياً لا مفر منه ولا مهرب · و بناء على ذلك يكون اولئك الكبراء العظماء الذين عُذبوا في بدء نشأة العلم في كل امة لاعتقادهم اعتقادات تناقض اعتقاد بسطائها بمثابة شهداء يحق لهم علينا اليوم كل اكرام واحترام لانهم كانوا طليعة جيش العلم الذي لم ينتصر الا بجهادهم و بدمائهم · حتى كانهم ما خُلقوا الا لتلقى على ظهورهم احمال العلم والانسانية كلها

نصبه امام الجامع للبصق عليه

اما الخليفة يعقوب المنصور فانه لما رُفعت اليه الشكوى على ابن رشد امر فاجتمع لديه اعظم فقهاء قرطبة وقضاتها . ثم طرح عليهم الخليفة قضية ابن رشد وقد حضر ابن رشد نفسه هذا الاجتماع . فقرر الفقهاء ان تعاليمه كفر محض ولعنوا من يقرأها وقضوا على صاحبها بالنفي من قرطبة . ومن الاسف العظيم ان لا يكون لدينا تفصيل هذه الجلسة التي جرت محاكمة الفيلسوف فيها . فنفي ابن رشد الى لوسنه وهي بلدة قريبة من قرطبة وقضي عليه بالتزامها وعدم الخروج منها . وهنا اختلفت الروايات . فمن قائل ان ابن رشد اقام فيها حتى رحل الخليفة يعقوب المنصور الى بلاد المغرب ومن قائل انه سار منها يروم الخلاص من الامر فقبض عليه في فاس واوقف على باب الجامع ليبصق عليه الناس في دخولهم وخروجهم . فاذا كان هذا الخبر صحيحاً فقد اهينت الفلسفة والحكمة والعقل في شخص ابن رشد ابلغ اهانة . وذلك مما يجعل له حقاً جديداً في الكرامة والاحترام فوق حقه الفلسفي الكبير

ولسنا نزعم انه يجوز لكل واحد من العلماء ان يضع مذهباً جديداً ويدعو الناس اليه وان كان مناقضاً لمعتقدات الناس وهادماً لاساسها . كلا فان ذلك امر لا يخلو من مضرة من بعض الوجوه وان كان نافعاً من وجوه اخرى . ولكن كما انه لا يجوز للعالم الجالس في غرفته وراء مائدته وهو يبحث باخلاص وامعان عن الحقيقة او ما يظنه حقيقة — ان يدعو الناس الى ترك ما في ايديهم للتمسك بالامر الجديد الذي يظن انه قد وجده ويحقر كل من لا يعتقد معتقده كذلك لا يجوز للناس ان يمنعوا العقل البشري من الانطلاق في جو الفكر لطلب الحقيقة والعلم والنور بالآلات العقلية التي منحه الله اياها دون تضييق على هذه الآلات او ايقافها في مجراها . ولا ريب ان الامر الاول ضرب من الغرور والطياشة اذ ليس في العالم احد قادراً على اثبات ان الحقيقة في يده ومعتقده . ولذلك يجب على كل واحد من البشر ان يحتمل راي غيره وان كان مخالفاً لرايه . وهذا وا اسفاه لقصور العقل البشري وضيق ذراعه عن الاحاطة بفضاء الاسرار الالهية التي امامه . ولكن اذا كان الامر الاول غروراً وطياشة فالامر الثاني ضرب من ضروب الكفر بنعم الله تعالى لانه يقتضي اطفاء نور العقل الذي خلقه الله ووضعه في الانسان لمثل ما توضع المنائر على شواطئ البحار . افتطفئون المنارة في الانسان ثم تقولون له سر واعتقد انك سائر في الطريق القويم

عوده الى مقامه

وليس يسوء الحق شيء مثل اتخاذ الهوى مركباً في امور مقدسة كهذه الامور . فانه اذا كان كل معارض ومعترض يعارض و يعترض دفاعاً عن مبادىء مقررة في نفسه وهو يقوم بهذا الدفاع ولا غرض له غير طلب الحقيقة المجردة فهذه المعارضة وهذا الاعتراض امر مقدس يجب على كل عاقل ان يحترمه . ولكن من سوء حظ البشر انهم يقدمون الهوى دائماً على الحق . وقلما تجد شهيداً من شهداء العلم الذين بذلوا في سبيله كل مرتخص وغال الا ونرى انه كان للحسد اليد الطولى في معارضتهم واضطهادهم . والذي يدل احسن دلالة على ان تكفير الفيلسوف بن رشد كان من هذا القبيل ان المنصور لما عاد من قرطبة الى بلاد المغرب (مراكش) ووجد نفسه بعيداً عن اعداء ابن رشد الذين اثروا عليه بجعلوه يكفره و ينفيه ذكر فضل هذا الفيلسوف الكبير وعلمه وسعة صدره وحسن اخلاقه فامر من المغرب بالغاء الحكم الذي حُكم به عليه و باباحة الفلسفة والاذن للناس في الاشتغال بها . فعادت الى فيلسوف الاندلس كرامته ومنزلته ولكنه لم يتمتع بها بعد ذلك مدة طويلة اذ ادركته المنية في بلاد المغرب فدفن فيها . و بعد ذلك نُقلت جثته الى قرطبة التي تُفتخر به لانها مسقط راسه

***

﴿ مؤلفاته ﴾ كان ابن رشد مولعاً بالتاليف والمطالعة ولم يكن له لذة في غيرها . ولقد تمنى ان ينقطع عن منصبه اليها لو ان ذلك كان في امكانه . وكان يقول في كتبه انه يشبه رجلاً اتصلت النار بمنزله فاخذ يخرج منه اهم اثاثه شيئاً فشيئاً

اما مؤلفاته فهي كثيرة يضيق المقام دون تعدادها كلها . فنكتفي اذاً بذكر كتبه الجليلة التي جعلت له في عالم الفلسفة والعلم هذه الشهرة الطائرة . وهذه الكتب قسمان . قسم في الطب وقسم في الفلسفة . فشهرته في العالم مبنية اذاً على هاتين الصناعتين : الطب والفلسفة . على انه قد الف ايضاً في علم الكلام والصرف والفقه وعلم الفلك عدة مؤلفات . منها في علم الفلك مختصر المجسطي وفي الفقه كتاب دروس كاملة وفي الطب الكليات وهو ستة اجزاء تتضمن دروساً كاملة في صناعة الطب ولقد بقي لهذا الكتاب اهمية كبرى مدة طويلة . على ان اهم كتبه كلها شروح اريسطو التي بلغ بها مؤلفها اسمى منزلة

شرحه اريسطو

ولقد قلنا مؤلفها ولم نقل مترجمها لان بن رشد لم يترجم فلسفة اريسطو ولكنه شرحها

شرحاً . ولقد اخطأ من قال انه ترجمها لان ابن رشد لم يكن يحسن اللغة اليونانية فضلاً عن انه كان في دار الخلافة في الاندلس اطباء من النساطرة الذين كانوا قد ترجموا كتب اريسطو الى اللغة العربية . وكان كثيرون من علماء السريان والكلدان قد ترجموا هذه الكتب الى العربية قبل عصر ابن رشد بثلاثة قرون . فلا ريب ان فيلسوف الاندلس قد اعتمد في شرح اريسطو استاذه واستاذ فلاسفة العالم الى عهد باكون على هؤلاء المترجمين

وقد شرح ابن رشد فلسفة اريطسو بطرق ثلاث . الاولى الشرح الوجيز . والثانية الشرح المتوسط او الواسطة . والثالثة الشرح الكامل او المطول

اما الشرح الصغير فان ابن رشد يتناول فيه مواضيع اريسطو ويؤلف فيها من عند نفسه مقالات في غاية الاهمية . فهو في هذا الكتاب مؤلف لا شارح . واما الشرح المتوسط فانه يذكر في صدر كل فصل منه بضع كلمات من كتاب اريسطو ثم ينطلق في الشرح والتاليف فيختلط قوله بقول اريسطو حتى يصعب فصلها . واما الشرح المطوّل فان ابن رشد يذكر فيه فقرات اريسطو فقرة فقرة ثم يشرح اجزاءها شرحاً كافياً . ومما لا ريب فيه ان ابن رشد لم يكن يضع الشرح الكبير الا بعد فراغه من الشرح الصغير . وقد قال فلاسفة الافرنج ان ابن رشد اعظم فلاسفة القرون الوسطى الذين تبعوا اريسطو وشرحوا اقواله

ومن الكتب التي نقلها عن اريسطو ما يلي « الكون والفساد . وما وراء الطبيعة . والبرهان . والنفس . والاخلاق . والسماء . والكون . وغيرها » وله ايضاً كتاب « التهافت » وهو رد على كتاب للامام الغزالي (١) عنوانه « تهافت الفلاسفة »

طبع كتبه وترجمها

ومما يحق لابناء اللغة العربية ان يخجلوا منه انهم اذا طلبوا كتب هذا الفيلسوف بين ما طُبع ونُشر من الكتب بلغتنا في النهضة الحديثة لم يجدوا شيئاً منها . ولما قامت شركة

---

(١) هو ابو حامد محمد بن احمد الغزالي زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي وقد اشتهر بين علماء الاسلام بالرد على الفلسفة اليونانية التي صار ابن رشد بعد ذلك زعيمها وامامها . وقد توفي في سنة ٥٠٥ للهجرة اي قبل ولادة خصمه ابن رشد بخمسة عشر عاماً . وسناتي على ترجمته باسهاب

طبع الكتب العربية في القاهرة لاحياء المؤلفات القديمة الجليلة الشان اعرضت عن مؤلفات هذا الفيلسوف كل الاعراض مع انه كان يجب جعل كتبه في مقدمة الكتب التي طبعتها . وذلك لعدة اسباب . اولها ان القراء اكثر اقبالاً عليها منهم على سواها كما ظهر بعد الاختبار . وثانياً لانها ام الكتب العربية على الاطلاق وحسبك انها كتب الفيلسوف الحقيقي الذي نبغ في الاسلام . وثالثاً لانه كان يجب في هذا العصر الذي جاز العلم فيه كل ما قام في سبيله من العثرات وظهر مصباحه ساطعاً من وراء الظلمات ان يكون صوت بن رشد الجهوري — ذلك الصوت الذي حاول الناس خنقه ولم يفلحوا — اول صوت يطرق مسامع الابناء ليذكرهم بمجد الاجداد القديم لعلهم يذكرون عنده الاسباب التي محت ذلك المجد فيجتنبوها والامور التي نقلته منهم الى تلامذتهم الاوربيين فيقتبسوها . فانه لا اعرف من ابن رشد بتلك الاسباب وهذه الامور ولا ارشد من كتبه اليها وادل منها عليها

اما الافرنج فانهم عنوا بترجمة كتب ابن رشد اشد عناية فترجمت مؤلفاته كلها الى اللغة اللاتينية لغة العلم والعلماء في ذلك الزمان . وكذلك الاسرائيليون فانهم ترجموا كتبه الى العبرانية لانهم كانوا من حملة العلم في اسبانيا واوربا . وكان منهم اكثر تلامذة ابن رشد . ويكفي لبيان الاهمية التي كانت لهذا الفيلسوف لدى الافرنج في صدر تمدنهم ان نقول ان في مدينة البندقية وحدها اليوم اكثر من ٥٠ طبعة من مؤلفاته

***

﴿ فلسفة «المتكلمين» وآراؤهم في الوجود ﴾ وقبل ايضاح فلسفة بن رشد نأتي على آراء المتكلمين الذين عارضوها اذ في هذه المقابلة تمام الفائدة فنقول

ان المتكلمين اي علماء الكلام في الدين الاسلامي قد وضعوا فلسفة خاصة بهم . وربما لم يكن من الصواب ان تُدعى تعاليمهم فلسفة لانها عبارة عن مباحث دينية محضة ولكن كل ما جرى فيه كلام عن الخالق عز وجل وعالم الغيب وما وراء الطبيعة فهو فلسفة . ومن المعلوم ان كلمة فلسفة يونانية الاصل وهي مشتقة من كلمتين فيلوس ومعناها (محبة) وسوفيا ومعناها (الحكمة) فالفلسفة معناها اذاً (محبة الحكمة) . وهل في عالم الفكر الذي هو اشرف العوالم شيء يستحق ان يُسمى حكمة غير البحث في اصل الحكمة ومصدرها الاعلى

فلسفة المتكلمين هذه مبنية على امرين . الاول حدوث المادة في الكون اي وجودها بخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق التصرف في الكون ومنفصل عنه ومدبر له . وبما ان الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل اذاً عن السبب اذا حدث في الكون شيء

لان الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . اذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً ان يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأنْ ينتج بعضها عن بعض لان هذه الحوادث تحدث بامر الخالق وحده . وفي الامكان ان يكون العالم بصورة غير الصورة المصور بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق

روح جديد عصري

هذا لباب تعاليم المتكلمين ولسنا الآن في مقام البحث فيها بل اننا نبسطها لمقابلتها بتعليم ابن رشد . وانما نقول في معرض الكلام انه يلوح لنا ان كثيرين من علماء الكلام المعاصرين ومن اخواننا الكتاب المسلمين قد ادخلوا شيئاً من النظام في تلك الفوضى . فاننا نطالع بامعان لا مزيد عليه كل ما تنشره رصيفتنا مجلة المنار الغراء من الدروس التي يلقيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الجامع الازهر تفسيراً للقرآن فنجد في كل صفحة من صفحاتها روحاً جديداً اذا تمّ انتشاره كان بمنزلة اصلاح عظيم في العالم الاسلامي . ومقتضى هذا الروح الجديد تقييد الكون بنواميس طبيعية وضعها الخالق له فلا يحدث شيء في العالم الا بها . غير ان الاستاذ لا يذهب في ذلك مذهب الماديين الالهيين الذين يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى قد خلق نواميس الكون واجراها في مجراها الطبيعي وقضى بان لا تخرج عنه ابداً . كلا لانه يعتقد بان الخالق الابدي الذي وضع تلك النواميس قد ينقضها حيناً من الزمن كلما شاء وذلك من اجل المرسلين الذين يختارهم لاصلاح حال البشر وهدايتهم الى منافعهم . ومهما يكن من هذا الامر فكفى هذا الرأي اهمية وجلالاً انه يجعل للكون نظاماً طبيعياً ثابتاً يجري عليه . فالبشر الذين يدرسون هذا النظام ويعملون به ينعمون ويسعدون في هذه الحياة والذين يجهلونه ويخالفونه استناداً الى ان الخالق يفتقدهم وهم جالسون في بيوتهم سواء سعوا ام لم يسعوا فانهم يشقون ويخطئون . ولقد كان علماء الاديان في العصور المتقدمة ينكرون هذا الرأي ويكفرون صاحبه لاعتقادهم انه غير لائق بالخالق عز وجل اما اليوم فلم يبقَ مجال لهذا الانكار بعد الاكتشافات العلمية التي كشفت النقاب عن وجه النواميس الطبيعية التي تحكم الكائنات كلها من جماد وحيوان ونبات . ولكن ليس الفضل للبشر اليوم في التسامح وقبول هذا المبدإ الصحيح الجديد وانما الفضل لاولئك الذين خاطروا في العصور المتقدمة في كل ملة وامة بمناصبهم وحياتهم وكرامتهم ولمن يحذو حذوهم في هذا العصر لايصال عالمنا المطبوع على الجهل والقسوة والتعصب الى هذه الدرجة من

الاعتدال والتسامح ومعرفة الحقائق الازلية الابدية

***

﴿ فلسفته ورايه في المادة وخلق العالم ﴾ اما فلسفة ابن رشد فانها تناقض الفلسفة التي تقدمت · واليك خلاصة منها

المادة وخلق العالم

ان اعظم المسائل التي شغلت حكيم قرطبة مسالة اصل الكائنات · وهو يرى في ذلك راي ارسطو · فيقول ان كل فعل يفضي الى خلق شيء انما هو عبارة عن حركة · والحركة تقتضي شيئاً تحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخلق · وهذا الشيء هو في رايه المادة الاصلية التي صنعت الكائنات منها · ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفصال ولا حد له ولا اسم ولا وصف · بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه · وبناء عليه يكون كل جسم ابدياً بسبب مادته اي انه لا يتلاشى ابداً لان مادته لا تتلاشى ابداً · وكل امر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون · وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط · وبناء عليه فالعامل الاول الذي هو مصدر القوة والفعل (اي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه حدثاً والخالق تنزه عن ان يكون حديثاً

اتصال الكون بالخالق

هذا فيما يختص بخلق العالم · وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى · ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره

لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسالة الخطيرة · فانه يشبه حكومة الكون اي تدبيره بحكومة المدينة · فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتتجه الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدراً لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكوان فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة في كل جزء من هذه القوات · فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة · وانما هذا الاتصال يكون بالعقل الاول وحده · وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر

عنه القوة فالكواكب . وعلى ذلك فالسماء في راي فيلسوف قرطبة كون حي بل اشرف الاحياء والكائنات . وهي مؤلفة في رايه من عدة دوائر يعتبرها اعضاء اصلية للحياة . والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . اما العقل الاول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر . ولكل دائرة منها عقل اي قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلاً يعرف به طريقه . وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلي بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض انما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تُحدث الحركة من الطبقة الاولى في السماء الى ارضنا هذه . وهي عالمة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الاول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم

طريق الاتصال

وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد ايضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » . وخلاصة ذلك ان في الكون عقلاً فاعلاً وعقلاً منفعلاً . فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان وغير قابل للامتزاج بالمادة . واما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس(١) وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضي مادة تنفذ فيها والمادة تقتضي شكلاً توضع به . واول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تُدعى العقل المكتسب . ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً اشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الازلي . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابي الذي تقدم

(١) ومما يجانس هذا البحث دعاء لافلاطون رواه بهاء الدين العاملي وهذا نصه « يا روحانيتي المتصلة بالروح الاعلى تضرعي الى العلة التي انت معلولة من جهتها لتتضرع الى العقل الفعال ليحفظ عليَّ صحتي النفسانية ما دمتُ في عالم التركيب ودار التكليف » وايضاً في موضع آخر « ياعلة العلل . يا قديماً لم يزل . يا منشيء مبادىء الحركات الاول . يا من اذا شاء فعل . احفظ عليَّ صحتي النفسانية ما دمتُ في عالم الطبيعة » ومما كان يقوله فيثاغورس (في رواية العاملي ايضاً) يا واهب الحياة انقذني من درن الطبيعة الى جوارك على خط مستقيم فان المعوج لا نهاية له »

ذكره فاتما وظيفة العقل الاكتسابي ايصاله الى حرم الخالق الازلي دون ان يدغمه به . واما ادغامه واتصاله به فذلك امر لا يتم الا بطريق «العلم» . فالعلم اذًا هو سبب «الاتصال» بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله عارفًا بكل شيء في الكون ولم يعد يفته شيء . ولكن كيف يتصل الانسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع الى الدرس والبحث والتنقيب ويخرق بنظره حجب الاسرار التي تكتنف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الامور وجد نفسه وجهاً لوجه امام الحقيقة الابدية

اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتمّ بواسطة الصلاة والتامل والتجرد وليس العلم ضروريًا له

وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم . والكون في رأيه كما مرّ بك انما صُنع بقوة مبادىء قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا . ومن هذه المبادىء شيء يستولي على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً ايضاً هو عقل ثابت لا يتغير اي انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكيات متباينة . على ان من كان منهم اكثر استمدادًا منه كان اقرب الى الكمال والسعادة (١)

---

(١) وبما ان روح هذه الفلسفة ماخوذ عن ارسطو وعن استاذه افلاطون فيحسن بنا ان نذكر في هذا المقام حديثاً لافلاطون مع تلامذته رواه بهاء الدين العاملي ولا نضمن صحة حرفه بل صحة روحه . قال افلاطون « ربما خلوتُ بنفسي كثيرًا عند الرياضيات وتاملت احوال الموجودات المجردة عن الماديات وخلعت بدني جانبًا وصرت كاني مجرد بلا بدن عارٍ عن الملابس الطبيعية فاكون داخلاً في ذاتي لا اعقل غيرها ولا انظر فيما عداها وخارجاً عن الاشياء فحينئذ ارى في نفسي من الحسن والبهاء والسناء والضياء والمحاسن الغريبة العجيبة الانيقة ما ابقى عنده متحيرًا حيران باهتًا فاعلم اني جزء من اجزاء العالم الاعلى الروحاني الكريم الشريف واني ذو حياة فعالة . ثم ترقيت بذهني من ذلك العالم الى العوالم الالهية والحضرة الربوبية فصرت كاني موضوع فيها معلق بها فوق العوالم العقلية النورية فارى كاني واقف في ذلك الموقف الشريف وارى هناك من البهاء

الخلود

ولكن هل ان نفس الانسان خالدة ام لا في هذا المذهب ؟ وهل كان ابن رشد يعتقد بحياة ثانية

ربما كان لابن رشد جوابان على هذه المسألة الخطيرة التي هي الآن دعامة عظيمة من دعائم الانسانية . فاننا في اثناء مطالعاتنا لبعض كتبه قبل الاقدام على ترجمته رأينا له في عدة مواضع كلاماً يدل* اصرح دلالة على اعتقاده بالحياة الثانية حتى بالعقاب والثواب ايضاً . فعجبنا كل العجب من تكفير الناس رجلاً يرى هذا الراي . ولكننا لما وصلنا الى مذهبه الفلسفي ورأينا متابعته لارسطو فيما يختص باعتقاده بالنفس وخلق الكون تغير وجه المسألة . ذلك ان ابن رشد كان يكتب هنالك كرجل مؤمن خاضع لتقاليد آبائه واجداده فهو يكتب بقلبه لا بعقله . اما عند بحثه بالعقل عن مصدر العقل وعلة العلل فقد كان يكتب كفيلسوف يدخل بجرأة الاسد الى كهف الحقيقة المحجبة ولا يبالي . ولذلك قلنا انه ربما كان له في ذلك جوابان

اما الجواب الاول فيما يختص بالعقاب والثواب فهو قول مشهور وانما يزيد عليه ابن رشد وجوب التاويل . واما جوابه الثاني اي الجواب الفلسفي الذي طلبه بالعقل دون سواه فاليك خلاصته

قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة . والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان . وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفعل فانياً . ولكن ما هو العقل الفاعل العام الذي هو خالد في راي ابن رشد؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية . فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها . وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية

والنور ما لا تقدر الالسن على وصفه ولا الاسماع على قبول نعته . فاذ استغرقني ذلك الشان وغلبني ذلك النور والبهاء ولم اقوَ على احتماله هبطتُ من هناك الى عالم الفكرة فحينئذ حجبتْ الفكرة عني ذلك النور فابقى متعجباً اني كيف انحدرت من ذلك العالم وعجبت كيف رايتُ نفسي ممتلئة نوراً وهي مع البدن كهيئتها . فعندها تذكرت قول مطريوس حيث امرنا بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف والارتقاء الى العالم العقلي »

فلسفته الادبية

اما الفلسفة الادبية فلم تشغل سوى حيز صغير في مذهب هذا الفيلسوف بازاء فلسفته المادية . وقد صرف همه في تلك الفلسفة الى نقض مذاهب « المتكلمين » الذين يقولون ان الخير في يد الله وانه يصنعه بالبشر حيثما يشاء وكيفما يشاء وبقدر ما يشاء من غير علة ولا سبب بل لان ارادته تقتضي ذلك . فمن راي ابن رشد في ذلك ان هذا المبداء ينقض كل مبادىء العدل والحق لان ذلك يجعل حكومة العالم فوضى ربما شقي فيها الحكيم الفاضل وسعد الشرير اللئيم

اما حرية الانسان فهو يذهب فيها مذهباً معتدلاً . فانه يقول ان الانسان غير مطلق الحرية تماماً ولا مقيدها تماماً . وذلك انه اذا نُظر اليه من جهة نفسه وباطنه فهو حرٌّ مطلق لان نفسه مطلقة الحرية في جسمه ولكن اذا نُظر اليه من جهة حوادث الحياة الخارجية كان مقيداً بها لما لها من التاثير على اعماله

تلخيص احد كتبه

(الاتفاق بين الفلسفة والشريعة الاسلامية)

واتماماً للفائدة نلخص في هذه المقالة كتاباً لابن رشد عنوانه « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ليقف القارىء على مذهب هذا الفيلسوف لفظاً ومعنىً خصوصاً لان هذا الكتاب متعلق بالموضوع الذي نبحث هنا عنه . وغرض المؤلف في هذا الكتاب ثلاثة امور . الاول اثبات ان الشرع الاسلامي يجيز « اعتبار الموجودات بالعقل وطلب معرفتها به » اي النظر فيها نظراً فلسفياً . والثاني وجوب تاويل آيات القرآن التي ظاهرها يخالف البرهان والعقل . والثالث وجوب عدم ذكر هذه التاويلات في الكتب التي تُكتب لعامة الناس لان ذلك يجر العامة الى الكفر . ولا ريب انه بهذا القيد الاخير قد دلَّ على اعتداله ورزانته واضعف به حجج اعدائه اللهمَّ الا ان يكون غرضه فيه الحط من مقام الامام الغزالي الذي كان مقاوماً للفلسفة اليونانية كما تقدم . وذلك لان هذا الامام قد بسط تلك التاويلات في كتبه

وقد ابتدأ المؤلف الكتاب الذي نحن في صدده بقوله « اما بعد حمد الله بجميع محامده والصلاة والسلام على محمد عبده المطهر المصطفى ورسوله » . وبذلك اعترف اعترافاً صريحاً بالاصلين العظيمين من اصول الدين الاسلامي الذي كان يتهمه حساده بالمروق

منه والزيغ عنه . ثم انه بعد ذلك يقول (١)

وجوب النظر بالقياس العقلي والاخذ عن غير المشاركين — « ان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها . وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع اتم » وقد جاء في القرآن « اعتبروا يا اولي الابصار . وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي او العقلي والشرعي معاً » وقوله « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . وهذا نص بالحث على النظر في الموجودات » وقوله « وكذلك نُري ابرهيم ملكوت السماوات والارض الآية» وايضاً « افلا ينظرون الى الابل كيف خُلقت والى السماء كيف رُفعت » وايضاً « ويتفكرون في خلق السماوات والارض »

قال « واذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها . وكان الاعتبار ليس شيئاً اكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه — وهذا هو القياس او بالقياس — فواجب ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي » « وليس لقائل ان يقول ان هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة اذ لم يكن في الصدر الاول » (من الاسلام) « فان اكثر اصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلي الا طائفة من الحشوية قليلة وهم محجوجون بالنصوص » « وان كان لم يتقدم احد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه فيجب علينا ان نبتدىء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتقدم بالمتاخر حتى تكمل المعرفة به » « وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فبيّنٌ انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك . وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان الآلة التي تصح بها التذكية ليس يُعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام » ولما كان القدماء قد فحصوا عن امر المقاييس العقلية اتم فحص « فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان صواباً » « قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وما كان منه غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم »

نقول اما كلمة « عذرناهم » هنا فانها في الحقيقة كلمة فيلسوف وهي اجمل ذلك

(١) ان العبارات والفقرات الموضوعة بين قوسين او ضمتين هي لابن رشد والتي بلا قوسين او ضمتين هي للجامعة وُيقصد بها اتمام المعنى واتصاله

القول الجميل

ثم قال « لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة وكذلك صناعة علم الهيئة (علم الفلك) ورام انسان واحد من تلقاء نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك » « ولو كان اذكى الناس طبعاً الا بوحي او شيء يشبه الوحي » « وهذا امر بيّن بنفسه ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه . فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة »

« فقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء (يعني الكتب اليونانية) واجب بالشرع اذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه . وان من نهى عن النظر فيها من كان اهلاً للنظر فيها — وهو الذي جمع امرين احدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية — فقد صدّ الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى »

وجوب التاويل — ثم انتقل من هذه القضية بعد اثباتها الى قضية التاويل فقال « واذا كانت هذه الشرائع (الاسلامية) حقاً وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فانّا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له » اي ان العلم موافق للدين كما ان الدين موافق للعلم . وبناء على ذلك قال الفيلسوف : « ونحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التاويل على قانون التاويل العربي » « واذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتاويل » « والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التاويل الجامع بينهما » ولهذا المعنى ورد في القرآن « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (الى قوله) والراسخون في العلم »

« وكثير من الصدر الاول قد نُقل عنهم انهم كانوا يرون ان للشرع ظاهراً وباطناً وانه ليس يجب أن يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه مثل ما روى

البخاري عن علي رضي الله عنه انه قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله » « ونحن نعلم قطعاً انه لا يخلو عصر من الاعصار من علماء يرون ان في الشرع اشياء لا ينبغي ان يعلم بحقيقتها جميع الناس »

رده على الامام الغزالي — ولكن هل اجماع الآراء في التاويل ممكن . قال الفيلسوف كلا . اذاً « فما تقول في الفلاسفة من اهل الاسلام كابي نصر وابن سينا فان ابا حامد (الغزالي) قد قطع بتكفيرهما في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاث مسائل : (١) في القول بقدم العالم (٢) بانه تعالى لا يعلم الجزئيات تعالى عن ذلك (٣) في تاويل ما جاء في حشر الاجساد واحوال المعاد » قال الفيلسوف في ذلك « ليس تكفيره في ذلك قطعاً اذ قد صرح في كتابه (التفرقة) ان التكفير بخرق الاجماع فيه احتمال » ثم تناول ابن رشد مسالة علم الله بالجزئيات وهي المسالة الثانية فقال

علم الخالق بجزئيات الامور

وقد نرى ان ابا حامد (الغزالي) قد غلط على الحكماء المشائين (١) فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه تقدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلاً . بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها . وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدَث بحدوثه ومتغير بتغيره . وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذي هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل »

العالم قديم ام حديث

ونظر بعد ذلك في المسالة الاولى اي قدم العالم فقال ان فيها ثلاثة اقوال « طرفان وواسطة بين الطرفين . وقد اتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة . فاما الطرف

---

(١) قال بهاء الدين العاملي « كان تلامذة افلاطون ثلاث فرق وهم » الاشراقيون والرواقيون والمشاءون » فالاشراقيون هم الذين جردوا الواح عقولهم عن النقوش الكونية فاشرقت عليهم لمعات انوار الحكمة من لوح النفس الافلاطونية وحدها من غير توسط العبارات وتخلل الاشارات . والرواقيون هم الذين كانوا يجلسون في رواق بيت افلاطون ويقتبسون الحكمة من عباراته واشاراته . والمشاءون هم الذين كانوا يمشون في ركابه ويتلقون منه فرائد الحكمة في تلك الحالة . وكان ارسطو من هولاء وربما يقال ان المشائين هم الذين كانوا يمشون في ركاب ارسطو لا في ركاب افلاطون »

الواحد فهو موجود وجد من شيء غيره وعن شيء اعني عن سبب فاعل ومن مادة . والزمان متقدم عليه اعني على وجوده » و يدخل في ذلك النبات والحيوان والارض والهواء والماء « وقد اتفق الجميع على تسميتها محدثة » « واما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شيء ولا عن شيء ولا تقدمه زمان . وهذا ايضاً اتفق الجميع من الفرقتين (القدماء والاشعريين) على تسميته قديماً وهو الله تبارك وتعالى فاعل الكل وموجده والحافظ له » بقيت الواسطة وهي « موجود لم يكن من شيء ولا تقدمه زمان ولكنه موجود عن شيء اعني عن فاعل وهذا هو العالم باسره » « والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم » « والمتكلمون (علماء الكلام) متفقون ايضاً مع القدماء (اليونان) على ان الزمان المستقبل غير متناهٍ وكذلك الموجود المستقبل وانما يختلفون في الزمان الماضي فالمتكلمون يرون انه متناهٍ »

واصحاب هذه المذاهب « من غلب عليه ما في الزمان من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث سماه محدثاً . وهو في الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً فان المحدث الحقيقي فاسد ضرورة والقديم الحقيقي ليس له علة . ومنهم من سماه محدثاً ازلياً وهو افلاطون وشيعته لكون الزمان متناهياً عندهم في الماضي . فالمذاهب في العالم ليست تتباعد كل التباعد حتى يكفر بعضها ولا يكفر »

« وهذا كله مع ان هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع اذا تصفح ظهر من الايات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم ان صورته محدثة بالحقيقة وان نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين اعني غير منقطع وذلك ان قوله تعالى (وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) يقتضي بظاهره وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء وزماناً قبل هذا الزمان اعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك . وقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) يقتضي ايضاً بظاهره وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقتضي بظاهره ان السماوات خلقت من شيء »(١)

---

(١) ومما لا يخلو ذكره هنا من فائدة وفكاهة قول لحضرة الرحالة ك في كتابه طبائع الاستبداد الذي صدر في العام الماضي عن تاويل بعض آيات القرآن تاويلاً ينطبق على اقوال العلماء في خلق الكون والاكتشافات العلمية الحديثة وهذا نصه : « قد كشفوا ان مادة الكون هي الاثير وقد وصف القرآن بدأ التكوين فقال « واستوى الى السماء وهي دخان » — وكشفوا ان الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول « وآية

ولكن اذا كان التاويل واجباً فهو لا يكون في الاصول « مثل الاقرار بالله تبارك وتعالى و بالنبوات و بالسعادة الاخروية والشقاء الاخروي » بل يكون في الفروع « وان كان في الاصول فالمتاول له كافر مثل من يعتقد انه لا سعادة اخروية ههنا ولا شقاء وانه انما قصد بهذا القول ان يسلم الناس بعضهم من بعض في ابدانهم وحواسهم وانها حيلة وانه لا غاية للانسان الا وجوده المحسوس فقط »

« واذا تقرر هذا فقد ظهر لك من قولنا ان ههنا ظاهرًا من الشرع لايجوز تاويله

لهم الارض الميتة احييناها » الى ان يقول « وكل في فلك يسبحون » — وحققوا ان الارض منفتقة من النظام الشمسي والقرآن يقول « ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » — وحققوا ان القمر منشق من الارض والقرآن يقول « افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها » و يقول اقتربت الساعة وانشق القمر — وحققوا ان طبقات الارض سبعة والقرآن يقول « خلق السبع سماوات طباقاً ومن الارض مثلهن » — وحققوا انه لولا الجبال لاقتضى الثقل النوعي ان تميد الارض اي ترتج في دورتها والقرآن يقول « القى في الارض رواسي ان تميد بكم » — وكشفوا ان التغيير في التركيب الكيماوي بل والمعنوي ناشيء عن تخالف نسبة المقادير والقرآن يقول « كل شيء عنده بمقدار » — وكشفوا ان للجمادات حياة قائمة بماء التبلور والقران يقول « جعلنا من الماء كل شيء حياً » — وحققوا ان العالم العضوي ومنه الانسان ترقى من الجماد والقران يقول « خلقنا الانسان من سلالة من طين » — وكشفوا ناموس اللقاح العام في النبات والقرآن يقول « خلق الازواج كلها مما تنبت الارض » و يقول « فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى » و يقول « واهتزت و ربت وانبتت من كل زوج بهيج » و يقول « من كل الثمرات جعل فيها زوجين » — وكشفوا طريقة امساك الظل اي التصوير الشمسي والقرآن يقول « الم ترَ الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » — وكشفوا تسيير السفن والمركبات بالبخار والكهرباء والقرآن يقول بعد ذكره الدواب والجواري بالريح « وخلقنا لهم من مثلهما يركبون » — وكشفوا وجود المكروب وتاثيره الجدري وغيره من المرض والقرآن يقول « ارسل عليهم طيرًا ابابيل » اي متتابعة مجتمعة « ترميهم بحجارة من سجيل » اي من طين المستنقعات اليابس . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية »

فان كان تاويله في المبادىء فهو كفر . وان كان فيما بعد المبادىء فهو بدعة . وهنا ايضاً ظاهر يجب على اهل البرهان تاويله وحملهم اياه على ظاهره كفر وتاويل غير اهل البرهان له واخراجه عن ظاهره كفر في حقهم او بدعة » « وفي هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه السلام في السوداء اذا اخبرته ان الله في السماء اعتقها فانها مؤمنة اذ كانت ليست من اهل البرهان . والسبب في ذلك ان الصنف من الناس الذين لا يقع لم التصديق الا من قبل التخيل اعني انهم لا يصدقون بالشيء الا من جهة ما يتخيلونه يعسر وقوع التصديق لم بموجود ليس منسوباً الى شيء متخيل »

المعاد وحملته على الغزالي

ثم انه بعد هذا التمهيد تناول المسالة الثالثة من مسائل الغزالي اي مسالة المعاد (١) فقال « يشبه ان يكون المخطىء في هذه المسالة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً او ماجوراً » ثم قال ان التاويل في هذه المسالة الخطيرة يجب ان يكون « في صفة المعاد لا في وجوده » على شرط ان يكون التاويل « لا يؤدي الى نفي الوجود » لان « جحد الوجود في هذه كفر لانه في اصل من اصول الشريعة » « واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتاويلها في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر »

وهنا حمل حملة شديدة على الامام الغزالي فقال ما نصه

(١) واليك ما ذكره الامام الغزالي عن « المعاد » في كتابه تهافت الفلاسفة « الاقوال الممكنة في امر المعاد لا تزيد على خمسة وقد ذهب الى كل منها جماعة « الاول » ثبوت المعاد الجسماني فقط وان المعاد ليس الا لهذا البدن وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة وهم اكثر اهل الاسلام « الثاني » ثبوت المعاد الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين اللذين ذهبوا الى ان الانسان هو النفس الناطقة فقط وان البدن آلة تستعمل وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها « الثالث » ثبوت المعاد الروحاني والجسماني معاً وهو قول من يثبت النفس المجردة الناطقة من الاسلاميين كالامام الغزالي والحكيم الراغب وغيرهما وكثير من المتصوفة « الرابع » عدم ثبوت شيء منها وهو قول قدماء الطبيعيين الذين لا يعتد بهم ولا بمذهبهم لا في الملة ولا في الفلسفة « الخامس » في التوقف وهو المنقول عن جالينوس فقد نقل عنه انه قال في مرضه الذي مات فيه « لا اعلم اذا كانت النفس هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل عادتها او هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد »

«ولذلك ما نرى ان من كان من الناس فرضه الايمان بالظاهر فالتاويل في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر فمن افشاه له من اهل التاويل فقد دعاه الى الكفر والداعي الى الكفر كافر ولهذا يجب ان لا تثبت التاويلات الا في كتب البراهين لانها اذا كانت في كتب البراهين لم يصل اليها الا من هو من اهل البرهان واما اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطابية او الجدلية كما يصنعه ابو حامد فخطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان الرجل انما قصد خيرًا وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم بذلك ولكن كثر بذلك الفساد ليس بدون كثرة اهل العلم وتطرق بذلك قوم الى ثلب الحكمة وقوم الى ثلب الشريعة وقوم الى الجمع بينهما . ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده بكتبه . والدليل على انه رام بذلك تنبيه الفطر انه لم يلزم مذهبًا من المذاهب في كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف وحتى انه كما قيل

يومًا يمانٍ اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معدّيا فعدناني»

نقول وكأنّ الفيلسوف قد خشي ان يؤاخذ بما آخذ به الامام الغزالي لبسطه هو نفسه مبادىء الفلسفة والتاويل في كتب تقع بين ايدي العامة كما في هذا الكتاب فقال تبرءةً لنفسه « ولولا شهرة ذلك عند الناس وشهرة هذه المسائل التي ذكرناها لما استجزنا ان نكتب في ذلك حرفًا لان شان هذه المسائل ان تُذكر في كتب البرهان» ولكن لو عاش الفيلسوف في هذا الزمن ورأى السكك الحديدية التي قربت الابعاد واختصرت المسافات . والصحافة التي هي السكك الحديدية المعنوية للافكار لسرعة نشرها اياها ومزجها بعضها ببعض من جنوبي الكرة الى شمالها ومن شرقها الى غربها لتحقق ان الطريقة التي اشار بها من ستر وجه الفلسفة عن الفئة الكبرى من البشر طريقة لم تكن الكرة الارضية قادرة على التزامها وقتًا طويلاً

رغبته في وضع كتاب مهم

ثم عاد الى مسالة التاويل التي هي دعامة هذا الكتاب فقال انه اذا وقع اشكال في ظاهر القول الديني ولم يكن ظاهرًا بنفسه للجميع وجب « ان يُصرح ويُقال انه متشابه لا يعلمه الا الله . وان الوقف يجب هنا في قوله عز وجل : وما يعلم تاويله الا الله . وبمثل هذا ياتي الجواب بالسؤال عن الامور الغامضة التي لا سبيل للجمهور الى فهمها . مثل قوله تعالى : ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً »

ولذلك « ليس يجب ان تثبت التاويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية فضلاً عن

الفاسدة . والتاويل الصحيح هي الامانة التي حملها الانسان وابى ان يحملها واشفق منها جميع الموجودات . اعني المذكورة في قوله تعالى : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال (الآية)

وهذه التاويلات في الشرع هي التي كانت سبباً في « نشأة فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضاً وبدع بعضهم بعضاً وبخاصة الفاسد منها » « ومن اتى بعدهم لما استعملوا التاويل قل ثقوام وكثر اختلافهم وارتفعت محبتهم » « فيجب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء مما كلفنا اعتقاده ويجتهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتاول من ذلك شيئاً الا اذا كان التاويل ظاهراً بنفسه اعني ظهوراً مشتركاً للجميع »

ويعني الفيلسوف بذلك ان يستخرج من القرآن في كتاب خصوصي كل العقائد الواجب الاعتقاد بها من دون تاويل او بتاويل ظاهر اجلى ظهور للخاصة والعامة لتكون اساساً مشتركاً لجميع المسلمين يبنون عليه معتقدهم بلا نزاع ولا جدال فلا تؤثر فيه مجادلاتهم في التاويلات الاخرى المفهومة والغير المفهومة . قال « وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه . وان انسأ الله في العمر فسنثبت فيه قدر ما يتيسر لنا منه . فعسى ان يكون ذلك مبداء لمن ياتي بعد . فان النفس في غاية الحزن والتالم مما تخلل هذه الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة . وبخاصة ما عرض لها من ذلك من قبل من ينسب نفسه الى الحكمة فان الاذية من الصديق هي « اشد » من الاذية من العدو . اعني ان الحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة فالاذية ممن ينسب اليها اشد الاذية »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب للدلالة على مبادىء ابن رشد وعلى مضاء في التاليف واسلوبه في المناظرة وقد جمعنا في هذه الخلاصة كل اغراض المؤلف

***

﴿ الاضطهاد في النصرانية والاسلام ﴾ وهنا تحضرنا مقابلة لا بد منها . وهذه المقابلة هي بين الدين المسيحي والدين الاسلامي من حيث اضطهاد العلماء وتكفيرهم واهانتهم وقتلهم دفاعاً عن تقاليد الدين . وهذه المقابلة تقتضي سؤالاً وهو : اي كان اكثر تساهلاً واقل تعصباً فيما يختص بالعلم والعلماء : الدين المسيحي ام الدين الاسلامي

فمنهم من يرى ان الدين المسيحي كان اكثر تساهلاً من الدين الاسلامي . لان بعض علماء النصرانية وكتابها قالوا فيها اقوالاً في منتهى التطرف والغلو والتحامل ومع

ذلك لم يضرهم شيء . اما ابن رشد الذي اهين كل تلك الاهانة فانه لم ينكر شيئاً من اصول الدين كما تقدم ولكنه نظر بعقله في الكائنات وشرح فلسفة لسواه فقامت قيامتهم عليه . فكيف به لو قال في المذهب الاسلامي عشر معشار ما قاله فولتير وديدرو وروسو ورنان في المذهب المسيحي

فيرد عليهم آخرون بقولهم بل ان الدين الاسلامي كان اكثر تساهلاً من الدين المسيحي . فانكم هل رايتم في تاريخ الدين الاسلامي علماء يُحرَقون وهم في قيد الحياة لانهم انكروا ما انكروه كما جرى في ديوان التفتيش في اسبانيا . كلا . وذلك لعدة اسباب . منها اولاً احترامنا العلم وانطباع حبه في نفوسنا ناخذه مع مبادئنا الدينية . وثانياً ان كل من يدخل في مذهبنا يكون اخاً لنا . ونحن نحترم هذا الاخاء فيه اشد احترام ولذلك فاننا اذا اسأنا اليه لانكاره بعض عقائدنا فاننا نجعل للاساءة حدّاً لا نتعداه . فنكفّره وننفيه ونمنع كتبه . ولكننا لا نسفك دماءه لاننا نحترم اخاءه

فيرد عليهم الاولون بقولهم : هل يجب ان يكون التساهل مع القريب فقط ام مع القريب والغريب معاً . ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فاضعفت امتهم وفرقت كلمتهم . فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد واعدامه « محاربة للانسانية » ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وامة لامة .

اما نحن فلا نفصل بين هذين القولين ولكننا ننظر الى هذه المسالة من وجه آخر . وذلك اننا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لان الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً . وبناء على ذلك فان التساهل يكون في هذه الطريقة اصعب منه في الطريقة المسيحية . فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة وهي « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالاً للضغط على حرية الافراد من اجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية . وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التساهل اكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص اخف من نقص شقيقتها . لانه لا نقص اعظم من نقص القادر على التمام

وهنالك اعتبار آخر . وهو ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما غرسهما في تربة اوربا واينع واثمر التمدن الحديث . ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت اكثر تساهلاً مع الفلسفة

***

﴿ الفلسفة بعد ابن رشد واخلافه ﴾ وهذا الراي يسوقنا الى الكلام عن الفلسفة عند العرب بعد ابن رشد . فنقول باختصار انه كان من المنتظر بعد ظهور ابن رشد في الاندلس ان يقوم بعده نوابغ من بني قومه يتوسعون في الدروس الفلسفية و ينتفعون بالشروح التي وضعها ابن رشد على ارسطو و بذلك يكلاون الحركة الاجتماعية والفلسفية و يقومون مقام فلاسفة الافرنج الذين جاءوا بعدهم فاخذوا عنهم وكلوها . وانما كان ذلك منتظراً لانه من الصعب على العقل البشري ان يصدق ان تلك البزور الفلسفية التي بزرها هذا الفيلسوف تجف ذلك الجفاف في التربة الاندلسية وتختنق هذا الاختناق

ومع ذلك فقد جفت واختنقت . جفت واختنقت لان شبهة الكفر كانت تقع بعد ابن رشد على كل مشتغل بالفلسفة . وبناء على ذلك انصرفت العقول عن صناعة الحكمة ولم يقم بعد ابن رشد فيلسوف كبير مثله ليكمل عمله

على ان تلامذة ابن رشد الذين نشروا مبادئه بعده وترجموا كتبه الى العبرانية واللاتينية كانوا اكثرهم من اليهود والنصارى . ولقد انتشر في اوربا مذهب ابن رشد في ذلك الزمان انتشاراً عظيماً حتى اضطر احد البابوات ان يحرم من الكنيسة كل من يعتقد بمذهب ابن رشد في الفلسفة

بقي ان نذكر شيئاً عن اخلاق هذا الفيلسوف . فنقول انه كان لطيفاً عفيفاً ميالاً للعزلة منقطعاً الى الدرس والمطالعة . واليك منه عبارة تدل على مبلغ شغفه بالدرس والتاليف . قال « ان الدين الخاص بالفلاسفة هو درس الوجود والكائنات (١) ذلك ان اشرف عبادة تقدم لله تعالى هي معرفة مخلوقاته ومصنوعاته لان ذلك بمثابة معرفته . هذا اشرف الاعمال التي يرضى الله عنها في حين ان اقبح الاعمال عمل من يكفّر و يخطّئ الذين يقدمون لله هذه العبادة التي هي خير العبادات و يتقربون منه بهذه الديانة التي هي خير الديانات »

(١) وفي الحديث نقلاً عن العاملي « لا يكمل ايمان المرء حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف »

وكان بسيط المعيشة متقشفاً في حياته كارهاً للظلم . ولقد تولى القضاء سنوات عديدة دون ان يحكم قط بالاعدام على احد من الذين حوكموا لديه . بل انه كان حين وجوب الحكم بالاعدام يتنازل عن ذلك حينئذ لسواه فكانه يفرّ من الدماء لكي لا تقع في عنقه

***

﴿ هل مذهب ابن رشد صحيح ﴾ هذا ما رأينا ذكره عن ابن رشد ولقد آن ان نختتم هذه المقالة لانها قد طالت ومع ذلك فقد رأيناها قصيرة ونحن نكتبها لان القلم لو ملأ كل صفحات هذا الجزء عن هذا الفيلسوف لما اروى غليله

ولكن قبل الختام لا بدّ ان يحضر القارىء سؤال وهو : هل مذهب هذا الفيلسوف صحيح ؟ فالجواب عن ذلك ان القارىء يخطىء اذا كان يسال عن صحة كل مذهب من مذاهب الفلاسفة او عن فساده . فان لكل واحد من الفلاسفة الذين يفنون حياتهم للبحث في ما وراء الطبيعة مذهباً خاصاً وفلسفة خاصة يناقضان مذهب الآخر وفلسفته . فمثلهم في ذلك مثل قوم يجلسون على شاطىء البحر و ياخذون في بناء بيوت من الرمل والصخر والحجارة التي على الشاطىء . ولذلك تجد في بناء كل واحد منهم رملاً وصخراً : اي ضعفاً وقوة . وذلك اما لانّ الحقيقة المحجبة قد آلت على نفسها ان تبقى محجوبة عن ارض فيها ما في ارضنا من الصغائر والدنايا او ان العقل البشري خُلق محدوداً وما كان محدوداً لا يحدّ ما لا حدّ له . ولذلك نقول مع الشاعر دون ان نشاركه بما في قوله من الاحتقار للفلسفة لان العجز لا يوجب الاحتقار :

تـاه الانـام بسكركم	فلذاك صاحي القوم عربدْ
تالله لا موسى الكليم	ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا جبريل وهـو	الى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البسيطـة	لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير انك	اوحديّ الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن	حرم له الاملاك سجّد
مَن انت يا رسطو ومن	افلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين هذّ	ب ما اتيت به وشيد
ما انتم الا الفرا	ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فـاحرق نفسه	ولو اهتدى رشداً لأبعد

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي أبواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد السيد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

وفيه تاريخ اعمال الرسل بعد السيد المسيح وتفصيل انشاء التلامذة الكنيسة الاولى في اورشليم وتفرقهم بعد ذلك في المسكونة لنشر ديانتهم الجديدة . ويتخلل ذلك وصف حالة مصر وسوريا وفلسطين في ذلك الزمان وعلاقتها بالامبراطورية الرومانية وخراب اورشليم وتشتت الاسرائيليين وسقوط الدولة الرومانية . ولا خلاف في ان تاريخ هذه الحركة انما هو تاريخ اعظم حركة اجتماعية وسياسية حدثت في العالم

عودة الرسل الى الجليل بعد صلب السيد

اول ما يقصده كل من فقد عزيزاً كريماً زيارة الاماكن التي عاش فيها معه . ولذلك اتجه التلامذة نحو الجليل بعد عيد الفصح ببضعة ايام(١) فكأنَّ الديانة المسيحية عادت في هذا الوقت مع التلامذة الى الارض التي نبتت فيها لتودعها هنيهة ثم تعود فتنتشر في الكرة الارضية

وهكذا التقى مرة ثانية اخص تلامذة السيد وهم بطرس وتوما ونثنائيل وابنا زبدى على شاطئ بحيرة طبرية وعاشوا معاً وعادوا الى صناعة صيد السمك في بيت صيدا وكفر ناحوم كما كانوا من قبل . وقد عادت النسوة الجليليات الى الجليل معهم . بل ان اللواتي حملنهم على هذه العودة لميلهن الى الوطن الاول الذي شاهدن فيه ما شاهدن من الحوادث الجميلة . وهذا آخر عمل عملنه في تاسيس الديانة المسيحية . ومنذ هذا الحين لم يعد يظهر

(١) وهناك سبب آخر وهو ما جاء في الانجيل من ان السيد سبق التلامذة الى الجليل

لهنّ اثر في تاريخ المسيحية لانهنّ كرهن مفارقة تلك البلاد التي ذقن فيها اعظم المسرات . وهكذا وُضع ذكرهن منذ ذلك الحين في زاوية النسيان . وبما ان المسيحية في بلاد الجليل لم تقم لها بعد ذلك قائمة فقد نقصت اهميــة هؤلاء النسوة اللواتي كان لهنّ الفضل العظيم في تاسيس الديانة المسيحية وفني ذكرهن في بعض التقاليد . وبناء عليه لم تبقَ مريم المجدلية ومريم كليوفاس وحنه وسوسانّ — هؤلاء الجليليات اللواتي يجب ان يُعتبرن المؤسسات الحقيقيات للدين المسيحي — الا كقديسات صغيرات لا شان لهن . فان القديس بولس لا يعرفهن (١) وقد بقين هكذا حتى القرون المتوسطة . فيومئذ استرددن المنزلة التي لهن وصار لمريم المجدلية في سماء المسيحية ذلك المقام الرفيع الذي كان من حقها

وكان التلامذة يعيشون يومئذ في الجليل كاخوة وقد اجتمع حولهم نحو خمس مئة نفس من الجليليين الذين كانوا عرفوا السيد وانجذبوا الى تعليمه . فاقاموا في تلك البلاد نحو سنة وهم يعيشون اجمل عيشة لان روح السيد كانت ترفرف عليهم وتظهر لهم . فكانت حياتهم هذه عبارة عن تصورات جميلة دائمة لا تحول ولا تزول

عودتهم الى اورشليم لانشاء الكنيسة الاولى

وبعد اقامة الرسل سنة في بلاد الجليل كما تقدم راموا العودة الى اورشليم لان السيد امرهم بان ينتشروا في الارض للبشارة بالكلمة في جميع الاقطار . وكانت اورشليم اولى هذه الاقطار بالطبع . فساروا اليها وهجروا وطنهم الجليل هجرة لا رجوع بعدها اليه . ولا خلاف في انه قد بقي بعد ذلك في الجليل كثيرون من اتباع الرسل ولكن لم يرد لهم ذكر فيها بعد . فغير بعيد ان يكونوا قد فنيت آثارهم في تلك البلاد كما فني فيها كل شيء في الحرب التي اثارها فيها اسباسيانوس الروماني . ومن المعلوم ان الطوائف التي كانت تعيش في تلك البلاد قد لجأت بعد هذه الحرب الى ما وراء نهر الاردن . فلما سكنت رحى هذه الحرب امتنع المسيحيون من العودة اليها وعاد اليها اليهود فقط . وهكذا صارت

(١) قال الرسول بولس عن السيد المسيح في الاصحاح ١٥ العدد ٥ من رسالته الى كورنثوس « انه ظهر لصفا ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من خمس مئة اخ » وبذلك اغفل الرسول ذكر مريم المجدلية وباقي النسوة اللواتي جاء في الانجيل انهن كن اول من شاهدنه . وهو اجحاف بحقوق النساء

الجليل في القرن الثاني والثالث والرابع عبارة عن مركز اليهودية ووطن التلمود . وبناء على ذلك لم تدخل الجليل في تاريخ الديانة المسيحية الا زمناً محدوداً . ولكن هذا الزمن كان اقدس الازمان واعظمها . ذلك لان جمال الدين المسيحي وقوته وسناءه اعني « الانجيل » لم تبرز الى الوجود الا في هذا الزمن . فالانجيل اذاً من اصل جليلي . وسيرد الكلام على ان الانجيل كان السبب الاول في نجاح الديانة المسيحية في الماضي وسيكون الضمانة الوثيقة لها في الزمن الآتي

الصعود

وبعد اجتماع التلامذة في اورشليم شهدوا صعود السيد . وقد قال لوقا الانجيلي في ذلك « وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء فسجدوا له ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم »

اما نحن فاننا نفارق السيد بحزن عظيم . نفارقه هنا ونودعه لنذكر تاريخ تلامذته . ولقد كان في حياته الثانية هذه جمال وسناء يعزي النفس ويجعلها تشعر بقربها من ذلك الذي كان مثالاً للجمال والسناء وان كانت هذه الحياة انما هي في الحقيقة صورة للاولى . وحزننا الآن عظيم لاننا حُرمنا ذلك العرف الطيب الذي كان ينتشر من شخصه ونفسه . لقد صعد على الغمامة الى يمين ابيه وتركنا مع جماعة من البشر لم كل صفات البشر . فما اصعب هذا السقوط . وما اشد البعد بين امس واليوم . يا ايتها السماء لقد ذهب مُلك الجمال والسناء فاندبي هذا المُلك المفقود . انظري لقد انزوت مريم المجدلية في قريتها لتدفن فيها تذكاراتها الجميلة . لقد بطلت الخطب على الجبل و بطل شفاء المجانين ومداواة المرضى . لقد ذهب مؤسس ديانة الحق والروح . وسيكون تاريخ هذه الديانة بعده تاريخاً لابتعاد اهلها عن المبادىء الابدية الازلية التي وضعها مؤسسها فيها . ومع ذلك فان هذا التاريخ معاطرا عليه فانه يبقى تسبيحاً عظيماً لمجد ذلك المؤسس العظيم . ذلك لان صورة هذا الابن الصالح وكلامه الحي سيبقيان في وسط صغائر الامور وهناتها بمنزلة صورة للكمال الرفيع الذي لا يبلغ طرف الانسان حده

التلامذة والعمل

وكان يومئذ عدد التلامذة واتباعهم في اورشليم نحو مئة و ٢٠ شخصاً . وكانوا كثيري

التقوى وانما كانت تقواهم شبيهة بتقوى اليهود • وكانوا يصلون و يقدمون العبادة في كل يوم في هيكل اليهود نفسه • وكانوا يشتغلون بشغل صناعي ليعيشوا من ثمار شغلهم • وكان في يد كل واحد منهم صناعة خصوصية ولكن هذه الصناعة لم تكن تحول بينهم و بين فراغ الوقت والاستنارة فيه • ذلك لان الشغل القليل كان كافياً لسد حاجات كل واحد منهم كما هي الحالة في الشرق ولذلك كان يبقى لهم كثير من الفراغ في اوقاتهم خلافاً للعملة الاوربيين الذين يعملون ١٢ او ١٥ ساعة في كل يوم

و بناء عليه كان التلامذة واتباعها يشتغلون في قسم من الوقت ويجعلون قسماً منه للتامل والبحث والصلاة واثارة الهوى الروحاني في نفوسهم • وكان هذا الهوى قد بلغ فيهم يومئذ اشده • وكل من قرأ « حروب اليهود » التي كتبها يوسيفوس يجد فيها ان كل واحد من الشعب الاسرائيلي كان يومئذ يطيع كالاعمى كل ما يقوم في نفسه ويستولي عليه من العواطف والافكار • فتخاله حين الحدة مجنوناً حقيقاً

اللغات والانجيل وتعميم الصلاح

اما مسالة تعدد اللغات ومعرفة للرسل بها كلها في يوم الروح القدس فربما كان فيها فكر يحتاج الى نظر • ذلك ان الاسرائيليين كانوا يعتبرون لغتهم « لغة مقدسة » وكانوا يحفظونها اشد حفظ • واذا تُرجمت التوراة منها الى لغة غريبة لم يعبئوا بالترجمة حتى ولو تصرف بها صاحبها كما كان يقع ذلك احياناً وانما كانوا يصونون اصلها العبراني اشد صيانة • ولكن هذا الامر كان مقصوراً على يهود فلسطين وسوريا فقط • اما يهود مصر واليونانيون الذين اعتنقوا اليهودية في فلسطين فانهم كانوا يصلّون باللغة اليونانية ويطالعون التوراة بها ايضاً • ومع ذلك فانهم لم يصلوا في التسامح والتساهل الى الحد الذي وصل اليه المسيحيون يومئذ • فانه كان مشهوراً بين اليهود ان المسيح اذا جاء فانه يجمع كل لغات العالم كناية عن جمع كلمتهم والتوفيق بينهم • وهذا سبب انفصال المسيحيين الاولين عن اخوانهم اليهود في هذه المسالة وعدم اقتصارهم على اللغة العبرانيـة • بل هنالك سبب آخر • وهو معرفتهم ان الانجيل لم يُرسل الى شعب واحد بل الى جميع الشعوب والامم • ولذلك كانوا يقولون انه اذا تُرجم من اي لغة الى اي لغة اخرى كانت الترجمة طبقاً للاصل لسهولة مبادئه وقواعده • وهذه هي الخطوة الاولى التي خطاها العالم لتعميم الفضائل ومبادىء المدوة والسلام والامن بين امه المختلفة

التحمس والتقشف وقوله في الشرقيين ·

ولقد ذكرنا فيما تقدم ان التلامذة كانوا يعيشون معاً باخاء تام · ونزيد الآن على الاخاء مسالة التجرد والتقشف والصلاة والبكاء · اما التجرد فنريد به ما يقصده المتصوفة وهو هنا تحمس النفس الى درجة تتجاوز حدود الطبيعة حتى انها قد تخال نفسها انها طرحت الجسم جانباً وتجردت منه لتطلب المصدر الاعلى الذي صدرت عنه · وفي هذه الحالة التي يبلغ فيها التحمس اشده ينطق الانسان باقوال مختلفة بعضها ذو معنى و بعضها لا معنى له في الظاهر · واما التقشف فالمراد به الصوم والاقتصار على القليل الضروري من الطعام لان الغرض قيام الجسم فقط · والغرض المقصود من التقشف مساعدة النفس على البقاء على حالة التحمس والتجرد التي تقدم ذكرها لان ذلك من خواص قلة الاكل · وقلة الاكل عادة شائعة عند اكثر الشرقيين (كذا) · واذا كانت قناعة السوري فيما يختص بالماكل سبباً من اسباب ضعفه الطبيعي (كذا) فهي ايضاً سبب في جعله في هياج وانفعال عصبي دائم · ولا ريب اننا نحن معاشر الاوربيين لا نستطيع ان نعمل اعمالنا العقلية الدائمة اذا كانت مقرونة بهذه القناعة فيما يختص بالماكل لان العمل الكثير يقتضي الغذاء الكثير · على ان هذا الضعف الظاهر في دماغ الشرقي وعضلاته من شانه ان يثير في نفسه دائماً عواطف الحزن والفرح على التتابع · وهذه العواطف تجعله متجهاً دائماً الى الله ومتصلاً به · وهذا ما كانوا يسمونه « الحزن السماوي » و يعتبرونه موهبة من السماء

البكاء صلاة

و بناء على ذلك فان المواهب السامية التي كانت للاولين انما هي عبارة عن اكرم عواطف النفس واجمل حركاتها كالمحبة والتقوى والخوف باحترام والتنهد والحزن الفجائي من غير سبب والحنو وكل ما يقوم في نفس الانسان من خير وصلاح وجمال · وكانت الدموع ايضاً موهبة ونعمة سامية · وهي في الحقيقة موهبة لانها خاصة بالنفوس الممتازة المطبوعة على الطهارة والصلاح · وكانت هذه العادة عادة البكاء كثيرة الوقوع بينهم في ذلك الزمن · وكان اصحابها وخصوصاً النساء يجدون فيها تعزية وفرجاً · بل ان هذه العادة كانت للنساء بمنزلة الصلاة للرجال اي انها كانت صلاة النساء · فيومئذ تحقق ما قيل من انهم كانوا يزرعون بكاء و يحصدون فرحاً · وعلى ذلك صار البكاء عبارة عن عمل من اعمال التقوى · واذا كان احد منهم لا يقدر على الوعظ ولا النطق باللغات المختلفة ولا صنع العجائب فانه كان

يحمل البكاء شانه . وبناء عليه فانهم كانوا يكون في الصلاة والوعظ والتعليم . وكان السلطان يومئذ سلطان الدموع . فكأن النفوس امتزجت يومئذ امتزاجاً شديداً ولما لم تجد لغة تعبّر بها عما في نفسها من العواطف الغريبة ذابت وسالت من المحاجر فكانت دموعها لغة عامة جديدة

الاشتراكية في المسيحية

وكان التلامذة واتباعهم يسكنون حياً واحداً في اورشليم . ولم يكن احد منهم يملك شيئاً بل كانوا كلهم يبيعون ما يملكونه و يدفعون ثمنه الى صندوق الطائفة . وكان رؤساء هذه الطائفة اي التلامذه الرسل يوزعون عليها من المال المشترك كل على قدر حاجته . وكانوا يتناولون الطعام جماعة واحدة اي في مكان واحد ويعملون على المائدة الحركة الرمزية التي عملها السيد في العشاء السري . وكانوا يصرفون ساعات عديدة في الصلاة وكانوا احياناً يرتجلون الصلاة ارتجالاً بصوت جهوري واحياناً كانوا يستعدون لها . وكان الوفاق تاماً بينهم وكلهم يعيشون بقلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن للجدال الديني ولا للتفاضل قط مجال للدخول اليهم . ذلك لان تذكار السيد كان لا يزال جديداً في نفوسهم فكانت صورته تطرد منها كل خلاف ونزاع . وهكذا صرفت الطائفة المسيحية على هذا النمط سنتين او ثلاثاً كانت معيشتها فيها عبارة عن فردوس ارضي تطلبه المسيحية منذ قرون كثيرة فلا تجده وليس لها رجوع اليه . وهذه المعيشة المشتركة لم تجدد بعد الطائفة الاولى الا في الديور على ايدي النساك والرهبان

ومنهم من يعترض على هذا الاشتراك بقوله انه لم يحدث في زمن الطائفة الاولى بل ان كاتب « اعمال الرسل » قد بالغ فيه لانه من انصار الابيونيين اي حزب الفقر والفقراء في الدين المسيحي . ولكن هذا القول مردود بأنّ الوثنيين كانوا يعتبرون الطوائف المسيحية حتى بعد نشأتها بقرنين طوائف اشتراكية كما روى لوسيانوس . واذا كان في ذلك شيء من المبالغة فما لا ريب فيه انه كان في اورشليم في الازمنة الاولى طائفة عديدة من الفقراء المسيحيين يدبر الرسل شؤونهم وتاتيهم الاعانات من جميع الاقطار التي انتشرت فيها الديانة المسيحية . وقد اقتضت ادارة هذه الطائفة شيئاً من الصرامة ولذلك كان يقال ان كل واحد يخفي من ماله شيئاً عن الطائفة فجزاؤه عقاب الموت من الله

التلامذة في الهيكل

وكان التلامذة يجتمعون في النهار في اروقة الهيكل وخصوصاً في رواق سليمان. فكانوا يجدون هنالك تذكار الايام التي صرفها السيد معهم في ذلك المكان. وكانت اروقة الهيكل محطاً لرحال كثير من النحل واصحاب المذاهب اليهودية المختلفة. فكان التلامذة يفدون على الهيكل معهم ويقيمون بجانبهم. وكان الشعب يحبهم لبساطتهم وقوامهم ووداعتهم. ولكن اكابر رجال الهيكل كانوا يكرهونهم. وكان التلامذة يصلون يومئذ مع اليهود في الاوقات المعينة ويحفظون كل قواعد الناموس. فكان شانهم شان اليهود ولم يكونوا يختلفون عنهم الا باعتقادهم ان المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه قد جاء الى العالم. ولم يكن الانضمام اليهم خرقاً للشريعة اليهودية في نظر اليهود بل كان المنضم اليهم يومئذ يجوز ان يحسب نفسه يهودياً. وبالجملة فان الطائفة لم تكن قد ظهرت بعد ولم يكن لها شيء من الاهمية

الديموقراطية والارستوقراتية في الكنيسة

وكان التلامذة الذين اختارهم السيد سلطة عظيمة على الطائفة. فلما اطمأن بالهم في اورشليم خطر لهم اكمال عددهم وذلك بانتخاب تلميذ مكان يهوذا الاسخريوطي الذي كان قد ترك الطائفة. وقد جعلوا الانتخاب سرياً بالقرعة. وكان المرشح له رجلين واحد يُدعى يوسف برسابا والثاني متيا. فاصابت القرعة متيا فانضم الى الاحد عشر تلميذاً. وكان هذا الانتخاب آخر انتخاب جرى للتلامذة لانهم اعتبروا ان اختيار الناس وارسالهم للبشر مزية خص بها يسوع الرسل الاولين دون سواهم. وبذلك ابعد التلامذة عن الطائفة خطراً وقعت فيه بعد ذلك وهو قيام طبقة دائمة السلطة شديدة الوطأة تحوّل مبادىء الطائفة الديموقراطية الى مبادىء ارستوقراتية

ولم يكن يومئذ قد نشأ في الطائفة ذلك الامتياز الاكليريكي الذي وُضع اساسه بعد ذلك. نعم ان الرسول بولس يسمي الرسل في بعض رسائله « اعمدة كنيسة اورشليم » ولكن هذه التسمية كانت في القول لا في الفعل. ولقد تقدم الكلام في تاريخ المسيح ان مبدأ العزوبة قد وُضع في حياة السيد ومع ذلك فقد كان بطرس وفيليبوس متزوجين وكان لهما بنون وبنات. وكان اجتماعهم يُدعى في اللغة العبرانية « كاهال » وقد ترجموها

باللغة اليونانية « اكليزيا » ومعنى اكليزيا دعوة الشعب الى الاجتماع كما كان ذلك يقع في المدن اليونانية القديمة . ومن ذلك يظهر ان الكلمات الديموقراطية التي وضعتها اثينا في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد المسيحي قد دخلت في ذلك الزمن في اللغة اليونانية وصارت مشتركة بين جميع الامم التي تتكلم هذه اللغة . ولما قامت المسيحية اخذت منها كثيرًا من ذلك . وفي الحقيقة ان المسيحية انما هي عبارة عن حركة شعبية فيها السلطة للشعب كما كانت الحال في اثينا . ومن جملة ما اخذته المسيحية عن الديموقراطية اليونانية القديمة مسالة الانتخاب بالاقتراع السري وهي الطريقة التي كانت متبعة في جمهورية اثينا. ولكن المسيحية كانت اكثر تسامحًا من الهيئات الاجتماعية القديمة من حيث بذل سلطتها لرجال منها يديرون شؤونها من غير حسد ولا سوء ظن . ذلك ان الكنيسة كانت تعتبر رؤساءها بالطبع حكامًا من قبل الله ولذلك لا عجب اذا استملت اليهم والقت سلطتها بين ايديهم . وبناء عليه كان سهلاً على الناقد البصير ان يرى منذ ذلك الزمن مجيء الوقت الذي تحول فيه الديموقراطية المسيحية الى هيئة فيها السلطة محصورة بين جماعات وايدٍ قليلة

التلامذة والنسوة

وكان لبطرس بين التلامذة شيء من الامتياز والتقدم سببه غيرته ونشاطه . وكان في هذه السنوات الاولى مرافقًا على الدوام يوحنا بن زبدى فكانا يسيران معًا دائمًا . وكان اتفاقهما هذا الاتفاق بمثابة اساس الايمان الجديد والطائفة الجديدة. اما يعقوب اخو السيد فقد كانت سلطته مساوية لسلطتهما وخصوصًا في احد اجزاء الكنيسة . واما بعض انصار السيد الآخرين كالنساء الجليليات وعائلة بيت عنيا فلم يرد لهم ذكر في هذا الزمن . اما هؤلاء النسوة فقد كنّ منزويات في اماكنهن ينتظرن مع المنتظرين قدوم ملكوت الله ويذكرن الزمن الماضي . ولذلك لم يكن لهن سهم في التاسيس والانشاء . ولما توفاهن الله اليه نزل معهن الى اللحد اجمل شيء في تاريخ الديانة المسيحية الجديدة . ولكن لم يدر بهن احد ولا كان لهن شيء من الاهمية بالنسبة الى التلامذة في اورشليم . ذلك لان الشهرة لاتكون الا للعاملين . اما الذين يكتفون بالجلوس في زاوية والحب فيها بسكوت وهدوء فانهم يبقون خاملين مجهولين . ولكن لا ريب في ان لهم افضل نصيب

البقية تاتي

بركان يخرب مدينة ويقتل سكانها

﴿ في دقيقة واحدة ﴾

(والاقوال العلمية المتعددة في اسباب هيجان البراكين)

بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية جزائر متعددة يسمونها « ارخبيل الانتيل » . وهذه الجزائر منها كبيرة ومنها صغيرة . فالكبيرة هي كوبا التي يعتبرونها درة بحر الانتيل وهايتي والجامايك وبورتوريكو . والصغيرة اهمها كوادلوب والمرتينيك وبارباد وتاباكو وسان مرتين وغرناطه ودزيراد وماري غالانت وسنت فنسنت وغيرها . ولقد كانت هذه الجزائر تابعة قديماً للسلطنة الاسبانية الواسعة ثم صار اكثرها الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة



﴿ مدينة كانت بالامس . واليوم كانها لم تكن ﴾
منظر مدينة (سان بيير) بعد ان خربها البركان . والسفن التي اغرقها في مينائها

بحكم الفتح والقوة . والذي يهمنا في هذا الفصل من هذه الجزائر الكبيرة والصغيرة جزيرة المرتينيك الفرنسوية وجزيرة سنت فنسنت الانكليزية لانه حدث في الشهر الماضي فيهما ولا سيما في الاولى منهما حادث مفرد في تاريخ الانسانية

﴿ حادثة مفردة في تاريخ الانسانية ﴾ وان قيل ان البركان يزوف قد ثار في



﴿ خريطة جزيرة المرتينيك الفرنسوية ﴾
موقع مدينة (سان بيير) بجانب المربع المستطيل في غربها
وموقع البركان في مربع في طرفها الشمالي

ايطاليا في سنة ٧٩ قبل الميلاد وخرب مدينتي بومباي وهركولانيوم وطمرها تحت رماده وحممه كما فصلت الجامعة ذلك في سنتها الثانية وان حادثة بركان بيله في المرتينيك ليست مفردة في التاريخ قلنا ان بركان بزوف لم يقتل من سكان بومباي حين ثورانه سوى الف نفس وكان تخريبه هذه المدينة وطمره اياها بالرماد في مدة طويلة تسنى للسكان في اثنائها الفرار من الخطر . واما بركان بيله في جزيرة المرتينيك فانه قذف من فوهته على مدينة سان بيير التي هي ثانية مدنها موجة هائلة من الحجارة والوحل والغازات السامة فخرب هذه المدينة كلمح البصر وقتل نحو ٤٠ الفاً من سكانها في اقل من دقيقة واحدة . ولم يسلم من جميع السكان الا نفر قليل . ثم ثار عليها مرة اخرى بعد قتل السكان فدرس خرائبها درساً بالحجارة التي قذفها عليها



﴿ منظر بركان يليه من قريب ﴾

﴿ الاسباب العلية لهيجان البراكين ﴾ ولا حاجة الآن الى تفصيل هذه الحادثة التي ارتعدت لها فرائص الانسانية فقد روت جرائد الاخبار هذا التفصيل . وانما اردنا في هذا الفصل ان نطبع صورة البركان الذي احدث هذا الحدث الهائل مع رسم المدينة التي كانت بالامس عامرة فاصبحت الآن اخربة تحت انقاضها اجسام الوف من السكان الاوربيين والزنوج . ونضم الى ذلك تفصيل الاقوال في اسباب هيجان البراكين

وقبل كل قول نقول ان العلماء لم يتفقوا الى اليوم على هذه الاسباب . ولهم في ذلك ستة آراء او سبعة واليك بيانها

الراي الاول — من المعلوم ان في جوف الارض حرارة شديدة تصهر المعادن والحجارة . فيقول بعض علماء الجيولوجيا ان البركان انما هو شبيه بزجاجة من الغازوزه (المياه الغازية) فاذا انفتحت في داخله ثغرة على المواد المصهورة ثارت هذه المواد بقوة هائلة تطلب سطح الارض كما تثور المياه الغازية في الزجاجة حين فتحها

الراي الثاني — واما غيرهم فيقولون ان المواد المصهورة في باطن الارض غير منتشرة في جميع الاماكن حول قشرة الارض بل هي محصورة في جهات قليلة . وقد يتفق ان تكثر عند هذه المواد الابخرة والغازات المتصاعدة عنها فتفتق سطح الارض وتندفق منه

الراي الثالث — وهنالك راي ثالث وهو ان باطن الارض مصهور اي ذائب وحوله



﴿ احد شوارع المدينة قبل خرابها بحجارة البركان ﴾

قشرة تحيط به من كل جانب وهي القشرة التي نعيش فوقها الآن . وبما ان الارض آخذة في البرود شيئاً فشيئاً فكلما برد شيء من جوفها الحامي ومس القشرة الباردة حدث ضغط على ذلك الجوف شبيه بالضغط الذي يحصل من قبض اليد على قطعة من الليمون . وحينئذ ينعصر ذلك الجوف ويخرج منه بقوة العصر ما يخرج من البراكين

الراي الرابع — واما الراي الرابع فهو قولهم ان بعض المواد المصهورة في باطن الارض اذا امتزج بعضها ببعض ثارت بتركيبها الكيماوي ثورة شديدة تفتق الارض وتخرج منها

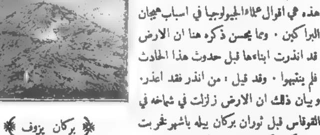
الراي الخامس — ان المياه التي تجري تحت سطح الارض قريباً منه تدخل احياناً الى جوف الارض فتتبخر هنالك بالحرارة تبخراً شديداً يفجر قشرة الارض كما يفجر البخار المائي الآلة البخارية

الراي السادس — ان باطن الارض مصهور ومواده الذائبة مشتركة بين جميع البراكين . فاذا حدث في الصخور على سطح الارض تغيير يقلب موازنتها حدث ضغط جديد على تلك المواد الباطنية الذائبة فتندفع وتفتق قشرة الارض

الراي السابع — واما الراي السابع فهو ان القمر والشمس يجذبان كرتنا الارضية ويجذبان منها كما هو معلوم . وبما ان باطن الارض ذائب فالمواد الذائبة تطاوع قوة جذب القمر والشمس اي تميل للانجذاب الى جهتها . وبناء على ذلك يكثر في هذه المواد انتقالها من شكل الى

شكل وذلك مما يؤثر في قشرة الارض التي تحيط بتلك المواد ويجعلها معرضة للانفتاق اذا ظهر اقل ضعف فيها

﴿ معرفة الانفجار قبل حدوثه ﴾



﴿ بركان يزوف ﴾
الذي عاد الى التدخين في هذا الشهر ايضاً

هذه هي اقوال علماء الجيولوجيا في اسباب هيجان البراكين . ومما يحسن ذكره هنا ان الارض قد انذرت ابناءها قبل حدوث هذا الحادث فلم ينتبهوا . وقد قيل : من انذر فقد اعذر . وبيان ذلك ان الارض زلزلت في شماخه في القوقاس قبل ثوران بركان بيله باشهر فخربت الزلزلة كثيرًا من المنازل . ثم زلزلت منذ مدة في جهات اسبانيا وعلى شواطىء البحر المتوسط . ومن المشهور لدى العلماء انه متى زلزلت ارض اسبانيا تحركت براكين الانتيل لما بينها من الصلات في جوف الارض . ولا دليل على قرب ثوران البراكين غير هذه الدلائل القياسية

اما بركان جزيرة سنت فنسنت الانكليزية فقد ثار ايضاً ثوران رفيقه في المرتينيك ولكنه لم يقتل سوى الفي نفس . وكانَّ بركان يزوف في ايطاليا قد غار في هذا الشهر من رفيقيه فاخذ يدخن ايضاً . وهنا نختم هذا الفصل بما ذكرناه في السنة الاولى في ختام مقالة عن هذا البركان ودفنه في سنة ٧٩ للميلاد ثلاث مدن رومانيات تحت رماده وحممه . وهذا نصه :

« ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الارواح البشرية التي هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحجارة الحامية . تتأمل في ذلك فتظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواميسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قوياً . وتتمثل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الرؤوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين وبكاء الباكين . بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء . فما اقسى هذه النواميس احياناً . وما اعدلها احياناً »

الدين والعلم

﴿ ورأي الفيلسوف سبنسر فيهما ﴾

لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي باسيلي الطرابلسي

١

تمهيد المجلة — قبل القاء زمام هذا الموضوع في هذه المقالة الى حضرة صديقنا الباحث الفاضل اسعد افندي باسيلي الذي مرت عليه بضع سنوات في درس الادب والفلسفة ومطالعة كتب العلماء فيجانود ان نضع تمهيداً وجيزاً لمقالته الاولى في هذا الموضوع ايضاحاً للغرض المقصود منها فنقول — ان رنان في كلامه عن « العدو الحقيقي للعلم والدين » قال كما ورد في العدد السابق (الصفحة ٤٦٢) ما نصه : « نحن على اتفاق تام في هذه المسائل مع رجال الدين. وانما الخلاف الذي بيننا على لا ديني . فقلوبنا اذاً معهم . وعدونا عدوهم . ونعني بهذا العدو المبادىء المادية الواطئة التي لاترى في الكون شيئاً غير المادة ودناءة بعض البشر (يعني بعض رجال الاكليروس) الذين يرومون استخدام كل امر حتى الامور المقدسة في سبيل مصالحهم الخصوصية » . فيؤخذ من هذا القول انه لا عدو للدين والعلم الد من هذين العدوين . وهما : اولاً الذين لا يعتقدون بشيء خارجاً عن دائرة المحسوسات وينكرون الافكار الدينية ويتحاملون على الاديان ويجحدون مبادئها الاساسية التي مدنت الامم ورقت الشعوب . وثانياً بعض رؤساء الاديان الذين يؤذون الاديان بشراهتهم او بجهلهم او بسوء قصدهم او بانفاذ اغراضهم اكثر مما يؤذيها اولئك الماديون الجاحدون

فهنا اذاً على محبي الخير للشعوب واجبان عظيمان . الاول مقاومة هؤلاء الرؤساء الذين لا يقصدون بالرئاسة الا قضاء اغراضهم الدنيوية والهاء الخاصة والعامة بالظواهر الدينية عن المبادىء الدينية الحقيقية . والثاني مقاومة اولئك الماديين الذين يرومون انزال الانسان في منزلة البهائم من حيث انكار كل شيء فيه خرج عن دائرة المادة الدنيئة. ولقد كان غرضنا من نشر كتاب تاريخ السيد المسيح القيام بالواجب الاول . وها نحن ننشر المقالات المتسلسلة التالية قياماً بالواجب الثاني . فهذه المقالات اذاً انما هي موجهة الى الجاحدين لا الى المصدقين . ونحن نشير عليهم بان يطالعوها بامعان ليتحققوا صدق

ما قاله رنان ونشرناه في الجزء الثاني من الجامعة الصفحة ٨٢ وهذا نصه : « ان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من اولئك الماديين الذين يفسرون كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

ونحن نشكر حضرة صديقنا الكاتب لاتحافه الجامعة بهذا البحث الذي ليس اقدر منه عليه — والآن نلقي زمام الكلام اليه »

بين رجال الدين وبعض رجال العلم تناظر قديم العهد يبدأ تاريخه من يوم اكتشف العقل البشري ابسط النواميس الطبيعية فوضع بذلك حدًّا لعبادة الاشياء المحسوسة . والذي يسوء كل معتدل من هذا العداء ما نراه من تطرف كل من الفئتين الاولى في الاثبات والثانية في الانكار . فمن جهة ترى رجال الدين يبالغون في اثبات اشيائهم وينزلون جميع عقائدهم وآرائهم — حتى ما كان منها يعارض العقل — منزلة الحقائق اليقينية الراهنة . فيقابلهم رجال العلم بالانكار المطلق وقد يتمادون في انكارهم فيجحدون ان هنالك حقيقة قام عليها بنيان الاديان

وعندنا ان العلم مصيب اذ يعمل على دحض ما غشي الدين من الاباطيل والاوهام لانه اذا لم يكن من شان النور ان يضع حدًّا للظلمة فما يكون شانه يا ترى ؟ الا انه يخطيء كل الخطأ عند ما ينظر الى العقائد الدينية بعين الازدراء والاحتقار ويحسبها عارية عن كل اساس

قال الفيلسوف هربرت سبنسر في كتابه المبادىء الاولى ان القول بان جميع الافكار الدينية عارية عن الاساس يحط كثيرًا من قدر العقل البشري الذي انما عنه ورثت الانسانية ما لديها من الحقائق

ومن ذا يا ترى يرى رجلاً من نوابغ بني الانسان كافلاطون واريسطو وسان توما وديكارت ونيوتن وكوزين وغيرهم يشغلون قسماً كبيرًا من مؤلفاتهم في البحث في ما وراء الطبيعة واثبات الاصول الدينية العامة ثم يجرأ بعد ذلك على القول انهم انما كانوا في ما كتبوه من هذا القبيل يحيكون اوهاماً باوهام ويشيدون على غير اساس . او لا يبعث هذا على الريبة بجميع احكام العقل ومدركاته

ولسنا نكتفي بهذا القول وحده لاثبات الحقيقة الدينية العامة بل نحن موردون

على ذلك ادلة اخرى معتمدين فيها على ما كتبه الفيلسوف هربرت سبنسر اشهر فلاسفة الانكليز في هذا الزمان

﴿ وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ﴾ اذا امعنت النظر في تواريخ الامم الغابرة ثم عدت بنظرك الى عمران الشعوب الحاضرة ترى انه ما من امة من الامم قديمة او حديثة خلت عن بعض العقائد الدينية ولئن اختلفت تلك العقائد من حيث نوعها ودرجتها في سلم الارتقاء . فهل يسلم عاقل بوقوع مثل هذا بالمصادفة والاتفاق ؟ او ليس من شانه ان يحملنا على ترجيح صحة ما قاله رنان من ان الانسان حيوان ديّن اعني انه ذو نزوع فطري الى الدين

الا انهم يعترضون بوجود بعض قبائل همجية لا نجد عندها ادنى فكرة ابتدائية عن علة الكائنات والخليقة والخلق . وان هذه الافكار لم يبدُ لها اثر للوجود الا بعد اذ بلغ الانسان درجةً ما من الترقي العقلي . فنجيب ولو صح هذا فلا يفيد شيئاً من النتيجة التي نرمي اليها لانه متى نسلم ان جميع القبائل التي ارتقت مداركها العقلية بعض الارتقاء وجدت عندها افكار دينية لزم عن هذا ان هذه الافكار تنشاء بالضرورة عن ترقي العقل

وما نراه من التنوع بين العقائد يساعد على تأييد هذه النتيجة اذ انه يدل على ان عقائد كل امة نشات مستقلة عن عقائد الاخرى وان وجود الامم الكثيرة في ظروف واحوال متماثلة مع اختلاف الازمنة والامكنة ادى الى ايجاد افكار متماثلة ونتائج متشابهة

وزعم آخرون ان جميع ما يذكره لنا تاريخ الاديان من العقائد هو مخترعات عرضية وضعها الكهان والزعماء بقصد مخادعة العامة والتمويه عليهم . وهذا زعم لا يستطاع اثباته اذ لا يتفق ان يقوم عند جميع الامم القديمة والحديثة المتمدنة وغير المتمدنة افراد من الهيئة يتواطئون على مخادعة الآخرين وتكون الوسائل التي ينالون بها اربهم متماثلة احوالها كل هذا التماثل

وان قيل ان الاختراع الاولي للدين وقع قبل ان تفرقت طوائف الجنس البشري في انحاء الارض وان الجراثيم الدينية انتقلت مع كل قبيلة عند جلائها عن الوطن الاول قلنا ان علماء اشتقاق اللغات يفندون هذه المزاعم لانهم يثبتون بالادلة ان تفرق الجنس البشري حصل في زمن لم تكن اللغة ارتقت فيه الى درجة يستطاع عندها التعبير عن الافكار الدينية

ومع هذا فلو امكن وجود ادلة تثبت كون الاديان مخترعات عرضيــة فلا يمكن بهذا الافتراض التعليل عن كل حادث في الدين لانه اذا كانت الاديان مخترعات جماعات متفرقة من الكهان فلماذا نرى تحت الفروع الدينية المتنوعة اصولاً ومبادىء متماثلة . واذا كانت جميعها اباطيل واوهاماً فلماذا نرى النقد العلمي الذي استطاع اسقاط العقائد الخصوصية لم يتمكن من ضعضعة الفكرة الاساسية التي قامت عليها تلك العقائد . ولماذا نرى العقائد الدينية بعد اذ تسقط سقوطاً عظيماً عند امة كما حدث في اواخر القرن الثامن عشر في فرنسا لا تلبث ان تنهض ثانية ان لم يكن بمظهرها الذي كان لها من قبل فجوهرها القديم يبقى هو نفسه

﴿ الشعور الديني ﴾ ثم ان هنالك من يزعم ان الافكار الدينية هي من نتائج الشعور الديني فهو الذي يحمل العقل يحيك صوراً وهميــة لا يلبث ان يتخذها شيئاً فشيئاً حقائق راهنة . وهؤلاء يسلمون ضمناً بوجود الشعور الديني اذ لا يرون سبيلاً لانكار شعور يحس به السواد الاعظم من بني الانسان وقد كان له اعظم اثر على التمدن في الاعصر التاريخية . وما برح لعهدنا هذا اساس كثير من النظامات الاجتماعية والباعث على كثير من الاعمال العظيمة المفيدة

الا ان زعمهم هذا لا يحل المسئلة وانما يبعد قليلاً الصعوبة في حلها . لانه سواء كان الشعور الديني منشاء الفكر الديني او كان للشعور والفكر مصدر واحد فلا بدّ لنا ان نسال من اين جاءنا هذا الشعور ؟

وجواباً على هذا نجد امامنا احد افتراضين . اما ان يكون هذا الشعور خُلق دفعة واحدة بفعل خلق خصوصي واما انه نشاء تدرجاً تبعاً لناموس الارتقاء . فاذا اتبعنا الاول الذي اتبعه الاقدمون وعليه اكثر البشر لعهدنا هذا فالمسالة تكون قد حلّت اذ يكون الانسان قد مُنح الشعور الديني من مبدع حكيم فهو منطبق اذاً على مقاصد هذا المبدع . وان اتبعنا الافتراض الثاني وسلمنا بما يوجبه مذهب الارتقاء من ان القوى هي نتيجة التحولات العديدة التي طرات على الانسان بفعل المؤثرات والاحوال الخارجية عليه تعين ان نسلم بوجود احوال خصوصية اوجبت نشاءة الشعور الديني ومن ثم يكون حكمه حكم سائر القوى النفسية . واذا صح ايضاً ما يوجبه مذهب الارتقاء من ان الغاية التي تتوجه اليها التحولات الارتقائية هي اعداد الحي لاستكمال ما هو من لوازم وجوده امكننا ان نستنتج من هذا ان الشعور الديني من البواعث المؤدية لسعادة البشر

اذن فسواء كان الشعور الديني خلق دفعة واحدة او نشاء تبعاً لناموس الارتقاء فالنتيجة من كلا الافتراضين توجب علينا احترام الشعور الديني

﴿ اتجاه العقل الى ما وراء حدود العلم ﴾ وهنالك ملاحظة اخرى لا ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل الارواء ظماء العقل البشري الى المعرفة . فمها امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من ياتي بعدنا مسالة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومها تقدمنا في التعليل عن اصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم هو اشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من شانه الا ان يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب . ويلزم عن هذا ان يوجد على الدوام طريقان ينتجهما الفكر البشري وهما العلم والدين

اذن فالعقل سيشتغل في الاستقبال كما يشتغل في الحال ليس فقط في البحث عن الحوادث الوضعية وعلاقاتها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطاع اثباته بالادلة الواقعة تحت الحواس ولا بد من افتراض وجوده عند النظر الى الحوادث واعتبار علاقاتها بعضها ببعض . ويتتج عن هذا انه ما دام العلم لا يستطيع وحده ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه انتباهه ابداً الى ما وراء حدود العلم فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار

والحاصل من جميع ما تقدم ان وجود الافكار الدينية عند جميع الامم ونشاتها مستقلة بعضها عن بعض وحيويتها المستمرة في المجتمع الانساني ووجود الشعور الديني ايا كان منشأه واتجاه الفكر الى ما وراء حدود العلم كل هذا من شانه ان يثبت ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض ويدل على ان هنالك حقيقة اساسية قام عليها بنيان الاديان



حيوان غريب واكتشاف علمي

﴿ الذبابة القاتلة احدى غرائب افريقيا ﴾

(دليل جديد على فساد مذهب داروين)

لا نعني بالذبابة القاتلة الذبابة المألوفة التي تقع على بصاق المسلول ثم تقع على الطعام او على فم الانسان فتنقل اليه جراثيم داء السل او غيره من الامراض المعدية . ولكننا نعني بها ذبابة مختصة بشمالي افريقيا يسمونها تسه تسه كما ورد ذلك في خطبة المسيو هانوتو التي لخصناها في الجزء السابق . ولقد قال المسيو هانوتو عن هذه الذبابة في تلك الخطبة « انها تقع على الدواب فتجرحها جروحاً تميتها ولذلك لا سبيل الى نقل البضائع الا على ظهور الرجال وهذا مما ينزل الانسان في منزلة الحيوانات »

ولقد عدَّ المسيو هانوتو في تلك المقالة هذا الامر في جملة الاسباب التي اخرت تمدين افريقيا الى هذا الزمن . ثم قال « ان العلماء صاروا يجربون مداواة داء هذه الذبابة بالمصل وهم يؤملون اكتشاف هذا الدواء قريباً . فاذا تمَّ لهم ذلك احسنوا الى التمدن في افريقيا اعظم احسان لانهم يردُّون اليه نصف هذه القارة التي تفتك بها هذه الذبابة الغريبة »

وبينا كنا نتصفح في هذا الشهر وقائع مجمع العلوم في باريز عثرنا على بلاغ بهذا الشان قدمه اليه جناب الدكتور لافران الذي صرف همه الى درس احوال هذه الذبابة لانقاذ افريقيا من شرها . وهذا البلاغ يشير الى اكتشاف علمي خطير من وجهين . ولبيان ذلك نقول .

وصف الدكتور لافران هذه الذبابة في بدء مقاله فقال انها تُدعى باللغة العلمية « كلوسينا مورسيتان » وهي كباقي الذباب التي تعيش في كل مكان . ولذلك لا يعرفها من لا يعرفها . اما جسمها فهو مرقط في بطنها باصفرار وبياض ولكن باقيه اسود او رمادي ضارب الى السواد

ومن طبيعة هذه الذبابة انها اذا رأت انساناً او حيواناً انقضت عليه بسرعة غريبة ولدغته في الموضع الذي يكون مكشوفاً في جسمه . فينشأ عن ذلك في ذلك الموضع جرح صغير او خمش . وهذا الجرح لا تاثير له في الانسان والبغال والحمير والماعز والحيوانات الوحشية التي تعيش في الاماكن التي تعيش فيها هذه الذبابة كحمار الوحش والفيلة وبقر

الوحش وما اشبهها ولكنه ذا تاثير مميت في بعض الحيوانات الاهلية الداجنة كالفرس والكلب والبقر والغنم . فان هذه الحيوانات تموت احياناً موتاً فجائياً بعد انقضاء ٢٤ ساعة على لدغ الذبابة لها واحياناً تظهر فيها اعراض الداء ثم تموت بعد ذلك ببضعة ايام . وهنا ملاحظتان جديرتان بالاعتبار . الاولى حكمة الناموس الطبيعي الذي قضى بان لا يؤثر سم هذه الذبابة في الحيوانات الوحشية التي تعيش معها في واسع البرّ والتي هي معرضة في كل دقيقة وكل ثانية للدغها المميت تعرضاً كان كافياً لفنائها في اسبوع واحد . والثانية ان المسيو هانوتو قد اخطأ في قوله انّ هذه الذبابة تمنع من نقل البضائع على الدواب لانه قد ثبت بالاختبار انها بلا تاثير على البغل والحمار كما تقدم

اما داء هذه الذبابة فانه ينشأ عن مادة سامة تدخلها الذبابة الى جسم الحيوان الملدوغ حين لدغها اياه . وهي عبارة عن جراثيم او ميكروبات تحدث تسمماً في الجسم . واهم اعراض هذا الداء رشح سائل من عيون الحيوانات بعد لدغ الذبابة اياها وانتصاب شعرها وانتفاخ بطونها وفكوكها وضمورها وضعفها ضعفاً عاماً ينتهي بالموت .

بقي دواء هذا الداء الذي يتمنى المسيو هانوتو اكتشافه انقاذاً لنصف افريقيا من شر عظيم كما قال . فنقول ان الدكتور لافران قد ابلغ مجمع العلوم في البلاغ الذي تقدمت الاشارة اليه انه اكتشف دواء هذا الداء . ولكن دواءه داء آخر يصيب الانسان . فكأنّ هذا الاكتشاف عبارة عن نفع الحيوان بضرر الانسان . ولا غرابة في ذلك فانه قد مرّت قرون واجيال عديدة والحيوان يخدم فيها الانسان بتعبه ولحمه ودمه . فهل كثير بعد هذا ان يخدم الانسان مرة من المرات رفيقه الحيوان

وبيان ذلك ان الدكتور لافران وجد انه اذا حُقن الحيوان الذي لدغته تلك الذبابة بمصل مستخرج من « دم الانسان » فان الداء يضعف بضعف جراثيمه في دم الحيوان المصاب لان هذه الجراثيم تموت في دم الانسان . وقد جرّب الدكتور هذا الامر في عدة حيوانات ملدوغة فتحسنت حالتها سريعاً وشفيت . ولكنه كان اذا احمي دم الانسان الى درجة ٥٢ وحقن به الحيوان المصاب فقدَ هذا الدم مزية قتل جراثيم الداء في جسم الملدوغ . واذا ابلغ حرارته الى ٦٢ درجة قلّ تاثيره ايضاً

وبناء على ذلك يكون دم الانسان الدواء الشافي من هذا الداء

ولكن كيف يحلّ استخراج دم الانسان لمداواة هذا الداء به . وهب انه امكننا استخراج شيء منه لحقن الحيوانات الصغيرة فمن اين لنا بمقادير كافية لحقن الحيوانات الكبيرة .

هنا نقطـة الخلاف وموضع النظر

ومن اجل ذلك رام الدكتور استبدال دم الانسان بدم آخر فجرب دم الحمار والبغل والماعز وغيرها من الحيوانات التي لا يؤثر لذع الذبابة فيها فلم تنفع التجربة ·فخطر له حينئذ خاطر ملأه املاً · وهو انه ذكر ان انصار داروين يقولون ان الانسان قد ارتقى عن القرود اي انه كان من قبل بهيئة القرود وبشكلها او بهيئة قرود ارقى من القرود الموجودة اليوم ثم ارتقى على مر القرون والاجيال وصار الى ما هو عليه الآن· فقال هذا الدكتور في نفسه : اذا كان هذا الامر صحيحاً فلا بدّ ان يكون لدم القرد خواص دم الانسان لانهما من اصل واحد · ولذلك جاء بدم القرد وجربه في مداواة الحيوانات الملذوعة فلم تنفع التجربة · فقال الدكتور حينئذ : انني رميت بحجر فاصبت غرضين · فانه لا ريب ان هذا دليل من اقوى الادلة على ان الانسان لم يشتق من الحيوان

النهضة الادبية الحديثة في مصر والشام

﴿ هل هذه النهضة نهضة حقيقية ام لا ﴾

(الامور الواجب الاتفاق عليها بين ارباب الصحافة)

قلنا في الجزء السابق انه قد انهالت علينا رسائل القراء من كل صوب جواباً عن الاسئلة التي القيناها عليهم في الجزء السادس · ولقد كان في النية ان ننشر هذه الرسائل كلها كما ذكرنا ذلك في حينه للدلالة على ما يرتئيه الشرقيون في الصحافة الشرقية خصوصاً لان في هذه الآراء عجائب وغرائب · غير اننا عدلنا عن ذلك اضطراراً لكثرة هذه الرسائل كثرة يضيق عنها حجم جزئين من الجامعة او اكثر · ولذلك راينا ان ننشر منها ما قلّ ودلّ ملتمسين العذر من حضرات المراسلين الافاضل وشاكرين لهم اشتراكهم مع المجلة في هذا البحث المهم· وفي يقيننا ان رصفاءنا الكرام ارباب الصحافة العربية لا ينظرون الى هذا البحث بنظر الاهتمام فقط بل هم ينظرون اليه نظر الفكاهة ايضاً ولذلك لا نشك في انهم يغتفرون لبعض المراسلين اذا رأوا في بعض اقوالهم ما لا يسرّ · ومما يوجب هذا الاغتفار ايضاً ان حضرات المراسلين هم نخبة من افاضل الجمهور وادبائه ·ومن المعلوم ان الصحافة للجمهور وهو سيدها وصاحب الراي المحترم فيها كما يعترف بذلك الصحافيون انفسهم

حاجات الصحافة

ونبدأ اولاً بالاجوبة الشعرية لان للشعر حق التقدم · فمن ذلك قصيدة يذكر صاحبها حاجات الصحافة وهو من الشعراء المجيدين الذين ينثرون شعرهم في كل مجلة وجريدة كما يُنثر الزهر في الرياض و ينظمون الشعر لذاته وللذّاته لا لامر آخر · قال

سألتَ وربما سال العليمُ	وشاور غيره الرجل الحكيمُ
سالتَ عن الصحافة كيف امست	فقلت اصابها خطر عظيمُ
وما ادري وليس سواي يدري	اتسقط بعد ذلك ام تقومُ
هي الفوضى فقل ما شئت فيها	يصدق قولك الذوق السليمُ
لقد غدت الصحافة وهي حيرى	يضلّ سراتها ليلٌ بهيمُ
واعوز اهلها علم ومالٌ	وراي يستضاء به قويمُ
وشعب لا ينام عن المعالي	ولا يُرضيه ذو الكسل النؤومُ
وحكام يرون العلم غرّا	فما تشقى بجهلهم العلوم

الدلنجات (احمد محرم)

الصحافة ورثاء الشرق

واما القصيدة التالية في « الصحافة ورثاء الشرق » فهي جواب شاعر في زهرة الشباب· وفي يقيننا انه اذا انقطع الى الدرس المفيد وفكّ نفسه من التقليد فانه لا يبلغ الثلاثين او الاربعين الا وهو في مقدمة شعراء المتاخرين · ولا غرو فانه من نبعة راضية · قال

ما احتاج هذا الشرق للقائلِ	بمثل ما يحتاج للفاعلِ
وما الذي نسمع من اهله	يبلغ منه مبلغ العامل
كم ملأوا الافق بصيحاتهم	وطاولوا النجم بلاطائل
وسيرّوها صحفاً بعضها	عن بعضها في شغلٍ شاغل
تحتشد الاقلام فيها كما	يختلط الحابل بالنابل
ويجمع الحق الى خصمه	وليتها تقضي على الباطل
وهي وان لم تك من لؤلؤه	حلية ذاك الاجيد العاطل
انشدها الله وميثاقه	ان تنصف الجد من الهازل
وترفع العلم وابناءه	وترفع الجهل عن الجاهل

وتوقظ الخامل من نومه ... فكم بهذا الشرق من خامل
وتذكر الغرب وآياته ... وتضرب الامثال للغافل
انّ همى القطر على ارضنا ... مبشّرًا بالعارض الهاطل
ورنحت اعطافنا هزة ... كما يدب الخصب في الماحل
تصقل عضب الشرق من بعدما ... قد كان لا يحتاج الصاقل
ما الذنب للعضب اذا مانبا ... وانما الذنب على الحامل
يا عصبة الشرق اما انتمُ ... ابناء ذاك السلف الباسل
ان يزل الظل فلا تيئسوا ... تفيئوا ظلاً سوى الزائل
لا يبراء المذنب ان يعتذر ... عن ذنبه بالقدر النازل
فانصتوا ناصحكم واسمعوا ... وانصتوا للقول والقائل

شبين الكوم (مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي)

وبقيت بعض قصائد طويلة ضاق عنها المجال فالمرجو المعذرة من حضرات اصحابها الافاضل

تلخيص بعض الرسائل

وهنا ننتقل الى النثر فنلخص بعض الرسائل التي اخترناها للنشر ونرجو المعذرة من اصحاب الرسائل التي ضربنا صفحاً عنها لان المجال ضيق دونها

ونبدأ اولاً برسالة لحضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصوره ولا ريب ان حضرات القراء في مصر وخارج مصر قد سمعوا بشهرة الدكتور خوري في عالم الادب .
قال جناب الدكتور : « ان الصحافة معذورة واسباب عذرها كثيرة يطول شرحها ولا يفيد التنبيه اليها لان الداء دفين ومضعفات العلة اشدّ خطرًا من العلة نفسها . وما الحيلة باستبداد الحكومة وذل الشعب وفقر العامل وجهله حالتي الحاكم والمحكوم وواجباتهما . واما النهضة فهي ولا شك كائنة وباكثر من المامول وهي في كل يوم بازدياد واسبابها « المهاجرة » لا المجاهرة »

ومنها رسالة توقيعها « محفوط » والصحيح انه « حافظ » لا محفوظ . وهي عبارة عن كتاب مفتوح لجناب نجيب افندي الجاويش صاحب الراي الشديد على الكتّاب وعلى الصحافة الذي نُشر في الجزء السادس . وقد استهلّ الكاتب « محفوظ » كتابه بقوله يخاطب وصيفه جناب نجيب افندي « اكتب اليك ولا علمَ لي بك والذي حركني لذلك معان

لاحت لي من خلال سطورك رغماً عن لسان مسكته وقلم قيدته مخافة ان يكون كحزقيال يخاطب عظاماً يابسة » ثم يسهب الكاتب في بيان واجبات الكتاب والصحافة فيقول « وما يقال في الجرائد عموماً وفي السورية منها خصوصاً انها تنطق بلسان الحاكم ويحررها قلم المامور مشحونة بالمدح الفارغ بما تقتضيه اغراض منشيها » وبعد ذلك يهدي الى الشرقيين اربع نصائح رابعتها « العمل بما جاء في الجامعة في الجزء الخامس من هذه السنة الصفحة ٦٤ من رواية فريسة الاسد السطر ٢ و ٣ و ٤ » ثم يختم الكاتب رسالته الطويلة الى رفيقه بقوله « هذا ما ارتأيته كتبته اليك على سبيل الاختصار فاهبط عليّ بافكارك والا استودعك الله الى وقت آخر يجمعنا به ذلك الرجل » فلا عجب اذا لم يفهم القارىء شيئاً من هذا الختام

وهنالك رسالة من اسيوط لكاتبها جناب عزيز افندي السائح وقد جاء فيها ما يأتي « لو جمعت مادة وزبدة الجرائد العربية جميعها لامكن ادراجها في جريدة او جريدتين بالاكثر لان اكثر ما تاتيه الصحف هو مدح في زيد وهجو في عبيد واحتفل بقران فلان وبجناز فلان ولولا الجرائد الافرنجية التي يترجم عنها اكثر مواد الجرائد العربية لانعدمت وصارت فارغة » ثم قال « وعندي ان الجرائد لا تقوم بواجباتها حق قيام الا اذا غضت الطرف عن وجاهة الواحد وحقارة الآخر وجعلت الصدق في اقوالها والحق في اعمالها من اعظم مبادئها وعدم المحاباة من اهم اركانها . اما الاعتقاد بوجود نهضة ادبية فلا اظنه انه خطر بالبال »

واليك رسالة من القرشية لصاحبها جناب اسماعيل افندي يسري قال فيها : « ان الذي يمعن النظر في احوال الجرائد والمجلات العربية وخصوصاً في مصر لا يؤمل ان يجني من ثمرها اصلاحاً بل يتأكد ان بعضها طاعون الافكار والقليل الحسن منها لا يكفي لترقية شؤون امة عددها ١٢ مليون نفس تقريباً »

واما الرسالة التالية فهي من رام الله قرب القدس لكاتبها جناب فرج افندي فرج الله وقد جاء فيها « ان الصحافة عندنا قد تجاوزت دور الطفولية الى الشباب . واني لا انكر ان في الشرق حركة جديدة ولكنها لم تصر بعد نهضة على الاقدام ولعلها لا تصير كذلك اذا بقي الحال كما هو . ذلك لان الشرقيين كرضيع احس بالجوع وبوجود الاكل قريباً منه ففغر فاه ليلتقم بجهله كل ما تصيبه شفتاه من نافع ومضر . والنصيحة لهم لينهضوا ويحسنوا القيام ان يربوا ويعتادوا منذ الصغر ان يحسنوا التمييز بين النافع والمضر »

والرسالة التالية من بسيون لكاتبها حضرة ع · س احد القراء وفيها « الجرائد همها مصروف في احوال البلاد السياسية من رفع وخفض ومدح وذم · ويحملها على ذلك سعة الورق مع قلة المادة وضيق الوقت وقد لا يكتفي البعض بذلك فيضيف الى جريدته ذيلاً يستحق القطع » ثم شدد الكاتب النكير على المقلدين والمقلدات « لان الشرقي يقلد بغير علم ولا حساب ولو علم ان الثوب المستعار لا يدفئ لطرح التقليد جانباً »

اما صاحب الرسالة التالية وهو جناب محمد شمس الدين افندي الحمصي في الثغر فقد احصى المال الذي يدخل على الصحافة من الجمهور في مصر فبلغ في احصائه ٤٠ الف جنيه · فقال · « تحسن حالة الجرائد اذا تركت مدح زيد وذم عمرو لاغراضها وان لا تكتب الا فيما يعود على البلاد بالنفع والفائدة · وحينئذ تستحق الـ ٤٠ الف جنيه التي تاخذها من الامة »

وقال جناب احمد افندي حافظ بالبوسطة في الثغر في ضمن رسالته « الجرائد العربية الموجودة في الشرق مفيدة ولكنها تكثر الاطالة في مواضيع احياناً لا تفيد الشعب بشيء ولا تعود عليه بالنفع المطلوب لارتقائه »

واما الرسالة التالية فهي من جناب خليل افندي ديراني في دمشق الشام وفيها « الاعتقاد بالنهضة الادبية هو بين بين لانها كالبيت المبني على الرمال تتهدده الاخطار وما ذلك الا من عدم مجاراها في مجاريها واتباعها قوانينها · وما دامت على هذه الحال فان الزوابع تذريها ما لم تؤسس على صخر العلم بالعمل والتربية على الفضيلة والآداب »

وقال جناب جرجي افندي نقولا باز في بيروت « يوجد في بعض ممالك الشرق نهضة ادبية حقيقية اكثرها هي وهمية · ويحتاج الشرق والشرقيون الى العلم الحقيقي العملي »

ومن رسالة لجناب ابرهيم افندي ابرهيم « نصيحتي للشرق والشرقيين ان يتحدوا بالوطنية ويتعلموا الاستقلال ويعاملوا بعضهم بعضاً معاملة الاخاء والمساواة وان ينبذوا التعصب الديني والعادات والاراء الضارة التي ورثوها عن الآباء والاجداد »

قول بليغ في النهضة

بقي ان ننشر رسالتين الاولى « لاحد الكتاب » المطلعين · وهذا نصها من غير اختصار

« انني من الذين يعتقدون بوجود نهضة ادبية في الشرق ومن الذين لا يعتقدون بوجود هذه النهضة · وايضاحاً لهذا القول اقول

« اذا كان معنى « النهضة » نهوض الكتاب الى الكتابة فهذه النهضة موجودة لان

المجلات والجرائد والكتب تتناثر على القراء تناثر ورق الخريف . واذا كان معنى النهضة حدوث تقدم في الشرق ادبياً ومادياً فهذا امر ثابت لا ينكره احد وانما الخلاف في هل ان هذا التقدم متبع سيراً تدريجياً ينتهي الى كماله ام لا . واما اذا كان معنى النهضة ان المؤلفات التي تنشر الآن هي دليل على ارتقاء العلم والادب في الشرق ارتقاء حقيقياً مبنياً على اساس وطيد لا يُخشى عليه في المستقبل فهذا قول فيه نظر

« وبيان ذلك ان في ازمان النهضات العلمية والادبية في العالم ينبغ رجال من اهل العلم والادب يكونون كاساس للنهضة في بلادهم وتكون كتبهم ومؤلفاتهم بالغة من الكمال العلمي والادبي درجة لا يتجاوزها الذين يأتون بعدهم مهما ابتكروا وابتدعوا . ففي النهضة الانكليزية قام باكون وشكسبير وغرين و بيل وغيرهم كما ذكرته الجامعة في ترجمة شكسبير وفي النهضة الفرنسوية قام كورنيل وراسين وموليير و بوالو ولافونتين ولافوازيه وديكارت وفولتير وروسو . وكتب هؤلاء المؤلفين لا تزال في دور الشباب الى الآن كانها كُتبت منذ عامين . فهل عندنا من الكتب والجرائد والمجلات ما يستحق ان يجيء الى ما بعد نصف قرن ويكون مرجعاً لاحفادنا بعدنا . هذا امر اشك فيه كل الشك

« ومما لا يحتاج الى بيان انني قلتُ « نهضة ادبية » كما قالت الجامعة ولم اقل « نهضة علمية » اذ لا خلاف قطعياً في انه لا اثر للنهضة العلمية في بلادنا لان العلم الصحيح يجب ان يكون مبنياً على الدرس العملي كالمشاهدة والتجربة والاختبار لا على الاخذ عن علماء الافرنج . مثال ذلك ان من رام كتابة تاريخ الفرس يجب ان يزور مملكتهم و يستقصي آثارهم ويدرس عاداتهم واخلاقهم في نفس بلادهم لا في غرفة التحرير . ومن رام الكتابة في طبائع النحل يجب ان يكون قد ربى نحلاً وراقب معيشتها مراقبة دقيقة سنوات عديدة . وهلم جرّا

« ولست اعني بذلك ان اللوم واقع على المشتغلين بالعلم والادب وحدهم فان « الطفرة محال » كما قال كاتب يحسبه بعض الكتاب من زعماء النهضة الادبية . وذلك لان هذا التقليد لا بدّ منه في بدء الامر ولا يأتي الابتكار والابتداع الا في دور ثانٍ . ولكن اللوم اكثره واقع على الاغنياء والجمهور والحكام الذين لا يساعدون الكتاب والعلماء عندنا مساعدة تمكنهم من التفرغ للدرس العملي والانقطاع لفروع العلوم التي يشتغلون بها وهو ما يسميه الغرب « الاخصاء » على ما اظن . ومعنى ذلك ان المستعد بفطرته للبحث في الفلسفة ينقطع اليها دون سواها . والمستعد بطبيعته للجيولوجيا يتفرغ اليها وحدها . والمياً

التاريخ لا يشتغل بسواه . والذي خُلق لدرس المسائل السياسية لا يتعداها . فمتى توزّعت فروع العلوم هكذا على الكتاب والمشتغلين بالعلم امكنهم ان يصلوا في فنهم الى درجة الابتكار وارتقت النهضة في الشرق ارتقاء عظيماً . واما اذا اقاموا كما هم الآن اي ان كل واحد منهم يكتب في كل فروع المنقول والمعقول ارضاء للقراء فالنهضة تبقى سطحية اذ ليس لاصحابها من وقت ولا وسيلة للوصول الى الاعماق »

اولى حاجات الشرق

والرسالة الثانية « لاديب » فاضل ينظر الى هذه المسألة من جهة اخرى وهذا نصها

« اولى حاجات الشرق وصحافته وحكامه واهله كبارهم وصغارهم كلمة واحدة وهي « الاخلاق » وهذا نقص ظاهر في كل شيء فيه تقريباً . فاذا كانت الاخلاق شريفة في كل عمل ادبي او مادي كان ذلك بمثابة هواء نقي يستنشقه الانسان ويعيش منه واذا كانت فاسدة فسد كل شيء بفسادها . فالحاكم اذا كان شريف الاخلاق وقف قواه لخدمة الجمهور فكان في ذلك غنى عن كل نظام ودستور . والناس اذا كانوا كرام الاخلاق جعلوا الارض مسكناً للملائكة كالسماء وكانت معيشتهم كلها هناء في هناء . والصحافة اذا كان جميع اصحابها اصحاب اخلاق لم يعد ينقصها شيء من الاشياء . فانها حينئذ تترك التمليق والرياء . والمدح والثناء . وتقدم مصلحة الجمهور حقيقةً على كل مصلحة . فلا تعود ترى فيها ما تراه فيها من تكبير الصغير وتصغير الكبير في مقابلة بضعة من الدراهم والدنانير . ولا تعود ترى اثراً لعداوة الصناعة التي تجعلها تدوس المبادىء وتغض من كرامة رصيفاتها لتجر بذلك مغنماً لذاتها . فالاخلاق الاخلاق : هذه هي حاجتنا الكبرى

«ومتى ترأست الاخلاق الصحافة في الشرق اطلقت فيها الحرية للنقد الصحيح اذ يكون الغرض منها اعلاء شأن الشيء الحسن المفيد واسقاط شأن الشيء الرديء . وحينئذ يوضع كل شيء في موضعه فيقبل القراء على الحسن ويتركون الرديء الضعيف طبقاً لناموس الارتقاء . وليس يُخشى على هذا الناموس ان يبطل فيما يختص بالصحافة الشرقية لان النواميس الطبيعية لا يقف شيء في طريقها . وانما يُخشى ان تميقه حالة الصحافة الحاضرة مدة من الزمان . اما اذا تزعت الاخلاق هذه الصحافة واعطت كل شيء حقه بقسط وعدل فان هذا الناموس يجري في مجراه ويصل الى غرضه في وقت قريب»

هذا ما اضطررنا الى الاكتفاء بنشره لضيق المقام . ونحن نأسف لاننا لم ننشر اقوال وصيفاتنا التي شاركتنا على صفحاتها في هذا البحث . وبما اننا قد اقفلنا هذا الباب في هذا الجزء فسننشر في الجزء التالي المواد التي يجب استخراجها من اقوال حضرات المراسلين كما ذكرنا في ما تقدم

والذي سرنا في هذا الموضوع ايضاً وقوفنا على آراء حضرات القراء في مجلتهم وقد استفدنا شيئاً كثيرًا من نصائحهم بشانها كما انه قد سرنا رضاهم عن خطتها وقدرهم التعب الذي نبذله فيها حق قدره . وفقنا الله واياهم الى ما فيه النفع العام وهو حسبنا ونعم الوكيل

عود الى ابن رشد

لما همنا بكتابة ترجمة فيلسوف الاسلام ابي الوليد ابن رشد المنشورة في صدر هذا الجزء اخذنا في مطالعة بعض كتبه وما كتبه العرب والافرنج عنه . وبما ان الفيلسوف رنان قد الف كتاباً ضخماً(١) عن ابن رشد وتاريخه ومبادئه فقد بعثنا نطلب هذا الكتاب لنستعين به ايضاً . فلما وردنا هذا الكتاب ظهر لنا من مطالعته انه جدير بالنقل والتلخيص لاشتماله على تاريخ الفلسفة في ذلك الزمن وتاريخ انتقال صولجان المجد والعلم والمدنية من عرب الاندلس الى الاوربيين وهو الحادث العظيم في التاريخ الانساني. ولذلك عزمنا على تلخيصه في الجامعة ايضاً . ولا ريب عندنا ان القراء يجدون في هذه الخلاصة من الاقوال الفلسفية الرنانية والاستنتاجات المفيدة والتصورات الغزلية الجميلة ما تعودوه في اقوال رنان

ولقد نشر رنان في ذيل كتابه هذا صفحات باللغة العربية لعدة من مؤلفي الاندلس الذين ذكروا ترجمة ابن رشد كابن الابار والانصاري وابن ابي اصيبعة والذهبي . وقد رأينا ان نلخص شيئاً من هذه الاقوال لانها لم ترد في الترجمة التي نشرناها في صدر هذا الجزء فضلاً عن انها منقولة عن كتب محفوظة في مكاتب اوربا الكبرى التي اخذها رنان منها

---

(١) عدد صفحاته ٤٨٦ صفحة بحجم الجامعة

شهادة ابن العبار

قال ابن العبار كانت الدراية في ابن رشد اغلب عليه من الرواية ولم ينشأ بالاندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً . وقد عُني بالعلم من صغره الى كبره حتى حكي عنه انه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة عرسه . وقد سوّد في ما صنف وقيّد والف وهذب واختصر نحواً من عشرة الاف ورقة . وكان يُفزع الى فتواه في الطب كما يُفزع الى فتواه في الفقه . وقد حكى عنه ابو القاسم بن الطيلسان انه كان يحفظ شعريّ حبيب والمتنبي ويكثر التمثل بها في مجلسه

شهادة الانصاري . والمنشور الذي نشره الخليفة بحرم فلسفة ابن رشد

اما ما نقله رنان عن الانصاري ففيه منشور في غاية الاهمية وقد وجه اليه رنان في مقدمة الكتاب نظر المستشرقين . وهذا المنشور هو نسخة الرسالة التي نشرها المنصور في الاندلس ومراكش يحذر الناس فيها من مبادىء ابن رشد وتلامذته . وقد كتب هذا المنشور كاتب المنصور ابو عبدالله بن عياش . ومما جاء فيه قوله « لما اراد الله فضيحة عمايتهم . وكشف غوايتهم . وُقف لبعضهم على كتب مسطورة في الضلال . موجبة اخذ كتاب صاحبها بالشمال . ظاهرها موشح بكتاب الله . وباطنها مصرح بالاعراض عن الله . لُبس منها الايمان بالظلم . وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم . مزلة للاقدام . وهمٌ يدب في باطن الاسلام » وايضاً « فانهم يوافقون الامة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم . ويخالفونها بباطنهم وغيهم وبهتانهم . فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدين . ونكتة سوداء في صفحة النور المبين . نبذناهم في الله نبذ النواة . واقصيناهم كما يُقصى السفهاء من الغواة » وايضاً « فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الايمان . حذركم من السموم السارية في الابدان . ومن عُثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يُعذب اربابه . واليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه . والله تعالى يُطهر من دنس الملحدين اجتماعكم . ويكتب في صحائف الابرار تضافركم على الحق واجتماعكم انه منعم كريم » اه

وقد اشار الانصاري الى محاكمة ابن رشد لدى علماء قرطبة في جامعها الكبير فقال « وقد قُرئت (فلسفة ابن رشد) بالمجلس وتدولت (١) اغراضها ومعانيها وقواعدها ومبانيها

---

(١) ان رنان يصحح هذه الكلمة في حاشية الكتاب فيجعلها « تداولت » والصحيح « تُدولت » بناء على المجهول لانها معطوفة على « قُرئت » على انه صحح في الاصل العربي في مواضع اخرى عدة اغلاط ناشئة عن خطاء في النسخ فكان مصيباً في تصحيحه كل الاصابة

فخرجت بما دلت عليه اسواء مخرج وربما ذيلها « مكر الطالبين » فلم يكن عند اجتماع الملاء الا المدافعة عن شريعة الاسلام « وعند الاجتماع تكلم القاضي ابو عبد الله بن مروان فكانه رام تخفيف التهمة فقال ما معناه « ان الاشياء لا بدّ في كثير منها ان تكون له جهة نافعة وجهة ضارة كالنار وغيرها فمتى غلب النافع على الضار عُمل بحسبه ومتى كان الامر بالضد فالبضد . فابتدر الكلام الخطيب ابو علي بن حجاج وعرّف الناس بما « أُمر به » من انهم مرقوا من الدين » ثم امر ابو الوليد بسكنى اليسانه (ليسنه) وكانت اكثر اهلها من اليهود . وقد قال الانصاري انه أُمر بسكناها « لقول من قال انه يُنسب في بني اسرائيل . وانه لا يعرف له نسبة في قبائل الاندلس »

وروى الانصاري ان من اسباب نكبة ابن رشد « اختصاصه بالبحيجي اخي المنصور والي قرطبة » ومنها ايضاً انه كتب في كتاب الحيوان « ورايت الزرافة عند ملك البربر » يعني الخليفة المنصور ملك العرب لان اليونان كانوا يلقبون العرب كذلك . فلما بلغ المنصور هذا القول من حساد ابن رشد ساله عنه فاجابه انني كتبت « ملك البرين » فقرأوا ملك البربر . فاسرها المنصور في نفسه

ومن ذلك ما حدث به الشيخ ابو الحسن الرعيني عن شيخه ابي محمد عبد الكبير . قال عن اتهام الناس ابن رشد بالالحاد « ان هذا الذي يُنسب اليه ما كان يظهر عليه . ولقد كنت اراه يخرج الى الصلوة واثر ماء الوضوء على قدميه وما كنت آخذ عليه فلتة الا واحدة وهي عظمى الفلتات » وبيان هذه الفلتة انه شاع في المشرق والاندلس ان ريحاً عاتية تهب في يوم كذا وكذا فتهلك الناس . وقد طبق هذا الحديث البلاد فجمع والي قرطبة طلبتها وعلماءها وفيهم ابن رشد وهو القاضي بقرطبة يومئذ ليسالهم عن ذلك . ولما انصرف الطلبة تكلم ابن رشد وابن بندود في شان هذه الريح من جهة الطبيعة قال الانصاري . « فقال ابو محمد الكبير : ان صحّ امر هذه الريح فهي ثانية الريح التي اهلك الله تعالى بها قوم عاد اذ لم تُعلم ريح بعدُ يعم هلاكها . فانبرى (١) ابن رشد ولم يتمالك ان قال : والله وجود قوم عاد ما كان حقاً فكيف سبب هلاكهم . فسقط في ايدي الحاضرين واكبروا هذه الزلة التي لا تصدر الا عن صريح الكفر والتكذيب لما جاءت به آيات القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »

---

(١) في الاصل « فانبدى » ولعل رنان لم ينتبه اليها او انها خطاء مطبعي

وقد نقل الانصاري ابياتاً كثيرة في ذم ابن رشد منها قول الحاج ابي الحسين بن جبير

الآن قد ايقن ابن رشد   ان تواليفه توالف
ياظالماً نفسه تأمل   هل تجد اليوم من تُوالف

وله ايضاً

لم تلزم الرشد يا ابن رشد   لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء   ما هكذا كان فيه جدك

شهادة ابن ابي اصيبعة

اما ابن ابي اصيبعة فانه يقول عنه انه اوحد في علم الفقه والخلاف . وانه كان ذكياً رث البزة قوي النفس . وانه « متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه او بحث عنده في شيء من العلوم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي ؟ » وكان الخليفة المنصور يستاء من ذلك في سره . وقد قال ابن ابي اصيبعة ايضاً « وخلف (ابن رشد) ولداً طبيباً عالماً بالصناعة يقال له ابو محمد عبدالله وخلف ايضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور . ومن كلام ابي الوليد بن رشد : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله تعالى » ثم احصى مؤلفاته في صفحتين ونصف وقد اشرنا اليها

هذا ما رأينا ضمه في هذا الفصل الى ترجمته في صدر الجزء لتتم الفائدة . وقد نشرناه هنا لان هذا الكتاب وردنا بعد طبع باب المشاهير

﴿ تقرير المتحف والمكتبة البلدية ﴾ وضع جناب الدكتور بوتي مدير المتحف في الثغر تقريراً عن المتحف والمكتبة البلدية في السنة الماضية ورفعه الى جناب رئيس لجنة المتحف والمكتبة . وقد اهدتنا اللجنة نسخة منه فاذا به يشتمل على ما جدَّ في تلك السنة من نبش الآثار القديمة في كوم الشقافة وغيرها . ويؤخذ منه ان معدل الداخلين الى المكتبة البلدية ٢٨ شخصاً في كل يوم على اننا نرجح انه لوكانت المكتبة في مكان قرب المنشية لما نقص هذا المعدل عن مائة شخص في كل يوم . فعسى ان لا يبطئ المجلس البلدي في انشاء بنائه الجديد على الرصيف الشرقي لينقل المكتبة اليه وبذلك يحقق اماني محبي المطالعة في الثغر

باب التربية والتعليم

لبست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة	يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

تأثير مدرسة سورية واحدة

لحضرة المدموازل روزا انطون

اطلب العذر من قارئات الجامعة في هذا الفصل فانني اريد ان اقوم بشيء من الواجبات التي عليَّ للمدرسة التي نشأْت فيها وربيتُ بين تلميذاتها العزيزات وذلك بان اظهر للملاء فضلها وفضل حضرة الرئيسة الكريمة التي تتولاها منذ ٢٥ عاماً دون انقطاع وذلك بمناسبة الاحتفال السنوي الذي جرى فيها في الشهر الماضي

واكثر القارئات العزيزات يعرفن انني اعني بهذه المدرسة مدرسة البنات الاميركية الكبيرة في طرابلس الشام وهي التي تديرها حضرة الرئيسة الفاضلة مس لاكراغ التي شهد فيها الاميركيون والسوريون انها من اللواتي صدق فيهنَّ شاعرنا العربي الذي قال

ولو كان النساء نظير هذي لفضلت النساء على الرجال

وانني اعتبر ان من كمال حظ العيال الطرابلسية في طرابلس ان يكون لديها مدرسة كهذه المدرسة تتولاها رئيسة كهذه الرئيسة . ذلك ان الامر المهم في المدارس ليس بناء جدرانها وحشد التلامذة والاساتذة فيها ولكن اقامة عقل سامٍ فيها سنوات متوالية يتولى في اثنائها ادارة كلياتها وجزئياتها بحكمة ومهارة تؤديان الى الغرض المقصود من انشاء المدرسة وهو حسن التربية اي بث الاخلاق الحسنة وحسن التعليم اي انارة العقل وتوسيع المدارك . وحسب الباحثين عن فوائد المدارس وتاثيرها في الهيئة الاجتماعية ان ينظروا الى هذه المدرسة فقط . فانها اصبحت في طرابلس عبارة عن نقطة تدور حولها دائرة اكثر العيال الطرابلسية ولذلك ترى رئيستها الفاضلة اماً للصغيرات وصديقة للكبيرات

وترى محفلها نادياً يتردد فيه احياناً صدى الوعظ والارشاد واحياناً صدى الخطب الادبية المفيدة التي يقوم بها نخبة من افاضل الفيحاء مرة بعد مرة . فلو كانت جميع الطوائف في سوريا وطننا المحبوب تبذل هذا الجهد في التربية والتعليم والارشاد والنهوض الى العمل المفيد لاصبحت سوريا في احسن حال في وقت قريب

ولقد عرف الاميركان فضل هذه المدرسة ورئيستها الكريمة ولذلك يحترمونها احترامهم لعاملة وقفت حياتها للخدمة العمومية . ولما سافرت منذ ثلاث سنوات الى اميركا احتفلوا باستقبالها هنالك احتفالاً عظيماً . وليس الطرابلسيون والطرابلسيات باقل عرفاناً للجميل فانهم احتفلوا في الشتاء الماضي احتفالاً مؤثراً بيوبيلها الفضي اي بانقضاء ٢٥ عاماً عليها وهي تتولى رئاسة المدرسة

وفي اوائل الشهر الماضي احتفلت حضرة الرئيسة بتوزيع الشهادات على التلميذات المنتهيات في هذا العام . فكان احتفالاً بهيجاً وقد القت فيه المنتهيات خطباً مفيدة. فخطبت حضرة المدموازل اميا زرعوني خطبة الترحيب ثم اردفتها بخطبة في « الفن المهمل » اي التربية . ثم تلتها حضرة المدموازل لورنا لاذقاني فالقت خطبة في « الآداب » وحضرة المدموازل فيكتوريا كاتسفليس فخطبت في « اليد الفاضلة » وحضرة المدموازل زكيه غراب في « التمدن الحقيقي » وحضرة المدموازل مرتا عطيه في « كتاب عجيب » وحضرة المدموازل اميا صيبعه في « ساحة الحروب » واردفت خطابها بالوداع . وبعد ذلك تلا جناب القس وليم ادي الخطاب العمومي في « اقتدار الشخص الواحد » ووزعت حضرة الرئيسة بيدها الكريمة الشهادات على المنتهيات صاحبات الخطب وخُتمت الحفلة بخطبة من جناب المعلم جرجس الخوري استاذ اللغة العربية في هذه المدرسة موضوعها « ارشاد المنتهيات »

فانا في هذا المقام اهنىء رفيقاتي المنتهيات العزيزات بقطعهن مراحل العلم والعمل وفوزهن بهذا الاكليل الادبي الذي ضُمّ الى اكليلهن الطبيعي اعني اكليل الفضيلة والجمال والطهارة . واسأل الله ان يكثر في سوريا وطني الاول ومصر وطني الثاني مدارس البنات النافعة القادرة ان تربي للمصريين والسوريين امهات وربات منازل لهن رائحة الورد ونشاط النحلة ووداعة الحمامة واخلاق رئيستي الفاضلة

باب التقريظ والانتقاد

الانصاف

﴿ في اسباب الاختلاف بين المسلمين ﴾

تأليف الامام ابي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

اختلف المسلمون والمسيحيون في تفسير الانجيل والقرآن اختلافاً جعلهم فرقاً فرقاً لان كل قارىء منهم يفسر الآيات كما يفهمها ويحضره تفسيرها. ولذلك مست الحاجة في بعض اجزاء المسيحية الى سلطة عليا تفسر تلك الآيات ويخضع الجميع لتفسيرها وذلك ما جرّ الى اثبات العصمة البابوية . وبناء عليه فتى صدر من الفاتيكان تفسير فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ولم يعد يجوز لاحد الاعتراض على هذا التفسير . ولذلك قال المسيو ولدك روسو رئيس الوزارة الفرنسوية السابقة لاحد قسس البروتستنت في خطبة له في احدى سياحاته ان الجمهورية والمذهب البروتستنتي على اتفاق تام لانهما لا يرهبان تحكيم العقل ويطلقان الحرية للنقد في اهم الشؤون

اما المسلمون فانهم رغبة في الخلاص من تلك الاختلافات العديدة التي نشأت عن اختلافهم في التفسير والنقل طرقوا سبيلاً آخر غير اثبات العصمة لرئيسهم الاعلى وذلك لان مبدأ العصمة لا ينطبق على روح شريعتهم السمحة التي من امثالها عندهم قولهم « العصمة لله وحده » . وهذا السبيل الذي طرقوه هو اقفال باب « الاجتهاد » وتحريمه . فكأنّ المسيحيين فضلوا حلّ هذه المسألة حلاً ايجابياً والمسلمين فضلوا حلها حلاً سلبياً

وامامنا الآن كتاب صغير الحجم كبير النفع عنوانه « الانصاف » وموضوعه البحث في ما نحن الآن في صدده اي « التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم » وقد الف هذا الكتاب الامام ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيّد (١) البطليوسي النحوي الذي نشأ في بلنسية بالاندلس وتولى نشره حضرة احمد افندي عمر المحمصاني البيروتي الازهري

(١) سمى كورنيل المؤلف الفرنسوي المشهور ابلغ رواياته « السيد » لان بطلها

وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية ابواب بسط فيها المؤلف اسباب الاختلاف . واتماماً للفائدة نذكر هذه الابواب ونقتطف مثلاً من كل واحد منها

الباب الاول في الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها التاويلات الكثيرة . مثال ذلك الحديث « قصوا الشارب واعفوا اللحى . قال قوم معناه وفروا وكثروا وقال آخرون قصروا وانقصوا . وكلا القولين له شاهد في اللغة »

والباب الثاني في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز . مثال ذلك ما جاء في القرآن « يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم . ومعلوم ان الله تعالى لم ينزل من السماء ملابس تلبس وانما تاويله والله اعلم انه انزل المطر فنبت عنه النبات ثم رعته البهائم فصار صوفاً وشعراً ووبراً على ابدانها ونبت عنه القطن والكتان فاتخذت من ذلك اصناف الملابس فسمي المطر لباساً »

الباب الثالث في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب . مثال ذلك ما جاء في الحديث « السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه . فبنوا من هذا النوع من الآيات والاحاديث مقالة اصلوها على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة وصرحوا بان من اعتقد غير هذا فقد كفر » ولكن غيرهم تصفحوا القرآن فوجدوا فيه « لا يرضى لعباده الكفر » « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وفي ذلك من الدلائل على الاختيار ما فيه . وجاء في الحديث « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وفي ذلك اوضح دليل على اختيار الانسان وتاويل القول الاول

الباب الرابع في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص . مثال ذلك ما جاء في القرآن « ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله . قال قوم ان هذه الآية نزلت عموماً ثم خصصت بقوله صلى الله عليه وسلم : صفح لامتي عما حدثت به نفوسها ما لم تكلم به او تعمل »

الباب الخامس في الخلاف العارض من جهة الرواية والنقل . قال الامام ابو محمد في

حارب العرب في الاندلس فهابوه ولقبوه بهذا اللقب . غير ان بعضهم ظن ان كلمة « السيد » مشتقة من السيادة والحقيقة ان المراد بها « الذئب » لان السِيْد بكسر السين وسكون الياء من اسماء الذئب وكان عرب الاندلس يطلقون هذا الاسم على كل شجاع . وبه سمي جد مؤلف هذا الكتاب كما ترى



الصفحة ١١١ من هذا الكتاب « ومن ظريف الغلط الواقع ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لعلي رضي الله عنه عمامة تسمى السحاب فاجتاز علي رضي الله عنه متعمماً بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان معه : اما رأيتم علياً في السحاب . او نحو هذا من اللفظ . فسمعه بعض المتشيعين لعلي رضي الله عنه فظن انه يريد السحاب المعروفة فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة ان علياً في السحاب الى يومنا هذا »

الباب السابع في الخلاف العارض من قبل النسخ كاختلافهم في هل يجوز ان تنسخ السنة القرآن ام لا وغير ذلك

الباب الثامن في الخلاف العارض من قبل الاباحة كاختلاف الناس في الآذان والتكبير على الجنائز وتكبير التشريق ووجوه القرآت السبع ونحو ذلك

هذه خلاصة هذا الكتاب المفيد فنثني على حضرة ناشره ونتمنى ان يتحف اللغة العربية بغيره من الآثار الاندلسية القديمة

﴿ ريحانة النفوس ﴾

(في انتخاب العروس)

تأليف حضرة الدكتور امين افندي الخوري في المنصورة

لو اتبع كل كتاب الروايات الطريقة التي اتبعها حضرة الفاضل الدكتور امين افندي الخوري في روايته « ريحانة النفوس في انتخاب العروس » لما خلا كثير من الكتب من الفوائد الحقيقية التي لا يأسف الانسان على وقته اذا طالعها . ويسوءنا ان يكون المجال ضيقاً عن تلخيص هذه الرواية الادبية الطيبة لاطلاع القراء على فوائدها . على اننا نكتفي الآن بان نقول انها رواية جديدة الاسلوب والموضوع تتضمن من الفوائد العملية والعلمية والادبية ما لا يجده القارئ في رواية غيرها . منها في ختام الرواية مخاطباً الزوجة الشديدة الغيرة على زوجها لانها تراه في شغل عنها بسواها

« البسي ما كان محبوباً لديه	وامنعي ما النفس منه تشمئز
اجمعي اولاده بين يديه	واشغليه فيهم عمن يعز
لا تلحي بالسؤالات عليه	واريه فيك نفس المستعز
وابعدي الغيرة مها فتكت	بالحشى فهي نذير الابؤس
وانفري منها اذا ما هجمت	كالظبا من اسد مفترس

انت بالحسن وبالبين فقط قد تفوزين لدى ارجائه
احذري ان تركبي متن الشطط ان دعت حال الى اقتائه
وتأني واعلمي ان الغلط يعتري الانسان في امرائه
انما المرأة من قد ادركت قصدها تحت لواء الانس
لا من الغيرة فيها اشتعلت فاضاعت رشدها بالهوس

واما الزوج فانه يخاطبه بابيات منها

تهنا ويشقى عازب في زعمه بحلاوة هي لو يذوق مرائر
عاتب عروسك لا بحضرة تربها ان النساء على النساء ضرائر
من الاوانس ان نصحت بخفية واذا جهرت فانهن نوافر
وامنع بمنزلك الشراب واهله فاذا ابتليت به فانت الخاسر

والرواية كلها على هذا الاسلوب . وقد يكون فيها اشياء نسائية خصوصية لا يستحسن وجودها في كتاب يقع بين ايدي الجنسين ولكن يجوز للطبيب ما لا يجوز لسواه لان ذلك من شؤون وظيفته في المجتمع البشري

﴿ اسرار البلاغة ﴾

تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني

اسرار البلاغة كتاب في علم البيان للامام عبد القاهر الجرجاني « اول من اسس من هذا الفن قواعده واوضح براهينه » كما قال السيد يحيى بن حمزه الحسيني صاحب كتاب الطراز في علوم حقائق الاعجاز . وقد القى جناب العلامة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية هذا الكتاب دروساً في الجامع الازهر ثم عني بتصحيحه ونشره مع حضرة رصيفنا وصديقنا الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامي . وقد قدم حضرة الرصيف لهذا الكتاب مقدمة طويلة قال فيها ما نصه

« لما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي الفيت امام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (اسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لا يوجد في هذه الديار

فاخبرته بان في احد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فخشي على احتضارها وطلبهم فطلبتها من صديقي الحميم العالم الاديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فلبي الطلب . وعلمنا ان نسخة اخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فندبنا بعد طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن جمل الكتاب ما رايناه يستحق التفسير واشرنا الى الخلاف بين النسختين فيما يحتمل صحة الاثنتين »

ومما لا يحتاج الى بيان ان طلبة البيان واساتذته لا يستغنون عن هذا الكتاب الثمين وهو يُطلب من جميع المكاتب ومن ادارة مجلة المنار في العاصمة

وقد نشر حضرة الرصيف الفاضل منشيء المنار في ذيل هذا الكتاب شهادات العلماء والمجلات والجرائد اثباتاً لفضل المنار وفوائده منها قول لدولتلو مختار باشا الغازي وهذا نصه « ان المنار جريدة عارية عن الاعراض الشخصية و بريئة من الموضوعات الفاسدة وان العالم الاسلامي يفتخر بوجودها » فنحن ندعو لرصيفتنا المفيدة بكل توفيق ونهنئها بما نالته من الاقبال والنجاح

﴿ الدنيا في باريز . وقاموس الجغرافية القديمة ﴾

لمؤلفها جناب عزتلو احمد بك زكي

لما زار حضرة الكاتب العامل عزتلو احمد زكي بك السكرتير الثاني لمجلس النظار معرض باريز منذ عامين وضع كتاباً وصف فيه جزئيات هذا المعرض وكلياته وصفاً دقيقاً مقروناً برسوم عديدة وسماه « الدنيا في باريز » . وقد تم الآن جمع هذا الكتاب واهدانا حضرة مؤلفه الفاضل نسخة منه فنشكر له هديته وربما نقلنا عنه في فرصة اخرى ما فيه فائدة وفكاهة للقراء . وفي هذا المقام نثني على رصيفنا طبيب العائلة اجمل ثناء لانه تولى نشر هذا الكتاب المفيد

وقد وصلتنا مع « الدنيا في باريز » نسخة اخرى من كتيب عنوانه قاموس الجغرافية القديمة وهو من تاليف جنابه ايضاً وقد طُبع منذ ثلاث سنوات . وقد قال المؤلف في مقدمته « اذا نال هذا الكتاب الصغير من الاقبال ما هو خليق به تشدّدت عزيمتي لابراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعته في هذا الموضوع المفيد » اما موضوع هذا الكتيب

فهو ايراد « الاعلام الجغرافية التي لما ذكر في تواريخ الاقدمين » مثال ذلك قوله في باب الهمزة « الاسكندرية . اكبر ثغور مصر وكان اسمها عند قدماء المصريين راكوتي وعند اليونان راكوتيس وعنهما وافودة في كتب العرب مثل المقريزي وغيره » وقوله في حرف الدال « دجلة . نهر مشهور باسيا ويسمى عند الاشوريين ايديجلات ومن الغريب انه لا يصح وضع ادوات التعريف على اسمه العربي ولكنها واجبة حتماً في اسمه عند الافرنج (له تيكر) ويجوز في العربية تانيثه على اللفظ وتذكيره على نية المعنى »

ومن ذلك يظهر ان هذا الكتاب مفيد جدًا ولكن لجماعة الكتاب والمترجمين دون سواهم فاذا نشر جناب زكي بك قاموسه الكامل الشامل الذي اشار اليه افادهم افادة يحتاجون اليها واراح نفسه مما يعانيه احياناً من اصلاح بعض اغلاط من هذا القبيل في منشورات يوزعها على الجرائد اليومية

﴿ كتاب حريق ميت غمر ﴾ زار حضرة رصيفنا عزتلو محمود بك حسيب صاحب « مجلة المجلات العربية » ميت غمر ووضع كتاباً في الحريق الهائل الذي حدث فيها وتبرع بثمن هذا الكتاب اعانة للمنكوبين فنحن نشكره على هذه الهمة والغيرة في جملة الشاكرين ونحث الادباء على ابتياع هذا الكتاب

﴿ التحفة العامية ﴾ هي كتاب حسن الطبع والتجليد لمؤلفه حضرة شكري افندي الخوري . وموضوعه رواية فكاهية مكتوبة باللغة العامية اللبنانية . ولكن من مزية هذا الكتاب انه ارانا للمرة الاولى وجوه رصفائنا الافاضل في البرازيل لانه تضمن شذرات عن جرائد البرازيل ورسوم اصحابها الذين لهم الفضل في نشر اللغة العربية في تلك الاقطار البعيدة فنشكر لصاحب الكتاب هديته

﴿ انتقام النساء ﴾ هي رواية ادبية لمؤلفها جناب رصيفنا عبده افندي بدران صاحب جريدة الصباح الغراء . وموضوع هذه الرواية بحث فلسفي في حالة التمدن الحالي وسيردفها مؤلفها برواية اخرى في حالة التمدن بعد الفي سنة . فنثني على اجتهاده و براعته

﴿ مجلة الاحكام الشرعية ﴾ مجلة الاحكام الشرعية مجلة قضائية شرعية ادبية يحتاج اليها القضاة والمحامون في القطر وهي لمنشئها جناب الفاضل عزتلو حسن بك حماده المحامي في العاصمة وقيمة اشتراكها ٦٠ غرشاً صاغاً في مصر و٢٠ فرنكاً في الخارج . فنحن نرحب بها وندعو لها بالنجاح

﴿ قانون جمعية الشبان السوريين ﴾ الف بعض الشبان السوريين في ريو دي جنيرو جمعية دعوها « جمعية الشبان السوريين » وغرضها « توحيد كلمة مشتركيها بما يأول لاعلاء شانهم ادبياً ومادياً » فنحن نرحب بهذه الجمعية ونثني على مؤلفيها واعضائها الافاضل ونتمنى ان يزول من اميركا دور النفور والانشقاق بين ابناء الوطن الواحد

﴿ جراب الكردي ﴾ جراب الكردي جريدة هزلية اسبوعية صدرت في نيويورك لصاحبها جناب انطون افندي انسطاسي زريق وقيمة اشتراكها ريالان ونصف فندعو لها بالنجاح

﴿ التيمس المصري ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية تصدر في العاصمة باللغة الانكليزية والعربية لمديرها ومحرر القسم العربي فيها حضرة سالم افندي سيدم تادرس . فنرجو لها الثبات

﴿ كتاب الحساب ﴾ اهدى الينا حضرة عوض افندي خليل ناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق نسخة من الجزء الاول من كتابه في الحساب وهو يحتوي على « مقرر السنة الاولى الابتدائية » فنشكر له هديته

﴿ الدروس الابتدائية ﴾ وضع حضرة سيد افندي محمد مدير المدرسة التحضيرية في العاصمة كتيباً عنوانه « الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية » وهو يشتمل على « مقرر السنة الاولى الابتدائية » فنرجو ان ينتفع الطلبة بهذا الكتاب

آثار الشرق القديمة

مدرسة موسى عليه السلام



هيكل سيتي

وصف التعليم في المدارس المصرية القديمة وعلاقتها بالهياكل وظهور الوحدانية بعد تعدد الآلهة

مما اشتهرت به مصر في الزمن القديم مدارسها التي كانت المدارس المنظمة الاولى التي نشرت في العالم نور المدنية والعلم · ولقد ورد ذكر هذه المدارس في رواية وردة التي وضعها الدكتور جورج ايبرس المستشرق الالماني الشهير ووعدنا القراء بتلخيصها في بعض الاجزاء السابقة · فانجازاً للوعد نذكر ما ورد في هذه القصة المفيدة عن مدرسة بيت سيتي التي يقول المؤلف ان موسى الكليم نبي بني اسرائيل قد ربي وثقف فيها · وقد استخرج المؤلف هذه الفوائد من الآثار القديمة واوراق البردي

وكانت المدارس في ذلك الزمن مقرونة بالهياكل كما يقرنها المعاصرون اليوم بالكنائس والجوامع · وقد بدأ المؤلف قصته بوصف بيت سيتي (هيكل القرنة) لان اهم حوادث الرواية مبنية على رئيس الكهنة الذي يقيم في هذا الهيكل · وكان هذا الهيكل اعظم هياكل طيبة في زمن هذه القصة اي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد · وقد شرع في بنائه رعمسيس الاول واتمه سيتي الاول فسمي باسمه

« وقد خصص الملك مرتبات وافرة من المال لهذا الهيكل والمدرسة الكبرى والمدارس العديدة الصغرى التابعة له وانصرفت العناية الى انشاء هذه المدارس على مثال مدارس هيلوبوليس (١) ومنفيس لمنافستها في ميادين العلوم والمعارف حتى تفوق طيبة التي جعلت وقتئذ عاصمة مصر العليا (الصعيد) شأناً ومدائن مصر السفلى (الوجه البحري) التي كانت في ذلك العهد مركز دائرة العلوم ومنبعث انوار العرفان »

وكانت المدارس التابعة لبيت سيتي تمتاز « بوجود مدرسة عالية فيها يتلقى فيها نجباء

---

(١) عين شمس وهي قرب القاهرة

الطلاب علوم الدين والطب والحقوق والرياضة والفلك والنحو الخ على علماء تضلعوا في هذه الفنون » وكان عدد التلامذة في كل مدرسة مائة تلميذ « ولا يُقبل فيها غير ابناء الوطن الاحرار بلا فارق بين غني وفقير او عزيز وحقير على شرط ان يدفع اهلهم او اولياء امرهم مبلغاً محدوداً في مقابل ما يتناولونه من الغذاء · وكان التلامذة الداخلية من ابناء الاكابر والاعيان يقيمون في مكان مخصوص حيث يكونون تحت مراقبة الكهنة · وكان التلامذة يعاقبون بالضرب بالعصي حيث كانت هذه العقوبة شائعة في المدارس كما يدل عليه المثل السائر في ذلك العهد « ان آذان التلامذة في ظهورهم فهم لا يسمعون الا اذا ضُربوا »

« وكان يوجد عدا هذه المدارس مدارس الفنون والصنائع التي كان الطلاب يتلقون فيها ما يلزم من العلوم لتخريج مهندسي العمارات والنقاشين والمصورين · ونظام التعليم فيها هو بذاته في الاولى اي ان التلميذ يختار المعلم الذي يامل بالتلقي عنه الوصول الى ذروة التقدم والنجاح · وكان يبلغ عدد الاساتذة كلها ٨٠٠ استاذ تخرجوا باجمعهم من بيت سيتي وينقسمون الى خمس درجات ويرجعون في امورهم الى ثلاثة رؤساء يسمون (الانبياء) وكان اول هؤلاء الانبياء مرتبة وارقاهم درجة في العلوم والفنون رئيس كهنة بيت سيتي وكبير قسوسها »

اما بيت سيتي نفسه فقد كان بناء وطيد الجدران يصل الانسان اليه من طريق قويم آخذ من ضفة النيل الى باب السور المحيط به · فاذا دخل من هذا الباب وجد نفسه في فناء واسع يحيط به من الجهات الاربع صفان متوازيان من الاعمدة الضخمة · وشاهد امامه حيال الباب الذي دخل منه باباً آخر صرف المهندسون حذقهم في تنسيقه وتنميقه · والى جانبه هرمان ناقصان قد زادا في جمال المنظر وبهجة المنظر · وهذا الباب يوصل الى فناء ثان يشبه الاول في اتساعه وشكله لكنه لا يوجد به سوى صف واحد من الاعمدة في الجهة المقابلة للمدخل الذي اتينا على وصفه »

« وكان يوجد خلف بيت سيتي منازل كبيرة اشبه في شكلها بالمكعب مبنية بالطوب النيء المتخذ من طمي النيل ومطلية من الخارج بطبقة من الجير قد رسمت عليها الصور والنقوش الهيروغليفية · وتلك المنازل كانت معدة لاقامة الكهنة والعلماء المدرسين · وكان نظامها الهندسي من الداخل واحداً لاحتوائها على فناء تحيط به عشاة طويلة من الخشب توصله الى حجرات الاساتذة وفي وسط الفناء نافورة ينبط منها الماء على الدوام في حوض تحيط به شجيرات الازهار وتنصرف منه المياه في مسارب متعددة حتى لا تبقى فيها آسنة ·

اما الطلاب فكانوا يقيمون في الطبقة العليا من هذه المساكن ويتلقون الدروس في فناء غير هذا الذي وصفناه جالسين فوق حصيرة مبسوطة على الارض »

« وكان مسكن كبير الانبياء الثلاثة ورئيس كهنة بيت سيتي قائماً على مسافة مائة خطوة خلف هذا البيت تكتنفه من الجانبين اشجار ذات ظلال وكان يعرفه القصاد من بعيد بالاعلام الكثيرة التي تخفق فوق سطوحه وكان الانبياء لا يقصدونه الا لاداء الواجبات المفروضة عليهم نحو النبي الاكبر ثم ينصرفون الى طيبة الاحياء حيث يسكنون في منازل خاصة بهم مع عائلاتهم »

اما حجرة رئيس الكهنة في هذا الهيكل فاليك وصفها « كانت هذه الحجرة من اوسع حجرات الهيكل واحسنها شكلاً حيث كان نصفها الاسفل الى ما يوازي ارتفاع القامة مكسوّاً بمربعات من الخزف والباقي مزيناً بالصور والنقوش العجيبة وكان لا يوجد بها من المتاع سوى مائدة كبيرة وسرير للاضطجاع عليه متكأ من سن الفيل مصنوع على شكل الهلال وفروة فهد ومقعد صغير وكراسي عديدة وخزانة فيها اوان من معدن وقدور من صلصال واخرى تحتوي على قنينات وقوارير من زجاج وغير ذلك من العلب المختلفة الاشكال والاقدار وكثير من محار البحر · يضيء هذا كله ثلاثة مصابيح مملوءة بزيت الخروع تشبه الطيور في صورتها »

واما لباس رئيس الكهنة فاليك صفته « كان لباس الرئيس ثوباً من النيل ناصع البياض كثير الثنيات سابلاً الى كاحل القدم عليه وشاح ذو اهداب مسترسلة يحيط بخاصرته معقود من الامام في نقطة ينسدل منها طرفاه الى ما يوازي الركبتين وتتماسك اجزاء هذا الثوب الكهنوتي بحمائل من القصب · وكان بعنقه عقد من اللؤلؤ والاحجار الكريمة على شكل قضيبين من سعف النخل متقاطعين من اسفل وبمعصميه دملجان عريضان من الذهب الابريز »

اما المعبد في هيكل سيتي فقد ورد وصفه في الاسطر التالية « وكان المدخل الاكبر للهيكل مفتح الابواب بحيث يرى الواقف امامه ما يليه من فناء المذبح المبلط بالمرمر الصقيل وحوله ثلاثة صفوف متوازية من الاعمدة الضخمة الراسخة على قواعدها المتينة فينبهر من تناسق النقوش التي غطيت بها الجدران والافاريز والاعمدة وتيجانها وما جمعت من جمال المنظر وحسن النظام ويرى في وسط ذلك الفناء مذبح القرابين وحوله المباخر المعدة لاحراق كرات الريني (نوع من البخور) تسطع منها الروائح العطرة فتملاء رحب المكان



﴿ تماثيل بعض الفراعنة منقوشة على جدار في هيكل سيتي ﴾

وتستحيل من يستنشقها الى سنة من النوم »

« وكان الاهالي يجهلون ما يقع بداخل الهيا كل من الرسوم الدينية لانها كانت محاطة باسوار عالية فيها ابواب لا تفتح الا للكهان ساعة خروجهم الى الخلوات جماعات متتابعات في وقت شروق الشمس وغروبها للتغني بالاناشيد الدينية تعظيماً وتبجيلاً للالهين هوروس وطوم (١) »

« وكان كثيرون من كهان بيت سيتي يزاولون حرفة الطب لانهم بعد اتمام الدراسة في هذا البيت واحرازهم رتبة الكاهن او درجة العالم كان من يريدون منهم النبوغ في علوم الطب يذهبون الى مدينة هليو بوليس (عين الشمس) حيث كانت توجد اقدم واكبر مدرسة طبية في الديار المصرية » وبعد اتمامهم دروسهم في هذه المدرسة الكبرى يعودون الى طيبة ويقيمون فيها « تابعين لنظام الكهنوت بمعنى انه اذا مست الحاجة الى طبيب فلا يطلبه الراغبون من منزله بل من هيكل سيتي حيث يقابلون رئيس الاطباء ويخبرونه باسم المريض ويصفون له اعراض مرضه فيرشدهم الى الطبيب المنقطع لملاجه »

ذلك ان كل واحد من الاطباء المصريين القدماء كان ينقطع الى فن واحد من فنون الطب كالجراحة مثلاً او امراض العيون او غير ذلك ليبرع فيه براعة تامة . « وكان الاطباء كالكهنة يعيشون من ايرادات الاملاك الموقوفة للهياكل والضرائب المفروضة برسمهم على الاهالي والنذور التي يقدمونها الى الآلهة ولذا كانوا لا يقبلون من احد جزاء (اي اجرة) مقابل علاجهم لمرضه لان المريض كان اذا شفي من الاسقام التي اصابته بعث بالنذور والهدايا الكثيرة الى الهيكل الذي ينتمي اليه الطبيب الذي نجح في معالجته . وكان من العقائد الراسخة في اذهان العامة وقتئذ ان الشفاء من المرض يتوقف على النذور والقرابين اكثر منه على مهارة الطبيب . ومن الحقائق المقررة في التاريخ ان قدماء المصريين بلغوا في المعارف الطبية شأواً بعيداً »

اما التلامذة في بيت سيتي فانهم بعد نيلهم « مرتبة عالم فقيه او كاتب نبيه لم ان يتفرغوا للكسب بمعلوماتهم وكانت لهم في المدرسة دار للكتب عظيمة الاتساع بها الوف من

---

(١) يشبه قدماء المصريين حياة الانسان بالشمس في مسيرها فشروقها رمز الطفولية وتسمى فيه (هوروس) وبلوغها الاوج رمز الفتوة والشباب وتسمى عنده (را) وافولها رمز الشيخوخة والهرم وتسمى فيه طوم) (حاشية المعرب)



﴿ احد جدران الهيكل الداخلية ﴾

المؤلفات النفيسة المكتوبة بخط اليد يرتبط بها معمل لصناعة ورق البردي (الذي كان يكتب عليه المصريون يومئذ) وكان البعض منهم تُناط به ادارة المدارس الملحقة بتلك المدرسة العليا »

وكل هذه القصة التاريخية الجميلة مبنية على المسألة الدينية . فان رئيس كهنة بيت سيتي الذي كان في قبضته السلطان الديني الاعلى كان شديد الحفظ للتقاليد الدينية حتى

انه اجترأ على طرد ابنة رعمسيس من هيكل سيتي لانها رامت الدخول اليه وهي نجسة . وما الذي كان سبباً في نجاستها ؟ السبب هو انها بينما كانت قرب طيبة تسوق خيلاً جاءتها من الشام واذ داستْ الخيل ابنة احد دافني الموتى . فذهبت ابنة فرعون الى كوخ هذه الفتاة لتتفقدها وتعزيها . فمنذ ذلك الحين اصبحت نجسة لمخالطتها دافني الموتى . ولما جاءت هيكل سيتي طردها رئيس الكهنة بقوله على لسان المؤلف « اعلمي يا بنت اناث ان القصور الباذخة التي شادها والدك ونضد ابنيتها على اجمل هندام انما هي قائمة على اعناق افراد الامة المصرية فاذا فككتِ عقال التقاليد القديمة التي تربط هؤلاء الافراد فلا مناص من القنازل والتدابير المفضيين بلا ريب الى تداعي تلك الجدران »

اما الشاعر بنطاؤر تلميذ رئيس الكهنة فانه قال له « ان الاله (را) الذي يجوب السموات العلى في زورقه الذهبي يبعث اشعته الشمسية الى اكواخ الفقراء كما يبعثها الى قصور الفراعنة ودور الاغنياء بلا فارق ولا تمييز فلماذا تكون بيوت هؤلاء مطهرة واكواخ اولئك مدنسة »

فاجاب رئيس الكهنة « الا تدري ان العلم يشبه النار . اذا وجدت يد من يحسن تدبيرها والتصرف فيها نفعته واذا وجدت يد طفل — والشعب يبقى دائماً في دور الطفولية — احدثت حريقاً يلتهم كل ما شُيد في الازمان الغابرة من جليل الآثار وحميد الفعال . وقد كانت جذوة النار التي اوردتُ لك ذكرها على سبيل المجاز موجودة بين جدران من النحاس يمرّ الشعب من جانبها بدون علم بها . اما اليوم فقد رايتُ ثلمة في هذه الجدران . ونحن نستنزل اللعنات على الكهان الذين يزيدون تلك الثلمة اتساعاً »

ولكن هذه الثلمة لم تلبث ان زادت اتساعاً لان العقل البشري كالبخار اذا ضغطته وزدتَ الضغط فجر الآلة وكسرها تكسيرًا ولذلك لم يلبث ان قام من قدماء المصريين نشأة جديدة نبذت عبادة الآلهة المتعددة كالشمس والكلاب والسمك والقطط والعجول وعرفت الاله الواحد . وكان الشاعر بنطاؤر الذي تقدم ذكره من تلك النشأة الجديدة . وفي ذلك يقول المؤلف قبل ختام القصة في فصل عنوانه « اين يجد المرء ربه » ما ملخصه

وقف بنطاوور بعد خلاصه من الاسر على هضبة ضيقة امام جبل سيناء قبل شروق الفجر فراى « بريق الكواكب الساطع يبهت شيئاً فشيئاً تلاشياً وتغانياً امام ضوء الفجر المنبلج » وما زال الليل يولي الادبار حتى سطع النهار وارتسمت في العيون قمات تلك الجبال تنتصب فوقها السحب كدخان يتصاعد من بورة النار » « ولم يكن بها من دلائل الحياة

غير نسر كان يحلق بجناحيه العريضين حول بنطاور وهو يتامل في عجائب الخليقة واسرار الكائنات من تلك القمة العالية » ثم « هب نسيم لطيف انقشع بسببه الضباب الذي كان كحجاب يحجب النظر عن روءية الوادي وانبعثت اشعة الشمس من وراء الافق فكللت هام جبل سيناء بتاج من الذهب » فصاح حينئذ بنطاؤر : انت الواحد الاحد انت الواحد الاحد

ثم التفت فابصر وراءه شيخًا طويل اللحية جليل المنظر فقال له « لقد عرفتك فانت ميسو (١) وسبب معرفتي لك انني كنت طفلاً في (بيت سيتي) اتلقى المبادىء حينما تخرجت انت منه نابغًا في العلوم والمعارف . وقد اطلعني اميني (رئيس الكهنة في بيت سيتي) كما اطلعك على سر الاعتقاد بوجود اله واحد . فقال ميسو وقد نظر بعين التامل والاعجاب الى الافق الذي كان يزداد سطوعًا من جهة الشرق : اما اميني فلا يعرف من الاحدية شيئًا » وعند ذلك برزت الشمس من وراء حجاب الافق « فاول حركة بدرت من بنطاور (بطل الرواية) (٢) ان استقبلها بوجهه وبدأ في الصلاة. فلما انتهى منها شاهد ميسو يصلي ايضًا غير انه كان مستقبلاً الغرب ومستديرًا الشرق . فلما اتى على آخر صلاته ساله لم استدبرت وجه الشمس ونحن انما قد تعلمنا كلانا في المدرسة وجوب استقباله بمجرد اشراقه . فقال ميسو : اني اعبد الهًا غير ما تعبد . الشمس والكواكب مسخرات لامره . فقال بنطاور ارشدني الى طريق هذا الاله القادر . فقال ميسو : ابحث عنه تجده لانك كابدت الآلام وقاسيت مشاق المتربة . واعلم انه تجلى لي في مكان مثل هذا وفي صبيحة يوم كهذه — قال هذا وذهب في سبيله »

---

(١) ميسو هو موسى باللغة المصرية القديمة . وحوادث هذه القصة حدثت في عهد رعمسيس الثاني الملقب بالكبير (سيزوستريس) وكان موسى معاصرًا له فيما يقال وفي عهد خلفه خرج الاسرائيليون من مصر على ما هو مشهور

(٢) كان الشاعر بنطاور من شعراء الملك رعمسيس حقيقة وقد نشرنا كتابًا بشانه في الجزء الاول من السنة الثالثة الصفحة ..

باب تدبير الصحة

ننشر في هذا الباب بعض الفوائد والشذرات الصحية والبيتية التي تهم القراء والقارئات مما يتعلق بحفظ الصحة وتدبير شؤون المنزل

﴿ شراب لذيذ مقوٍّ لضعفاء الاجسام ﴾

ضع في اناء ٣٠٠ غرام من مح البيض (صفاره) و٦٠ غراماً من الماء ثم امزجها معاً مزجاً شديداً وبعد ذلك اضف اليها ٣٠٠ غرام من الغليسرين و١٠ غرامات من ماء لوريه سريز و١٨٠ غراماً من السكر و١٢ غراماً من كلوريد الصوديوم وامزج هذه المواد كلها مزجاً جيداً بغير نار فيكون لك منها شراب لذيذ مقوٍّ للناقهين وللمصابين بفقر الدم والضعف العصبي والسل وتكون كل ملعقة منه بقدر ملاعق الطعام الاعتيادية مشتملة على ٥٥ في المائة من الليسيتين الذي لا تخفى فائدته في مداواة الامراض التي تقدم ذكرها

﴿ القهوة وطعمها ﴾

اذا صنعت ربة البيت القهوة من ماء غير مقطر وصنعتها من ماء مقطر كانت القهوة المصنوعة من ماء مقطر الذّ طعماً واذكى نكهة لان الكربونات الترابية التي تكون في الماء قبل التقطير تضعف نكهة القهوة . وكذلك الحال في البيرة (الجعة) ولذلك يقطرون الماء الذي يستعملونه لها

﴿ طريقة بسيطة لمداواة الصداع ﴾

كثيراً ما يتسلط الصداع على الانسان ولا يكون له من سبب غير رطوبة القدمين . فالطريقة لازالة الصداع في هذه الحالة وضع عدة ملاعق من مسحوق الخردل في الحذاء او في الجرابات « الكلسات » قبل لبسها في القدمين

﴿ حفظ الزبدة ﴾

ضعي الزبدة في اوعية ضيقة الفم لكي لا تكون كثيرة التعرض للهواء . وفي الصيف

ضعي وعاء الزبدة في ماء بئر بارد لكي لا تسيل . ولا تضعي الزبدة بجانب مواد رائحتها غير طيبة لان الزبدة سريعة الامتصاص للروائح التي تعرض لها

﴿ طريقة بسيطة لتسكين غيظ ابنة صغيرة ﴾

اذا اغتاظت فتاة صغيرة ولم تعد تترك البكاء فلاسكاتها طريقة بسيطة وهي ان تلبسها امها اجمل حلة عندها فتنبسط نفسها من تاثير حلتها (فسطانها) وتترك البكاء . وربما كانت هذه الطريقة غير مختصة بالصغيرات فقط ...

﴿ تعطير ورق المراسلات ﴾

لذلك عدة طرق . منها وضع الورق في خزائن السيدات بازاء علبهن الجميلة فيتعطر من رائحتها . ومنها رش ورق « النشاش » بشيء من الطيوب ومتى وُضع على الورق اعاره شيئاً من ريحه الطيب

﴿ البيض وفساد طعمه ﴾

ثبت ان الدجاج التي لا تتغذى الا من اللحم يكون بيضها كبيراً ولكنه ذو طعم ردىء . واما حفظ البيض فطريقته غمسه في محلول الكلس « الجير » الا ان الجير قد ينفذ الى داخل البيضة ويفسد طعمها فحذراً من ذلك امزجه بملح الطعام على نسبة ٦ اجزاء منه في مائة جزء من الجير

﴿ طريقة فعالة لشفاء الحرق ﴾

اذا احترقت يدك فضع على موضع الحرق خرقة مبلولة بالمزيج التالي : عشرة غرامات من حامض البيكريك في الف غرام من الماء . فيخف الالم في الحال وبعد ذلك يشفى الجرح دون ان ينتفخ . وقد تنجع في ذلك كلورات البوتاسا ايضاً ولكن حامض البيكريك اشد فعلاً . واذا اصفر موضع الحرق من هذا الحامض فازل اصفراره بكربونات الليتين . وهذا الدواء فعال ولا مثيل لتاثيره كما قال الطبيب الذي جربه

عقد الصلح

الانسانية تكلل البوير في شخص الجنرال دلاري



احسن رسم مثلت به جرائد العالم عقد الصلح بين الانكليز والبوير الرسم الذي طبعنا في هذا الفصل · ففيه الترنسفال ممثلة في شخص الجنرال ديلاري الذي اظهر في آخر الحرب دهاء غريباً · والانسانية ممثلة في شخص عذراء وهي تمدّ يدها لتكلل تلك الامة الصغيرة الباسلة جزاء لما ظهر منها من البسالة في الدفاع عن وطنها وعن حريتها حتى انها تكاد تكون الغالبة في نظر الناس مع انها مغلوبة

اما شروط عقد الصلح فخلاصتها ان الحكومة الانكليزية تدفع للبوير ثلاثة ملايين جنيه لاعادة بناء مزارعهم وتعدم بانشاء حكومة نيابية لهم يحكمون بها انفسهم تحت سلطة جلالة الملك ادوارد السابع ملكهم · والعفو عن جميع الذين اشتركوا في هذه الحرب من الاورانجيين والترانسفاليين اذا رضوا بشروط الصلح والاذن لهم بالعودة الى بلادهم · واما الهولانديون من رعايا الكاب والناتال الذين شاركوا البوير في الحرب وحملوا السلاح ضد حكومتهم (الحكومة الانكليزية) فانهم يُحاكمون متى سلّموا ولكن لا يُحكم عليهم

بالاعدام بل بالتجريد من حقوقهم المدنية فقط واذا لم يسلموا يُحاكمون كخائنين للمملكة

ولقد عمّ الفرح انكلترا والعالم اجمع لهذا الصلح الشريف للفريقين · وبلغ عدد المسلّمين من البوير ١٨ الفاً · وبدأت روابط الوداد بينهم وبين الانكليز كما اشارت الى ذلك التلغرافات العمومية

فنحن نحمد الله تعالى لحقن الدماء في جنوبي افريقيا · ويحق لكل عاقل الثناء على جلالة الملك ادوارد السابع لان عقد الصلح يُنسب اليه وذلك لرغبته في ان لا يُسفك دم في يوم تتويجه الذي أُجل الى فرصة اخرى لما ألمّ به من المرض · شفاه الله تعالى

مراسلات بين بنات شرقيات

﴿ لا يقرأها احد غير القارئات ﴾

صورة كلمنة وصورة سليمة · الجمال لا ينفع كثيراً ولا يدوم طويلاً · اقمار الارض وقمر السماء في ليلة فوق حديقة · مثال للكمال والجمال غير كامل · تحت جوزة في حصرون · النشاط اللبناني والحكمة في فم طفلة لبنانية · العمدة في الحياة الاستعداد لواجبات الحياة

عزيزتي وتلميذتي كلمنة

كتب اليّ حضرة والدكِ العزيز يستشيرني في امر مختص بكِ وبمستقبلكِ وبعث اليّ في ضمن كتابه بصورة الكتابين اللذين دارا بينك وبين صديقتك سليمة في مصر · وقد سألني ان لا اخبركِ شيئاً عن هذين الكتابين لانه اخذهما من خزائنك على غير علم منكِ · اما انا فقد رايتُ من واجباتي كمعلمتك ورئيستك ان اكتب اليك بهذا الشان

ما هذه الافكار السوداء يا كلمنة ولماذا هذا الضجر من الحياة · اعلمي ان ضجرك هذا شبيه بجبانة الجندي في ساحة القتال · ذلك ايتها العزيزة ان كل انسان في هذه الحياة كجندي مرسل للقيام بواجباته فيها · فالضعفاء والجبناء يتأففون ويشكون من مصاعب الحياة ومن سآمتها والاقوياء الشجعان يشكرون الله عليها كيفما كانت ويبذلون جهدهم لاتمام الواجبات التي عليهم فيها سواء كانت صغيرة او كبيرة صعبة او سهلة · وكل الناس متساوون في ذلك : الكبير والصغير

ولقد رايت في كتابك وكتاب المدموازل سليمه صورتين متباينتين للبنات · الواحدة

موجودة في كل مكان . وهي صورتها . والثانية غير موجودة على ما اظن الا في نفسك ياعزيزتي . وهي صورتك . ولا أكتمك انني افضل صورتك على صورة صليحه لانها اقرب الى الواجبات وحقيقة الحياة

فالمدموازل رفيقتكِ مصابة بالداء الذي قلما تسلم منه فتاة في هذا الزمان وهو داء التزويق والتمنيق . ولذلك لا ترى في الحياة موجباً للشكوى ما دام فيها انسجة جميلة وخياطات ماهرات وقبعات فاخرة ومتنزهات وشوارع تزينها السيدات بحضورهن الكريم . فانا اشفق على الفتاة التي تكون كهذه الفتاة . اشفق عليها لا لانها رديئة بالطبع معاذ الله فانني اعتقد انه لا يمكن ان يكون بيننا نحن الجنس اللطيف واحدة رديئة بالطبع غير ميالة الا للخفخفة والشنشنة . وانما اشفق عليها لانها تائهة عن الطريق القويمة . نعم ان الجمال نعمة في النساء وهو هو الذي ينشر السناء والبهاء في الارض حوله كما تنشر الشمس ضياءها وحرارتها المنعشة . ولكن الجمال ليس كل شيء في هذه الحياة ياعزيزتي بل هنالك معيشة مملوءة بالمصاعب يجب الاستعداد لها . الجمال كزهرة موضوعة على المائدة يشمها الانسان حيناً بعد حين ويعجب برونقها وشكلها . ولكن هل رايتِ احداً يشم الازهار دائماً . فلتدع رفيقتكِ هذه الاوهام الصبيانية ولتعلم ان جمالها لا يفيدها كثيراً في هذه الدنيا . بل ان الجمال كثيراً ما كان مضراً . وقد قصدت هنا بالجمال الجمال الذي يحبه الناس في هذا الزمان اي جمال الوجه والقامة والملابس والتزويق والتمنيق . ولم اقصد به الجمال الحقيقي الذي يدوم في السيدات ولا يزيده مرور الوقت عليه الا حسناً ورواء واعني به جمال النفس فانني اذا تكلمت عن هذا الجمال لم اجد احداً يفهم كلامي

آه يا عزيزتي . كنتُ بالامس في سهرة جمعتْ عدة من السيدات . وكنا في قاعة جميلة مطلة على حديقة تتلاعب فيها الاغصان على خرير الماء بين ايدي النسيم البليل والقمر يطلع تماماً من وراء الجبال في خلال الاشجار على وجوه الحسان الواقفات في النوافذ ومن يضحكن له او منه كانهن ذكرن بيت الشاعر العربي « وجه المليح يطلّ من شباك » ولعل سبب ضحكهن افتكارهن بان ذلك الشاعر لو وقف متاملاً في ذلك القمر السماوي والاقمار الارضية التي كانت امامه لاحتار على اي منها يطلق بيته وفي ايها يقول شعره . وكنتُ في هذا الاسبوع قد فارقت شقيقة بعد شقيقة فكانت نفسي منجذبة بالاكثر الى اقمار الارض فاخذتُ أتامل فيها في هدوء ذلك الليل على نور شقيقها السماوي . وكانت اشعة هذا الشقيق البعيد تقع على حللهن الجميلة اللامعة وحلاهنّ الثمينة فتتكسر عليها تكسراً يبهر النظر . ولكن اجمل

ما كان في ذلك التكسر تكسر تلك الامواج النورية على مباسمهن الوردية · فكان يخيل لي حين رؤية تلك الافواه الغانية الصغيرة تنفتح قليلاً لاستنشاق نسيم الليل البليل او للابتسام لتلك الطبيعة الهادئة الصافية في تلك الساعة ان السماء والارض كلها تنظر في ذلك الحين لتلك البسمات السماوية وان القمر اكد لونه خجلاً منها وتستر بسحابة رقيقة ليخفي خجله · على انني لا اعلم اذا كانت السحابة هي التي سترته او هو الذي استتر بها ولكن اذا كانت هي التي سترته فان ذلك منها بمثابة تهكم جارح كانها تقول له بذلك : « استتر ففي ارضنا اقمار اجمل منك » وما ذلك الا لان هذه السحابة المتهكمة رامت الانتقام من نوره لانه كان كلما داعبها في اعالي الجو يعيرها دائماً بقوله انه سماوي وانها ارضية · ذلك لانها ماخوذة من ماء الارض · فلما خطر لي هذا التصور قلت ان الحق في جانب السحابة · والتفتُّ لتاكيد رايي فابصرت واحدة من الحسان تشير بفتور وتكاسل الى نجم ساطع في السماء كانها تشير الى ماسة في شعرها · وواحدة تقول وهي باسمة : لقد حرد القمر منا · واخرى تشير الى الحديقة وتقول : ما اطيب النوم على بساط في وسطها في هذه الساعة · واخرى تفرك عينيها الدعجاوين الفاترتين وتقول انظروا ان كل هذا العالم يضيء لنا · فتمثل لي حينئذ ان اولئك الحسان الواقفات بازاء الطبيعة تلك الوقفة هنَّ ملكات الطبيعة وسيداتها · وان كل ما في الطبيعة من جمال وحسن وجلال لم يُخلق الا لهنَّ ولم يشتقَّ الا منهن · وحينئذ ظهر لي انهنَّ مثال الجمال والكمال في هذا العالم

وفي الحقيقة انهن كن كذلك · ولكن وا اسفاه في الظاهر فقط · ذلك ان هؤلاء الملكات اهملن المملكة الحقيقية التي هي النفس وصرفن اهتمامهن الى المملكة الوهمية التي هي الجسد · فكل زينة للجسد وكل حلة للجسد وكل جوهرة للجسد · واما النفس فلا زينة ولا جوهرة ولا حلة لها · ولذلك كان جمالهن وا اسفاه ناقصاً · ومن سوء الحظ انه ناقص افضل قسميه واحسن جزئيه · فليت السيدات يهتممن بتزيين النفس نصف اهتمامهن بتزيين الجسد

ومثلك يا عزيزتي لا يُشرح لها ما هي النفس وما معنى زينتها · فانك تعلمين ذلك بل تشعرين به « في نفسك » ولكن لا باس بان اذكر لك قصة صغيرة في هذا الموضوع لانني احب اطلاعك عليها · فانني في العام الماضي كنتُ في الحدث فرمت السفر الى الارز للاقامة بضعة ايام في ذلك المكان البديع فلما وصلت في سفري الى حصرون استوقفت المكاري ورفيقاتي وجلسنا نستريح هنيهة تحت ظل جوزة مشرفة على الاماكن التي كانت

حولنا . وكانت امامنا اهدن يغطيها ضبابها الاعتيادي وعن شمالنا الحدث على راية عالية وعن يميننا سور الجبال الشامخة الذي يكتنف الارز على شكل نصف دائرة تقريباً وتحت اقدامنا نهر ابي علي يجري في واد عميق بهدير يحكي هدير بحر عظيم . وبينا نحن نمتع النظر بهذه المشاهد التي يصعدنا عليها سكان سو يسرة انفسهم واذا بابنتين صغيرتين وفتى صغير مروا بنا وفي ايديهم كتب صغيرة . وكان الفتى يسير بين الابنتين وقامته اكثر قصراً منهما فذكرت قصة « لنا » المشهورة . ثم احببت ممازحة هذه المخلوقات الطاهرة الجميلة التي لم تعرف بعد شيئاً من متاعب الحياة وشرورها فاستوقفتهم وسألتهم الى اين انتم ذاهبون . فاجاب الفتى وهو اجرأهم بالطبع « الى المدرسة » فنظرت في وجهه وفي وجه رفيقتيه وكان عمر اكبرهم لا يتجاوز عشر سنوات فرأيت في جباههم العالية وخدودهم الموردة واعضائهم المفتولة دلائل الانفة والنشاط والصحة اللبنانية . وكان بينهم ابنة شقراء اللون حمراء الخد الى درجة لو حلت بناتنا ونساؤنا وجناتهن بالقم لما جاءت حمرتهن الصناعية مشبهة لحمرتها الطبيعية . فقلت في نفسي تبارك الخالق العظيم وانشدت مع الشاعر : « وفي البداوة حسن غير مجلوب » وخطر لي حينئذ ما قيل من ان الهواء الذي يربي اجساماً كتلك الاجسام لا يبعد ان ينشيء امة كبيرة اذا اهتم بها حكامها ورؤساؤها الاهتمام الواجب وساعدتها الاحوال

ثم انني التفت الى الفتى وسألته : ما في يدك . فاجاب كتاب ديني . قلت هل تتعلم التعليم المسيحي . قال نعم . فسألته وانا اضحك من سؤالي كم شيئاً في الانسان . فبدت حينئذ الدهشة في وجهه والتفت الى رفيقتيه . اما رفيقاتي فاخذن يضحكن من هيئته « المسخنة » فالتفتُّ الى الابنة التي كانت تظهر لي اكثر نباهة وسألتها اتعرفين انتِ كم شيئاً في الانسان . فاجابت نعم : فيه شيئان نفس وجسد . فبلغت مني حينئذ الدهشة مبلغها . فسألتها واين النفس واين الجسد . فاجابت اما الجسد فهذا واشارت الى ذراعها وصدرها واما النفس ففي داخله . فقلت لها ودهشتي زائدة : هل لديك علامة تعرفين بها الاشياء التي تخص النفس والاشياء التي تخص الجسد . فاجابت ضاحكة : نعم . فانني اذا عملتُ شيئاً وسررتُ به لذاتي فانه يكون تابعاً لجسدي واذا عملتُ شيئاً يسرُّ سواي وينفعه فانه يكون تابعاً لنفسي

فالتفت حينئذ الى ما حولي لارى اين انا ؟ اعلى جبل سيناء حيث نزلت الحكمة الاولى ام على جبل الزيتون حيث نزلت الحكمة الثانية . ذلك لان كلمة هذه الفتاة البسيطة

مشتقة من اسمى اصول الحكمة والفلسفة . غير اني لم اجد نفسي وا اسفاه الا تحت جوزة في اعالي لبنان . فاخذت الفتاة بين ذراعي واوسعتها تقبيلاً ولكني كنت متحققة انها حفظت تلك الالفاظ حفظاً كما تحفظها الببغاء من غير ان تعرف حقيقة معناها

وحقيقة معناها ان اعظم فضيلة من فضائل النفس وادل عاطفة عليها هي « الايثار » اي تفضيل الانسان غيره على نفسه من بعض الوجوه والرغبة في خدمته ونفعه . وهذه الفضيلة هي مقياس مدنية الشعوب والافراد على حد سواء . فالشعب المرتقي ارتقاءً حقيقياً يكون الايثار عنده في اسمى مظاهره والفرد الكامل التهذيب والمدنية يُعرف من رغبته في خدمة غيره وحبه نفع بني جنسه . فاعظم صفة للانسان على هذه الارض ذكرًا وانق هي ان يخدم غيره ويعمل لنفعه واحط صفة له هو ان يقصر همه واهتمامه على نفسه . تاملي هل لولا انكار الام والاب ذاتهما لايثار ولدهما عليهما تقوم العائلة قائمة . وهل لولا انكار الامة ذاتها وخضوعها لمبداء السلطة والهيئة الحاكمة التي تمثل هذا المبدأ يقوم للحكومة نظام او تنتظم فيها هيئة ممدنة . فالايثار الايثار هذا هو النظام الكامل الخاص بالانسان سيد المخلوقات

فانظري الآن ياحبيبتي الى هذه الفضيلة العليا وقابلي بينها وبين كتابك وكتاب رفيقتك . انكما كلتاكما لا تطلبان المعيشة بموجب هذين الكتابين الا لذاتكما . فانتِ تقولين في كتابكِ انكِ قد سئمت من الحياة لانك لا تجدين فيها شيئاً يسرك . كانك ما خُلقتِ الا للسرور فقط . وهي تقول ما احلى الحياة مع الانسجة الجميلة والحلى والحلل والقبعات والسهرات والمتنزهات . كأن المراة لم تخلق الا لتبقى العوبة بين ايدي الخياطات او فرجة لابناء السبيل . كلا ياعزيزتي كلا . المراة ليست فرجة ولا لعبة . المراة هي ذلك المخلوق المقدس الذي براه الله من الطف عنصر والقى على ظهره اثقل الاحمال ليكون فضله كاملاً . وهذه الاحمال هي تربية النسل في الفضيلة والشهامة والاقدام وتخفيف متاعب الزوج وتدبير المنزل بنشاط واقتصاد وجعله فردوساً ارضياً . وهذه الواجبات كلها لا تقوم بها المراة لولا انطباعها على فضيلة الايثار التي تقدم ذكرها . فقبل الزواج عليها الاستعداد لهذه الوظيفة السامية التي هي اسمى من وظائف الملوك لان الملوك يخرجون من تحت يدها وبعد الزواج عليها العمل بما تعلمته في زمان الاستعداد . والفتاة التي تهمل هذا الاستعداد وتقول : « اف لا ارى شيئاً يسرني في هذه الحياة » او التي تقول « الغرض من الحياة حسن الملابس وكثرة المسرات » انما هي فتاة جاهلة او مريضة . اذ كيفما التفت الانسان في

هذه الحياة المملوءة بالشرور والاحزان والمصاعب يجد ان المحتاجين والمحتاجات الى المساعدة والاعانة والتعزية والتسلية والارشاد والهداية اكثر من رمل البحر ونجوم السماء . واذا كانت سيدة الكون وحاملة لواء الفضيلة والخير فيه تهجر فضيلة الايثار فمن ننتظر العمل بها في هذا العالم . أمن انانية الرجل وخشونته وحبه لذاته ؟

فتعلمي ياعزيزتي ان تكوني نافعة لغيرك : لاهلك اليوم ولقريبك وكل طالبي مساعدتك . وغداً لخطيبك وزوجك واولادك ومنزلك . ثم على ذلك رفيقتك وكل رفيقة لك . هذا هو سبيل السعادة والهناء في هذه الدنيا الفانية وراس الواجبات البشرية . وفي كل حديث وكل فكر وكل كتابة ■ لا تنسي ان تضعي هذا المبدأ نصب عينيك : ان الانسان الذي لا يفتكر الا بنفسه ولا يبذل جهده لنفع بني جنسه انما هو اقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية

فاستحلفك بحياتك ياعزيزتي ان تصدقيني : اما صرت بعد مطالعتك هذه الافكار تجدين للحياة غرضاً ولذة

اما استشارة حضرة ابيك اياي بشان جناب الشاب (كريم) فسأكلمك عنها في فرصة اخرى لاطلعك على ما ذكرته له عنه وعن رأيي بشان الزواج . ودمت لمحبتك ورئيستك

« ألما »

المرحوم تقلا باشا

قال المسيو دي هريديا الشاعر الفرنسوي المشهور في ختام خطبته في الاكاذمية الفرنسوية في هذا الشهر جواباً عن خطبة المركيز دي فوكوه الارشيولوجي المستشرق الذي خلف الدوق دي بروني في كرسي الاكاذمية ما خلاصته : ان الانسان لا يرهب الموت اذا كان قد ملأ ايامه في حياته بالاعمال النافعة وقام بكل ما كان يجب عليه . وقد اخطر هذا القول في بالنا صدور كتاب عدد صفحاته ٤٦٣ صفحة مطبوع على ورق مشرق صقيل طبعاً في غاية النظافة والاتقان وعنوانه « بشاره باشا تقلا » وفيه اقوال الجرائد التي ابنت هذا الفقيد الكريم ومراثي الشعراء ومختارات من كتابات الفقيد في جريدته الاهرام منذ خط اول حرف فيها الى ان اوقف الموت بنانه . وقد اهدى هذا الكتاب حضرة نجل الفقيد الى قراء الاهرام كتذكار لوالد تفتخر بمثله الابناء

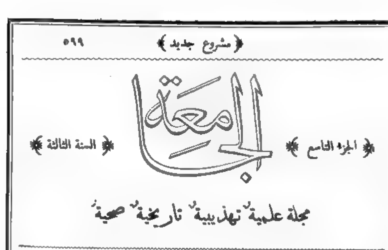
وقد تصفحنا هذا التذكار الثمين باسف لم تبرد حرقته بعد فراينا فيه صدق مقال المسيو دي هريديا . ذلك ان هذا الكتاب جامع لامرين . الاول اجماع الناس كبارهم وصغارهم على الحزن لوفاة الفقيد العزيز . والثاني مختارات من كتاباته تدل كل الدلالة على ما كان من اعماله في حياته . وان قصارى الانسان في هذه الحيـاة ان يعيش و يبني ما بناه المرحوم تقلا باشا

اما مختارات كتابات الفقيد فجدير بكل قارىء ان يطالعها بامعان . وهي تبدأ من عام ١٨٧٩ « واول مقالة نشرت للفقيد بتوقيعه مقالة عنوانها « وذكّر ان نفعت الذكرى » وقد جاء فيها « وليس يخفى ان نقطة الدائرة في كل امرىء ان يعرف الانسان ما يريد . وما يستطيع . وما يجب عليه . فاذا فقد ذلك اندفع اندفاعاً بين يدي الاتفاق » تقول وهذه العبارة وحدها هي خطة برأسها تدل على حكمة صاحبها وتدبيره وتفسّر سبب ارتقائه

وفي هذه المختارات شيء كثير عن حوادث السودان ومصر والدولة العثمانية قبل حوادث عرابي والاحتلال و بعدها . منها حديث للفقيد مع جول فري رئيس الوزارة الفرنسو ية في عام ١٨٨٤ . وقد سال جول فري في هذا الحديث اين هم رجال مصر القادرون على حكم مصر اذا خرج الانكليز منها . فاجابه الفقيد « ليس من عقلاء المصريين من يقبل وظيفة مهمة في الحكومة اذا بقي الانكليز متداخلين في ادارات الاشغال »

ومنها حديث مع جناب اللورد سالسبوري في ١٩ يونيو من ذلك العام . وكان جناب اللورد يرئس يومئذ حزب المحافظين المعارضين لسياسة المستر غلادستون رئيس الوزراء. فسأله اللورد في بدء الحديث اللنزهة حضرت الى انكلترا قال « لا بل للمحاماة عن حقوق وطني مصر » ثم يلي ذلك حديث طويل استمر ساعة ونصف ساعة . ولولا ضيق المقام ولوصول الكتاب الى يدنا متاخرًا لخصنا منه شيئاً كثيرا لا يخلو ذكره من فائدة . فنحن نكرر طلب الرحمة للفقيد العزيز والعزاء لاسرته الكريمة ونردد فيه قول جناب رئيس تحرير الاهرام

وقفت مذ قضى بشارة آما ... ل كبار حثت اليها الرغائب
كان في ثغر ذا الزمان ابتساماً ... فبدا الدهر عابس الوجه غاضب
فسلام على بشارة منا ... كلما خط في الصحيفة كاتب
ورعى الله نجله وحماه ... وحمى فيه فضله والمراتب



﴿ الجزء التاسع ﴾ الجامعة ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اغسطس (آب) سنة ١٩٠٢ — جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ ﴾

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشروع جديد في اللغة العربية

﴿ يسرُّ قرّاءها ﴾

(أوّاه برناردين وكتابه الخالد)

سمع بعضهم في مجلس حضره الجنس اللطيف والجنس النشيط الحديث التالي

قال احد الحاضرين : هاتوا مائدة اللعب · يريد لعب الورق · فقال جليس آخر : لقد كرهتُ نفوسنا هذا اللعب الممقوت فهلا ارحتمونا منه · فبادرته احدى السيدات بقولها : ماذا نصنع اذا لم نلعب · هل نصرف وقتنا بالتثاؤب والنوم ام بالاغتياب والنميمة بالناس · فاجابها ذلك الجليس : اقرأي ايتها السيدة وطالعي · فقالت السيدة ضاحكة · ماذا تريد ان اطالع فانني لا اجد شيئاً يلذ لي

﴿ رأي ام ﴾ فقالت حينئذ ام فاضلة كانت تصغي بانتباه ودلائل الفضل والعقل على وجهها · لقد مسّت حضرة المدام في قولها هذا مكاناً مؤلماً تجب مداواته · فانني قبل حضوري

من البيت الى هنا اردت اعطاء ابنتي كتاباً جديداً تطالعه في مدة غيابي لئلا تضجر من الانفراد فانفقت ساعة افتش في مكتبتي عن كتاب يسلّي العذراء ولا تضرها قراءته فلم اجد . فعدت واعطيتها كتاباً انكليزياً . ولا يجب الاستدلال بذلك على فراغ مكتبتي لانها تتضمن كثيراً من الروايات والكتب القديمة والحديثة . ولكنني اخشى على آداب ابنتي وعلى اخلاقها من مطالعة الروايات التي يحشوها مترجموها بما يفسد الاخلاق والآداب . والكتب التي بين الايدي لا تلذ لها لانها قديمة . فمتى تبطل شكوى الامهات والعائلات من هذه المسألة »

﴿ رأي معلم ﴾ فاجاب معلم كان في جملة الجالسين « اننا نشكو هذه الشكوى جميعاً ايتها السيدة . وكلنا في حاجة الى الكتب التي تشيرين اليها . فان تلامذتنا كثيراً ما يسألوننا كتابة وشفاهياً « ما هي الكتب التي تجب علينا مطالعتها ورسم مواضيعها في اذهاننا في اوقات الفراغ فاننا نسأم الكتب المدرسية « فنجيبهم « طالعوا ذاك الكتاب الانكليزي . وهذا الكتاب الفرنسوي . الخ » وقلما نذكر لهم كتاباً عربياً . وهو غبن لهذه اللغة العربية الكريمة التي نعشقها ونحب المطالعة بها . اما الروايات التي ذكرتها فانها مفسدة للاخلاق والآداب بلا مراء ولذلك احسنت بمنعك ابنتك من مطالعتها . ولكن هذا المنع لا يكون فعالاً الا متى صدرت روايات تهذيبية تقوم مقامها ولا يكون الغرض منها غير نشر الآراء الادبية والاجتماعية والفلسفية في ثنايا الفكاهة . فهل تُنشر في اللغة العربية روايات كهذه الروايات لتغذي نفوس الفتيات في البيت والفتيان في المدرسة . لا ريب في اننا نحن المعلمين نوجب على كل تلميذ لنا اقتناء هذه الكتب حين صدورها . بل اننا نقرأها مع تلامذتنا في اثناء الدرس ونشرح لهم ما خفي وظهر من معانيها فيكون ذلك لهم بمثابة درس اختباري جديد يرون فيه عالم الكمال والصلاح فتتقوى به نفوسهم وتتشدد قبل نزولها الى ميدان العالم الفاسد »

﴿ رأي كاتب ﴾ وكان هنالك كاتب يصغي اليهم وهو يبتسم . فلما سكت المعلم قال . « كنت اظن ان الاستاذ يتناول هذه المسألة من جهة اعلى من هذه الجهة . فانني اسلّم معه بافتقار اللغة العربية الى الكتب العالية ولكنني لا ارى نشر هذه الكتب واجباً لتغذية عقول الفتيان والفتيات بل اراه واجباً لانه يجب لغتنا نفسها وحرصاً على سمعتها . ومعنى ذلك اننا لا نطلب امهات الكتب العالية لما نرجو من فائدتها بل نطلبها لذاتها لانه عار علينا ان لا نكون قد ظفرنا بعدُ بشيء منها فضلاً عن استدلالنا بمجرد ظهورها على ارتقاء

الافكار عندنا . ولو عاش الخليفة المامون في هذا الزمن لضحك ولا شك من تهاوننا وقعودنا عن استخراج كنوز المعارف الاوربية كما استخرج في عهده وبامره كنوز المعارف اليونانية تاييدًا للنهضة البغدادية . فهل لدينا الكتاب الادبي الجليل الذي الفه الغزالي وعنوانه « ايها الولد » . هل نشرنا كتاب « الطريق » لديكارت . هل ترجمنا شيئًا لكوت . هل طبعنا « الميزرابل » . هل نقلنا كتاب « نقد العقل المجرد » لكنْت . هل نشرنا « بولس وفرجيني » . هل عربنا « اميل . والميثاق الاجتماعي » . هل لخصنا سبنسر . هل ترجمنا كتب افلاطون الالهي . هل عربنا تراجم فلوطرخس التي نفضلها على الالياذه والاوديسه . هل ورد اسم باكون باللغة العربية في غير المقتطف والجامعة . هل نُشر تاريخ المسيح والديانة المسيحية لرنان قبل هذا العام . هل لدينا تاريخ لتمدن العرب يفصل بجراءة وشجاعة الاسباب الحقيقية التي بها عظمت دولة العرب وبها ضعفت وانحطت والتي لم يجسر صاحب كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » الذي صدر في هذا الشهر على الاشارة اليها فجاء كتابه ناقصًا ام مواضيعه »

﴿ راي مريض ﴾ وكان في زاوية في القاعة شاب مستلق على مقعد وعليه غطاء يدل على اعتلال صحته . فلما راى هذا المريض الضجر الذي بدا في وجوه الجالسين من هذا الكلام الذي كانوا لا يفهمون شيئًا منه التفت الى الكاتب وقال . رويدك ياصديقي فاننا لا نطلب كل هذا . وذلك لسببين . الاول ان معدنا الادبية ضعيفة لا تهضم الا الغذاء الخفيف . والثاني ان نفوسنا لا تطلب الا ما كان متعلقًا بها من المواضيع كالفلسفة الادبية والدينية التي هي غذاء النفس البشرية . ولذلك ترى اكثر القراء لا يهتمون بشيء من العلوم الطبيعية كالجيولوجيا والطب والهندسة والفسيولوجيا وما اشبه . وذلك لان هذه العلوم لا تخاطب النفس فلا تحتاج النفس اليها الا في حين الحاجة اليها . فما الفائدة اذًا من ضياع الوقت في الكلام عنها . وبما انكم انتم الاصحاء قد ذكرتم حاجاتكم فاسمحوا لمريض ان يذكر حاجاته ايضًا

« اننا نرى الاصحاء يؤلفون ويكتبون دائمًا للاصحاء . افلا نجد مريضًا يكتب ويؤلف مرة للمرضى . فان ذلك صار امرًا ضروريًا في زمن كهذا الزمن الذي يموت فيه في بلاد كفرنسا وحدها ١٥٠ الف نفس في كل عام بعلة واحدة . وما ذلك الا من نقمات هذه المدنية الهائلة التي تزيد الضعفاء شقاء في هذه الحياة . ولكن اليس من واجبات الكتّاب ان يزيلوا بنعمة المطالعة شيئًا من هذه النقمة . لقد مضت عليَّ ستة اشهر وانا

طريح الفراش بداء عياء . فصغرت نفسي وكرهت الحياة وتمنيت الموت . ولما كنت اطلب كتاباً للمطالعة كنت لا اجد شيئاً ترضاه نفسي لان كل ما كان يقع في يدي من الكتب والروايات كان يثير في نفسي جرثومة الحياة ويحبب اليّ دار البقاء التي كرهتها والتي انا عالم بانني ساخرج منها . فشعرت حينئذ بالحاجة الى كتاب يسمونه « كتاب المرضى او كتاب الحزانى » . كتاب توصف فيه الدنيا بصفاتها الحقيقية من الفناء والغرور والباطل ويوصف به الموت بصفاته الحقيقية من الراحة الابدية والسكون الدائم والخلاص من هذا القفص الارضي . ويضم الى هذا الكتاب كثير من حوادث الحزن والنكبات في العالم حتى اذا وقف عليه المريض وجد املاً في الشفاء من جهة وتعزية عن مصابه من جهة اخرى واذا طالعه الحزانى والثاكلات والذين فقدوا الاحباء والاعزاء وجدوا فيه ما يفرّج كربهم من التاسي بمصائب غيرهم بدلاً من ان يظنوا ما يظنه كل حزين في اشد اوقات حزنه من ان الدنيا كلها لاهية بافراحها ومسراتها وليس فيها احد حزيناً غيره. فمن يا ترى يكتب هذا الكتاب فيعزي به القلوب القريحة والنفوس الجريحة . انني احبكم كل الكتب التي ذكرتموها بهذا الكتاب وحده »

﴿ مشروع الجامعة ﴾ نقول . فلما جالت في خاطرنا هذه الآراء المختلفة ذكرنا مشروعاً قديماً حفظناه في فكرنا منذ انشاء الجامعة الى يوم توسيع ادارتها وزيادة آلاتها وعددها . ومؤدى هذا المشروع نقل كتب ضرورية يجب نقلها الى اللغة العربية فبعد وقوفنا على الآراء التي تقدمت عزمنا على انفاذ هذا المشروع ابتداء من هذا الجزء

وبناء على ذلك فان كل جزء من اجزاء الجامعة سيحتوي بعد الآن رواية من الروايات الفلسفية والادبية او كتاباً من الكتب السامية التي يضعها مؤلفو الافرنج في اسمى الدرجات . وقد تكون هذه الرواية او هذا الكتاب في ٣٠٠ او ٤٠٠ صفحة فنلخصها كلها في ٣٠ او ٤٠ صفحة تلخيصاً يبقى فيها كل فوائدها وجميع اغراض المؤلف ومواضيعه كما اعتاد القراء ان يروا ذلك في اسلوب الجامعة . وبذلك نستطيع ان ننقل الى اللغة العربية في كل عام ١٢ كتاباً كان يجب ان تنقل اليها منذ ازمان . ولا يخفى ما في ذلك من التعب والعناء لان مطالعة كتاب وتلخيص صفحاته الكثيرة بعدّة صفحات عمل شاق لا يعرف قدره الا كل من عاناه . ولكن كل عناء يهون علينا في سبيل خدمة قراء هذه اللغة الكريمة والفائدة التي نرجو حصولها من هذا المشروع

ومما يسرّنا خاصةً ان الكتب التي سننشرها على هذا المنوال تحقق اماني السيدة

والام والمعلم والمريض الذين تقدمت الاشارة الى آرائهم في صدر هذا الفصل . فالسيدة تجد بعد الآن كتاباً جديداً يلهيها عن العب . والام تستطيع ان تضع بين يدي ابنتها العزيزة كتاباً جديداً مفيداً دون ان يعروها الخوف منه على آدابها واخلاقها لانه يكون مصدراً للآداب والاخلاق . والمعلمون والمعلمات سيقولون لتلامذتهم احفظوا هذه الكتب في اثمن مكان عندكم اي في اذهانكم . والمريض يقرأه فتسكن آلام نفسه ويهدأ اضطرابها و يبتسم للموت بعد خوفه منه

﴿ ابتداء المشروع ﴾ واذا كان القارئ والقارئة في ريب من ذلك فليطالعا الرواية الادبية الفلسفية الطبيعية التي نشرناها في ذيل هذا الجزء وجعلناها ابتداء هذا المشروع وهي رواية « بولس وفرجيني » . ولا ريب ان القراء يذكرون اننا وعدناهم في مقدمة « الكوخ الهندي » منذ سنة بنقل هذه الرواية الى اللغة العربية لانها اشهر واجل رواية ادبية يجب ان تلقى بين ايدي الناس . وهي افضل كتاب كتبه مؤلفها « برناردين دي سان بيير » بل هي افضل كتاب ادبي كتب في عصره . وقد قال شارحو كتبه ان هذه الرواية وضعت برناردين في درجة هوميروس وفرجيل وتاسيت فصار بها خالداً مثلهم . ولما نشرت هذه الرواية في باريز (عام ١٧٨٩) قام لها عالم الادب وقعد وما قرأها احد من الجنسين الا اذرف لها دموعاً سخينة ولم يولد غلام في ذلك العام الا وسمي « بولس » ولا ابنة الا وسميت « فرجيني » . اما ناشرو الكتب فانهم زوروا طبعتها ٣٠٠ مرة اي انهم طبعوها ٣٠٠ مرة من غير اذن المؤلف ليستطيعوا اجابة الجمهور الذي كان يطلبها من كل صوب . فعسى ان يكون لها في اللغة العربية شيء من الاقبال الذي كان لها في لغتها لاننا بذلنا الجهد لجعلها — كتابةً وطبعاً وورقاً وصوراً — مساوية للنسخة الاصلية

﴿ فائدته ﴾ وقد اقدمنا على هذا المشروع ولاغرض لنا سوى نشر مبادئ (الجمال . والخير . والحق .) في النفوس وهي الالفاظ الثلاثة التي جعلتها الفلسفة عمادها واكبر اغراضها . بل ليست هذه الكلمات الفاظاً انما هي ينابيع تفيض خيراً وصلاحاً للبشر . فهنالك ينبوع للجمال يشعر الواقف عليه بجمال وسناء في باطنه تهتز لها النفس من التأثر والانفعال (كوصف بولس وفرجيني وحديثها في الصفحة ١٧ و١٨) وهنالك ينبوع للخير يشعر الواقف عليه بعظمة الخير والصلاح ولذتها اذا كان من اهل الخير والصلاح ويشعر بصغر نفسه وحقارتها اذا لم يكن من اهلها (كتيه فرجيني في المرش لصنع الخير و رفضها خلع ملابسها في الختام) وهنالك نبع للحق تجري منه الفلسفة العذبة التي تعزي الانسان في

هذه الحياة وتريه اباطيلها وزخارفها اباطيل وزخارف كما هي في الحقيقة لا عظائم وكبائر كما يصورها الاجتماع للذهن وانه لا عظمة غير العظمة الادبية (كفلسفة المؤلف في الانفراد في الصفحة ٣٠ وحديث بين شيخ وفتى في الصفحة ٣٢) — هذه هي ينابيع الفائدة الحقيقية في المطالعة الحقيقية . وكل كتاب لا يشعر مطالعه بجمال وسناء داخلي في نفسه . ولا يرى انه صار بعد مطالعته افضل واميل الى الخير والصلاح منه قبل مطالعته . ولا يحسّ بانه عرف به شيئاً من الحقائق الازلية الكبرى التي تحكم العالم فان ذلك الكتاب لا تساوي قيمته قيمة الحبر والورق اللذين طُبع بهما. ولقد كتب الفيلسوف فيكتور كوزين استاذ الفيلسوف جول سيمون كتاباً بناه على فلسفة افلاطون وعنوانه هذه الكلمات الثلاث (١) وربما لخصنا هذا الكتاب في بعض الاجزاء القادمة

ورغبةً في الاحاطة بوصف هذه الينابيع الثلاثة التي تفيض الخير لمحبي المطالعة يكفي ان ننقل هنا ما قاله مؤلف « بولس وفرجيني » في الصفحة ٣٨ عن كتب الادب والفلسفة والحكمة . واليك نصه

« ان الآداب يا بني عون الهي وهي اشعة من الحكمة الرائعة التي تحكم العالم (يعني بالآداب كتب الادب والفلسفة والحكمة) والانسان لم يتعلم استنزالها الى الارض الا بوحي او شبه وحي سماوي . وهي شبيهة باشعة الشمس من حيث انها تنير وتسرّ وتبث الحرارة في النفس . وحرارتها حرارة الهية . ومن خواصها انها تسكّن الشهوات وتكبح جماح الرذائل وتهيء النفس لقبول الفضيلة بما تبسطه امامها من سير افاضل الناس الذين تذكر حوادثهم . فكانها طائفة من بنات السماء ينزلن الى الارض ليطردن هموم الجنس البشري ويسلينه في متاعبه . واذا نظرتَ الى اعاظم الكتاب الذين نبغوا في العالم وجدتَ انهم لم ينبغوا الا حين الحاجة اليهم والى مبادئهم وان الزمن الذي نبغوا فيه كان اشد الازمان على مواطنيهم . فكانهم يُرسلون خاصة لانارة بني جنسهم وتبديد همومهم . فاقرأ يا بني . اقرأ وطالع فان الحكماء الذين كتبوا الكتب قبلنا انما هم مسافرون تقدمونا في طريق المصائب وهم يمدون بكتبهم ايديهم الينا لمساعدتنا في طريقنا حين يكون جميع الناس قد تركونا وتخلوا عنا »

﴿ الخاتمة ﴾ هذا ما رأينا ذكره الآن عن هذا المشروع . وربما وسعنا دائرته

---

(١) الجمال والخير والحق

في المستقبل توسيعاً يتجاوز كل حدّ اذا راينا اننا اصبنا به الغرض المقصود . والله نسأل ان يلهمنا الصواب وياخذ بيدنا لاتمامه اي لاخراج ما في نيتنا اخراجه الى اللغة العربية من الكتب التي هي ينابيع « الجمال والخير والحق » لجمهور القراء في الشرق . اما ما نرجوه من الجزاء على هذه الخدمة فقد نلناه بحمد الله ومساعدة القراء وهو الاقبال على كل ما تُصدره الجامعة اقبالاً ينسينا كل تعب وعناء . هذا كل ما يُرجى في الشرق اليوم ومن يطلب الآن اكثر من ذلك فانه يدلّ على انه جاهل مجرى النواميس الطبيعية

هذا ولنا في الختام رجاء واحد الى حضرات القراء . وهو اننا نذكر اننا منذ سنوات لما ادخلنا رواية « بولس وفرجيني » التي جعلناها ابتداء هذا المشروع الى احدى المدن السورية لم تُسمَّ فيها باسم فرجيني غير طفلة واحدة . وقد جاءت هذه الطفلة نبيهة وان كانت اكتسبت النباهة من اهلها لا من اسمها . فالجامعة يسرها الآن بعد نشرها هذه الرواية ان تعلم من قرائها عدد الاطفال الذين يُسمون بعد الآن في انحائهم « بولس وفرجيني » اقتداء باهل باريز حين ظهور هذه الرواية ..

﴿ ترجمة برناردين مؤلف الحلقة الاولى من المشروع ﴾



برناردين دي سان بيير — جان جاك روسو استاذه

ولقد نشرنا تفصيل هذا المشروع في باب « المشاهير » لندمج فيه ترجمة الحكيم الاول الذي جعلنا مبادئه مفتتح هذا المشروع وهو برناردين دي سان بيير الفيلسوف الذي مبادئه عظيمة كالطبيعة التي يصفها والذي امتاز عن كتّاب فرنسا بفلسفة عذبة تسلي الانسان وتعزيه ومبادىء سلمية تجعله يكره كل شقاق ونزاع وآداب نقية من كل شائبة وآراء في الطبيعة تحببها الى جميع الناس . واليك خلاصة ترجمته فانه يجب ان لا تخلو الجامعة منها وخصوصاً في الجزء الذي نشرت فيه اهم كتبه

ولد برناردين في الهافر (فرنسا) في عام ١٧٣٧ وتوفي في اراني في عام ١٨١٤ . وكان ابوه مديراً لشركات مركبات في الهافر فنشأ برناردين في الفقر وتلقى دروسه الابتدائية

في مدرسة للآباء اليسوعيين في كابين وفي مدرسة اخرى في روين . وقد اكثر في صغره من مطالعة كتاب روبنصن كروزي . وكتاب سير القديسين وسافر الى المرتنيك وكان كثير الجلوس على شاطىء البحر والتامل فيه وساح سياحات كثيرة مع راهب يدعى « الاخ بولس » فكل هذه الشؤون غرست فيه ميلاً الى الطبيعة ونفورًا عن الناس وحبًا شديدًا للرحلات البعيدة . فقام في نفسه ان يزين لحكومة روسيا انشاء مستعمرات في شواطىء بحيرة « ارال » فسافر الى بطرسبرج فعرف فيها المارشال دي مونيخ والجنرال بوسكه والمسيو دي فيلبوى . فمال اليه المرشال واصطنعه . اما الجنرال بوسكه فانه « قدم له يد ابنة اخته » اي اقترح عليه الاقتران بها فاعتذر برناردين لانه كان فقيرًا . واما المسيو فيلبوى فانه سعى بجعله ضابطًا في الجيش الروسي وقربه من الامبراطورة كاترين الثانية فكان اقرب المقربين اليها فيما قالوا لانه كان صبوح الوجه لطيف المنظر كما تدل عليه رقة كتاباته وبعضهم زعم انه صار عشيقها . ثم ارسلوه بمهمة الى فينلنده ولما عاد منها ارسلوه الى بولونيا ولكنه لم يلبث ان سئم الشؤون السياسية السرية التي كان يمارسها فقفل راجعًا الى وطنه . فعرض عليه فردريك الكبير ملك بروسيا رتبة ضابط في الجيش البروسي في عودته فابى برناردين ذلك وعاد الى باريز فاصطنعه المسيو دي برتويل وارسله الى « جزيرة دي فرنس » وهي احدى المستعمرات الفرنسوية وفيها جعل المؤلف حوادث « بولس وفرجيني » . فبقي في المستعمرة ضابطًا ومهندسًا وهو يبعث من حين الى حين رسائل الشكوى الى المسيو دي برتويل حتى سئم منه فتخلى عنه . وبعد مدة عاد الى باريز فقيرًا كما ذهب منها وقد سئم الاستخدام في الحكومة وعزم على « ان يعيش من ثمار بستانه » كما قال اي من شق قلمه . فعكف على الكتابة والتاليف ومنذ هذا الحين دخل في الطريق المستقيمة التي خُلق لسلوكها دون سواها . فالف برناردين كتبًا كثيرة منها سياحة الى (جزيرة دي فرنس) . وسياحة الى راس الرجاء (الكاب) . واركاديا . ودروس طبيعية وهي اقسام . والطبيعة والادب . وسياحة في سيليزيا . وموت سقراط . وكلام عن الجرائد . وكلام عن جان جاك روسو . وقصص السفر . والكوخ الهندي . وغيرها من الكتب والاسفار المفيدة . واهمها كلها « بولس وفرجيني التي نحن الآن في صددها

ولما انتشر بين الناس اول هذه الكتب (وهو سياحة في جزيرة دي فرنس) اقبل القراء من كل جانب عليه وشعر الخاصة والعامة ان هذا الكاتب قادم عليهم باسلوب جديد ولهجة جديدة . فقد كانت عبارته رقيقة تكاد تذوب طلاوة وحلاوة وكان له في وصف

المناظر الطبيعية والعواطف الادبية والدينية اسلوب لم يظهر على قلم غير قبله · فانهالت على الكاتب كلمات التنشيط والثناء وسعى له رئيس اساقفة اكس فمنحته الحكومة راتباً قدره الف فرنك · وعينت له احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك وعين له احد اقلام الحكومة الف فرنك ايضاً و ربح من كتبه لاول مرة ٦ الاف فرنك فاكتفى برناردين الحاجة بهذا المال واستطاع التفرغ للتاليف والكتابة فانار بقلمه سماء فرنسا وقتاً طويلاً

ولما بلغ برناردين هذا الشاو كان قد وصل الى قمة جبله وكان اكتب كتاب زمانه بعد جان جاك روسو الذي كان استاذه · اما في الفلسفة الادبية فقد كان برناردين مقدماً عليه عند كثيرين · وقد تزوج برناردين مرتين واخذ في كل مرة دوطة طائلة مكنته من ابتياع منزل بعيد عن الناس والمعيشة فيه بين الازهار والاشجار والدفاتر والمحابر براحة وسلام كما عاش صاحب الكوخ الهندي و بولس وفرجيني · وقد توفيت زوجته الاولى وهي مستاءة من هذه المعيشة اما زوجته الثانية فان الانفراد كان منطبقاً على ذوقها فعاشا معاً سعيدين مستريحين · ولما توفي برناردين اقترنت زوجته بالكاتب ايمه مارتين المشهور فتولى هذا الكاتب طبع كتب برناردين · وقد طالعنا من كتب « ايمه مارتين » كتاب « تربية امهات العائلة » فرايناه فيه يكثر من الاستشهاد ببرناردين ويلقبه بالفاضل مرارًا وما كنا ندري يومئذ انه زوج ارملته

وقد وضعنا في هذا الفصل رسم برناردين بجانب رسم استاذه جان جاك روسو · ويحسن بنا هنا ان نختتم الكلام بقصة صغيرة عنهما · وتفصيل ذلك ان برناردين و روسو كانا في ذات يوم يتنزهان تحت الاشجار التي كانا يحبانها فالتفت برناردين الى استاذه وساله : هل انت « سان برو » يامسيو روسو · وقد اراد برناردين بذلك ان يعلم هل ان روسو قد وصف نفسه في « رسائل هيلو ييز الجديدة » التي بطلها رجل يُدعى « سان برو » فاجابه روسو « لستُ « سان برو » تماماً ولكنني كنت اود ان اكونه » — وكل من طالع كلام برناردين في الصفحة ٣٠ من « بولس وفرجيني » جاز له ان يقول عنه كما قال روسو عن نفسه : ليس برناردين بالشيخ الذي حكى قصته هناك ولكنه كان يود ان يكونه · وانما وصف في ذلك الكلام المعيشة التي كانت تصبو جوارحه اليها والتي ذاق لذتها في آخر عمره كما رايتَ في ترجمة حياته · و بذلك وجدت فضيلته ما كانت تستحقه من جزاء الراحة والهدوء والسلام في هذا العالم

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل بعد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

تابع ما قبله

التعاليم في النشأة الاولى . (سنة ٣٥ للميلاد المسيحي)

اما تعليم الرسل في النشأة الاولى فقد كان محصورًا في دائرة صغيرة لان السيد اجتنب في تعاليمه كل بحث في ما وراء الطبيعة . وكان في تعليمه عقيدة واحدة وهي بنوته لله ومهمة الهية جاء الى الارض من اجلها . وبعد صلبه كان جميع تباعه وتلامذته يعتقدون بقرب عودته اليهم في مجد عظيم و ينتظرون هذه العودة . وكان شعارهم يومئذ اي العلامة التي يعرفون بها بعضهم بعضاً قولهم « ماران اثا » ومعناها ان السيد آتٍ (١) ذلك انهم كانوا يذكرون قولاً له بقي في اذهانهم وهو « ان البشارة لا تصل الى جميع مدن اسرائيل الا و يأتي ابن الانسان » وكان اعتقادهم في السيد انه « انسان نبي مقتدر في الفعل والقول (٢) وقد ارسله الله بمهمة خاصة للانسانية (٣) ونفخ فيه روحه وبث فيه قوته . وقد صرف حياته في الارض في صنع الخير وشفاء الذين كانوا مسكناً للشياطين . وقد كان قادرًا على ذلك لان الله كان معه (٤) . فهو اذًا ابن الله اي انساناً مرسلاً

---

١) كورنثوس ص ١٦ ع ٢٢

٢) انجيل لوقا ص ٢٤ ع ١٩

٣) اعمال الرسل ص ٢ ع ٢٢

٤) اعمال الرسل ص ١٠ ع ٣٨

من قِبل الله ونائبه في الارض

وبما ان السيد قد اجتنب في حياته تعليمهم شيئاً من الطقوس او الطرق المادية التي اتخذها اصحاب الاديان المتقدمة للعبادة فلذلك كانت الديانة الجديدة يومئذ خالية من الحفلات والطقوس . ولم يكن عندهم كاهن بل كان اقدمهم عهداً في المذهب يتقدم في الصلاة . ذلك انه لا كاهنٌ غير يسوع . وبعبارة اخرى ان كل واحد منهم كان كاهن نفسه ويسوع راس الجميع . وكان الصوم عندهم من الاعمال الحسنة والعماد علامة دخول الانسان في مذهبهم . غير ان العماد لم يكن كافياً بل كان يجب ايضاً مسح الداخل الجديد بالروح القدس . وطريقة ذلك ان يصلي الرسل على راس الطالب ويضعوا ايديهم عليه للبركة

وكانت هذه العادة عادة وضع اليد من العادات التي الفها يسوع وكان يحبها ولذلك صارت بعده عملاً مقدساً بل اقدس الاعمال . وكان من خواصها في اعتقاد الرسل انها تعطي الذي توضع اليد عليه نعمة الروح القدس فيصير قادراً على صنع العجائب والنبوة والنطق باللغات المختلفة فضلاً عن انارة نفسه واحيائها . وهو ما كانوا يسمونه العماد الروحي

وعلى ذلك فقد كان المذهب المسيحي يومئذ في بساطة تامة . واما عادة العماد فليست بفلسطينية الاصل بل انها كلدانية ولا يزال الصابئة يمارسونها في قسم من بلاد الكلدان الى هذا اليوم . وكان ايضاً في ديانة الفرس القديمة شيء من ذلك

نقطة فلسفية مهمة في النشاة الاولى

وكانت الطائفة في ذلك الحين قليلة العدد وحديثة النشأة ولذلك لم تهتم في بدء الامر بمسالة الدفن والموت . ولكن حينما حدثت فيها الوفاة الاولى حدث فيها شيء من الاضطراب . ذلك لان الجميع اخذوا يتساءلون هل ان الذين يتوفاهم الله اليه قبل عودة ابن الانسان يكونون اقلّ حظاً من الذين يبقون في قيد الحياة لمشاهدة مجده حين عودته . ثم عادوا فقرروا ان الوقت الذي يمرّ بين موت الانسان وبعثه في اليوم الاخير يكون عبارة عن فراغ في نفس الانسان وضميره . ومن ذلك يظهر ان ما جاء في الفلسفة اليونانية خصوصاً في « فيدون » عن نفس الانسان بعد الموت لم يكن قد دخل يومئذ الى المذهب المسيحي . فان هذه الفلسفة مقتضاها ان النفس موجودة قبل الموت وبعده وان الموت خير للانسان بل هو الحالة الطبيعية الفلسفية الحقيقية لان النفس تتجرد فيه من كل مادة تعيقها . هذه هي خلاصة بعض المذاهب اليونانية . ويظهر ان المسيحيين في صدر نشأتهم كانوا

يعتقدون اعتقاداً يخالفها لانه يظهر انهم كانوا لا يفهمون امكان وجود الانسان من غير جسده . وقد دام هذا الاعتقاد وقتاً طويلاً حتى دخلت الفلسفة اليونانية الى الكنيسة وامتزجت بمذهبها في البعث (القيامة) اما الآن « اي في السنة الخامسة والثلاثين للميلاد المسيحي » فقد كانت هذه الفلسفة مجهولة

واما طريقة الدفن فقد كانت يومئذ على الارجح كطريقة اليهود . ولم يكونوا يهتمون بهذه الحادثة كثيرًا ولا كانوا ينقشون اسم الميت على الضريح لان الميت لا يقيم في حفرته الصخرية غير مدة وجيزة لقرب يوم القيامة (البعث) . واما كون القيامة تشمل الصالحين والاشرار معاً او الصالحين وحدهم فذلك امر لم يهتموا بالاتفاق عليه

زهرة النحلة المسيحية وطريقة الصلاة الاولى

وقد كان من اخص صفات المذهب الجديد امران : الاول ظهور النبوءة فيه بعد ان كانت قد بطلت في اسرائيل ولذلك قام في هذا الزمن عدة انبياء ونبيات كما كان في العهد القديم (زمن التوراة) والثاني ظهور مرنمي الزبور (المزامير) . وكانت هذه النبوءات وهذه المطالعة في الزبور اموراً مالوفة ولكنها امتازت بما كان يتخللها من روح التقوى والحب والمسالمة . فكانها صدى نغمات عود اسرائيل القديم . وعلى ذلك فقد كان كتاب الزبور بمثابة الزهرة الجميلة التي جنت من كاسها النحلة المسيحية اوّل ما جنته من العسل . واما اسفار التوراة الخمسة الاولى فقلما كان ابناء المذهب الجديد يطالعونها في ذلك الزمان

واما طريقة الترنيم في هذا النشيد الجديد فربما كانت الطريقة التي لا يزال يجري عليها اليوم اليونان والمارونيون خصوصاً ومسيحيو الشرق عموماً . وهي عبارة عن اصوات ممدودة مقرونة بزفرات وليس فيها قاعدة ظاهرة . فهي اشبه باصوات متتالية تخرج سريعة مقرونة بضرب من التصويت يخرج من الانف منها بتوقيع موسيقي . وكانوا ينشدون هذا النشيد وهم وقوف باحترام بعيون شاخصة وجباه متجعدة تدل على الاهتمام والجهد . وكانوا يلفظون في ختام الصلاة بصوت مطرب اي مرتجف كلمة « آمين » ويريدون بها اشتراك الجماعة في صلاة المصلي كما كانت العادة يومئذ عند اليهود . وربما كان اليهود يعتقدون بان لهذه الكلمة تاثيرًا سريًا مفيدًا ولذلك كانوا يلفظونها بتانق وتفخيم في الصوت . ولسنا نعلم شيئاً مما اذا كان هذا النشيد يومئذ مقروناً بالتوقيع على آلات موسيقية ام لا ولكن كيفما كانت الحالة فانه دليل على ما كان في النفوس من السرور والفرح . ولذلك جاء

في اقوالهم : اذا كنتَ حزيناً فصلِّ واذا كنتَ مسروراً فانشد

هذا ومما لا يحتاج الى بيان ان الطائفة لم تدوّن يومئذ حوادثها لاستغنائها عن الكتابة . انما قال السيد انه يعود قبل فناء ذلك الجيل . اما كتاب « اعمال الرسل » فانه لم يُكتب الا في سنة ٨٠ بعد الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء نحو نصف قرن على صلب المسيح

انتشار المذهب الجديد

وكانت يومئذ الطائفة المسيحية الاولى عبارة عن جماعة من اهل الجليل . اما الذين مالوا اليها في حياة السيد من سكان اورشليم كلعازر ومرتا ومريم من بيت عنيا و يوسف الذي من الرامه فانهم تفرقوا ولم يعد يظهر لهم اثر . ولم يبقَ احد ملتفاً حول التلامذة الاثنى عشر غير الجليليين . فاخذ التلامذة في الوعظ والتعليم . وكانوا يعظون في رواق سليمان وكان وعظهم مقصوراً على اقامة الدليل من نصوص التوراة على ان يسوع الناصري هو المسيح . وكانت حججهم ضعيفة ولكن كل اقوال اليهود في ذلك العصر كانت كذلك . ولا نستثني من هذا الضعف اقوال علماء اليهود انفسهم التي نُشرت في المشنا . اما ما ذُكر من ان التلامذة كانوا في ذلك الحين يجمعون الشعب في الساحات العمومية و يخطبون فيهم فهو مردود بانّ الذين صلبوا السيد لا ياذنون لتلامذته بعقد حفلات كتلك الحفلات

و بناء على ذلك نقول ان التلامذة لم يستميلوا الناس اليهم بما كانوا يلقونه من الخطب الضعيفة ولا ما كانوا يصنعونه من العجائب البسيطة وانما كانت واسطة الاستمالة الحقيقية حديث هؤلاء الرجال الصالحين الاتقياء واقتناعهم الشديد بما كانوا يدعون الناس اليه فضلاً عن تقواهم وحبهم للخير والمسالمة . فكأنّ كلام السيد ابقى في حديثهم صدى مؤثراً . ولا ريب ان اشتراكهم جميعاً في المعيشة قد زاد هذا التاثير ايضاً لان دارهم كانت عبارة عن ملجاء يلجاء اليه الفقراء والمساكين

ستاتي البقية

بلدان فلسطينية يصفها فلسطيني

لحضرة الفاضل نجيب افندي نصار في طبرية

بينما كنت اتتبع في الجامعة تاريخ المسيح للفيلسوف رنان عثرتُ على اسماء قديمة لبعض البلدان في فلسطين ولئلا تفوت معرفتها الذين ليس لهم المام بتواريخها رغبت في ذكر اسمائها المتعارفة وبيان مواقعها وشذرات من تواريخها مع بيان مواقع المدن الخمس التي صرف فيها السيد معظم عمره ومارس فيها اعماله وتعاليمه ايضاحاً لما ذكره رنان · فاقول

﴿ مقاطعة غولونيتيس ﴾ وورد في الجزء الثالث للسنة الثالثة (صفحة ١٦٥) « اسم يهوذا الغولونيتي او الجليلي » · وهو الذي اقدم على عمل ديني حماسي واعدمه الرومانيون· فالغولونيتي نسبة الى غولونيتس احدى مقاطعات حوران الخمس في ايام الرومانيين وهي هذه: « ايتوريا » و« غولونيتيس » وهي واقعة شرقي بحيرة طبرية ونهر الاردن وتدعى اليوم « الجولان » والى الشرق منها « باتانيا » واسمها اليوم جبل عجلون والى الشمال الشرقي من هذه « تراخونيتيس » و « اورانيتيس » وتدعى الآن حوران · ومن هذا يظهر ان غولونيتيس التي اتخذت اسمها من مدينة جولان القديمة التي كانت من نصيب سبط منسى (يشوع ص ٢٠ ع ٨) هي غير الجليل الواقعة الى الغرب من نهر الاردن وبحيرة طبريا

﴿ مقاطعة بيريا ﴾ وورد في الصفحة ١٦٤ ان هيرودس انتيباس كان والياً على الجليل وبيريا · فبيريا هي البلاد الواقعة شرقي الاردن وبحر لوط بين الجولان شمالاً ووادي ارنون المدعو اليوم وادي الموجب جنوباً · وكان هذا الوادي العميق حداً طبيعياً يفصل بين مملكتي مواب من الجنوب وعمون من الشمال · ومن مدن مقاطعة بيريا الشهيرة جرش الممتازة بابنيتها القديمة العظيمة وبينها الملاعب الفسيحة والهياكل العظيمة والقصور الشائقة والسوق الطويلة الممتدة بين صفوف الاعمدة الضخمة المنحوتة والمنقوشة كراسيها واغطيتها نقوشاً متقنة جميلة للغاية على الطراز الكورنثي والايوني · ومن مدنها ايضاً مدينة عمان التي كانت تُدعى ربة عمون وهي عاصمة مملكة العمونيين اعاد ابناءها بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس ودعاها فيلادلفيا نسبةً اليه · ويسكنها الآن نحو الف وخمسمائة عائلة من مهاجري الجراكسة · وفي طرف مقاطعة بيريا الجنوبي الى الشرق من بحيرة

لوط قلعة « ماكيروس » التي ذكرها رنان واسمها الحالي (مُكاور) بناها هيرودس الكبير وحصنها انتيباس على الحدود بينه وبين حميه ملك العرب وفيها سُجِن يوحنا المعمدان وقُطِع راسه . واليها بعث انتيباس امراته لتذهب من هناك الى ابيها

﴿ الولاية العربية في عهد الرومانيين ﴾ اما بتره التي جاء ذكرها في الصفحة ١٦٨ من الجزء الثالث فقد كانت يوماً عاصمة بلاد العربية ومركز تجارتها وتعرف الآن باسم (وادي موسى) ولقد ذكرها ياقوت المؤرخ بهذا الاسم وسميت كذلك لانهم يعتقدون ان موسى ضرب صخرها بعصاه فانفجرت منها ينابيع المياه فشرب الاسرائيليون . وهي واقعة على مسافة نحو خمسين ميلاً الى جنوبي البحر الميت في وادٍ صخري طوله ثلاثة ارباع الميل وعرضه خمسمائة يارد من جهة الشمال ونصف ذلك من الجنوب . والمدينة تشغل كل هذه المساحة . ولم يزل يُرى من خراباتها بقايا قبة نصر وآثار قصور وكنيسة وهيكل وعدة مدافن جميلة منقورة في الصخور بعضها يشابه المدافن اليهودية . واغرب ما يوجد بين هذه الاثار الملعب الكبير البالغ قطره تسعة وثلاثين يارداً والحاوي ثلاثة وثلاثين صفاً من المقاعد كافية لجلوس اربعة الاف من المتفرجين . وفي اعلى هذه الصفوف غرف مفتوحة بشكل قناطر وجميع ذلك منقور في صخر واحد صلب ومنحوت نحتاً دقيقاً مما يدل على ما كان لوادي موسى من الاهمية والحضارة . واما الآن فلم يبقَ فيه شيء سوى قبائل البدو الضاربة اطنابها حوله

﴿ المدن الخمس التي عاش السيد فيها ﴾ اما المدن الخمس التي قال رنان انها كانت مجهولة في ايامه ما عدا المجدل الواقعة على شاطىء البحيرة الغربي على مسافة ٣ اميال الى الشمال من طبريا فقد صارت معلومة اليوم . اما دلمانوثه فهي واقعة في منتصف الطريق بين طبريا والمجدل بقرب ينابيع مياه حارة قليلاً وقد اكتشفوا هناك بعض آثار ابنية . ويؤيد كون دلمانوثه قريبة من المجدل قول الانجيلي (مرقص) ص ٨ ع ١٠) ان السيد جاء الى نواحي دلمانوثه ومتى (ص ١٥ ع ٣٩) انه جاء الى تخوم مجدل

واما كفرناحوم فيظن المؤرخون انها كانت في مكان تلحوم الحالية ولذلك اشترى الاباء الفرنسيسكانيون اراضيها وبنوا عليها ديراً صغيراً . ويؤسس الكتبة براهينهم بشان موضعها هذا على المشابهة بين الاسمين (كفرناحوم وتلحوم) مع كون هذه المشابهة غير كافية لان يُسند اليها الكتبة الثقات اقوالهم ما لم يكن اسم تلحوم مستخرجاً من تل ناحوم . وعلى فرض ذلك فمن الضرورة ان نكون قادرين على تعقب تاريخ هذا الاشتقاق

حتى العصور الاولى بعد المسيح حالة كوننا لا نستطيع في ذلك ان نتعدى زمن الصليبيين. فان هو‌ٴلاء رأوا بعض الخرابات في ذلك المكان وبينها آثار ابنية رومانية فظنوا انها بقايا المجمع الروماني الذي بناه قائد المائة الروماني لليهود وهكذا دعوها بدون ترو متبركين كفر ناحوم . وعنهم اخذ العرب اسم تلحوم وتداولوه حتى يومنا هذا . غير اننا نعتقد ان وجود الآثار الرومانية في تلحوم يوٴيد رواية يوسيفوس بان انتيباس رفع قرية بيت صيدا الحقيرة وجعلها مدينة بما شيده فيها من الابنية الجميلة وزيادة عدد سكانها ودعاها بعد ذلك بيت صيدا جولياس . ولا ريب في كون ذلك الملك او الوالي لم يقم ابنيته الشائقة بين الاكواخ اليهودية الحقيرة بل بناها على حدة وجعلها مستعمرة رومانية جديدة شرقي القرية القديمة لجهة مصب نهر الاردن ليتمكن السكان من الانتفاع بمياه النهر وانشاء الجنائن والبساتين على ضفافه . وامتدت المستعمرة مع طول المدى الى عبر مصب النهر ولذلك صار مشاهير بعض الكتبة يعتقدون على رغم قول يوسيفوس هذا او على غفل منه بوجود قريتين باسم بيت صيدا الاولى اليهودية والثانية الرومانية اي جولياس حالة كونها واحدة كما ظهر مما تقدم

اما كفر ناحوم الحقيقية فقد اقتادتنا الادلة الى حد الجزم بكونها تل الطابغة المدعو تل العريمه الواقع غربي تلحوم على شاطئ البحيرة الشمالي وعلى راس سهل المجدل اسيه سهل جنيسارة القديم. وقد ظن الدكتور طمسن صاحب الكتاب الشهير « البلاد والتوراة » ان اسمها اي الطابغة مشتق من الاصل العربي (دباغة) ولذلك قال انها مدينة كفر ناحوم ويوافقه على قوله كثيرون الى يومنا هذا. حالة كون الطابغة محرفة من « هبتاغون » الينابيع السبعة وهي الينابيع الغزيرة التي اشار اليها يوسيفوس في كفر ناحوم بكونها كانت تسقي القسم العلوي من سهل جنيسارة وتجعله غاية في الخصب . ولم يزل قسم كبير من آثار قناتها منقورًا في صخر صلب يشهد بصحة رواية يوسيفوس الى مئات من الاجيال بعدنا قبل ان تقوى عوامل الطبيعة على درسه . وربما ان رنان لم يشاهد هذه الينابيع ولا قناتها حتى راح يحوم بين عين المدورة وعين التينه اللتين لا يمكن تطبيقهما على رواية يوسيفوس. ولا عجب فان كثيرين من السياح لا يرونها لجهل تراجمتهم اهمية ما يتعلق بها من الحقائق التاريخية

واما الطريق القديمة التي يذكرها رنان بالقرب من تلحوم فهي بعيدة عنها وقريبة من تل العريمه (كفر ناحوم) وهي الطريق القديمة التجارية بين الشام والمدن الشمالية والقدس

والكرك وبلاد العرب ومصر . ولذلك كان الجباة يقيمون في كفر ناحوم لاخذ رسوم البضائع من القوافل التي كانت تمر بتلك الطريق . ولا اظن قول يوسيفوس هذا المؤيد بالبراهين الحسية يقبل الرد . وقد باحثنا بهذا الخصوص عدة من علماء الآثار فوافقونا على راينا الا من كان منهم شديد الاستمساك بالتقاليد فانهم اظهروا اضطرابهم في ذلك ورغبتهم في زيادة الفحص عنه . وقد وعد بعضهم بالكتابة لنا عن نتيجة ابحاثهم ومر على تلك الوعود ازمان دون انجاز — ولقد اكتشفت قرية كورزين ولعل مكتشفها هو الدكتور روبنصن العالم المدقق الذي اكتشف عدة اكتشافات مهمة كانت مجهولة تماماً قبل سياحته في البلاد . وهي تعرف باسم (خربة كرزا) واقعة على مسافة ميلين ونصف الى الشمال من تل العريمه (كفر ناحوم) وفيها بئر ماء وبعض خرابات متهدمة حتى اساساتها

واما طبريا فاني ابقي الى فرصة اخرى الخوض في تاريخها القديم والحديث وسبب عدم دخول السيد اليها وعدم ذكرها في ثلاثة من الاناجيل واحوالها الحاضرة وما يمكن ان تصير اليه

﴿ الجامعة ﴾ نشكر جناب الكاتب لاتحافه الجامعة بهذه الرسالة . ولكن لنا عليه عدة اعتراضات . منها ان رنان لم يذكر ان ولاية الجليل هي غولونيتيس ولكنه سمى يهوذا الغولونيتي « بالجليلي » كما كان يسميه معاصروه وكما سماه مؤرخو اليهود انفسهم على سبيل المتابعة . والدليل على ان رنان لم يكن « يجهل » ما ذكره جناب صاحب المقالة من ان غولونيتيس « واقعة شرقي بحيرة طبريا » قوله في الصفحة المذكورة آنفاً السطر ١٢ (احدهما يدعى يهوذا « يريد الغولونيتي » وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبريا »

واما قوله ان دلمانوثه « واقعة في منتصف الطريق بين طبريا والمجدل فهو رأي فيه نظر . فان مرقس يقول « وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه وجاء الى نواحي دلمانوثه » وذلك يرجح ان دلمانوثه كانت على شاطىء البحيرة . وقد نفى بعضهم بهذا الدليل ما زعمه طمسن من ان دلمانوثه واقعة في مكان يدعى اليوم « دالاميا » او دالاميا وهو على مسافة ساعة ونصف من مفترق الاردن عن البحيرة على شاطىء الاردن نفسه — واما كورزين فان رنان ذكرها في حاشية في كتابه وضربنا نحن صفحاً عنها رغبة في الاختصار . فانه قال في الحاشية ان العلماء بالآثار يضعونها في مكان يدعى اليوم كورازي او بئر كرازي ولعله « خربة كرزا » التي اشار اليها جناب الكاتب — واما كفر ناحوم فراي المراسل فيها غير

بعيد . ولكننا نخبره بانه اخطأ في تعنيفه رنان لعدم مشاهدته « عين الطابغة » فانه شاهدها وكتب عنها في الصفحة ١٤٥ سبعة اسطر هذه ترجمتها « وعلى مسافة ربع ساعة من هناك عين ماؤها مالح تدعى عين الطابغة وهي تنبع من الارض من عدة منابع واسعة على مقربة من البحيرة وتصب فيها . وعلى مسافة ٤٠ دقيقة منها بعض اكواخ وخرائب تدعى تل حوم » فمن ذلك يظهر ان عين الطابغة قريبة من تل حوم وحينئذ تكون تل حوم هي « كفرناحوم » التاريخية وعين الطابغة هي الينابيع السبعة التي كانت تسقيها . وقد ذكر رنان هذا الراي في احدى حواشي الكتاب على سبيل الترجيح لا التقرير لانه لا يقرر شيئاً الا اذا كان على يقين منه

الهواء الاصفر في القطر المصري

لحضرة الفاضل الدكتور عارف افندي نحاس احد اطباء محاجر الطور في العام الماضي

في اواسط شهر يوليو ارتجت ارجاء مصر لظهور الهواء الاصفر بغتة في بلدة موشه (الوجه القبلي) وبلوغ اصاباته فيها ٩٥ اصابة في يوم واحد مع ان عدد سكانها لا يجاوز ثمانية الاف نفس . وبعد وقت وجيز وصل هذا الوباء الى العاصمة فهلعت القلوب واضطربت النفوس واشتد الخوف بالناس حتى اخذوا يتملقون باذيال الفرار افواجاً افواجاً وهم لا يلوون على شيء . فقام اطباء الصحة حماة الاجسام والارواح يصدون هجماته ويدفعون ضرباته . اما عدد منكوبيه منذ ظهوره لغاية ٢٥ الجاري (اغسطس) فهو في جميع مديريات القطر ٤٢٧٨ اصابة و٣٢٤٤ وفاة واما الذين شفوا منه فلا يتجاوز عددهم ٣٢٢ شخصاً

﴿ اكتشاف ميكروبه ﴾ ويحسن بنا هنا ان نقابل هذا الوباء بالهواء الذي حدث في مصر في عام ١٨٣١ . فقد بلغت الوفيات به في ذلك العام ٢٥٠٠ نفس في كل يوم . ولذلك حصد ٥٥ الف نسمة في مدة اربعة اشهر . فتامل . وسبب ذلك ظاهر كالشمس للعيان فقد كان العلم يجهل حقيقة الوباء وكيفية سيره وكانوا يحسبونه هواء يتطاير في الفضاء ولذلك كانوا يحرقون في الفضاء بعض الخرق ملوثة بمواد مضادة للفساد ليلاشوا ذلك الهواء . وهكذا كانوا يصنعون ايضاً في سنة ١٨٨٣ حين عودة الوباء الى القطر وفتكه فيه فتكاً

ذريعاً كالوباء الذي تقدمه . الا انه في هذا العام (١٨٨٣) تالفت لجنة المانية من الدكاترة كوخ وفيشر وغافقي لفحص الهواء الاصفر وقدمت هذه اللجنة الى القطر المصري فاكتشفت لهذا الوباء ميكروباً صغيراً . ثم سار الدكتور كوخ الى الهند وزاد بحثاً وتنقيباً في الوباء هناك فوجد ان الميكروب الذي وجده في ديار مصر هو نفس الميكروب المنتشر في اصقاع الهند . وهكذا اكتشف كوخ اكتشافاً عظيماً

﴿ منشأ الوباء في الهند ﴾ اما منشأ هذا الوباء الخبيث فهو وادي الكنج في بلاد الهند فان الهنود الوثنيين يعتبرون هذا النهر نهراً مقدساً يصب في الجنة كما يقولون ولذلك يلقون فيه جثث امواتهم ملفوفة باوراق النباتات والاشجار . فتطفو هذه الجثث على وجه الماء سابحة صاعدة الى « المكان الابدي » والحقيقة ان النهر حين فيضانه يقذفها على شواطئه مع جميع الاقذار والاوساخ التي تُلقى فيه فتتراكم في الوادي بعضها فوق بعض فيدب اليها الفساد والنتن فتنشأ فيها ميكروبات عديدة منها ميكروب الكوليرا . ولذلك يُعدّ هذا الوباء « محلياً » في الهند . ومما يساعد الاوبئة على الانتشار هنالك حالة الهواء والاقذار . وقد احصى اونسلي من سنة ١٨١٧ الى سنة ١٨٤٠ — ٤٤٣ وباء هاجمت تلك البلاد فحصدت منها ١٨ مليون نفس . ولعمري انه لو تالبت الدول جمعاء بمدافعها الجهنمية وعددها الهائلة وقاتلت بعضها بعضاً لما بلغت قتلاها هذا العدد

﴿ انتشاره من الهند الى الخارج ﴾ ويتصل تاريخ اكتشاف هذا الوباء في الهند بتاريخ دخول الاوربيين اليها سنة ١٨١٧ . ثم انتشر في الاقطار منذ عام ١٨٣٠ وكان انتشاره بطريق البر فوفد الى هندستان ومنها الى افغانستان وجنوبي ايران وروسيا ومن هناك دخل اوربا . وفي سنة ١٨٦٥ اخذ ينتشر عن طريق البحر في سفن الملاحة . على ان افتتاح ترعة السويس سهل له سبل الانتشار وهذا ما راع الدول واخاف العالم المتمدن خوفاً عظيماً فعقدت مؤتمراً في فينا سنة ١٨٨٧ للنظر في الوسائل الواجب اتخاذها اتقاء لهذا الوباء . فاشار بعضهم باقامة المحاجر في السويس لصد هجماته ورد غاراته فقام آخرون وفي مقدمتهم بتنكوفر الانكليزي وعارض هذا الراي مكتفياً بما تجريه البلاد من الامور الصحية . فتصدى لهم بروارديل الطبيب الفرنسوي قائلاً : اذا كانت المحاجر لم تمنع انتقال الكوليرا واتخذتم ذلك دليلاً على وجوب الغائها فذلك بمثابة قولكم : بما ان الحصون والقلاع لا تصد هجمات العدو المهاجم فانه يجب هدمها

﴿ ميكروب الوباء ﴾ اما ميكروب الوباء فهو جسم حي صغير جداً لا يُرى بالعين



ميكروب الكوليرا

الجرودة وهو بشكل الواو او الفصلة ولذلك سموه « واوياً او فصلياً » وهو يتحرك حركات سريعة وهذا الميكروب موجود في براز الموبوء وقيئه وكلما مس هذا البراز والقيء . وهو يعيش زمناً طويلاً فقد اخذ الدكتور كوخ بعد مرور ٨١ يوماً على انقطاع الوباء في مرسيليا قليلاً من ماء البحر في مرفاءها وفحصه فحصاً بكتريولوجياً فوجد الميكروب عائشاً فيه . ومن خواص هذا الميكروب انه يعيش وينمو ويتكاثر في الامتعة والمحلات الرطبة والمياه الراكدة ومياه الشرب . ولكن حركته تقف عند الدرجة العاشرة من الحرارة . وهو يعيش في درجة ١٦ ويزداد فتكاً وتكاثراً في درجة ٣٠ الى ٣٧ وقلما يعيش في درجة ٥٠ ويموت موتاً سريعاً في درجة ٧٥ . وله عدو لدود وخصم عنيد وهو الحوامض فهي له كالسم القاتل . وقد حقق ذلك الدكتور كلين خصم الدكتور كوخ وذلك انه اخذ كاس ماء مملوءة من ميكروبات الكوليرا وعصر فيها حامضاً ثم شربها فلم يضره شيء . على ان حوامض المعدة تهضم الميكروب وتميته اذا كانت بحالة الصحة والانتظام اما اذا حصل عسر هضم او تلبك في المعدة صعبت اماتته لقلة الحوامض فيها . وكثرة المياه في المعدة تسهل له الطرق العبور الى الامعاء حيث ينمو ويتكاثر فيفرز سموماً قتالة

﴿ اعراضه وطرق العدوى ﴾ اما طرق العدى فمن البراز والقيء لاحتوائها على الميكروب الذي تقدم ذكره . ومنها يتصل الميكروب بما يلامسه ويباشره كالماء والطعام والفاكهة والامتعة الخ .

واما الاعراض فهي تحدث غالباً على ثلاثة ادوار الدور الاول « الطور المنذر » وبيان ذلك ان الانسان يكون في حالة العافية والصحة واذ يفاجئه القيء والاسهال ويكون ذلك في الليل على الغالب فيشعر المصاب بمغص اليم ثم يتزايد الاسهال بدون اوجاع ويكون ذا مواد سائلة صفراء اللون كريهة الرائحة . وقد تمر بضعة ايام على هذه الحالة ثم تنتهي اما

بالشفاء بواسطة العلاج والاعتناء او بالانتقال الى الدور الثاني وهو « الدور الجليدي » ففي هذا الدور تتزايد دفعات الاسهال وتصير ذات مواد مصلية بيضاء كمغلي الارز بدون آلام ثم يبتدي القيء اصفر اللون او ابيضه فيه كثير من الماء ممزوجاً بمواد مخاطية وغشائية. وقد يزداد عطش المريض ويشعر باحتراق شديد في بطنه ومعدته وجميع جسمه مع ان حرارته تكون حينئذ تحت المعدل

وفي هذه الادوار كلها يمكن الشفاء متى حصل رد فعل . وذلك يتم بارتفاع الحرارة في الجسم واعادة وظائف الاعضاء الى مجراها الطبيعي شيئاً فشيئاً

﴿ الوقاية ﴾ قيل الوقاية خير من العلاج فعليك اذاً الاعتناء بحفظ المعدة سالمة من التلبك وسوء الهضم . فلا تكثر من الطعام . امتنع عن المسكرات . لف معدتك بحزام من صوف . لا تاكل طعاماً الا اذا كان مطبوخاً وخفيفاً على المعدة . لا تتناول من المشروبات سوى قليل من الكونياك الجيد او النبيذ والقهوة والليموناده والكازوزه . امتنع عن اكل اللحوم المقددة والاسماك المملحة المكبوسة وسائر المكبوسات والاثمار الغير الناضجة. لا تاكل شيئاً من غير ان تغسل يديك بالصابون المصنوع مع الفنيك . لا تشرب ماء الا بعد غليه جيداً وتبريده بالهواء او ان تضع في كل لتر من الماء ٦٠ سنتيغراماً من الحامض السيتريك او ان تقتصر على المياه المعدنية . اجتنب التعب الشديد والسهر الطويل وما وراءه . وانت اعلم بما وراءه

اما منزلك فاول كل شيء يجب عليك فيه هو تنظيف (محلات الراحة) وصب الحامض الفينيك التجاري فيها . واجعل كل غرفة في اتم نظافة وافتح نوافذه طول النهار واغسل جسمك كل يوم مرة واجعل ثيابك في اتم نظافة

ومتى شعرتَ باقل اسهال او قيء او مغص فالزم فراشك في الحال واستدع الطبيب ولكن في جيبك زجاجة من اللودونوم واخرى من روح النعنع لتاخذ منها عشر نقط اول شعورك باعراض الوباء

﴿ علاجه ﴾ كثرت علاجات هذا الوباء منذ انتشاره في العالم وكلها لم تات بالنتيجة المقصودة . فقد عالجه بعضهم بالمسهلات وبعضهم باعادة الحرارة الى الجسم بالدلك او بالحمامات الحارة او الباردة وبعضهم عالجه بالزرنيخ والستركتنين وماء الفضة . اما الدكتور كليبر فانه اضعف ميكروب الوباء بواسطة الحرارة والهواء ثم لقح بعض الحيوانات به واستخرج منها مصلاً حقن به الانسان فلم تنجح التجربة . ثم قام الدكتور كنتاني

الايطالي وعالج المرض حقناً في المستقيم بحامض التينيك الذي هو اشد الادوية فعلاً في قتل ميكروب الكوليره وطرد سمومه من الامعاء فنجح بعض النجاح . وبعد ذلك استعملوا السالول في معالجته فنجح كثيرًا وهو الآن كثير الاستعمال في الهند . وكثيرًا ما يسري سم الميكروب في كل الجسم فيفتقر الدم الى مادة تطهره وتميد اليه ما خسره من المصل فيحقنون المريض حينئذ بمصل صنعه الدكتور حايم الفرنسوي وهو مركب من ماء مقطر وملح وكبريتات الصودا . والله الواقي في كل حال وعليه الاتكال

رنان وانكاره العجائب

﴿ العقل والقلب ﴾ وردنا مع بريد سوريا منذ مدة مقالة طويلة عنوانها « رنان والعجائب والدين » وتوقيعها « خادم الانسانية » اما موضوع هذه المقالة فهو الردّ على ما ذكره رنان من انكار العجائب ومحاولة اثباتها من طريق العقل . وقد ساءنا ما ذكره كاتبها في صدر كلامه من انه سمع من بعض مواطنيه ان الجامعة لا تقبل ردًّا على هذا الموضوع . وانما ساءنا هذا القول لان الجامعة لا تقفل باباً لها دون الردود النزيهة التي لا يقصد بها اصحابها الا اظهار الحق ومدافعة الدليل بالدليل . ولكن متى خرج الكلام عن دائرة الدليل والبرهان فانها تضطر الى اهماله او الى حذف ما كان فيه مخالفاً لذلك المبداء . كما صنعنا في الرسالة التي نحن الآن في صددها

ثم ان البرهان في هذه المسائل قسمان : قسم نسميه « برهان عقلي » وقسم نسميه « برهان قلبي » فالبرهان العقلي مبني على قاعدة الفيلسوف باكون وهي الاختبار والمشاهدة والامتحان . ومعنى ذلك ان لا نعتبر الشيء حقيقياً الا متى جربناه عدة مرات وادى الى نتيجة واحدة . واما « البرهان القلبي » فهو شعور الانسان بالامر مع عدم قيام الدليل العقلي عليه . كشعور كل نفس بوجودها الذاتي وشعور القلب بلذة الخير والفضيلة والصلاح وهي الامور التي كثيرًا ما تهكم عليها العقل وحسبها ناشئة عن التربية والعادة لا عن وجدان الانسان نفسه

ومن ذلك يتضح الفرق بين « البرهان العقلي » و« البرهان القلبي » . ولذلك نرجو مع جميع محبي خير الانسانية في الارض ان لا يسطو هذان البرهانان احدهما على الآخر بل ان

يبقى كل واحد منهما في دائرته : الفلسفة والعلم في دائرة العقل . والدين في دائرة القلب. وكل واحد من الاثنين نافع وضروري للانسانية متى كان منزهاً عن الشوائب. ولا سبيل لاثبات احدهما من طريق الآخر لان وظيفة الواحد منهما تختلف عن وظيفة الآخر. ولذلك اخطاء جناب كاتب الرسالة في ما حاوله من اثبات الامور الدينية من طريق العقل لان المقدمات التي بنى عليها نتائجه لا تسلم من الردّ « عقلياً » . وقد كان في غنى عن كل ردّ بان يقول مثلاً : قلبنا يؤمن بذلك وكفى

وبناء على ذلك نقول انه ليس شيء اوقح من العقل متى رام الضغط على القلب وانكاره كما انه لا اوقح من القلب متى رام الضغط على العقل لسدّ طريقه . وهذا الفصل بين « القلب » و « العقل » واجب في كل دين وكل مذهب لا في دين مخصوص ومذهب مخصوص. فعلى اصحاب العقل ان يسمعوا صوت القلب من غير ان يحتطوا عليه وعلى اصحاب القلب ان يسمعوا صوت العقل من غير ان يحملوا عليه . ذلك لانه لا ينشاه عن احتكاك هذه « الاصوات » الا كل خير للانسانية . فما كان من الارض يسقط ويفنى وما كان من السماء يقوم ويقوى . والجامعة لا تألو جهداً في ترديد هذين الصوتين والتوفيق بين هذين المبدأين ليختار القارىء المبدأ الذي يلائم طبيعته من غير اكراه ولا اجبار . والدليل على ذلك انها نشرت « بولس وفرجيني » (جهة القلب) في الجزء الذي نشرت فيه « تاريخ رنان » (جهة العقل) . وهي لا يهمها في هذا السبيل سخط اورضى من اي جانب كان لانها تعتقد انها بذلك تخدم الفكر البشري في الشرق خدمة صارت واجبة وانها في الطريق القويم

اما الرسالة التي ردّ بها « خادم الانسانية » على قول رنان في العجائب (المعجزات) فهذا اهم ما ورد فيها :

«ان مسالة العجائب مسالة تاريخية لا عقلية . فهي من الوقائع اليومية . والدليل الذي تحتاج اليه هو الدليل التاريخي . وقد اثبت التاريخ كثيراً من الوقائع التي ما كان العقل يصدقها لولا حدوثها . مثلاً اي عقل يصدق ان الاتان تلد ابنة ومع ذلك فقد شوهد هذا الامر . . . اي عقل يصدق باشتعال النار تحت الماء ولكني شاهدته عياناً لما اتصل الحامض الينثريك بالفصفور . والعقل لا يصدق ايضاً ان اسفل السفينة يثقب ولا تدخلها المياه ومع ذلك فقد قرات الحادثة منذ مدة في احدى المجلات العلمية العربية . فان كاتب

المقالة غاص في احدى الغواصات مع مخترعها في جوف البحر ولما تكاثف الهواء المضغوط في غرفة في الغواصة فتح فيها باباً على الماء وهي في قعر البحر فصار الماء واقفاً لدى الباب والباب مفتوح دون ان يدخل الماء فيه . فالعقل يحكم في الممكنات بحسب اختباراته اما في الوقائع فالحكم للشهادة لا للعقل وليس على العقل حينئذ الا ان يسكت او يؤمن . ولو اخبروا الزنجي في اواسط افريقيا ان المياه تجمد وتتصلب بحيث تدوسها الخيول وتجري عليها المركبات ولا تغرق فيها لقال لك ان العقل لا يصدّق ذلك . ولكنك متى اخذته الى مدينة اركنجل او كويبك وشاهد ذلك بعينه لصدقه وحسبه امرًا اعتيادياً . ويروى ان فولتير لما سمع بما ارتآه نيوتن من « ان العقل البشري سيبلغ مبلغاً نتمكن فيه من قطع ٥٠ ميلاً في الساعة » هزأ به وحسبه حديث خرافة . افيستطيع فولتير اذا فتح عينيه اليوم ان ينكر سير قطارات البخار ٥٠ ميلاً الى ١٠٠ ميل تقريباً في الساعة

وبما ان العجائب الواردة في الكتب المقدسة حوادث تاريخية فيجب ان يكون حكمها حكم الوقائع التاريخية . ومتى ثبتت فلا يهمنا امر مطابقتها للنواميس الطبيعية او عدم مطابقتها كما انها لو عدمت الاثبات التاريخي لما افادتنا شيئاً مطابقتها تلك النواميس وتصديق العقل اياها

وقد قال رنان « اذا كانت العجائب صحيحة فلماذا لا تحدث الآن في قلب باريز عجيبة كبيرة تفتح عيون الذين لا يصدقون وتجعلهم يصدقون »

فنقول ليس هذا الاعتراض اعتراض فيلسوف ولكني لا اظن ان الفيلسوف يستطيع ان يعترض اعتراضاً امتن منه ضد العجائب وجواباً عليه اقول

لنفرض ان العجيبة التي يقترحها رنان قد حدثت في وسط باريز وقد شاهدها بنفسه . فعلى كل حال يكتب عنها رنان بقلمه الرنّان. فلنفرض انه كتب عنها وارسل هذا الكتاب الى سوريا فهل يريد منا ان نصدقه . ولكن لماذا لا نصدقه وهو رجل مخلص وقد كتب ما رآه عياناً . اذًا فلماذا لا يصدق رنان الذين كتبوا قبله

ولنفرض ان كتاب رنان الشاهد بحدوث المعجزة في باريز انتشر في العالم انتشار الانجيل فهل تُحسب شهادة رنان المكتوبة اضعف من شهادته الشفاهية . كلا . وغاية ما يُطلب لاعطائها قوتها امران : الاول ان تكون بالحقيقة كتابة رنان والثاني ان يكون رنان كتب عما رآه بنفسه وهذا هو الواقع في البشائر بالتمام

ولنفرض ان الناس عموماً قبلوا كتاب رنان هذا . ومات رنان واهل عصره وبقي كتابه

بين ايدي الجمهور مدة الفي سنة . وبعد هذه المدة الطويلة نبغ فيلسوف آخر اسمه رنان — وقد بلغ الناس يومئذ في العلوم والمعارف اسمى الدرجات وارتقى العقل البشري حتى صار علماؤنا يعدون اميّين بالنسبة الى علماء ذلك الزمن — فقام رنان الجديد المفروض وانكر شهادة رناننا هذا ليس لارتياب فيه ولا لقيام البينات التاريخية ضده ولا لسبب آخر بل لان العقل لا يصدقها . فماذا تعمل . ارجع عن الشهادة العيانية الثابتة مدة الفي سنة اكراماً لرنان الجديد

ثم لو نشر رنان هذا شهادته في الصحف الاخبارية وصدقها جميعهم الا ينشرون مئات من المقالات لتعليل الحادثة تعليلاً ينطبق على النواميس الطبيعية . وبعد ذلك الا يبقى محل للاعتراض على شهادة رنان . الا يقول قائل : اذا كانت العجيبة صحيحة فلماذا لا يحدث اليوم مثلها في برلين وروما وفينا

ثم انني انظر الى المسألة من وجه آخر فالقي الاسئلة التالية

اولاً هل ما نسميه نواميس طبيعية هي عوامل او كيفيات تجري المادة بحسبها

ثانياً اذا كانت كيفيات (كما لا بد ان تكون) فما هو الفاعل فيها

ثالثاً اذ كان الفاعل فيها هو الخالق افلا يلزم عن ذلك انه متسلط عليها

رابعاً اذا كان ذلك كذلك افلا ينتج منه ان العجائب ممكنة عقلاً

خامساً اذا كان كل ما تقدم معقولاً فما المانع من حدوثه فعلاً . افلا يكون حدوثه مطابقاً لما يليق باوصافه الجليلة

سادساً هل يجوز ان نتخذ اختباراتنا الجزئية اساساً لنفي الوقائع

﴿ خادم الانسانية ﴾

نقول . ربما كانت هذه الادلة اقوى الادلة العقلية على صحة العجائب . ولكن رنان يردّ عليها بقوله

« ربما يقولون انه اذا كان من المستحيل اقامة دليل عقلي على حدوث العجائب فمن المستحيل ايضاً اقامة دليل عقلي على عدم حدوثها . فنجيبهم « ان البينة على المدعي » لا على سواه . ولو جاء قوم الى يعرفون العالم الطبيعي وقالوا له ضع الغول والعنقاء في سلك الحيوانات فماذا يجيبهم . انه يجيبهم اروني اياها اولاً والا فانني لا اعتقد بها . وان قالوا له اقم دليلاً

على عدم وجودها فانه يجيبهم لا محالة: « بل عليكم انتم ان تثبتوا الدليل لا عليَّ »

« واذا قالوا ان الانسان عجيبة من العجائب لانه لم يُخلق الا بقدرة الله ومَن صنع هذه العجيبة فانه يصنع غيرها ايضاً . فالجواب عن ذلك ان هذا القول يغيّر وجه المسألة فان كل شيء مجهول يصير بمقتضاه عجيبة من العجائب . ان الشمس تكون حينئذ اعجوبة لان العلم لم يعرف بعدُ ماهيتها حق المعرفة . وتكوّن الانسان في بطن امه يكون عجيبة ايضاً لان الفسيولوجيا لم تعرف بعدُ كما نريد معرفته عنه . والضمير في الانسان عجيبة ايضاً لانه لا يزال سرّاً من الاسرار الغامضة . وهكذا يصير كل مجهول عجيبة . فهل هذه هي العجائب . كلا وانما معنى العجيبة الحقيقي وتعريفها الصحيح « خروج النواميس المعروفة عن نظامها الثابت بواسطة ارادة خصوصية » واذا قيل ان الله خالق هذه النواميس كائن في كل الكائنات وهو الذي بيده يده القادرة ويُخرجها اذا شاء عن نظامها المألوف الثابت فنجيب ان من معتقدنا ان الله كائن في كل الكائنات ولكننا لا نعتقد انه يُخرجها عن نظامها المألوف اذ لم يثبت انه صنع ذلك . واذا قيل انه صنع هذا الصنع في زمن مضى ولا يعود قلنا ان هذا القول انما هو بمثابة الاختباء وراء غيوم الماضي » راجع الجامعة السنة الثالثة الجزء السابع الصفحة ٤٥٧

ومن ذلك تظهر صحة ما ذكرناه في صدر الكلام من ان اصحاب القلب لا يظهر ضعفهم اشد ظهور الا متى راموا اقامة الدليل من العقل على القلب ولا يكونون في اشد قوتهم الا متى اجتنبوا الخروج عن دائرة القلب الى دائرة العقل

شرقي يرثي الشرق

بعد مطالعته تاريخ العرب في الاندلس في الجزء الاول من الجامعة وترجمة ابن رشد في الجزء الثامن

تمايل ذا الدهر حتى اضطربْ ... وقد يثني العطف لا من طربْ
ومرّ زمانٌ وجاء زمانٌ ... وبين الزمانين كل العجب
فقوم تدلوا لتحت الثرى ... وقوم تعلوا لفوق الشهب
لقد وعظتنا خطوب الزمان ... وبعض الخطوب كبعض الخطب

ولو عرف الناس لم تهدم سبيلَ المنافع الا النوب
فيا ربَّ داء يكون دواء اذا عجز الطب والمستطب
ومن نكد الدهر ان الذي ازال الكروب غدا في كرب
وان امرءا كان في السالبين فاصبح بينهم يُستلب
الست ترى العرب الماجدين وكيف تهدم مجد العرب
فاين بناؤهم المشمخرّ واين العماد واين الطنب
واين الذي رفعته الرماح واين الذي شيدته القضب
واين شواهق عزٍ لنا تكاد تمس ذراها السحب
لقد اشرق العلم من شرقنا وما زال يَغْرُبُ (حتى غرب)
وكنا صعدنا مراقي المعالي فاصبح صاعدنا في صبب
وكم كان فينا ذوو همة سمت بهم لمعالي الرتب
وكم من هزبر تهز البرايا بوادره ان وفى او وثب
واقسم لولا اغترار العقول لما كف اربابها عن أرب
ولولا الذي دبّ ما بينهم لما استصعبوا في العلا ما صعب
ومن يُطعم النفس ما تشتهيه كمن يطعم النار جزل الحطب
الا رحم الله دهرًا مضى وما كاد يبسم حتى انتحب
وحيّى ليالِيَ كنا بها رعاة على من نأى واقترب
فلكاً ثقيل اذا ما كبا وعرشاً تقيم اذا ما انقلب
سلوا ذلك الشرق ماذا دهاه فارسله في طريق العطب
لو ان بنيه اجادوا بنيه لاصبح خائبهم لم يخب
فقد كان فيهم مقر العلوم وقد كان فيهم مقر الادب
وهل تنبت الزهرَ اغصانه اذا ماء كل غدير نضب
وهل (كابن رشد) على فضله يُسام الهوان وسوء النصب
كأنْ لم يكن صدره منبعاً لما كان من صدره ينسكب
ومن يستبق للعلا غاية فاولى به من سواه التعب
وليس بضائر ذي مطلب اذا كفه الناس عما طلب
فكم من مصابيح كانت تضيء بهن الرياح اذا لم تهب

وما عيب من صدف لؤلؤ ‌‌ ولا عاب قدر التراب الذهب

بني الشرق ابن الذي بيننا ‌‌ وبين رجال العلا من نسب
لقد غابت الشمس عن شرقكم ‌‌ الى حيث لو شئتمُ لم تغب
الى الغرب حيث اولاء الرجال ‌‌ وتبك العلوم وتلك الكتب
فان كان هذا بحكم الزمان ‌‌ فتبت يدا ذا الزمان وتب
وان كان مما اردتم فلا ‌‌ تنال العلى من وراء الحجب
فدوروا مع الناس كيف استداروا ‌‌ فان لحكم الزمان الغلب
ومن عاند الدهر فيما يحب ‌‌ رأى من اذى الدهر ما لا يحب

مصطفى صادق الرافعي الطرابلسي

رد امام جليل

على مقالة الجامعة في ابن رشد

(ورد الجامعة على الرد)

نشرنا في الجزء السابق ترجمة ابي الوليد بن رشد فيلسوف الاندلس واشهر فلاسفة الاسلام . وقد كان غرضنا من هذه الترجمة الدخول الى دار الفلسفة من باب كبير لتوجه الانظار اليه احياء لهذه الصناعة المهملة . فيظهر مما كان لتلك المقالة من الاهمية اننا قد اصبنا الغرض المقصود

فاننا بينما كنا نشتغل بكتابة ترجمة حجة الاسلام ابي حامد الغزالي فيلسوف المتكلمين الاكبر الذي فاق « من جهة القلب » كل فلاسفة العرب كما فاقهم ابن رشد « من جهة العقل » (١) واذ وردنا من القاهرة من امام جليل طبقت شهرته العالم العربي ردٌّ على مقالة ابن رشد . فارتحنا الى تلاوة هذا الرد لامرين : الاول لاننا مولعون بمطالعة كل ما يُكتب عن هذا الفيلسوف والثاني لان فضيلة الاستاذ صاحب الردّ هو الثقة الذي يُرجع اليه في هذه المسائل . ولقد دفع الاستاذ هذا الرد ايضاً الى مجلة المنار الاسلامية الغراء التي تُطبع في العاصمة وعنها اخذتها رصيفتنا جريدة المؤيد الغراء . وبما ان جميع القراء

(١) اطلب تفسير « جهة العقل وجهة القلب » في هذا الجزء الصفحة ٦٢٠

في العالم العربي قد اطلعوا عليه بعد نشره في جريدة المؤيد المنتشرة في كل الاقطار فقد أكتفينا بذكره في الجامعة ذكرًا يطلع القراء على اهم اغراضه وبخاصة الامور التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها لتتمكن الجامعة من اظهار حقيقة معناها وايضاح الاشكال فيها . وانما نقول الرد عليها لان علم الاستاذ الجليل اوسع من ان يواجه برد . فنقول

افتتح الاستاذ ردّه على الجامعة بقوله انه استاء من فصل ورد في المقالة عن « الاضطهاد في النصرانية والاسلام » ثم قال « لاقاني بعض قراء تلك الترجمة فرايت الاثر في نفسه اشد . ولسانه في العتب احدّ . وذكر اشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولفتني الى اعادة النظر فيها . رجعت الى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يطلبان مني الكلام عليهما . وبان احادث الجامعة فيها . لو كانت منزلة الجامعة من نفسي منزلة غيرها من المجلات التي لا يعنى كاتبوها الا بنقل ما يقع تحت انظارهم . او تحبير ما يعبر عن اهوائهم وافكارهم . من دون عناية بتقرير الحقيقة . ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملي ما يصرفني عن ذكر ما عرض فيها . لكنها من المجلات التي لو اهملتُ مباحثها من انعام النظر وجعلتها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها . ونبوتُ بها عن موضعها

« لهذا رايت ان اذكر لها ما رايت في ذينك الموضعين وابين حقيقة الامر في الثالث . اما الموضعان فهما (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم »

وبعد ذلك اندفع الاستاذ في الكلام على فلسفة المتكلمين وحدوث المادة واختيار الخالق واثبات الرابطة بين الاسباب ومسبباتها في مذاهب المتكلمين وراي ابن رشد في المادة وخلق العالم واتصال الانسان بالخالق سبحانه وتعالى . ثم ختم هذا الرد الذي يستغرق عشر صفحات في الجامعة بقوله « ولعلّ الجامعة لا تعتب على الكاتب فيما كتب وفيما اجاب به من طلب فقد وفى حقًا لها لو اغفله مع علمها بالقدرة عليه لحقّ لها ان توجه العتب اليه » وبعده هذه الخاتمة « هذا ما اردنا ايجاز القول فيه متعلقًا بفلسفة المتكلمين وراي الفيلسوف وسنتبعه بمقال آخر فيما حكت به الجامعة في الكلام على الاضطهاد في النصرانية والاسلام ان شاء الله تعالى »

فنحن بعد مطالعتنا هذا الرد بالامعان الواجب له وجدنا ان الاستاذ يخطّىء الجامعة في الامور التالية . وقد اردنا حصرها ليسهل الكلام عنها . وهي في قسمين : قسم في الامور

الكلية وقسم في الامور الجزئية

﴿ الامور الكلية ﴾

اما الامور الكلية التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها فهي

الاول — ان المتكلمين لا ينكرون الاسباب وان الخلاف بينهم وبين الفلاسفة في هذا الشان جزئي صغير

الثاني — ان ما ذكرته الجامعة عن فلسفة ابن رشد وآرائه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود لا ينطبق على حقيقة آراء الفيلسوف

الثالث — ان ما ذكرته الجامعة عن « العقل الاول » مخالف لمذهب الفلاسفة في « العقول »

هذه هي الامور الكلية التي خطأ الاستاذ الجامعة فيها واما الامور الجزئية فسنذكرها بعد الفراغ من تلك الامور . فنقول

﴿ الاعتراض الاول ﴾ قال الاستاذ ان المتكلمين لا ينكرون الاسباب وان الخلاف بينهم وبين الفلاسفة في هذا الشان جزئي صغير . اما نحن فنرى ان الخلاف كلي وان لباب الفلسفة يعارض لباب الكلام على خط مستقيم . واليك البيان

لا يخفى ان الفلسفة اليونانية هي اول فلسفة قررت للطبيعة نظاماً ونواميس . وقد بسط ذلك ايضاً لوكريس الشاعر اللاتيني في احد كتبه . ولذلك فان جميع الامم التي لم تعرف الفلسفة اليونانية والرومانية كانت تعتقد فيما يختص بحوادث الكون وتدبير العالم اعتقادات لا تنطبق على مبادىء الفلسفة . فلما شرع المنصور والمامون في نقل الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية بترجمة الكتب اليونانية والهندية والفارسية راى علماء الكلام ان هذه الفلسفة مناقضة لاصول الدين الاسلامي . فكان شانهم في ذلك شان علماء اللاهوت في الدين المسيحي عند وصول هذه الفلسفة اليهم بواسطة ابن رشد وتلامذته . فهبوا الى معارضتها ومقاومتها . ولذلك جاء في تعريف « علم الكلام » في « التعريفات » انه (كما بقي في الذهن) : علم البحث في الخالق وصفاته بحسب شريعة الاسلام لنقض اقوال الفلاسفة . وهذا التعريف وحده كاف للدلالة على ان علم الكلام جعل بعد نشأته لنقض الفلسفة

وسبب ذلك ان لعلم الكلام في الدين الاسلامي (كما للاهوت في الدين المسيحي) اصلين عظيمين عليهما بني الدين كله . وهما : ان المادة حديثة يعنون غير قديمة اي مخلوقة بخلق خالق . والثاني ان الخالق الذي خلقها منفصل عن الكون ومطلق التصرف فيه وعالم بجزئياته وكلياته . وبعبارة اخرى نقول ان المليين اي اليهود والمسلمين والنصارى يعتقدون ان هذا العالم مخلوق منذ مدة لا تتجاوز بضعة الاف من السنين كما جاء في كتبهم وان خالقه سبحانه وتعالى يعلم كل ما يحدث فيه من جزئي وكلي ويدبره بعنايته وارادته . ولذلك جاء في صلاة المسيحيين « فلتكن مشيئتك » وجاء في القران « والارض لله يورثها من يشاء » واجل صلاة عند الفلاسفة المليين قولهم « اللهم اعطنا ما نشاء بقدر ما نشاء حينما نشاء » هذا هو اعتقاد المتكلمين واللاهوتيين في الخالق على وجه الاجمال . واما الفلسفة فانها تمحو بيدها الثقيلة الغليظة كل هذه الآمال الجميلة وان كان تعليمها لم يثبت بعد من حسن الحظ وفرقها مختلفة فيه . فانها تقول ان المادة قديمة ازلية وان للطبيعة نظاماً ونواميس ثابتة لا تتغير . وان الكون لم يوجد الا بحسب هذا النظام وتلك النواميس . وان هذه النواميس اذا اتبعها المجوسي مثلاً وخالفها الكتابي (الاسرائيلي او المسلم او المسيحي) فاز المجوسي وسقط الكتابي . وبالعكس . هذا سبب الخلاف الاعظم بين الفلاسفة والمتكلمين واللاهوتيين مذكور بعبارة بسيطة وهو ما قصدناه حين المقارنة بين الفيلسوف ابن رشد والمتكلمين

وعلى ذلك فمسالة الرابطة بين الاسباب والمسببات لم تعد بعد هذا البيان مسالة جديرة بالذكر والاهتمام . لان جاحد الاسباب يستطيع مثلاً ان يعتقد بها في الظاهر ويبقى على اعتقاده القديم من جحود حقيقتها في الباطن . مثال ذلك ان يقول « ان الخالق هو الذي جعل تلك الاسباب . فمتى حدثت الحوادث ونسبناها الى اسبابها كان ذلك بمثابة نسبتها اليه » وهو تخلص مألوف . ولكن هل يستجيز الملّيون وفيهم المتكلمون القول « بان الخالق لا يمكن ان يناقض تلك الاسباب ولا ان يغيرها لانها ثابتة لا تتغير او انه على الاقل لم يثبت انه غيّرها وناقضها » لا ريب ان المتكلمين ينكرون ذلك كل الانكار لانه يؤدي الى انكار الوحي . ولذلك فاعترافهم بالاسباب انما هو اعتراف سطحي . وهذا ما جعل الامام الغزالي يقيم الدنيا ويقعدها على الفلاسفة ليبرهن لهم ان الاسباب الحقيقية ليست موجودة في الامور التي تقع تحت ابصارهم بل في الخالق نفسه . وان النواميس الطبيعية هي « اسباب عادية لانه ليس من الواجب على الخالق التزامها » وانه ليس في الكون شيء ثابت

وغير قابل للتغيير الا الله وحده . وكانه لم يكتف بتجريد النواميس الطبيعية من صفة الثبات فهاجم الفلسفة من جانبها الضعيف فكاد يصيب مقتلها . فانه بسط في كتابه « تهافت الفلاسفه » مذاهب جميع الفلاسفة ونقض كل واحد منها واظهر ما فيها كلها من الضعف والتناقض والاختلاف ثم صاح بعد ذلك : ان العقل لا يوصل الى الحقيقة لانه يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء . فصفق جميع معاصريه طربا لهذا الحكم الذي ضعضع به الفلسفة ولقبوه « حجة الاسلام » اي برهانه القاطع وكوكبه الساطع . وفي الحقيقة انه كان كذلك . و يسوءنا جداً ان نكون قد اضطررنا في هذا الجزء الى الاشتغال بهذا الرد من كتابة ترجمة هذا الحكيم العظيم الذي كان له على بني عصره تاثير ما بعده تاثير . ولكن يسرنا في مقابلة ذلك ان اشتغالنا عنه كان بمحادثة الاستاذ الذي ناب في قومه منابه في هذا الزمان

فمن ذلك كله تتضح ثلاثة امور (١) ان المتكلمين كانوا اعداء الفلسفة منذ نشاتها لانها كانت تستغني عنهم وعن علمهم وتطلب معرفة الخالق بعلمها الخاص . (٢) انهم كانوا يرومون الحط من منزلة العقل كما تقدم ليتمكنوا من ضعضعة الفلسفة واضعاف مذهب الفلاسفة في الاسباب والمسببات (٣) انهم كانوا ينكرون الاسباب « كما يفهمها الفلاسفة » . والدليل التاريخي على ذلك قول ابن رشد نفسه في آخر كتابه (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ما نصه بحرفه وهو . « كثير من الاصول التي بنت عليها الاشعرية (وهم من المتكلمين) معارفها هي سوفسطائية . فانها تجحد كثيراً من الضروريات مثل ثبوت الاعراض وتاثير الاشياء بعضها في بعض ووجود الاسباب الضرورية للمسببات والصور الجوهرية والوسائط . ولقد تعدى نظارهم في هذا المعنى على المسلمين ان فرقة من الاشعرية كفرت من ليس يعرف وجود الباري بالطرق التي وضعوها لمعرفته في كتبهم وهم الكافرون والضالون بالحقيقة »

هذا راي ابن رشد بالحرف الواحد في مناظريه الذين عنيناهم في ترجمته . وهو قول صريح لا يقبل الرد ولا التاويل واصدق دليل على اننا لم ننسب الى مناظري الفيلسوف في ترجمته الا ما كان ينسبه اليهم هو نفسه

واما « المعتزلة » التي ذكر الاستاذ عنها انها من بين فرق المتكلمين الفرقة التي تعتقد بالاسباب اعتقاداً وطيداً فانها لا تدخل في موضوعنا . وذلك لعدة اسباب : منها ان المعتزلة كانت خصماً للمتكلمين الذين كان ابن رشد ينازلهم في مناظراته . وخصم خصمك

صديق لك وان كانت تنفصل عنه امور اخرى . ومنها ان المعتزلة لم تاخذ مبادئها العقلية في الاسباب وغيرها الا من الفلسفة اليونانية التي سعى المنصور ثاني خلفاء العباسيين في ترجمة بعض كتبها قبل المامون. ولذلك فان النبع الذي استقت منه هو وابن رشد واحد. ومنها ان المعتزلة رامت ان تعمل في الدين الاسلامي ما عمله الانجيليون (البروتستانت) بعدها في الدين المسيحي فانها قررت خلق القرآن وغير ذلك من الامور . فهي اذاً موضوعة خارج دائرة المتكلمين الذين وظيفتهم الدفاع عن السنة الاصلية الحقيقية .

وفضلاً عن ذلك فان المعتزلة لا تعتقد بالاسباب « كما يفهمها الفلاسفة » بل مذهبها فيها وسط بين الفلاسفة والمتكلمين. ونحن نشك شكاً قطعياً ان في العالم فرقة دينية (اسلامية كانت او مسيحية) تعتقد بهذه الاسباب اعتقاداً ينطبق على مذهب الفلاسفة(١) اي الاعتقاد بان تلك الاسباب ثابتة لا تتغير ابداً « لان الخالق خلقها غير قابلة للتغيير » . وعلى ذلك يكون بين المذهب الفلسفي والمذهب الملّي ما بين الارض والسماء . ولا غرابة ولا عجب فان الواحد ارضي والآخر سماوي . و بعبارة اخرى : واحد عقلي وواحد قلبي . ولولا هذا البون العظيم بين المذهبين لما حدث في التاريخ ما حدث بين الدين والفلسفة في كل دين ومذهب . لان مجرد اعتراف الفيلسوف بان الخالق سبحانه وتعالى يخرق نواميسه في كل يوم لانقاذ عباده الصالحين واختصاصهم بنعمه — كافر لان يرضي خصميه المتكلم واللاهوتي اذ في ذلك تغلبها عليه ونقض لاساس الفلسفة « الحقيقية »

الاضطهاد في المذهبين — هذا ما نذكره عن المتكلمين والفلاسفة وفيه الكفاية . وقبل الانتقال من هذا الموضوع الى موضوع آخر نورد ما ذكره الاستاذ بعد بسطه فلسفة المتكلمين في الاسباب . قال ما نصه : « فان شئت ان تقول انه مذهب مع ذلك غامض بكدّ الذهن في فهمه فلك ان تقول وان تنعم النظر حتى تفهم مبانيه واصوله » ولا ريب ان الاستاذ لم يقل هذا القول الا لانكاره بان « الاعتقاد بتغير النواميس الطبيعية » والاعتقاد « بوجودها» نقيضان لا يجتمعان ولذلك قال عن مذهب المتكلمين فيه انه مذهب غامض . وقال في الختام « نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب واساءوا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الاسباب في اقوالهم وان كانوا اشد الناس تمسكاً بها في اعمالهم . وتعلقوا

(١) الا بعض الانجيليين الذين يعتقدون بمذهب الفيلسوف سبنسر ويحسبون مع ذلك انجيليين

من الخوارق بجبل واهن ميلاً الى اهواء من جاورهم » نقول فما العمل اذا كان الحول والطول والسلطة في كل الازمان وفي كل الاديان انما هي للفرقة التي عناها الاستاذ . فهي التي اضطهدت العلم والفلسفة في العالم لاطفاء نور العقل . هي التي كانت تهاجم الفلاسفة والعلماء فتحرق منازلهم في الاندلس قبل ان يدري بها رجال الشرطة . ومن غير انذار ولا محاكمة . هي التي كانت تكوي سمعة كل مشتغل بالفلسفة بكلمة نارية كانت تفعل فيه وفي مصالحه فعل السم في البدن في ذلك الزمن وهي كلمة « زنديق متمنطق » ولذلك جاء في امثالهم « من تمنطق فقد تزندق » . واحياناً كانت تزج اصحاب العقول في السجون واحياناً كانت تقتلهم كما فعلت بابن حبيب الاشبيلي . هي التي كان اذا احسّ بعض الخلفاء بارتجاف عروشهم من تحتهم بادروا الى التزلف اليها باضطهاد العلم والفلسفة كما صنع الحاجب المنصور في الاندلس حين اغتصابه الخلافة من هشام واحراقه جميع كتب المنطق والفلسفة في احدى ساحات قرطبة تزلفاً لتلك الفرقة . وهي هي التي فعلت في المسيحية كما فعلت في الاسلام لان الانسان انسان سواء كان مسلماً او مسيحياً اي فيه كل رذائل الانسانية وفضائلها . ولذلك قتل المسيحيون فلاسفتهم وعلماءهم واهانوهم وملأوا تاريخهم بحوادث يحمرّ منها وجهه ووجوه ابنائهم خجلاً . — هذه هي حال تلك الفرقة عند المسيحيين والمسلمين معاً . ونحن نسلّم مع الاستاذ بان كل الضرر منها . ونزيد على ذلك انه يكون وراءها عادةً في كل ملة وكل دين رجال افاضل عقلاء لا يرضون عن اعمالها ولكنهم يسكتون بالرغم عنهم ورجال افاضل عقلاء لا يطيقون السكوت كابن رشد وغيره فتقوم القيامة عليهم . ولكن بما اننا سلمنا مع الاستاذ بهذا الامر البديهي فاننا نؤمل ان يسلم معنا بامر بديهي آخر وهو : وجوب الدفاع عن الفلاسفة والعلماء في هذا الزمن زمن الفلسفة والعلم لا عن الفرقة التي لم يكن لها من غرض في كل عصر وكل ملة غير خنق الفلسفة والعلم . لان الدفاع عنها واثبات ما ليس لها لها حيف وظلم لاولئك الشهيدان الكرام الذين كانوا مناظريها وراحوا شهداء في سبيل مناظرتها . بل هو بمثابة تخطئة لهم ولمبادئهم ووضع الحق في جانب مناظريهم . مع انهم لم يقدموا على ما اقدموا عليه من الامور العظام الا وهم يعتمدون على انصاف ابنائهم في المستقبل لاعطائهم حقهم وقدرهم قدرهم

التاويل — وقد قال الاستاذ ايضاً « القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتها جدير باهل دين ورد في كتابه ان الايمان وحده كاف في ان يكون للمؤمن ان يقول للجبل تحوّل عن مكانك فيتحول الجبل . يليق باهل دين يعدّ الصلاة وحدها اذا اخلص المصلي فيها كافية في

اقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصري · وليس هذا الدين هو دين الاسلام · دين الاسلام هو الذي جاء في كتابة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » — نقول اننا لا نجيب عن ذلك شيئاً ولكننا نأسف لصدور هذا الكلام عن قلم الاستاذ · ولو كان فيلسوف الاسلام ابن رشد من معاصرينا اليوم لقال ولا شك لرفيقه الاستاذ بعد قراءة هذه النبذة ما قاله في كتابه تهافت التهافت من ان في كل دين وملة اموراً اذا لم يؤوّلها المؤمن تاويلاً شعرياً جميلاً تعذّر التسليم بها لمعارضتها العقل وادى ذلك الى ضعضعة اساس الاديان · والعجب من الاستاذ كيف نسي هذا الامر مع انه في الدروس الجليلة التي يلقيها في الازهر في تفسير القرآن والتي تنشرها مجلة المنار لا مّ لفضيلته غير هذا التاويل

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ بلغنا الآن الاعتراض الثاني وهو تخطئة الاستاذ الجامعة في ما لخصته من مذهب ابن رشد وردّه على ما نقلته من راي الفيلسوف في الخلود واتصال الانسان بالخالق وخلق العالم

ولكننا قبل الدخول في هذه المسائل نقدّم عدة مقدمات لنجعلها اساساً للبحث فنقول

(١) من المعلوم ان مبادىء الفلاسفة لا تُعرف من كتاب واحد من كتبهم بل من مجموع كتبهم · فالذي يُقدم على بسط فلسفة لاحد الفلاسفة يجب عليه مطالعة اهم كتبه ليستشهد بها

(٢) ان كتب الفيلسوف ابن رشد لم تُنشر كلها في اللغة العربية · وحسبك انها اليوم اندر الكتب حتى ان مكتبة المجلس البلدي لا تتضمن كتاباً منها · وهي في الاصل مخطوطة بخط مغربي · ولما كان النساخ العرب ينسخونها باللغة العربية كانوا يحذفون المواضع المهمة منها او يبدّلونها فراراً من الملام والاضطهاد · وانما نُشرت سالمة صحيحة في اللغة اللاتينية فقط لان يهود الاندلس من تلامذة ابن رشد « واكثر تلامذته كانوا من اليهود والنصارى » نقلوها الى لغتهم العبرانية لما طردهم العرب من الاندلس الى جبال البيرينه ثم اخرجوها من العبرانية الى اللاتينية ومنها اخذها علماء اوربا · وقد ترجمها اليهود ترجمة حرفية تقريباً حتى ان العالم بالعبرانية يستطيع ارجاع الكلمات العبرانية الى اصلها العربي الا في كتابين او ثلاثة · وعلى ذلك فعلماء الافرنج الذين وقفوا حياتهم في ذلك الزمان لدرس فلسفة ابن رشد او الردّ عليها ادرى بحقيقتها من علماء العرب انفسهم لان هذه الفلسفة دخلت في حياتهم الادبية واما العرب فقد سمعوا بها سماعاً فقط او وقفوا

على بعض كتبها

(٣) فبناء على ذلك لا مناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم . ولا يُشترط في هذا الاخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق . وهذا ما توخته الجامعة . فانها اعتمدت في تلخيص فلسفة ابن رشد في بضع صفحات على مقالة العالم كاري في الانسيكلوبيذية الكبرى الفرنسوية وعلى كتاب للمستر مونك المستشرق المشهور الذي حفظ كتب ابن رشد عن ظهر قلبه كما يحفظ المؤلف كتب نفسه . وعنوان هذا الكتاب « مزيج من فلسفة العرب واليهود » وهو في الاصل مقالة نشرها المؤلف في « قاموس العلوم الفلسفي » ثم زاد فيها وجعلها كتاباً على حدة

صحة ما نشرته الجامعة عن ابن رشد

ولما وردنا ردّ الاستاذ ورأينا فيه ما فيه من المخالفة لمبادئ ابن رشد التي بسطناها اعتماداً على هذين العالمين التمسنا كتباً اخرى . فاخذنا كتاباً للمستر مولر عنوانه « فلسفة ابن رشد ومبادئه الدينية » وكتاباً آخر عنوانه « ابن رشد وفلسفته » وهو للفيلسوف رنان المشهور الذي يعرف الاستاذ انصافه ونزاهته وبراءته من وصمة التعصب فضلاً عن معرفته اللغة اليونانية لغة ارسطو واللغة اللاتينية التي تُرجمت اليها كتب ابن رشد ثاني مرة واللغة العبرانية التي تُرجمت اليها اول مرة واللغة العربية التي كُتبت بها في الاصل . ومعلوم ان عالماً عظيماً وفيلسوفاً كبيراً مثل رنان لا يُقدم على شرح فلسفة ابن رشد ويكتب فيها اكثر من اربعمائة صفحة بحجم كبير الا بعد درسها درساً دقيقاً في كتبها العديدة التي كانت قريبة منه في مكاتب اسبانيا وفرنسا وايطاليا

ولكن ما اشد ما كانت دهشتنا حينما كنا نتصفح تلك الصفحات الثمينة . ذلك اننا وجدنا في كل صفحة منها تصديقاً للخلاصة الفلسفية التي نشرناها في الجزء السابق . فهي هي بلا زيادة ولا نقصان مع حفظ نسبة الاختصار والاسهاب في المصدرين . فلم يبقَ عندنا اقل ريب في ان ما ذكرته الجامعة عن فلسفة ابن رشد هو الصحيح من اوله الى آخره وليس في وسعنا حذف كلمة واحدة منه . لانه متى اتفقت الروايات دلّ هذا الاتفاق على صحة النقل . والاستاذ اعزه الله يعرف اللغة الفرنسوية فاذا شاء بعثنا اليه بكتاب رنان وعليه العلامات التي جعلناها في مواضعه المهمة بقلم من رصاص

ومتى طالع الاستاذ هذا الكتاب تحقق اننا لم ننسب الى الفيلسوف شيئاً من عندنا . فان رنان يثبت في كتابه هذا التعريف الذي عرّفت به الجامعة المادة في راي ابن رشد. وما ذكرته عن طريقة الخلق واتصال الخالق بالكون وما وصفت به العقل الاول واتصال الانسان بالخالق بواسطة العلم لا بالصلاة ويذكر عن رايه في الخلود وعقل الانسانية ما ذكرته الجامعة بالتمام ويقول ان هذا المذهب قريب من مذهب الماديين لانه يقيد الخالق تقييداً لا يقبله دين من الاديان . وعند كل عبارة يذكرها يدل في حواشي الكتاب على ما يثبتها فيقول مثلاً « راجع كتابه تهافت التهافت في الصفحة كذا او راجع كتابه في الطبيعيات الصفحة كذا او اطلب الصفحة كذا من كتابه في ما وراء الطبيعة الخ (١) واحياناً يورد باللغة اليونانية نص كلام ارسطو نفسه ليشرح غامضه . وهذا يدل على انه اقدر من ابن رشد في هذا الشان واحق منه بالثقة فيه لان ابن رشد كان يجهل اللغة اليونانية وانما قرأ فلسفة ارسطو في الكتب العربية التي ترجمها النساطرة والسريان قبله كما ذكرنا في ترجمته . ولذلك اخطأ في عدة مواضع فيها . وقد ذكر رنان في كتابه هذا الخطأ . ومنه نستنتج امراً جديراً بالاعتبار وهو انه اذا وجبت الثقة بفلسفة ارسطو التي نقلها ابن رشد وشرحها مع عدم معرفته باللغة اليونانية فانها واجبة ايضاً فيما يختص بفلسفة ابن رشد التي ينقلها الافرنج خصوصاً متى كانوا عالمين باللاتينية والعبرانية واليونانية والعربية

﴿ الاعتراض الثالث ﴾ وهذا القول يسوقنا الى الاعتراض الثالث وهو قول الاستاذ ان ما ذكرته الجامعة عن « العقول » لا ينطبق على مذاهب الفلاسفة فيها وذكره ان العقل الاول ليس كما ذكرت الجامعة بل هو الذي صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الاطلس وان العقل التاسع صدر عنه فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم العقل الفعال وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية الخ . ففيه نقول

خطاء العرب في مسألة العقول

ان ما ذكره الاستاذ عن « العقول » ليس في شيء من آراء الفلاسفة ولا فلسفة

---

(١) لم ننشر هنا هذه الشهادات العديدة لاننا ابقيناها الى الجزء القادم للاسهاب في هذا الموضوع زيادة في شرح فلسفة ارسطو وابن رشد التي توجهت اليها الآن انظار جميع القراء

ار يسطو كما قال وانما هو من آراء « فلاسفة العرب » دون سواهم . وسبب هذا الخطاء الغريب الذي وقع فيه فلاسفة العرب حتى انهم جعلوا للاجرام السماوية « نفوساً مفارقة لها ولما تعلق باجسادها كتعلق انفسنا بابداننا » امران : الاول ان العلم كان يومئذ يجهل ما اكتشفه نيوتن بعد ذلك من وحدة النظام في الفضاء اي ان كل الكائنات والاجرام السابحة فيه هي كون واحد محكوم بنواميس ثابتة وهذه النواميس متشابهة في هذا العالم وفي اقصى العوالم . وبناء على جهل العرب يومئذ هذه الحقيقة وضعوا للاجرام افلاكاً خصوصية مستقلة وجعلوا لها عقولاً فقالوا ان هذا الفلك صدر عن العقل التاسع وذاك عن العقل الاول وهلم جرًا . والامر الثاني انهم اخطئوا في فهم عبارة وردت في كلام ار يسطو وعليها بنوا مذهبهم في العقول . ولبيان ذلك نقول

لما تناول العرب فلسفة ار يسطو وجدوا انه يعتقد بخالق متصل بالكون يديره ويدبره . فرغبة في تنزيه الخالق عن الاتصال بالكون اتصالاً يجعله مقيداً وينفي الاختيار عنه قالوا ان ما يسميه ار يسطو خالقاً هو « العقل الاول » الذي تصدر عنه الحركة والقوة للعوالم وهذا العقل الاول متصل بالكون من جهة ليفيض عليه القوة ومتصل بالخالق من جهة اخرى ليستمدّ منه . فكانه واسطة بينهما . وهذا معنى قولنا في الجزء السابق « اما العقل الاول الذي منه قوة الاجرام وحركتها فهو في قلب هذه الدوائر » وايضاً « وبناء على ذلك لا يكون للكون اتصال بالخالق مباشرة وانما هذا الاتصال للعقل الاول وحده »

وبعد تقرير العرب ذلك رأوا في كتاب لار يسطو في ما وراء الطبيعة هذه العبارة « لقد ورد في اقوال الاقدمين في سياق اسطورة من الاساطير ان الاجرام السماوية آلهة وان الالوهية تشمل الطبيعة كلها . فاذا جردنا هذا القول من ثوبه الخرافي ونظرنا الى ما تحته من المعنى الدقيق الذي مآله ان العقول الاولى التي خلقت الكون هي آلهة امكننا ان نقول ان ذلك القول في غاية الصواب »

فيظهر ان هذه العبارة اصابت هوىً في نفوس فلاسفة العرب لرغبتهم في تنزيه الخالق كما تقدم او انهم لم يفهموها فهماً شعرياً تصورياً كما وردت في كلام ار يسطو ولذلك جعلوا للاجرام السماوية عقولاً ونفوساً متعلقة بها . فكانها وزراء تساعد العقل الاول .

وقد روى الذهبي في سيرة الخليفة يعقوب المنصور انه وُجد بخط ابن رشد على بعض تلاخيصه هذه العبارة (وجدوا ان الزهرة « الجرم السماوي » احد الالهة) فكان ذلك سبباً من اسباب نكبته . ومنه يظهر ان ابن رشد قد طاوع فلاسفة العرب في مسالة

العقول كما ذكرنا ذلك في الجزء الماضي

اما فلاسفة العصر فانهم يستغربون وجود تلك العبارة في كتاب ارسطو لان مبادىء ارسطو بعيدة من معناها . ولذلك يقولون ان احد النساخ زورها ودسها فيه . فكانت سبباً في تأليه الاجرام ونسبة العقول اليها . وهذا لا يدخل في فلسفة ارسطو قطعياً

خوف الكنيسة — اما قول الاستاذ «ان راي ابن رشد هو الذي زعزع طمأنينة الكنيسة في ذلك القرن وازعج القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على ابوابها ياذنون لما شاءوا من العقائد والافكار ان يدخل فيها ويطردون ما شاءوا » فنرد عليه بان الذي زعزع طمأنينة الكنيسة يومئذ هو ما كانوا يروونه عن ابن رشد لا رأيه نفسه . فقد قام قبل تلامذة ابن رشد كثيرون من الادباء في ايطاليا وفرنسا واخذوا في مقاومة الديانة المسيحية . منهم معلم في ايطاليا كان يقول لتلامذته ان كتب اليونان والرومان تتضمن من الحقائق اكثر ما تتضمنه الكتب المسيحية منها . وانما الذي اخاف المسيحيين في ذلك الزمن وجعلهم يعتبرون ابن رشد بمثابة غول هائل قول بعضهم عنه انه كتب كتاباً عنوانه « الغشاشون الثلاثة » يعني اصحاب الشرائع الثلاث اليهودية والاسلامية والمسيحية . وبعضهم يقول انه قرأ هذا الكتاب باللغة العربية ولذلك تحسر رنان لانه لم يجده . وهم ينسبون لابن رشد في الاسلام والنصرانية واليهودية والهندية اقوالاً ترتعد لها فرائص اصحاب هذه الاديان . هذا ما اخاف المسيحية يومئذ لا رايه الفلسفي . ولا ريب عندنا انه يخيف الاستاذ ايضاً وجميع الائمة في كل دين . ولكن من حسن الحظ ان تلك الروايات كانت مكذوبة على الفيلسوف الحكيم

﴿ الامور الجزئية ﴾

هذا راينا في ما ردّ به الاستاذ على الجامعة في الامور الكلية . بقيت هنالك امور جزئية تنحصر في خمسة . وهي (اولاً) ان الجامعة قالت « حدوث المادة اي وجودها بخلق خالق » والاستاذ يقول « ان الحدوث معناه الايجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الالهي » نقول في قواميس اللغة حدث نقيض قدم والقديم في اصطلاح الفلاسفة هو الازلي الذي لا بداية له . فالحديث هو ما كان ذا بداية اي موجوداً بخلق خالق لا موجوداً بذاته منذ الازل (ثانياً) قال الاستاذ « ان الافتراض ما لا وجود له » وقد رجعنا الى قواميس اللغة ايضاً فوجدنا « فرض الشيء تصوره او عينه »

ومنه القرض والاقتراض والمقروض في باب الخطأين في علم الحساب . فالمقصود من قولنا « ان المادة الاولى ضرب من الافتراض لا بدّ منه » هو ان الفلاسفة يتصورون وجود المادة الاولى تصوراً لتعليل الخلق وان كانوا لا يستطيعون اقامة الدليل على وجودها (ثالثاً) استغرب الاستاذ وضع الجامعة عنوان « طريق الاتصال » فوق صفحة موضوعها اتصال الانسان بالخالق مع انه لا موضع لهذا الاستغراب اذ جاء في اول سطر تحت العنوان ما نصه « وان قيل ما هي علاقة الانسان بالخالق الخ » ومن ذلك يُعرف موضوع الكلام والعنوان من اول سطر في تلك الصفحة (رابعاً) قوله « ان ما قاله ارسطو في ذلك الكتاب « الفصل الثالث من كتابه النفس » معروف مشهور) يريد الاستاذ بذلك نفي ما استندت الجامعة الى هذا الكتاب مما اخذه ابن رشد عنه فيما يختص باتصال الانسان بالخالق والعقل الفاعل والمنفعل ، والحال ان رنان قد افرد فصلاً خاصاً في كتابه الذي تقدم ذكره لهذا البحث وشرحه شرحاً وافياً مستعيناً بكلمات ارسطو اليونانية نفسها ونحن نعيد قولنا ان هذا الكتاب عندنا تحت امر الاستاذ (خامساً) قال الاستاذ « قد عرفتَ من هذا ان اتصال النفس بالعقل الفعال ليس معناه الفناء فيه او الاندغام كما عرفته الجامعة» فنحن نقول ان الجامعة لم تقل ان « الاتصال » معناه الفناء في الله او الدخول فيه (سبحانه وتعالى) فان هذا القول يقوله المتصوفة لا الفلاسفة . وانما معنى الاتصال ما ذكرناه هناك اي معرفة الله تعالى حق معرفته والوصول اليه بالفكر عن طريق العلم لا عن طريق الصلاة كما يُفهم من سياق الكلام عند اول نظر

الخاتمة

والحاصل من كل ما تقدم ان المتكلمين الاصليين يُنكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة . وان ابن رشد يرى في خلق العالم واتصال الخالق به وبالانسان وخلود النفس آراء مناقضة لكل الاديان . والا فاذا كان المتكلمون لا يُنكرون الاسباب كما يفهمها ابن رشد وكان مذهبه الهياً مأيا كما قال الاستاذ وهو يعتقد بالعقاب والثواب كما يفهمها العامة على ما ذكرناه في الجزء الماضي — فما سبب الخلاف بينهم ولماذا اضطهدوه وكفروه . لماذا سماه الخليفة المنصور « معطلاً وملحداً » في المنشور الرسمي الذي كتبه كاتبه ابن عياش ونشره في الاندلس والمغرب لتحذير من فلسفة الفيلسوف . وما معنى كلمة « المعطل والملحد » هنا أليس معناها الكفر . ثم الم يطالع الاستاذ ما نقله الانصاري وابن ابي اصيبعة وغيرهما من القصائد التي نظمها يومئذ شعراء الاندلس في ذم ابن رشد ونسبة الكفر

والزندقة اليه . فهذا برهان رسمي تاريخي لا يُردُّ على ان مبادىء ابن رشد لا تنطبق على مبادىء الدين الاسلامي خلافاً لما ذكره الاستاذ . اللهم الا ان تلطف هذه المبادىء وتخفف بان يحذف منها كل مالا ينطبق على الدين كما كان يصنع تلامذته المسلمون في الاندلس بعد وفاته . غير اننا نرى ان الفيلسوف الجليل لا يرضى عن ذلك اذا درى به من مكانه الابدي . ذلك لانه صرف حياته وبذل النفس والنفيس في تاييد الفلسفة والبرهان فكيف يستحسن انكار ما صرف حياته في تاييده . وقد كان مبدأه في ذلك تطبيق الدين على العلم لا العلم على الدين . اي انه كان يجعل الدين تابعاً للعلم لا العلم تابعاً للدين . والدليل على ذلك وضعه في كتابه « فصل المقال » هذه القاعدة الكبرى « نحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التاويل على قانون التاويل العربي » — فكيف يجوز حذف شيء من ذلك « البرهان » الذي نصبه الفيلسوف في ارض الاندلس كراية تلتف حولها العقول لمحاربة الاباطيل

بقيت لنا كلمة نسوقها الى رصيفنا الفاضل منشىء المنار المغرم « بالدفاع عن ائمة المسلمين واظهار الفرق بين الحق والباطل » وكلمتنا هذه هي الشكر له لانه تنازل عن الدفاع الى فضيلة الاستاذ المحترم كما قال في صدر مجلته . وبذلك احسن الى اللغة العربية وقرائها لانه مكنهم من قراءة مقالة فلسفية بليغة لا يكتبها قلم غير قلم الاستاذ في هذا الزمان . واحسن الى نفسه بان كفاها مشقة الخوض في موضوع فلسفي صعب لم يتعود الخوض فيه وهو فوق طاقته . وان رام الرصيف تحقيق ما نذكره له هنا من ان هذا الامر فوق طاقته لانه يقتضي درساً لم يدرسه وبراءة من كل هوى غير هوى الحقيقة المجرَّدة فليقابل قوله في مقدمته بقول الاستاذ في مقدمته فيظهر له حينئذ ان بين القولين ما بين العلم الذي لم ينضج بعد وبين العلم الناضج المقرون بالنزاهة والكمال . ولعلَّ الرصيف لا يعتب لهذا المقال فان الحق اولى ان يُقال وتلك المقدمة لا يخرج منها الا هذه النتيجة



آثار الشرق القديمة

ننشر في هذا الباب ما انطوى ذكره من آثار الشرق ليقف الابناء على آثار الاباء وتاريخهم فان في ذلك عبرة وفائدة

سوريا حلقة التمدن

الساميون ممدنو العالم • رأي جديد في الفينيقيين وشعر هوميروس • الاوديسة اعلان تجاري • انشقاق النساطرة (الكلدانيين اليوم) عن المسيحيين واحتماؤهم بالاسلام كان نعمة للتمدن

جمع صاحب كتاب « التمدن الاسلامي » الذي صدر في الشهر الماضي (١) اسباب عظمة العرب واتساع فتوحهم في احد عشر سبباً وهي • نشاطهم وخفة احمالهم • اعتقادهم بالقضاء والقدر وان الانسان لا يموت الا اذا جاء اجله • مهارتهم في ركوب الخيل ورمي النبال • نبوغ رجال عظام في صدر الاسلام • صبرهم ومطاولتهم في الحرب • انجادهم بعضهم بعضاً • حفظهم خط الرجعة • واقعة اليرموك التي شددت عزائمهم • انقسام الروم والفرس يومئذ وفساد اخلاقهم • انحياز اليهود اليهم • عدلهم ورفقهم وزهدهم

وبديهي ان هنالك اسباباً اعظم من هذه الاسباب لم يتنبه جناب المؤلف اليها • منها مسالة التوحيد التي كانت كبرق خلب تخطف الابصار • ومنها (وهو اهمها كلها) « النفس السامية العربية » التي صاغتها عوامل بلاد العرب الطبيعية والغير الطبيعية • ولو ان امة غير امة العرب اجتمعت فيها كل الاسباب التي ذكرها المؤلف لما استطاعت ان تقوم بما قامت امة العرب به اذا لم تكن (سامية) • ولذلك قال رنان وجميع المستشرقين « ان النسل الذي صدر عنه الدين والحرية والنزاهة والاخلاص وتصورات النفس الغزلية انما هو نسل هنود اوربا والساميين • اما الساميون فهم جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية « وهي العربية والسريانية والعبرانية والارامية والكلدانية والاشورية والحميرية » فمن هذين النسلين (هنود اوربا والساميين) خرج تمدن العالم واديانه الراقية • اما هنود اوربا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رقيقة وحناناً وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الاداب والدين ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم

(١) سنعود الى هذا الكتاب في الجزء القادم لنوفيه حقه

كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة . وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية . فالذين اعدوا اذًا سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا سارحين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته » (يعني رنان بذلك القبائل الاسرائيلية التي خرجت منها الديانة اليهودية والديانة المسيحية والقبائل العربية التي خرجت منها الديانة الاسلامية)

نقول وكما ان الساميين (اي الشرقيين في عرفنا اليوم) كان لهم فضل عظيم على الانسانية من حيث خروج الاديان منهم كذلك كان لهم فضل عظيم عليها من حيث تعزيز الصناعة والتجارة وانتشار الفنون والمعارف . ولا ريب ان القارىء قد ادرك من هذا القول اننا لا نعني به احدًا غير الفينيقيين

والذي اخطر هذا الموضوع في بالنا في هذا الشهر كتاب علمي كبير نشره العالم الفرنسوي فيكتور برار وعنوانه « الفينيقيون والاوديسه » وقد قصد به الكاتب امرين : الاول تأييد ما قاله سترابون من ان هوميروس الشاعر اليوناني المشهور اعتمد على الفينيقيين في وصف البلاد الخارجية التي وصفها في قصيدته (الاوديسه) . فهم اذًا اساتذته . والثاني ان حوادث (الاوديسه) المبنيَّة على نكبات البطل اليوناني عولس ابي تليماك بعد خروجه من جزيرة كاليبسو ليست بحوادث خرافية . وقد ذكر المؤلف انه اكتشف البلاد التي حدثت فيها تلك النكبات ونشر رسومها

اما الامر الاول فيؤيده المؤلف باقامة عدة ادلة على ان الفينيقيين هم الذين مدَّنوا اليونان وعلى الخصوص جهات الارخبيل . وذلك ان قرصان اليونان كانوا يخطفون الفينيقيين اي سكان صور وصيداء وغيرها من الثغور الفينيقية السورية ويأخذونهم الى بلادهم فينشرون فيها الميل الى الفنون والتجارة . واليهم اي الى هؤلاء الاسرى الذين نبغوا في اليونان وعاشوا فيها ينسب المؤلف نفائس الفنون اليونانية التي ظهرت في النهضة اليونانية . وعلى ذلك فان فينيقية او سوريا تكون الوصلة الكبرى بين التمدن القديم والتمدن اليوناني الذي تلاه . بل انها تكون استاذ اليونان واصل نهضتها

ولا يخفى ان هذا القول لا يُرضي انصار التمدن اليوناني لانه ينفي عن النفس اليونانية صفة الابداع ولذلك اكثروا من الصياح بالمؤلف واستهزءوا به . ولكن الصياح والاستهزاء لا ينقضان الدليل والبرهان

واما اثبات صحة الحوادث التي نسبها هوميروس الى عولس في الاوديسه فلسنا في صدده

الآن. ونكتفي بان نقول ان المؤلف ذكر في كتابه ان جزيرة الالاهة كاليبسو التي سافر منها عولس هي جزيرة واقعة في المدخل الشرقي لجبل طارق وتدعى اليوم جزيرة (بريجيل) وان الشاطىء الذي قذف عليه عولس بعد سفره منها هو شاطىء جزيرة كورفو في بلاد اليونان. وقد وصف المؤلف مواقع هذه الجزيرة التي زارها بنفسه وصفاً ينطبق على وصف هوميروس

ولكن اذا ثبت ان هوميروس لم يكن قادراً من تلقاء نفسه على وصف البلاد البعيدة التي وصفها وانه اقتبس وصفها من الفينيقيين الذين كانوا يعيشون في بلاد اليونان بقي علينا ان نعلم السبب الذي اوجب على الفينيقيين تعليمه اياه وجعله يرضى بنظمه . فنقول ان هنالك واحداً من ثلاثة ؟ . فاما ان هوميروس اراد بذلك خدمة بني جنسه اليونان وافادتهم بمعلوماته الجديدة . واما انه اراد باغراء من الفينيقيين تحذير قومه اليونان من اخطار السفر التي اكثر من ذكرها ووصفها في قصيدته صرفاً لهم عن البحر ليبقى الفينيقيون منفردين فيه فلا يزاحمهم اليونان عليه . واما ان الفينيقيين راموا اتخاذ شعره البليغ بمثابة « اعلان » لبضائعهم وفضائلهم . وفي هذه الحالة تكون الاوديسه — تلك القصيدة البليغة السامية التي يقتبس منها شعراء الافرنج افكارهم واساليبهم : عبارة عن اعلان تجاري . ويكون الفينيقيون اوّل من اخترع هذه الاعلانات البليغة التي كثرت في هذا الزمان

واذ ذكرنا الحلقة الفينيقية التي ربطت التمدن القديم بالتمدن اليوناني وكانت اساساً له فاننا نذكر معها مدنية اخرى كانت سوريا حلقة لها ايضاً . واليك البيان

لما دبّ سوس الفناء في التمدن اليوناني والروماني على اثر الانقسامات والمشاحنات الدينية التي قامت بين اهله قامت في العالم دولة جديدة لتجديد شباب العالم وهي دولة العرب. فقيامها كان طبقاً للنظام الازلي الذي تديره اليد الازلية . وكان روم القسطنطينية وروم رومه في تلك الازمان في نزاع شديد بشان طبيعتي المسيح الالهية والبشرية . ففي اوائل القرن الخامس اظهر نسطوريوس بطريرك القسطنطينية رايه في ان طبيعة المسيح البشرية منفصلة عن طبيعته الالهية ولذلك لا يجوز تسمية العذراء مريم والدة الاله بل يجب ان تُدعى « والدة يسوع » فعارضه في ذلك البطريرك الاسكندري واسقف رومه لاغراض خصوصية غير الاغراض الدينية مما يطول شرحه . ثم اجتمع مجمع في افسس وقرر تكفير نسطوريوس وعزله من غير ان يحضر هذا المجمع اساقفة سوريا والشرق لانهم كانوا من حزب نسطوريوس وكان انصار البطريرك الاسكندري يخشون من ارتفاع كلمتهم . ولما

عُزل نسطوريوس ونُفي الى وطنه سوريا تفرق حزبه السوري في انحاء آسيا كلها وراح رجاله ينشرون معارفهم اليونانية وعقائدهم في جميع الاقطار فبلغوا الهند والصين وبلاد العرب . وقد عرف صاحب الشريعة الاسلامية وابو بكر الصديق بعضاً منهم

ولما قويت شوكة العرب كانوا يحمون هؤلاء النساطرة لان اعتقادهم بالسيد المسيح كان قريباً من اعتقاد المسلمين به من بعض الوجوه . وربما كان يومئذ بين الاعتقادين شيء من العلاقة . فكان النساطرة يستخرجون علوم اليونان ومعارفهم وهم آمنون في حمى الاسلام ورائعون في قصور خلفائه . وهم الذين كانوا اول من ترجم الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية . وهم الذين انشأوا في مدينة اوديس الواقعة في ما بين النهرين المدرسة المشهورة التي خرج منها العلماء للنهضة البغدادية . وقد ذكر مؤرخو العرب هؤلاء النساطرة فقالوا انهم قوم يحكمون في كل شيء بعقولهم ويفحصون كل الاراء بانفسهم . وقد ذكرنا في ترجمة ابن رشد ان هذا الفيلسوف لم يعرف فلسفة ارسطو الا من الكتب التي ترجموها . فكانه كُتب لسوريا ان تكون حلقة ثانية بين مدنية اليونان ومدنية العرب كما كانت حلقة بين المدنية القديمة والمدنية اليونانية

باب التقريظ والانتقاد

المقتطف وروايات الجامعة

حق علينا الشكر لحضرات الرصفاء الذين ذكروا بالثناء روايات الجامعة وان كانت لا تستحقه . الا اننا نرجو من رصيفنا المقتطف المفضال ان يسمح لنا بالرد على اعتراض اعترضه على امر ورد في هذه الروايات . فقد قلنا في حاشية في اثناء الكلام عن التنويم المغنطيسي فيها وما ينسبه اليه اهله من المدهشات ما نصه «كم من الاشياء يجهلها الانسان . فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها» وعربنا حادثة خيالية ذكرها دياس في الرواية وهي ان الدكتور جيلبار نوّم الكونتس اندري فرات وهي نائمة في قصر الملك صندوقة

كانت موضوعة في قصرها — فقال رصيفنا المقتطف ان العالم معذور اذا انكر ذلك لانه لا يسلّم الا بما يقع تحت حواسه وتكرر تجربته مرارًا امام شهود من العلماء

فنحن نرى ان هذا القول في محله اذا كان الغرض منه دحض قول القائلين بان النائم نومًا مغنطيسيًا لا يرى الاشياء الغائبة عن بصره · واما اذا كان الغرض منه اظهار ان مؤلفي الروايات لا يجوز لهم ان يتجاوزوا حدود العلم في ما يكتبونه فكثيرون من مشاهير مؤلفي الروايات يردّونه · ذلك لانهم فريقان : فريق يحرّم ذلك وفريق يحلله · ومن المحللين شكسبير نفسه فانه جعل ابا هملت يظهر بعد مقتله لابنه « في ملعب التمثيل لا في المنام » ويرشده الى قاتله · فهل ان العلم يسلّم بهذا ويقبله ؟ وبناء على ذلك يكون مؤلفو الروايات شبيهين بالشعراء الذين قيل فيهم انهم يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون · وما ذلك الا لانهم يحاولون سبق الفكر البشري بما يتصورونه ويصوّرونه من العوالم الخيالية التي يخلقونها · فاحيانًا يصيبون كما اصاب جول فرن في وصفه المناطيد والغواصات قبل اختراعها واحيانًا يخطئون · واحيانًا يتعمدون الخطأ تزويقًا للكلام والتماسًا للعجيب الغريب ارضاء لطلابه

واما اذا كان اعتراض الرصيف الكريم هو على قول الملخص العربي في الحاشية « كم من الاشياء يجهلها الانسان فليس من العقل ان ينكرها لانه يجهلها » لا على المؤلف دياس نفسه فاننا نقول في ذلك :

الباحثون اليوم فريقان : فريق معطل لا يسلّم بشيء خارجًا عن دائرة المحسوسات مطلقًا ولا يعرف غير تاثير المادة في المادة · وفريق يبقي في قصر العقل والعلم والمادة كوة مفتوحة على فضاء الابدية المظلم لعله يرد منها شيء جديد · وهذا الفريق يعتقد بوجود حقائق ادبية وقلبية اعتقاده بوجود حقائق عقلية · والجامعة من الفريق الثاني ولذلك تكره « انكار كل ما لا يقوم الدليل العقلي عليه » لان هذا الانكار قد يوصل « الآن » الشرق وسكانه الى ما لا نروم ذكره · ونحن نذكر ان رصيفنا المقتطف هو من اصحاب هذا الراي ايضًا · فقد اهتم منذ عدة سنوات اهتمامًا شديدًا بالمسائل الخيالية كالتنويم المغنطيسي وقراءة الافكار وانتقال الافكار وغير ذلك من المباحث التي يعدّها اليوم العلماء الذين اشار اليهم الرصيف الكريم من قبيل الاوهام والاحلام · فقد سئل المقتطف في الجزء الرابع من السنة الثالثة عشرة الصفحة ٢٧٦ (هل تقرر امكان قراءة الافكار) فاجاب « ان اشهر قارئي الافكار كمبرلند والارجح انه صادق في اقواله وهو نفسه قد نسب قراءته للافكار

الى حركة عضلية خفيفة في من يقرأ له افكاره يشعر بها كبرلند ولا يشعر بها صاحبها والمرجح عندنا ان قراءة الافكار صحيحة ولكن تعليلها غير معروف » وفي الصفحة ٣٤٩ من السنة السابعة عشرة علل المقتطف قراءة كبرلند افكار غيره بقوله (والمادي له في كل ذلك مطاوعة يد الشخص المضمر او مقاومتها والشخص نفسه غير شاعر بذلك . وهنا تقوم مزية المستر كبرلند . فانه يشعر بهذه المطاوعة او المقاومة مع ان صاحبها لا يشعر بها . وقد علمنا ان في بيروت شاباً ظهرت فيه هذه القوة وهو يستدل بها على افكار غيره كما يستدل كبرلند) نقول وكبرلند هذا قد ثبت اليوم لدى علماء اوربا ان جميع ما صنعه من باب قراءة الافكار كان تدجيلاً وتضليلاً وشعوذة

وفي الصفحة ٧٩٨ من المجلد المذكور قال الرصيف الكريم في مقالة عن الماديين والروحيين (وعليه نحكم بوجود النفس او الروح لتعليل ما لا يعلل بغيرها كالاثير ولو لم نستطع ان نقيم البرهان العلمي على وجودها كما لا نستطيع ان نقيمه على وجوده) وفي الصفحة ٣٨٧ من مقالة عنوانها « تدين الحيوانات » ما نصه (وهنا يقف العلم الطبيعي لانه لا يستطيع ان يثبت هذا الامر (اي تدين الحيوان) اثباتاً خالياً من كل ريب ولا ان ينقضه نقضاً تاماً) وفي الصفحة ٦٨٧ من السنة الثامنة عشرة فصل في غرائب الاتفاق هذه خاتمته « حبذا لو انتبه القراء الى هذا الموضوع وكتبوا ما يقع لهم من غرائب الاتفاق وتحروا الدقة التامة فيه لعله يكون سبباً لاكتشاف حقيقة غير معروفة حتى الآن)

وفي الصفحة ١٥١ من السنة السابعة عشرة فصل عنوانه « انتقال الافكار » وموضوعه شبيه بموضوع حادثة اندري . وفيه ما نصه « ذكرنا غير مرة ان زوجة الاستاذ سدجوك العالم النفسي تبحث مثله في « المسائل النفسية » كاسباب الاحلام والمواجس والخيالات والتخيلات والنوم المغنطيسي » وفي هذه المقالة يقول (لو كانت معرفتها متوقفة على الصدفة لما عرفت اكثر من رقعة واحدة) وبعده بعدة اسطر (وذلك مما يعسر تعليله بالصدفة والاتفاق) نقول ولا ريب انه اذا كان التنويم المغنطيسي من « المسائل النفسية » فحادثة اندري ممكنة بلا جدال لان انصار التنويم واستحضار الارواح يقولون ان النفس هي التي تصنع ذلك الصنع

فكل هذه امور تدل على ان الرصيف الكريم من الفريق الثاني الذي يبقي في قصره العلمي كوة مفتوحة على الفضاء الابدي المظلم طبقاً لقول ابن الاثير : « ان ما اجهل اكثر مما اعلم » ولذلك استغربت الجامعة انكاره عليها تركها كوة مفتوحة على ذلك الفضاء .

اللهم الا ان يكون الرسوخ في العلم قد غير راي الاستاذ . وحينئذ نخشى ان تقوى بذلك حجة انصار الاوهام والاباطيل

﴿ كتاب حاضر المصريين ﴾

تاليف جناب محمد افندي عمر في مصلحة البوسطة المصرية

« حاضر المصريين او سر تاخرهم » كتاب ضخم لمؤلفه جناب محمد افندي عمر من مستخدمي البوسطة المصرية في العاصمة . وقد اهداه الى عطوفتلو مصطفى فهمي باشا رئيس النظار ونشر في صدره مقدمة بليغة من قلم حضرة المفضال عزتلو احمد بك فتحي زغلول . اما موضوع الكتاب فمعروف من عنوانه وهو ذكر حاضر مصر واسباب تاخرها . ولقد انصف الكاتب احياناً فاجاد في وصف هذه الاسباب واحياناً بالغ فيها واحياناً خرج عن حد الانصاف . اما حملته على الاغنياء وتعنيفه ابناءهم على الاسراف في المقامرات والمضاربات وغيرها فحملة لا يُنكرها احد اذا كان لا يقصد بها اشخاصاً يعرفهم . وقد قلنا ذلك لانه شدَّد الوطأة كثيرًا على الاغنياء وابنائهم وخصوصاً على من خربت بيوتهم منهم ونسب اليهم انهم هم الذين خربوا بيوتهم بايديهم كانه يجهل ان في العالم كثيرين من الابالسة والاشرار الاردياء لا داب لهم الا التملق على الاغنياء والوقوف في ابوابهم للغدر بهم وامتصاص دمائهم متى آنسوا غرة منهم

وهذا الكتاب لا تخلو مطالعته من فائدة للمصريين وغيرهم . وهو يدل على ما عاناه كاتبه في سبيل جمعه وطبعه مما يوجب له الشكر الجزيل . فعسى ان يهذبه في طبعة ثانية ويذكر الحسنات بازاء السيئات فان لكل امة في اوربا سيئات كالسيئات التي عددها في كتابه بل افظع منها ومع ذلك فتلك الامم عظيمة راقية لما فيها من الحسنات في طبقاتها العالية والدانية

﴿ تاثير النساء في الارتقاء ﴾

بقلم جناب جرجي افندي نقولا باز

القى جناب جرجي افندي نقولا باز خطبة في احدى جلسات جمعية شمس البر في بيروت عنوانها « تاثير النساء في الارتقاء » ثم طبعها على حدة بعد نشرها في رصيفتنا جريدة المحبة الغراء . ونحن نتمنى ان يطالع الآباء والامهات هذه الخطبة مرارًا لما فيها من الحث على تربية البنات وبيان منزلة المراة في المجتمع البشري ولذلك نثني على كاتبها اجمل ثناء

ثمن النسخة الواحدة خمسة غروش صاغ وفيها ١٣ رسماً

بولس وفرجيني

وهي الحلقة الاولى من (مشروع) مجلة الجامعة

ومداره على نقل

اشهر مؤلفات الافرنج

الى اللغة العربية تلخيصاً

بقلم

فرح انطون

منشىء مجلة «الجامعة»



برناردين مؤلف (بولس وفرجيني)



بولس وفرجيني

الاسكندرية في ١٠ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢

صدرت هذه الرواية هدية لا خالصة ؟ تدخل في الجزء العاشر من الجامعة

مشروع الجامعة الجديد

في اللغات الاوربية مؤلفات وضعها حكماؤهم وفلاسفتهم وعلماؤهم لانارة الاذهان وتثقيف العقول واصلاح الاخلاق وهي اشهر مؤلفاتهم . ولقد كان لهذه المؤلفات النفيسة التاثير العظيم في تلك الامم لانها هي التي كوّنت اخلاقها وصاغت نفوسها . فنقلها الى اللغة العربية امر واجب لنشر ما فيها من (الجمال والخير والحق) لا سيما وان موضوعها غير مخصوص بامم الافرنج بل هو فلسفي علمي ادبي يصح اطلاقه على جميع بني الانسان

وقد شرعت (الجامعة) منذ هذا الشهر في نقل بعض هذه المؤلفات النفيسة التي تحتاج لغتنا اليها . فهي تُصدر في كل شهر كتاباً منها وبذلك تستطيع ان تنقل الى اللغة العربية في كل عام ١٠ كتب نفيسة او ١٢ كتاباً كان يجب ان تكون قد نقلت اليها منذ ازمان .

وقد جعلت ابتداء هذا المشروع رواية فلسفية ادبية طبيعية عنوانها « بولس وفرجيني » وهي من تاليف الفيلسوف الادبي الشهير برناردين دي سان بيير . وهي افضل كتاب ادبي كُتب في عصر المؤلف . وقد قال شارحو كتبه ان هذه الرواية وضعت برناردين في درجة هوميروس وفرجيل وتاسيت فصار بها خالداً مثلهم . ولما نُشرت هذه الرواية في باريز (عام ١٧٨٩) قام لها عالم الادب وقعد وما قرأها احد من الجنسين الا اذرف لها دموعاً سخينة ولم يولد غلام في ذلك العام الا وسمي « بولس » ولا ابنة الا وسميت « فرجيني » وكان نابوليون الاول كلما لقي مؤلفها يساله : متى تكتب لنا يامسيو برناردين كتاباً كبولس وفرجيني او كالكوخ الهندي . اما ناشروا الكتب فانهم زوروا طبعها ٣٠٠ مرة اي انهم طبعوها ٣٠٠ مرة من غير اذن المؤلف ليستطيعوا اجابة الجمهور الذي كان يطلبها من كل صوب . فعسى ان يكون لها في اللغة العربية شيء من الاقبال الذي كان لها في لغتها لاننا بذلنا الجهد لجعلها — كتابةً وطبعاً وورقاً وتصويراً — مساوية للنسخة الاصلية

هذه هي الحلقة الاولى من مشروع الجامعة وقد جعلناها هدية للامهات والعذارى في الشرق فنرجو ان يقبلنها ويستفدن منها . وفي الشهر الآتي تصدر الحلقة الثانية لمؤلف آخر طبقت شهرته الخافقين . وهكذا على التتابع . ولا ريب عندنا في ان قراء اللغة العربية سيرتاحون الى هذا المشروع وينشطونه تنشيطاً يمكّن الجامعة من توسيعه في المستقبل توسيعاً يتجاوز كل حد كما ذكرت ذلك في مقدمة طويلة في صدر الجزء التاسع الذي صدر في هذا الشهر وينسيها ما تعانيه في سبيله . وعلى الله الاتكال في كل حال

بولس وفرجيني

﴿ وهي اشهر الروايات الادبية واشرفها ﴾

هدية من (الجامعة) الى كل ام وكل زوجة وكل عذراء في الشرق. ليرين فيها اسمى صورة للكمال والادب والمعيشة البرّية الطاهرة ويسمعن منها اشجى اصوات الفضيلة

١

قصة الشيخ

في الشاطيء الشرقي من « جزيرة دي فرنس » مدينة تُدعى « بور لويس » اي ثغر لويس وهي قائمة على سفح جبل يُدعى « المورن » ووراءه غابة واسعة تمتد الى اطراف الجزيرة وكان بين المدينة والجبل ارض فسيحة منبسطة بين الآكام والصخور يدلّ ظاهرها على انها كانت منذ مدة عامرة مزروعة . وكان يلذ لي الصعود من المدينة الى هذه الارض لاتمتع فيها بالهدوء السائد فيها واسمع منها تكسر امواج البحر على شاطيء الجزيرة وحفيف اشجار الغابة من وراء الجبل. وكان في وسط هذه الارض آثار كوخين بُني احدها بجانب الآخر . ففي ذات يوم كنت جالساً بجانب هذين الكوخين امتع الطرف بمناظر الافق



الشيخ

البعيد واتامل في ما حولي واذا بشيخ قد مرّ بي وهو لابس ملابس الوطنيين وهي مؤلفة من رداء قصير و (كلسون) وفي يده عصا يتوكأ عليها . وكان شعره ابيض وهو مسترسل على كتفيه وفي وجهه دلائل المروّة والبساطة والصلاح . فلما دنا مني حييته باحترام فردّ

لي القصة وتامل فيّ قليلاً ثم دنا وجلس بجانبي . فلما رأيته قد آنس بي خاطبته بقولي « هل تعرف ياعمّ لمن كان هذان الكوخان » فنظر الشيخ اليّ وقال « كان هذان الكوخان يا بنيّ لعائلتين فقيرتين عاشتا فيها بهناء منذعشرين عاماً . ولها قصة مؤثرة ولكن مَنْ من الناس يهتم الآن باخبار افاضل البشر الذين يعيشون بهدوء وسلام في بعض زوايا البلاد . ان الناس لا يهتمون الا لتاريخ الملوك والعظماء الذي قلما يجدي نفعاً » فقلت حينئذ للشيخ : « بل قص عليّ ياعماه قصة هاتين العائلتين اذا كنتَ في سعة من الوقت . فانني مصغ اليك بكل جوانحي . واعلم ان الانسان مهما بلغ منه الفساد وسوء الحال فانه يبقى ميالاً لاستماع الكلام عن السعادة التي تنشأ عن الفضيلة والمعيشة في الطبيعة »

فامرّ الشيخ حينئذ يده على جبينه كانه يجمع تذكاراته ثم اخذ يقص عليّ القصة التالية

■

التجاء امرأتين الى الطبيعة فراراً من ظلم الناس

في سنة ١٧٢٦ قدم الى هذه الجزيرة شاب من نورمنديا يُدعى المسيو دي لاتور . وسبب قدومه انه طلب الرزق في فرنسا فلم يجد اليه سبيلاً فيها فانصرف عنها الى مستعمراتها . وكانت معه فتاة يحبها حباً شديداً وقد اقترن بها في السرّ ومن غير دوطة لان اهلها كانوا من النبلاء وقد عارضوا في اقترانها برجل لم يكن من طبقتها . ولما جاء دي لاتور بزوجته الى هذه الجزيرة تركها في هذه المدينة (بور لويس) ثم قصد مدغسكر ليبتاع منها بضعة من الزنوج ويعود بهم الى هنا لفلاحة الارض وزراعتها . وكان سفره الى مدغسكر في الشتاء فاصيب فيها بالحمى التي يسمونها الحمى الطاعونية وهي تدوم هنالك نصف سنة وتوفي بها . فاصبحت زوجته منذ ذلك الحين ارملة وكانت فوق ذلك حاملاً ولم تكن تملك غير زنجية تقضي لها حوائجها

ولكن مدام دي لا تور لم يضعف عزمها لهذه المصيبة التي نزلت بها . فعزمت ان تنفرد مع زنجيتها في قطعة ارض تفلحاها وتزرعاها وتعيشا فيها من نتاجها . ولما عزمت هذا العزم تركت الاراضي الخصيبة في السهول وقصدت هذا الجبل . ذلك لان النفوس الحساسة المتالمة تطلب الانفراد دائماً لتخفي فيه احساسها والمها . ولكن العناية الالهية التي لا تتخلى عن مساعدتنا اذا لم نطلب غير الامور الضرورية لنا لم تلبث ان منحت مدام دي لا تور نعمة لا ينالها الانسان بالغنى والجاه : واريد بذلك صديقة فاضلة

فقد كان في هذا المكان حين قدوم مدام دي لاتور اليه سيدة كريمة حساسة تُدعى مرغريت . وكانت هذه السيدة من عائلة من مقاطعة بريتانيا وقد خدعها احد شبان النبلاء فوعدها بان يقترن بها ثم اخلف وعده وهجرها دون ان يهتم لها ولا للطفل الذي اصبحت حاملاً به . فلما وقعت هذه الفتاة التعيسة حيث هذه المصيبة المائلة هجرت قريتها حفظاً لكرامة اهلها وسارت تقصد احدى المستعمرات لتخفي عارها فيها بعيدة عن القرية التي اضاعت بها انفس « دوطة » الفتاة الفقيرة اعني طيب الصيت وحسن الاحدوثة . ولما وصلت مرغريت الى هذه الجزيرة ابتاعت منها زنجياً كبير السن بمحض دراهم كانت معها ثم انفردت في هذا الجبل واقامت على فلاحة الارض وزراعتها

ولما قدمت مدام دي لاتور الى هذه الناحية وجدت فيها مرغريت وهي ترضع طفلاً لها . فسرّت مدام دي لاتور بمصادفتها في هذه الجهات الموحشة رفيقة تؤنسها خصوصاً لان قصة الفتاتين كانت تكاد تكون واحدة . ولما قصت مدام دي لاتور على مرغريت قصتها تاثرت هذه وبكت . ثم قالت لها : « اما انا فقد كنت مستحقة تعاستي ايتها السيدة لانني اخطات . واما انتِ فانكِ كنتِ حكيمة عاقلة ومع ذلك فقد صرتِ تعيسة » ثم قدمت لها مرغريت كوخها وهي تبكي اي اقترحت عليها ما كنتها فيه . فقبلت مدام دي لا تور وسكنت معها

وكنتُ قد عرفت مرغريت قبل قدوم مدام دي لا تور لاني جارها وان كنت اسكن في الغابة وراء هذا الجبل . ذلك لان البشر في الخلاء يكونون جيران وان كانت الاحراش والجبال تفصلهم بعضهم عن بعض . والضيافة تُعتبر عندهم واجباً مفروضاً . اما في المدن فربما عاش رجلان في شارع واحد او في منزل واحد دون ان يعرف احدهما الآخر

فلما دريت بقدوم مدام دي لاتور قصدتُ مرغريت لاسالها اذا كانت تحتاج اليَّ . فشاهدت عندها الرفيقة الجديدة وكانت على وشك الوضع . فقلت لهاتين السيدتين انه من الواجب لحفظ صحة الطفلين بناء كوخ آخر وكان غرضي من ذلك ايضاً اقتسام الارض لئلا ياتي احد ويشاركها فيها . فعهدتا اليَّ هذا الامر . فقسمتُ هذه الارض قسمين . قسم جعلتُ اوله من تلك الصخور العالية التي يكسوها الضباب ومنها يجري نبع صافٍ غزير ونهايته هذا الكوخ وقسم جعلت اوله هذا الكوخ ونهايته السهل المنبسط تحته . وكان القسم الاول علوياً والقسم الثاني سفلياً . ثم انني اقترعت على هذين القسمين بين السيدتين فكان القسم العلوي من نصيب مدام دي لاتور والقسم السفلي من نصيب مرغريت .

فسرت كل واحدة منها بنصيبها . وبعد ذلك شرعت في بناء الكوخ الجديد . وكان كوخ مرغريت مبنياً في آخر القسم السفلي فجعلت كوخ مدام دي لا تور في آخر القسم العلوي ليكون الواحد بجانب الثاني . وقد ذهبت بنفسي الى الحرش والى شاطئ البحر لاجلب منهما مواد البناء للكوخين . وما قد مرّ على ذلك اليوم عشرون عاماً ومع ذلك فان آثار الكوخين لا تزال ظاهرة للعيان . فكأنَّ طوارق الزمان التي تمحو آثار الممالك العظمى تحترم الآثار التي تقيمها الصداقة والصلاح في احضان الطبيعة

ولم اكد افرغ من بناء الكوخ الثاني حتى وضعتْ مدام دي لا تور طفلة . وبما انني كنت عراباً لابن مرغريت الذي كان يُدعى « بولس » فقد سالتني مدام دي لا تور ان اكون عراباً لابنتها ايضاً . وعهدتْ الى صديقتها مرغريت ان تسمي الطفلة . فسمتها مرغريت « فرجيني » تفاؤلاً بانها ستكون في المستقبل سيدة فاضلة ينطبق فيها الاسم على المسمى . وقد قالت حين تسميتها اياها « انها ستكون فاضلة وسعيدة معاً . لانني لم اعرف التعاسة الا منذ خرجت عن طريق الفضيلة »

وقد تقدم في ما مرّ انه كان لمرغريت زنجي ولرفيقتها زنجية . فعند ولادة « فرجيني » اقترن هذان الزنجيان . وكانا شديدي الحب والاخلاص لسيدتيهما . وكان الرجل يدعى « دومينيك » وقد اخذ على نفسه زراعة الحقلين حقل مرغريت وحقل رفيقتها وغرس الاشجار فيها . اما زوجته الزنجية فانها كانت تهتم بداخل الكوخين كاعداد الطعام وترتيب الشؤون وتربية بعض الدجاج وحمل ما فضل عن المنزلين من الاثمار والحبوب والبيض الى المدينة لبيعها فيها . وكان في المنزلين فوق ذلك عنزتان لتربيتهما مع الطفلين رغبة في لبنها وكلب كبير الجثة ينام في الخارج ليحرس المكان تحت جنح الظلام

اما مرغريت وصديقتها مدام دي لا تور فقد كانتا تصرفان نهارهما في غزل القطن . وكانت حاجاتهما قليلة حتى انهما كانتا تمشيان حافيتين ولا تلبسان حذاء الا حين ذهابهما في يوم الاحد الى تلك الكنيسة القائمة هنالك . اما المدينة فلم تكونا تنزلان اليها الا قليلاً لان اهلها كانوا يتهكمون عليهما للبسهما ملابس مصنوعة من نسيج ثخين وارد من بنغال وهو ما يلبسه العبيد في هذه الجزيرة . ولذلك كانتا تعودان بسرعة من المدينة كلما ذهبتا اليها وتنسيان في هذا المكان المنفرد الذي كانتا تجدان فيه الحرية والنظافة والخيرات التي اخرجتاها من الارض بجدها وتعبهما ما كانتا تلاقيانه في المدينة من خشونة الناس وتهكمهم وكانت حاجاتهما متشابهة وحالتهما متماثلة ولذلك كان كل شيء لديهما مشتركاً بينهما .



العائلتان مجتمعتان

وكان لها ارادة واحدة ومصلحة واحدة ومائدة واحدة . وكانت احداها لا تنادي الاخرى الا بهذا النداء الحلو: « يا اختي » او « يا صديقتي » . وكانت معيشتهما عيداً دائماً في هذا الاخاء وهذه الصداقة . واذا اتقدت يوماً في نفسيهما نار اقوى من نار الصداقة فقد كانت مبادئهما الدينية النقية واخلاقهما الطاهرة الشريفة تصرف تلك النار الى العالم الثاني . كلهيب يتطاير الى السماء منفصلاً عن الارض لنفاد المادة التي كان يتولد منها

وكانت صداقتهما تزداد من نظرها الى طفليهما . وكانتا تتسليان بوضع الطفلين في الماء معاً حين غسل جسديهما فكانا يلعبان فيه ويضحكان . وكثيراً ما كانتا تنيمانهما في سرير واحد فيتعانقان و يتضامان . وكانت الواحدة ترضع طفل الاخرى وهي تقول « سيكون لكل واحدة منا ولدان ولكل ولد منهما امّان » واحياناً بينا كانتا مكبتين على سريريهما ترضعانهما كانتا تفرحان وتتحادثان بعقد الزواج بينهما حين بلوغهما سن الشباب . غير انهما كانتا كلما افتكرتا في ذلك انقلب هزلهما جداً وملأ الحزن نفسيهما . ذلك لان الواحدة كانت ترى انها لم تقع في المصائب الا لاهمالها عقد الزواج والاخرى لانها خضعت لناموسه . الاولى رامت الصعود الى طبقة فوق طبقتها والثانية نزلت من طبقتها الى طبقة ادنى منها . ولكنهما كانتا تتعزيان عن ذلك بافتكارها ان ولديهما سيكونان اهنأ بالاً منهما فيذوقان لذة السعادة والمساواة في هذه الارض البعيدة عن اوهام اوربا واخلاقها الفاسدة

٣

بولس وفرجيني في الصغر

وفي الحقيقة ان ما كان بين بولس وفرجيني من الالفة حتى في صغرهما امر يوجب الدهشة . فانه اذا بكى بولس او شكا من امر فقد كان كافياً لاسكاته ان تريه امه فرجيني وتدنيه منها . فحينئذ يبتسم بولس و يسكت كانه لم يبكِ ولم يشكُ من شيء . واذا تألمت فرجيني من طارئ صرخ بولس في الحال منذرًا بالمها . اما هي فقد كانت تكتم ألمها عند صراخه لئلا تزعجه . وكنت كلما اتيتُ الى هنا وجدتهما والقدين عاريي الجسم كعادة الاولاد في هذه البلاد وهما يمشيان باقدام مرتجفة لعدم مقدرتهما على المشي في اول عمرهما . وكانا يمشيان وهما آخذان بعضهما بايدي بعض كانهما شقيقان لا ينفصلان . واذا جنَّ الليل لم يقدر احد على الفصل بينهما ايضاً فينامان في فراش واحد متعانقين الوجه في الوجه والخد على الخد

وحين مقدرتهما على الدقائق والكلام كانت اول كلمة نطقا بها « اختي » و « اخي » . فان سن الصبا يعرف عواطف ارق من هذه الكلمة ولكنه لا يعرف كلاماً احلى منها . ولما نشأا قليلاً زادت الفتهما واشتد تعلقهما بعضهما ببعض لان تربيتهما المختلفة كانت تسوق صداقتهما الى حاجاتهما الغريزية المتبادلة . اما فرجيني فانها كانت تساعد الزنجية في كل ما له علاقة بتدبير المنزل واعداد الطعام . واما بولس فانه كان يساعد الزنجي في



تحت مظلة واحدة

زراعة الارض ويصحبه الى الحرش لقطع الحطب وفي يده فاس صغيرة . وكان اذا وجد في طريقه في الحرش زهرة جميلة او ثمرة جيدة او عش عصفور فقد كان يصعد اليه ولو كان في اعلى شجيرة و يعود به الى رفيقته المحبوبة

وكل من عثر على احدهما في مكان فانه كان متيقناً انه يجد الآخر غير بعيد عنه ·
وفي ذات يوم كنت نازلاً من احدى هذه القمم التي امامنا فشاهدتُ فرجيني في الحديقة تركض الى المنزل تحت المطر وقد رفعت « فسطانها » على راسها خوفاً من البلل · فقصدتها لمساعدتها على الوصول الى البيت ولكني لما دنوت منها رايت انها لم تكن وحدها بل كان بولس معها تحت الفسطان وهما يسيران ضاحكين مسرورين من هذا الاختراع الذي كان يقيهما المطر ويضمهما تحت مظلة واحدة

وعلى ذلك فكل عنايتهما كانت مصروفة الى امرين · الاول مساعدة بعضهما بعضاً والثاني ارضاء بعضهما بعضاً · وكانا جاهلين اي انهما لم يكونا يعرفان القراءة والكتابة ولا يهتمان بما حدث قبلهما في الازمنة الماضية · ذلك ان اهتمامهما كان مقصورًا على الارض التي كانا يعيشان عليها وكانا يحسبان انها الدنيا كلها · وكانا لا يعرفان السرقة لان كل شيء كان مشتركاً بينهما ومباحاً لها · ولا الشراهة لان طعامهما كان بسيطاً وهما ياخذان منه ما ارادا · ولا الكذب اذ لم يكن عليهما ضغط يضطرها الى ستر امور تخالف ما يُطلب منها القيام به · ولم تُخفها امّاها بتعليمها ان الله يعاقب الاولاد الذين يعقون اهلهم عقاباً هائلاً · ولا علّمتاها من الدين الا كل ما يحببه الى النفوس ويجعلها تُسرّ به وترتاح اليه بدلاً من ان تخاف منه · ولذلك فان بولس وفرجيني اذا لم يذهبا الى الكنيسة ويصليان فيها صلوات طويلة فانهما في كل مكان يقيمان فيه : في البيت او في الحقل او في الحرش كانا يرفعان عيونهما وايديهما الى السماء بقلوب ملئها الحب والشكر للامين الفاضلتين اللتين تربيهما

٤

وصفها في سن الفتوة

وهكذا صرف بولس وفرجيني زمن صباهما فكان هذا الزمن منهما بمثابة شفق يبشرهما بطلوع شمس السعادة عليهما في مستقبل العمر

وكانت بنية الولدين تنمو وتشتدّ بغذاء سليم غزير ونفسهما تزداد اشراقاً بتربية لطيفة كانت تطبع على سحنتهما دلائل الطهارة والارتياح الباطني · ولما بلغت فرجيني السنة الثانية عشرة كانت قامتها قد امتشقت وشعرها الاشقر الطويل قد كلل وجهها الجميل وعيناها الزرقاوان وشفتاها المرجانيتان صارت تسطع في وجهها سلطاناً يسحر الالباب · وكانت اذا

تكلمت ابرقت عيناها وابتسمتا ابتساماً مسكراً واذا سكتت ارتفعتا الى السماء ارتفاعاً طبيعياً لا صناعة فيه فيكون لها حينئذ منظر شديد التاثير يمازجه شيء من التامل والحزن • واما بولس فقد اخذت تبدو عليه علامات الرجولية من خلال سن الصبا • فان قامته صارت اطول من قامة فرجيني ولونه صار اسمر من لونها وانفه معقوفاً اكثر من انفها • وكانت عيناه سوداوين كبيرتين ولها منظر يدل على الكبرياء لو لم يكن حولها اهداب كالاشفار تلطف قوتها • وكان بولس في حركة دائمة في النهار ولكنه كان اذا رأى فرجيني قادمة نحوه ترك كل عمل وحركة وجلس بجانبها • وكثيراً ما جلسا ياكلان معاً وهما ساكتان لا ينطقان ببنت شفة • الا ان اعينهما كانت تلتقي كثيراً فكانت شفاههما تبتسم لالتقائها • وبذلك كانا يشبهان اولاداً من اولاد السماء الذين يتخاطبون بالروح لان السنتهم لا تعرف كلاماً يعبر عما في نفوسهم من عواطف الحب والصداقة

٥

قساوة عمة

وكانت فرجيني كلما تقدمت من الشباب وزادت محاسنها اشراقاً ازداد بال امها اشتغالاً بشانها • ولذلك كانت تقول لي : « ماذا يحل بفرجيني اذا مت وهي لا تملك شيئاً » وفي ذات يوم عزمت على ان تكتب بهذا الشان لعمتها الغنية في اوربا • وقد قهرت نفسها على ذلك لا من اجلها بل من اجل ابنتها لانها كانت تستهون كل صعب في سبيلها • فتناولت قلماً وكتبت اليها تشكو حالها وتخبرها بموت زوجها وبولادة ابنة لها • فلم يردها جواب منها • فعادت مدام دي لاتور مع انفتها وابائها وكررت الكتابة الى تلك العمة القاسية رغبة في تدارك مستقبل ابنتها • فمرت عليها بضع سنوات دون ان تاخذ جواباً على كتابها • ولكنها في عام ١٧٣٨ اي بعد انقضاء ثلاث سنوات على قدوم المسيو دي لابوردوناي حاكماً لهذه الجزيرة بلغها ان هذا الحاكم يسال عنها ليدفع اليها كتاباً من عمتها • فطارت مدام دي لاتور اليه واخذت ذلك الكتاب منه • ولما قرأته وجدت ان عمتها تقول لها فيه انها تستحق التعاسة التي وقعت فيها لانها رضيت بالاقتران برجل دنيء الاصل • وان في الشهوات نفسها عقاباً لاصحابها • وان موت زوجها قبل الاوان قصاص عادل من الله • وانها احسنت في التجائها الى المستعمرات فراراً من العار وصمة العار باسرتها في فرنسا • ثم هي تقول لها انها في بلاد غنية لا يفتقر فيها الا الكسالى • وبعد كتابة هذا

الكتاب علقت عليه حاشية خلاصتها انها عادت فاوصت بها المسيو دي لابوردوناي خيرًا

اما مدام دي لا تور فانها بعد وقوفها على هذا الكتاب وقعت في اليأس خصوصًا حينما قال لها الحاكم انه يجب عليها ان لا تزعج بكتبها عمتها الكريمة . فعادت هذه الام الى منزلها في الجبل والقت الكتاب على المائدة امام رفيقتها قائلة « هذه هي نتيجة اصطباري احدى عشرة سنة »

ولما درت بذلك مرغريت وفرجيني و بولس حزنوا لحزن مدام دي لا تور وصارت فرجيني تقبّل امها تخفيفًا لحزنها واخذت صديقتها مرغريت تقول لها « لسنا في حاجة الى املاك فان الله لا يتركنا وهو وحده ابونا فتشجعي يا عزيزتي ولا تحزني » . اما بولس فانه كان يرفس الارض بقدميه و يتهدد بقبضتيه دون ان يعرف على اي بشر يجب ان يصب غضبه . فاخذت حينئذ مدام دي لا تور بولس وابنتها فرجيني بين ذراعيها وقبلتهما وهي تقول « انتما سبب حزني وفيكما اجد كل هنائي » فلم يفهم بولس وفرجيني هذا الكلام ولكنهما ابتهجا اشد ابتهاج حينما شاهدا مدام دي لاتور تمسح دموعها . وعلى ذلك كان هذا الاضطراب الوقتي عبارة عن زوبعة خفيفة في احد ايام الصيف الهادئة

٦

ما جزاء الاحسان الا الاحسان

وكان ميل بولس وفرجيني للخير ينمو في وسط تلك الطبيعة الهادئة نموًّا مستمرًّا . ففي يوم احد ذهبت مدام دي لاتور ومرغريت الى الكنيسة و بقيت فرجيني في البيت لاعداد الطعام . فبينما كانت مشتغلة بذلك واذا بزنجية في حالة يرثى لها من الفقر وسوء الحال قد وقفت امام الكوخ وهي تبكي من الجوع وصارت تقول « رفقًا بي ايتها الفتاة اللطيفة » ثم اخبرتها بان سيدها قد اساء اليها وعذبها فاضطرت الى الفرار من بيته ولذلك بعث يطاردها في الجبال لاصطيادها . اما هي فانها عزمت على طلب الموت ولكنها قالت في نفسها قبل ذلك يجب ان ازور هولاء البيض اولاً لعلهم يساعدونني ويدفعون الموت عني . فرقت لها فرجيني خصوصًا حينما شاهدت ما كان في جسمها من الجروح الناشئة على اثر السياط وقدمت لها كل ما اعدته للمنزل من الطعام في ذلك الصباح . فاكبت الزنجية على الطعام فلم تترك منه شيئًا . اما فرجيني فانها قالت لها : « هل ترومين ان اذهب معك لاطلب لك العفو من سيدك يا عمتي » فاجابت الزنجية : اني اتبعك حيثما ذهبت يا ملاك السماء .

فنادت فرجيني حينئذ بولس وسألته ان يرافقها الى منزل سيد الزنجية ليطلبا لها العفو منه . فذهب بولس معها والزنجية تتبعهما . وكان منزل سيد الزنجية قائماً وراء الجبل فاجتازوا اليه الاكام والاحراش بعناء شديد . ولما وصلوا اليه رأوا الرجل يتنزه في حديقته وفي فمه غليونه . فدنت منه فرجيني باقدام مرتجفة وطلبت منه « ان يعفو عن خادمته اكراماً لله» اما الرجل فانه لم يعبأ في بدء الامر بتلك الفتاة وذلك الفتى اللابسين ملابس تدل على فقرهما. ولكنه حينما وقع نظره على عيني فرجيني الساحرتين ورأى قوامها الاهيف ووجهها المشرق بنور الجمال وسمع صوتها اللطيف الذي كان يرتجف من الانفعال كسائر جسمها رفع الغليون من فمه وقال «والله اني اعفو عنها ولكن لا اكراماً لله بل اكراماً لكِ » فاومأت حينئذ فرجيني الى الزنجية ان تتقدم ثم فرّت تركض نحو العرش و بولس يتبعها

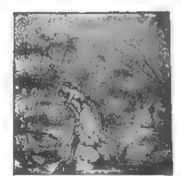
وبعد ذلك اخذا يتسلقان الجبل للعودة الى المنزل . وكان قد انتصف النهار وقد سارا من غير طعام مسافة ١٥ ميلاً . فقال بولس لها : نحن من غير طعام منذ الصباح فعلي نعود الى منزل سيد الزنجية لنتغدى فيه . فاجابت فرجيني : لا لا فاني خفت من ذلك الرجل خوفاً شديداً . واذكر يا بولس قول امي : ان خبز الرجل الشرير يملاء الفم حجارة وتراباً . فقال بولس : فماذا نصنع اذاً فانني لا اجد في هذا المكان شجرة مثمرة لتبردي بثمرها حرارتك وتبلي ريقك . فقالت فرجيني : ان الله لا يغفل عنا وكما انه يسمع اصوات العصافير الصغيرة وينيلها مرادها فانه يسمع ايضاً صوتنا

ولم تات فرجيني على هذا الكلام حتى سمعت خرير ماء فصاحت باخيها : لقد وصلنا الى نبع . ثم اسرعا الى صخرة كانت الماء تنبجس منها فشربا من مائها الصافي واكلا من النباتات التي كانت نامية في جوانبها

ثم اخذا يفتشان عن طعام افضل من هذا الطعام فوجدت فرجيني بين اشجار الحرش نخلة صغيرة . وكان بولس يعلم ان راس النخلة يتضمن دائماً كتلة من الالياف التي تصلح للاكل وهم يسمونها « ملفوفة او كرنبا » لشبهها به . فاخذ بولس يدبر طريقة لكسر تلك النخلة توصلاً « للملفوفة » وكان جذع النخلة صلباً لا تعمل فيه الفأس ولم يكن مع بولس شيء جارح حتى ولا سكين . فعمد الى كسر النخلة من طريق اخرى وذلك انه رام احراق الجذع ليتمكن من كسره . ولم يكن لديه نار لاحراقه فاخذ يوقد ناراً بالطريقة الطبيعية التي يجري عليها اهل هذه البلاد . وذلك انه جاء بغصن يابس ثم تناول حجراً محدداً وثقب الغصن به . وبعد ذلك جاء بغصن يابس آخر ولكن من غير نوع الغصن

الاول ويرى طرفه بالحجر المحدد ايضاً . ثم ادخل طرف الغصن المبري في الثقب وصار يديره فيه بسرعة كما يدار حجر الرحى . فلم تمر على ذلك فترة من الزمن حتى حمي الغصنان ثم تطاير منهما الشرر دلالة على اضطرام النار . فاخذ بولس هذه النار واضرم جزع النخلة بها . ولما احرقت النار الجذع هوت النخلة الى الارض . فاخذ بولس « الملفوفة » التي في راسها وصار يأكل منها مع رفيقته ثم شويا بعضها واكلاه مشوياً وهما في غبطة وسرور خصوصاً لتذكرهما ما صنعاه من الجميل مع الزنجية

ولكنهما بعد تناول الطعام اشتد قلقهما لغيابهما عن البيت وابطائهما في ذلك لعلمهما مبلغ اشتغال بال اهلهما لهذا الامر . ولذلك عزما على الاسراع الى الكوخ . غير انهما كانا قد ضلا الطريق . فقالت فرجيني « ان منزلنا من جهة الشمس اذا كانت في وسط النهار فيجب علينا ان نجتاز الجبل الذي امامنا للوصول اليه » فاخذا يسيران لصعود الجبل. ولم يتقدما قليلاً حتى اعترضهما في طريقهما نبع يتالف من مائه جدول يقطع الطريق. فخافت فرجيني من خوض الماء للرور . فاخذها عند ذلك بولس على ظهره ثم سار في الماء



بولس مع فرجيني في الحرش يقطعان الجدول

وهو يقول « لا تخافي فانني اشعر بانني في غاية القوة حينما اكون معك. ولو لم يجبك الرجل الى العفو عن الزنجية لكنت ضربته » فصاحت فرجيني « هل حدثتك نفسك بمخاصمة رجل ضخم وشرير كذلك الرجل . يا لله ما اصعب صنع الخير في هذه الحياة وحقاً انه ليس فيها من امر سهل غير صنع الشر »

ثم اقبل المساء والولدان يسيران على غير هدى بين تلك الجبال والاحراش . ولما

اوشكت الشمس ان تغرب خافت فرجيني وضاق بولس ذرعاً فصار يروح ويجيء على غير هدى واخذت فرجيني تبكي وتقول « لقد اخطأت' لقد اخطأت' فانه يجب على الابنة ان تستشير امها في كل شيء حتى في صنع الخير » اما بولس فانه صعد الى شجرة ليرى ما كان امامه ووراءه فلم يرَ الا رؤوس الاشجار البعيدة . فنزل عن الشجرة وصعد الى اكمة ثم اخذ يصيح : « الينا الينـا تعالوا وساعدوا فرجيني » فلم يجبه غير رجع الصدى بترديده اسم فرجيني . ولما سُدت دون الولدين كل الابواب التفتت فرجيني الى بولس وقالت له « فلنصلِّ يا اخي فان الله يرفق بنا » فجثـا الولدان على الارض بين الاعشاب والاشجار واخذا في الصلاة . وحينئذ سُمع صوت كلب بعيد فصاحت فرجيني « اظن هذا الصوت صوت كلبنا « فيدل » فانني اعرفه ولعلنا صرنا على مقربة من الكوخ » فاجاب بولس « كلا ولكـنه على الارجح صوت احد كلاب الصيادين الذين يكمنون للايل مساء في هذه الجهات »

وبعد حين قرب صوت الكلب فالتفت بولس وفرجيني فابصرا عبدهما دومنيك يركض نحوهما والكلب « فيدل » امامه . فطار الولدان من الفرح واخذا يبكيان . اما العبد فانه تنفس الصعداء حين رؤيتهما وقال « ياسيديَّ لقد ذابت نفس والدتيكما خوفاً عليكما » ثم قصَّ عليهما الطريقة التي عرف بها مكانهما ومرجع الفضل فيها للكلب « فيدل » الذي لما شممه ملابسهما القديمة سار في اثرهما يطلبهما مهتدياً بحاسة الشم وعارفاً بها الطريق التي سلكاها في الذهاب والاياب (١)

وكان قد هبط الظلام . فاراد بولس وفرجيني السير فوجدا انهما في غاية التعب لا يقدران على نقل قدم . ولكن من حسن الحظ ان بعضاً من الزنوج مروا في تلك الساعة من هنالك . فدنا زعيمهم وقال : لا تخافوا ايها البيض الصغار فاننا نروم مساعدتكم لاننا رأيناكم في الصباح سائرين للشفاعة بزنجية من ابناء جنسنا . فحلوا نحملكم ونردكم الى منزلكم مكافأة لكم »

وحينئذ دنا اربعة من العبيد الاشداء فصنعوا محملاً قوياً وحملوا عليه بولس وفرجيني . فصعدت فرجيني الى المحمل ضاحكة والوت عنقها على كتف اخيها من التعب وهي تقول « ان

---

(١) وقد روى المؤلف ان الكاتب دي كريفكور ذكر في كتابه « رسائل زارع اميركي » ان احد المتوحشين ويُدعى « تونيسا » كان له كلب اسمه « اونيات » اكتشف بحاسة الشم اموراً كهذا الامر

الله يجازي على الخير خيراً دائماً يا اخي ولا يذهب العرف بين الله والناس »

ولما وصل الولدان الى الكوخ وقفت مدام دي لاتور ومرغريت على سبب غيابهما فلاماهما وشكرتاهما على جميل صنعهما

٧

الزراعة والاسماء

وعلى ذلك فقد كانت معيشة هاتين العائلتين في الطبيعة على انفراد باعثاً على زيادة الانسانية فيهم وانماء الفضيلة في نفوسهم بدلاً من جعلها نفورة وحشية الاخلاق . وقد كانوا جميعاً يشكرون العناية الالهية ويعجبون بقوتها التي اخرجت على ايديهم من تلك الارض الصخرية الجدباء خيرات كثيرة وجعلتها حدائق غناء . فان بولس من جهة ودومنيك من جهة اخرى كان لا همّ لهما الاّ غرس الاشجار وزراعة الحبوب والنباتات فيها . وقد كانوا يزرعون هنا ليموناً حامضاً وبرتقالاً وهناك شجراً من التمر الهندي وهناك نخيلاً وموزاً وفي تلك الجهة حبوباً كالارز والحنطة وغيرها . وكان كل غذائهم من هذه الاثمار والحبوب والنباتات . وقد زرع بولس ودومنيك هذه المزروعات بشكل جميل خصوصاً في هذه الحديقة التي امام الكوخين . فانهما كانا يغرسان فيها الشجيرات الصغيرة في الصف الاول ويغرسان وراءها شجيرات اكبر منها وهكذا الصغرى فالصغرى فكان الواقف امام الكوخين يصل نظره الى جميع الاشجار المغروسة لان نوعها الصغير كان متقدماً على نوعها الكبير. فكان لذلك منظر رائق تنبسط له النفس . وكانوا في كل مساء يخرجون الى تلك الصخرة التي امامنا ويجلسون عليها تحت الشجرة لمشاهدة البحر والمدينة . وكانوا يسمونها « اكتشاف الصداقة » لانهم كانوا ينظرونني منها حين قدومي من كوخي اليهم . وكان بولس وفرجيني قد نصبا في الشجرة عصا طويلة حتى اذا ظهرتُ لهم من اعلى الجبل رفعا عليها علماً دلالة على قدومي . وقد صنعا في الجبل مثل ذلك ايضاً فقد نصبا في قمته عصا اخرى كانا يرفعان عليها علماً آخر كلما شاهدا باخرة تمرُّ في عرض البحر . اما انا فقد كنت اتسلى احياناً بان احفر لهم ابياتاً من الاشعار اللاتينية في بعض الاماكن . فحفرت تحت العلم المنصوب فوق الشجرة بيت هوارس « ليديرك الله الريح ولا يُرسل عليك غير النسيم » وحفرت على جذع شجرة كان بولس يستريح تحتها من تعب النهار ويشاهد البحر المزبد امامه بيت فرجيل « ما اسعدك يا بنيّ لانك لا تعرف غير الله الحقول » وحفرت على باب

كوخ مدام دي لاتور بيتاً آخر لفرجيل « هنا ضمير حي ونفس لا تعرف الخداع » اما فرجيني فانها كانت لا تستحسن اياتي اللاتينية . وانتقدت كتابتي تحت الراية المنصوبة في الشجرة فقالت : لو كتبت تحتها « تضطرب دائماً ولكنها ثابتة » لكان ذلك ابلغ . فنظرت اليها واجبتها « هذا القول اكثر انطباقاً على الفضيلة منه على الراية » فغضت طرفها عند هذا الكلام وصبغ الحياء وجنتيها

وكان لنا في تسمية الاماكن باسماء الامور التي تقع فيها بعض التسلية . فقد سمت مدام دي لاتور ومرغريت شجرة قديمة جلستا تحتها عند التقائهما اول مرة لتتحادثا بمصائبهما « مسح الدموع » وسمى بولس وفرجيني حلقة من شجر البرتقال كانا يرقصان في وسطها « ساحة الاتحاد » وقد خططت الامّان قطعتي ارض وسمتا الواحدة « بريتانيا » والاخرى « نورمنديا » تذكاراً لوطنيهما . وكانت هذه الاسماء كثيرة حتى انني اذا اجلت نظري الآن في هذا المكان خيل لي انني بين اطلال اليونان حيث لا يجد الانسان الا خرائب واسماء جميلة

٨

نبع فرجيني

ولكنّ اجمل الاماكن في هذه الحدائق كان المكان المسمى « استراحة فرجيني » . فانه كان تحت الصخرة المسماة « اكتشاف الصداقة » نقر واسع ينبجس منه ماء صاف كالبلور . وكانت فرجيني تذهب احياناً وتنام في ذلك النقر على شاطئ النبع ولذلك سمي المكان « استراحة فرجيني » وكان بجانب هذه العين شجيرتان صغيرتان من النارجيل اسم الواحدة « شجرة بولس » واسم الثانية « شجرة فرجيني » لانّ ام بولس غرست الاولى يوم ولادته وام فرجيني غرست الثانية يوم ولادتها . وكانت الشجيرتان تنموان بنمو الولدين وهما متجاورتان كانهما خارجتان من ساق واحدة . وكانت شجرة بولس اكبر من شجرة فرجيني قليلاً كما كان بولس بالنسبة الى فرجيني . ولما راى بولس ان رفيقته تحب الاقامة في هذا المكان ذهب الى الحرش وجاء منه بكثير من اعشاش الطيور ووضعها في الاشجار التي كانت حول النبع . فتبعت امات (١) الطيور صغارها الى النبع وجعلته موطناً لها .

---

(١) يقال « امهات » للحيوان العاقل اي الانسان مثال ذلك « امهات الاولاد » « وامّات » للحيوان الغير العاقل مثال ذلك « امات الطيور »

وكانت طيور البحر ترى من الشاطىء ذلك المكان الاخضر الخصيب فتأوى اليه ايضاً وتبيت فيه . فازدادت فرجيني حباً لبيها . وكانت اذا خرجت من الكوخ تقصد النبع



نبع فرجيني — هي والطيور — شجرة بولس وشجرة فرجيني

طارت لاستقبالها جميع الطيور التي كانت مجتمعة حوله لانها الفتها . ثم ان هذه الطيور كانت تقع قريباً منها او ترف حولها لان فرجيني اعتادت ان تنثر الحبوب لها . وكانت هذه الطيور الوحشية النافرة التي لا تدنو من الانسان مائة خطوة في عرض البر تصل الى قدميها كانها دجاج بيتية . فكان ذلك يسر بولس وفرجيني سروراً شديداً

٩

معيشتهم الطبيعية

اما مبادىء هاتين العائلتين الدينية فقد كانت مبنيـة على العواطف . فانهم كانوا يحببون في كل حين بذلك العقل العام المدبر الذي يدير العالم وتلك العناية الالهية المسالمة للبشر والعاملة لفائدتهم . وكان اعتقادهم هذا الاعتقاد الثابت يبث فيهم روح التعزية عن الماضي ويشجعهم في الحاضر ويؤملهم في المستقبل . وعلى ذلك فان هاتين المرأتين اللتين اضطرتهما مصائبهما الى الرجوع للطبيعة والمعيشة فيها قد وجدتا في الطبيعة قوة على غرس الفضائل التي تكفل دفع تلك المصائب في نفسيهما ونفسي ولديهما

وكانوا في فصل الصيف يذهبون في كل يوم احد الى الكنيسة فكان الاغنياء والفقراء يحيطون بهم لمشاهدتهم وذلك لما سمعوه عنهم من الفضل وما رأوه في وجوههم من دلائل البساطة

والصلاح والفضيلة. وكان الاغنياء يدعونهم الى منازلهم فيعتذرون لهم بلطف لانهم كانوا يعرفون ان الكبار لا يطلبون صداقة الصغار الا ليتزلف هؤلاء اليهم ويمدحوا كل اعمالهم قبيحها وحسنها . وكذلك كانوا يجتنبون مخالطة صغار السكان لانهم يكونون على الغالب كثيري الحسد والنميمة والفلاغلة . ولذلك كان الاولون يحسبونهم ضعفاء مساكين والآخرون يحسبونهم متكبرين متنطرسين. غير ان لطفهم في الرفض والاجتناب واحسانهم الدائم الى الفقراء والمرضى كان يكسبهم الكرامة والاحترام لدى الكبار والصغار معاً

ذلك ان كل اهتمامهم في هذه الزيارة كان مصروفاً الى المرضى والفقراء. وكانت فرجيني تهيء في المنزل الادوية التي تامرها امها بتهيئتها ثم تجيء بها في يوم الاحد في طريقها . وكلما سمعوا بمريض او مريضة من الفقراء ذهبوا لعيادتها وتخفيف تعبها . وكانت مدام دي لا تور تحادث المريضة عن الله ورحمته وعنايته حديثاً يدخل النفوس فيخيل السامعين ان العناية التي تتكلم عنها تلك السيدة موجودة بينهم. وكثيرًا ما عادت فرجيني من هنالك وعيونها مبتلة بالدموع من شدة التاثر

وكانت هذه الحياة الجديدة ممزوجة بشيء من المزل . فقد كان بولس وفرجيني يمثلان امام الجميع في اوقات الفراغ قصصاً ادبية كنا نصرف الوقت في التسلي بها . واحياناً كانت مدام دي لاتور تقص علينا في الليل قصصاً نصغي اليها بلذة وسرور

وكان الفقراء قد اهتدوا الى هذا المكان وعرفوا صلاح سكانه فلم يلبثوا ان صاروا يفدون عليه ويطلبون المساعدة. فكانت العائلتان لا تردان لهم طلباً . وكانت فرجيني تقول في كل مرة تساعد فيها فقيرًا « سعادة الانسان في ان يهتم بسعادة غيره »

١٠

حنو بولس وحنو فرجيني

وانكم انتم ايها الاوربيون تجهلون مبلغ السعادة التي تكون لابن الطبيعة بعيشته في النور والهواء والسرور الدائم . ذلك لان نفوسكم يتطبع فيها منذ الصغر مبادىء تخالف المبادىء المؤدية الى السعادة الحقيقية . وعقلكم الذي تحصرونه في بعض المعارف البشرية لا يلبث ان يصل في ملاذه الى حدها الاخير . اما ملاذ الطبيعة والقلب فلا حدّ لها

وهكذا كانت ملاذ بولس وفرجيني . ثم انه لم يكن لديهما ساعة لمعرفة الوقت ولا تقاويم ولا كتب في الفلسفة والتاريخ ولكنهما كانا في غنى عن ذلك كله . فقد كانا يعرفان ساعات النهار من نظرها الى اظلال الاشجار . ويعرفان فصول السنة من اثمارهــا وازهارها . وعدد السنين التي تمرّ عليهما من عدد مواسم الحنطة والارز . وقد كان هذا التوقيت الجديد يجعل في حديثهما صوراً جميلة . فقد كانت فرجيني تقول للعائلة عند الظهر « جاء وقت الغداء لان ظل اشجار الموز صار على جذوعها » وفي المساء « لقد اقبل المساء لان التمر المندي اخذ يطوي اوراقه » واحياناً تسألها بعض جاراتها « متى تزورينا يافرجيني » فتجيبهن « في ايام قصب السكر » فيجبنهــا « اهلاً بك وستكون زيارتك حلوة مثله » واذا سُئلت عن عمرها وعمر بولس فانها كانت تقول « اخي عمره كعمر شجرة الترجيل الكبيرة التي على النبع وانا عمري كعمر الشجرة الصغيرة . ومنذ ولدتُ الى اليوم اثمرت شجيرة المنغ اثنتي عشرة مرة وازهرت اشجار البرتقال ٢٤ مرة » وهكذا كانت حياتهما مرتبطة بحياة الاشجار والازهار فلم يكن يعرفن شيئاً غيرها

وما الذي يوجب عليهما ان يعرفا غير ذلك . واي فائدة لهما في ان يكونا غنيين عالمين كما يطلب باقي الاولاد . اليست قلة حاجاتهما وجهلهما هما اللذان كانا سبب سعادتهما وهنائهما . فانهما في هذه المعيشة الطبيعية البسيطة لم يجهد المرض لهما جبيناً . ولا افسدت الشراهة لهما دماً . ولا دخلت شهوة رديئة لهما قلباً لتفسده وتجعله رديئاً . بل انهما كانا يعيشان كل يوم في الحب والطهارة والتقوى . فكانت هذه الفضائل تنمي فيهما كل يوم جمال النفس وجمال الجسد معاً . فكانهما كانا في صبيحة عمرهما هذه كما كان في جنة عدن ابوانا الاولان حينما خرجا من يد الله . فان فرجيني كانت كحواء في لطفها واتضاعها وثقتهــا . وبولس كآدم اذ كان له جسم الرجال ونفس الاولاد

وكثيراً ما كان بولس ينفرد بفرجيني فيقول لها « اذا كنتُ تعباً فاول ما انظركِ يزول تعبي . ومتى رأيتك من قمة الجبل وانتِ في وسط هذا الوادي يخيل لي انك زرّ ورد بين هذه الاشجار . واذا سرتِ الى البيت كانت خطاكِ اخف من خطى الحجل على العشب . ومتى غبتِ عن نظري فانني لا احتاج للتفتيش عنك لمعرفة مكانك لان نفسي تجد دائماً اثراً منك في الهواء حين مرورك وعلى العشب حين جلوسك عليه . وحينما ادنو منك تضطرب حواسي كلها . فانني ارى زرقة السماء اقل جمالاً من زرقة عينيك واصوات الطيور اقل رخامة من صوتك . واذا مسستك مساً باصبعي يرتعد جسمي كله ارتعاد

الابتهاج والسرور · تذكري ذلك اليوم الذي قطعنا فيه الجبل للشفاعة بالزنجيــة وكيف حملتك على ظهري حين عودتنا لنقطع الجدول · فانني لما وصلت الى الجدول كنت في غاية التعب ولكني لما حملتك على ظهري خيل لي من القوة التي عادت اليَّ انني صرت ذا جناح كالعصافير · فقولي لي باي شيء سحرتني هذا السحر · ابعقلك ؟ ولكن عقل امك وامي اكبر من عقلك · ابقبلاتك ؟ ولكن امي وامك تقبلانني اكثر منك · بماذا اذاً ؟ اظن انك سحرتني برقة قلبك وجمال نفسك· فانني لا انسى قط انك قطعت الحرش والجبل حافية القدمين على الحصى لطلب العفو عن زنجية مسكينة »

اما فرجيني فانها كانت تجيبه « لست امرّ باشعة الصباح حين ظهورها على رؤوس هذه الصخور سروري برؤيتك · انني احب امي وامك ولكنني حينما اسمعها تناديانك « يا بني » يزداد حبي لها · ومتى قبلتك فان ذلك يؤثر فيَّ اكثر من تاثير قبلاتها لي· ولقد سألتني: لماذا تحبني · فانا اجيبك ان كل الذين يربون معاً يحبون بعضهم بعضاً · انظر الى طيورنا التي تنشأ في اعشاش واحدة الا تراها تحب بعضها بعضاً مثلنا · اسمع اسمع كيف ينادي بعضها بعضاً من اعلى الجبل الى هذا الوادي · انني اصلي الى الله في كل يوم من اجلى امي



فرجيني تمسح العرق عن وجه بولس

وامك ومن اجلك ومن اجل الخادمين · ولكنني لما الفظ اسمك في صلاتي اشعر بزيادة تقواي · وانني اسال الله في كل حين ان يقيك كل مكروه · لماذا تبعد في الحرش كثيراً

وتصعد الى اعالي الاشجار لتاتيني بازهارها واثمارها ٠ انما لدينا في الحديقة ما يكفينا منها٠ انظر انظر كيف ان العرق يتصبب من جبينك » — ثم انها كانت تتناول منديلها وتمسح العرق عن جبينه ووجنتيه الموردتين وتقبله فيها عدة قبلات »

١١

الم فرجيني الجديد

ولكن فرجيني لم تلبث بعد ذلك ان عراها الم كانت تجهله٠ فطُوقت عيناها الجميلتان بطوق ازرق واصفر لون وجهها واصاب جسمها ذبول عام اضعفه وزال ما كان على جبينها من دلائل الهدوء وما في شفتيها من الابتسام ٠ واصبحت تجتنب العابها الاعتيادية ورياضتها اليومية وتقصد الجهات البعيدة طالبة الراحة في كل مكان دون ان تجدها في مكان ٠ وكانت اذا وقع نظرها على بولس اتجهت اليه ركضاً ولكنها متى دنت منه كانت تسكن بغتة وتصطبغ وجنتاها الصفراوان بلون الورد دون ان يكون لعينيها جرأة على النظر الى عينيه ٠ فكان بولس يقول لها : « ان العشب الاخضر يغطي كل الصخور التي حولنا والطيور تناديك كلما وقع نظرها عليكِ وكل شيء مبتهج مسرور حولكِ الا انتِ فانكِ منقبضة الصدر » — وحينئذ يدنو منها ليقبلها ٠ فتنفر منه وتفرّ كالغزال الشارد قاصدة امها ٠ ذلك ان هذه الفتاة المسكينة كانت تشعر ان قبلات بولس صارت تلقي الاضطراب في نفسها ٠ اما بولس فانه لم يكن يفهم شيئاً من هذا الامر الجديد ولذلك كان في هم شديد وحيرة شديدة

وكان الحرّ في « جزيرة دي فرنس » يشتد في ثلاثة اسابيع في اثناء السنة الى درجة غريبة ٠ فان الينابيع كانت تجف والريح تهمد والليل نفسه كان حارّاً حتى ان المواشي التي كانت على الجبال في هذا الاوان كانت ترفع رؤوسها الى السماء كانها تستغيث من حر الارض ٠ ففي ليلة من هذه الليالي الحارة اشتدّ الم فرجيني في فراشها ٠ فاخذت تتقلب تقلب الملسوع ٠ ثم صارت احياناً تقوم واحياناً تجلس واحياناً تنام دون ان يجد الكرى سبيلاً الى جفنيها والراحة سبيلاً الى نفسها ٠ فنهضت من فراشها وسارت على اشعة القمر الى نبعها لتستحم في مائه تبريداً للحرارة الشديدة ٠ ولما وصلت الى النبع القت نفسها في حوضه فارتاحت نفسها للبرودة التي اصابت جسمها وهداه بالما قليلاً ٠ ولكنها لم تلبث ان عادت اليها افكارها لما وقع نظرها على شجرة بولس وشجرتها في جانب النبع ٠ فتنهدت تنهداً

لكربها · ثم القت نظرها الى ما حولها فراعهـا ذلك السكون واخذ الماء يتحن لامتصاصه حرارة جسمها فخرجت منه بسرعة وراحت تركض الى امها تطلب عندها ملجأ مما كان في نفسها · اما امها فانها كانت قد درت بالمها ولكنها كانت لا تجسر على مخاطبتها فيه · وقد رامت فرجيني احياناً ان تسال امها المعونة واوشكت مراراً ان تبكي امامهـا وتلفظ اسم « بولس » لديها ولكن ضيقاً في نفسها كان يمنعها من ذلك كلما حاولته · ففي هذه الليلة حينما جاءت فرجيني والقت نفسها بين ذراعيها قالت لها هذه الام العاقلة : « وجهي نفسك الى



فرجيني تشكو المها الجديد الى امها

الله يا بنية وكلي اليه امرك · فانه وحده الصحة والحياة · وهو يجربك الآن ليكافئك غداً · ولا تنسي اننا لم نُخلق على هذه الارض الا لممارسة الفضيلة »

ولكن بعد ايام الحرّ هذه هبت على الجزيرة عاصفة هائلة وانفتحت ابواب السماء فنزل منها على الارض مطر غزير برّد حرارتها · فلزمت العائلتان الكوخين مدة الزوبعة والمطر وهما تصليان الى الله ان يدفع عنهما الخطر · اما بولس الشجاع الباسل فانه خرج مع دومنيك لتقوية الكوخين وافتقاد الحديقة · ولما زال خطر الزوبعة رامت فرجيني الخروج من الكوخ فدنا بولس منها بجبين وخوف وقدم لها ذراعه · فاخذتها فرجيني باسمة وخرجت معه · فلما صارا في الحديقة وجدا ان المطر والريح قد جرفا الارض وكسرا الاشجار وخربا الحديقة كلها · اما نبع فرجيني فقد غمره السيل واجتاح كل ما كان حوله · وكانت بعض الطيور

على الاغصان تئن انيناً ضعيفاً كانها تبكي اعشاشها وفراخها التي ذهبت الزوبعة بها ٠ فالتفتت فرجيني حينئذ وقالت باسف « كل شيء في الارض يزول الا السماء فانهـا تبقى كما هي » فقال لها بولس « ليتني قادرًا على ان اعطيك شيئاً من السماء ولكني لا املك شيئاً في الارض فكيف فيها » فاجابته فرجيني « بل انك تملك صورة القديس بولس »

فلما سمع بولس هذا الكلام طار ركضاً الى الكوخ وعاد بهذا الرسم ٠ وكانت امه قد جاءت به من اوربا وفي اثناء معيشتها منفردة عن الناس كانت تتعزى بالنظر اليه لان هذا الرجل عاش مثل هذه المعيشة ٠ ولذلك سمت ابنها باسمه ٠ فلما القى بولس هذه الصورة الى فرجيني اخذتها هذه قائلة « ساحفظها يا اخي الى آخر نسمة من حياتي ولا انسى انك اعطيتني الشيء الوحيد الذي تملكه في هذا العالم » فلما سمع بولس من فرجيني هذه اللهجة الودادية التي مرَّ عليه زمن ولم يسمعها منها مرَّ وهمَّ بتقبيلها ٠ اما فرجيني فانها افلتت منه كالعصفور وركضت نحو الكوخ تاركة بولس المسكين في سخط وهياج شديد

١٢

الاستعداد للسفر

وفي ذات يوم قالت مرغريت لصديقتها مدام دي لاتور « لماذا لا نزوج بولس بفرجيني فان الواحد منهما يحب الآخر حباً شديدًا ٠ نعم ان ابني لم ينتبه الى ذلك بعد لان الطبيعة لم تحدثه بلغتها الى الآن ولكنها متى حدثته صار من الصعب السهر عليهما ومراقبتهما» فاجابتها مدام دي لاتور « انهما صغيران وفقيران يا اختي فماذا يحلّ بنا متى رزقا الاولاد وعجزنا عن خدمتهم لضعفنا جميعاً ٠ فدعي هذا الامر حتى يقوى بولس ويصير قادرًا على القيام بحاجاتنا ٠ وما قولك في ارساله الى الهند للاتجار فيها فانه لا يقيم هنالك بضعة اسابيع حتى يجمع شيئاً من المال فيشتري به بعض الزنوج ويعود للزراعة في هذه البلاد ٠ هل ترومين ان نستشير جارنا في ذلك »

وفي الواقع ان هاتين السيدتين استشارتاني في هذا الامر في اليوم الثاني ٠ فوافقت على رأيهما وقلت لهما ان بولس اذا اخذ من هذه الجزيرة شيئاً من القطن الرخيص الثمن عندنا لعدم وجود معامل لحلجه ونسجه واغصان الابنوس الكثيرة في احراشنا حتى اننا نتخذها للوقد كالحطب فانه يربح بها في الهند ارباحاً كثيرة ٠ ولكني لما اطلعت بولس على هذا الامر اظهر الرفض البات وقال انه لا يترك العائلتين وحدهما خصوصاً فرجيني التي

كانت متألمة في ذلك الوقت

فاوقعني جوابه هذا في حيرة شديدة · ذلك ان مدام دي لاتور كانت قد ابلغتني سرًا رغبتهـا في ابعاد بولس عن فرجيني مدة من الزمن · وبينا كنت مفكرًا بذلك واذ ورد على مدام دي لاتور من عمتها الغنية في فرنسا كتاب مع سفينة قدمت الى الجزيرة· وكانت هذه العمة القاسية قد اصيبت بمرض افنى قواها فكتبت الى مدام دي لا تور من خوفها من الموت ان تعود اليهـا مع فرجيني واذا كانت لا تستطيع السفر فلترسل فرجيني وحدها · وقد قالت في كتابها انها عزمت على ترك اموالها واملاكها كلها لها اذا ارسلتها وتدبر لها زوجاً عظيم الشان في البلاط الملكي اما اذا لم ترسلها فانها تحرمها من كل ارث منها

فلما تُلي هذا الكتاب على العائلتين ساد القلق والجزع فيهما · واخذ العبد دومنيك وزوجته يبكيان لهذا الخبر · واما بولس فانه كان جامدًا كالصنم ولكن كل ناظر اليه كان يعلم ان زوبعة الغضب والغيظ كانت في صدره قريبة الظهور · واما فرجيني فانها كانت شاخصة بعينيها الى امها وهي ساكتة · فنظرت مرغريت الى صديقتها وقالت لها : « هل تتركيننا يا اختي » فاجابت مدام دي لا تور « لا لا · لا اترككم فانني عشت معكم واريد ان اموت معكم »

فساد الفرح عند ذلك في العائلتين · واخذ بولس يقبّل مدام دي لا تور ويشكرها· وظهر على وجه فرجيني شيء من دلائل السرور ايضاً ومنذ هذا الحين زال انقباضها فازداد بذلك سرور العائلتين

ولكن ما طلع صباح اليوم التالي حتى صعد حاكم الجزيرة نفسه الى الكوخين وقابل مدام دي لا تور · وكان غرضه من ذلك ابلاغها ان الادارة قد كتبت له بان ياخذ فرجيني بالقوة ويرسلها الى عمتها في فرنسا اذا كانت امها تعارض في ذلك · ثم القى امامها كيساً ملوءًا بالنقود لتهيئة فرجيني للسفر وقال لها في السر « انني متحقق ان عمتك لا تعيش اكثر من سنتين فلا تضيعي ثروتها من يدك فان ذلك يجب عليك من اجل ابنتك »

وكانت مدام دي لا تور لا تكره في الباطن ابعاد فرجيني عن بولس مدة من الزمان فامتثلت امر الحاكم · ولكنها لما خاطبت في ذلك ابنتها فرجيني اجابتها هذه « ان الله فرض علينا العمل كما قلتِ لي مرارًا وعنايته لا تهمل الفقراء على الخصوص كما علمتني · فما

الواجب اذاً السفر . انني لا استطيع فراقك » فاجابتها امها « لا همّ لي يا بنية في هذا العالم غير جعلك سعيدة وتزويجك ببولس يوماً من الايام . فافتكري منذ الآن ان سعادة بولس بين يديك ولذلك دعوتك للسفر »

فلما سمعت فرجيني اسم بولس من امها طفحت كاس حبها فاطلعتها بخجل وحياء على ما في نفسها من الالم وكيف كانت تصارع ذلك الالم مصارعة لم يقف عليها احد غير الله.

فاجابتها امها بهدوء « اكتمي يا بنية حبك عن بولس فان الفتاة متى استولى حبيبها على قلبها لم يعد يجوز له ان يطلب شيئاً غيره »

ولكن لم يكد يهبط المساء حتى دخل عليهم رجل ضخم الجثة يلبس ثياب الرهبان . وكان هذا الراهب معلم اعتراف مدام دي لاتور وابنتها . فالتفت الى الام وقال « ليكن اسم الله مباركاً يا بنية فانك قد صرت ذات ثروة طائلة . وقد اصبحت بعد الآن قادرة على مساعدة الفقراء والعمل بما يوحيه قلبك الكريم . ثم التفت الى فرجيني وقال « لقد علمت بما دار بينكم وبين الحاكم من الكلام . فاخضعي يا بنية للعناية الالهية ولارادة اهلك الطاعنين في السن وان كانوا ظالمين . فان هذه هي ارادة الله . الا ترضين بالسفر يا بنية »

فاطرقت فرجيني حياء ثم قالت وصوتها يرتجف « اذا كانت هذه هي ارادة الله فانني اسافر ولكن ارادته » ثم بكت وانطرحت بين يدي امها

اما انا فانني كنت معارضاً في هذا السفر ولكن معارضتي لم تجد نفعاً بازاء بريق الثروة الطائلة وامر الراهب الذي كانت ارادته مقدسة عند مدام دي لاتور . واما بولس فانه كان يجهل هذه المخابرات كلها . وكان كلما رآنا في همس ومخابرات سرية هزّ راسه وقال بحزن « لا ريب في ان كل ذلك موجه ضدي لانهم يخفونه عني »

١٣

غضب وعهد

ولما ذاع في المدينة ان الثروة قد عارفت هذين الكوخين صعد اليهما كثيرون من باعة الانسجة والنفائس . فابتاعت فرجيني للعائلتين كثيراً من الاشياء حتى نفدت النقود من الكيس قبل ان تفتكر بنفسها . ولذلك عادت وشاركتهم في الاشياء التي ابتاعتها فاقتسمتها بينهم وبينها . ولما راى بولس ذلك تحقق انه من قبيل الاستعداد للسفر فقصدني وطلب اليّ ان اذهب واقنع فرجيني بالعدول عنه . فجئت الى هنا فشاهدت فرجيني في

ثوب جميل مشدودة الخصر بالكورسه والانفعال باد في وجهها . وكان هذا الانفعال الذي كانت تغالبه ويغالبها يجعل في عينيها ذبولاً غريباً وفي وجهها لوناً رائقاً وفي صوتها نغمة مؤثرة . فلم يكن احد قادرًا على رؤيتها او سماع كلامها دون تأثر واعجاب . ولذلك ازداد تأثر بولس وحزنه على سفرها . وفي مساء ذلك اليوم خرجت فرجيني بعد العشاء الى هذا المكان وجلست تحت الشجرة على صخرة « اكتشاف الصداقة » فتبعها بولس وجلس بجانبها . وكان الليل صافياً والقمر منيرًا في الافق . فلبث الاثنان ساكتين مدة وكنا نحن جالسين على مقربة منهما . ثم افتتح بولس الكلام فقال : « اصحيح يامدموازل انك تسافرين بعد ثلاثة ايام كما سمعت . وكيف لا ترهبين اخطار البحر مع شدة خوفك منه » فاجابت فرجيني « ما العمل فانه يجب عليّ ان اقوم بالواجب المفروض عليّ » فقال بولس « وكيف تتركيننا من اجل اهل بعيدين عنك ولم تريْن لهم وجهاً » فقالت فرجيني « كنت احب البقاء هنا ولكن امي لا ترضى بذلك والكاهن قال ان الله يامرني بالسفر » فقال بولس « اهذه هي كل الاسباب التي حملتك على السفر ام هنالك اسباب اخرى . نعم هنالك الثروة وبريقها يامدموازل والعالم وملاذه والدنيا وابهتها . فاذهبي . انك ستجدين اخاً غيري بين اصحاب الثروة والجاه في تلك البلاد ولكنك لا تجدين ابدًا هناء وسعادة كالسعادة التي وجدتها هنا . ولكن اخبريني ماذا يحل بنا بعدك . كيف نعيش هنا ايتها القاسية بدونك . ماذا اقول لامك ولامي كلما رايتهما تبكيان لغيابك . كيف تكون حالتي كلما القيت نظري في النبع الى شجرتك . آه لماذا لا تدعينني اذهب معك . انني اهدئ روعك حين اشتداد العواصف لانك تخافين منها خوفاً شديدًا . ومتى وصلنا الى فرنسا فانني اخدمك كعبدك وخادمك واموت في قصرك المذهب العظيم تحت قدميك وفي خدمتك »

ثم خنقت الزفرات صوته فسكت فاجابت فرجيني بصوت لطيف « انني لا اسافر يا اخي الا من اجلك . وذلك لانني اراك محنياً الى الارض في كل يوم لتسد حاجات عيلتين . فمتى صرت غنية استطعت ان ارد اليك الخير الذي صنعته معنا مائة ضعف . بولس بولس انت لدي اعز من اخ . والله يشهد على ما عانيته من الشدة في الابتعاد عنك . وقد كنت اومل انك تساعدني على هذا البعد مدةً الى ان يجيء الوقت الذي يسمح الله فيه بمباركة قراننا . اما الآن فان حزنك يفني قوتي و يضعف عزمي . فسابقى . سأكون لك في الموت والحياة . فاصنع بي ما تشاء . لقد قدرت على مقاومة قبلاتك وحنوك ولكني

عاجزة عن الثبات لدى دموعك »

فلما نطقت فرجيني بهذا الكلام هجم بولس فعانقها بين يديه ثم صرخ باعلى صوته « سأسافر معها سأسافر معها اذ لا يفصلني شيء عنها »

فحين سماعنا هذا الصوت اسرعنا اليهما . ودنت مدام دي لاتور من بولس وقالت له « ماذا يحل بنا اذا تركتنا وحدنا يا بني »

فالتفت اليها بولس حينئذ وقال بغضب هائل «لستُ ابناً لكِ . ولستِ بامي . كيف تكونين امي مع انك تفصلين الاخ عن اخته . لقد رضعنا كلانا لبنك ونشأنا على يديك وتلقينا منذ الصغر محبتك فكيف يجوز لك ان تفصلي الواحد عن الثاني . وربما تقولين : انها ليست باختي . فانا اجيبك انها كل شيء لي : هي ثروتي وعيلتي ونسبي وحياتي ولا تملك يدي شيئاً سواها . لقد ولدنا تحت سقف واحد وربينا في سرير واحد ويجب ان نموت في قبر واحد . فاذا سافرتْ فانني اتبعها الى اقاصي البلاد . واذا منعني حاكم الجزيرة ألقيت بنفسي في البحر وسبحت اليها . فان البحر لا يكون اشد ظلماً لي من البرّ . واذا متُّ فيه متُّ على مرأى منها . فيا ايتها الام البربرية . يا ايتها الام القاسية . ليقدر الله لهذا البحر الذي تدفعين ابنتك اليه ان لا يردها اليك . ليقدرْ لامواجه ان تاتيك بجثتي وجثتها متدحرجتين بين الحجارة على الشاطئ لتعزني على صنيعك هذا حزناً ابدياً »

فلما اتى على هذا الكلام اخذته من ذراعه لان اليأس كان قد اضاع رشده وكانت عيناه تتقدان بجمر الغضب والعرق يتصبب على وجهه . فارتاعت فرجيني من منظره فقالت له : « اقسم بسعادتنا الماضية يا اخي انني اذا عشت فانني لا اعيش الا لك . ويشهد على ذلك هؤلاء الذين ربوني وهذه السماء التي تسمع كلامي وهذا البحر الذي سيحملني وهذا الهواء الذي لم ادنسه قط بقول كاذب »

فعند هذا الصوت صوت الحبيب ذاب غضب بولس كما يذوب الثلج لدى حر الشمس وجرت من عينيه دموع غزيرة . اما امه فكانت بجانبه تمزج دموعها بدموعه . واما مدام دي لاتور فانها اخذت تقول « لقد كادت نفسي تتمزق من الحزن . فلا كان هذا السفر فاننا عدلنا عنه » ثم التفتت اليّ وقالت «لا تسافر فرجيني بعد الآن تخذ بولس اليك ليستريح فاننا جميعاً لم ننم منذ ثمانية ايام »

١٤

الفراق

فقلت لبولس حينئذ ان يذهب معي ليصرف الليل عندي فلم يمانع في ذلك . ولكنه ما اشرق الفجر حتى عاد الى هنا

غير انه لم يصل الى هذه الصخرة حتى وجد الزنجية ماري واقفة عليها وهي تنظر الى البحر . فطار صواب بولس فصرخ بها من بعيد « ابن فرجيني » فنظرت الزنجية الى سيدها بولس واخذت تبكي . فاسرع بولس كالبرق الخاطف الى الميناء وهو ضائع الرشد فعلم منه ان فرجيني ركبت قبل الفجر سفينة كانت تنتظرها واقلعت السفينة بها . فعاد بولس الى الكوخ صامتاً ثم قصد ذلك الجبل الشامخ فتسلقه حتى بلغ قمته ثم القى نظره منه الى البحر . فوجد في البحر سفينة بعيدة كانها نقطة سوداء . فالوى راسه هنالك على الصخور والحجارة واخذ يبكي بكل ما في عينيه من الدموع . ولقد وجدته في هذه الحالة على الجبل فعدت به الى البيت . فلما رأى ام فرجيني استشاط غيظاً وعنفها لانها خدعته . فاجابته ان الحاكم مع بعض من المرسلين جاءوا قبل الفجر عند هبوب الريح واخذوا فرجيني بالقوة لارسالها الى عمتها لان السفينة عزمت على السفر في تلك الساعة . وقد اخذوها من غير ارادتنا ولا ارادتها لانها كانت في حالة يُرثى لها من الحزن . فقال بولس « كان يجب على الاقل ان اودعها قبل سفرها لاقول لها « صفحاً يافرجيني اذا كنتُ قد اسأت اليك بامر . افلا تصفحين لي . وكنت اقول لها ايضاً : بما انني لا اراك بعد الآن فالوداع الوداع يافرجيني . وعيشي بعدي مسرورة سعيدة » فلما سمعت مدام دي لا تور ومرغريت هذا القول صارتا تبكيان . فقال لها بولس حينئذ « فتشا عن واحد غيري ليمسح دموعكما » ثم تركهما وهام على وجهه بين الآكام والاشجار

وكانت الشاتان تتبعانه وتثغوان فقال لهما « ماذا تطلبان مني فقد ذهبت التي كانت تطعمكما بيدها » ولما وصل الى نبع فرجيني اخذت الطيور تحوم حوله . فقال لها « مسكينة انتِ ايتها الطيور فانك لا تجدين بعداليوم تلك التي كانت تغذيك » ونظر الكلب «فيدل» يركض من مكان الى مكان كمن يفتش على ضائع فقال له « انك لا تجدها ابداً » . وكنا نحن نتبعه من بعيد من خوفنا على حياته فلما وصلنا اليه اخذت ام فرجيني تكثر ملاطفته وتسميه ابنها وصهرها والرجل الذي اختارته لابنتها . فخمد حزنه قليلاً ورضي بان يتناول شيئاً من الطعام . ولكنه لما جلس في مكانه على المائدة تناول من الطعام الذي

كانت تحبه فرجيني ووضعه في المكان الذي كانت قد اعتادت الجلوس فيه غير انه لم يلبث ان انتبه الى غيابها فعاد الى البكاء . فبكى معه الجميع ايضاً . و بعد ذلك اخذ يفتش عن الاشياء التي كانت تستعملها فرجيني كباقاتها الاخيرة والكاس التي كانت تشرب بها فجمعها وحفظها كآثار ثمينة . وكان يقبلها احياناً و يضعها في ثيابه . الا انه لما وجد ان حزنه مما يزيد حزن العائلتين رأى وجوب العودة للعمل فاخذ يصلح في الحديقة ما اخربته الزوبعة فيها

١٥

كتاب من الحبيبة

وبعد قليل اخذ هذا الفتى يميل الى الكتابة والقراءة . اما الكتابة فلكي يكتب لفرجيني واما القراءة فلكي يقف على جغرافية البلاد التي سافرت فرجيني اليها وعلى تاريخها ليعرف عادات اهلها . فمع القراءة والكتابة لم يرتح الى كتاب من الكتب التي طالعها ارتياحه الى كتاب تلياك لانه كان قريباً من تصوراته الطبيعية . وقد خاف بعد مطالعته الروايات الاوربية وما رآه فيها من تقلب قلوب النساء ان يدب ذلك الفساد الى قلب فرجيني ايضاً . وقد زاد خوفه هذا ما سمعه من ان تلك الروايات هي وصف صحيح للهيئة الاجتماعية الاوربية

وفي الواقع ان فرجيني مرّ عليها سنة ونصف في فرنسا دون ان يرد منها خبر لامها . ولكن مدام دي لاتور كانت قد علمت بوصولها سالمة الى منزل عمتها . غير انها بعد ذلك تناولت في ذات يوم من احدى السفن المسافرة الى الهند رزمة صغيرة وكتاباً بخط فرجيني . ولما فتحت هذا الكتاب قرأت فيه ما يلي :

« امي المحبوبة

« كتبتُ اليك قبل هذا الكتاب عدة كتب لم يردني جواب منك عنها . فخشيتُ ان لا تكون قد وصلتك لانني كنت ادفعها الى خادماتي هنا . ولذلك رايتُ ان ارسل اليك هذا الكتاب على يد احدى صديقاتي في المدرسة لعله يصلك . وطيه عنوان هذه الصديقة فارجو ان ترسلي جوابك اليّ على يدها

ثم ان الفتاة تقص على امها في هذا الكتاب ما حدث لها منذ وصولها الى منزل عمتها . فقالت ان عمتها سألتها حين وصولها ماذا تعلمتِ فاجابتها انها لم تتعلم سوى تدبير

المنزل وانها تجهل القراءة والكتابة فاجابتها انها تعلمت علم الخادمات فقط . ثم ارسلتها في اليوم التالي الى مدرسة في دير كبير قرب باريز واخذت تتلقى فيها القراءة والكتابة والتاريخ والجوغرافيا والحساب والصرف وامتطاء الخيل . ولكنها لم تكن تميل الى هذه الامور كلها « لانني اشعر بانني فتاة مسكينة قاصرة كما يقولون عني » ولكن لطف عمتها يعزيها قليلاً فانها ابتاعت لها عدة اثواب وحلل فاخرة وجعلت في خدمتها سيدتين لابستين افخر الملابس . غير انها نزعت عنها اسم « دي لانور » ابيها وسمتها باسم عيلة امها . ولقد ساءها ذلك لانها تحترم تذكار ابيها ولكنها مع ذلك تحب الاسم الذي كان لامها قبل زواجها . قالت « وانني الآن اعيش في بذخ وترف تام ولكنني لا املك شيئاً مما حولي . فانا في وسط الثروة افقر مما كنتُ في وسط الفقر لانني لا اقدر ان اعطي شيئاً لاحد ولا امسح دموع احد . ولذلك عدت الى صناعة يدي لعلي استطيع ان اصنع خيرًا بها . فصنعتُ عدة جوارب كما اعتدت صنعها وارسلتها اليك لتفرقيها على الجميع . وقد بعثت اليك ايضاً بعدة انواع من بزور الازهار فان ازهار اوربا اجمل من ازهارنا وفي البرية هنا كثير من الزهر الجميل ولكن لا يهتم به احد ولا يلتفت اليه احد . ولا ريب عندي ان الكيس الذي قدمته لك متضمناً هذه البزور لهو اثمن عندك من كيس النقود الذي كان سبب فراقنا ومنشأ دموعي . ولقد اوصيتني قبل سفري بان ابلغك ما يسوءني ويسرني فانا اقول لك الآن بانه لم يسرّني شيءٌ منذ سفري . واما حزني فانني اخففه بافتكاري انني ما جئت الى هنا الا بامرك بناء على ارادة الله . ولكن اشد عذاب لدي هو انني لا اجد من يحدثني عنك وعن الارض التي نشأت فيها . واذا رمتُ ان احادث في ذلك احدى السيدتين الموكلتين بخدمتي فانها تقول لي « اذكري ايتها المدموازل انك فرنسوية وانه يجب عليك نسيان تلك البلاد المتوحشة » ولكن هاتين السيدتين لا تعلمان انني انسى نفسي ولا انسى الارض التي ولدتُ فيها والتي لا تزال تسكنها امي . ثم انهم يقولون ان تلك الارض متوحشة وفي الحقيقة ان هذه البلاد هي البلاد المتوحشة لانني اعيش فيها وحدي »

وقد اخبرت فرجيني امها في هذا الكتاب ان خالتها تمنعها من الكتابة لانها تخاف ان تحول المراسلات بينها وبين ما عقدت عليه عزمها . ذلك انها كانت تفكر بتزويجها برجل غني من اكابر رجال البلاط . وكان هذا الرجل يزور فرجيني في المدرسة مع عمتها ويقول انها تعجبه كثيرًا . ثم انها في خاتمة هذا الكتاب توصي امها خيرًا بالزنجي دومنيك

وزوجته ماري وترجو منها ان تلاطف قليلاً من قبلها الكاب « فيدل » الذي وجدها في الحرش حينما تاهت فيه

فلما تلي هذا الكتاب في العائلة غضب بولس في بدء الامر غضباً شديداً لانه رأى ان رفيقته اهتمت بكل شيء في البيت حتى الكاب « فيدل » واهملته هو . ولكن بولس كان يجهل ان المراة مهما كانت رسالتها طويلة فانها لا تضع اعز فكر لها الا في آخرها . فقد كتبت فرجيني في الكتاب حاشية سالت فيها بولس ان يبزر من بزور البنفسج في نبعها وان يسمي الصخرة التي تحادثا عليها قبل سفرها « صخرة الوداع » اكراماً لها . ولما اخذ بولس هذه البزور وجد انها موضوعة في كيس صغير بسيط . ولكنه لما تامل في هذا الكيس وجد عليه الحرف (ب) والحرف (ف) وهما الحرفان الاولان من اسم بولس واسم فرجيني موسومين على جانبه بشكل متقاطع وهما مصنوعان من خيوط شعر لا ريب في انه من شعر فرجيني لانه كان لامعاً جيلاً

فسرّ بولس بهذه الهدية الجميلة وازرفت العائلة دموع الفرح لدى قراءة هذا الكتاب . وقد ارسلت امها من قبل الجميع تخيّرها بين الاقامة حيث هي او الحضور الى وطنها الاول . اما بولس فانه كتب اليها كتاباً يشكرها على هدية البزور وقد قال لها انه سيضم بزور اوربا في ارضهم الى بزور افريقيا كما ضمت فرجيني اسمها الى اسمه رسماً في الكيس . ثم ارسل اليها بضع ثمار من ترجيلة النبع ولم يرسل اليها غيرها ليحملها شوقها اليها على العودة قريباً . وقد الح عليها في الرجاء بان تعود بسرعة لان العائلتين لم تكونا تجدان هناء وسروراً بعد سفرها

ولكن مرّ على هذا الكتاب ستة اشهر دون ان يرد من الفتاة جواب عنه . فقلق بولس لذلك . ومما زاد قلقه ان بعض السفن القادمة من اوربا كانت تشيع بين السكان ان فرجيني ستقترن قريباً بسيد من رجال البلاط . وبعضها قال بل انها اقترنت به وتم هذا الامر . وكان بولس قد قرأ الروايات الاوربية ورأى فيها ما فيها من الاشياء التي من هذا القبيل . فوقع في الياس . وهكذا ما ابتداء يتعلم ويطالع حتى ابتداء عذابه وشقاؤه . وكان احياناً يزورني ليجلو الهمّ عن صدره فيقصدني في كوخي على شاطىء النهر الذي يجري على موازاة « الجبل الطويل » حيث اعيش بعيداً عن الناس بلا زوجة ولا اولاد ولا احد يخدمني

١٦

فلسفة المؤلف في الانفراد

ويقول عارفوه انه كان يتكلم هنا عن نفسه لانه عاش منفرداً عن الناس

ذلك لانني اعتبر ان الانسان اذا لم يجد في هذا العالم زوجة صالحة تشاركه في السراء والضراء لانطباق اخلاقها على اخلاقه فان اسهل عيش يعيشه بعد ذلك هو عيشه منفرداً وحده . وكل انسان تألم من الناس واصابه شرهم واذاهم يطلب الانفراد عنهم من طبعه . ولذلك ترى ان الشعوب التي طرأت عليها المصائب الكثيرة كالمصريين واليونان والهنود والصينيين والايطاليين يكثر فيها ظهور افراد يجنحون الى الانفراد ومعيشة النسك والزهد . وسببه ان الانفراد في الخلاء يعيد الانسان الى السعادة الطبيعية ويدفع عنه مصائب الاجتماع . ولا عجب في ذلك فان هيئتنا الاجتماعية التي تتنازعها عوامل الشقاء والشقاق والاوهام تجعل النفس في اضطراب دائم . فهي تتدحرج فيها من فكر الى فكر ومن عثرة الى عثرة ولا مرد لها الا الطمع وحب السيادة على الغير . واما في الوحدة فانها تنفض عن نفسها فيها هذا الاضطراب وتعود الى هدوء الطبيعة وخالقها . فكأنها نهر جار يحمل ما في طريقه من الحجارة والغبار والتراب فيكون دائماً عكراً كدراً ولكنه متى صب ماءه في احواض واسعة ساكنة صفت مياهه من كل كدر لرسوب الاكدار في القعر وصارت نجوم السماء وخضرة الارض تنعكس فيها من صفائها . ومن مزايا الانفراد ايضاً انه يجلب الصحة للبدن كما يجلب الصحة للنفس لان اطول الناس عمراً من عاشوا خارج دائرة الناس كبراهمة الهنود ومن حذا حذوهم . ويخيل لي ان الانسان لا يستطيع ان يذوق سروراً حقيقياً في هذه الحياة ان لم تكن له اوقات يخلو بها الى نفسه ويجعل في باطنه مكاناً منفرداً لا يخرج منه رأيه الا فيما ندر ولا يدخل اليه راي غيره ابداً . ولست ازعم بذلك انه يجب على الانسان ان يعيش منفرداً كل الانفراد فانني لا اجهل انه مرتبط بباقي الجنس البشري وعليه واجبات لباقي اجزاء الطبيعة . وانما اعني بذلك انه كما ان الله خلق في الانسان للارض التي يعيش فيها اعضاء تلائمها وتلائم عناصرها كجعل القدمين للارض والرئتين للهواء والعينين للنور دون ان نستطيع تغيير وظائف هذه الاعضاء او العبث بها فكذلك خلق لنا عضواً خص نفسه به لانه مصدر الحياة واريد بهذا العضو القلب الذي هو مصدر الحركة . ولذلك يميل القلب الى الانفراد للتأمل في عظمة الله والطبيعة التي صنعها

فانا اذاً اعيش وحدي في البرّ بعيداً عن الناس الذين اردت خدمتهم فكان جزائي عندم الاذى والاضطهاد . وقبل ان اقيم في هذه الجزيرة طفت اوربا واميركا وافريقيا لاختار لي مكاناً . فوقع اختياري على هذا المكان لما فيه من الهدوء السائد فضلاً عن لطف الهواء . فبنيت لي كوخاً على شاطىء نهر تحت شجرة كبيرة وانشأت حقلاً ازرع فيه ما احتاج اليه وجئتُ ببعض كتب اطالعها لتجعلني مطالعتها افضل مما كنت قبلها . وهذه الكتب تساعدني على احتمال معيشة الانفراد لانني متى طالعتها ورأيت ما فيها من الاختباط السائد في الهيئة الاجتماعية التي تصفها وقابلت بين هذا الاختباط وبين الهدوء السائد حولي عرفت منه خير معرفة حقيقة السعادة التي انا فيها . فكأنني اذوق بهما لذة سعادة سلبية . كرجل نجا من الغرق وجلس على صخرة بعيداً من الامواج المزبدة والزوابع المهلكة يُسر ويفرح بانه صار في مأمن منها

ولما صرتُ بعيداً عن الناس ذهب بغضي لهم وانقلب الى رحمة فصرت اشفق عليهم. وجعلت امدّ يدي لمساعدة كل من يقع تحت يدي منهم . ولكن لم يكن احد منهم يقبل مساعدتي الا البسطاء . فانه حينما كان يأتيني بعض الناس ليطلب مساعدتي كان يظن انني اساعده للوصول الى الثروة والجاه . ولما كنت احاول اقناعه بالعودة الى الطبيعة للمعيشة فيها بهدوء وسلام كان يحول وجهه عني ويسخر مني . فكأنّ كل واحد من هؤلاء البشر المساكين نشوان من خمرة شقائه ومصائبه . وهو يفتخر ويعتزّ بها . وكان بعد استماعه كلامي يحسبني اشد شقاء منه فيحاول اقناعي بتغيير معيشتي ودفعي الى تيار المعيشة الدنيوية. اما انا فاذا كنت احادث جميع الناس والاطفهم فانني لا افتح خفايا قلبي لاحد منهم . ولذلك كنت اتركهم وشأنهم يحدثونني بما يحدثون . وكنت وانا جالس امام كوخي اراجع في نفسي ما شهدته في العالم من الزحام والالتحام والاصطدام على ملاذ الحياة ومناصبها ومفاخرها فاشبه الناس الذين اقدموا على ذلك بالامواج التي تتكسر على الصخور وهي مزبدة غيظاً وحنقاً ثم تذهب ولا تعود . اما انا فانني اشبه نفسي برجل مستسلم في الطبيعة الى مجرى النهر وهذا النهر يجري به بهدوء الى اوقيانوس المستقبل العظيم الذي لا حد له. ومن هذا النهر الجاري بي بهدوء وسلام ترتفع نفسي الى خالقها الابدي وتجنح الى عالم افضل من هذا العالم

١٧

بين شيخ وفتى

في ذات يوم جاءني بولس وانا جالس امام الكوخ في مكاني المنفرد في الحرش وبدأ يكشف لي ما في صدره من اسباب الياس والحزن . ولا باس بذكر هذه الحادثة على سبيل المخاطبة

قال بولس — نفسي حزينة حتى الموت . فان مدموازل دي لاتور سافرت منذ سنتين ونصف وقد مرَّ عليها ثمانية اشهر ونصف دون ان يردني خبر منها . فلا ريب انها هجرتني وذهب ذكري من قلبها لانها غنية وانا فقير لا املك شيئاً . فماذا ترى . أاسافر الى فرنسا واسعى فيها للوصول الى الجاه والثروة لعل مدام دي لا تور ترضى بتزويجي بابنتها

فاجاب الشيخ — كلا يا بني . لا تسافر فانك لا تستطيع ان تصنع في فرنسا شيئاً . ذلك ان الوظائف والمناصب فيها محصورة في بعض العيال الكبرى والدوائر العالية . وان كنت تعتمد على الملك فاعلم ان الملك شمس تحيط به غيوم الكبار والسراة من كل جانب ولذلك لا تطمع في ان يقع عليك شعاع من نوره . نعم لقد كان هذا الامر مالوفاً في الزمن القديم وكان سبباً في احياء المواهب وانماء قوى الافراد المهملين كما تحيا بالزراعة الارض الجديدة المجهولة . ولكن قد مضى اليوم ذلك الزمن . وصار الملوك العظام الذين يكتشفون اصحاب المواهب ويساعدونهم احياء لمواهبهم اندر من كل شيء نادر . واما عامة الملوك فلا يصغون ولا يلتفتون الا للحواشي التي تحيط بهم

فقال بولس — ولكنني الجاه الى احد هؤلاء الكبار فيحميني لدى الملك ويقربني منه

فقال الشيخ — اذا رمتَ ان يحميك الكبار وجب عليك ان تخدم اطاعهم وتمدح اهواءهم . وانت عاجز عن ذلك لانك شاب ابي النفس مستقيم

فقال بولس — ولكني ابذل جهدي لانال ثقتهم . فانني اكون شجاعاً في الحرب جريئاً في السلم اميناً حافظاً لكلامي ثابتاً في صداقتي قائماً بواجباتي . فلا بدَّ ان يلتفت اليَّ بعد ذلك احد منهم ويحميني ويمهد لي سبيل الظهور في العالم كما كان يصنع المتقدمون على ما قراته في الكتب التي اخذتها منك

فقال الشيخ — يا صديقي . لقد كان اليونان والرومان يحترمون الفضيلة ويحمونها

حق في دور اخطاطهم لانهم كانوا يحبونها . اما نحن فاننا لا نعبأ بها . وانني اعرف كثيرين من رجالنا العظام نبغوا في كل فن وعلم ولست ارى واحداً منهم قد تقدم وارتقى بمساعدة احدى العيال الكبيرة عندنا . فدع الكبار وشانهم لانهم لا يهتمون الا بانفسهم ولا قيمة لغير الذهب عندهم (١)

فقال بولس — اذاً انا اترك الكبار وانضم الى احدى الدوائر او الى رجال الاعمال والاموال

فقال الشيخ — حينئذ يجب عليك ان تصنع صنعهم فتدوس الضمير والواجب لجمع الثروة والمال

فقال بولس — كلا ثم كلا لانني لا اطلب الا الحق ولا اعمل الا بالواجب

فقال الشيخ — فحينئذ يبغضونك بدلاً من ان يساعدوك لان الناس قلما يهمهم الحق ولا يبغون الا قضاء اغراضهم

فقال بولس — ما اشد تعاستي اذاً . فان كل شيء ينبذني في هذا العالم . فرجيني تركتني والناس لا يساعدونني

فقال الشيخ — يابنيّ لا تتخذ لك مساعداً غير الله ولا تطمع في خدمة احد غير الانسانية . فان لكل فريق من الشعوب والملوك والعيال والدوائر اوهاماً وترهات . فاذا اردتَ خدمتهم وجب عليك احياناً ارتكاب الرذائل ارضاء لهم . اما الله والانسانية فلا يطلبان منك غير الفضائل (٢)

« ولكن ما الذي يوجب عليك طلب الامتياز عن باقي الناس يا بنيّ . ان هذا الطلب مناقض للاميال الطبيعية لانه لو عمّ لاصبحت الارض ميداناً للخصام والنزاع بين الناس . فانبذ هذه الاوهام وارضَ بحالتك لانك فتى ذو ضمير حر لا تجعل سعادتك متوقفة على آراء الصغار فيك كما يصنع الكبار ولا تزحف تحت اقدام الكبار طلباً للرزق . وانت الآن والحمد لله في بلاد لا تحوجك المعيشة فيها الى غش الناس والحط من كرامتك لديهم وارتكاب المحرم معهم رغبة في جمع المال . فانك في حالة تبيح لك ممارسة كل الفضائل

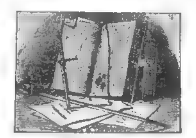
---

١) قيمة الفضيلة والعلم والادب في العالم . وقد عربنا هذا الفصل باسهاب حرصاً على ما فيه من الفوائد الفلسفية والادبية التي نوجه اليها خاصة انظار القراء ٢) الاقتصار على خدمة الله والانسانية

فتقدر ان تكون كريماً مخلصاً مهذباً مقتصداً معتدلاً عفيفاً نقياً حليماً محباً للحقيقة والحق دون ان تُرشق بسهام التهكم لالتزامك هذه الفضائل . وقد منحتك السماء صحة في الجسم والعقل وحرية وضميرًا حياً واصدقاء . فماذا تريد اكثر من هذا . ان الملوك الذين تبغي التقرب منهم التماساً لنعمهم ليسوا بسعداء الى هذا الحد

فقال بولس — آه ولكن تنقصني فرجيني . فانني معها املك كل شيء وبدونها اكون كمن لا يملك شيئاً . وبما انني لا استطيع الحصول على الثروة بوسائط شريفة للوصول الى فرجيني فانا اطلبها من طريق العلم والادب . فان الانسان لا يضطر في هذه الطريق الى دناءة وضعة . فماذا تقول اذا درستُ والّفت وخدمت وطني بالعلم لابلغ به اسمى قمم المجد والفخر فاستحق حينئذ فرجيني

فقال الشيخ — ان المواهب العقلية يا بني (١) اندر من الثروة والجاه في هذه الحياة . وهي افضل منهما لانها لا تزول عن صاحبها . ولكنها لا تُكتسب الا بجهد شديد وقهر النفس ونبذ الملاذ . وفضلاً عن ذلك فانها تجلب معها احساساً شديداً يجعلنا تعساء في الباطن لتأثرنا من كل شيء و يجلب لنا في الخارج عداوة الناس واضطهادهم . ومع ذلك فاذا يرجو الناس من النفع بواسطة الكتب . هل رايتَ في الكتب كتاباً كالانجيل يدعو البشر الى المساواة والصداقة والاخاء والسلام والدعة . ومع ذلك فان هذا الكتاب بقي مدة قرون منشئاً للخلاف بين



الانجيل والسيف

البشر وسبباً للنزاع . فكم من ظلامة حدثت باسمه في العالم ولا تزال تحدث الى الآن . فقل لي بعد هذا مَن من الناس يرجو نفع الناس بكتاب . ثم الا تذكر ما اصاب جميع الفلاسفة

(١) المواهب العقلية وحظ الحكمة والحكماء في العالم

الذين دعوا الناس الى الحكمة . فان هوميروس الذي كساها ابياتاً في غاية الجمال كان شحاذاً يطلب الصدقة في زمانه . وسقراط الذي القى على الاثينيين دروساً جيلة يلاغته وبقدونه جرع السم من ايديهم بحكم قانوني . وتلميذه المعلم افلاطون بيع بيع الرقيق بامر من الامير الذي كان يحميه . وفيثاغورس الذي كان قبلهم يطلق الانسانية حتى على الحيوانات احرقه الكرتونياتيون وهو في قيد الحياة . فمن ذلك يتضح لك ان بلوغ المجد العلمي والادبي يستوجب الفضيلة اولاً والاستعداد لتضحية النفس ثانياً . ولكن هل تظن ان الاغنياء والكبار يعبئون بالعلم والادب . كلا لا تنكر بذلك . فانهم لا يعبئون الا بالذهب . ولكن مع انهم لا يهتمون بذلك فان صناعة الادب صناعة مقدسة وهي جديرة بالمصدر السماوي الذي صدرت عنه . واعظم شرف للانسان على هذه الارض هو ان يكتب كتاباً لانه به ينير عقول الشعوب و يعزي الحزانى ويخفف احمال المتعبين . واي رجل لا يضرب صفحاً عن مصائب الحياة ولا يستخف متاعبها اذا كان يعلم ان كتابه سينتقل من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل كمصباح ينير الظلمات وحاجز يصدّ الضلال وانه من المكان الصغير الذي عاش فيه يخرج مجد باهرٌ يمحو مجد كثيرين من الملوك الذين تنفى آثارهم وتُنسى التماثيل التي اقاموا لهم المتزلفون اليهم مع ان آثار ذلك الكاتب لا تزول

فقال بولس — آه . انني لا اطلب هذا المجد الاّ لارجعه الى فرجيني واكسوها اياه . ولكن بما انك ترى انه لا سبيل الى الوظائف والشرف في العالم الا من طريق المال وان الناس لا يحترمون شيئاً غير الذهب فما قولك في ان اسافر الى بنغال للاتجار وجمع الثروة فيها . هاءنذا مسافر

فقال الشيخ — وهل تترك امك وام فرجيني وحدهما يا بني

فقال بولس — ولماذا شجعتني قبلاً على السفر الى هناك

فقال الشيخ — لما شجعتك على السفر كانت فرجيني هنا تقوم مقامك

فقال بولس — ان عمة فرجيني الغنية تساعد امها بمالها فيستغنون عني

فقال الشيخ — ان الاغنياء يا بني لا يساعدون احداً غير الذين يتزلفون اليهم وتكون مساعدتهم مما يكسبهم الشهرة بين الناس

فقال بولس — ما اشقى اوربا واتعسها . فما هذه الاخلاق والعادات ؟ ولماذا ذهبت فرجيني اليها . بالله اصدقني يا ابتاه هل انها تبقى ثابتة على حبي بعد اقامتها في بلاد كتلك البلاد

فقال الشيخ — لا ريب عندي يا بني انها تبقى ثابتة في حبك لانها فتاة فاضلة

فانطرح بولس حينئذ على عنقي وقبلني ثم قال

— هل تظن يا ابتِ (١) ان نساء اوربا محتالات كما ورد عنهن في الروايات

فقال الشيخ — يابني ان النساء يكنّ محتالات في كل مكان يكون فيه الرجال ظلمة عتاة لان الاحتيال والرياء ينشئان عن الضغط دائماً

فقال بولس — وكيف يكون الرجال ظالمين للنساء

فقال الشيخ — يكون ذلك بتزويجهنّ من غير استشارتهن . فيزوجون الفتاة مثلاً بشيخ والمرأة النبيهة الحساسة برجل خامل

فقال بولس — ولماذا لا يزوجون الفتى بالفتاة والكهل بمن تماثله من النساء

فقال الشيخ — ذلك لان الرجال لا يتزوجون الا متى جمعوا مالاً ولا يجمعون المال الا في سن الكهولة

فقال بولس — وما حاجة الناس في الزواج الى الثروة والمال

فقال الشيخ — ليقدروا على صرف ايامهم في السعة والبطالة

فقال بولس — ولماذا لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً . فانني انا اشتغل واعمل

فقال الشيخ — ذلك لانهم يحتقرون عمل اليد (٢) خصوصاً الفلاحة . ولذلك يحترمون الصانع اكثر من الزارع

فقال بولس — ماذا تقول ؟ وهل في الناس من يحتقر الفن الذي يغذي الناس ويطعمهم . لم افهم شيئاً من كلامك

فقال الشيخ — لا استغرب ان لا تفهم شيئاً من كلامي لان من ربي مثلك في الطبيعة لا يدرك مفاسد الاجتماع

فقال بولس — ومع ذلك فان الاغنياء (٣) يكونون سعداء لانهم يدركون كل ما يتمنونه ولا ينقصهم شيء

فقال الشيخ — اخطأت يا بني فان الانسان متى ألف الملاذ والمسرات لم تبقَ لها قيمة عنده . ولذلك ترى ان الاغنياء لا يجدون في ملاذهم من اللذة نصف ما يجده الفقير في

---

١) الرجال والنساء والزواج ٢) احتقار الزراعة ٣) الاغنياء والفقراء

ملاذه منها . وقد يشمون الف وردة ووردة دون ان يهتموا لها ولكن شوكة واحدة تبقي اثرًا بليغًا في نفوسهم . وبناء عليه فان حزن الغني في وسط مسراته وملاذه انما هو عبارة عن شوكة بين الازهار . وسرور الفقير في وسط احزانه عبارة عن زهرة بين الاشواك . ولذلك تؤثر اللذة في الفقير مهما كانت ضعيفة اشدّ من تاثيرها في الغني . وفضلاً عن هذا فايها اولى للانسان : ان يكون في خوف دائم مما يحدث دون ان يكون له امل في شيء مقبل . ام ان يكون لا يخاف شيئًا مما يحدث ولا يملك شيئًا غير الامل في المستقبل . فان الحالة الاولى حالة الغني والحالة الثانية حالة الفقير . ولكن كلتا الحالتين في رأيي طرفان . وما السعادة الا وسط بينهما وهي السعة القليلة والفضيلة

فقال بولس — ماذا تريد بالفضيلة وما تعريفها عندك (١)

فقال الشيخ — لستَ في حاجة الى تعريف الفضيلة يابني لانك تمارسها في كل يوم وذلك بانك تساعد اهلك بعملك . ومع ذلك فانا أعرّفها لك : ان الفضيلة هي مغالبة الانسان نفسه لاجبارها على صنع الخير للغير من اجل الله وحده لا من اجل مكافأة من الناس

فصاح بولس — اذًا ما اعظم فضيلة فرجيني . فانها لم تسافر من هذه الجزيرة الا من اجل الفضيلة فلا ريب ان الفضيلة ستعيدها اليها

وعلى ذلك فقد كان افتكاره في عودتها يثير تصوراته واحلامه دائمًا وكان شاغلاً لباله في الليل والنهار . وكان احيانًا يعاوده الامل فيقول ان السبب في انقطاع اخبارها عن اهلها هو انها ركبت احدى السفن عائدة الينا . وحينئذ كان يفرح فرحًا شديدًا ويمني نفسه بالاقتران بها قريبًا . واحيانًا كان اليأس يتغلب على نفسه فياتيني ذليلاً صاغرًا ويقول : ان فرجيني قد نسيتني لان عمتها ازوجتها باحد اكابر البلاط فاضاعها حبها للثروة والجاه ودلت بذلك على انها بلا فضيلة . اذ لو كانت ذات فضيلة لما تركت امها وتركتني . ومع ذلك فالفضيلة في هذه الحياة لا تصلح الا لانشاء الروايات . فماذا اصنع انا . انني سئمت كل شيء ولم يعد لي جلد على العمل ولا صبر على المعاشرة والكلام . آه ليت الحرب تدور رحاها في الهند لاذهب واموت فيها

فكنت اقول له : تأنَّ يابني . فان الشجاعة التي تسهل لنا اقتحام الموت انما هي شجاعة

(١) تعريف الفضيلة تعريفًا بسيطًا جيلاً

ساعة ثم تزول. وربما كان سببها التماس استحسان الناس واعجابهم(١) وانما الشجاعة الحقيقية هي تلك التي تجعلنا نحتمل متاعب الحياة اليومية من غير ان يكون هنالك احد يشهدها او مثن يثني عليها . فاحتمل متاعبك بجلد وصبر اذا كنت تحب ان تكون شجاعاً حقيقياً. فان الصبر والجلد هما شجاعة الفضيلة

فقال بولس — اذا كان هذا هكذا فلست اذاً بذي فضيلة. آه انني خسرت كل شيء في هذه الحياة

فقلت له : لا تياس سريعاً فان الفضيلة ليست من ملازمات الانسان لان اختلاف العواطف والاهواء في العالم واحتكاكها يلقي الانسان في اضطراب دائم و يسدل على عقله حجباً من الظلام . ولذلك يجب عليه ان يستنير دائماً من المنائر التي يبدد نورها هذا الظلام . واريدبها منائر الآداب اي كتب الادب (١)

« فالاداب يا بني عون الهي وهي اشعة من الحكمة الرائعة التي تحكم العالم. والانسان لم يتعلم استنزالها الى الارض الا بوحي او شبه وحي سماوي . وهي شبيهة باشعة الشمس من حيث انها تنير وتسر وتبث الحرارة في النفس . وحرارتها حرارة الهبة . ومن خواصها انها تسكن الشهوات وتكبح جماح الرذائل وتهيء النفس لقبول الفضيلة بما تبسطه امامها من امثلة افاضل الناس الذين تذكر حوادثهم . فكانها طائفة من بنات السماء ينزلن الى الارض ليطردن هموم الجنس البشري و يسلينه في متاعبه . واذا نظرت الى اعاظم الكتاب الذين نبغوا في العالم وجدت انهم لم ينبغوا الا حين الحاجة اليهم والى مبادئهم وان الزمن الذي نبغوا فيه كان اشد الازمان على مواطنيهم . فكانهم يرسلون خاصة لانارة بني جنسهم وتبديد همومهم . فاقراء يا بني . اقراء وطالع فان الحكماء الذين كتبوا الكتب قبلنا انما هم مسافرون تقدمونا في طريق المصائب وهم يمدون بكتبهم ايديهم الينا لمساعدتنا في طريقنا حين يكون جميع الناس قد تركونا وتخلوا عنا

فقال بولس — لست في حاجة الى المطالعة اذا كانت فرجيني بجانبي فان رؤيتها تطرد كل هم وكل غم عني

فاجبته : اصبت في هذا فان الانسان لا يرتاح الى احد ارتياحه الى حبيبة تحبه . لان في المراة روحاً خفيفاً يطرد هم الانسان وغمه وفي وجهها معان لطيفة تزيل

(١) الشجاعة الحقيقية ٢) منائر الادب وظهور نوابغ الكتاب

من جبينه كل تجعد وتامل وفي جبينها من لوائح الثقة والاستسلام ما يدعو الى كل ثقة واستسلام(١)واية جبهة تبقى متجعدة لدى ابتسامها؟واي غضب يثبت لدى دموعها؟ ولكن فرجيني ستعود قريباً وهي ارق مما كانت يوم سفرها . فماذا تقول لها اذا شاهدت الحديقة مهملة . فشمر عن ساعديك واصرف اوقاتك في اصلاحها

١٨

العودة

فبناءً على هذا القول عاود الامل بولس فصار يصلح الحديقة استعداداً لعودة فرجيني . وفي ذات يوم (وذلك في ٢٤ دسمبر سنة ١٧٤٤) نهض بولس من فراشه صباحاً فابصر على جبل « الاكتشاف » علماً منصوباً وهي علامة قدوم احدى السفن . فاسرع كالبرق الخاطف الى الميناء ليسال عن كتاب من فرجيني . ولما وصل الى الميناء وجد ان دليل تلك السفينة قد نزل في زورق الى البر وابلغ اولي الشان انها قادمة من فرنسا واسمها



بولس عائد بالكتاب

« سان جيران » ومحمولها ٧٠٠ طن واسم ربانها المسيو او بين . وانها واقفة على خمسة فراسخ من الشاطئ ولا ترسو في الميناء الا في ظهر اليوم التالي اذا وافقها الريح . ثم ان الدليل دفع الى الحاكم رزمة المراسلات التي جاءت بها السفينة من فرنسا . وكان في جملة هذه الرسائل

١) قال سنت بوف ان برناردين شرّف المرأة ونفى عنها كثيراً من التهم بهذا التعريف البسيط الجميل لان غيره يعرفها بانها مخلوق طائش خفيف العقل

رسالة باسم « مدام دي لاتور » . فلما وقع عليها نظر بولس عرف خط فرجيني من عنوانها. فطار قلبه فرحاً . فتناول الرسالة بسرعة البرق وقبّلها وضمها الى صدره ثم انطلق كالريح عائداً الى المنزل . وكانت العائلة تنتظره حينئذ على صخرة « الوداع » فلما صار بولس على مقربة منهـا رفع الكتاب بيده ليريها اياه واشتد عدوه ليصل اليهـا . ولما وصل اخذتُ الكتاب بسرور شديد واجتمعت في كوخ مدام دي لاتور. ثم فضضت ختامه وقرأته فوجدته مؤرخاً من سفينة سان جيران نفسها . ذلك ان فرجيني كانت قد حضرت في تلك السفينة. وقد قالت في هذا الكتاب ان عمتها اقترحت عليها الاقتران بسيد من اكابر البلاط فرفضت فقالت لها انها فتاة افسدت مطالعة الروايات عقلها ثم طردتها من قصرها ولم تمهلها ان ينقضي فصل الزوابع والعواصف بل اضطرتها الى السفر في الحال . الا ان ربان السفينة لم يتركها تنزل في زورق الدليل حين وصولهم الى الجزيرة خوفاً عليها من الامواج ولذلك بقيت في السفينة الى اليوم التالي

فلما قرأت العائلتان هذا الكتاب فرحوا فرحاً ما عليه من مزيد واخذوا يتعانقون ويهنئون بعضهم بعضاً . ولم يعد يُسمع في الكوخين الا صراخ الجميع « عادت فرجيني . عادت فرجيني » اما بولس فانه كان في هذيان شديد من الفرح . ثم انه اضرم مشعلاً واصطحب دومنيك وسار معه يقصد كوخي لاطلاعي على ذلك الخبر العظيم

وكانت الساعة نحو العاشرة مساء في ذلك الحين . وكنتُ قد دخلت الى كوخي ابغي الرقاد . فلما رايت النور من خلال اشجار الحرش وسمعت بولس يناديني من بعيد نهضت ولبست ملابسي. ولما وصل بولس الى الكوخ انطرح بين ذراعي قائلاً « لقد عادت فرجيني . فلنذهب الى الميناء لاستقبالها . لان السفينة ترسو فيها عند طلوع الفجر »

فسرتُ معه تحت جنح الظلام نقصد الميناء ونحن في غبطة وسرور . الا اننا لم نسر قليلاً حتى سمعنا وقع اقدام وراءنا فالتفتنا فابصرنا عبداً ضخم الجثة فسالناه الى اين يسير فقال « انني مرسل من جزيرة « تراب الذهب » لابلغ الحاكم ان وراء جزيرة العنبر سفينة راسية وهي تطلق المدافع التماساً للمدد والاعانة لان البحر في هياج شديد »

فقلت لبولس حينئذ هلمَّ بنا الى جزيرة تراب الذهب فان تلك السفينة سفينة فرجيني. غير انني قلقت لهذا الخبر قلقاً شديداً . وكان القمر قد طلع من وراء الافق وحوله ثلاث دوائر سوداء . اما الريح فانها كانت هادئة ومع ذلك فان الغيوم كانت ترد من جهة البحر الى جهة البر بسرعة غريبة وتتكاثف فوق الجزيرة . وبينما كنا سائرين خيل لنا اننا نسمع

صوت الصاعقة ولكننا ما لبثنا ان تحققنا ان ذلك الصوت صوت مدافع السفينة التي كانت في البحر . فارتعدت فرائصي لهذا الصوت المنذر بالخطر بازاء ما كان في السماء من علائم الزوبعة . وبعد نصف ساعة لم نعد نسمع لتلك المدافع صوتاً بل ساد سكوت عميق . غير ان هذا السكوت كان اشد هولاً وادعى الى الخوف من اصوات المدافع التي كانت دليل الاستغاثة

ولما وصلنا الى البحر وجدناه في هياج شديد . وكان الناس مجتمعين على الشاطئ، يتحدثون في امر السفينة . فنهم من كان يقول ان التيار ساقها الى البر بالرغم عنها فصارت في خطر شديد . ومنهم من زعم انها دخلت في خليج بين البر وجزيرة العنبر الصغيرة لانها ظنته الخليج الذي تمرّ به السفن القادمة الى الجزيرة . ولذلك لم يبق امل في انقاذها . ومنهم من كان يضحك من هذه الاشاعات ويقول ان السفينة في امن وسلامة في عرض البحر وانه يراهن على جميع ماله مَنْ شاء مراهنته بهذا الشان ويبيت مستريح البال

اما انا وبولس فقد لزمنا الصمت واقتصرنا على الاصغاء . وكان البحر امامنا مغطى بضباب كثيف لا تنفذه الابصار ولذلك لم نرَ شيئاً سوى خيال بعيد علمنا انه جزيرة العنبر المشار اليها . وفي الساعة السابعة صباحاً سمعنا اصوات الطبول . وكان السبب في ذلك قدوم الحاكم مع شرذمة من الجند والسكان . ولما قدم الحاكم اقام الجند على الشاطئ، وامرهم ان يطلقوا بنادقهم طلقة واحدة . فاطاعه الجنود . ولكن بنادقهم لم تنطلق حتى جاوبها صوت مدفع من البحر . فتاملنا حينئذ فراينا خلال الضباب سواري السفينة وكانت قريبة منا حتى اننا كنا نسمع صفير المامور الذي كان يدير حركاتها . ومنذ هذه الساعة صارت السفينة تطلق المدافع بلا انقطاع . فامر الحاكم باضرام نار قوية ليراها رجال السفينة . فاضرم السكان النار . غير ان احدهم دنا منه وقال له : مولاي لقد سمعنا في الجبال في هذه الليلة اصواتاً غريبة . وصارت الاوراق في الاحراش تتحرك مع ان الريح ساكنة . وطيور البحر صارت تفد على الجزيرة وتلجاء اليها . فلا ريب ان الزوبعة قريبة

وفي الحقيقة ان الزوبعة كانت قريبة . فانه لم تاتِ الساعة التاسعة صباحاً حتى سُمعت من جهة البحر اصوات هائلة كاصوات امواج نهر عظيم تنصبُّ من جبال شاهقة . فصاح جميع الحاضرين « اليكم الزوبعة . اليكم الزوبعة » . وفي الوقت ذاته كنست ريح عاتية الضباب الذي كان بين الجزيرة وجزيرة العنبر . فانجلت حينئذ سفينة « سان جيران » للابصار وعليها المسافرون يتضرّعون ظهرها . وكانت راسية بين البر وجزيرة العنبر في

خليج لم تدخل اليه سفينة قبلها وهي واقفة على خمس مراس اربع في مقدمها وواحدة في مؤخرها . وكان مقدمها موجهاً الى الامواج في عرض البحر فكانت كلما صدمتها الامواج ارتفعت السفينة حتى يظهر اسفلها ثم تنحدر بعد مرور الموج فيلتقي جسمها عنيفة في انحدارها . وهكذا كانت الريح والامواج تدفعها الى الشاطئ بالرغم عنها . وكان الجميع يخشون من امر واحد وهو انقطاع المراسي التي في المقدم . فلم يلبث هذا الخوف ان تحقق لشدة البحر وقوة الريح . ولما انقطعت تلك المراسي ولم تبقَ السفينة مرتبطة بغير المرساة التي في مؤخرها دفعها الموج دفعاً شديداً الى الصخور . فصرخ جميع الحاضرين حينئذ صرخة واحدة . اما بولس فانه همَّ بان يلقي نفسه في البحر . فامسكته وقلت له : صبرًا يا بنيَّ والا لقيت الهلاك . فاجابني اريد ان اموت او ان اذهب لاعانتها . وكان قد عاوده الغضب واليأس . فربطته انا ودومنيك بحبل من وسطه وابقينا طرف الحبل بايدينا ثم اذنت له بالنزول الى البحر . فخاض بولس البحر وهو تارة يسبح وتارة يمشي على الصخور حتى كاد يقرب من السفينة . ذلك لان الامواج كانت تصدم السفينة على الشاطئ ثم تجزر عنها فيظهر القعر من تحتها فتبقى السفينة كأنها تقريباً على يابسة لا على ماء . غير ان الامواج كانت تعود اليها بنشاط اشد وقوة أعظم فتدفع المسكين بولس عن السفينة مسافة بعيدة . فاصيب بولس بجروح عديدة في فخذيه ويديه من جراء السقوط على الصخور والتدحرج بين الامواج . وكاد احياناً يغمى عليه من التعب والالم . الا انه لم يكن يسترد قواه حتى ينهض ويحاول الوصول ثانية الى السفينة

ولما قذفت الامواج السفينة على الشاطئ قطع البحارة والربان الامل في انقاذها . ولذلك صار المسافرون يلقون بانفسهم الى البحر ليخلصوا سباحةً الى البرّ . واخذ البحارة يلقون في البحر البراميل والموائد والواح الخشب واقفاص الدجاج ليسبح المسافرون عليها و يستعينوا بها . فلم تمضِ على ذلك برهة حتى فرغ ظهر السفينة وخلا من المسافرين . وحينئذ بدا فيه منظر يستدرّ الدموع . فانه ظهر في رواق السفينة فتاة كأنها ملاك سماوي وهي تمدّ يديها الى البحر نحو الفتى بولس الذي كان يحاول الوصول اليها . وكانت هذه الفتاة فرجيني نفسها . فانقبضت صدور الجمع الواقف على الشاطئ لهذا المنظر وارتعدت فرائصهم من خوفهم على تلك الفتاة . اما فرجيني فانها كانت تسلّم علينا بيديها فكانها كانت تودعنا الوداع الابدي . وكان جميع البحارة قد القوا بانفسهم الى البحر ولم يبقَ في السفينة غير بحار واحد . وكان هذا البحار عارياً من لباسه وهو ضخم الجثة طويل القامة كانه هرقل .

فدنا من فرجيني باحترام وجثا على ركبتيه امامها وسالها ان تخلع ملابسها ليوصلها سباحة الى البرّ . اما فرجيني فانها حوّلت نظرها بعظمة ورقة عن جسمه العاري وابعدته عنها . فبالحياء العذارى وطهارة عواطفهن . لقد ابت خلع ملابسها امام رجل حفظاً للطهارة وان كان في ذلك حتفها . وحينئذ اخذ الجمع الواقف على الشاطئ يصيح من كل جانب « خلصها خلصها » . فرام البحار ان يعود اليها ولكنه نظر في تلك الساعة منظرًا هائلاً

ذلك ان موجة هائلة كانها طود شامخ دخلت في هذا الحين في الخليج بين البرّ وجزيرة العنبر واتجهت نحو السفينة بهياج شديد تتهددها بقلبها رأساً على عقب وتكسيرها تكسيرًا . فلما رأى البحار هذا الخطر الهائل القى نفسه وحده في البحر ونجا بنفسه . اما فرجيني فانها ايقنت حينئذ بدنو الاجل . فوضعت احدى يديها على ملابسها والاخرى على قلبها ثم رفعت عينيها الى السماء بهدوء وثبات جاش ولبثت تنتظر وصول الموجة . فاشبهت بذلك ملاكاً يطير من هذا العالم الى العالم الثاني



فاشبهت بذلك ملاكاً يطير من هذا العالم الى العالم الثاني

فيا لك من يوم هائل حدث فيه حادث هائل . والوعتاه . ان البحر ابتلع كل شيء وبعد مرور الموجة . ولم يعد يظهر اثر لفرجيني ولا للسفينة . اما الواقفون على الشاطئ فانهم اندفعوا الى البحر بالرغم عنهم كانهم راموا انقاذ الفتاة المسكينة . فدفعتهم بقايا الموجة عن الشاطئ مسافة بعيدة . واما البحار فانه خرج وهو يقول « وددت لو بذلت حياتي في سبيل انقاذ تلك الفتاة التي ابت النجاة فرارًا من خلع ملابسها » اما انا ودومنيك فاننا انتشلنا بولس المسكين

من البحر وهو مغمى عليه والدم يجري من فمه واذنيه · فارسله الحاكم الى بعض الجراحين لمداواته · ثم رحنا نجول على الشاطىء لعل الامواج تدفع اليه جثة فرجيني · وكنا في حالة من الحزن يكل القلم عن وصفها · وصار اكثرنا يرتاب في وجود العناية الالهية بعد ما اصاب تلك الفتاة الصالحة · ذلك لان في مصائب الحياة مصائب تقع على غير مستحقيها فيزعزع وقوعها ثقة الحكيم مهما كانت ثقته عظيمة

ولما لم نجد جثة فرجيني على الشاطىء عدت مع دومنيك الى المنزل لاهيء ام فرجيني لاستماع هذا الخبر · اما بولس فانه اخذ ينتبه من اغمائه فوضعه الاطباء في غرفة قريبة من الشاطىء · وحين وصولنا الى وادٍ هناك اخبرنا بعض العبيد ان البحر يقذف الى الشاطىء شيئاً كثيراً من آثار السفينة في ميناء قريب · فهرعنا الى هذا الميناء فوجدنا فيه جثة فتاة مدفون نصفها في الرمل · فتاملنا الجثة فوجدناها جثة فرجيني نفسها · فيا لذلك المنظر اللطيف والمريع معاً · فان عينيها كانتا مطبقتين كانها نائمة وملامح وجهها لم تتغير قط ·



نائمة نوماً ابدياً

وملائل الهدوء والارتياح الباطني كانت مرسومة على جبينها · وانما كان على وجهها صفرة الموت تمازج حمرة الحياء · وكانت احدى يديها مضغوطة على ثيابها والاخرى على قلبها · فرفعتُ هذه اليد لانها كانت شديدة اليبس والضغط فوجدت تحتها صورة القديس بولس · فبكيت حينئذ بما في عينيَّ من الدموع لثبات حب هذه الفتاة لانني تذكرت انها وعدت بولس بانها تحفظ هذه الصورة الى آخر نسمة من حياتها · اما دومنيك فان عويله بلغ العنان · وكان يلطم نفسه ويبكي بكاءً مرّاً · ثم اننا نقلنا هذه الجثة الى احد اكواخ الصيادين وعهدنا بغسلها الى بعض النساء الوطنيات

وبينما كان النساء مشتغلات بذلك صعدتُ الى الكوخين لمقابلة ام بولس وام فرجيني ·

فلما رأتني هذه وحدي صاحت بخوف « اين ابنتي اين ابنتي » فبكيت وسكت لانني لم اجد جواباً . فلما رأت دموعي تحققت وقوع المصيبة فصاحت صيحة اليمة وسقطت مغمي عليها . وكانت تلك الليلة في الكوخين ليلة هائلة

اما بولس فقد جاء به في صباح اليوم التالي بعض الرجال يحملونه على محمل . وكانت حواسه قد عادت اليه الا انه لم يكن يقدر على النطق . فلما قابل ام فرجيني وامه اغرق الجميع في البكاء . ولكن محنة هاتين الامين التعيستين استنارت برهة عند رؤية بولس كانهما تذكرتا انهما لم يفقدا الا نصف آمالها وقد بقي لها النصف الآخر . وفي خلال هذا الوقت كان الحاكم يحتفل بجنازة فرجيني المسكينة . وقد كتم ذلك عن اهلها وعن بولس . اما هذا الاحتفال فلم يسبق له مثيل في الجزيرة . فان جميع السكان قاموا قومة واحدة لاكرام الفضيلة في جثة هذه الابنة التعيسة . فسار الجند امام نعشها منكسي السلاح ومشت امامها بنات الجزيرة بملابس بيضاء وسار الشعب وراءها وفي جملتهم فقراء الجزيرة وضعفاؤها يندبون ملاذ الضعف والفقر ويبكون بكاءً شديداً

وبعد حفلة الجنازة صعد الحاكم الى الكوخين ليعزي الامين . ولما شاهد بولس في حالة الذهول والضعف قال له « انني راغب في خيرك وخير عائلتك . فسافر يا بني الى فرنسا وانا اوصي بك خيراً » ثم مدّ يده اليه . فجذب بولس يده من يده وصرف وجهه عنه دون ان ينطق بكلمة

١٩

بعد الزوبعة

وبعد ثلاثة أسابيع صار بولس قادراً على المشي . الا انه لم يكن يهتم لشيء مما حوله ولم يكن يعباء بحنو ام فرجيني وامه ولا يجاوب عن الاسئلة التي كانوا يلقونها عليه . وكان الحزن قد اضعف مدام دي لاتور حتى الموت . ففي ذات يوم قالت له « كلما نظرتك يا بني خيل لي انني ارى فرجيني » فلما وقع اسم فرجيني في اذن بولس اجفل وفرّ بعيداً من مدام دي لاتور . ثم ذهب الى النبع وجلس تحت نرجيلة فرجيني شارد الفكر مبهوتاً . وقد اوصانا الطبيب بان لا نعارضه في شيء ولا نمنعه من شيء بل ان نجاريه في كل ما يرومه طرداً لهذا الذهول . فاطعنا الطبيب ولذلك لزمتُ بولس فكنت اتبع له من ظله . وفي ذات يوم رايته خرج من الحديقة فتبعته من بعيد . فظل سائراً حتى انتهى الى الكنيسة

ولما وصل اليها ذهب الى ظل شجرة كان التراب تحتها رطباً لانه كان محفوراً منذ بضعة ايام . ثم جثا هنالك يصلي . فاقشعر جلدي حينما رايته يصلي في ذلك المكان لان فرجيني دفنت فيه تحت تلك الشجرة . و بعد حين غادر المكان واوغل في الجبل . فسالته « لماذا صليتَ يابولس تحت هذه الشجرة » فاجاب « كنت استظل بها معها كثيراً »

وما زال متوغلاً في الحرش حتى اشرف على الميناء . فحينئذ اسرع في السير ونزل الى الشاطئ . ولما وقع نظره على جزيرة العنبر ورأى هدوء البحر حولها صرخ بغتة « فرجيني ياعزيزتي فرجيني » ثم انطرح على الارض يبكي بكاء مرّاً

وقد اقام اياماً عديدة على هذه المعيشة وهو يتنقل من مكان الى مكان دون ان يستقر في مكان . فضعف جسمه واصفرّ لونه وغارت عيناه حتى صار في حال يُرثى لها . فخطر لي ان ابعده عن تلك الاماكن التي كانت تذكره اخته التعيسة لعله يجد شيئاً من السلوى . فكنت اوغل معه في الاحراش والجبال ثم اساله الى اين نذهب الآن . فكان يجيبني : هذه جبالنا فلنعد اليها

فلما اعيتني الحيل من هذا الوجه رأيت محاربة حزنه من وجه آخر . فدفعت اليه في ذات يوم صورة القديس بولس التي وجدتها في قبضة فرجيني يوم غرقها . فلما رآها بدا في عينيه سرور غريب ثم تناول الصورة وضمها الى صدره وصار يقبلها و يبكي . فابتدأتُ حينئذ اعزّيه بالكلام التالي

« نعم يابني هذه هي الصورة التي وجدناها في قبضة فرجيني يوم غرقها . وذلك يدلك على انها حفظت حبك وافتكرت بك الى آخر نسمة من حياتها . ولكن قل لي يا بني ماذا تبكي الآن . وهل تبكي نفسك ام تبكيها

« فان كنت تبكي نفسك فانا لا اجهل ان مصيبتك عظيمة لانك خسرت الابنة التي هي اكثر البنات لطفاً وصلاحاً ولو بقيتْ في قيد الحياة لكانت اكثر الزوجات اخلاصاً . ولكن من ادراك ان هذه الفتاة التي كنتَ تنتظر سعادتك منها لا تكون سبباً في تعاستك وتعاستها معاً لو بقيتْ في قيد الحياة . فانك فتى فقير وهي فقيرة وامك وامها دخلتا في سن العجز فلو اقترنتَ بها ورزقتما البنين لعشتم جميعاً في الفقر والتعب والتعاسة . فاقبل يا بني ما يُرسله الله ولا تعارض في احكام الله

« وان كنتَ تبكيها لانها لا تستحق المصيبة التي وقعتْ فيها فاعلم يا بني انها خضعت للناموس الذي يشمل جميع الكائنات في هذا العالم حتى الممالك والدول . فان حياة الانسان انما

هي عبارة عن منزل يُبنى شيئاً فشيئاً والموت سقفه و به تمامه وكماله . وكل حي يولد للموت . وقد كانت فرجيني سعيدة لانها ماتت قبلك وقبل امها واهلها . اي انها ماتت دون ان تموت عدة مرات قبل المرة الاخيرة

« ثم فاعلم يا بني ان الموت خير وراحة لجميع الناس . ذلك لانه ليل هذا النهار المملوء بالمتاعب والاحزان والذي يسمونه حياة . فالموت تستريح نفس الانسان وتسكن كل الآلام والامراض والاحزان والمخاوف التي تعذب هؤلاء الاحياء المساكين بلاانقطاع . سلْ عن الناس الذين تراهم في نجاح وسعادة في هذه الدنيا فانك تجدهم ابتاعوا سعادتهم المزعومة بثمن غالٍ جداً ؛ فانهم لم يحصّلوا الوجاهة في الدولة الا ببذل شيء من الشرف العائلي ولم يحصّلوا المال الا بخسارة صحتهم او دوس ضميرهم واذية بني جنسهم ولم يكونوا محبوبين الى الناس الا بانكارهم ذواتهم وتضحية كثير من مصالحهم . وفي الغالب بعد حياةٍ صُرفت في خدمة الغير واسترضاء الناس وانكار الذات لا يجد الانسان حوله في آخر العمر الا اصدقاء كاذبين واهلاً ناكرين للجميل . واما فرجيني فانها لم تعرف هذه المفاسد الاجتماعية لانها كانت سعيدة من اول حياتها الى آخرها . وقد كملت سعادتها بالشجاعة التي اظهرتها في ساعة الموت وهي النعمة التي يهبها الله للفضلاء جائزة للفضيلة

« ومع ذلك فان فرجيني لا تزال حيّةً يا بني . انظر الى العالم تجد ان كل شيء فيه يتغير ولا يفنى . وليس في الارض كلها قوة قادرة على ملاشاة ذرة من ذرات المادة بل هي تغيرها تغييراً فقط من صورة الى صورة اخرى . فكيف ان المادة الحقيرة لا تتلاشى ابداً . والروح التي كانت مصدراً للحب والفضيلة والتقوى والحس اللطيف يكون نصيبها التلاشي والفناء ؟ فثق اذاً ان فرجيني حية في العالم الثاني وانها فيه اسعد مما كانت في هذا العالم . ذلك ان الله موجود يا بنيّ وكل شيء في الطبيعة يدلُّ عليه ويشير اليه . ولست في حاجة لان اقيم لك دليلاً على وجوده اذ لا ينكره احد غير الاردياء الذين يخافون عدله . فهل تظن ان هذا الاله القادر يترك فرجيني الفاضلة بلا جزاء حسن . كلا ولو كنتَ الآن قادراً على سماع صوت فرجيني من مكانها الابدي لسمعتها تقول : « يا اخي بولس . ليست الحياة سوى تجربة . وقد جُربتُ فعملتُ بناموس الطبيعة والفضيلة والحب . ولذلك جزتُ البحار طاعةً لاهلي ثم عدلتُ عن طلب الثروة حفظاً لفضيلة نفسي . وقد فضلتُ الموت غرقاً على خرق حرمة الحياء بخلع ملابسي . فحينئذ راى الله ان حياتي صارت كافية كاملة فاخذني اليه . وبذلك صرتُ في مأمن من الفقر والنميمة والزوابع ومنظر شقاء الغير .

ولم يعد يصل اليَّ شيءٌ من المصائب التي تعذب الناس . فكيف يجوز لك البكاء عليَّ بعد هذا النعيم الذي صرتُ اليه . لقد اصبحتُ نقيةً صافية كذرةٍ من النور في الفضاء . فعلامَ تدعوني للهبوط الى ظلام الحياة . يا اخي بولس . ان ما ذقته معك من السعادة والهناء في الارض ليس الا جزءًا من السعادة والهناء اللذين يذوقها القادمون الى هذا المكان . فانني هنا قريبة من مصدر تلك السعادة ونبعها الاعلى . وانا اذوقهـا بحواسٍ كاملة لا بحواس ناقصة كما كنتُ في الارض . فسكن حزنك يابولس . يازوجي الصغير . يا من ساذوق معه هنا السعادة كاملة . وارفعْ نفسك عن الارض لتحتمل متاعب الحياة الوقتية »

وكان الانفعال لهذا الكلام قد بلغ مني مبلغه فسكتُّ حينئذ دامي القلب . اما بولس فانه حدَّق فيَّ وقال : « لقد ذهبتْ لقد ذهبتْ » ثم اصيبَ بضعف شديد . ولما عادت اليه قوته قال : « بما ان الموت راحة كما تقول وفرجيني سعيدة في العالم الثاني فانا اريد ان اموت لاتبعها وانضم اليها » وهكذا اثر كلامي فيه تاثيرًا منافضًا للتاثير الذي تعمدته . ذلك لان مصائب الصبي تقوي الانسان في بدء عمره وتجعله قادرًا على احتمالـــ مصائب الحياة و بولس لم يكن قد اصيب بمصيبة في صباه

٢٠

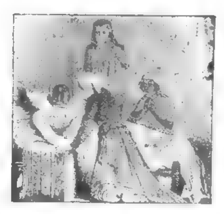
الخاتمة

فعدتُ حينئذ ببولس الى المنزل . ولما وصلتُ اليه وجدتُ مدام دي لا تور في ضعف مستمر . واما رفيقتها مرغريت فانها كانت اشدَّ ضعفًا منها . ذلك لان النفوس الشديد المتحمسة يصيبها الوهن والخوار بازاء المصائب الكبيرة ولئن كانت المصائب الصغيرة لا تؤثر فيها

وحين وصولي الى المنزل اخبرتني مرغريت بانها رات في ليلها حلمًا غريبًا . قالت : انني رايت فرجيني مرتدية باثواب بيضاء وهي تتنزه في حدائق غناء . وبعد برهة دنت من بولس ضاحكة وجذبته اليها . فلما رايت ذلك هممت بان امسك بولس فشعرت بانني اسير معه ايضًا . فالتفتُ لاودع صديقتي مدام دي لا تور فرايتها تتبعنا مع الخادم دومنيك والخادمة ماري . فما قولك في هذا الحلم

وما زاد استغرابي ان مدام دي لا تور قد رات في تلك الليلة نفسها حلمًا شبيهًا بهذا

الحلم ايضاً · فقلت لهاتين السيدتين : كثيراً ما صدقت الاحلام وكانت انذاراً للناس· ولا غرابة في ذلك فانه اذا كان الانسان الضعيف قد استطاع ايصال ارادته من اقصى الارض الى اقصاها بوسائط سرية لا يطلع احد عليها فهل يستغرب ان العناية التي تحكم العالم توصل الى البشر ارادتها بوسائط سرية ايضاً (١) ولماذا لا يكون الحلم احدى هذه الوسائط · بل لماذا نشك في صحة الاحلام أليست الحياة وملاذها الزائلة ومشروعاتها الفانية من قبيل الاحلام ايضاً



النوم الابدي

ومها يكن من الامر فقد صدق وا اسفاه حلم هاتين الصديقتين· فان بولس توفي من الم والحزن بعد انقضاء شهرين على غرق عزيزته فرجيني · وامه ماتت بعده بثمانية ايام · ثم تبعتها مدام دي لا تور والخادمان · وهكذا انقرضت هذه العائلة الفاضلة التي عاشت في الفضيلة والصلاح وماتت في الحزن والهم · كأن الفضيلة والصلاح لا جزاء لها في هذا العالم

اما عمة فرجيني الغنية في اوربا فانها لقيت عقابها · فانها اصيبت في آخر عمرها بالجنون فسجنت في مستشفى المجاذيب · وكانت تقول لكل صادر ووارد : ان مبادىء الرحمة والشفقة والانسانية والفضيلة والدين انما هي مبادىء وهمية يسنها الملوك ورؤساء

(١) يتكلم المؤلف هنا عن ارسال الرسائل من جانب في الارض الى جانب آخر فماذا كان يقول لو عاش في هذا الزمان ورأى التلفون والتلغراف بسلك و بلا سلك

الاديان للشعوب كبحاً لجماحهم واخضاعاً لهم

ولقد دُفن بولس في قبر عزيزته فرجيني جنباً الى جنب تحت الشجرة التي كانا يجلسان في ظلها . ودُفن حولها اماها المسكينتان وخادماها الامينان . ولم يقيموا فوق قبورهم آثاراً رخامية ولا نقشوا فوقها كتابات تدلُّ على فضائلهم ومع ذلك فان ذكرهم بقي خالداً في نفوس الذين احسنوا اليهم . ذلك لان ارواحهم لا تحتاج الى الابهة والفخفخة التي كانوا يجتنبونها في حياتهم . ولكن اذا كانت ارواحهم لا تزال تهتم بما يحدث في هذا العالم فانها يلذ لها ولا شك ان تطوف الاكواخ التي تسكنها الفضيلة النشيطة لتعزي فيها الفقير الذي يشق عليه فقره وتبث في نفوس الفتيان والفتيات المتحابين حرارة الحب الطاهر والميل الى الخيرات الطبيعية وحب الجدّ والعمل والفرار من الغنى والثروة

فيا ايها الفتى والفتاة اللذان اتحدا في موتهما كما كانا متحدين في حياتهما . يا ايتها الامان التعيستان والعائلة العزيزة . تبكيكم هذه الاشجار التي غرستموها وكانت تظللكم . تبكيكم هذه الينابيع التي كانت تجري من اجلكم . تبكيكم هذه الآكام التي كانت مقيلاً لكم

اما هذه الارض التي كنتم تزرعونها فلم يجترىء احد على زراعتها بعدكم . وهذه الاكواخ التي كنتم تسكنونها لم يرممها احد بعد وفاتكم . اما شياتكم فقد صارت وحشية . وطيوركم تفرقت فراراً من هذه الوحشة . واشجاركم المثمرة يبست ودب الفناء اليها . ولم يعد يُسمع في هذه الاماكن الا اصوات العقبان التي تحوم حول الكوخين

اما انا صديقكم فانني اصبحت بعدكم كصديق لم يبقَ له صديق . وكاب فقد جميع ابنائه . وكمسافر يتيه من مكان الى مكان في هذه الارض التي بقيتُ فيها وحدي »

ولما اتى الشيخ على هذه الكلمات نهض وسار في سبيله يذرف الدموع من الم التذكار . ولقد جرت دموعي غير مرة مثله في اثناء هذه القصة المحزنة



تمت

الجامعة

﴿ الجزء ١٠ و١١ و١٢ ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٢ — رمضان سنة ١٣٢٠ ﴾

خاتمة السنة الثالثة

انتهت في هذا الجزء السنة الثالثة للجامعة

﴿ الاجزاء الاخيرة ﴾ فقد كان باقياً منها الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر اي (٢٤٠) صفحة فضممناها كلها في جزء واحد ولذلك صدر هذا الجزء في ٢٨٣ صفحة منها ٢٣٥ صفحة كتاب « ابن رشد وفلسفته » وهو الحلقة الثانية من مشروع الجامعة والباقي للمجلة . فيكون في هذه الاجزاء الثلاثة زيادة ٤٣ صفحة . واذا اضيفت هذه الزيادة الى الزيادات التي كانت تصدر في الاجزاء السابقة وهي تبلغ ١٠٨ صفحات كان مبلغ زيادة صفحات الجامعة في هذا العام عن حجمها الاعتيادي ١٥١ صفحة اي انه يكون معدل كلّ جزء منها نحو مائة صفحة في كل شهر . وهذه الزيادات كلها كانت غرامة لها على تأخير صدورها .

﴿ سبب ضمّ الاجزاء الثلاثة ﴾ اما ضمّ الاجزاء الثلاثة الى جزء واحد فله سببان (الاول) رغبة الجامعة في انهاء سنتها الثالثة قبل دخول العام الجديد وذلك للشروع في ادارتها الجديدة وادخال التحسينات الجديدة المهمة التي وعدنا بها القراء واولها كلها تنظيم صدور الجامعة بواسطة مطبعتها الجديدة وتوسيع ادارتها وزيادة آلاتها

(والثاني) رغبة الجامعة في استيفاء الجواب عن ردود فضيلة الاستاذ فيما يختص بابن رشد . وقد راينا ان جزئين كاملين لا يكفيان للرد استيفاء للموضوع من كل وجوهه ولذلك اغتنمنا هذه الفرصة وضممنا الاجزاء الثلاثة معاً . ونحن لا نشك في ان حضرات القراء يرضون عن ذلك لشدة اهتمامهم بهذا الموضوع الخطير .

﴿ مشروعات الجامعة الجديدة ﴾ وللجامعة في سنتها الجديدة فوق صدورها شهرياً ومطبعتها المستعدة لطبع كل ما يُطلب منها من الكتب والجرائد والمطبوعات بالعربية والفرنسوية والانكليزية باتقان كاتقان الجامعة وحروف كحروفها او اكبر او اصغر منها . وفوق الكتب الشهرية التي تصدر في كل شهر من ادارتها — مشروعان او ثلاثة ستباغت بها قراءها قريباً . وهي قد شرعت فيها بناء على اشارة كثيرين منهم . وهذا كل ما نقوله الآن عنها

﴿ زيادة اشتراك الجامعة ﴾ وبناء على التحسينات الجديدة التي ندخلها في الجامعة عاماً فعاماً رفعنا قيمة الاشتراك في السنة الرابعة الى ٦٠ غرشاً صاغاً في مصر و٢٠ فرنكاً في الخارج اي اننا زدنا عشرة غروش فقط على قيمة الاشتراك في مصر و٢٠ غرشاً عليها في خارج مصر . لان قيمة الاشتراك الحاضرة لا تُذكر بازاء حجمها واتقان طبعها ورسومها والتعب الذي يُبذل فيها . ومعلوم ان المجلة كلما اتسع دخلها امكنها زيادة التحسين وتوسيع مشروعاتها التي تخدم بها قراءها

﴿ مساعدة القراء لجامعتهم ﴾ ولا ريب عندنا في ان قراء الجامعة الكرام في جميع اقطار الارض يثابرون على مساعدة هذه المجلة التي وقفت قواها لخدمتهم والقيام بالوظيفة التي انتدبت نفسها لها . ولقد برهنوا لها في الماضي على ودادهم ومساعدتهم فضاعفت عدد النسخ المطبوعة منها حتى نفدت كلها في آخر هذا العام واضطررنا الى توقيف طلبات كثيرة . وسنزيد في السنة الرابعة الف نسخة على عدد النسخ المطبوعة لئلا نقع غداً في ما وقعنا به امس . ونحن على ثقة من ان اصدقاء الجامعة ووكلاءها وقراءها في كل الاقطار لا يألون جهداً في تنشيط عمله باساليب الجامعة وخطتها هي تحتاج الى الشرق بجميع اجزائه والشرق بجميع اجزائه وعناصره يحتاج اليها



مشاهير المتقدمين والمتأخرين

شرقي في بلاط روسيا

﴿المرحوم سليم دي نوفل﴾

بقلم شرقي فاضل يغضي عن شرقي عاقل

توفي في بطرسبرج في هذا الشهر العالم الشرقي المشهور الاستاذ سليم دي نوفل الطرابلسي فرأيت ان ابعث الى الجامعة بترجمة حياته اظهاراً لفضل رجال الشرق وشحذاً لهمم ابنائه ليتشبهوا بفضلائهم

﴿ترجمته﴾ هو سليم بن عبدالله بك بن جرجس نوفل الطرابلسي اصلاً ومولداً . وكانت ولادته في سنة ١٨٢٨ مسيحية في طرابلس الشام وربي فيها تربية كريمة لان عائلته المشهورة في الفيحاء كان معظم رجالها من موظفي الحكومة العثمانية . وقد استدل الجميع منذ صغره على حسن مستقبله بما كان يلوح على وجهه من لوائح النباهة والذكاء ولكنه لم يدر في خلد احد منهم انه سيكون يوماً من الايام من الرجال الذين يفتخر بهم الشرق ويدل الغرب على استعداد الشرقي لكل تقدم وارتقاء . ولما كانت مدارس طرابلس مقصورة على تدريس المبادىء العربية ذهب الفقيد الى بيروت لداعٍ عائلي وتلقى في احدى مدارسها من اللغة الفرنسوية ما يمكنه من الفهم والتفهيم بها . ثم عاد الى وطنه طرابلس واكبَّ على الدرس والمطالعة بغير استاذ . وفي سنة ١٨٥٨ عهدت اليه وكالة البواخر الروسية ولكنه لم يقم فيها سنة واحدة حتى طلبته حكومة روسيا الى بطرسبرج بواسطة البطريرك الانطاكي والبطريرك الاورشليمي للروم الارثوذكس وذلك ليكون استاذاً للغة العربية في كلية بطرسبرج . فسار الفقيد الى بطرسبرج على نفقة حكومة روسيا ولم تكن السكة الحديدية الروسية قد اتصلت يومئذٍ بتلك العاصمة فاضطر الى ان يبتاع مركبة بخيلها لتنقله اليها هو وعائلته . وكان ذلك في فصل الشتاء القارس وما ادراك ما هو الشتاء في روسيا . والذي زاد مشقة السفر

جهله اللغة الروسية ومحاولة الفلاحين الروس تعطيل مركبته ليضطروه الى ان يشتري منهم غيرها

ولما استقر في بطرسبرج دخل في الجنسية الروسية وانصب على درس اللغة الروسية والتاليف والخطابة باللغة الفرنسوية والتدريس باللغة العربية · ولما اطلع القيصر اسكندر الثاني على بعض خطبه ومقالاته اعجبته رشاقة اسلوبها · واتفق ان الشيخ شامل الشركسي المشهور الذي حارب روسيا مدة ٣٢ سنة خضع وسلم لها في ذلك الزمن وكان لا يُحسن اللغة الروسية بل العربية فجُعل الفقيد ترجمانًا بينه وبين القيصر · ومنذ هذا الحين بدأ تقدمه الحقيقي · فان القيصر احبه لذكائه ونشاطه ودقة نظره فقربه منه ووهبه دارًا ومنحه لقب شرف وهو (دي) فصار يُسمى « إيزيه دي نوفل »

وفي سنة ١٨٧٦ عهد اليه القيصر رئاسة قلم في وزارة الداخلية وفي سنة ١٨٧٧ مُنح رتبة مستشار للبلاط الامبراطوري وفي سنة ١٨٧٩ مُنح رتبة مستشار للدولة · وارسلته الحكومة الروسية في مامور يات سرية الى بعض البلاد الاوربية منها سفارة الى رومه لمخابرة الحضرة البابوية في مسالة متعلقة باهالي فنلنده الكاثوليك التابعين لروسيا · وانتدبته عدة مرات للنيابة عن الروس في المؤتمرات الشرقية · وكان الفقيد يقوم بواجباته خير قيام فمنحته حكومته عدة وسامات منها وسام القديسة حنه من الدرجة الاولى · وقد جاء في براءة هذا الوسام ان القيصر منحه اياه «مكافأةً له على خدماته السارة وتآليفه الممتازة» ومنها « الوسام الرومي » · وقد منحته فرنسا رتبة غران كوردون من جوقة الشرف

﴿ انجاله ﴾ تزوج الفقيد قبل سفره من طرابلس وكان له يوم سفره الى بطرسبرج غلامان وابنة · ورزق في بطرسبرج غلامين وابنة ايضًا · وقد ربى اولاده احسن تربية · منهم اليوم واحد نائب حاكم القوقاز والآخر قنصل لروسيا في بغداد والثالث محامٍ مشهور في بطرسبرج والرابع موظف في الحكومة الروسية · وقد توفيت احدى بنتيه وكانت على جانب عظيم من الذكاء وكانت موظفة في بلاط الامبراطورة · فحزن عليها الفقيد حزنًا عظيمًا · وكتب بعيد وفاتها كتابًا لبعض اخصائه ولما ذكر فيه الفقيدة اشار الى حزن اهل بطرسبرج والبلاط عليها فقال « ان الكهنة انفسهم كانوا يبكون في المدفن حزنًا عليها. وهل راى احد كهنة يبكون على ميت » وقد امرت الامبراطورة بدفن فقيدته العزيزة في مدفن اسكندر فنسكي مدفن الاشراف اكرامًا لها ولابيها

❊ معارفه ومؤلفاته ❊ كان الفقيد يعرف اللغة الفرنسوية والعربية لغته الاصلية والروسية والانكليزية والتركية وغيرها . وقد تلقى اللغة الحبشية ايضاً . وطريقة درسه هذه اللغة لا تخلو من فكاهة . ذلك انه ورد في ذات يوم على القيصر كتاب سري من النجاشي باللغة الحبشية فعهد القيصر الى الفقيد بان يترجمه له فاخذه الفقيد ثم التمس انجيلاً باللغة الحبشية واخذ على ما يقال يتصفحه و يقابل كلماته بكلمات الكتاب واقام على ذلك حتى فهم معنى الكتاب . ولعله استعان على ذلك بعارف باللغة الحبشية وانما كان يعرض عليه كلمات الانجيل بلا اتساق و يطلب منه تفسيرها دون ان يوقفه على الكلمات الشبيهة بها في الكتاب

اما مؤلفاته فهي كلها باللغة الفرنسوية . وكان في هذه اللغة كاتباً غزيرًا . وكفى دليلاً على ذلك ان الخطبة التي القاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في باريز منذ بضع سنوات كتبها في اقل من ساعة قبل انعقاد الجلسة . ولكن الذي سهل له هذا الامر الصعب ان ذهنه كان مفعماً بموضوعها. وكان موضوعها « مطابقة الدين الاسلامي الحقيقي للمدنية ».

ذلك ان جميع مؤلفات الفقيد كانت في المواضيع الشرقية الاسلامية . منها كتاب في ترجمة صاحب الشريعة الاسلامية (صلعم) وقد حذا فيه الفقيد حذو الفيلسوف رنان في ترجمة السيد المسيح الذي نشرته الجامعة في هذا العام . ومنها كتاب عنوانه « الزواج في الاسلام » وآخر عنوانه « الملكية في الاسلام » وآخر عنوانه « النسل والطلاق »

ولما انتشر احد هذه الكتب رأى جلالة السلطان ان بعض فوائده قد يؤولونه تأويلاً لا يوافق المصلحة العامة فبعث الى بطرسبرج وطلب من القيصر ان يسأل المؤلف اذا كان يرضى بمنع نشر كتابه . فاستدعاه القيصر وقال له انا لا آمرك بذلك امرًا اذ ليس ذلك من سلطتي ولكني اسألك اذا كنت ترضى بهذا المنع . فرضي بذلك رحمه الله بطيبة خاطر اجابة لطلب جلالة السلطان الذي عاش الفقيد تحت اكنافه ورعايته نحو نصف حياته وكان في اثنائها من رعيته وابنائه

وامامنا الآن ونحن نكتب هذه السطور تقريظ من « جريدة بطرسبرج » لكتابه « النسل والطلاق » مؤرخاً في ٢٢ ابريل سنة ١٨٩٣ . وقد جاء في هذا التقريظ ثناء كثير على المؤلف . ومما قاله كاتب التقريظ ان قراء المسيو دي نوفل لا يقرأون في كتبه فقط كتابات مستشرق من الدرجة الاولى وعالم متضلع باللاهوت والفلسفة ولكنهم يقرأون

ايضاً « كتابات رجل يجري في عروقه دم شبيه بدم العرب ونبيهم العظيم (صلعم)ثم قال ان المسيو دي نوفل قد اوضح مشكلات الفقه الاسلامي للاوربيين وهو يثني في كتاباته على العرب وعلى روحهم العظيمة ولكنه يذكر السيئات مع الحسنات . وكلما تكلم عن النبي (صلعم) تكلم عنه باحترام ولقبه « النبي العظيم » : ثم انتقل الكاتب الى آراء المؤلف فقال عنها انها في منتهى الجرأة والغرابة . وقد امتاز بكونه يتكلم عن ادق المسائل واحرجها بنحافة توقفك على حقيقتها وانت تحسب انك لا تبحث فيها . وبذلك استطاع الخوض في مسائل فلسفية خطيرة لم يستطيعوا في اللغة اللاتينية الا الاشارة اليها

﴿اخلاقه وآراؤه﴾ كان رحمه الله ربعة الجسم كساه المشيب وقارًا وكان في لوائح وجهه انفة العالم واتضاع الفيلسوف . ومما يروى عن فرط اتضاعه وكراهته للفخفخة الباطلة انه لما كان في باريز ايام اجتماع مؤتمر المستشرقين فيها اراد الذهاب مع اعضاء المؤتمر لزيارة رئيس الجمهورية بصفته نائباً عن روسيا فيه ولكنه لم يلبس لباسه الرسمي ولم يضع عليه وسام جوق الشرف من درجة غران كوردون . فالح عليه صديقه ورفيقه في المؤتمر حضرة الامير امين ارسلان في وضع ذلك الوسام لان رئيس الجمهورية يبالغ في اكرامه متى راه حائزًا عليه . فرضي الفقيد اخيرًا بذلك اكراماً لنائب روسيا ان لم يكن اكراماً لنفسه . ولكنه لما كان على الطريق في مركبة مع حضرة الامير امين غطى الوسام بملابسه لكي لا يظهر الا في حين الحاجة اليه

اما آراؤه في الشرق والعرب والفلسفة فيقتضي بسطها مقالاً على حدة . وربما لخصت شيئاً منها وبعثت به الى الجامعة . انما اكتفي هنا بذكر رأي له في ارتقاء الاداب الكتابية في اللغة العربية . فان الفقيد يرى ان السجع والشعر على الطريقة القديمة من اشد العوامل الحائلة دون ارتقاء الكتابة في هذه اللغة لان الكاتب العربي لا يكون ذهنه منصرفاً الا الى الالفاظ وسجعها بدلاً من انصرافه الى درر المعاني واعتبار الالفاظ لباساً لها . اي ان اهتمامه يكون بالقشر لا باللباب . وهذا من اعظم مصائب بعض الكتاب . على اننا نظن ان الفقيد راى هذا الراي قبل هذا العصر بعشر سنين او عشرين سنة لان اسلوب الكتابة العربية قد تغير الآن تغيرًا عظيماً . وذلك الاسلوب القديم لم يبق منه الا الاثر وهو آخذ في الزوال شيئاً فشيئاً فلا يبقى الا الاسلوب الطبيعي الذي مقتضاه كتابة الكاتب كما يتكلم لان المقصود ابلاغ المعاني لا صف الالفاظ

﴿ مقامه في روسيا ﴾ وقد ذكرنا فيما تقدم منزلة الفقيد في البلاط الروسي ونزيد على ذلك الآن انه كان الصلة بين روسيا وجميع العناصر الشرقية . فان امراء الشرق المسلمين الذين يفدون على بطرسبرج كانوا يتعرفون به . وكان مقصداً لكل شرقي مسلم او مسيحي يفد الى بطرسبرج لحاجة سواء كان من القوقاز و بخارى وغيرها من البلاد الروسية التي يتكلم اهلها اللغة العربية او من الولايات العثمانية . وكان له مراسلات مع المرحوم جمال الدين الافغاني . واكثر بطاركة الشرق الذين كانوا يحتاجون شيئاً في روسيا كانت علائقهم معها على يده .

هذه هي الجوهرة الثمينة التي فقدتها روسيا . واذا كانت هذه الدولة تتعزى عن فقده بمن لديها من رجالها العظام في كل علم وفن فان الشرق لا يتعزى عن وفاة فرد من افراده لقلتهم في ربوعه . ابدل الله هذه القلة كثرة ونفع الشرق بقوى ابنائه ومواهبهم بدلاً من تركهم ينفقونها خارجاً عنه .

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمُّ مطالعته من المقالات العلمية والادبية والتاريخية والعمرانية والفلسفية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

شعراء مصر وقراء الجامعة

﴿ بين بولس وفرجيني ﴾

(حفيدة فرجيني)

لم يذهب صدى نصيب « الجامعة » في مشروعها الجديد وافتتاحه بتلخيص « بولس وفرجيني » اهمّ موءلفات برناردين دي سان بيير . فان اصدقاءنا الكتاب واخواننا القراء قد قدروا هذا الكتاب الادبي قدره . ولو شئنا ان نذكر كل ما وردنا من حضرات القراء بشأن هذه الرواية الصغيرة لملأنا به عدة صفحات ولوجد القارىء فيه من الفكاهة ما يلذ له



فمن ذلك انه بعد صدور الجزء السابق بيوم وليلة دخل علينا ساعي التلغراف مسرعاً وفي يده رسالة برقية . ففتحناها باهتمام شديد ونحن نضرب اخماساً باسداس لاننا حسبناها واردة من خارج مصر في امر خصوصي عائلي . ولكننا قرأنا في هذه الرسالة ما يلي

« من ديروط — الجامعة بالاسكندرية

« فرغتُ الآن من مطالعة قصة « بولس وفرجيني » وكفى بها ان تكون اول واعظم مشهد في مجلاتنا العربية لمظاهر الفضيلة ونصرة دعائمها الحدة (هنا خطأ من التلغراف على ما نظن والارجح انها الحقة او المجيدة) والخير والحق . فنشكركم على اتحاف لغتنا العربية بها وتعظيم درجة كتابنا الشرقيين بوضع هذه القصة العميمة النفع وذلك بلسان الفقير المستفيد »

(عياد عبدالله)

فانقلب حينئذ اهتمامنا الشديد الى ارتياح وضحك وشكرنا حضرة المراسل الفاضل على حسن ظنه بالجامعة . والحق ان اهتمام قراء الجامعة الى هذا الحد بما يُنشر فيها لما ينسيها كل تعب وعناء يُبذل في سبيله

ومن ذلك قول قارئ كريم ابي عائلة خارج مصر « سامحكم الله على نشر هذه الرواية فان ابنتي لم تنشف لها دمعة في ليلة امس حين قراءتها . وقد طرحتها عند الصفحة الاخيرة وانطرحت على المقعد تبكي بكاء مرًّا كانها مصابة بعصبية . اما كان الافضل تزويج بولس بفرجيني بدلاً من انهاء حياتها بهذه الصورة »

وقال قارئ من الشبان العزاب « جاء في ختام المقالة عن فرجيني ان الجامعة تودّ ان تعلم اسماء الاطفال الذين يُسمون بعد صدور هذه الرواية « بولس وفرجيني » فانا تمنيت بعد مطالعة هذه الرواية ان اكون متزوجاً وان تكون امرأتي على وشك الوضع لاسمي ابني او ابنتي باسم بولس او فرجيني »

ونحن لم نذكر هذه النوادر — من بين عشرين نادرة غيرها — على سبيل الفكاهة فقط بل لنصرح باننا نهتمّ بهذه الامور الصغيرة اهتماماً شديداً نعرف نتيجته . ذلك ان الكتابة لا يُرجى منها فائدة ان لم تؤثر في القارئ . ومن اول واجبات الكاتب ان يكون بينه وبين قرائه اشتراك في الافكار الى هذا الحد . ومتى كانت العقول مستعدة لتأثر كهذا التاثر والنفوس تذرف الدموع السخينة من اجل ولدين فاضلين كبولس وفرجيني فكن متحققاً ان العمل الادبي — اي الاصلاح الادبي الذي هو الاصلاح الحقيقي في الارض قد بداء يحدث في داخل النفس وان انصار الفضيلة والنزاهة والمبادئ كثيرون . ولذلك نرجو من هذه المطالعات المؤثرة الممزوجة بالدموع اللطيفة من الفائدة اضعاف ما نرجوه من قراءة اي كتاب تاريخي او علمي او طبي او فلسفي

ولكننا الآن نفارق آراء القراء لننشر آراء الشعراء . فان الترنم بذكر الفضيلة يكون

ناقصاً اذا لم يضع الشعراء اصحاب النفوس الحساسة بايديهم اللطيفة على هامتها العالية اكاليل بلاغتهم وثنائهم . فكانهم بلابل تغرد في كل بقعة يطيب لها فيها الماء والهواء وكل ارض تُشم فيها رائحة الطبيعة والفضيلة كما خلقها باري السماء

ونحن ننشر هذه القصائد بحسب ترتيب ورودها للادارة . فمنها قصيدة لحضرة شاعر القرشية احمد افندي الكاشف . وقد تفضل فيها بعد ذكر القصة بذكر مشروع الجامعة بالثناء الى حد مخجل ولكن الجامعة نشرته مع ذلك ضناً باياته الرقيقة التي لا يحل حذفها . واعذب الشعر اكذبه على ما يُقال

﴿ القصة مختصرة ﴾

لحضرة الشاعر الفاضل احمد افندي الكاشف بالقرشيه

لعمرك ما استبكى عيوني واعظ ... بابلغ من هذي الرواية موقعا
فقد صار معناها لقلبي آية ... يذوب لذكراها جوىً وتوجعا
واشفقت من بلوى حبيبين لم تطب ... حياتهما في الحب حتى تنجعا
انيسين احلى من جنى الزهر منطقاً ... واطهر من طي الخيلة مرتعا
ولو عنين بالاحسان طبعاً وفطرة ... اذا صنع الناس الجميل تطبعا
اذا وجدا ذا كربةٍ جزعا له ... فلم يهجعا حتى يقرّ ويهجعا
الى غير جمع الرزق لم يتفرقا ... وفي غير حمد الله لم يتجمعا
فلم يعرفا الا الفضيلة مشرعاً ... ولم يألفا الا البساطة منزعا
قنوعين بالرغد الذي فيه اصبحا ... ولم يبغيا غير التزوج مطمعا
وانهما اولى به كي يمثلا ... شريكي صلاحٍ في النعيم تمتعا
فما لبثا ان حال بينهما النوى ... وما اتصل القلبان حتى تقطعا
فالفتفى غرقاً والفتفى اسى ... وحين درت اماها قضتا معا
فحزن سكان الجزيرة ما دهى العشيرة واعتادوا البكاء المرجعا
ولم يسلني الا يقيني انها ... أُثيبت من الباري باعلى واوسعا

***

هدية من تدري بحاجات قومها ... وتقدر ان تقضي له ما تطلّعا
واعلم اني سوف أُعجب بعدها ... باغرب منها كل شهر وابدعا

اجامعة الشرق انشري فيه ما انطوى ... ودومي بهذا النهج اهدى واسرعا
فقد قمت بالامر الذي كان ساعياً ... اليه فلم تبق لشكواه موضعا
قضى زمناً يرجو النجاة بناصرٍ ... فكنت له المرجوّ والمتوقعا
فلو كان في وسعي جزاؤكِ مرضياً ... وهبتكِ تاجَ المالكين المرصعا
رايتكِ اشفى ما استفدت وانجعا ... فصرتِ لما تروينَ احرص من وعى
وقد كان قلبي خالياً من محبة ... فاصبح معموراً بحبكِ مترعا
لكِ الحمد من حرٍّ اديب وشاعرٍ ... تلقاكِ موفور الرضى متشيعا
لادعو اليكِ الناشئين جميعهم ... ومثلي يلبيه العباد اذا دعا

﴿ القصة كلها ﴾

لحضرة الشاعر الفاضل احمد افندي محرم بالدلنجات

اما حضرة الشاعر الفاضل احمد افندي محرم الذي ينشر شعره في مصر كانه زهر الربى فانه آلى على نفسه ايراد حوادث القصة كلها ضمناً بمعانيها فاستحق جنابه من الجامعة مضاعفة الشكر على عنايته بكل امر مفيد، وهذه قصيدته المفيدة

كلٌّ النفوس الى السعادة تنزع ... هذي تنولها وهذي تمنع
واري الحديث الذ في مسمع ... ما كان منه عن السعادة يسمع
ضلّت مسالكها عقول جمة ... ما زال يدعوها الشقاء فتتبع
ان السعادة ليس يسطع نورها ... الا بحيث ترى الفضائل تسطع
تأبى فما تأوي بقصر شاهق ... ويظل يأويها الفضاء البلقع
هل مثل فرجيني وبولس شاهد ... ام بعد هاتيك الوقائع مقنع
جفت المدائن والقرى امّاهما ... واقامتا حيث الخلاء الاوسع
تتطلبان من الطبيعة رحمة ... فكانما هي ملجاء او مفزع
جنتا على نفسيهما يدبها ... لا بل جنى القدر الذي لا يدفع
اولاها الملك الجليل صنيعه ... طفلين كلٌّ للفضائل منبع
فتسلتا بهما عن الحزن الذي ... كانت تضم عليه تلك الاضلع
وتساقتا ماء المودة صافياً ... عذباً يبل به الغليل وينقع
ما منهما الا غدت لكليهما ... امًّا تطيل من الحنو وترضع

شبّا وحبهما يشبّ كما هما ... وترعرعا وهواهما يترعرع
لم يعرفا غير العفافة والتقى ... طبعاً لعمرك ليس فيه تطبع
كرمت خلالهما فلم يك منهما ... كذب ولا طمع ولا ما يفظع
ملكان عاشا في الخلاء كلاهما ... لهما بجانبيك العوالم مرتع
جاءتهما زنجية مكروبة ... تشكو اذى المولى الظلوم وتضرع
رثيا لها مما اصاب واسرعا ... معها وقد يُدعى الكريم فيسرع
حتى اذا اتياه بعد مشقة ... شفعا لمن جاءتهما تتشفع
ثم انثنى الفتيان يعبق منهما ... عرف الفضائل والتقى المتضوع
جُزيا بما صنعا من الخير الذي ... يبقى لفاعله فليس يُضيع
وكذاك ما برحا على خلقيهما ... تنمو الفضائل فيهما وتجمع
ومن الطبيعة للنفوس مؤدب ... يزع الفتى عما يشين ويردع
اغنتهما حتى عن الكتب التي ... لم يخلُ منها في المدائن موضع
اما القرون الذاهبات فقلما ... تعنيهما اخبارها او تنفع
وكفاهما ما تجتلي اوقاتنا ... فيه ظلال مجد او ركع
ومن الثمار عن الفصول مخبِّرٌ ... ما منهما الا اليها المرجع
لولا البساطة والقنوع كلاهما ... لم يصفُ من تلك الحياة المشرع
ولما ذكا غرس الفضائل فيهما ... وبدا له ثمر وزهر مونع
كانا اذا انفردا معاً ذكرا الذي ... وجدا من الحب الذي لا يُنزع
شكوى ونجوى يستريح اليهما ... ويطيل ذكرهما المحب المولع

***

ما بال فرجيني وابن قرارها ... ولأيّ نازلة اراها تصرع
مالي اراها تستجير بامها ... فتجيرها منها نصائح اربع (١
صدعتهما بعد التجمع فرقة ... وكذا لعمري كل جمع يُصدع
ظعنت ولم ينل الفتى ما رامه ... لحشاشة تدمي وعين تدمع
ما كان يؤثران يقيم اذا نأت ... وتباعدت منها ومنه الاربع

(١ «وجهي نفسك الى الله يا بنية وكلي اليه امرك . فنه وحده الصحة والحياة . وهو يجربك الآن ليكافئك غداً . ولا تنسي اننا لم نخلق على هذه الارض الا لممارسة الفضيلة »

واصابه يأس اطال عناءه   حين الفراق فليس منه مطمع

عاف القراءة والكتابة بعدها   من اجلها واخو النهى يتفرع

***

ياحبذا الشيخ المعلم بولساً   ولحبذا الشرع الذي هو يشرع

طاف البلاد بعيدها وقريبها   فسآم من اهلها ومودع

يرتاد فيها موطناً يحيى به   فاذا بها سمّ الحياة المنقع

فاقام منفرداً بحيث خلا له   جوٌّ يرى فيه السعادة تلمع

لاشيءَ يعجبه سوى الكتب التي   يتلو او الحقل الذي هو يزرع

واتاه بولس اذ تضعضع صبره   يشكو من الاحزان ما يتجرع

وغدا لديه يذيع من اسراره   ما ضمه ذاك الفؤاد الموجع

يبغي الرحيل عسى يتاح له الغنى   والجاه والشرف الاعز الارفع

ليكون كفوءاً للفتاة وتخالها   عنه اذا حُرم الغنى تتمنع

فنهاه عن تلك الوساوس شيخه   ولواه عما كان فيه يطمع

ابنيَّ ان الجاه اصبح والغنى   حيث النقائص اصبحت تتنوع

امسى الملوك بحيث يحجب نورهم   غيم من الكبراء لا يتقشع

واري اولئك لا ينالك خيرهم   حتى تُرى دوماً لهم تتشيع

تأبى لك الشيم المواجد هذه   وسواك للطمع المذمم يخضع

كم من جهابذة كبار لم يكن   لهمُ معين منهم ومشجع

دعهم فخير النفس لا يعنيهم   شيءٌ سوى الذهب الذي يُستجمع

واذا اردت المال سامك اهله   شيئاً يُلام لها التقي ويُقرع

فاذا استقمت فقد اصابك ظلمهم   واذا جنفت ركبت ما هو اشنع

لا تستعن بسوى الاله ولاتكن   لسواه ان جلت همومك تنزع

الله يرضى بالصلاح و بالتقى   وكفى رضاه لمن غدا يتورع

ولقد ظفرت من السعادة بالذي   لم يُلف ذو تاج به يتمتع

عقل كما تهوى وجسم سالم   وشمائل غرٌّ وقلب اصمع (١

ولئن رايت العلم خير وسيلة   تدنو بها تلك الاماني النزع

(١ ذكي حديد

فلقد اراه بحيث لا يسطيعه … الا فتى ثبت الجنان مشيّع
ولطالما شقي العليم بعلمه … وغدا يُصلَّم انفه ويجدَّع
ولقلما يزع النفوس عن الاذى … كتب يبين بها الطريق المهيع
ارايت كالانجيل بولس هاديًا … يدعو الشعوب الى التي هي انصع
عصفت رياح الخلف من جرائه … زمنًا عهدنا شرّه يتبزّع (١
جرّ المظالم قبل ذاك ولم يزل … يدمي الضعيف به القوي الاضلع
واذا النفوس استحكمت ادواؤها … لم يشفها منها الدواء الانجع
لو كان ينفع ذا الهداية حكمة … لم يمن هوميروس فقر مدقع
ولما غدا سقراط يزهق روحه … في السجن سمٌّ ما يطاق مسلع (٢
او بيع افلاطون وهو كانه … مما يسام الهون عبد اوكع (٣
واصيب فيثاغور بنار لم تزل … تكوي قلوب الماجدين وتلذع
ابنيَّ ان العلم اما مركبٌ … خشنٌ جوانبه واما مصرع
اتظن ان ذوي المناصب والغنى … يعنيهم الرجل الذكي اللوذع (٤
حسب الفتى شرفًا وان لقي الردى … سفرٌ به يسترشد المتسكع (٥
ويكون للرجل المفجع سلوة … مما يصاب به ومما يفجع
تبلى القرون وما يزال جديده … يتلى فينعم ناظر او مسمع
ابنيَّ حسبك ان هممت بصالح … برٌّ باهلك لست عنه تقلع
لا تيأسنَّ فليس ينعم آيس … واصبر فليس بحازم من يجزع
وتسلَّ بالكتب التي هي سلوة … لاخي النهى ان جل خطب ازمع (٦

***

فاطاع بولس شيخه وتراجعت … آمال نفس اوشكت تتصدع
ونضا لاصلاح الحديقة عزمة … كالسيف يُنضى في الهياج فيقطع
ويظن شمس الطهر تحمد صنعه … ان حان من بعد المغيب المطلع
واتى الكتاب مبشرًا برجوعها … لو كان دهر من عناد يرجع
لا درَّ درّ البحر من منقلب … لو انه يُنهى بذاك ويُوزع

(١ تبزع الشر اشتد وتفاقم … (٢ شديد … (٣ لئيم
(٤ لغة في اللوذعي … (٥ مشى متعسفًا متحيرًا … (٦ مُنجِي

بينا يروقك منه خلق سجسج (١ اذراع سربك منه خلق زعزع
ارغى وازبد والسفينة فوقه حيرى واقبل موجه يتدفع
والموت يسفل بالنفوس و يعتلي و يجدُّ في طلب الحياة ويهرع
غالـ الفتاة وقد تُرى بمفازةٍ لولا الحياء غدت به تتقنع
صدت عن الملاح اقبل عارياً ليقلها وكذاك من يترفع
و يسومها خلع الثياب ولم تكن لحيائها حذر المنية تخلع
فزعت الى رب السماء وابصرت شخص الحمام فروحها تستنقع (٢
اودى بها القدر المتاح وغالها بين التقى والموج موت مهيع (٣
اكذا يجازى الاتقياء وهكذا تردي الفضائل من بها يتدرع
اي العقولـ الراجحات لمثله مهما نهاه الرأي لا يتزعزع
لهفي على الباكي المعفر وجهه لهفي على النفس التي تتمزع
لهفي على تلك الاماني التي كانت لوامعها تغرُّ وتخدع

***

يا شيخ بولس والحياة كما ترى تعبٌ وهمٌّ للنفوس ملوّع
والموت خير للجميع وراحة سيان فيهم كيّسٌ او ابصع (٤
وسعادة الراضين من دنياهم بالمال يجمع والمناصب تُفرع (٥
لم يدركوها بالصلاح وانما بالنفس تلؤم والسجية تطبع (٦
وارى الفتاة بحيث تنعم روحها في جنة الله التي هي اينع
عزّ الفتى ان كان يملك بعدها الا حشاشته التي تتميع (٧
اودى به ريب المنون ولم يكن كسري ليامن هوله او تبع
فسقت شآبيب الرضى قبريهما وجرت تساجلها الدموع الهمع

(١ سهل هادئ (٢ تجتمع في فيها تخرج (٣ مريع (٤ احمق (٥ تُعلى
(٦ هو من الطبع اي الدنس ومنه قول الشاعر
لا خير في طمع يدني الى طَبَعٍ وبلغة من قوام العيش تكفيني
و يقال طبِع السيف اذا صدئ قال الشاعر
يستمع الرايَ وعنه غنى قد يُصقل السيف ولم يطبع
(٧ تتسيّل

﴿ عبرة بولس وفرجيني ﴾

لحضرة الشاعر الفاضل الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي

اما الشاعر الثالث الذي تفضل على الجامعة مع رصيفيه بابيات بليغه في هذا الموضوع فهو شاعر مشهور في مصر . ولقد عرفه قراء الجامعة في خارج مصر من عينيته التي نشرتها الجامعة في سنتها الثانية . ولقد حدثنا احد القراء القادمين من الشام ان هذه القصيدة راقت اهل العلم والنظم فيها حتى ان استاذاً كبيراً في كلية كبيرة في بيروت كان يتلوها على تلامذته في وقت الدرس ويقول لهم « هذا هو الشعر العربي المبين . ان شوقي لا ينظم احسن من هذا » واليك الآن قصيدته الفرجينية

يا بني القفر سلاماً عاطراً	من بني الدنيا عليكم وثناء
وسقى العارض من اكواخكم	معهد الصدق ومهد الاتقياء
كنتمُ خير بني الدنيا ومن	سعدوا فيها وماتوا سعداء
عشتمُ من فقركم في غبطة	ومن القلة في عيش رخاء
لا خصام لا مراء بينكم	لا خداع لا نفاق لا رياء
خلق برٌّ وقلب طاهر	مثل كاس الخمر معنى وصفاء
ووفاء ثبت الحب به	وثبات الحب في الناس الوفاء
اصبحت قصتكم معتبراً	في البرايا وعزاء البوساء
يجتلي الناظر فيها حكمة	لم يسطرها يراع الحكماء
حكم لم تقرءوا في كتبها	غير ان طالعتموا صحف الفضاء
وكتاب الكون فيه صحف	يقرأه الحكمة فيه العقلاء
انّ عيش المرء في وحدته	خير عيش كافل خير هناء
فالورى شرٌّ وهمٌّ دائم	وشقاء ليس يحكيه شقاء
وفقير لغني حاسد	وغنيٌّ يستذل الفقراء
وقوي لضعيف ظالم	وضعيف من قوي في عناء
في فضاء الارض منأىً عنهم	ونجاة منهم اي نجاء
ان عيش المرء فيهم ذلة	وحياة الذل والموت سواء
ليت فرجيني اطاعت بولساً	وانالته مناه في البقاء

ورثت للادمع اللاتي جرت ... من عيون ما درت كيف البكاء

لم يكن من رأيها فرقته ... ساعة لكنه راى القضاء

فارقته لم تكن عالمةً ... ان يوم الملتقى يوم اللقاء

ما لفرجيني وباريس اما ... كان في القفر عن الدنيا غناء

ان هذا المال كاس مُزجت ... قطرة الخمرة فيه بدماء

لا ينال المرء منه جرعة ... لم يكن في طيها داء عياء

عرضوا المجد عليها باهرًا ... يدهش الالباب حسنًا ورواء

واروها زخرف الدنيا وما ... راق فيها من نعيم وثراء

فابته وابى الحب لها ... نقض ما ابرمه عهد الاخاء

ودعاها الشوق للقفر وما ... ضم من خير اليه وهناء

فغدت اهواؤها طائرة ... بجناح الشوق يزجيها الرجاء

يامل الانسان ما يامله ... وقضاء الله في الكون وراء

ما لهذا الجو امسى قاتمًا ... ينذر الناس بويل وبلاء

ما لهذا البحر اضحى مائجًا ... كبناء شامخ فوق بناء

وكأن الفلك في امواجه ... ريشة تحملها كف الهواء

ولفرجيني يد مبسوطة ... بدعاء حين لا يجدي دعاء

لهفي والماء يطفو فوقه ... هيكل الحسن ومثال الضياء

زهرة في الروض كانت غضة ... تملاء الدنيا جمالاً وبهاء

من يراها لا يراها خُلقت ... مثل خلق الناس من طين وماء

ظنت البحر سماء فهوت ... لتباري فيه املاك السماء

هكذا الدنيا وهذا منتهى ... كل حي ما لحي من بقاء

﴿ حقيقة فرجيني ﴾ وبينما كان القراء في اللغة العربية يلهجون باسم فرجيني كان القراء في اللغة الفرنسوية يلهجون به ايضاً . ذلك ان المسيو ادولف بريسون احد الكتاب المجيدين في جريدة الطان بحث عن اصل هذه الرواية في فصل مخصوص فانهالت عليه الرسائل من كل صوب تجاوله حقيقته .. منها رسالة من فكتوريين ساردو المؤلف المشهور ورئيس جمعية مؤلفي الروايات التمثيلية ورسالة من فرنسوي ساح في جزيرة دي

فرنس (جزيرة موريس) التي وقعت وقائع الرواية فيها . و يؤخذ من كل تلك الرسائل والمناقشات التي حدثت بشأن فرجيني بين الكاتب و بين مراسليه والتي استغرقت ثلاث مقالات في الطان كل مقالة منها نحو عمودين — ان اسم فرجيني الاصلي هو « مدموازل كايو » وكانت من اجمل فتيات الجزيرة واعقلهن . فارسلتها امها الى قريبة لها في فرنسا فاقامت الفتاة مدة عند قريبتها ثم عادت الى وطنها على السفينة « سان جيران » المذكورة في الرواية . وكان الربان الثاني في السفينة شاباً كريماً يدعى « لونشان دي مونتاندر » ومعنى « مونتاندر » قريب من معنى « عزيزي » او « فتاي اللطيف » كما ان معنى « فرجيني » مشتق من « الطهارة والعفاف » ولما وصلت السفينة الى الجزيرة جرى لها ما ذكره المؤلف بالتمام . وكان مونتاندر يميل الى فرجيني فلما اشتد الخطر على السفينة بقي فيها مع الفتاة وجاءها يلتمس منها ان تخلع ملابسها لينقذها سباحة فابت الفتاة ذلك



وفضلت الموت غرقاً مع حفظ الحياء على الحياة مع خلع الحياء . فغرقت هي والتقي مونتاندر . ولا يزال في شاطىء الجزيرة مكان يدعى « خليج القبر » الى الآن لان جثتها وجدت فيه . والمكان الذي دفنت فيه قرب الكنيسه لا يزال يدعى « قبر فرجيني » الى اليوم ايضاً . واسم بولس وفرجيني مشهور في تلك الجزيرة حتى بين زنوجها ولهم فيهما قصائد واناشيد عامية ينشدونها في سهراتهم . واول ما يصنعه زائر تلك الجزيرة حين وصوله اليها طلب زيارة الاماكن التي عاش بولس وفرجيني فيها

فمن كل ما تقدم يتضح ان هذه الضوضاء التي حدثت في اللغة الفرنسوية والتي اثرنا

شيئاً منها هنا باللغة العربية لم تكن من اجل رواية جميلة فقط بل هي ايضاً من اجل تذكار تلك الفتاة الفاضلة التي مثلت الكمال على هذه الارض في ساعة من ساعات حياتها ؛ وهي الساعة الاخيرة التي وضعت بدها فيها على ملابسها حفظاً لها (كما ترى في الصورة) مفضلةً الموت غرقاً على خلعها امام شاب . و بذلك لا تكون هذه القصة ترجمة تاريخية فقط بل هي اسمى مثال الطهارة في هذه الحياة . وهو ما يجب ان يدل على انّ في الارض شيئاً كثيراً اثمن من هذه الحياة وما فيها من ثروة ومال وخيرات

تاريخ العلم في لبنان

لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ شامين الخازن اللبناني

المقالة الاولى

قلما ورد للعلم ذكرٌ مع لبنان في كتب المؤرخين والباحثين في العصور الخالية . وقد تقلبت الامم عليه وتسابق الفاتحون اليه ولم ينل منه داهية ولا بلغ ذو غرض ايام كان العالم فيه من يحسن تهجئة الكلام اذا قرأ او رقم اسمه اذا كتب ما بلغوه فيه من الاوطار في زمن العلم والتمدن من تشتيت اهليه وتفريق كلمتهم

وقد اشتهر اللبنانيون بالقوة والشدة والبسالة و بالغيرة على جبالهم التي كانوا يصفونها بالمقدسة بياناً لشعورهم بالسعادة في الاقامة بين صخورها وحراجها . وقد نُسب اليها المجد من ايام موسى بل ومن قبله ايضاً لانه تمنى الى الرب ان يريه لبنان « تثنية ص ٣ ع ٢٥ » وعدّ به الانبياء غير مرة . قال اشعيا في احدها : « مجد لبنان اعطي له » وقد رددت محاسنه مزامير داوود وتغنّى به سليمان وتغزّل به شعراء اليونان ولذّ جماله لفلاسفتهم واكثر المؤرخون من تعديد مناقبه و وصف مواقعه واتحاد اهليه ومقدرتهم وسطوتهم . اما العلم فلم ينل نصيباً وافراً من كلامهم عن تلك المفاخر

ولا اذهب في القول الى القدم البعيد لانه يخرجني عن البحث في شان العلم الى النظر في الشؤون الاخرى وانما ابتدىء من عهد الرومانيين المتنصرين اذ لم يكن لبنان الحالي

في ايامهم غير مجاهل يلجأ اليها الفارون من المظالم الحريصون على الاستقلال فلم يكن في قوم ذلك شانهم انتظام . وكانت بيروت احد ثغور لبنان اذ ذاك وكان فيها شان العلم مرفوعاً بدليل المدرسة الشرعية المشهورة فيها . الا انها لم تتعدَّ فوائدها الى اللبنانيين لانهم ما كانوا ليبرحوا صخورهم وحراجهم ذلك المقام الممتنع العزيز خوفاً من المعتدين والفاتحين . فكان العلم عندهم ما تمكن منه الفطرة شان قبائل العرب الاولى في اللغة والشعر . وقد استمرت هذه المدرسة في بيروت منذ القرن الثالث للمسيح حتى فتح العرب بلاد الشام سنة ٦٣٤

و بعد ان مرت السنون وتقلبت الدول واصبح لبنان اخلاطاً من مسلمين ودروز ومسيحيين صار الحكم فيه الى الدروز والمسلمين يتنازعونه بالثورات والحروب . وكان العنصر النصراني ضعيفاً فولي عليه اناس منه دعوا « مقدمين» خاضعين للماليك والجراكسة في بادىء امرهم ثم لامراء البلاد حتى ظهرت اسر المشايخ فكان بعضها من الامراء بالدرجة الثانية . فصار المقدَّمون الى تدبيرهم حتى ازيلت هذه الوظيفة ولم يبقَ في حكم لبنان الا امراء ومشايخ . و بقي الاضطراب ناشراً غمامه على تلك الربوع من ايام المردة حتى اوائل القرن الخامس عشر اذ عدَّل المقدَّمون باحكامهم واتسع نطاق ولايتهم فعزَّ مقام الامن والراحة فانصرف القوم الى الدرس والتعلم . وكانت لغتهم العربية وبقيت بقية من السريانية حتى القرن السابع عشر لا سيما في شمالي لبنان وكانوا يكتبون العربية بالحرف السرياني ودعوا هذا النوع من الكتابة كرشونياً ولم تزل الكرشونية شائعة بين الموارنة الى اليوم . وكان العلم كله يُكتسب بالنسخ وقد اتصل بالعلامة الدويهي الشهير ما يربو على مائة كتاب من تلك المؤلفات المخطوطة واكثرها لم يزل محفوظاً في مكاتب لبنانية قديمة . واذ كنت يوماً في احداها اقلّب بعض تلك الكتب رايت منها ما هو في علم الهيئة ومنها ما هو في علم الفراسة وغير ذلك وجله مكتوب بالكرشونية . ومن اولئك الكتبة عدد كبير يغفلون اسماءهم اما لانهم نُساخ غير واضعين واما لانهم جامعون وهم على غير ثقة مما دونوه واما لغير هذا من الاسباب التي ليس من شان بحثنا هذا استقصاؤها . وامتد العلم بامتداد الامن حتى بلغ كسروان واما الجهة الجنوبية فكان معظم سكانها من الدروز وكان حكامها منهم ايضاً . ولم تخمد فيها الفتن والحروب الداخلية حتى زمن الامراء الشهابيين فنالت الراحة قسطاً هناك ومرت روح التعليم الذي ظل مقصوراً على درس مبادىء اللغة العربية واسرار الدين مدات طويلة

ولما قوي العنصر النصراني واشتد واصبح من في لبنان منه ذوي وطن هناك صار الحكم

اليه بالطريق الطبيعية واستفاق العلم اكثر حينئذ من سباته الطويل لانتهاء القوم قبل ذلك باثبات القدم واستقلاء الجو ومعلوم ان لا سبيل للعلم مع القلاقل والشرور

قلت استفاق العلم ولكني ادعوه كذلك ولو لم يكن منه في تلك الايام غير القراءة والكتابة البسيطتين لان شيوعها في لبنان حدا ببعض افراده الى طلب العلم من مصادره في غير لبنان فنبغ السمعاني الشهير الذي طبق ذكره الغرب والشرق وتآليفه الكثيرة حجة الباحثين والعلماء الى هذه الايام . ويكتفي علماء الغرب اثباتاً لابحاثهم بان يستشهدوا كتب السمعاني . وان كانت جهيزة قطعت عند العرب قول كل خطيب فلا حجة لشرقي ولا لغربي بعد ان يقال « قال السمعاني » . ثم ظهر اليازجي فاحيي الاوائل وتفرد عنهم بما دعا الى القول انه العلامة الذي لن ترى العربية له نداً . ولكن هذين النابغتين لم يتلقيا العلم في لبنان بل طلبه الاول في بلاد الغرب والثاني ملك زمامه باجتهاده وقبض عنانه بكده . وكان لبنان اصغر من ان يحويهما فلازم السمعاني رومه واليازجي بيروت اذ لم يكن الزمان يسعف لها على مدّ رواق العلم فيه

اما النساك القدماء في شمالي لبنان فلم يفيدوا شيئاً من جهة العلم وانما كانوا كمؤسسين الجماعات الرهبانية على مبداء اعتزال الدنيا والناس في المغاور والصوامع وسط البراري والحراج تعبداً وقنوتاً

وقد ظهر في كل وقت علماء لبنانيون ذوي ذكرهم في الشرق والغرب ولكنهم افراد افراد تلقوا علومهم في غير لبنان كالعلامتين المشار اليهما اذ لم يكن فيه غير كتاتيب معدودة اخذت تعم القرى كلما ساد الامان واستتب المقام . وهي الى يومنا هذا مع انها تكاد لا تخلو قرية من واحدة منها على مبداءها الاول لا تعلّم غير مبادىء القراءة والخط العربيين . واضاف اليها الموارنة مبادىء السريانية والدروز اسرار الدين في الخلوات .

هكذا كان نمط التعلم والتعليم حتى انشئت المدارس كما سيأتي

وقبل الكلام عليها لا بد من التنويه بما على لبنان من التكريم الدائم وبما نتحرك به المشدة ابنائه من الاحترام والشكر لذكر المطران جرمانوس فرحات الحلبي الذي ادخل اليه علوم اللغة العربية وهذب خدام الكنائس بما وضعه من التاليف الجليلة وما صنعه من الاصلاح في الشوءون البيعية من جهة اللغة خصوصاً

وكانت قد انشئت مدرسة في لبنان سنة ١٦٢٥ باتفاق النصارى تابعي المذهب الروماني مع الكرسي الرسولي ولكن الحوادث طمستها ففنيت عيناً واثراً حتى ندر من ذكر

مكانها من المؤرخين فلم ينبي، عارف بتاريخ لبنان عن احد من تلامذتها ولا من متولي شوونها ادارة وتعليماً

واول مدرسة احدثت بعد ذلك هي مدرسة عينطورا سكنها الآباء اليسوعيون اولاً سنة ١٦٥٢ واتفق على ان تكون مدرسة سلمت اليهم ادارتها مع مدرسة مثلها في زغرتا سنة ١٧٣٥ الا ان الثانية لم تدم طويلاً وبقيت عينطورا في خطتها المقررة حتى الغيت الرهبانية اليسوعية فعهد بالمدرسة الى الجمعية اللعازرية بنفس الشروط التي كانت على اليسوعيين منها ان يقبلوا عدداً معيناً في سلك الطلبة من الملة التي صدر عنها هذا الخير العظيم فيتلقوا علومهم الى النهاية بلا مقابل. ولما ابى اللعازريون اولاً قبول بعضها نُزعت منهم المدرسة ثلاث مرات حتى تعهدوا اخيراً بان يقوموا بعموم الشروط ووقعوا بتعهدهم صكوكاً لم يزل احدها محفوظاً وقد نوه به صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية الفاضل

وقد خدمت هذه المدرسة لبنان وسوريا خدمات جلى وكفى بها فخراً انها جرثومة انتشار اللغة الفرنسوية فيها وامتد الاحتياج اليها حتى مصر. ولم تزل طلابها المصريون يُعدون بالعشرات كل سنة تقريباً. وانشأت في البلاد رجالاً آخرجوا منها كأنهم خارجون من مدرسة في وسط باريس. يعدون مدن فرنسا و بلادها ومستعمراتها حتى آخر قرية منها و يصورون عادات الفرنسويين واخلاقهم ادق تصوير و يسردون تاريخ فرنسا من اول ظهورها في الوجود الى اليوم مع الاسر التي حكمتها ومن تولاها من الامراء والملوك مع تاريخ كل ملك منهم وكل شهير فرنسي حتى انهم يروون اقوالهم و يعدون خطواتهم كانهم رافقوا كل واحد منهم. ولكن سل المصري الذي ربي في مدرسة عينطورا اين هي عينطورا فاما انه يجيبك هي في سوريا وحسبُ واما انه لا يعرف غير اسم عينطورا من تاريخ تلك البلاد الشرقية ومن جغرافيتها مع كل علمه الواسع. ولا يعرف شيئاً عن لبنان الذي هي فيه على الاقل. وسله عن تاريخ المدرسة التي نشأ فيها يسرده لك منذ استلمها العازريون المرة الاخيرة مع كلمة اخرى هي: «كانت قبلاً لليسوعيين» اما الباني والموءسس المحسن فلا يعرفه لانه لم يُذكر له الا انه لو كان فرنسوياً لكان راى تمثاله منصوباً في اعز مكان في المدرسة وتمجيده وتسبيحه اساس كل تعليم فيها. وهذا مثال من الوطنية الحقة يعلموننا اياه ونحن لا نتعلمه بل تبقى الوطنية لفظة اجنبية عنا لا نألفها ولا نفقه لها معنى . وليس اللبناني الذي تعلم فيها باوسع اطلاعاً من المصري بشوءون بلاده ومسقط راسه.

و بعد ذلك لما عادت الرهبانية اليسوعية الى الوجود انشأت مدرسة في غزير فاقت

مدرسة عينطورا شهرة واهمية الا ان اصحابها لما راوا ان الخير العظيم الذي ينوونه بها لسورية لا يتم في قرية صغيرة نقلوا المدرسة الى مدينة بيروت حيث تمكنوا من توسيعها وتكبيرها حتى جعلوها كلية كبرى . ولا يزالون يجدون في جعلها جامعة شتات العلوم والفنون والصنائع كاملة الفوائد الحقيقية التي تحتاجها البلاد. وابقوا مدرسة غزير اكليريكية ينشئون فيها المبتدئين في رهبانيتهم ولهم مدرسة في بكفيا تخرج الاحداث على آداب اللغتين العربية والافرنسية ومدرسة اخرى في الشياح تابعة للكلية

وسنة ١٧٨٩ جعل ديرعين ورقا في قرية غوسطا احدى قرى كسروان مدرسة بطريركية اكليريكية لانشاء رجال الدين واهم علومها تلقى باللغة العربية التي احيتها هناك برجال قصروا حياتهم على البحث فيها والاشتغال بها. فكان لبنان بهم و بالدارسين عليهم سوق عكاظ . وقد نبغ منها ايضاً من رجال الدنيا من شرفوا لبنان لدى العالم المتمدن في القرن الماضي بمؤلفاتهم الكثيرة وموضوعاتهم الجليلة كالشيخ احمد فارس الشدياق الشهير الذي لم يُشق له غبار في ميدان اللغة وقد اثرت بجاسوسه على القاموس وجوائبه وسائر مبتكراته المشهورة . وكالمعلم بطرس البستاني الذي ادخل فيها من الفنون ما يقل في جنبه الوصف والاطناب وان لم يكن من فضله عليها غير دائرة المعارف لكفى ذكره تخليداً . ولكنه لم يرض بهذه الخدمة وحدها بل الف سواها ايضاً كمحيط المحيط وقطر المحيط وغير ذلك وانشاء مدرسة في بيروت لم يزل متخرجوها الى اليوم من خيرة الادباء . وعاون الدكتور فان ديك الفيلسوف الشهير على تاسيس مدرسة عبيه الانجيلية في لبنان . ومن تلامذة عين ورقا المعدودين من النوابغ ايضاً الكونت رشيد الدحداح الذي نظر الى بعض من اهم كتب العرب المطموسة فنشرها وله على بعضها حواش وزيادات . وقد وضع كتباً جليلة هي من الابتكار في مكان رفيع ولا تنسى الصحافة العربية يداً له عليها ايضاً ولم يزل برجيس باريس يرن صداه في اذهان المؤلفين باللغة الى اليوم .

وسنة ١٨١٢ انشئت مدرسة ماريوحنا مارون في كفرحي من اعمال البترون وكانت اولاً على نمط عين ورقا ثم توسع في قانونها فاضحت عمومية في عملها تقبل الطلاب بالاجرة كالمدارس الاخرى عدا الصفوف الاكليريكية التي احتفظت بدوام تنظيمها ايضاً

وسنة ١٨١٧ فتحت ابواب مدرسة الرومية في القليعات من اعمال كسروان لطلاب العلوم الدينية كعين ورقا معا يتبعها من سائر العلوم باللغة العربية

وسنة ١٨٣٠ انشئت مدرسة مار عبدا هرهريا في عرامون كسروان وهي بطريركية ايضاً بارت عين ورقا بنجاحها ومن تلامذتها علماء وكتبة وشعراء مبرزون

وسنة ١٨٣٢ فتح دير مار مركيس في ريفون لقبول الطلبة الاكليريكيين بعد ان كان ديرًا رهبانيًا

والمدارس المذكورة كلها بطريركية كما تقدم ولغتها العربية وتعلم معها بالمقام الثاني اللاتينية واضيفت اليوم الى نظام بعضها الفرنسوية ايضاً نظرًا للحاجة اليها . وقد انشئت مدارس اكليريكية صغيرة غير المدارس الكبرى المسرودة جعلت في كراسي اكثر اساقفة الابرشيات ضمّها اثنان منهم الى مدارس كبرى عمومية كما سيأتي في محله

ومن الانشاءات الجليلة في لبنان جمعية المرسلين اللبنانيين وكانت صائرة الى الفروحتى قام سيد علامة جليل خلّف له مآثر تحيي ذكره مكرماً وهو المطران يوحنا حبيب فهبّ الى تجديدها على نمط الرسالات الاوربية واعدها لنشر العلم والفضيلة ونظم لها قانوناً افرغ فيه كنانة ذكائه وحكمته وقد شهد له الاوربيون انفسهم بتفرده وكان لهذا الحبر الجليل الابرّ تضلع نادر من اللغة العربية بجميع فروعها وفنونها وكان فقيهاً عظيماً تولى القضاء في لبنان مدة طويلة وجمعيته لم تزل سائرة في طريق النمو والفلاح ويؤمل انها اذا ظلت في تقدمها تغني البلاد في مقبل الايام عن الرسالات الاجنبية التي وضعت للعلم اساسه المكين بين ظهرانينا

ومن المدارس الاكليريكية مدرسة عين تراز التي يهتم بطاركة الروم الكاثوليك باعلاء شانها وتوسيع دائرة علومها حتى تباري المدارس الكبرى في لبنان وهي هناك مقرهم الصيفي المعتاد

وانشأت منذ سنتين بطريركية الشام الارثوذكسية مدرسة جديدة في دير البلمند لتخريج المبتدئين في الكهنوت

اما المدارس الادبية فاقدمها فيما اظن مدرسة المحبة الاخوية في عرامون اسسها كاهن فاضل مجتهد هو الخوري جبرائيل شباط بعد اسفار طويلة تجشمها في سبيل انشائها والمدرسة الداوودية في عبيه عني باحداثها متصرف لبنان الاول داوود باشا صاحب الذكر الجيد لتهذيب الشبيبة الدرزية وهي المدرسة الوحيدة التي تراقبها الحكومة اللبنانية الا انها الى الآن لم تفلح لعدم اعتناء حكومة لبنان في الماضي بأمر العلم . وقد علمت ان ذا الدولة مظفر باشا متصرف لبنان الجديد صارف الى ضبطها ونجاحها عناية مشكورة . ثم نشأت

مدرسة القديس لويس في غزير بمال رجل يستحق ان يحله اللبنانيون في مصاف منفرديه وقامت بهمته المالية . الا وهو الخوري لويس زوين الذي مات شهيد الجد والنشاط والوطنية . وكان عالماً فاضلاً له انشاءات طيبة اجلها الصرح العلي المذكور الذي خلفه لافادة ابناء الوطن

ثم احدثت مدرسة القديس يوسف اللبنانية في قرنة شهوان كرسي اسقفية قبرس من قضاء المتن وجعلت معلقة بعناية مطران الابرشية وضمت اليها المدرسة الاكليريكية الصغرى كما جعل من قبلها سيادة المطران يوسف الدبس مدرسة عين سعادة ضمن مدرسة الحكمة الشهيرة في بيروت

ومن المدارس الاهلية الحية مدرسة مار مخائيل القرن وهي لم تزل صغيرة لقرب عهدها في الوجود

اما التي اقفلت ابوابها فمنها مدرسة القديس بطرس في مدينة جبيل انشأها رجل عرف بالجد والنشاط ولكن الحظ عاداه حتى المات وهو المرحوم بطرس شحاده فلم تحيي المدرسة بعده

ومنها مدرسة القديس نيقولاوس في عربه عرامون جعلها مؤسسها المطران نيقولاوس مراد تابعة الكرسي الرسولي الروماني راساً فسيطر عليها قاصده الرسولي في سوريا الا انها فتحت للعلم بعد وافقها بازمان طويلة وما لبثت حتى اقفلت ولم يزل اصحابها يسعون لاعادتها الى انشاء الشبيبة اللبنانية على ما يقتضيه عصرنا من الرسوخ في الاداب والعلوم الصحيحة

ومنها مدرسة كفتين في قضاء الكورة عني بتاسيسها عدد من الافاضل اصحاب الهمة والغيرة الوطنية اخص منهم بالذكر المرحوم اسكندر كستفليس عرفته بشهرته علماً وفضلاً واقداماً وقد افادت هذه المدرسة لبنان فوائد جلى واخرجت للوطن رجال فضل وادب . الا انها اقفلت فعطلت جيد الوطن منها وقد كانت حلية فيه يفاخر غيره بامثالها . وكان قد اعادها سيادة مطران الابرشية الارثوذكسي الى ميدان التعليم والتهذيب ولكنها اوقفت بعد شوط قصير وهي لم تزل مقفلة على اسف من الشعب . ولا يقنط العقلاء من الرجاء بانها ستعود بهمة من يعنيهم شانها الى بهائها السابق

ومن المدارس الاجنبية مدرسة الاباء الكبوشيين في صليما ومدرسة الاباء الكرمليين في بشراي ومدرستا الاخوة المريميين الخارجيتان في جونيه ومدرستهم الداخلية في عشقوت اما هذه فقد استقدمهم سيادة المطران بولس مسعد رئيس اساقفة دمشق لانشائها في الدار

التي اعدتها عائلته لهذا الغرض الشريف وجعل هو قيماً عليها والهمة مبذولة بانجاحها لتخطو في سبيل التقدم والاتساع خطواً سريعاً فتباري مدرسة عينطورا التي ضاقت على رحبها عن عدد مهم من الطلاب ٠

ولم تفتني المدرسة الشرقية في مدينة زحلة الا انني احببت ان اجعل لها مقاماً مخصوصاً بالذكر توجيهاً للانتباه اليها وقياماً بما يجب لها من الاعتبار وما تقتضيه الوطنية من الاهتمام بامثالها فانها المدرسة الوحيدة الوطنية التي قامت بادارة جمعية كبيرة شرقية متينة البنيان ثابتة الاركان وقد عنيت بموافقة قانونها التعليمي لحاجات الوطن وقد جعلتها الرهبانية التي انشاتها غير مخصوصة بملة دون اخرى ولا تفريق لديها في المذاهب ودروسها منطبقة على المطالب الوطنية وقد جاهر مديروها بهذا المبداء الجيد، فاذا غلت ناجحة هذا المنهج القويم نشأ فيها ابناء الوطن اخواناً متحابين متعاضدين وهي الواسطة الوحيدة لنجاح البلاد ٠ ولا خوف عليها من الهبوط في المسعى لانها ليست من اوضاع فرد يستقل بها فتحيى بحياته وتموت بموته وانما هي بادارة رهبانية كبيرة ثابتة تبقى ببقائها وتنجح باعتنائها. فلا يؤثر بها تغيير الرؤساء وتبديل الاساتذة

وعلى هذا النمط يقتضي الوطن مدارس عمومية لا تتصل بها شؤون فرد ولا تنال منها اغراض خصوصية

اما مدارس البنات الكبيرة فليست بكثيرة في لبنان والذي اعرفه منها : مدرسة راهبات الزيارة في عينطورا ومدرسة راهبات روح القدس في عبرين وكلتاها ناجحة نجاحاً اكيداً الاولى بهمة حضرة الاب الخوري يوسف صفير والثانية بعناية غبطة بطريرك الموارنة الحالي وهي من اوضاعه قبل ان يرتقي الى السدة البطريركية ٠ والثالثة مدرسة راهبات المحبة في زوق ميكائيل وفي برمانا مدرسة لعازرية ايضاً وقد انشات للبنات والصبية مدارس اخرى في دير القمر وشرتون ورشميا وبعبدات ودوما والشويروغيرها من وطنية واجنبية

وفي هذا الوقت كثرت مدارس الاميركان والروس في جنوبي لبنان وشماليه تعنى الاولى بنشر اللغة الانكليزية والثانية الروسية ٠ اما سائر المدارس التي وصفتها فانها تدرس الفرنسوية بالمقام الاول ثم العربية الا الاهلية منها فاللغتان المذكورتان لديها في مقام واحد ولكنها سائرة على نظام المدارس الاجنبية فلا يعرف متخرجوها شيئاً من مقتضيات بلادهم ٠

اما مدارس الاميركان فمنها مدرسة الشوير التابعة لكلية بيروت وقد تخرج فيها علماء افاضل وادباء مشهود لهم. ومدرستا شملان للذكور والاناث ومدرسة سوق الغرب ومدرسة الشويفات للفتيان والفتيات ومدرسة عينعنوب للبنات ومدرسة برمانا للجنسين ايضاً

ومن مدارس الروس مدرسة سوق الغرب ومدرسة بسكنتا في الجنوب ومدرسة كسبا ومدرسة اميون في الشمال واكثرها قسمان لتعليم الفتيان والفتيات

وفي لبنان مدارس اخرى ايضاً ولكنها لا تفيد ابناءه شيئاً لانها جعلت خصيصة بافادة غيرهم ، اولاها مدرسة دير بزمار فانها موقوفة على طائفة الارمن ليهذبوا فيها رجال الكهنوت عندهم . وثانيتها مدرسة الشرفة وهي بطريركية لطائفة السريان ينشأ فيها الاكليريكيون من ابنائها . والثالثة مدرسة ماراشعيا للرهبان الانطونيين والرابعة مدرسة قيطرون للرهبان الحلبيين والخامسة مدرسة نسبيه وهي ولئن كانت للرهبان اللبنانيين الا انها خصصت بتعليم احداث الرهبانية دون سواها . ومعلوم ان الرهبان عندنا لم يكونوا لافادة الشعب والوطن وانما قانونهم التعبد لله منفردين منعزلين عن العالم وما فيه

هذه هي مدارس لبنان التي انتهت الى علمي ولعل هناك مدارس اخرى لم تحضرني اسماؤها. وكلها تعلم العلوم الادبية الكاملة مع الفلسفة الدينية في المدارس الاكليريكية ولكن لا اثر هناك للعلوم الرياضية والفنية والصناعية والزراعية الا مبادىء الرياضة في عينطورا وفي المدارس الاميركية فانها تعلم منها بقدر ما يؤهل الطالب لنيل الشهادة الثانوية . ولا اثر ايضاً في لبنان كله للغة العثمانية وهي لغة الدولة الرسمية اللهم الا في لوائح المدارس فانها مذكورة مع العلوم واللغات التي لا تعلم ما لم يكن لها طلاب اخصاء يقومون بنفقة استاذ يستقدم لهذا الغرض . مع ان لبنان ليس بغني عن الدولة العلية . وانتفاء لغتها من لبنان من جملة ما يضيق على اللبنانيين مجال الترقي في مناصبها ما خلا افراداً معدودين .

الحروب البحرية المقبلة

﴿ الدارعة والغواصة ﴾

(داوود وجليات)

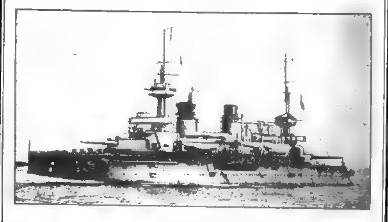
يُقال مثلاً (ان هذه المحاربة كمحاربة داوود وجليات) كناية عن صغير يقوى على كبير . والحرب بين الدارعة والغواصة من هذا القبيل . وليس المراد في هذا الفصل ذكر الغواصات ووظيفتها وتاريخها فقد ذكرنا ذلك في السنة الاولى . وانما المراد تمثيل واقعة حربية على الورق بين الغواصة والدارعة على سبيل الفكاهة ليطلع القارئ على شيء من شؤون هذه الحرب الجديدة التي ستكون اهم حرب في الحروب المستقبلة ابعدها الله

واول ما نرسمه له الدارعة الكبيرة (الرسم الاول) والدارعة التي نرسمها هنا هي الدارعة الفرنسوية « شارلمان » . اما الغواصة التي نرسمها (الرسم الثاني) فهي الغواصة الفرنسوية « الفرنسوي » . وقد انشأتها جريدة الماتين الفرنسوية على نفقتها اي انها جمعت نفقاتها من قرائها واهدتها الى وزارة البحرية لانشائها بها

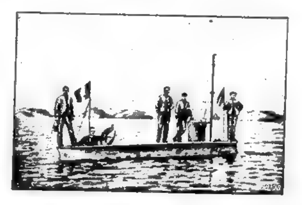
وفي (الرسم الثالث) صورة الغواصة في قعر البحر وهي تطلق النور منها لتنير طريقها . وفوقها الدوارع على سطح البحر تحسب لها حساباً وهي لا تدري بها . فلما تشاهدها الغواصة تخف اليها وتطلق عليها توربيداً . فاذا اخطأتها ولم تصبها حدث ما تراه في (الرسم الرابع) اي ارتفع جبل من الماء في البحر من فعل الطوربيد . وحينئذ اما ان تفرّ الدارعة من وجه الغواصة راضية من الغنيمة بالاياب واما ان تهاجمها . وهي تهاجمها باطلاقها الطوربيد عليها كما ترى في (الرسم الخامس) ولكن الدارعة قلما تعلم بمكان الغواصة لاستتار هذه في اعماق البحر ولذلك لا يصيبها طوربيدها فتنجو الغواصة من هذا الطوربيد وتعود الى مهاجمتها . ولكنها في هذه المرة تصيب الدارعة بطوربيدها فيحدث حينئذ ما تراه في (الرسم السادس) اي ان الدارعة تتحطم وتغرق من فعل عدوتها . وبذلك يتغلب العلم على الطبيعة والضعف على القوة

لذلك يقول العارفون انه اذا اتقنت الغواصات هذا الاتقان غيرت موازنة الدول وبدلت نظام الحروب البحرية . وسيكون عند فرنسا بعد سنتين خمسون غواصة من هذه

الغواصات المتقنة المستعدة . والفرنسويون يسمون « الغواصة » « المنتقم » كما ترى في الرسم الثالث لانهم يرون انها تمكنهم من مقاتلة انكلترا في البحر دون ان يخافوا بطش اساطيلها الهائلة



« الرسم الاول » الدارعة شارلمان الفرنسوية



« الرسم الثاني » غواصة « الفرنسوي » التي انشاتها جريدة الماتين الفرنسوية

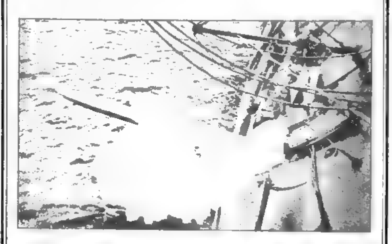


« الرسم الثالث » غواصة في قلب البحر وفوقها الدوارع

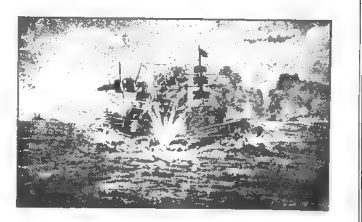


« الرسم الرابع »

ثورة البحر من توربيد غواصة



« الرسم الخامس » الدارعة تطلق توربيدها على غواصة



« الرسم السادس » غواصة تصيب الدارعة وتقتلها

تاريخ الرسل بعد المسيح

﴿ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ﴾

تابع لما قبله

« السنة ٣٥ للميلاد »

أول الداخلين في الطائفة الجديدة

وكان في مقدمة المنضمين الى الطائفة الجديدة رجل من قبرص يُدعى (يوسف اللاوي) فباع هذا الرجل حقله كما كان يصنع جميع المنضمين الى الطائفة ودفع ثمنه الى الرسل الاثني عشر . وكان يوسف نبيهاً مخلصاً طلق اللسان فقربه الرسل اليهم ودعوه « برنابا » اي « ابن النبوءة » لانهم عدوه في جملة الانبياء اي الوعاظ الممتلئين بالروح القدس . وسيرد في ما يلي ما يكون لهذا الرجل من المنزلة العليا في الطائفة . فانه سيكون بعد الرسول بولس هو المرسل الاكثر نشاطاً في الدعوة

وفي الوقت ذاته دخل معه في الطائفة رجل آخر من ابناء وطنه القبرصيين يُدعى منازون لان اليهود كانوا كثيري الانتشار في قبرص في ذلك الزمان . وقد انضم الى الطائفة ايضاً في ذلك الحين رجل يُدعى يوحنا وهو الملقب باللقب الروماني « مرقص » . وكان ابن عم برنابا الذي تقدم ذكره . وكان له ام ذات يسار وسعة فانضمت الى الطائفة اقتداء بابنها وكان التلامذة يجتمعون مراراً في منزلها . وربما كان بطرس هو السبب في ادخال هذه الام وابنها في الطائفة الجديدة لانه كان صديقاً لها . وقد خُدمت الطائفة بذلك خدمة عظيمة لان مرقص هذا سواء كان هو الذي كتب الانجيل المنسوب اليه او لم يكن هو الذي كتبه فانه كان ذا منزلة عليا في الطائفة لانه صار بعد ذلك رفيق بولس و برنابا في سفرهما في اقطار الارض للدعوة . وربما رافق بطرس ايضاً

وهكذا اكتسبت الطائفة بسرعة شديدة في سنتين او ثلاث سنوات اشهر رجال القرن الاول قرن الدعوة والبشارة . فاجتمع حول الرسل جيل جديد يشبه الجيل الذي اجتمع حول المسيح قبل ذلك على شواطئ طبريا . ولكن سلطة الجيل الاول اي جيل الرسل كانت اكبر من سلطتهم لان الجيل الجديد لم يشاهد المسيح ولا حادثه . ولكن اذا كانت سلطة الجيل الاول اعظم من سلطة الجيل الثاني فان الجيل الثاني كان الفاعل

الاقوى والاعظم في نشر المبادىء المسيحية لانه كان ذا ميل الى الاسفار البعيدة لاعتياده عليها

ومن انضموا الى الطائفة في هذا الحين رجل يُدعى استفانوس وكان رجلاً شديد الحماس والنشاط · وكذلك فيليبوس واندرونيكوس وجونيا · وكان هذان الاخيران زوجين عائشين في وسط الطائفة لينقطعا الى الدعوة والبشارة

اليهود العبرانيون واليهود اليونانيون

وكل هؤلاء المنضمين الى الطائفة كانوا من اليهود · ولكنهم كانوا فريقين · ففريق من يهود فلسطين وهم الذين كانوا يتكلمون اللغة العبرانية والارامية ويقرأون التوراة باللغة العبرانية الاصلية · وفريق من اليهود « اليونانيين » اي الذين يتكلمون باللغة اليونانية ويقرأون التوراة بها · وكان هذا الفريق فريقين ايضاً · فمنه فريق من دم يهودي ومنه فريق من دم اجنبي ولكنه انضمّ الى اليهود · وكان اليهود اليونانيون يفدون بالاكثر من اسيا الصغرى او مصر او سوريا · وكانوا يسكنون اورشليم في احياء مخصوصة بهم ولهم معابد مخصوصة يصلّون بها ولا يختلطون بغيرهم من اليهود · فكانهم طائفة منفصلة عن الامة اليهودية · وكان في اورشليم عدد كثير من هذه المعابد الخاصة باليهود اليونانيين · وفيها وجد المسيح طريقاً ممهدة لوعظه وتعليمه · لان هؤلاء اليهود كانوا اقل تمسكاً بتقاليدهم من اليهود الاصليين

لغة المسيح والمسيحيين الاولين

فكل النواة الاصلية التي اجتمعت الطائفة المسيحية حولها بعد ذلك انما كانت مؤلفة من اليهود دون سواهم · وكانت لغتهم اللغة الارامية التي كانت لغة المسيح ايضاً · ولكن لم تمر سنتان او ثلاث على صلب المسيح حتى اخذت اللغة اليونانية تظهر في الطائفة كما رايت شيئاً فشيئاً الى ان يجيء ذلك اليوم الذي تصير فيه اللغة اليونانية اللغة الغالبة فيها · وكان لبطرس و يوحنا و يعقوب و يهوذا صلات يومية مع ابناء الطائفة اليونانيين ولذلك لزم ان يتعلموا منهم هذه اللغة بالتدريج ليتفاهموا بها · وقد حدث حادث سنشير اليه في ما يلي فادى الى شيء من الانقسام في الطائفة بشان اختلاف اللغة وهذا يدلّ على ان الصلات بين الفريقين لم تكن دائماً على غاية ما يُرام · وسنرى بعد خراب اورشليم ان « العبرانيين »

اي المسيحيين الذين يتكلمون العبرانية ينفصلون عن الكنيسة ويذهبون الى ما وراء نهر الاردن على اعالي بحيرة طبرية ويؤلفون هنالك طائفة منفردة . ولكن قبل هذين الحادثين لا دليل على انه حدث في الطائفة شقاق او انقسام بشان اللغة . فان الشرقيين مشهورون بسرعة تعلم اللغات . وربما تكلم الواحد منهم في المدن بلغتين او ثلاث . ولذلك نرى من المحتمل ان يكون الرسل الذين كان لهم تاثير ونشاط في الدعوة قد تلقوا اللغة اليونانية من علاقاتهم اليومية مع ابناء طائفتهم من اليونانيين . حتى اذا كثر عدد هؤلاء وصاروا الاكثرية في الطائفة عدل الرسل عن اللغة السريانية الكلدانية الى اللغة اليونانية . خصوصاً لانهم كانوا يفكرون في نشر دعوتهم في اقطار الارض . وذلك لا يتم الا باللغة اليونانية . لان هذه اللغة كانت يومئذ اللغة العامة في شواطىء البحر المتوسط الشرقية ولغة جميع اليهود المنتشرين في الامبراطورية الرومانية . وكان اليهود مشهورين يومئذ بسرعة تعلم اللغات التي يحتاجون اليها كما هم مشهورون به اليوم ايضاً . ولم يكونوا يعبأون بتنقية تلك اللغة او تصحيحها اذ المقصود التفاهم بها فقط ولذلك كانت اللغة اليونانية التي استعملتها المسيحية لغة ضعيفة

المنضمون اكثرهم من اليونانيين

ولما كثر المنضمون الى الطائفة الجديدة كان اكثرهم من اليهود اليونانيين . لان اليهود الاصليين وخصوصاً سكان اورشليم كانوا لا يميلون الى مذهب جديد وارد من الاقاليم (الناصرة) وكانت منزلة الطائفة الجديدة من التقاليد اليهودية في بدء الامر منزلة مبهمة كما كانت منزلة السيد المسيح منها . ولكن مع ذلك لم يكن لرجال الطائفة من العلاقة بتلك التقاليد الا من حيث ظاهر الامور وخارجها . فان التقاليد اليهودية مصدرها التلمود واما الطائفة المسيحية فمصدرها خارج عنه . ولذلك كان الاقبال عليها محصوراً على الاكثر في اليهود اليونانيين . فكأن هؤلاء اليونانيين الذين كانوا في اورشليم بين احط شأناً من العبرانيين الاصليين رأوا في انضمامهم الى الطائفة الجديدة ضرباً من ضروب الاخذ بالثأر من العبرانيين الذين كانوا يترفعون عنهم . وما برحت الاحزاب الضعيفة التي هي في اول نشأتها اكثر الاحزاب تركاً للتقاليد وميلاً للشيء الجديد . لانها لا تخسر شيئاً فيه

وكان هؤلاء اليهود اليونانيون ممتازين بالبساطة والجهل مع الايمان . اما اليهود

العبرانيون فان الصدوقيين منهم كانوا من المشككين والمرتابين في مذهبهم والفريسيون كانوا شديدين فيه لا يغفلون عن شيء منه . ولذلك ايضاً قلَّ المنضمون الى الطائفة من هؤلاء (العبرانيين) وكثر من اولئك (اليونانيين) هذا فضلاً عن ان اليونانيين كانوا لا يشاركون العبرانيين في الخيرات والاموال التي كانت تنهال على الهيكل وعلى رجاله . ومن اجل هذا كانت حالتهم الاقتصادية ضعيفة جدّاً . وهنا نصل الى موضوع خطير في المسيحية وهو « الاشتراكية » وسيظهر في ما يلي ان هذه هي الدعامة القوية التي بنت عليها الطائفة مستقبلها ووطدت اساسها

احتياج الشرق الى القوى الادبية

مثال من مجلة

لصديق من اصدقاء الجامعة الكرام

ارجح ان الجامعة لابد لها من ان تردّ على مجلة المنار التي اخذت تفتري عليها باكاذيب ما انزل الله بها من سلطان . اما انا فلا ادخل في هذا الموضوع لئلا أُحسَب طفيليّاً ولكني اريد ان استنتج منه نتيجة يجب ذكرها . وهذه النتيجة هي ان الشرق مهما صرخ المتصدرون فيه ومهما عرّضوا دعواهم وكبروا مزاعمهم فانه لا يزال يحتاج الى القوى الادبية الحقيقية و ينتظر اهلها

وامثلة ذلك في هذه المناظرة كثيرة لا يجب ان تمرّ دون تقييدها . واليك بعض منها .

اولاً — ان مجلة كالجامعة تنفق حياة منشئها في الليل والنهار على استخراج المسائل ونشرها . وهي تنشر ما تنشره بقطع النظر عن رضى الاحزاب او سخطها لانها تطلب الحقيقة المجرّدة . فما دامت تنشر الحقائق عن الحزب الازرق مثلاً فان زيداً و بكراً من الحزب الاحمر يكونان راضيين مسرورين . و يكتب زيد في مجلة يقول عنها : هكذا تكون الكتابة والا فلا . ويكون زيد يعمل في قومه ما تعمله الجامعة في قومها . ولكن اول ما يخطر للجامعة نشر شيء من الحقائق التي يدعو اليها زيد في مجلته يغتنم زيد هذه الفرصة ليجعل نفسه في منزلة المدافع عن قومه ويرمي رفيقته وصبفته باقبح التهم ترويجاً

لبضاعته . فبعد ذلك هل يكون لدى زيد شيء من القوى الادبية

ثانياً — المنار مثلاً لا تروقه اعمال محمد علي باشا والجناب الخديوي وسماحة ابي الهدى افندي والعلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي واكابر علماء المسلمين في مصر فلا ينفك عن التطاول عليهم (على قصره) في اكثر اجزائه باساليب مختلفة . وحرية الصحافة في مصر تبيح له ذلك . ولكن اول ما تقوم مجلة كالجامعة لتكيل له بكيله رداً لافترائه عليها يصيح قائلاً : قاتل الله حرية الصحافة التي تجيز للمجلات ان تنشر ما تنشر . فهل هذا من القوى الادبية

ثالثاً — المنار يرد على الجامعة في موضوع فلسفي فترد الجامعة عليه وتحجه ببراهين قطعية تدل على صحة نقلها . فماذا يفعل المنار بعد ذلك . هل يعترف بخطاءه ؟ حاشا بل انه يندفع على رصيفته بالسباب والشتم كما يصنع اولاد الازقة . واذ يرى ان الشتم العلني والضمني لا يرويان غليله يعمد الى الكذب والتزوير . فيدعي ان الجامعة كتبت الى بعضهم تقول كذا وكذا بشأن الغزالي وغيره . وهي دعوى مختلقة من اصلها . فهل هذا الكذب والافتراء لنكاية رصيف يتطبقان على القوى الادبية

رابعاً — صاحب المنار مثلاً اذا وردته مجلة الهلال كان يأخذها و يقلب بضع صفحات فيها ثم يقول : والله لا ارى شيئاً في هذه المجلة يستحق عناء المطالعة . ثم يظهر استياءه من كتابة حضرة صاحب الهلال التاريخ الاسلامي . وحضرة صاحب الهلال اذا اخذ المنار في سنته الاولى كان يقول : المنار فارغ وما هو الا الفاظ مصفوفة بعضها وراء بعض . فلما اتفق المنار والهلال على ظهر الجامعة صار الهلال ينادي : ان المنار من اركان النهضة الاسلامية (زه زه) والمنار ينادي عن الهلال لانه لا يخرج في كتابته عن المألوف ولان الجامعة لا تقول في المنار ما قاله الهلال : ان الهلال كاتب منصف الخ الخ . — فهل هذه هي القوى الادبية .

خامساً — المنار مثلاً يزعم زعماً عن شيء نقلته الجامعة . فتورد الجامعة المصدر الذي نقلت عنه وتقول له راجع الكتاب كذا تاليف الفيلسوف رنان الصفحة كذا السطر كذا . فما هو اوّل همّ المنار بعد ذلك ؟ لا همّ له الا الصياح بان رنان رجل متعصب جاهل وقد جادله فلان فحجه وهو يطعن في الدين الاسلامي . ثم تستشهد على ذلك بعبارة تقول انه قالها — فرنان متعصب ؟ واضحكناه . ليتك يارنان تسمع هذ القول المضحك . ولكن تعصب رنان الذي كتبه في المسيحية مشهورة . وربما يقال انه يتعصب للعلم والفلسفة .

ولكن هذا خطأ ايضاً . لان هذا الرجل الذي لم تلد الامهات بعده ولا في عصره رجلاً يساويه كان رسول التساهل في كل شيء . والدليل على تساهله العظيم سخط مجلة المنار عليه وسخط المتعصبين من المسيحيين . فالطرفان يتشابهان دائماً . لذلك لا نستغرب ذلك الحكم من المنار . وانما استغربنا نسبة تلك العبارة اليه . وهذا يدل على ان المنار لا يأنف من استعمال سلاح الافتراء والتزوير . ففي اي كتاب قال رنان تلك العبارة . اذكر هذا الكتاب بحضرة الشيخ رشيد ودلنا عليها فيه وانا ادفع عشرة جنيهات لصندوق الجمعية الخيرية الاسلامية غرامة . لعلك تقول ان هذه العبارة وردت في كتابه « ابن رشد » — ولكن سامحك الله ألم ترَ انها منسوبة الى ابن رشد نفسه لا الى رنان . وما رنان في ذلك السطر الذي فيه اهانة للاسلام والمسيحية واليهودية معاً الا راوٍ ينقل اشاعة عن لسان هذا الفيلسوف . ثم كيف يمكن ان يعتقد رنان ذلك الاعتقاد وهو القائل في مقدمة كتابه تاريخ الرسل « انني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي « القديم » وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جراثيم تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة » وقد نقل المنار هذا القول بعينه عن الجامعة في احد اجزائه السابقة . فهل يكون من الذمة ان يُنسب الى قائله ما نسبه المنار اليه . واين تكون القوى الادبية التي هي اساس كل اصلاح اذا كنا نفتري مثل هذا الافتراء على كل من لا يعجبنا رأيه في بعض المسائل . ثم الا يكون المفتري هو الذي يهين المبادىء الدينية الكريمة لقوله عن رنان انه قال عنها كذا وكذا مع ان هذا الامر لا اصل له البتة وقد اثنى عليها رنان في عدة مواضع

سادساً — شابٌ لعب دوراً في بيروت في زمن واليها نصوحي ثم جاء مصراً واستخدم فيها في محل زراعي وقبل ذلك في محل آخر . . وبما انه معتاد على الاخذ والعطا دائماً فانه عاد الى عادته . فصار اذا جاء ادارة الجامعة يقول : لما كنتُ في بيروت كان صاحب المنار الشيخ رشيد الطرابلسي يقف على بابي ساعتين قبل ان آذن له بالدخول . ثم يقول عن المفتي كذا وكذا وكذا . ولما يقصد ادارة المنار يقول فيها عن الجامعة كذا وكذا . فيصدق صاحب المنار ذلك كما صدَّق قوله ان الجامعة كتبت اليه بمسالة الغزالي . وانا ادفع عشرة جنيهات ايضاً لمن يثبت ان الجامعة كتبت حرفاً بهذا الخصوص لايٍّ كان . ثم ان ذلك الشاب احياناً يُخرج تحارير من جيبه و يقول انها من عطوفتلو والي بيروت رشيد بك او دولتلو ناظم باشا وردت عليه منها . وهو يقصد بذلك ايهام اصحاب الجرائد بان له صلات خصوصية مع اناس كرام ينال بها كل ما

يريده . فينخدع بذلك كثيرون حتى اكبر الجرائد في مصر و ينشرون له ما يريدنشره. فيروح حينئذ مفتخراً بانه هو الذي نشر ذلك القول وهو الذي سحر بخلابته اكبر العقول واخضعها له. فهل يليق ان شخصاً كهذا الشخص يدخل بين المنار والجامعة و يلقي الفتنة بينهما دون ان تدريا بها والمنار يصدق كل اكاذيبه . هل يصح ان يكون هكذا تاثير شاب متقلب في الصحافة الجدية التي تخدم المصلحة العامة . وما هذه القوى الادبية التي يلعب فيها اصغر المتلاعبين

اجل ان القوى الادبية نادرة في الشرق من سوء حظه . وما دام المتصدرون فيه يفضلون المصالح على المبادىء ويكرهون سماع صوت الحقيقة اذا كانت مخالفة لمصالحهم وآرائهم ويحاربون صاحب ذلك الصوت حتى بالكذب والافتراء والتزوير فكل هذه الجلبة في الشرق تكون صيحة وضوضاء لا نهضة وارتقاء . لان كل ما يبنى على غير اساس فهو مهدوم. ولا سبيل للعقلاء حينئذ مهما كانوا ميالين للمسالمة الا محاربة المعتدين بسلاحهم طبقاً لسنة الحرص على البقاء

﴿ الجامعة ﴾ لولا ما في هذه الرسالة من الفكاهة والتفنن لضربنا صفحاً عنها . وقد استغر بنا اهتمام حضرات اصدقاء الجامعة ومراسليها الافاضل باقوال تحكي فقاقيع الماء ولذلك نعتذر عن نشر باقي الرسائل ونكتفي بشكر المراسلين الكرام خصوصاً حضرة المراسل الازهري . وليس الغرض في هذه المباحثة الا ايضاح المسائل الفلسفية المختصة بها وقد اوضحنا هذه المسائل في كتاب على حدة عنوانه « ابن رشد وفلسفته » واما باقي الصغائر التي تخللتها فنحن لما نعرفه من طيبة قلب رصيفنا صاحب المنار وسرعة تقلبه لانشك في انه قد ندم الآن على صدورها منه



المدنية الجديدة والمدنية القديمة

﴿ في الدولة العلية العثمانية ﴾

للدولة العلية العثمانية اربع بقع لا شبيه لها في العالم · البقعة الاولى الاستانة نفسها ببريها وبحريها · والبقعة الثانية الاناضول — تلك البلاد الواسعة الخصيبة التي لا يزال خصبها فيها والتي تاخذ الدولة منها اقوى جيش لها واصبره على متاعب الحرب وارضاه بالكفاف في مواقع القتال · والبقعة الثالثة سوريا بارضها الاورشليمية ولبنانها الشامخ وهوائها اللطيف · والرابعة ارض ما بين النهرين وهي اخصب ارض في الكرة الارضية

وكلامنا في هذا الفصل عن هذه الارض التي كانت وطناً لاقدم مدنية · قال المسيو ليفتي : ان اراضي ما بين النهرين وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يُصدق · فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك · وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة · فتكون غلة تلك الاراضي في كل سنة ١٢٠ مليون جنيه وهي ثروة لا تعادلها ثروة · و بما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العام فتلك الارض المهملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها مضاعف دخل الدولة اربع مرات · ولذلك كان من المقدَّم على كل شيء التفكير في احيائها

واذا كانت الفكرة العسكرية قد احلَّت مشروع سكة بغداد الحديدية في اسمى منزلة في ذهن جلالة السلطان فان هذه الفكرة المالية قد زادت ولا شك اهتمام جلالته بـه · ولذلك لا يُنتظر سقوط هذا المشروع في زوايا النسيان والاهمال مهما قام في سبيله من العثرات · ومتى تمَّ وظهرت آثاره العظيمة فان التاريخ يعدّه ولا شك انفع الاعمال والاصلاحات التي تمت في عهد جلالته · ولا يعود خزان اصوان ولا نيل مصر يُذكران بازائه

وليس المطلوب الآن من المدنية الجديدة الداخلة الى تلك البلاد البعيدة الا اعادة اعمال المدنية القديمة · فان آثار اقنية الماء والاحواض وطرق الري لا تزال ظاهرة في تلك البلاد · فاذا اعيدت كلها الى حالتها السابقة وامنت السبل وانهال الناس من جهات

الاناضول وسوريا لتعمير الارض هناك فان الدولة العثمانيه تصبح دولة من اقوى دول الارض واعظمها واغناها ولا يعود احد يخشى على مستقبلها . ولذلك يقول الالمانيون ان سكة بغداد الحديدية تحلّ المسالة الشرقية حلاً فيه مصلحة الدولة العثمانية

﴿ سكة الاناضول ﴾ وهذه السكة البغدادية التي ستقوم بهذه العظائم كلها ستكون تتمة لسكة الاناضول الالمانيه الموجودة الآن . وهي تبتدىء من شاطىء البوسفور الشرقي في الاستانه ممتدة على موازاة بحر مرمرا الى اشميد (نيكوميديا القديمة المشهورة بكنوزها النفيسة) ومن هناك تتجه نحو (اده بزار) على مسافه ٤٠ كيلو متراً من البحر الاسود فبلجوك فاسكي شهر حتى انقره وهي انسيريا القديمة المشهورة بتربية الماعز . ثم تنتهي الى قونيه . ومن قونيه يمتد منها فرع الى مدينة اضاليا المشهورة في التاريخ باسم « ايكونيوم » وقد اسست منذ نحو ثلاثة آلاف سنة . ولقد زرنا هذه المدينة منذ نحو عشر سنوات فسمعنا الناس فيها يشكون يومئذٍ من عدم وصول هذه السكة اليهم

وهذه السكة تمتد في وسط طبيعة من اجمل ما خلق الله . ومساحتها كلها ١٠٥٠ كيلومتراً . اما وارداتها فقد بلغت في عام ١٩٠٠ — ٣٣٤ مليون فرنك و٤٦٠ الفاً اي بزيادة ١٨٤ مليون فرنك عن العام السابق . ومن البوسفور الى انقره فقط نقلت في عام ١٩٠٠ مليون مسافر و١٢٥ الفاً و٩٥٢ . وبما ان الدولة قد اذنت بانشاء ميناء في حيدر باشا في الشاطىء الذي تبداء منه هذه السكة قرب الاستانة فلا ريب ان احوالها ستتحسن ايضاً

﴿ وصل الخطوط ﴾ ولكن كل تحسين في هذا الخط لا يجدي النفع المطلوب اذا لم تمد هذه السكة الى خارج الاناضول لتاخذ وتعطي في بلاد واسعة . وهذه الحالة هي حالة سكة آطنه ايضاً . فقد سافرنا منذ نحو عشر سنوات في هذه السكة من مرسين الى ترسيس فسمعنا من كل جانب الشكوى من ضعف احوالها لانها مقصورة على خط واحد محصور بين آطنه واسكلتها مرسين . فالمقصود الان وصل خط الاناضول في جهات قونيه بخط اطنه ثم ارساله من هناك الى جهات ما بين النهرين فيعم اسيا الصغرى كلها .

﴿ راسمال سكة بغداد وضماناتها ﴾ اما الراسمال اللازم لهذا المشروع فهو ٦٠٠ مليون فرنك منه للالمانيين ٦٠ في المائة وللفرنسويين والبلجيكيين ٤٠ في المائة . واذا رام بعض الدول الاخرى الاشتراك فيه خُصص لها ١٠ في المائة من مجموعه . وتوءخذ هذه العشرة في

المائة على هذه النسبة : ٦٠ من رأسمال الالمان و٤٠ من رأسمال الفرنسويين والبلجيكيين

وبموجب الاتفاق بين الشركة والباب العالي تدفع الدولة سنوياً لهذه الشركة ١٦٥٠٠ فرنك عن كل كيلومتر منها . وبما ان طول الخط الجديد ٢٥٠٠ كيلومتر فان الباب العالي يدفع ٤٠ مليون فرنك في كل عام ضمانة لفائدة رأسمال الشركة . ولا ريب ان كل ذلك امر هين اذا كان يُرجى من السكة الفوائد العظيمة التي تقدمت . ولكن الدولة لا تدفع هذه الضمانة كلها بل هي تدفع منها فقط ٢٥ مليون فرنك كل عام لانهم يقدرون ان دخل الكيلومتر الواحد بعد مده وقبل اتمام الخط كله لا ينقص عن ٥ او ٦ الاف فرنك . فيُطرح هذا الدخل من الضمانة التي ضمنتها الدولة للشركة

❋ طريق سكة بغداد ❋ اما طريق سكة بغداد فهي تبتدىء من قونيـة التي تقدم ذكرها فتتصل بالخط الوارد من الاستانة وازمير ثم تتجه نحو قفار اسيا الصغرى فتقطعها وتجتاز جبال طورس قرب كولك بوغاز التي كانت في التاريخ القديم مرفأً من اشهر المرافىء . ومن هناك تمتد في شاطىء خصيب حتى مرسين وادنه . ثم تُساق في شمالي سوريا قاصدة عينتاب وحلب ومنها الى قرقيش القديمة (دشرابلس اليوم) على الفرات . فتجتاز هذا النهر المشهور على جسر كبير مسوقة نحو حران فالموصل . ومن الموصل تمتد على شاطىء الدجلة الايمن حتى تنتهي الى بغداد عاصمة السلطنة العباسية المشهورة . ومن هناك يمتد فرع منها الى حدود ايران ليكون انبوباً يمتص تجارتها وحاصلاتها . وعند بغداد يُترك نهر الدجلة جانباً ويُمدُّ الخط في اخصر طريق نحو خليج العجم كالكويت مثلاً التي ثار الخلاف المعلوم بشأنها . ولو كان نهر شاة العرب المؤلف من اجتماع نهري الفرات والدجلة عند البصرة يحمل السفن الكبيرة اذا عزرت عبابه لاكتفي بمده الى البصرة ولم يوصل الى شاطىء البحر .

هذا ما رأينا ذكره عن هذه السكة العظيمة التي ستكون من عجائب الدنيا بعد اتمامها . فعسى ان لا يحول شيء دونه

كل طالب للاشتراك لا يدفع قيمة الاشتراك مقدماً
لا تُرسل له المجلة

آثار الشرق القديمة

مدير الآثار المصرية السابق

﴿ في بلاد الفرس ﴾

ذكرنا في فصل في هذا الجزء ما سيكون لسكة بغداد الحديدية من الفوائد الجزيلة . وفي هذا الباب نذكر لها فائدة كبرى وهي تسهيل استخراج الآثار الشرقية من مواطنها وخدمة علم الآثار بها خدمة جليلة . لان تلك البقعة الواسعة كانت مواطن مدنيات مختلفة لم ينجل تاريخها بعد الجلاء تاماً . منها الاشوريون والحثيون والكلدان والماديون وغيرهم . فاذا استتب الامن هناك وامكن الحافرون ان يحفروا كما يشاؤون اخرجوا من الآثار من بطن الارض للتاريخ كنوزاً ثمينة

وحسبنا للدلالة على مبلغ العناء الذي يعانيه علماء الآثار في كشف الآثار الشرقية ان نذكر ما جرى للمسيو دي مورغان في بلاد فارس . وقبل ذلك نذكر شيئاً عن الرجل نفسه

كان المسيو دي مورغان مديراً للآثار المصرية بين سنة ١٨٩١ و١٨٩٧ وكان مشهوراً في مصر شهرة المسيو ماسبيرو اليوم فيها . وهو الذي اكتشف الكنوز الثمينة في دهشور . ففي ذات يوم بعث اليه وزير خارجية فرنسا يسأله عن الطريقة التي يمكن بها الاستفادة من المعاهدة المعقودة في سنة ١٨٩٤ بين فرنسا وحكومة الفرس بشأن استخراج الآثار من بلادها . فرضي المسيو دي مورغان ان يتولى هذا الاستخراج خصوصاً لانه كان قد زار بلاد الفرس بين سنة ٨٩ و٩١ . فاصطحب الاب شيل العالم باللغات القديمة المندثرة وبعض الاعوان وسافر الى السوس في بلاد الفرس ليحفر في آثارها العظيمة . والسوس هذه كانت عاصمة ملوك الاشيبين وهم الملوك الفرس الذين حكموا فارس بين زمن قورش وداريوس . وقد روى سترابون ان بانيها هو تيثون بن ممنون . وفيها اقترن اسكندر المكدوني الكبير بستاتيره ابنة داريوس

وكان غرض المسيو دي مورغان من الحفر في السوس اكتشاف آثار ممالك فارس القديمة وآثار

المملكة العيلامية القديمة التي قامت فيها . فاستخدم لذلك من ٦٠٠ الى ١٢٠٠ عامل من اهالي الفرس وكان يدفع للواحد منهم نصف فرنك في كل يوم اجرة له (؟؟) . وقد بعث اليه جلالة الشاه ضابطاً ومعه ١٥ جندي لحماية البعثة من اعتداء المعتدين . فاقاموا متاريس وحصناً كبيراً على آكام السوس التي كانوا يحفرون فيها ليتمكنوا من دفع مهاجميهم اذا هاجمهم احد . وفي ذلك قال المسيو دي مورغان لاحد محدثيه ان السوس لم ترَ منذ ايام الاشمونيين حركة كالحركة التي احدثناها فيها . ولكن هذه الحركة والعمل كانا سبباً في شيوع الاشاعات الكثيرة بين بسطاء الناس . فنهم من قال ان تلك الاعمال هي تمهيد لفتح البلاد الفارسية والاستيلاء عليها . ومنهم من قال بل ان الاجانب يسحرون الارض و يستخرجون الكنوز منها . ولذلك اجتمع كثير ممن لا عمل لهم ومن البدو وجاؤا يطلبون من المسيو دي مورغان مشاركتهم في الكنوز اذا كان نبش كنوزاً والرضى بمساعدته في فتح البلاد اذا رام فتحاً . فاستخدم مورغان بعضهم ورد كثيرين فاجتمع هؤلاء حول الحصن وحصروه واقامو على حصاربته ومناوشته مدة شهرين ونصف . ولم يعودوا عن الحصن حتى بلغهم ان الشاه ارسل جيشاً لحاربتهم وانقاذ البعثة

فمن ذلك يظهر ما يعانيه الحافرون اليوم في الآثار الشرقية من التعب في الحفر . اما الآثار التي استخرجها المسيو مورغان من السوس فقد ذكرنا في الجزء السابع انها آثار المملكة العلامية وشرائعها . منها آثار من زمن ابرهيم الخليل . والعيلاميون تسلسلوا من عيلام وهو الابن الخامس لسام

مشاهدة دوران الارض

كثيرون يقولون انهم لا يصدقون ان الارض تدور في الفضاء ونحن والقنون عليها الا اذا شاهدوا ذلك باعينهم . وهذه المشاهدة صارت ممكنة في باريز فان الحكومة الفرنسوية نصبت في البانثيون رقاص فوكو المشهور الذي يريك دورة الارض على نفسها . وطريقة ذلك ان هذا الرقاص البالغ من الطول مبلغاً عظيماً يدفع ليخطر كما يخطر رقاص الساعة . فيسير من النقطة التي كان فيها يميناً وشمالاً . فاحفظ هذه النقطة في ذهنك لانها اساس التجربة . و بعد بضع ساعات اوقف الرقاص عن المسير فتجد ان النقطة التي يقف فيها بعيدة عن النقطة الاولى مع ان الرقاص لم يتنقل ولم يغير مركزه . ولا ريب ان الرقاص لم يغير مركزه لان الارض هي التي دارت على نفسها في اثناء ذلك وغيرت مركزه منها

باب التقريظ والانتقاد

﴿ الحياة التناسلية ﴾

لحضرة الدكتور سعيد افندي ابي جمره

نشر حضرة الدكتور سعيد افندي ابي جمره في سان باولو (البرازيل) كتاباً بهذا العنوان وهو يتضمن ابحاثاً طبية من اختصاص الاطباء البحث فيها . ولكن اذا كان من اختصاص الاطباء البحث في ابحاث كتلك الابحاث فليس من اختصاصهم في راينا القول بان مواضيع ذلك الكتاب مما يجب على « محبي الحقائق » الاطلاع عليه في « عصر استنار اهله بنور العلم الصحيح وما عاد الخجل السطحي والحشمة والحياء الكاذبان تلاقي محلاً في قلوب المطالعين » فان هذا القول يدل على ان جناب المؤلف يوجب على القراء مطالعة كتابه ليستفيدوا منه دون ان يخصص بذلك فريقاً دون فريق . وعندنا ان هذا الاطلاق لا يجوز . لان الذين يستفيدون من الابحاث التي بسطها حضرته في كتابه هم الذين في غنى عنه لانهم تعلموا بالفعل كل ما يعلمهم اياه الكتاب بالقول . اما الذين كان حظهم الجهل بتلك الامور — والجهل هنا نعمة ومناة وفضيلة — فان قراءة كتاب كهذا الكتاب تفسد اخلاقهم بدلاً من ان تصلحها . وما الفائدة من اصلاح البدن وحفظ صحته اذا كان يجب ان نضحي في هذا السبيل صحة الادب والنفس . ونحن ممن يقولون ان صحة النفوس مفضلة الف مرة على صحة الابدان

فنحن اذاً نعتقد ان حضرة الدكتور الفاضل لم ينفع قراءه بهذا الكتاب بقدر ما اضرهم اذا كانوا من حسني التربية والاخلاق . واما اذا كانوا ممن ملكتهم الشهوات والرذائل فالنفع محتمل

ولو ان حضرة الدكتور الفاضل لم يناد في مقدمة كتابه بما نادى به وفرق بين قرائه هذه التفرقة لما كان لاحد ان يلومه . واذا كنا قد لمنا حضرته على خوضه غمار بحث لم يخضه قبله احد عندنا من الكتاب الذين يحترمون هذا الامر فذلك لا يمنع من الثناء على فضله واجتهاده لانه تعب في كتابه تعباً ظاهرة آثاره فيه . ونحن نرجو ان

يعتقد معنا بان حرية الفكر والكتابة مباحة من كل وجوهها الا في ما يختص بالفضيلة والعفاف في الارض . فان هذه هي العبودية الوحيدة التي نحبها ولا نحب مسها بشيء من الاشياء . وهي الراسمال الوحيد للنفوس اللطيفة الحساسة التي لا ترى في شهوات الارض وخيراتها ومزاحماتها شيئاً يروي ظماها الى ما وراء هذه الاباطيل

﴿ اشهر مشاهير الاسلام ﴾

تاليف حضرة عزتلو رفيق بك عظم

صدر الجزء الثاني من كتاب اشهر مشاهير الاسلام لحضرة مؤلفه المؤرخ الفاضل عزتلو رفيق بك عظم الذي انقطع الى درس تاريخ العرب ونشره . وفي هذا الجزء سيرة رجل الاسلام ونابغة العرب الامام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واخلاقه وصفاته والفتوحات العظيمة التي تمت على يده في الشام وفارس وما يتبع ذلك من الكلام عن تاريخ البلاد المفتوحة واخبار فتحها . وهذه هي المرة الاولى التي يكتب فيها هذا التاريخ الجليل باسلوب يجلو كل مسائله و يجعلها ماثلة للذهن . وقد طلب حضرة المؤلف في ذيل كتابه من المجلات والجرائد ان تنظر في كتابه نظر انتقاد دون ان تكتفي بالثناء الاعتيادي . ولقد احسن حضرته بذلك لانه دل به على فضله وحبه للحقائق . ولكن الصحافة معذورة في رأينا اذا اكتفت احياناً بالثناء لاسباب ليس هنا محلها

ولقد وضعنا هذا الكتاب جانباً على مائدتنا في غرفة النوم لنطالعه في ساعات الفراغ بالامعان واللذة اللذين يليقان به . وكفى بذلك ثناء على همة حضرة مؤلفه الفاضل



﴿ المحيط ﴾

لمنشيها حضرة عوض افندي واصف

نشر حضرة الكاتب الفاضل عوض افندي واصف مثالاً لمجلة علمية تاريخية صحية ادبية فكاهية سيصدرها في العام الجديد . وفيها عدة ابواب للمقالات والمدارس وطلاب العلم وصحة الابدان والعلم والدين والجنس اللطيف والزراعة والتجارة والصناعة ودوائر الاستخدام والاقتراحات والمخاطبات الشخصية والاسئلة العمومية واجوبتها والتقريظ والانتقاد والمتفرقات وعالم الصحافة والتاريخ اليومي والروايات وغيرها من الابواب المفيدة . وحضرته ممن مارسوا صناعة القلم عدة سنوات في جريدة مصر الفتاة وله فيها مقالات رقيقة . فلا شك في ان مجلته تلاقي الاقبال الذي تستحقه لانه تفنن بها تفنناً جديداً يدل على سلامة ذوقه ولطف اساليبه . فنرحب بالرصيفة الجديدة

﴿ نبذة في الثورة الفرنسوية ﴾ وضع هذه النبذة جناب الكاتب امين افندي فارس ريحاني واهداها الى صديقه جناب الرصيف نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى . وقد كتبها حضرته بعد مطالعته تاريخ كارليل في هذه الثورة وودّ لو يطالعها كل القراء . ولم نتمكن من مطالعة هذه النبذة لنرى اذا كان حضرة كاتبها قد التزم فيها الاعتدال والانصاف الواجبين على كاتب حركة كتلك الحركة التي قلبت وجه الارض . لاننا نعتقد انه اذا كان للثورة الفرنسوية حسنات فلها ايضاً سيئات يجب على المؤرخ المنصف ان لا يضرب صفحاً عنها

﴿ السلام ﴾ السلام جريدة سياسية ادبية تجارية لمنشئيها حضرات وديع افندي شمعون وبولس افندي نحاس وقد صدرت حديثاً في بونيس ايرس . فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو ان تشارك رصيفاتها في اميركا في الخدمة العمومية النافعة لابناء البلاد

﴿ الرموز ﴾ الرموز جريدة نصف شهرية تصويرية هزلية تصدر في سان باولو لمديرها جناب رشيد افندي خوري وفيها رسوم ظريفة منها رسم في العدد الثاني يمثل الاسباب التي تمنع السوريين من العودة الى بلادهم مع انهم لم يهاجروا الى اميركا الا موقتاً . فعسى ان يستمر تحسين الرموز لتضاهي الجرائد الافرنجية الهزلية

﴿ ديوان محمود الشاعر ﴾ نشر جناب محمود افندي الشاعر الجزء الاول من ديوانه وقد صدره بهذه الكلمة اللطيفة « الكتب قلوب الناس في ايدي الناس » وهو يُطلب من جناب ناظمه في الاسكندرية . وكل من يعرف اجتهاد حضرته وانصبابه على النظم يرجو ان يكون الجزء الثاني من ديوانه احسن من الجزء الاول

﴿ روايات مسامرات الشعب ﴾ اهدتنا ادارة مطبعة الشعب نسخاً من روايات صغيرة تصدرها مرتين في الشهر وتبيعها لمحبي مطالعة الروايات بثمن يسير وهو غرش صاغ الرواية الواحدة . فنشكر لها هديتها

﴿ الروايات اليعقوبية ﴾ نشر حضرة يعقوب افندي متى منصور الميناوي الرواية الاولى من رواياته اليعقوبية وعنوانها شرك الهوى فنرجو له التقدم في صناعة القلم

﴿ النخبة ﴾ النخبة ديوان لجناب الشاعر رشيد افندي معوبع اللبناني وهو يحتوي على وصف ومدح وغزل وقد اهدانا نسخة منه فنشكر له هديته

﴿ التربية ﴾ هي خطاب صغير لجناب قسطندي افندي يعقوب موضوعه التربية العائلية والمدرسية والجسدية وغيرها فنشكر له اهتمامه بهذا الموضوع المفيد

﴿ التمرينات الحسابية العربية ﴾ اهدانا حضرات ابرهيم افندي زكي واحمد افندي برهومه المدرسين في مدرسة التوفيق بالفيوم الرسالة الاولى التي وضعاها في التمرينات الحسابية والعربية فنثني على اجتهادهما

باب الاخبار العلميّة

﴿ الاسلاك الكهربائية في مصر ﴾ حدث في ليفربول منذ مدة ما يحدث في مصر من قتل الناس بسقوط الاسلاك الكهربائية عليهم فنشرت الحكومة منشوراً على موازاة خطوط الترمواي اوصت فيه الناس بان لا يقبضوا على سلك الترامواي حين سقوطه على الارض ولا يمسوه بل ان يزيلوه من طريقهم بقضيب . فكتب احد علماء الكهربائية يقول ان هذا الامر لا يكفي فان السلك قد يلتف على جواد او انسان فيجب اغاثته . وطريقة ذلك ان تاخذ منديلاً جافاً كل الجفاف وتلفه على يدك ثم تقبض به على السلك فلا يوءذيك لان النسيج الجاف لا يوصل الكهربائية . وحينئذ يمكنك تخليص الحيوان او الانسان من اطواق السلك . وبعد ذلك اذا رمت ابطال فعله فالقِ السلك حتى تضعه على خط الترمواي الحديدي الممدود في الارض فتبطل كهربائية السلك ما دام لاصقاً بهذا الخط وحينئذ يُمس بلا ضرر

﴿ استعداد الغربي واستعداد الشرقي ﴾ وجد امير موناكو في مغاور قرب منتون اربعة هياكل بشرية قديمة وقد قال عنها المسيو كودري في بلاغ للمجمع العلمي في باريز ان فحص جماجمها دلَّ على ان هيئتها من جانب الذقن شبيهة بهيئة الزنوج . ويؤيد هذا الراي ان اذرعها كاذرع الزنوج اي انها اطول بكثير من اذرع البيض . ولذلك قالوا ان سكان اوربا الاصليين لا يمكنهم ان يفتخروا كثيرًا على سكان افريقيا اليوم . ولعل الشرقيين يعدلون بعد هذا عن القول كما فعل احدهم : ان نجاحه دليل على استعداد الشرقي . فان الشرقيين والغربيين ان لم يكونوا من اب واحد وام واحدة فهم جميعاً من طين واحد . وانما يتفاضلون بتربيتهم واحوالهم الاجتماعية والطبيعية

﴿ ايجاد الحياة بالكيمياء ﴾ في الشهر الماضي عُرضت على مجمع العلوم في باريز تجارب مهمة لاحد اعضائه بشان توليد الفراخ من البيض من غير لقاح ديك ولا حضانة دجاجة . وقد استطاع صاحب التجارب ان يولد من البيض المذكورة فراخاً تعيش اربعين يوماً ثم تموت لضعفها . فعجب العلماء من هذا التجارب وفسرها بعضهم بقوله ان السبب في تولد الفرخ من البيضة بغير لقاح ذكر ان البيضة نفسها يكون فيها احياناً جرثومة الانثى وجرثومة الذكر معاً فالعوامل الكيماوية انما تؤثر فيها وتحرك الحياة الكامنة في جرثومتيهما فهي اذاً مساعدة لا موجدة . ولا يزالون يوالون التجارب في هذه المسالة المهمة

﴿ حيوانات اعداء الكتب ﴾ اجتمع منذ مدة مؤتمر من العلماء لمحاربة الميكروبات والحيوانات الصغيرة التي تعبث بالكتب في المكاتب وتفنيها مع مرور الايام . وبعد البحث الطويل وجدوا من هذه الميكروبات انواعاً كثيرة يتعذر مقاومتها فعادت عنها وفي نفسها منها غصة لان هذه الحيوانات الصغيرة تهدم في ٥٠ سنة مثلاً ما تبنيه تلك العقول الكبيرة

﴿ تكبير بيض الدجاج ﴾ ابلغ المسيو هوساي المجمع العلمي في باريز انه جرب تغذية الدجاج باللحم فجاء بيضها اثقل من البيض الاعتيادي ثلاثة غرامات للبيضة الواحدة

﴿ اشعة رنتجن تكهرب الماء ﴾ اثبت المسيو كوري بتجاربه ان اشعة رنتجن والراديوم من خاصياتها انها تجعل المواد السائلة موصلاً كهربائياً اي قابلة لنقل الكهرباء . وهي تفعل هذا الفعل في الهواء ايضاً

﴿ احد اسباب ضعف البقر ﴾ اكتشف المسيو كيلر ان سبب ضعف بقر الترنسفال نوع من الميكروب يكون في دمها و بسبب افتقارها الى الدم . وقد اكتشف ميكروباً كهذا الميكروب في دم الانسان ولكنه اكبر منه

﴿ قطعة اناء مصري ﴾ حلل المسيو برتلو قطعة من اناء مصري وُجد في احد المدافن المصرية من عهد الاسرة الرابعة اي منذ ستة الاف سنة فوجد انه مركب من الرمل واوكسيد الرصاص وكلوريد الصوديوم

فريسة الاسد وهي تابعة لوثبة الاسد



او

تاريخ الثورة الفرنسوية

تأليف

اسكندر ديماس الكبير

ملخصة بقلم

فرح انطون

منشىء مجلة « الجامعة » في الاسكندرية

تتضمن في الحاشية تراجم بعض مشاهير الرجال الذين يرد ذكرهم
في سياق الكلام مع رسومهم

ثمن النسخة الواحدة عشرة غروش صاغ وتطلب من
ادارة مجلة الجامعة

الاسكندرية في ١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢

الموضوع

هذه الرواية ثلاثة اقسام . القسم الاول سميناه « نهضة الاسد » وهو جزءان وقد اردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى الى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتهم . والقسم الثاني « وثبة الاسد » وهو جزء واحد وقد اردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لما لم يُجدِ اللين والمسالمة نفعاً . والقسم الثالث « فريسة الاسد » وهو جزء واحد ايضاً وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانت قرينته وجميع النبلاء ومشاهير الرجال الذين حضروها

فهذه الاجزاء الاربعة اذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى من اولها الى آخرها . ففيها ذكر اسباب الثورة وحوادثها واحدة واحدة وتاريخ رجالها العظام ورسومهم وتفصيل اعمالهم وغرائب نبوآت كاليوسترو الخيالية وعجائب التنويم المغنطيسي الذي كان يومئذ في بدء امره وتاثير الجمعيات السرية في فرنسا في ذلك الزمان ولاسيما الجمعية الماسونية وعشق الملكة وسط مشاغلها السياسية ثم فوز الشعب ومحاكمة الملك واعدامه ثم اعدام الملكة وما تخلل ذلك من الاضطرابات السياسية . وهذا كله ممزوج بحوادث غريبة وفكاهات في منتهى اللذة فيقرأ القارئ تاريخ الثورة الفرنسوية — التي غيرت وجه العالم — وهو يحسب نفسه انه يقرأ قصة بسيطة

ومما لا يحتاج الى بيان ان هذا التاريخ هو اول تاريخ عن الثورة الفرنسوية يُنشر في اللغة العربية

الفصل الاول

﴿ كشف الستار عن احد المشروعين ﴾

تركنا الملك في الجزء الماضي يفتكر باعداد سبيل الفرار له ولعائلته على يد الجنرال دي بوليه . والملكة تعد سبيل الفرار على يد « مونسيو » شقيق الملك والمركيز دي ففراس عامله . وتركنا كاليوسترو الرجل الهائل في دار قائمة في حي الجويفري عند المسيو بوزير ومدام اوليفا وقد صعد الى منزلها وراءه غلام لها بعد ان اعطاه قطعة من الذهب . ووعدنا بتفصيل السبب الذي حمل كاليوسترو على قصد هذه الدار وانجازاً للوعد نقول

بعد ان دخل كاليوسترو على بوزير ومدام اوليفا وسلم عليها صار يجول في المكان ليعرف حالة سكانه ثم وقف امام بوزير وسأله ضاحكاً ماذا تعمل الآن يامسيو دي بوزير فقال دي بوزير . انني اكتب . فقال كاليوسترو هل فرغت من حسابك . فقال الرجل مبهوتاً ومن قال لك انني احسب . فضحك كاليوسترو وقال انك تحسب حساباً مؤدياً الى المشنقة

فوثبت امرأة بوزير وارتجف بوزير نفسه . فصاحت به امرأته ما هذا الحساب . ما هذا الحساب . فقال كاليوسترو وهو يضحك لا تسأليه يا مدام اوليفا فانه لا يوقف احداً على الحساب الذي يحسبه . ولكن انا اوقفك عليه . ان مونسيو شقيق الملك يدبر الآن مؤامرة لتهريب الملك من باريز

فاجفل بوزير عند هذا الكلام وصار لونه شاحباً . اما كاليوسترو فانه اردف بقوله .

وزوجك المسيو دي بوزبرهو من المشتركين بهذه المؤامرة . ولكن اشتراكه فيها وا اسفاه سيجعلك ارملة ويجعل ابنتك يتيمة

فاشتد غضب مدام دي بوزبر على زوجها فصاحت به اهذه هي التجارة التي قلت انك ستربح منها ملايين . فبقي بوزبر صامتاً . ثم انطلق لسانه وقال . فما هو غرض الكونت من قصده اياي اذا كان يقول انه عارف كل شيء

فضحك كاليوسترو وقال قصدي انقاذك ايها الرجل المسكين رفقاً بامراتك وولدك . واعلم انني مطلع على سرك وقادر ان ادفعك الى المشنقة بكلمة واحدة فهل تحب ذلك ام تحب مصافاتي واطلاعي في كل يوم على تفاصيل المؤامرة

فلم يجد بوزبر بدًّا من ذلك طمعاً بمال الكونت الذي يعرف سخاءه وفرارًا من التهمة والمشنقة فاتفق مع كاليوسترو على ان يطلعه الحين بعد الحين على جميع تفاصيل هذه المسالة . اما الآن فقد قصّ عليه الخطة التي وضعها مونسيو لخطف الملك . وهذا اجمالها . قال

لقد استدانوا مليوني فرنك من احد الماليين الكبار وعزموا على خطف الملك الى بيرونه فحصلوا بذلك على المال . بقي الرجال فحصلوا عليهم ايضاً لان الجنرال لافاييت اصدر امرًا بحشد جيش جديد لارساله الى البرابان (بلجيكا) التي ثار اهلها على النمسا وبين وذلك رغبة في مساعدة الثائرين فمتى تمّ حشد هذه الجنود تمكن الملك من استعمالهم . وفضلاً عن ذلك فانهم سيجمعون في فرساليا الفاً ومائتي فارس مدرب ويسوقونهم بالسر على باريز في الساعة الحادية عشرة مساء فيصلون اليها في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وينقسمون ثلاثة اقسام . قسماً يدخل من باب رول ويهجم لذبح المسيو بالي . وقسماً يدخل من باب شاليو ويهجم لقتل المسيو ناكار . وقسماً يدخل من باب غرنيل ويهجم لذبح المسيو لافاييت . ومتى ذُبح هؤلاء الرجال الثلاثة الذين هم اقطاب الثورة وعادها يهجم الجيش الجديد الذي حُشد لنصرة البرابان على قصر الملك ويستولي عليه في مدة قصيرة لما لنا من الجواسيس بين رجاله . ثم ان بعض اعوان الملك يدخلون عليه بسرعة ويقولون . مولاي مولاي ان الشعب ثائر ثورة عظيمة في حيّ سنت انطوان فيجب ان تفروا في الحال . فان رضي الملك بالفرار كان به والا اختطفته الجنود بالرغم عنه واخذته الى سن دنيس

فقال كاليوسترو وهو يحك اذنه حسن حسن فامض في حديثك . فقال بوزبر

فيلقى الملك في سان دنيس عشرين الف جندي تنتظره للانضمام الى جيش الفرسان

والى جنود البرابان فضلاً عن عشرين او ثلاثين الف جندي ملكي يمكن جمعهم على الطريق . ومن هناك ياخذون الملك باحتفال عظيم الى بيرونه

فقال كاليوسترو . وماذا يجدون في بيرونه . فقال بوزير يجدون عشرين الف جندي قادمين من فلاندرو بيكارديا وارتوى وشمبانيا و بورغونيا واللورين والالزاس والكبريزي . وفضلاً عن ذلك فانهم يساومون الآن على جيش بالغ عشرة الآف جندي من السويسريين و١٢ الفاً من الساردينيين فيبلغ بهم عدد الجيش الذي يكون مع الملك ١٥٠ الف جندي . فيهجمون حينئذ بهذا الجيش على باريز فيقطعون عنها ماء نهر السين من الجانبين فلا تلبث باريزان تسلم اليهم من الظماء والجوع فيدخل الملك ظافراً الى عاصمة ملكه ويحل الجمع الوطني و يجلس على عرش اجداده كملك حقيقي

فقال كاليوسترو متهكماً : آمين . ثم نهض وقال اظنك ياسيو دي بوزير ككثيرين من كبار الخطباء الذين متى قالوا كل ما في نفوسهم عجزوا عن ان يزيدوا عليه كلمة واحدة . فهل بقي شيء في نفسك . فقال بوزير كلا فان هذا كل ما عندي الآن فمد كاليوسترو يده الى جيبه واخرج منها عشر قطع من الذهب والقاها اليه كسلفة لا كاجرة لان الاجرة لا تستوفى الا بعد الفراغ من العمل . فتناول بوزير هذه السلفة وسال كاليوسترو اين اجدك متى احتجت اليك فقال كاليوسترو اطلب منزل البارون زانون فيدلوك عليّ فبهت بوزير وقال ان هذا البارون هو الذي اقرض « مونسيو » المليوني فرنك بواسطة المركيز فتراس فهل انت هو فقال كاليوسترو ضاحكاً نعم انا هو ولكني لا اذكر هذا الدين لكثرة الديون التي اعقدها

فعجب بوزير من رجل يدين مليوني فرنك ولا يذكر امرها . ثم فكر في نفسه فراى انه اصاب بتركه المستدين وانحيازه الى الدائن

و بعد ذلك خرج كاليوسترو من منزل بوزير وقد عرف كلما اراد معرفته

الفصل الثاني

﴿ الملك ومعلمه الحداد ﴾

مشروع الفرار الثاني

وبعد بضعة ايام قدم الى قصر الملك « المعلم كامين » الحداد الذي تقدم ذكره في احد الفصول السابقة . وكان يصحبه في هذه المرة فتى حسن المنظر ولكنه يلبس لباس خادم حداد

اما هذا الفتى فانه كان الكونت لويس دي بوليه المرسل من قبل ابيه المركيز دي بوليه لمحادثة الملك بشان فراره على ما تقدم في ختام الجزء الماضي

ولما دخل المعلم كامين على الملك احسن الملك استقباله وعهد اليه ان يتمّ عمل قفل كان قد شرع في صنعه وعجز عن اتمامه لصعوبة عمله. فرضي المعلم كامين بذلك بعد ثرثرة كثيرة حسب عادته ولكنه اشترط ان لا يقف احد على يديه ليعطيه ملاحظات فضحك الملك من هذا الشرط لاسيما وانه كان منطبقاً على رغائبه فخرج من معمل الحدادة الملكي وخرج معه الصانع الحداد فاختليا معاً في غرفة الملك

ولما استقر بهما المكان اخذا يبحثان في الامر الذي كان موضوعهما المهم فسأل الملك الشاب بوليه. ماذا قال والدك ايها الكونت عن المشروع الذي حادثه الكونت دي شارني عنه . فاجاب الشاب ان والدي يرى ان الامر في الامكان ولكنه صعب جداً . فقال الملك وما هي الطرق التي يختارها لانفاذ هذا المشروع فقال الشاب ان والدي اختار اربع طرق ولجلالتكم ان تختاروا واحدة منها. ثم ان الشاب ذكر للملك الطرق الثلاث الاولى. وهي (١) سفر الملك الى بيزانسون والشروع في حشد جيش هناك بمساعدة السويسريين (٢) السفر الى فالانسيين فيوافيه اليها المركيز دي بوليه مع جنوده (٣) الخروج من فرنسا في طريق اردن او فلاندر النمساوية ثم العودة الى فرنسا بجيش عظيم

فقال الملك اني ارفض هذه الطرق الثلاث . فان بيزانسون بعيدة واخشى ان يوقفوني في الطريق واما فالانسيين فان بالقرب منها قائداً ميالاً الى الديموقراطية كل الميل وهو المسيو روشمبو . واما الخروج من فرنسا فلا ارضى به ابداً لان الملك متى خرج من مملكته فقد لا يعود اليها. فما هي الطريقة الرابعة

فقال الشاب هي ان تسافر جلالتكم الى سيدان او مونمدي وتقيمون في احدى قلاعها

فتكونوا هنالك في وَسَط امين لان والدي صاحب الكلمة والقيادة في تلك الجهات

فقال الملك نعم وهذا هو الامر الذي كنت قد عولت عليه

فقال الشاب وهل عينتم جلالتكم الطريق التي عزمتم على سلوكها

فنظر الملك الى خريطة كانت على المائدة امامها وقال وهو يشير الى الخريطة نعم قد عزمت على السفر الى شالون عن طريق فارين من غيران اعرج على فردون · فقال الشاب الامر لجلالتكم

ولكن ما انتهى الملك والشاب الى هذا الموضع من الكلام حتى سمعا صوت اقدام على درج السلم فنهضا في الحال واتجها نحو الباب قبل دخول الداخل · ولما فتحا الباب وجدا المعلم كامين قادماً وهو يضحك فساله الملك هل اتممت عملك يامعلم كامين فقال كامين نعم قد اتممته وجئت لاخبر الملك بذلك فقال الملك هيا بنا اذاً نضع القفل في الخزانة التي صنعناه لها · اتبعني يامعلم كامين وانت يالويس ليكونت

وكان الملك ينادي الكونت لويس دي بوليه بهذا الاسم المقلوب « لويس ليكونت » لان كامين كان يحسب ذلك الفتى خادماً اعتيادياً

الفصل الثالث

﴿ رجل يتبع رجلاً كظله ﴾

وفي مساء هذا اليوم كان رجل لابساً لباس العملة يجول امام التويلري وينظر الى الداخلين والخارجين كأنه ينتظر احداً · ولما صارت الساعة الثالثة خرج من التويلري من طريق الجسر الدائر رجل بلباس العملة وسار الى الشمال في الطريق الواسعة التي توازي نهر السين والتي يسمونها اليوم كورلارين · فما وقع نظر الرجل الاول عليه حتى ظهر من منظر وجهه انه قد وجد ضالته فاخذ يتعقبه من بعيد دون ان يدنو منه

وكان الرجل الثاني يضع يده من حين الى حين على جيبه كمن يفتقد شيئاً ثميناً موضوعاً فيها

وبينما هو سائر في طريقه مرَّ بحانة فمال نحو الباب كأن نفسه حدثته بالدخول اليها ولكنه على ما يظهر تغلب على هواه فرجع عن الباب وسار في طريقه · ثم وصل الى حانة ثانية فعاد الى نفسه التنازع بين الرغبة في الخمرة والرغبة عنها فتغلب على نفسه هذه المرة ايضاً · ثم وصل الى الحانة الثالثة فتغلب على هواه امام بابها ايضاً وسار في طريقه

غير انَّ شدة المقاومة تضعف عزم الانسان ولذلك لم يعد ذلك الرجل قادرًا على التغلب على هواه بعد المرة الثالثة التي نفدت فيها كل قوته في المقاومة · ومن سوء حظه انه كان امامه بعد الحانة الثالثة حانات كثيرة يجب عليه المرور امام ابوابها · ومن اجل ذلك تغلبت رغبته في الخمرة على رغبته عنها فما وصل الى الحانة الرابعة حتى دخل اليها

ولما دخل الرجل الثاني الى الحانة تبعه الرجل الاول اليها وجلس بعيدًا عنه فيها · فطلب الرجل الاول زجاجة من الخمر فشربها ثم دفع ثمنها وراح في سبيله

فنهض حينئذٍ الرجل الاول وتبعه من بعيد

ولما وصل الرجل الثاني الى الحانة الخامسة دخل اليها ايضًا وشرب فيها كاسين ثم استانف السير · وهكذا في الحانة السادسة والسابعة والثامنة حتى وصل الى الحانة الاخيرة فشرب فيها كأسًا وابتاع زجاجة لتكون له رفيقة في الطريق ثم خرج منها والرجل الاول يتعقبه وهو انبع له من ظله

وما زال الرجل الثاني سائرًا حتى وصل الى احد ابواب باريز عند حاجز بامي فخرج منه الى طريق فرسايا فتبعه الرجل الاول اليها

وما سار الرجل الاول بضع خطوات في هذه الطريق حتى مدَّ يده الى الزجاجة ووضعها على فمه فشرب منها ثم سار في طريقه · وبعد بضع خطوات كرر هذا العمل فلم يبقَ في الزجاجة الا نصفها من الخمر فاخذت حينئذٍ حاملها هزة الطرب لان ما شربه من الخمر خفف روحه واثقل خطاه فصار يغني وهو سائر على مهل سيرًا غير مستقيم

فلما سمع الرجل الاول نشيد الرجل الثاني ارتاح اليه لانه علامة الامر الذي كان ينتظره

ثم انَّ الرجل الثاني رفع الزجاجة الى فمه وافرغ فيه ما بقي فيها وسار في طريقه · ولكنه لم يسر بضع خطوات حتى تحول نشيده الى هذيان وتهديد فصار يقول وهو يتمايل مترنحًا · «تبًا له ولها · آه · آه يسقونني خمرًا مغشوشة مع انني صديقهم القديم · فليجربوا مرة ثانية ويطلبوني لاصلاح الاقفال لخزائنهم · فانني سأقول له · رح ايها الملك وفتش عن غيري · آه آه لا ريب انهم سمموني»

ولما قال الرجل الاول هذا الكلام سقط على الارض خائر العزم دون ان يستطيع النهوض ثم غاب عن الحس وبقي ممددًا بين الوحول

وكأن الرجل الاول كان ينتظر هذا الامر · فانه ما تحقق ان الرجل الثاني قد سكن

وفقد الحس حتى اسرع اليه فوجده فاقد الوعي · واتفق حينئذٍ مرور مركبة هناك فنادى الرجل الاول سائقها وكلفه نقل رفيقه الى حانة بون دي سفر القريبة فنقلها السائق اليها

الفصل الرابع

﴿ انما الصدفة نتيجة السعي ﴾

ولما دخل الرجل الاول الى هذه الحانة ومعه الرجل الفاقد الوعي بادر صاحب الحانة الى مساعدته وهو رافع قبعته في يده اكراماً وتعظيماً لزائره لانه عرفه · ثم انام الرجل الفاقد الوعي على مقعد فجلس الرجل الاول بازائه واخذ من جيبه زجاجة صغيرة فيها روح النشادر ووضعها على انف الرجل الثاني فتحرك بعد بضع ثوانٍ واخذ يهذي كما كان يهذي اولاً · فكان يقول « آه قتلوني · سمموني · تباً للذين يسممون صديقهم »

فقال الرجل الاول لكن يحاول استجوابه في ذهوله : حقاً ان هذا امر فظيع

فقال الرجل الثاني ما اشد لؤمهم

فقال الرجل الاول : نعم ما اشد لؤمهم · غير اني من حسن الحظ كنت قريباً منك فانقذتك بان سقيتك دواء مقاوماً لفعل السم

فقال الرجل الثاني · نعم كان ذلك من حسن الحظ

فقال الرجل الاول ولكن بما ان جرعة واحدة غير كافية فتناول هذه الجرعة ايضاً

قال ذلك ثم صب خمس او ست نقط من زجاجة النشادر التي كانت معه في كاس وسقاه اياها

فشربها الرجل الثاني · ولكن الجرعة لم تستقر في جوفه حتى صرخ باعلى صوته · ياقاتل ماذا صنعت بي

فقال الرجل الاول · لا تخف ياصاحبي فقد سقيتك شراباً ينقذ حياتك

فقال الرجل الثاني اذا كان ما سقيتني ينقذ حياتي فقد احسنت ولكن لا تسمِّ ذلك شراباً

ثم ان الرجل الثاني نظر الى ما حوله ليعرف المكان فعرف من نظره اليه انه في حانة بون دي سفر فقال · اذن قد اجتزت نصف الطريق

فقال الرجل الاول ضاحكاً ولكن الفضل في ذلك عائد اليّ

فقال الرجل الثاني · وكيف ذلك · فقال الرجل الاول · كنت مارّاً في طريقي وراءك فما شعرت الا برجل ممدد على الطريق فانحنيت لاراك فعرفتك في الحال يامعلم كامين الشهير

فقال المعلم كامين · ومن اين عرفتني فقال الرجل الاول · انسيت صاحبك الذي عرفك في هذه الحانة نفسها يوم عودة الملك من فرساليا الى باريز

فتامل كامين في وجهه ثم قال عرفتك عرفتك · اما انت صانع الاسلحة · فقال الرجل الاول نعم · فقال كامين كمّل حديثك · فقال الرجل الاول الذي نسميه بعد الآن صانع الاسلحة · فلما رايتك ممدداً على الثرى التفت لارى مركبة فوجدت عربة نقل قادمة وهي مشحونة بالمواد الثقيلة · وكنت انت نائماً في طريقها فلو لم اكن هنالك لداستك عجلاتها وقتلتك لساعتك

فتنفس كامين الصعداء لهذا الكلام · اما صانع الاسلحة فقال · فخرجتُ بك عن الطريق وتركت عربة النقل تمرّ ثم ناديت مركبة كانت سائرة وقلت للسائق خذنا الى حانة بون دي سفر فقال السائق ومن رفيقك قلت ان رفيقي رجل مشهور فدنا منك وجسّ جيبك فوجد فيها قطعاً كثيرة من الذهب فقال لا استطيع نقله لان رائحة المشنقة تفوح من رجل يلبس هذه الملابس ويكون في جيبه قطع كثيرة من الذهب · فالظاهر ان هذا الكلام ساءك جداً فصحت بالسائق هل انا سارق فاجابك السائق لا ريب في انك سارق والا فكيف حصلت على هذا الذهب الكثير فصحتَ به قائلاً : ان تلميذي الملك اعطاني اياها فدنوت حينئذٍ من السائق وافهمته كل شيء فرضي بنقلك الى هنا

فقال المعلم كامين · والعجب انني لا اذكر ذلك · فضحك صانع الاسلحة وقال لا بدع ان تنسى كل ما قلته في غيبوبتك · ولكن لماذا وضعت في جيبك هذا القدر من الذهب الذي القى الشبهة عليك

فتنفس كامين الصعداء وقال هذا اجرة عملي · فقال صانع الاسلحة وماذا عملت حتى استحققت كل هذا المبلغ فانه يجب ان يكون العمل الذي عملته في غاية الصعوبة

فانطلق هنا لسان كامين الثرثار من طبعه فاخذ يقول

تسالني ماذا عملت · انني عملت عملاً لم يقدر الملك نفسه على عمله · فانه ابتدأ بصنع قفل في منتهى الصعوبة فما كاد يصل الى نصفه حتى وقف وتعذر عليه اتمامه فارسل

يطلبني لاتمامه · فذهبت اليه فوجدته في معمله والقفل بين يديه · فقال لي كيف حالك يا كامين وكيف انت فقلت له انني جئت لاصلح القفل لا ليسألني الملك عن حالي ومالي تدعوني وحدي لاتم عملي · فضحك الملك وخرج مع خادمه الحداد الى غرفته · فداخلني ريب من امر هذا الخادم لاني كنت ارى في يديه البيضاوين ووجهه المشرق ما يدلّ على ان حاله ارقى من حال خدمة الحدادين · فاسرعت في عمل القفل حتى اتممته واصلحت خلله · ثم انسبت كالافعى قاصدًا غرفة الملك لعلي اسمع في دخولي اليها شيئًا مما يحدث به ذلك الخادم

فازداد هنا انتباه الرجل الذي كان يسمع كامين فقال له وهل سمعتَ شيئًا

فقال كامين انني لم اسمع شيئًا من سوء الحظ لان خطاي كانت ثقيلة على السلم فسمعها الملك وقام في الحال مع الخادم الى الباب ففتحه وسألني ضاحكاً هل اتممت القفل يامعلم كامين · ولكني لما دخلت الى الغرفة رأيت على مائدة في وسطها خريطة فرنسا مبسوطة

فقال الرجل الذي كان يُصغي اليه وهل لم تلاحظ شيئًا من امر هذه الخريطة

فقال كامين لم الاحظ فيها شيئًا سوى ثلاثة صفوف من الدبابيس كانت مصفوفة وممتدة من وسط الخريطة الى اطرافها كأنها صفوف جنود سائرة نحو الحدود في طرق مختلفة

فقال الرجل مملقًا كامين · حقًا انك ذو نظر ثاقب لا يفوته شيء وهل تظن ان الملك وخادمه كانا يشتغلان بملاحظة هذه الخريطة

فاجاب كامين لا ريب في ذلك لان الملك لما فتح الباب وخرج اليَّ كان في يده دبوس منها وهو ينظف به اسنانه على غير انتباه

فقال الرجل مظهرًا العجب حقًا يا صديقي انني لو اكتشفت في صناعتي امرًا لما تركتك تدخل الى معملي لانك بلمحة واحدة تدرك اسراره ولكن ماذا صنعتَ بالقفل بعد اتمامه

فاجاب كامين وقد ارضاه اطناب رفيقه في الثناء عليه · بعد اتمام القفل قال لي الملك · قد اتممنا الآن يامعلم كامين جزءًا من عملنا بقي الجزء الثاني · فاتبعني لنتممه · قال هذا ثم سار امامي حتى وصلنا الى الدهليز المؤدي من منزل الملك الى غرفة ولي العهد فوقف امام خزانة كانت في الجدار هناك

فقال رفيق كامين وما الغرض من انشاء هذه الخزانة في الجدار ما دام الذي يمرُّ بها يستطيع اكتشاف مكانها

فقال كامين بنزق ومن قال لك انه يستطيع اكتشاف مكانها · فانني لما وقفتُ

هنالك قال الملك ان في هذا الجدار خزانة يجب وضع القفل فيها فهل تستطيع يامعلم كامين ان تكتشف مكانها من غير ان ادلك عليه · فدنوت من الجدار واخذت الحصه وابحث فيه عبثاً لان الخزانة منقورة في الجدار نقرًا غريباً فكانها قسم من الجدار لا يظهر لها فيه اثر · وبعد برهة دنا الملك من مكانها وحرك يده حركة فانفتح بابها وظهر مكانها

فقال الرجل مظهرًا الاستغراب حقاً ان امر هذه الخزانة عجيب غريب · ولكن ما يضعون فيها

فقال كامين صبرًا لاكل الحديث · فلما انفتحت الخزانة قال الملك خذ الآن قفلك يا كامين وركبه فيها · فتناولت القفل وركبته في مكانه في دقيقتين · ولما فرغت منه امر الملك فجيء باكياس من الذهب فقال لي اجلس الآن يامعلم كامين وساعدني في عدّ هذه الليرات فجلست واخذت اعدّ معه فعددت مليون ليرة مزدوجة وعدّ الملك مليوناً مثلها ولما فرغنا من العدّ بقي خمس وعشرون ليرة زائدة فوضعها الملك وقال خذ هذا نصيبك يامعلم كامين · فبالله هل سمعت في حياتك بان رجلاً يعدّ مليون ليرة ويشتغل اربع ساعات ولا يقبض سوى ٢٥ ليرة منها

فقال رفيقه لا ريب في ان ذلك غبن ظاهر وشح عظيم ولكن ماذا صنعت بعد ذلك

فقال كامين· بعد ذلك اخذنا اكياس الذهب ووضعناها في الخزانة واقفلنا الباب فكانه لا ذهب في الخزانة ولا خزانة في الجدار · وما كدنا نفرغ من هذا العمل حتى فُتح باب على الدهليز الذي كنا فيه وظهرت في الباب الملكة وفي يدها طبق عليه كاس خمر وقطعة حلوى · فدنت مني وقالت· اظنك يامعلم كامين قد ظمأْتَ فهل تقبل هذه الكاس فاجبتها لماذا اتعبتِ نفسك ياجلالة الملكة فقالت بل اشرب وارو ظمأَك · فتناولت الكاس وشربتها ثم اخذت قطعة الحلوى واكلتها · فبالله عليك هل يُقدم لمثلي اذا ظمئ وجاع كأْس خمر وقطعة حلوى

فقال الرفيق · وبعد ذلك

فقال كامين · وبعد شربي الكاس خرجت من التويلري وما خطوت خطوتين حتى ندمت على شربي تلك الكاس اللعينة · فانه عراني بعدها ظمأٌ شديد لم يصبني مثله قبل ذلك· وقد كان امامي الحانات والنهر فكدت اختار النهر واذهب اليه فاضع فمي فيه ولا ارفعه حتى اروى · ولكني عدت فاخترت الحانات فكنت ادخل اليها واشرب فيها ارواء لظمأي غير انني كنتُ كلما شربت اشتد عليّ الظمأ · فعرفت حينئذٍ انهم سمموني · وان الكاس التي

سقتني الملكة اياها كانت ممزوجة بالسم · ولا غرابة في ذلك فانهم استخدموني لصنع قفل لخزائنهم السرية التي خبئوا بها كنوزهم ولما اتممتُ ذلك راموا قتلي لكي لا يبقى في الوجود احد عارفاً بمكان الخزانة · ولكني انا سانتقم منهم انتقاماً شديداً فان الناس اذا طلبوني للشهادة عليهم شهدتُ بانهم راموا تسميمي (١)

فقال رفيقه · وانا اشهد ايضاً بانني وجدتك مسمماً وانقذتك بانني سقيتك ترياقاً مقاوماً لفعل السم

وكان كامين قد عادت اليه قوته فنهض قائماً وشكر لرفيقه عنايته به فردَّ له رفيقه الشكر · ثم سار كامين في طريقه قاصداً منزله فتناول رفيقه دفتراً صغيراً في جيبه وكتب عليه الاسطر التالية

— خزانة حديدية سرية · في جدار الدهليز المؤدي من منزل الملك الى غرفة ولي العهد

— البحث عن حقيقة امر الفتى الذي اتخذه الملك خادماً للحدادة فانه غير بعيد ان يكون هو الكونت لويس ابن المركيز دي بوليه الذي قدم من متز منذ احد عشر يوماً

ولا ريب في ان القراء قد عرفوا ان هذا الرجل الذي لحق كامين واستكشفه اسراره انما هو الكونت كاليوسترو العجيب

الفصل الخامس

﴿ جواب ذو معنيين ﴾

وفي مساء ٢٤ دسمبر من ذلك العام اي في ليلة عيد الميلاد اعدَّ الملك والملكة حفلة استقبال في نادي التويلري · وكان البارون ازيدور دي شارني قد عاد في صبيحة ذلك اليوم من تورين حيث كان الامراء الفرنسويون مقيمين بعد مهاجرتهم فرنسا فراراً من الثورة · وقد عاد البارون من هناك يحمل الى الملك والملكة طلب جميع المهاجرين ان

---

(١) وفي الحقيقة ان هذا الرجل شهد على الملكة لدى مجلس الكونفانسيون يوم محاكمة الملك والملكة انها رامت تسميمه وقبل المجلس شهادته

يرحلا من فرنسا ليلاقياهم الى تورين

ولما انتظم عقد الاجتماع في النادي قبل قدوم الملك والملكة اخذ الحاضرون يسألون البارون دي شارني عن المهاجرين لان كل واحد من اكابر انصار الملكية في فرنسا كان له بين اولئك المهاجرين اهل او اصدقاء . ثم دار الحديث على رجال الثورة فاخذ سولو يحدث الحاضرين عنهم وجعل حديثه مقصورًا في تلك الساعة على الدكتور كليوتين الذي جرّب في ذلك اليوم آلته « الكليوتين » للمرة الاولى . ويعلم القراء ان الكليوتين انما هي آلة للاعدام يوضع تحتها عنق الجاني فتسقط عليها آلة قاطعة تفري عنقه بلمحة واحدة فلا يشعر الجاني بعذاب ولا الم وانما يشعر على قول الدكتور كليوتين ببرد خفيف في عنقه ثم لا يعود يشعر بشيء

وبعد تجربة الدكتور كليوتين هذه الآلة في ذلك اليوم ذهب الى قاعة المجمع الوطني وارتقى منبر الخطابة واخذ يُظهر فضل هذه الآلة الجديدة على آلات الاعدام السابقة كالشنق وضرب العنق بالسيف وتقطيع الاعضاء والاعدام بآلة كالدولاب يدور فيقطع الجسم تقطيعاً . وقد اطنب في وصف آلته اطناباً جعل اعضاء المجلس يميلون اليها فكادوا يقررون تعيينها للاعدام رسمياً عوضاً عن آلات الاعدام التي كانت في تلك الايام

وكان سولو يحدث الحضور عن هذه الآلة وينشدهم قصيدة هزلية نظمها فيها فكان الحضور يقهقهون كثيرًا لابيات تلك القصيدة

وبينما هم يقهقهون وصل الملك والملكة الى مقربة من النادي . ولو كان الملك فارغ البال لسأل في الحال عن سبب القهقهة ليشارك الضاحكين في الضحك . ولكنه كان حزين الخاطر مشغول البال فترك هذا السؤال الى وقت يكون فيه مسرورًا راضياً

ولما اعلن الخادم قدوم الملك والملكة سكت المقهقهون والمتكلمون وظهر الاحترام الشديد عليهم جميعاً لان رجال الملكية كانوا في تلك السنة يحترمون الملك بقدر ما كان رجال الثورة يعرضون عنه . نعم ان الملكية قد تألمت في سنة ١٧٨٩ مما اظهره كثيرون من انصارها من نكران الجميل والتخلي عنها ولكنها كانت في سنة ١٧٩٣ راضية كل الرضى عن انصارها لان هؤلاء الانصار ازدادوا اخلاصاً لها حين نزول الخطر الحقيقي بها

ولذلك فان الملك والملكة ما دخلا الى نادي التويلري حيث كان كثيرون من انصار الملكية مجتمعين حتى خف الحاضرون الى ملاقاتهما باحترام عظيم فاحتاط السيدات بالملكة والرجال بالملك

وكان في جملة الرجال «مونسيو» شقيق الملك . وكان مونسيو قد حادث البارون دي شارني وفهم منه ما كان يروم فهمه . فلما دخل الملك الى القاعة انفرد مونسيو وخطا نحوه وقال له : الا تستطيع يا اخي ان تجلس انت والملكة وانا وبعض الاخصاء بحجة اللعب ونحادث حديثاً سرياً

فاجاب الملك اصنع ما تريد يا اخي ودبر ذلك كما تشاء

فدنا حينئذ مونسيو من الملكة وكان البارون دي شارني يقول لها في هذا الحين العبارة التالية : ان المركيز فرارس عهد اليَّ ان ابلغ جلالتك امراً ذا شان. فلما دنا مونسيو من الملكة كان البارون دي شارني قد اتم كلامه فقال لها مونسيو . ان الملك يا اختي العزيزة يروم ان نلعب احدى الالعاب ونحن اربعة فمن ترومين ان يكون رابعنا

فاجابت الملكة حينئذ وقد فهمت المقصود من اللعبة . تعالَ يا مسيو دي شارني وكن رابعنا .

ثم جلس الاربعة على مائدة هنالك . وكانت مدام اليزابت حاضرة فجلست على مسند وراء الملك . واخذ الاربعة يلعبون في الظاهر ويتحادثون في الواقع

فافتتحت الملكة الحديث بسؤالها دي شارني . كيف من خلفتهم في تورين ايها البارون . فاجاب البارون تركتهم في خير وسلامة . فنظرت الملكة الى مونسيو ثم نظرت الى الملك وقالت . اما سمعت جلالتك ان البارون دي شارني عائد من تورين

فلم يجاوبها الملك ولكنه تحرك حركة ظهر منها فراغ صبره من كلام الملكة

فتداخلت حينئذ مدام اليزابت التي كانت جالسة وراءه وقالت للملك بلطفها المعهود ارجومنك يا اخي ان تصغي بانتباه الى هذا الموضوع

فنظر اليها الملك نظرة عتاب وقال لها : وانتِ ايضاً يا اختي . فقالت مدام اليزابت نعم انا ايضاً ارغب في ذلك . بل ارغب فيه اكثر من الجميع لانني اشد الناس حباً لك وانا خائفة عليك .

فاجترأ حينئذ البارون دي شارني وقال . وحين وصولي من تورين مررت في شارع رويال وصرفت ساعة في المنزل نمرو ٢١

فقال الملك ولمن هذا المنزل الذي ذكرته

فاجاب ايزيدور . ان في هذا المنزل يامولاي رجلاً نبيلاً مستعداً امثالنا للموت في سبيل جلالتكم ولكنه اشد نشاطاً منا لانه اعد مشروعاً نافعاً

فرفع هنا الملك راسه وقال — وما هذا المشروع ايها البارون

فاجاب البارون دي شارني اذا كنت قد اغضبت الملك بهذا الكلام فاني اسكت في الحال. فقالت الملكة بنزق . بل تكلم تكلم . فانه من الواجب علينا ان نقف على مشروعات الاصدقاء الذين يرومون خدمتنا كما اننا نقف في كل يوم على مشروعات الاعداء الذين يعدونها ضدنا . وما هو اسم هذا النبيل ايها البارون

فاجاب ايزيدور . اسمه يا مولاتي المركيز دي فتراس فقالت الملكة وقد تجاهلت كل شيء . نعم نعم قد سمعت بهذا الاسم وعرفت صاحبه . ولكن ما هو الغرض من مشروعه والى اي حد انتهى فيه .

فاجاب ايزيدور لقد اتمه يامولاتي وهو الان في انتظار امر الملك . فاذا امره استطاع الوصول الى بيرونه في هذا المساء

فلم ينطق الملك بكلمة حين سماعه هذا الكلام . اما مونسيو اخوه فانه اظهر انه غير سامع كلمة من هذا الحديث

واما الملكة فانها التفتت الى زوجها الملك وقالت له . اما سمعت ماذا قال البارون . فعبس الملك واجاب بلى لقد سمعته

فقالت الملكة لمونسيو . وانت ياخي هل سمعت ما قاله البارون

فاجاب مونسيو . لست اشد صمماً من الملك

فقالت الملكة وما هو رايك الا ترى ان هذا الكلام بمثابة اقتراح يقترح على الملك .

فاجاب مونسيو لا شك في ذلك

فالتفتت الملكة حينئذ الى البارون دي شارني وقالت له . اعد علينا مقالك اللطيف ايها البارون

فقال دي شارني . مولاتي اقول ان كل شيء معد حاضر وان الملك اذا لفظ كلمة واحدة استطاع بواسطة الطرق والتدابير التي اتخذها المركيز دي فتراس ان يصل الى بيرونه في يوم واحد ويكون في امن وسلامة فيها

فنظر مونسيو حينئذ الى الملك وقال : فماذا تقول يا اخي بهذا المشروع الا تراه موافقاً

فالتفت الملك بنزق نحو مونسيو ونظر في وجهه ملياً ثم قال له : واذا سافرت هل تسافر معي انت

فامتقع وجه مونسيو وظهر الاضطراب في وجهه فاجاب . انا ؟

فقال الملك نعم انت يا اخي . فانك تخشى على السفر من باريز فهل تسافر معي اذا سافرت؟

فقال مونسيو ولكني انا لم اتاهب للسفر ولم ادبر حوائجي لانهم لم يبلغوني

فقال الملك كيف لم يبلغوك مع انك انت الذي دبرت المال للمسيو ففراس . وكيف لم تتاهب للسفر مع انك واقف على جميع تفاصيل هذه المؤامرة

فاصفر وجه مونسيو واجاب . المؤامرة ؟

فقال الملك نعم انها مؤامرة حقيقية واذا اكتشف امرها غداً والقي القبض على ففراس فان محكمة الشاتليه تحكم عليه بالاعدام ولا نستطيع حينئذٍ انقاذه كما انقذنا المسيو دي بزنفال

فقال مونسيو واذا كان الملك قد انقذ المسيو دي بزنفال فلماذا لا ينقذ المسيو دي ففراس

فقال الملك لان ما قدرت ان اصنعه للاول لم اعد قادراً على صنعه للثاني . ومع ذلك فالمسيو دي بزنفال هو رجل الملك فالملك انقذه اما المسيو دي ففراس فهو رجلك فيجب عليك ان تنقذه انت

ولما قال الملك هذا القول نهض منصرفاً . فامسكت به الملكة من طرف ثوبه وقالت ولكن على جلالتكم ان تجاوبوا دي ففراس اما نعم واما لا

فاجاب الملك وهو يشد ثوبه ليستخلصه من يد الملكة . ان الملك لا ياذن لاحد بان يختطفه

ثم ذهب الملك في سبيله

فالتفت مونسيو شقيق الملك الى الملكة والبارون دي شارني وقال . ان كلام الملك يدل على ان المركيز دي ففراس يجوز له ان يختطف الملك من غير اذنه وذلك على شرط ان ينجح اما اذا فشل فليس امامه الا العقاب

فقالت الملكة البارون دي شارني . عد ايها البارون الى المسيو دي ففراس وانقل له كلمات الملك نفسها . وهي « ان الملك لا ياذن لاحد بان يختطفه » وهو يفهم معناها . فاذهب مسرعاً

فنهض البارون وخرج من القصر فركب مركبة قاصداً منزل دي ففراس

الفصل السادس

﴿ طبيب الجسد وطبيب النفس ﴾

ولما نهض الملك عن المائدة سار نحو الشبان الذين كانوا يمزحون و يقهقهون قبل دخوله، فنهضوا جميعاً احتراماً للملك . فقال لهم الملك باسماً ما لكم سكتم بعد تلك القهقهة هل انني حزين الى هذا الحد حتى انني احمل الحزن معي الى كل مكان ادخله. لقد صدق القائل « ما اتعس الملوك الذين لا تضحك رعيتهم امامهم »

فبهت الشبان لهذا الكلام واجاب البرنس لامبرت . ولكن واجب الاحترام يا ذا الجلال ....

فقطع الملك عليه الكلام قائلاً لا تقل الاحترام ايها البرنس فانك لما كنت تجيء الى القصر في شبابك في اثناء الفرصة المدرسية كنت لا تفتأ من الضحك والقهقهة امامي . وقد قلت الساعة « ما اتعس الملوك الذين لا تضحك رعيتهم امامهم » والآن اقول « ما اسعد الملوك الذين تضحك رعيتهم امامهم »

فقال المسيو دي كاستري ولكن الموضوع الذي كنا نضحك منه لا يليق بان نتكلم عنه في حضور جلالتكم ولذلك سكتنا

فقال الملك وما هو هذا الموضوع الذي اضحككم الى هذا الحد

فقال سيلو كنا نتكلم عن المجمع الوطني

فقال الملك بجد . اذاً لقد احسنتم بسكوتكم وترك الضحك لاني لا آذن لاحد بان يضحك من المجمع الوطني امامي

فقال احد الحاضرين ما كنا نضحك من المجمع الوطني ولكن مما جرى فيه في هذا الصباح

فقال الملك واي امر تعنون

فقال سيلو اما سمع جلالة الملك بما قاله اليوم الدكتور كليوتين عن آلته في المجمع

فقال الملك اذن كنتم تضحكون من كليوتين وآلته اما انا فلا اضحك منه لان اختراعه مفيد للانسانية اذ يخفف عذاب المجرمين حين اعدامهم

ثم امسك الملك عن الكلام هنيهة وبعد ذلك سأل سيلو . وهل نجحت تجربة الكليوتين

فاجاب سيلو لقد نجحت في الاثنين الاولين واما الثالث فقد بقيت عنقه عالقة برمته من احد الجوانب فاضطروا الى قطعها بالسكين

فقال احد الحاضرين وهل اعدموا اليوم ثلاثة من الناس . فاجاب سيلو انهم ثلاثة مرضى ماتوا في المستشفى فجربوا اليوم الآلة فيهم

فسأل الملك وما السبب في ان الآلة لم تقطع العنق الثالثة هل فيكم رجل شاهد الآلة ويستطيع وصفها لي

فاجاب صوت من الحلقة التي كانت حول الملك نعم ياذا الجلال

فالتفت الملك فابصر الدكتور جيلبار . فقال له هذا انت ايها الدكتور وهل كنت منذ مدة طويلة هنا . فابتسم الدكتور وقال منذ هنيهة يامولاي : قال وهل شهدت الآلة قال نعم قال فارسمها لي على هذه الورقة . واشار الى مائدة هناك

فقصد الدكتور جيلبار المائدة واخذ يرسم الآلة على ورقة كانت عليها فاحاط الجميع به وبالملك . ولما فرغ من الرسم قال الملك لقد فهمت الآن تركيب هذه الآلة ولا عيب فيها سوى ان الآلة القاتلة مصنوعة على شكل هلال فلو صنعوها على شكل مثلث لوفت بالغرض بسهولة غريبة

ولكن الملك ما اتم هذا الكلام حتى صرخت من ورائه امرأة صراخاً مخيفاً . فالتفت الجميع فابصروا الملكة وراء الملك يغمى عليها

فاسرع الجميع اليها

وكان السبب في ذلك ان الملكة لما شاهدت الحلقة حول الملك انضمت اليها لترى الامر الذي كانوا يهتمون به فيها . ولكنها ما دنت من الملك ووقع نظرها على رسم الآلة التي كانت في يده حتى صرخت ذلك الصراخ واغمي عليها . وذلك لان الملكة كانت قد رأت منذ صغرها في تريانون صورة هذه الآلة في زجاجة ماء صغيرة والذي اراها اياها هو كاليوسترو الرجل العجيب وقد تنبأ لها يومئذ بانها ستقتل بها

فبناء على ذلك تكدر صفو تلك الليلة وحملت الملكة الى غرفة هناك فاقام الدكتور جيلبار بجانبها لمعالجتها

وبعد برهة عادت الملكة الى نفسها فامرت خادماً هناك ان يذهب ويبلغ الملك خبر

الفصل السادس

﴿ طبيب الجسد وطبيب النفس ﴾

ولما نهض الملك عن المائدة سار نحو الشبان الذين كانوا يمزحون و يقهقهون قبل دخوله . فنهضوا جميعاً احتراماً للملك . فقال لهم الملك باسماً ما لكم سكتم بعد تلك القهقهة هل انني حزين الى هذا الحد حتى انني احمل الحزن معي الى كل مكان ادخله . لقد صدق القائل « ما اتعس الملوك الذين لا تضحك رعيتهم امامهم »

فبهت الشبان لهذا الكلام واجاب البرنس لامبرت . ولكن واجب الاحترام يا ذا الجلال ....

فقطع الملك عليه الكلام قائلاً لا تقل الاحترام ايها البرنس فانك لما كنت تجيء الى القصر في شبابك في اثناء الفرصة المدرسية كنت لا تفتأ من الضحك والقهقهة امامي . وقد قلت الساعة « ما اتعس الملوك الذين لا تضحك رعيتهم امامهم » والآن اقول « ما اسعد الملوك الذين تضحك رعيتهم امامهم »

فقال المسيو دي كاستري ولكن الموضوع الذي كنا نضحك منه لا يليق بان نتكلم عنه في حضور جلالتكم ولذلك سكتنا

فقال الملك وما هو هذا الموضوع الذي اضحككم الى هذا الحد

فقال سيلو كنا نتكلم عن المجمع الوطني

فقال الملك بجد . اذاً لقد احسنتم بسكوتكم وترك الضحك لاني لا آذن لاحد بان يضحك من المجمع الوطني امامي

فقال احد الحاضرين ما كنا نضحك من المجمع الوطني ولكن مما جرى فيه في هذا الصباح

فقال الملك واي امر تعنون

فقال سيلو اما سمع جلالة الملك بما قاله اليوم الدكتور كليوتين عن آلته في المجمع

فقال الملك اذن كنتم تضحكون من كليوتين وآلته اما انا فلا اضحك منه لان اختراعه مفيد للانسانية اذ يخفف عذاب المجرمين حين اعدامهم

ثم امسك الملك عن الكلام هنيهة وبعد ذلك سأل سيلو . وهل نجحت تجربة الكليوتين

فاجاب سيلو لقد نجحت في الاثنين الاولين واما الثالث فقد بقيت عنقه عالقة برمته من احد الجوانب فاضطروا الى قطعها بالسكين

فقال احد الحاضرين وهل اعدموا اليوم ثلاثة من الناس . فاجاب سيلو انهم ثلاثة مرضى ماتوا في المستشفى فجربوا اليوم الآلة فيهم

فسأل الملك وما السبب في ان الآلة لم تقطع العنق الثالثة هل فيكم رجل شاهد الآلة ويستطيع وصفها لي

فاجاب صوت من الحلقة التي كانت حول الملك نعم ياذا الجلال

فالتفت الملك فابصر الدكتور جيلبار . فقال له هذا انت ايها الدكتور وهل كنت منذ مدة طويلة ههنا . فابتسم الدكتور وقال منذ هنيهة يامولاي : قال وهل شهدت الآلة قال نعم قال فارسمها لي على هذه الورقة . واشار الى مائدة هناك

فقصد الدكتور جيلبار المائدة واخذ يرسم الآلة على ورقة كانت عليها فاحاط الجميع به وبالملك . ولما فرغ من الرسم قال الملك لقد فهمت الآن تركيب هذه الآلة ولا عيب فيها سوى ان الآلة القاتلة مصنوعة على شكل هلال . فلو صنعوها على شكل مثلث لوفت بالغرض بسهولة غريبة

ولكن الملك ما اتم هذا الكلام حتى صرخت من ورائه امرأة صراخاً مخيفاً . فالتفت الجميع فابصروا الملكة وراء الملك يغمى عليها

فاسرع الجميع اليها

وكان السبب في ذلك ان الملكة لما شاهدت الحلقة حول الملك انضمت اليها لترى الامر الذي كانوا يهتمون به فيها . ولكنها ما دنت من الملك ووقع نظرها على رسم الآلة التي كانت في يده حتى صرخت ذلك الصراخ واغمي عليها . وذلك لان الملكة كانت قد رأت منذ صغرها في تريانون صورة هذه الآلة في زجاجة ماء صغيرة والذي اراها اياها هو كاليوسترو الرجل العجيب وقد تنبأ لها يومئذٍ بانها ستقتل بها

فبناء على ذلك تكدر صفو تلك الليلة وحملت الملكة الى غرفة هناك فاقام الدكتور جيلبار بجانبها لمعالجتها

وبعد برهة عادت الملكة الى نفسها فامرت خادماً هناك ان يذهب ويبلغ الملك خبر

سلامتها . ثم التفتت فابصرت الدكتور جيلبار بجانبها فقالت له باسمة . هل تعتقد بالنبوءات ايها الدكتور

فانحنى الدكتور واجاب ان العلم ينكر كل شيء من فوق الطبيعة ياسيدتي ومع ذلك فقد تحدث حوادث عجيبة

فقالت المضحكة مثل ماذا

فقال جيلبار ان بعض العقول الكبيرة تعطى احياناً قوة معرفة المستقبل قياساً على الماضي وحينئذٍ . . .

فقالت الملكة حينئذ ماذا

فقال حينئذٍ يتنبأون بامور غريبة . فاني اعرف رجلاً . . . .

فقطعت الملكة حديثه وقالت لعلك تتكلم عن معلمك كاليوسترو

فاجاب جيلبار . مولاتي ليس لي معلم غير واحد مفرد وهو الطبيعة . اما كاليوسترو فليس هو بمعلمي ولكنه المحسن الي . فانني جرحت في شبابي جرحاً قطعت الامل من شفائه فجاءني بمرهم غريب شفاني به منه في مدة قريبة

فقالت الملكة وهل تنبأ هذا الرجل نبوءات وتمت نبوءاته

فقال جيلبار لقد تمت بدقة غريبة

فقالت فاذا تنبأ لك هذا الرجل انك ستموت موتاً شنيعاً هل تصدقه

فقال جيلبار لا اصدقه ولكني اعمل على اجتناب ذلك الموت

فالتفتت الملكة حينئذ الى جيلبار وقالت بحدة لا سبيل الى اجتناب ذلك الموت ايها الدكتور فانني مائتة لا محالة . ان هذه الثورة ستبتلعني وتبتلع العرش معي وهذا الاسد سيفترسني مع زوجي واولادي

فاجاب جيلبار اذا شئتِ يامولاتي صار هذا الاسد وديعاً كالحمل معك . فلاطفيه واحسني معاملته تملكي قياده و يصبح طوع امرك

فقالت الملكة كلا ايها الدكتور لقد انقطع كل شيء بيني و بين هذا الشعب . فانه يبغضني وانا احتقره

فقال جيلبار ذلك لانه لا يعرفك ولا تعرفينه . فانك تنظرين اليه من الشاطىء كما ينظر الى البحر من هو واقف على شاطئه فيرى امواجه تروح وتجيء بلا دافع ولا سبب وتتكسر تحت قدميه . ولكن اذا ذهب هذا الواقف الى عرض البحر حيث العمق العظيم .

اذا نظر اليه من فضاء الكون حيث ترفرف روح الله عليه ابصر على سطحه سريرًا صغيرًا كسرير موسى في النيل وهذا السرير هو « سرير فرنسا الجديدة » قادم الى الشاطئ . فليحرسك الله ايها السرير الصغير

ثم رفع جيلبار يديه الى السماء مع انه من الذين لم يعتادوا التحمس في كلامهم

فقالت الملكة وهي تنظر اليه والى اين مسير هذا السرير ياد كتور

فقال جيلبار ان هذا السرير سائر الى ارض مجهولة . وسيستقر في مكان جديد يسمونه « الوطن » فهناك يجد المربية القوية التي تجعل الشعوب اقوياء وهي « الحرية »

فضحكت الملكة وقالت كنت احسب ان فساد الاحكام قد قتل هذه الكلمات الفارغة فاذا بها لا تزال حية

فاجاب جيلبار . كلا ياسيدتي ليست هذه الكلمات فارغة ولكنها كلمات عظيمة . انظري الى فرنسا تجدينها بين العثرات الكثيرة التي امامها والاخطار التي لا تحصى تمشي الى غرض منصوب امامها . وهو الوحدة . لقد كانت من قبل بلادًا متقطعة في كل مقاطعة منها تنافس وتفاضل وجمارك واوزان مختلفة ولهجات متباينة ومطامع مخصوصة ومطامع قديمة . ففي ذات يوم عصفت فيها ريح شديدة زعزعت العرش وجمعت تلك المقاطعات المتفرقة على كلمة واحدة . لقد كان سكانها من قبل تولوزيين ونورمانديين وبريتانيين وبورغونيين اما اليوم فقد ذهبت هذه الالقاب وصاروا كلهم « فرنسويين » . ولا شيء تحت قبة السماء قادر على منعهم من هذا الاتحاد

فصاحت الملكة وهل يروقك ان ترى ثلاثين مليون نفس متمردة ومتحدة على ملكها وملكتها هذا الاتحاد

فاجاب جيلبار ليس الشعب بالمتمرد على الملك والملكة ايتها السيدة ولكن الملك والملكة هما المتمردان عليه . فانه بينما ينادي بالاخاء والاخلاص والحرية والمساواة يسمعها يذكران الحقوق القديمة والامتيازات الملكية وما اشبهها . لقد سقط سقط يامولاتي ذلك العالم القديم وقام الآن عالم جديد . لقد ولد طفل جديد وهو « فرنسا الحديثة » فسرت ولادته جميع الامم المهضومة . اعني ايطاليا واسبانيا وبولونيا وايرلنده — كلها تهتز طربًا لولادة هذا الطفل كما اهتزت شعوب الارض طربًا لولادة المسيح في مزوده بيت لحم . ذلك لان فرنسا هي مسيح الامم الحديثة . وكل واحدة من الامم المستعبدة المهضومة تناديها الآن : دومي يافرنسا لاننا نكون احرارًا فيك . اي انهن يؤملن الحرية منها . تخذي يامولاتي هذا

الطفل الجديد بين ذراعيك واجعلي نفسك اماً له

فصرفت الملكة نظرها عن جيلبار · وقالت · ولكنك نسيت ايها الدكتور اني ام اولاد لا استطيع نبذ ولدي لاحتضان ولد غريب

فقال جيلبار حينئذٍ بشيء من الحدة · فانا اشير عليك اذاً ايتها السيدة ان تضعي رداءك الملكي على ولديك وتخرجي بهما من فرنسا في الحال اذا كانت هذه الافكار افكارك

فقالت الملكة وهل تشير عليَّ اذاً بالرحيل من فرنسا

فقال الدكتور نعم نعم صرت اشير به عليك الآن بعد ما عرفته من بغضك للثورة فارحلي وانا اساعدك على الرحيل ياسيدتي

فقالت الملكة لا اخفي عنك اذاً اننا عزمنا على الرحيل على يد رجل اظنك سمعت باسمه

فقال جيلبار اظن جلالتك تريدين المركيز دي فقراس

فحملقت الملكة في وجه جيلبار وسألته · من اين عرفت ذلك

فاجاب جيلبار وهو يهز راسه مولاتي ان الرجل الذي تعرفينه قد تنبأ لهذا الرجل بموت قريب

فقالت مستغربة وبماذا تنبأ له · قال تنبا له بانه سيموت شنقاً في ساحة الاعتصاب

فاجابت الملكة ولكن نبوَّة هذا الرجل ستكذب هذه المرة لا محالة فان رسولي الآن عنده ولا تغرب علينا شمس الغد الا ونحن خارج فرنسا

على ان الملكة لم تتم كلامها حتى دخل خادم واعلن وصول البارون دي شارني

فصاحت الملكة ادخله ادخله فهو رسولي الى دي فقراس والدكتور صار عارفاً بمشروعنا

فدخل البارون دي شارني بعد برهة ولكنه كان اصفر اللون والقلق باد في عينيه ووجهه

فبادرته الملكة بالسؤال ما وراءك ايها البارون وماذا قال لك المركيز دي فقراس

فاجاب البارون بعد ان انحنى باحترام ان المركيز دي فقراس قد القي القبض عليه منذ ساعة ياسيدتي

فاجفلت الملكة لهذا الخبر ايما اجفال ونظرت الى الدكتور جيلبار نظراً قادحاً شرر الغيظ والدهشة

اما الدكتور فانه تاثر لهذه المصيبة الجديدة التي دهمت الملكة فدنا منها وحاول تخفيف حزنها بخضوعه واخلاصه واظهار استعداده لخدمتها

وكان هذا الخبر قد سرى في القصر الملكي بسرعة البرق · فلما درى به مونسيو شقيق الملك طلب مركبته بالحال · وفيما هو نازل في السلم صادف الملك اخاه في وجهه فساله الملك · لو كنت مكاني يا اخي ماذا كنت تعمل الآن · فاجاب مونسيو وكان مشهوراً بالموار بة لو كنت مكانك يا اخي لتخليت عن فراس واقسمت للمجمع الوطني انني محافظ على الدستور الذي سنه للامة

فقال الملك ولكن هذا الدستور لم يتم بعد

فاجاب مونسيو وهو ينظر الى الملك نظراً ذا معنى مقصود ، هذا مما يسهل القسم

فقال الملك وقد بهت قليلاً · لا باس ومع ذلك فانني ساكتب الى المسيو دي بوليه اننا لا نزال نفكر في مشروعه ولكن نؤجله الى وقت آخر

الفصل السابع

﴿ الملك واخوه ﴾

(يُظهران غير ما يُبطنان)

وفي صباح اليوم التالي نُشرت في باريز مائة الف نسخة من نشرة فحواها ان المركيز دي فراس كان يعدّ مؤامرة لقتل لافاييت و بالي وقطع الزاد والميرة عن باريز وفي مقدمة هذه المؤامرة « مونسيو » شقيق الملك

فقام اهل باريز وقعدوا لهذا الخبر · وفي مساء ذلك اليوم اجتمع اعضاء المجلس البلدي في قاعة المجلس برئاسة بالي · وبينما هم يتباحثون في تلك المسالة واذا بالحارس قد دخل وقال : ان مونسيو يطلب الدخول على المجلس

فالتفت اليه الرئيس بالي وقال · اي مونسيو اذ لم يخطر له ببال ان « مونسيو » يحضر بنفسه

فاجاب الحارس « مونسيو » شقيق الملك

فبهت جميع الاعضاء وامروا الحارس بادخاله· فدخل مونسيو وهو اصفر اللون فسلم ثم

التى على الاعضاء خطبة لتبرئة نفسه من التهمة التي اتهموه بها وقال انه من نصراء الحرية وانه لا يعرف المسيو دي فراس . فاجابه الرئيس بخطبة لطيفة اظهر فيها سروره من حضور شقيق الملك الى المجلس واعتقاده ببراءته . وقد قال بالىءذلك واكثر الاعضاء والحاضرون يعتقدون بعكسه . ومع ذلك فقد كان نجاح مونسيو عظيماً فعاد وقد القى موءامرة فراس عن كاهله

فلما رأى الملك نجاح اخيه لدى المجلس البلدي رام ان يصنع صنعه لدى المجمع الوطني فذهب على حين فجأة لزيارة المجمع

فدهش اعضاء المجمع لما علموا بقدوم الملك وتنحى الرئيس لجلالته عن كرسي الرئاسة . ولما دخل الملك الى القاعة دوت جدرانها من تصفيق المصفقين وهتافهم . فوقف الملك فيهم والقى خطابة طويلة عريضة . وقد قال فيها انه قدم الى المجلس ليهنئه بالاعمال الدستورية التي عملها ويوءكد له مساعدته ووداده . ثم اثنى على دستور سنة ١٧٩٠ وقال انه يحبه وهو لم يكمل بعد فكيف اذا كمل

فلما قال الملك ذلك دوت القاعة مرة ثانية بالتصفيق العظيم وبكى اعضاء المجلس سروراً وابتهاجاً . وقد بكوا جميعاً حتى ميرابو وبرناف ولامث ودبور وباريز فكان من دموعهم طوفان عظيم ... غير ان بيتون وكاميل دي مولين وماراث لم يصفقوا ولم يبكوا

ثم خرج الملك من القاعة في وسط هياج عظيم فكره اعضاء المجلس ان يفارقوه فرافقوه الى التويلري وهم يتحمسون ويهتفون له . فلقيتهم الملكة في التويلري . ولكن الملكة لم تكن متحمسة لتحمسهم . فتناولت ولدها بين يديها وقدمته لهم فوقف الاعضاء هناك واقسموا كلهم بيمين الامانة للامة والقانون والملك والدستور

وبعد هذا اليوم ركدت ريح الباريزيين كانهم اطمأنوا الى وعد الملك فكان سرور عام في كل المدينة وقد زينت بعض الاحياء وصار الناس يحلفون تلك اليمين في الشوارع حتى الاولاد الصغار صارت تحلفها . فامر المجمع الوطني ان تُقام في كنيسة نوتردام صلاة شكر لله لتجديد تلك اليمين فاقيمت صلاة حضرها جميع الاعضاء ولكن الملك لم يحضرها . فقالت الملكة للملك في ذلك اليوم على سبيل التهكم . لماذا لم تحضر الصلاة لتحلف اليمين كما حلف سواك . فاجاب الملك هذا الجواب . ذلك لانني ساكذب على الناس ولا اريد الكذب على الله

فدهشت الملكة من هذا الجواب لانها كانت تعتقد كباقي الناس ان الملك مخلص

في يمينه . على ان الملك لو كان مخلصاً فيها لانقذ عرشه وعائلته

الفصل الثامن

﴿ كيف يكون النبل الصحيح ﴾

وكانت زيارة الملك للمجمع الوطني في ٤ فبراير من عام ١٧٩٠ وفي ١٨ منه كان ميعاد محاكمة المركيز دي فتراس لدى محكمة الشاتله بتهمة المؤامرة على المملكة

ففي ليلة هذا اليوم اي في الليلة التي بين ١٧ و١٨ دخل الى سجن الشاتله رجل يحمل امراً من ادارة البوليس بالاذن له ان يقابل المركيز دي فتراس . ولا نعلم اذا كان هذا الامر صحيحاً او مزوراً ولكن مدير السجن وجده على ما يظهر صحيحاً ولذلك اذن له بالدخول

وكانت هذه الغرفة في مغارة تحت الارض عمقها ٢٠ قدماً . فلما وصل اليها الرجل المجهول التفت فابصر هنالك فتى واقفاً فساله هل تُسمى انتَ الفتى لويس فقال نعم فقال وهل انت امين مفاتيح هذا السجن فقال نعم . فقال الرجل المجهول فانت اذاً اخ من ماسوني اللوج الاميركي فانحنى الفتى وقال نعم ياسيدي . فقال وقد عينوك هنا منذ ثمانية ايام لغرض مجهول عندك . قال نعم . قال هل انت مستعد للقيام بذلك الامر . فاجاب نعم . قال فمن تصدر لك الاوامر قال من « المسيح » قال وما علامته عندك . قال ثلاثة نجوم مذهبة على ثوبه الباطني

ففك حينئذ الرجل المجهول رداءه الخارجي وقال له انظر فنظر الفتى ثلاثة نجوم مذهبة على ثوبه الداخلي فانحنى باحترام شديد وقال مرحبا تريد يامعلم . فقال الرجل المجهول افتح لي سجن دي فتراس وانتظر اوامري على بابه

فتقدم الفتى باحترام وخضوع وفتح باب سجن دي فتراس فدخل اليه الرجل المجهول على ان هذا الرجل وان لقبناه مجهولاً فانه ولا شك معروف عند القراء لكثرة ورود اسمه في هذه الرواية

ولما دخل الرجل الى سجن فتراس كان فتراس مستغرقاً في نوم هادىء ولكن وقع اشعة النور على عينيه نبهه من نومه ففتح عينيه وقال من هذا

فاجاب الرجل صديق من اصدقائك

فحملق فتراس ليرى هذا الصديق الذي جاء يطلبه وهو تحت سطح الارض بعشرين

قدماً . ثم قال وقد عرفه : جناب البارون زانون

فاجاب الرجل نعم ايها المركيز . فقال دي فنراس ضاحكاً لا اظنك طلبتني لتعقد معي قرضاً فقال كلا ولكنني قصدتك لانقذك من ضيقك . فضحك دي فنراس وقال له تفضل واجلس

فجلس الرجل المجهول ثم اردف بقوله . نعم جئت اقترح عليك شيئاً فيه نجاتك . فضحك دي فنراس مرة ثانية . فقال له الرجل لا تضحك ياسيدي فان اعتمادك على الملك او على اخيه مونسيو عبث في عبث

فحدق فنراس بالرجل وقال له وما معنى ذلك . فقال الرجل معناه انك اذا كنت تعتمد في نجاتك من هذا الضيق الذي وقعت فيه على الملك وعلى اخيه فانا اخبرك ان اخا الملك ذهب الى المجلس البلدي وتبرأ منك وقال انه لا يعرفك الا قليلاً والملك اقتدى به فذهب الى المجمع الوطني وحلف يمين الامانة للدستور فكأنه تبرأ منك ايضاً . وفي صباح الغد ستجتمع محكمة الشاتله لمحاكمتك وستحكم عليك بالاعدام لانك خنت المملكة وتآمرت على قتل رجالها . ومتى حكمت المحكمة عليك تنفذ الحكم فيك بلا ابطاء ولا تاجيل . افهمت انه لم يبق امامك منفذ غير الذي جئت اقترحه عليك

قال وما غرضك من اقتراحك قال غرضي اني عرفت انك من اكارم النبلاء الذين يندر بيننا وجودهم فاردت حفظ حياتك لا للمملكية فقط بل للانسانية . وفضلاً عن ذلك فاني على ما تذكر قد اقرضتك مليوني فرنك ولا ريب انك استخدمت هذا المال في مشروعك ولولاه لما اقدمت عليه فكأني كنت شريكاً لك في الذنب ولذلك ترتب عليَّ مساعدتك

فقال فنراس وما هي خطتك الآن . فقال الرجل خطتي انك اذا رضيت بالفرار اصبحت في ساعة واحده خارج هذا السجن وبعد ٢٤ ساعة تكون خارج فرنسا كلها

فقال فنراس رافضاً شكراً لك ايها البارون

فقال الرجل كاني عرفت بسبب ترددك فانك تخاف ان تصبح عائلتك بعد سفرك في حالة سيئة ولكني قد تداركت هذا الامر واحضرت لك في جيبي مائة الف فرنك لها

فضحك فنراس ومد يده الى الرجل المجهول . وقال اشكرك من صميم قلبي على هذا الفضل والاخلاص ولكني ارد اقتراحك ياسيدي

فقال الرجل المجهول مستغرباً ولماذا . قال لانني اذا فررت اتهم الناس البلاط بانه مهد لي سبيل الفرار وبذلك تثبت على الملك تهمة الاشتراك معي في الجريمة المنسوبة اليَّ

فقال الرجل المجهول وهل تموت انت اذًا من اجل ذلك

فقال دي ففراس بكبرياء وعظمة نعم اموت من اجل مبداءي وشرفي · فاني مُلكي ومن واجباتي ان لا القي التهمة على الملكية

فقال الرجل ولكن هل عرفت الموت الذي ستموت به · فقال ففراس بعظمة · تعددت الاسباب والموت واحد

فقال الرجل نعم ولكنك نسيتَ ان المجمع الوطني قرر المساواة بين الاموات كما قرر المساواة بين الاحياء فانه جعل المشنقة عقاباً واحدًا للجميع · افلا تستنكر الشنق ايها المركيز

فبهت المركيز لهذا الكلام لان النبيل الشجاع اذا كان لا يخاف الموت فهو يستنكر الموت شنقاً لما في ذلك من التشهير والعار

ولكن المركيز لم يلبث ان قال: لست افضل من المسيح الذي مات صلباً

فقال الرجل المجهول اذا كان تاثير موتك شنقاً على الملكية سيكون كتاثير موت المسيح صلباً على العالم فمت ولا بأس · ولكنك ستكون كالنافخ في رماد

فقال ففراس ان موتي سيكون مثالاً لجميع انصار الملكية الذين لا ينصرونها الا للانتفاع منها فلا تحاول ايها البارون امرًا مستحيلاً فانني لا استطيع الفرار كما اقترحت

ولما يئس الرجل من ذلك قال لدى ففراس انني مفارقك الآن ولكن فاعلم انك متى رضيت بالفرار والنجاة من الموت فما عليك الا ان تبلغني ذلك مع التقي لو يس الواقف على بابك فانقذك في ساعة واحدة ولو كنتَ تحت المشنقة

ثم خرج كاليوسترو من لدن ففراس وهو يعجب بهذه الشهامة وتلك الامانة · وكان غرضه من انقاذه القاء التهمة على الملكية توسيعاً للفرق بينها و بين الشعب

وفي صباح اليوم الثاني انتظمت محكمة الشاتله لمحاكمة دي ففراس فغصت قاعتها بالناس حتى لم يبقَ فيها موضع قدم فارغاً · وكان عدد القضاة اربعين قاضياً · فجيء اليهم بففراس وهو لابس ملابسه بتانق كثير وصاقل شعره باحكام حتى ان الشعرة تكاد لا تخرج عن اختها · فصاح الحاضرون صياح الغضب والبغض حين دخوله فبقي ففراس كما كان هادئاً رصيناً كانه جبل شامخ لا تزعزعه الرياح · فاجلسه الحارس امام القضاة فساله رئيس المحكمة عن اسمه ولقبه وسنه طبقاً للنظام فاجاب بكل هدوء ولم يرتجف له صوت ولم يبدُ في وجهه تاثر · و بعد هذه الاسئلة دُعي شهود الاتهام فشهدوا كلهم · فاصغى ففراس الى شهاداتهم

بسكينة وهو معول في نفسه على شهود النفي الذين استدعاهم ليشهدوا له

ولذلك ما اشد ما كانت دهشته حينما اعلن الرئيس بعد استماع شهادات الاتهام ان المحكمة اوقفت الجلسة لتدخل الى قاعة المذاكرة . فقال للرئيس ولكن لا يزال لديك شهود النفي يا حضرة الرئيس

فاجاب الرئيس ان المحكمة قررت ان لا تسمع شهود النفي . فقال فقراس مستاء من هذا القول . كنت احسب انني احاكم في محكمة الشاتله وما كنت ادري انني احاكم في « ديوان التفتيش »

ثم عاد به الحراس الى سجنه وهو يقول . هذا مصير من يتآمر مع الامراء

وبعد مدة دخل عليه بعض الرجال والحراس من قبل المحكمة لتلاوة صورة الحكم عليه واذا به قد حُكم عليه بالشنق في « ساحة الاعتصاب »

ولما خرجوا دخل رجلان آخران وكان خادم السجن الذي اوصاه كاليوسترو بما اوصاه قد دنا من فقراس قبل دخولها وقال له هل يامر حضرة المركيز بشيء . فقال لا . فنظر اليه الفتى وقال الا يريد النجاة بنفسه فاجاب المركيز لا لا اريد شيئاً

اما الرجلان اللذان دخلا فانهما هجما على المركيز واخذاه الى غرفة تدعى غرفة التعذيب فنزعا ثيابه عنه والبساه قنطاناً طويلاً من عنقه الى قدميه ثم قصا شعره واوثقا يديه وانماه على مكان هناك معد لتعذيب المجرمين وبعد ذلك انهضاه وقالا له ان المحكمة قررت ترك تعذيبه . ولكن يجب عليه ان يبقى ساعة في تلك الغرفة

فنهض المركيز وهو في حالة يرثى لها واخذ يجول في تلك الغرفة ليرى ما فيها من الآثار القديمة . فشاهد فيها كثيرًا من آلات التعذيب والقتل وفي جملتها الآلات التي عُذب بها اليهود في القرن الثالث عشر والآلات التي مُزق بها البروتستانت في القرن السابع عشر

وبينما كان يجول في الغرفة جاءه احد الرجلين وقال له ما غرضك من هذا الجولان وهذه المشاهدة . فاجاب دي فقراس مازحاً وهو على ابواب الموت . اجول فيها لافتقد آلاتها فلعلي اصادف ابليس في طريقي بعد الموت فاطلعه على هذه الوسائل التي لا يعرفها ليعذب الناس بها

وكان الرجل الثاني ينظر الى فقراس الحين بعد الحين نظرات معنوية . فلما تركه رفيقه دنا منه وقال له . الا تزال مصرًا على الموت او تروم النجاة

فتفرس فيه فنراس فعرف من منظره انه رسول الرجل الذي دخل عليه يقترح انقاذه فاجابه كلا لا اريد شيئاً يا صاحبي

ولكنه طلب كاهن كنيسة القديس بولس ليراه قبل موته فدعي هذا الكاهن وخلا به • وليس يعلم احداذا كان فنراس قداعترف له وهو على ابواب الابدية بما تمّ من المؤامرة او ابقى نفسه مقفلة فلم يطلعه على شيء من امرها

وبعد مدة جيء بمركبة الجناة فركب فنراس فيها مع الجلاد والرجلين والكاهن .وكانت طرق باريز وشوارعها مزدحمة اشد ازدحام من السجن حتى كنيسة نوتردام فساحة الاعتصاب

اما كنيسة نوتردام فقد كان يجب على دي فنراس ان يدخل اليها ليتوب و يستغفر فدخل اليها مع الكاهن وكانت غاصة بالحاضرين فجثا امام الهيكل ثم القى خطبة وجيزة قال فيها انه بريء وانه يموت دون شكوى ليكون مثالاً لانصار الملكية .وانه يشكر الله الذي اتاح له هذا الموت دون سواه اذ لو كان قضي بهذا الموت على رجل ضعيف يظهر الجبن والخوار فربما كان موته مضرّا لا نافعاً

فاثر كلامه في جميع الذين كان في نفوسهم ميل للملكية

و بعد الصلاة سارت المركبة في وسط الجماهير المزدحمة الى ساحة الاعتصاب فطلب فنراس ان يؤذن له بالصعود الى المجلس البلدي ليكتب وصيته فسارت مركبته نحو المجلس البلدي

فلما رأى الشعب ذلك صار يزحم بعضه بعضاً وراء المركبة و يقول ان الجاني قد عزم على الاعتراف بجنايته

ذلك ان الجناة الذين يطلبون الدخول الى المجلس البلدي قبل الاعدام يكون غرضهم الاعتراف بامور كتموها • وفي المجلس غرفة خصوصية يسمونها غرفة الاعتراف

فلما دخل دي فنراس الى المجلس املى على احد الكتبة صورة الوصية ثم سالهم ان يحلوا وثاق يديه ليوقع عليها فحلوا وثاقه فتناول القلم واصلح ثلاث غلطات في الكتابة ثم وقع على الوصية

وقد استغرقت كتابة هذه الوصية ست صفحات ولذلك طال المطال على الشعب • وقد اشاع بعض العامة ان المجلس مهد سبيل الفرار للجاني من الباب الثاني فسخط الشعب واي سخط وصار الناس يتحدثون بالهجوم على المجلس لاحراقه وهدمه

ولكن دي فنراس لم يلبث ان عاد وخرج من باب المجلس في الساعة التاسعة مساء وامامه

المشاعل تنير طريق المركبة · فهتف خمسون الف شخص كانوا في انتظاره هتافاً طبق السماء

وما زالوا به حتى اوصلوه الى ساحة الاعتصاب حيث كانت المشنقة منصوبة · وكان الزحام حولها شديداً

وحين وصول دي فتراس الى المشنقة التفت فابصر امامه البارون دي زانوف (كاليوسترو) فاشار اليه مسلماً فتقدم منه احد الرجلين اللذين زاراه في سجنه لنزع ملابسه وهمس في اذنه اتريد الفرار الآن فان ذلك لا يزال في الامكان

فاشار دي فتراس برأسه اشارة سلبية

وحينئذٍ جاء الجلاد واصعده الى المشنقة

فلما ارتقى الدرجة الاولى التفت الى الناس الذين كانوا حوله وقال · ايها السادة انني اموت بريئاً فصلوا من اجلي

ثم صعد درجة ثانية وقال مثل ذلك القول · وصعد درجة ثالثة وهي الاخيرة وقال مثله ايضاً · ولكن قبل ان يسحب الجلاد باب اللوحة الذي تحت قدميه تقدم منه الرجل الذي مرّ ذكره وهمس في اذنه قائلاً · اقبل نصيحتي وارضَ بالفرار · فاجاب ذلك الرجل النبيل · كلا كلا

وحينئذٍ سُحب الباب من تحت قدميه فسقط دي فتراس معلقاً من عنقه بين الارض والسماء وراح شهيد شهامته ونبله

وكان بازاء المشنقة فتى واقف ينتظر نهاية هذه الحادثة الاليمة بصبر فارغ فلما تدلى جسم فتراس وقضي الامر اسرع الى مركبة كانت هناك وسار بها كالبرق الخاطف الى قصر « مونسيو » شقيق الملك

وكان مونسيو ينتظره بصبر فارغ وقد آلى على نفسه ان لا يجلس الى مائدة الطعام قبل ان يسكن خاطره بشان فتراس لانه كان يخشى ان تبدر منه بادرة او ان يضعف او يخور عزمه فيقول عن مونسيو شريكه في المؤامرة ما لا يجب ان يقوله · فلما راى فتاه وصوله عائداً ساله ماذا قال · فاجاب الفتى لم يقل شيئاً ياسيدي بل مات كالابطال هادئاً ساكتاً

فبدت حينئذ لوائح السرور على وجه مونسيو وقال فلننهض الى الطعام اذاً ولنشرب نخبه من خمر « الشباب »

ثم جلسوا يأكلون ويضحكون ويتحادثون كأنه لم يكن شيء مما كان ٠٠٠٠ وهكذا الكبار يأكلون الحصرم والصغار يضرسون

الفصل التاسع

﴿ اسد ولبوة ﴾

(بهذه القبلة نجت الملكة)

وبعد انقضاء بضعة ايام على هذا الحادث الاليم كان وبير خادم الملكة الخاص يدخل على الملكة رجلاً عظيم الهامة مهيب المنظر ولكن فيه لوناً يدل على ضعفه ومرضه ٠ وكان هذا الرجل هو الخطيب ميرابو ٠ وكانت هذه اول مرة يقابل فيها الملكة ماري انطوانت

فلما وصل وبير الى باب غرفة الملكة فتح الباب وقال : المسيو دي ميرابو ٠ ثم تنحى عن الباب ليمر الزائر

ولو لم يتنح وبير عن الباب لسمع ضربات قلب ميرابو في صدره الواسع لان قلبه مع جرأته المشهورة كان في تلك الساعة يخفق خفقاناً شديداً

ولما سمعت الملكة اعلان قدوم ميرابو نهضت مسرعة وخطت نحو الباب وقلبها يخفق ايضاً لشدة تأثرها من هذه المقابلة الاولى

وكانت هذه المقابلة سرية ولم يعرف بها احد حتى رجال البلاط وبطانته

فدخل ميرابو على الملكة وخطا بعض خطوات في الغرفة ثم وقف وانحنى باحترام مسلماً

فبادرته الملكة بالكلام قائلة بصوت يشف عن تأثرها وانفعالها ٠ لقد قالوا لنا يا مسيو دي ميرابو انك تروم الانحياز الينا

فانحنى ميرابو دلالة على رضاه ٠ فاردفت الملكة بقولها ٠ وانك توصلاً لذلك تطلب تغيير الوزارة

فانحنى ميرابو مرة اخرى

فقالت الملكة ولكن من سوء الحظ لم يتم ذلك وليس الذنب علينا

فقال ميرابو حينئذ ٠ انني اصدق هذا الكلام ياسيدتي ولا سيما لانه من جلالتك ٠ واعلم ان الذنب في ذلك ذنب الذين يزعمون انهم مخلصون للملكية

فقالت الملكة ٠ ماذا نعمل ايها الكونت فان الملوك لا يستطيعون اختيار اصدقائهم

واعوانهم على ما يشاؤن كما انهم لا يستطيعون اختيار اعدائهم ٠ وكم من مرة اثار علينا اعواننا واصدقاؤنا احزاناً ومشاكل كثيرة ٠ ومن سوء حظنا ان الذين يهاجوننا من اصحاب العقول الكبيرة والذين يدافعون عنا لا يعرفون كيف يدافعون

قالت ذلك وقد ظهرت في وجهها لوائح الحزن الشديد ورفعت منديلها الى عينيها اخفاء لدمعها

ولا نعلم اذا كان ذلك تاثيراً حقيقياً او تمثيلاً اظهرت فيه الملكة حزنها لاستمالة ميرابو ومهما يكن من الامر فان ميرابو تاثر لهذا الحزن لا سيما وانه اعتبره بمثابة اعتراف له ورأى فيه اشارة اليه فقال

هل تريدين اياي ياسيدتي بقولك عن المهاجين ٠ فانني انا ما فتئت ادافع عن حقوق الملكية منذ صباي ٠ وقد جئت الآن اقترح عليكم انقاذ الملكية مع معرفتي ان ذلك قد يكون امراً فات وقته ومضى اوانه ولكن ذلك لا يهمني ولو دفنت تحت انقاضها ٠ ومع ذلك فان سياسة البلاط مع المجمع الوطني سياسة خرقاء لا بد من تغييرها ٠ فان المجمع قرر الكف عن دفع رواتب للامراء المهاجرين والملك لا يزال يدفع لهم مبالغ طائلة ٠ وقد سأل المجمع جلالته غير مرة عن ٦٠ مليون فرنك فائدة فرفض الجواب ٠ وذلك مما اضطر المجمع الى نشر « الدفتر الاحمر » الذي اخطأت الملكية في تسليمه اليه لانه يمس شرف اصدقائها وانصارها

فقالت الملكة ولو كنت ايها الكونت بجانب الملك اما كنت اشرت عليه بتلك الامور التي يشيرون بها عليه ويلطخون بها اسمه ويضعضعون سلطته

فاجاب ميرابو ٠ لو كنت بجانب الملك يامولاتي لكنت لديه المدافع الشديد عن الحرية المقيدة بسلطة الملك وعن سلطة الملكية المقيدة بالدستور ٠ وليس للحرية التي هي اساس حقوق الملك وحقوق الشعب من اعداء سوى « الاكليروس والنبلاء والبرلمان » اما الاكليروس فلم تبق له سلطة في هذا العصر ٠ واما النبلاء فلا غنى عنهم ولذلك يجب الاهتمام بهم واستخدامهم كما يجب الضرب على ايديهم ٠ وهذا امر لا يتم الا اذا اتحدت الملكية مع الشعب ٠ والملكية لا تتحد بالشعب ما دام البرلمان بينهما ٠ فالواجب اذاً هدم البرلمان وافناء قوى الاكليروس واضعاف سلطة النبلاء ليتم اتحاد الملكية بالشعب ٠ هذه هي سياستي فاذا كان الملك يوافق عليها فانا اخدم جلالته والا فليرفضها

فقالت الملكة لا اعلم اذا كانت هذه السياسة سياسة الملك ولكني اقول لك منذ الآن

انها سياستي انا . ولو كان الامر اليّ لما حدتُ عنها . ولذلك ارجو منك ايها الكونت ان تطلعني على الطرق التي توصلنا اليها

فنظر ميرابو في عيني ماري انطوانت ليرى اذا كانت صادقة فيما تقول او انها تظهر غير ما تبطن . فوجد انها اذا لم تكن مقتنعة بذلك فهي مستعدة للاقتناع به . فراقه هذا الفوز على تلك المرأة العظيمة المتكبرة فقال وهو يكتم سروره

ان الطريقة يامولاتي واحدة فاننا قد خسرنا باريز تقريباً ولم يبقَ لنا امل في غير المقاطعات ويسرني ان اقول ان الاكثرية في المقاطعات لنا لان اهلها لا يزالون يحبون الملك والملكة . فليبرح الملك باريز ولكن لا الى خارج فرنسا بل الى روين مثلاً ويقيم في وسط الشعب والجيش هناك . ومن هناك يصدر اوامر اصلاحية متتالية فيستميل جميع الناس اليه انصار الثورة واعداءها فيصبح حبيباً الى الفريقين في آن واحد

فقالت الملكة ولكن الا تخيفك الثورة ورجالها ايها الكونت

فاجاب ميرابو لا اجهل ياسيدتي ان من الواجب ان نترك في هذا العراك كثيراً من الحقوق القديمة ولكني ارى اننا اذا جارينا رجال الاصلاح قدرنا على غل ايدي رجال الثورة والخراب وشتان بين الفريقين . الا يرضيك ويرضي الملك مثلاً ان تكون ملكيتكم شبيهة بالملكية الانكليزية المقيدة

فقالت ماري انطوانت كيف لا يرضينا ذلك

فقال ميرابو فليساعدني الملك ولتشجعني الملكة وانا انشئ في فرنسا هذه الملكية الثابتة الوطيدة ولو كان في ذلك موتي

فقالت الملكة ثق ايها الكونت بودادي ومساعدتي واسعَ فنحن معك

ثم ابتسمت له ابتسام الوداع

ولكن ميرابو عند هذا الابتسام لم يسلم ولم يخرج بل بقي واقفاً بازائها وقفة الاسد الغضنفر كانه لم يكتفِ بهذا الوداع . ثم قال

— مولاتي ان امك العظيمة ماري تريزه كانت اذا قابلت احداً من رعيتها وارادت توديعه مدّت اليه يدها ليقبلها

قال ذلك ولبث ينتظر

فنظرت الملكة حينئذ الى ميرابو الى ذلك الاسد الذي لم يكفه انه صار مقيداً بل اصبح يروم التمرغ تحت قدميها . ثم مدت اليه يدها وهي تخفي ابتسام الفوز والانتصار الذي

ظهر بين شفتيها

فانحنى حينئذ ميرابو وتناول تلك اليد البيضاء الباردة كالجبسين والشفافة مثله وقبلها باحترام وقال

— بهذه القبلة يامولاتي قد نجت الملكية

ثم خرج هذا الرجل العظيم وهو يعتقد بانه سينقذ الملكية

الفصل العاشر

﴿ خيانة المسيو دي ميرابو ﴾

(للجدران اعين وآذان)

قال ميرابو للملكة هذه الكلمة « بهذه القبلة يامولاتي قد نجت الملكية » وذلك دون ان يحسب حساب الايدي والاعين السرية

فانه في صباح اليوم التالي الذي جرت فيه هذه المقابلة هبَّ اهل باريز من نومهم على صراخ باعة الجرائد وهم يصيحون على كراريس في ايديهم : خيانة المسيو دي ميرابو . خيانة المسيو دي ميرابو

وكان ميرابو قد صحا من نومه في ذلك النهار مرتاح النفس مستريح الجسم واخذ يعمل الفكرة في انجاز وعده للملكة . فلما نزل من منزله سمع رجلاً يصرخ ذلك الصراخ « خيانة المسيو دي ميرابو . خيانة المسيو دي ميرابو » فاستوقفه ميرابو ومدَّ يده الى جيبه ثم قال « بكم تبيع خيانة المسيو دي ميرابو ياصاحبي » فاجاب الرجل اعطيها مجاناً يا حضرة الكونت لانه يوجد مائة الف كراس منها

فتناول ميرابو في الحال كراساً منها وفتحه ليرى ما فيه . ولكنه لم يقع نظره على الصفحة الاولى حتى اضطرب واصفر لونه

ذلك انه وجد في هذه الصفحة تفاصيل ديونه كلها والطرق التي وفاها بها البلاط وتاريخ وفائها

ويلي ذلك ذكر الراتب الذي صار يدفعه البلاط اليه في كل شهر وقدره — ستة الاف فرنك

ويليه تفاصيل مقابلته مع الملكة بالامس وما قالته له وما قاله لها

فارتاع ميرابو لتلك الاعين السرية المائلة التي وراء حجب الخفاء تنظر حتى في اعماق القلوب والسرائر . و بينما كان يقرأ هذا الكراس و يقلب صفحاته واذا برجل قد وضع يده على يده فالتفت ميرابو فابصر الدكتور جيلبار ينظر اليه . فقال له الدكتور وقد وجد في وجهه لوائح الاضطراب والانزعاج . اتراك قد فقدت صبغتك الفلسفية حتى تضطرب لكلام كهذا الكلام

فقال ميرابو

انت لا تعرفني ايها الدكتور . فانا لم اضطرب لانهم قالوا انني بعت نفسي للملك ولكن لانني انظر الى المستقبل فارى ان هذا الكراس صخرة حائلة وضعوها في طريقي لتمنعني من انجاز وعدي . فخوفي اذاً انما هو من عدم مقدرتي على انجاز الوعد الذي وعدته لا من قولهم انني ارتشيت . ومع ذلك فانه كان يجب عليهم ان يقولوا ان المال الذي اخذته انما اخذته اجرة لي لا رشوة . والذي يخيفني ايضاً في هذا الكراس معرفتي بحصول خيانة غير منتظرة وهي اطلاع الحزب الذي سنقاومه على ما جرى بيني و بين الملكة . ولا اكتمك انني لما قابلت الملكة خطر لي ان اكون معها كما كان مازارين اي عشيق ملكة لا كما كان ريشيليو اي وزير ملك . ولو تمَّ لي ذلك لكانت فوائده كبيرة لسياسة فرنسا واوربا معاً . ولكن هل تعلم ما صنعته الملكة بعد خروجي من لدنها . لقد كتبت كتاباً الى عاملها في المانيا تقول فيه ابلغ اخي الامبراطور ليو بولد انني استخدم المسيو دي ميرابو دون ان تكون بيني و بينه علائق جدية

فقال الدكتور جيلبار وهل انت متحقق هذا الامر

فقال ميرابو متحققة من انني وقفت على نفس الكتاب الذي ارسل . وفضلاً عن ذلك هل تعلم بماذا يبحثون اليوم في المجمع الوطني

فقال جيلبار اظنهم سيتباحثون في موضوع الحرب

فقال ميرابو

نعم سيتباحثون في موضوع الحرب . فان النمسا و روسيا وانكلترا و بروسيا اتحدن على فرنسا لخنق جرثومة الثورة فيها . وليس بالمستغرب ان تطلب النمسا وروسيا هذا الطلب فانها من اعداء الحرية ولكنه مستغرب من انكلترا ذات المبادىء الحرة و بروسيا صاحبة المبادىء الفلسفية . وقد نسيت هذه الدول ان ثورتنا ليست ثورة فرنسوية ولكنها ثورة بشرية سيستفيء بها البشر اجمع . وكيف السبيل الى اطفاء نور تطلبه الدنيا بامرها . فلا

ثار البلجيكيون اتفقت انكلترا والمانيا على ان تكون بلجيكا الثانيـة ثم ذهبت انكلترا تحتك بحليفتنا اسبانيا في اقصى بلاد العالم · فلما بلغ هذا الاحتكاك الى الملك امر بتسليح ١٤ سفينة حربية واخبر المجمع الوطني بهذا الامر · وهذه هي نقطة الخلاف · فان بعض اعضاء المجمع يقولون ان اعلان الحرب من حق المجمع والملك يقول ان هذا الحق من حقوقه دون سواه · ومعلوم لديك ان وزارة الداخلية ووزارة العدلية قد خرجتـا من يد الملك فاذا خرجت الحرب من يده ايضاً فماذا يبقى له · ومن جهة اخرى ان المجمع لا يثق بالملك ولذلك يروم نزع السيف من يده لان الثورة لم تكمل بعد ويُخشى عليهـا من ذلك السيف الذي هو سلاح هائل ضدها

اما انا فمع هذا وهذا سامحي لانجاز وعدي · وساقحم الاعضاء كلهم واطلب للملك حق اعلان الحرب ولو فقدت اسمي وخاطرت بحياتي · وقد قلتَ لي منذ حين انني مستاء من هذا الكراس · كلا ايها الدكتور انني راضٍ عنه لانه يمكنني من اظهار نفسي والمناضلة جهرًا لا سرًا لانني بعد ما شاهدته من ضروب التستر والمؤامرات والكتمان القبيح صرت اطلب الحرب والقتال والاخذ والعطاء على مرأى ومسمع من جميع الناس · وكما ان الصواعق محتاجة الى غيوم كثيفة وزوابع شديدة لتظهر منها وتنشأ عنها كذلك انا محتاج الى هياج واضطراب وخصام لاصرخ الصوت الاعلى واكشف الغطاء · فتعالَ اليوم ايها الدكتور واحضر جلستنا فانها ستكون جلسة هائلة

وفي الحقيقة ان جلسة المجمع الوطني في ذلك اليوم كانت جلسة هائلة · فان ميرابو ما وصل الى باب المجمع حتى وجد الشعب حول البناء يزحم بعضه بعضاً وكلهم يصرخون في وجهه « يا خائن يا خائن » فرفع ميرابو كتفيه دلالة على عدم مبالاته بكلامهم ثم دخل الى المجمع

ولكنه ما وضع قدمه في قاعة المجمع حتى صرخ نحو مائة رجل من الاعضاء « هذا هو · هذا هو الخائن · هذا هو المرتشي »

وكان الخطيب بارناف في منبر المجمع يخطب ضد ميرابو · فلما دخل ميرابو الى القاعة شخص اليه وحدق فيه · فصاح به بارناف

نم عنك انكلم ايها الخائن

فاجابه ميرابو : تكلم عني · فامضِ اذا في كلامك · اما انا فاني ذاهب لانتزه ساعة في التويلري ثم اعود بعد فراغك من الخطابة واجاوبك

قال ميرابو هذا الكلام ثم خرج من القاعة شائخ الجبين وفي عينيه برق القوة والعناد ولكن اصوات التهديد والشتائم تبعته الى بعيد

وهكذا صار بارناف يخطب وميرابو يتنزه

ولما وصل ميرابو الى حديقة التويلري وجد حلقة معقودة حول سيدة فاقترب منها واخذ كرسياً وجلس

فلما ابصره الجالسون نهض بعضهم وفروا منه . اما المرأة فمدت يدها اليه فرزها ميرابو وقال مازحاً الا تخشين انتِ ياحضرة البارونة من انتقال جراثيم الطاعون مني اليك

وكانت هذه المرأة مدام دي ستايل الكاتبة المشهورة

فاجابته : يقال ايها الكونت انك صرت من حزبنا . ولذلك فاني اجذبك بيدي الينا

فابتسم ميرابو لهذا الكلام وبعد ثلاثة ارباع الساعة قال للبارونة . انني لما دخلت المجمع منذ حين كان بارناف يخطب منذ ساعة وقد مضت على خروجي من المجمع ثلاثة ارباع الساعة فلا ريب انه يكاد يفرغ من خطابه . ولذلك استاذنك في الذهاب لاردّ عليه

فاجابته البارونة اذهب ايها الكونت وتشجع

وكانت البارونة تحمل بيدها غصناً من الآس وهي تداعب اوراقه بشفتها . فقال لها ميرابو . اعطني ايتها البارونة قضيب الآس فانه يكون طلسماً مشجعاً لي

فاجابته البارونة ولكن احذر الآس ايها الكونت فانه يُتخذ كعلامة للحزن

فاجاب ميرابو . لا بأس اعطني اياه فانه يجدر تكليل الشهداء حتى باكاليل الحزن قبل نزولهم الى ساحة النضال

ثم تناول قضيب الآس من يدها وسلم بلطف وانصرف عائداً الى قاعة المجمع

ولما دخل الى القاعة كان بارناف قد اتم خطابه ونزل عن المنبر والاعضاء هائجون مائجون يصفقون له تصفيقاً عظيماً . الا انهم لما ابصروا ميرابو داخلاً تحول استحسانهم الى تقبيح فاخذوا يصرخون ملء افواههم ويصخبون ويضجون . فقصد ميرابو المنبر ثابت القلب رابط الجاش ووقف فيه فازداد صراخهم واشتدت جلبتهم لانهم كانوا يرومون منعه من الكلام . ولكن ميرابو اغتنم فرصة شبه من الهدوء حصل في المجمع كالهدوء الذي يحصل عادة بين الزوبعة والزوبعة وقال بصوت جهوري

— ما كنت اجهل ان المسافة بين الكابيتول وبين صخرة تاربايينه قريبة جداً (١)

(١) هذا الموقف اعظم مواقف ميرابو . والكابيتول اسم قلعة وهيكل روماني قائم

ففعلت هذه الكلمة في نفوس الاعضاء فعل السحر · فسكتوا واصغوا وكان ذلك مقدمة للانتصار

فما اعظم المواهب الكبيرة التي تتصرف في الناس تصرف الدفة بالسفينة

ولما سمع الاعضاء لميرابو تدفق الخطيب في كلامه تدفق السيل · فكان البحر مائجاً والليث هائجاً · ثم اقترح على المجمع ان يقرر وجوب تخويل الملك حق اعلان الحرب · فرفض المجمع هذا الاقتراح فاشتبك الجدال حينئذ بين الاعضاء وقد صعد ميرابو الى المنبر خمس مرات و بلغت المدة التي تكلم فيها ثلاث ساعات · وما زال يهاجم و يدافع و يبرم و ينقض حتى قرر المجمع قراراً هذا نحواه :

« ان للملك « حق الاستعداد للحرب » و « حق ادارة » القوات الحربية كما يشاء · وعليه ان يعرض على المجمع وجوب اعلان الحرب والمجمع لا يقرر شيئاً من غير « موافقة » الملك »

أليس ذلك بمثابة تخويل الملك حق اعلان الحرب

وماذا كان صنع ميرابو بالمجمع لو لم يُنشر ذلك الكراس الذي فضح امره

ولما خرج ميرابو من الجلسة قابله الشعب بصراخ السخط وكادوا يقطعونه ارباً اربا · اما بارناف فانهم حملوه على اكتافهم وطافوا به يهتفون له · فسكين انت يا بارناف لا تسكر بخمر الفوز فسيأتيك يوم يصيحون فيه ايضاً « خيانة المسيو بارناف »

الفصل الحادي عشر

﴿ اكسير الحياة ﴾

وكان مثل الخطيب ميرابو في الجلسة التي تقدم ذكرها مثل المرشال دي ساكس في واقعة فونتنوى · فانه اقام طول النهار فوق متن جواده وهو رابط الجاش والقوة ظاهرة في

على اكمة كابيتولين في رومه وهي احدى الآكام السبع التي بُنيت عليها رومة · وكان قدماء الرومانيين يكللون في هذا الهيكل الابطال الذين يخدمون الوطن خدمة جليلة · و بجانب الكابيتول صخرة يسمونها صخرة تاربايينه كانوا يقذفون منها الذين يخونون الوطن عقاباً لهم · وقد اراد ميرابو بهذه العبارة ان العظمة قد تكون قريبة من الضعة بدليل ان الشعب يضع اليوم الرجل الذي كان يعظمه امس

وجهه مع ما كان يتنابه من المرض والالم والتعب . ولكن لما هزم جيشه الجيش الانكليزي واطلق آخر مدفع دلالة على انتهاء القتال سقط خائر القوى ضعيف العزم في نفس ساحة القتال التي اخذها من الانكليز واجلاهم عنها

وكذلك حدث لميرابو . فانه كان في المجمع الوطني قويًا هائلاً كأنه في عنفوان الشباب . ولكنه لما انتصر على المجمع وجعله يقرر القرار الذي تقدم عاد الى منزله خائر العزم ضعيف القوى كان قوته كلها قد نفدت في ذلك العراك الذي حدث

ولما دخل منزله القى بنفسه على الارض فوق المساند في وسط الازهار

ذلك ان ميرابو كان مولعًا بامرين . بالازهار و بالنساء . ولقد كان اصيب في هذا العام باعتلال شديد لان ما لقيه من الاضطهاد والسجن بسبب حوادث شبابه اثر في بنيته تاثيرًا مبينًا . هذا فضلاً عن انه كان جبارًا لا يرفق بصحته ولا يعبأ بها . واذا كان الانسان شابًا وكل ما في جسمه من الاعضاء نشيطًا قويًا فانه يحتمل هذا الاهمال وكلما ضغط على نفسه واستزادها قوة زادته منها . ولكنه متى بلغ الكهولة صارت تلك الاعضاء غير قادرة على احتمال شدة ضغط الدماغ فتعجز عن تجاراته

وكان ميرابو قد بلغ هذا الدور من عمره

وبينما كان يتقلب على المساند تقلب الافعى من شدة الضعف والالم قُرع جرس منزله ثم دخل الدكتور جيلبار

فلما رآه ميرابو مدَّ يده وجذبه اليه من غير ان يتكلم لشدة ضعفه . فجلس الدكتور بجانبه وقال . اني اهنئك بفوزك ايها الكونت فانك انتصرت انتصارًا باهرًا

فاجاب ميرابو . نعم ولكني اذا انتصرت انتصارًا آخر كهذا الانتصار فقدت الحياة بسببه

فنظر جيلبار الى ميرابو وقال نعم اني اراك مريضًا

فقال ميرابو

ولو كان غيري مكاني لمات منذ زمن بعيد . آه ايها الدكتور لا تعطني دواء لتشفاني بل اعطني دواء ليجعلني اقوى على المعيشة مدة ايضًا

فاخذ جيلبار يد ميرابو وجس نبضه ثم قال . ماذا اقول لك أأشير عليك بالراحة مع معرفتي ان نفسك مطبوعة على الحركة . ام اشير عليك بطرح هذه الازهار التي تسمم هواء غرفتك في الليل مع ما اعرفه من حبك لها وعدم استغنائك عنها . لا اقدر ان اشير عليك

بذلك لانك لا تعمل به . فعش ايها الكونت كما تحب وتشاء ولكن اجعل حولك ازهاراً بلا رائحة ونساء بلا حب

فقال ميرابو

دكتور دكتور احيني فانك تحيي بذلك عالماً كبيراً . اني لا اعرف عذاباً تحت قبة السماء اشد من عذاب الانسان اذا كان يحس بان في نفسه قوة قادرة على رفع شان مملكة وهو عاجز عن انفاذ تلك القوة . احيني لا من اجلي فقط بل من اجل المملكة ايضاً

ثم ان ميرابو قبض بقبضته القوية على جلد معدته وضغط عليه من الالم

فقال له الدكتور وهل تتألم

فاجاب ميرابو اتألم المـاً شديداً لا يحتمل . وقد يخطر لي احيـاناً انهم يسممونني بالفعل كما يسممون صيتي بالقول . فهل تعتقد بسم بورجيا ايها الدكتور

فقال جيلبار كلا ولكني اعتقد بذلك السيال المتقد الذي يفجر الاناء الذي يوضع فيـه .

وقد اشار جيلبار بهذا القول الى نفس ميرابو الدائمـة الالتهاب والى زجاجة صغيرة تناولها من جيبه

ثم قال لميرابو . فلنجرب ياكونت تاثير هذا الدواء فيك

فقال ميرابو وما هذا الدواء

فقال جيلبار ان احد اصدقائي الذي أود ان يكون صديقاً لك ايضاً قد ارشدني الى شراب غريب الفعل فيما يختص بضعف الجسم . ولقد جربته مرة في نفسي فعجبت من تاثيره فهل ترضى بتجربته فيك

فقال ميرابو هات هات ايها الدكتور فكل شيء مقبول من يدك

فقال الدكتور ادعُ اذاً خادمك ليحضر لنا شيئاً من الكحول لتخفيفه به

فقال ميرابو وما هذا الدواء الذي يخفف بالكحول . لا ريب انه لهيب نار

ثم دعا خادمه فجاء بشيء من الكحول في ملعقة صغيرة فوضع فيها الدكتور شيئاً من الزجاجة التي في يده بقدر الكحول الذي فيها ثم حركها فامتزجت المادتان وصار لونها كلون الابسنت . ثم ناولها الى ميرابو . فاخذها ميرابو وصبها في فمه دفعة واحدة

ولكن لم يلبس هذا الشراب مريء ميرابو حتى اضطربت له كل اعضاء جسمه فصاح بالدكتور . لقد احسنت ايها الدكتور بتنبيهي الى قوته لانني اشعر كأنني ابتلعت

صاعقة بفمي

ثم احنى ميرابو راسه على صدره ولبث هنيهة مغمض العينين مخني الراس على هذا الوجه

ولكنه بعد برهة رفع راسه بغتة وتنفس الصعداء بارتياح عظيم وقال . آه يادكتور انك رددت الحياة الي

فقال جيلبار وهل شعرت بتحسن في صحتك

فقال ميرابو . لم اشعر بتحسن في صحتي فقط بل شعرت ان قواي كلها قد عادت الي . آه انني احس الآن بانني اصبحت ولا احد يقدر علي . واذا سقطت الملكية الآن على راسي فانني قادر على رفعها ومنع سقوطها . فكيف السبيل للحصول على هذا الدواء الذي اسميه اكسير الحياة

فقال الدكتور عدني انك لا تشرب من هذا الدواء الا مرتين في كل اسبوع وانا ادفع اليك هذه الزجاجة

فقال ميرابو اعدك بما تريد فهاتها

فالقى جيلبار الزجاجة اليه فاخذها ميرابو مسرورًا بها

فقال له الدكتور وماذا عزمت ان تفعل بعد اليوم

فقال ميرابو عزمت ان استاجر منزلاً كبيرًا في ضواحي باريز واعيش فيه واقتني الخيل والمركبات لان الراتب الذي اتناوله اليوم من البلاط يمكنني من ذلك

فقال جيلبار انك تحسن صنعاً بعيشتك في الخلاء لان ذلك مفيد لصحتك ولكن يجب ان تحسن اختيار منزلك

فقال ميرابو اتذهب معي اليوم الى ضواحي باريز لتشاهد المنزل الذي عزم خادمي على استئجاره فانك كطبيبي مسؤول عن ذلك

فاجاب جيلبار ان صحة عزيزة كصحتك توجب علي كل شيء نافع لها ولذلك فانني اذهب معك

وفي ذلك المساء ذهب ميرابو وجيلبار الى ارجانتيل في ضواحي باريز لمشاهدة القصر الذي عزم ميرابو على استئجاره

— —

الفصل الثاني عشر

﴿ عود الى اصحابنا القدماء ﴾

بما اننا تركنا في الفصل السابق ميرابو وجيلبار قاصدين الخلاء فلنعد نحن ايضاً بالقارىء الى الخلاء حيث مزرعة الاب بيلو على سبيل الاستراحة من عناء التفكير في الامور السياسية لنرى ماذا جرى لكاترين وحبيبها ايزيدور و بيتو و بيلو

وقد تقدم الكلام ان بيلو استاذن الدكتور جيلبار في العودة الى مزرعته فاذن له على شرط ان يحضر الى باريز متى مست الحاجة الى صوته الجهوري وقبضته القوية وان عودته هذه كانت بناء على ما بلغه من بيتو عن اختلال شؤون مزرعته

ولما وصل الاب بيلو الى هذه المزرعة ترجل عن جواده ورام الدخول اليها فلقي في وجهه رجلاً يمنعه من الدخول وهو الدكتور رينال طبيب تلك الناحية . فاستغرب بيلو هذا المنع فابلغه الدكتور ان ابنته كاترين مصابة بحمى دماغية افقدتها الرشد منذ بضعة ايام فلا يجب والحالة هذه الدخول عليها خوفاً من ازعاجها

فطار صواب بيلو لانه كان يحب ابنته حباً يقرب من العبادة وسال الدكتور بلهجة الاب الخائف على حياة ابنته . أفي مرضها خطر ايها الدكتور

فاجاب الدكتور كل مرض فيه خطر اذا لم يعالج المعالجة الواجبة . فدعني اعالج ابنتك كما اريد وعلى الله شفاؤها

فقال بيلو كن يسترحم استرحاماً ولكن الا تسمح لي برؤيتها دقيقة واحدة

فقال الدكتور اسمح لك برؤيتها وتقبيلها على شرط ان تعدني انك لا تعود تدخل عليها ثلاثة ايام متوالية

فرضي بيلو بهذا الامر ودخل على كاترين . فرآها ممددة على فراشها ولا حراك بها وعلى راسها عصابات مبلولة بماء الثلج . فدنا منها بيلو بحنو وقبلها في وجنتيها . وكانت كاترين شديدة الهذيان فاخذت تحكي في ذهولها وقد ذكرت اسم بيتو وايزيدور في كلامها

فلما سمع الاب بيلو اسم ازيدور دي شارني تحول حنوه الى جد ومرت فوق جبينه غيمة كثيفة فعاد من الغرفة متغيراً

وكان بيلو يتبعه وقد شاهد آثار الغيمة التي بدت في جبينه

اما الدكتور رينال فحين خروج يلوامسك بيتو وطلب منه ان يكون على استعداد لياتيه حينما يدعوه

فاستغرب بيتو هذا الكلام واخذ يسأل نفسه ماذا يريد الدكتور مني

وكان سبب دعوة الدكتور لبيتو ان الدكتور كان يسمع كاترين تنادي في ذهولها بيتو وايزيدور . وكانت تلفظ الاسم الثاني بحنو اشد من الحنو الذي كانت تلفظ به اسم الاول . فاستنتج الدكتور من ذلك ان الثاني حبيب والاول صديق

وفضلاً عن ذلك فان الدكتور رينال كان من سكان تلك النواحي وقد سمع ليلة هجوم الشعب على فرساليا بمقتل جورج دي شارني في القصر وبسفر اخيه ايزيدور دي شارني في اليوم التالي من تلك النواحي الى باريز وبوجود المدموازل كاترين مغمى عليها على الطريق قريباً من مزرعة ابيها . ولما دُعي الدكتور لمعالجتها وسمع اسم ايزيدور من فمها لم يبقَ لديه شك في حبها لايزيدور دي شارني . وبما ان بيتو عائد من باريز فلا بد ان يكون واقفاً على اخبار ايزيدور . فاذا اطلع كاترين على شيءٍ منها وسكن بالها من جهة حبيبها فان ذلك خير دواء لدائها

ولذلك سأل بيتو ان يستعد لمواجهته

وبعد برهة نادى الدكتور رينال بيتو فدخل بيتو الى غرفة المريضة فقال له الدكتور ان يمسك يد كاترين لفصدها لان الحمى كانت قد اشتدت عليها . ولما فصد الدكتور مريضته وبرز دمها وابصر بيتو ذلك الدم الذي لو طُلب منه ان يبذل حياته في سبيله لما قعد عن ذلك طار لبه وخار عزمه فترك يد كاترين في يد الممرضة والقى نفسه على مقعد هناك

وبعد الفصد تحسنت صحة كاترين وانتظم نبضها وتنازلت حرارتها فاخذ الدكتور بيتو وخرج من الغرفة وابلغ ابا كاترين وامها انه سائر ببيتو الى فيلله كوتريه ليبعث معه بدواء مسكن

وبعد ساعة عاد بيتو وهو يضرب اخماساً لاسداس لما دار بينه وبين الدكتور رينال من الحديث المختص بايزيدور . وقد علّم الدكتور بيتو كيف يعامل كاترين

ولما عاد بيتو الى غرفة المريضة كانت لاتزال مستغرقة في ذهولها الشديد ولكنها بعد هنيهة تململت وفتحت عينيها فوقع نظرها على بيتو فحسبت ان ما تراه رؤيا لاحقيقة فاغمضت عينيها ولكنها عادت وفتحتها بعد برهة . فلما ابصرها بيتو نهض اليها وقال وهو يمد ذراعيه . مدموازيل كاترين

فابتسمت له كاترين وقالت هذا انت يامسيو بيتو ؟ ثم التفتت الفتاة فابصرت الممرضة في الغرفة فالقت رأسها على وسادتها

فعلم بيتو ان كاترين تريد الكلام ولكنها لا تقدر عليه في حضور الممرضة فذهب الى المرأة وسالها ان تستريح فيسهر هو على المريضة فسرت الممرضة بذلك وذهبت الى مقعد هناك ورقدت عليه رقاداً عميقاً

اما بيتو فقد تحقق نوم الممرضة دنا من كاترين وقال : كنت اعلم انك تحبينه يامدموازيل كاترين ولكنني كنت اجهل انك تحبينه الى هذا الحد

فلما سمعت كاترين هذا الكلام اثرت فيها مكارم اخلاق بيتو فقصت له خبايا قلبها وقالت آه يامسيو بيتو ليتك تعلم مقدار تعاستي

فقال بيتو انني وان كنت يامدموازل كاترين لا يروقني الكلام عن المسيو ايزيدور الا انني استطيع ابلاغك شيئاً عن اخباره اذا شئتِ

فقالت كاترين . انتَ ؟

فقال بيتو نعم يامدموازل كاترين

فقالت كاترين وهل رايته

فقال بيتو لم أره وانما رآه المسيو سيباستيين فور في طريقه الى باريز

ثم قص عليها بيتو قصة ايزيدور وسيباستيين وابلغها خبر سفر ايزيدور في مهمة خاصة الى اسبانيا او ايطاليا

فاطرقت الفتاة هنيهة ثم تنهدت وقالت لا ريب انه سيصلني غداً كتاب منه

فاجفل بيتو وقال يصلك كتاب منه يامدموازل كاترين . ولكني اخشى ان يقع هذا الكتاب في يد ابيك

فقالت كاترين واين ابي ليقع الكتاب في يده

فقال بيتو ابوك في المزرعة وقد قدم اليوم اليها

فزاد اصفرار كاترين وقالت بحدة . بيتو بيتو اذا وقع الكتاب في يدي ابي فانه يقتلني لا محالة

فقال بيتو وقد زاد قلقه فما العمل اذاً

فقالت كاترين اذهب الى موزعة البوسطة في فيلله كوتريه وقل لها ان تضع لك الكتاب الذي يرد باسمي في احد حوانيت البلدة فتاخذه منها

فقال بيتو ساذهب حين شروق الصباح

فقالت كم الساعة الآن . فقال الساعة الخامسة . فقالت اسرع اسرع ولا تضع الوقت

فقال بيتو ولكن يجب ان نسقيك الدواء يامدموازل كاترين . فقالت الفتاة اسرع وعد لي بالكتاب فانه يكون خير دواء لي

فخرج بيتو من الغرفة ليذهب في تلك الساعة الى فيلله كوتريه . ولكنه وجد في خروجه الاب بيلو امامه . فساله بيلو بصوت جهوري الى اين يابيتو . فقال مضطرباً الى فيلله كوتريه . فقال بيلو وماذا تصنع فيها . فسكت بيتو ثم قال . . اني ذاهب لمقابلة الطبيب . . فقال ولماذا . قال لانه طلب مني ان اخبره عن صحة مدموازل كاترين في الصباح . وها قد طلع الصباح . فقال بيلو اذهب وعد سريعاً

ولكن الغضب كان ظاهراً في هيئة الاب بيلو وصوته

فذهب بيتو واخبر الدكتور رينال عن صحة كاترين ثم قابل موزعة البريد واخذمنها كتاباً بعنوان « مدموازل كاترين بيلو » وعاد مسرعاً الى كاترين

وعند مروره بغرفتها تسلق الجدار واطلَّ من النافذة فابصر كاترين شاخصة فيها تنتظره فاخذ الكتاب وحذفه اليها فوقع في فراشها . فاشرق حينئذ وجه كاترين اما بيتو فانه عاد ودخل الى البيت من الباب . وبينما هو داخل وجد بيلو في وجهه فوقف بيتو وصار وجهه احمر كالدم من شدة اضطرابه

فقال له بيلو ما لك يابيتو فقال بيتو لاشيء يامسيو بيلو فقال له اني اراك مضطرباً فقال كلا يا مسيو بيلو فانني عدت بخير وسلامة . ثم انسلَّ ودخل الى غرفة كاترين

وكانت كاترين قد قرأت الكتاب واصابتها نوبة شديدة بعد تلاوته فصارت تهذي في نومها وتقول سردينيا . . تورين . . ايزيدور . . بيتو . .

فلما دخل بيتو عليها قصت عليه المرضة الخبر فدنا بيتو من كاترين ففتحت الفتاة بعد برهة عينيها . ولما صادفت عيناها عيني بيتو قالت له تقدم تقدم فدنا منها بيتو فسالته عن سردينيا وتورين واخبرته ان ايزيدور قال لها في كتابه انه سافر اليها . ثم طلبت من بيتو ان يهتم للرسائل التي ستصلها منه على التوالي . فقال بيتو فكيف العمل . قالت يجب عليك ان تنتقل من المزرعة وتعود الى هرامونت ومن هناك تقصد في كل اسبوع دار البريد في فيلله كوتريه وتسال عن كتاب المدموازل كاترين . فقال بيتو وبعد ذلك . قالت بعد ذلك تخبىء الكتاب في المكان الذي وجدتني فيه مغمى عليَّ فاتناوله من هناك

وعلى ذلك تم الاتفاق بين كاترين و بيتو فخرج بيتو من المزرعة عائداً الى هرامونت مسقط راسه ارضاء لكاترين وخدمة لها طبقاً للقاعدة التي قضت بها الديانة المسيحية على الناس وهي انكار الذات لخدمة القيرلان بيتو كما هو معلوم عند القارى. كان يحب كاترين

الفصل الثالث عشر

﴿ احتفال قروي ﴾

وكان بيتو في اعلى منزلة في هرامونت مسقط راسه . ولما سافر منها على حين بغتة قال السكان انه سافر بناء على امر من لافاييت و بعضهم قال انه سافر بناء على امر من الملك نفسه

وكان الحرس الوطني في هرامونت لا يزال يذكر قائده بيتو و يتنسم اخباره و يترقب عودته

فلما عاد بيتو كانت عودته عيداً عاماً في القرية . وقد ذكرنا ان الدكتور جيلبار كان قد منحه خمسة وعشرين ذهباً ليسلح بها حرس هرامونت و يبتاع لهم ملابس عسكرية ففي يوم وصول بيتو الى هرامونت زاره ضابطا الفرقة فسالها بيتو ان يبلغا الجنود بوجوب الاستعداد للتمرين والاستعراض بعد بضعة ايام

ولما حان يوم الاستعراض استعرضهم بيتو و بعد الاستعراض اخبرهم بوجوب الذهاب الى خياط القرية ليلبسوا عنده الملابس العسكرية الجديدة التي تبرع عليهم بها لافاييت بامر من الملك

فكان لهذا الامر دوي شديد في تلك القرية وما جاورها

وكان رجال الحكومة يستعدون في يوم الاحد التالي لاقامة احتفال عمومي في فيلله كوتريه فبنى رجال الحكومة مذبحاً جميلاً في فيلله كوتريه زينوه احسن زينة وسموه « مذبح الوطن» ودعوا الاب فورتيه الذي تقدم ذكره غير مرة الى اقامة القداس فيه

ذلك ان كل احتفال من احتفالات فرنسا القديمة كان لا غنى عن القداديس فيه

وفي يوم الاحد التالي المعين لذلك الاحتفال قرعت الاجراس منذ الساعة الخامسة صباحاً ودقت الطبول فنهض اهل فيلله كوتريه وضواحيها استعداداً لذلك الاحتفال العظيم . وكانت جنود النواحي قد دعيت الى الاشتراك في هذا الاحتفال وقد خصت جنود هرامونت بالمقام الاول امام المذبح لان شهرتها كانت قد طبقت الضواحي . ولما

اشرقت الشمس توافد الناس من كل جانب الى فيلله كوتريه لحضور الاحتفال وقدم حرس دراموند بملابسهم الجديدة الجميلة يتقدمهم بيتو على جواد ابيض كلافاييت وكأنه لافاييت فزحم السكان تلك الفرقة الباسلة من كل جانب واخذوا يهتفون لها حتى اوصلوها الى المذبح فوقفت هناك و وقف قائدها في مقدمتها

ولما استقر المكان بيتو مدّ بصره الى حوله فابصر قريباً منه امرأة تطيل النظر اليه فتاملها فوجد انها عمته انجليك التي كان له معها شأن في مقدمة الرواية . فرفع بيتو راسه وقال بهيئة العظمة « بونجور مدام انجليك » وقد قصد بيتو بهذا القول الانتقام منها لان عمته عازبة كما يعلم القراء . فمدت العمة حينئذٍ ذراعيها الى السماء وقالت « يا لله من شقي فان المجد قد افقده صوابه » ثم اردفت ذلك بقولها بعد برهة « لا ريب انني اخطأت في اساءتي معاملته فان العمات ترثن اولاد الاخ .... »

وقد سمع بيتو قولها الاول والثاني ولكنه اظهر انه لم يسمع شيئاً

وفي هذه الاثناء لاحظ بيتو ان سيدة من بين الجمع تشير بمنديلها اليه . فامعن النظر فيها فوجد انها مدموازل كاترين

وكانت كاترين قد نهضت من فراشها لشفائها من دائها وهي صفراء اللون ولكن صفرتها زادتها جمالاً على جمال

فاسرع بيتو فاغمد حسامه الذي كان بيده ثم تناول قبعته عن راسه احتراماً و بادر اليها

ولو كان يسير لمقابلة لافاييت حينئذ لما رفع قبعته عن راسه بل كان اكتفى بان يمسكها من طرفها

ولما بلغ بيتو الى كاترين مدت اليه الفتاة يدها باسمة وقالت . ما احسن منظرك يامسيو بيتو تحت هذا الثوب العسكري ثم ضغطت على يده وقالت بصوت منخفض اشكرك اشكرك فانني اخذت الكتاب الذي وضعته في نقر الشجرة . وليتك تعلم مقدار حبي لك

اما بيتو فشعر عند هذا الكلام بان الارض تميد به فحاول الكلام ولكنه لم يقدر عليه . و بينما هو في هذه الحيرة الشديدة واذا به يرى جمهوراً غفيراً من الناس قادماً بضجة وغوغاء نحو المذبح فعاد الى نفسه وحينئذ جذب يده من يد كاترين واسرع الى جنوده ووقف في مقدمتهم استعداداً لما عساه ان يطرأ

اما سبب قدوم هذا الجمع الغفير بهذه الحركة والضوضاء فبيانه في ما يلي

الفصل الرابع عشر

﴿ الاكليروس والثورة ﴾

وكان السبب في تلك الحركة والغوغاء ان الاب فورتيه ابى الحضور لاقامة قداس على « مذبح الوطن وقد كادت تمر ساعة القداس ولم يحضر . فلما علم الشعب بذلك تجمهر حول منزل الاب فورتيه ثم حضر شيخ القرية بنفسه لرفع رجائه الى الراهب لعله يلين لالتماسه

اما الاب فورتيه فانه كان مصرًا على الامتناع وقد امر باقفال ابواب الكنيسة ليمنع رجال الحكومة من اخذ الاواني المقدسة الى « مذبح الوطن » لاقامة القداس فيه اذا تسنى لهم وجود كاهن غيره

فلما درى الشعب بهذا الامر ازداد غيظاً وسخطاً

وحين وصول شيخ القرية الى باب منزل الاب فورتيه كان الاب يقفل بابه في وجوه الحاضرين ويصيح بهم

— اذهبوا يا كفار . اذهبوا يا اشقياء لا تدنسوا بابي وتقتربوا منه

فقال له شيخ القرية وقد كان يخاف غضبه . ولكن ما يمنعك يا حضرة الاب من الذهاب معنا للصلاة بيننا

فصاح الاب بغضب . انا اذهب واصلي لكم . معاذ الله ان اصنع ذلك . فان عملي يكون بمثابة موافقة على التمرد والعصيان . ومباركة للكفر . وتقديس لكران الجميل

فقنط شيخ القرية من ذهاب الراهب معه فقال له . لك رايك يا جناب الاب وانت حرٌّ فيما تريد ان تصنع

فقال الاب فورتيه متهكماً . اصحيح اني حرٌّ . حقاً انك كريم يا مسيو لونيره

ثم ان الراهب دفع الباب بشدة في وجه شيخ القرية والحاضرين

ولكن الباب لم يندفع ويكاد يغلق حتى هجم من الحاضرين رجل شديد القبضة ودفعه دفعاً شديدًا الى الداخل فانفتح بعنف وشدة وكاد يسقط الاب فورتيه على الارض

وكان هذا الرجل صاحبنا بيلو الذي نعرفه

اما الشعب فانه شعر في الحال بان امرًا عظيماً سيحدث بين هذين الرجلين . واما بيلو فانه وقف في الباب بين الاب فورتيه والجمهور وهو كانه الجبل الراسخ في مكانه . ثم

التفت الى شيخ القرية · وقال · ماذا قلت يا حضرة الشيخ · اعد ما قلتـه على مسمعي · هل تقول ان حضرة الراهب حرٌّ في انْ يذهب معنا لاقامة الصلاة او لا يذهب هل تقول هذا

فقال الشيخ متلعثماً وماذا اقول اذاً اذا رفض الذهاب

فصاح حينئذ الاب فورتيه مخاطباً بيلو · ابعد يا كافر ابعد يا ماسون · انصرف من وجهي · وهمّ باقفال الباب

فنظر اليه بيلو بعينيه الشديدتين ثم قال برزانة وجدٍّ · لا تهنِ بكلامك يا حضرة الراهب والا فانك لا تعلم الامر الذي تدفعني اهانتك اليه · ولكن باحثني لاباحثك · هل لك ان ترفض الصلاة التي يدعوك اليها الناس · انت تقول انك مطلق في رفضهـا وانا اقول انك مقيد بقبولها · فان الذي يعيش من الامة هو خادم لها · والخادم يجب عليه ان يقوم بخدمته لان كل صاحب اجرة يجب عليه ان يقوم بالعمل الذي يستوفي اجرته

فارغى الاب فورتيه وازبد حين سماعه هذا الكلام · اما الشعب الواقف فانه تحمس لكلام بيلو وصار يصيح بالراهب صياح السخط والغضب · فنظر الاب فورتيه الى بيلو بعين ملئها الغيظ وقال · ولكن الا تعلم ان الكنيسة مستقلة وليس للبشر سلطان عليها

فقال بيلو · لو كنت انكليزياً او المانياً او ايطالياً ايهـا الاب فورتيه لجاز لك هذا القول · ولكنك تقول انك فرنسوي ماجور من الامة لتصلي لهـا فيجب عليك والحالة هذه ان تقوم بمهمتك

قال ذلك ثم مدّ يديه القويتين الى الاب فورتيه واختطفه من مكانه كانه عصفور ودفعه الى الخارج · فانكسرت حدة الاب فورتيه عند ذلك · وقال · تريدون تعذيبي كما تعذب الشهداء فانا راضٍ بهذا العذاب · فقال له بيلو لا عذاب ولا شهداء وانما ناخذك بالرغم عنك الى مذبح الوطن لتصلي لنا وتستنزل نعم السماء علينا

وحينئذ زحم الشعب الاب فورتيه من كل جانب واخذوا يدفعونه امامهم قاصدين المكان الذي اقيم فيه مذبح الوطن · وهذا هو الجمهور الذي شاهده بيتو بينما كان يخاطب المدموازل كاترين

ولما وصل هذا الجمع الى مذبح الوطن كان بيتو واقفاً في مقدمة جنوده وهو مستعد لحفظ الامن وقمع الفتنة اذا طرأ طارئ، كما كان يحدث في باريز · ولكن ما اشد ما كانت دهشته حينما ابصر الاب فورتيه معلمه القديم ماشياً بغضب امام بيلو وجماهير الشعب التي كانت

تدفعه من ورائه . فتحركت في الحال عوامل الحنو في قلب التلميذ على معلمه فخطا بينو من مكانه خطوتين وهو يقول ما هذا ايها الاب بيلو . وكذلك صنعت مدموازل كاترين التي كانت واقفة امام المذبح . اما الاب بيلو فانه اوقف الاثنين بنظرة واحدة وتقدم بالاب فورتيه الى درج المذبح وقال . « هذا هو مذبح الوطن الذي دعوناك الى الصلاة عليه ورفضت . وبناء عليه فانني اعلن الآن عدم استحقاقك لصعود درجاته ... لان الذي يستحق صعود درجاته يجب ان تكون في نفسه ثلاث عواطف : حب الحرية . وحب الوطن . وحب الانسانية . فيا ايها الكاهن . اذا كنت تحب ان يكسر العالم قيوده . اذا كنت تغاراً لوطنك . اذا كنت تحب البشر اكثر من نفسك ... فاصعد بجزاءة الى هذا المذبح واسأل الله لنا . ولكن اذا كنت لست افضل رجل بيننا فدع مقامك للافضل واذهب في سبيلك ...

فصاح الاب فورتيه حينئذ سحقاً لك ما اشقاك و باليتك تعرف الذين تناصبهم العدوان الآن

فاجاب بيلو بحماسة . بل اعرف الذين شهرت عليهم الحرب الآن . اني شهرت الحرب على الذئاب والثعالب والافاعي وكل ذي ناب ... وهذا الحي ودي فلتنهشني فانني لا اعبأ بها لانها لا تقدر عليّ

فصفق الجمهور لهذه الحماسة واما الاب فورتيه فانه عاد من حيث اتى ممتلىء الصدر حقداً وغضباً

ولكن لم تخمد ثورة الاضطراب حتى بدا القلق في وجوه الحاضرين فانهم كانوا مستعدين لحضور القداس قياماً بالاحتفال . وكيف يتم الاحتفال بلا قداس

فوقف بيلو بينهم وقال . لماذا تشكون من ذهاب الكاهن فاننا نقيم احتفالاً مكان احتفال . و بدلاً من القداس الذي كنا عزمنا عليه اني اتلو عليكم الآن صورة « حقوق الانسان » التي قررها المجمع الوطني في هذا العام فانها قانون الحرية وانجيل المستقبل

فصفق الحاضرون وارتاحوا الى ذلك فصعد حينئذ بيلو الى اعلى درج المذبح ووقف شيخ القرية عن يمينه والقائد بيتو عن شماله . الاول يمثل القوة القانونية والثاني القوة العسكرية . ومن هناك اخذ بيلو يتلو على الشعب بصوته الجهوري صورة حقوق الانسان التي كان قد حفظها

وهذه الحقوق السامية التي يجب ان يطأطأ امامها راس كل انسان هي اساس الثورة وحجر زاويتها وهذا نصها

الفصل الخامس عشر

﴿ اعلان حقوق الانسان ﴾

المادة الاولى

يولد الناس ويعيشون احراراً متساوين في الحقوق . ولا يمتاز بعضهم عن بعض الا فيما يختص بالمصلحة العمومية (اي ان نفع الجمهور هو قاعدة الامتياز)

المادة الثانية

غرض كل اجتماع سياسي حفظ الحقوق الطبيعية التي للانسان والتي لا يجوز مسها . وهذه الحقوق هي : حق الملك وحق الامن وحق مقاومة الظلم والاستبداد

المادة الثالثة

الامة هي مصدر كل سلطة . وكل سلطة للافراد او لجمهور من الناس لاتكون صادرة عنها تكون سلطة فاسدة

المادة الرابعة

كل الناس احرار والحرية هي اباحة كل عمل لا يضر احداً . وبناء عليه لا حدَّ لحقوق الانسان الواحد غير حقوق الانسان الثاني . ووضع هذه الحدود منوط بالقانون دون سواه

المادة الخامسة

ليس للقانون حق في ان يحرّم شيئاً الا متى كان فيه ضرر للهيئة الاجتماعية . وكل ما لا يحرمه القانون يكون مباحاً فلا يجوز ان يُرغم الانسان به

المادة السادسة

ان القانون هو عبارة عن ارادة الجمهور . فلكل واحد من الجمهور ان يشترك في وضعه سواء كان ذلك الاشتراك بنفسه او بواسطة نائب عنه . ويجب ان يكون هذا القانون واحداً للجميع . اي ان الجميع متساوون لديه . ولكل واحد منهم الحق في الوظائف والرتب بحسب استعداده ومقدرته ولا يجوز ان يُفضل رجل على رجل في هذا الصدد الا بفضيلته ومعارفه

المادة السابعة

لا يجوز القاء الشبهة على رجل اياً كان ولا القبض عليه ولا سجنه الا في المسائل التي

ينص عليها القانون وبموجب الطرق التي يذكرها · وكل من يغري اولي الامر بعمل جائر اوكل موظف يعمل عملاً جائرًا لا ينص عليه القانون يعاقب لا محالة · واذا تمرد استحق العقاب

المادة الثامنة

لا يجوز ان يعاقب القانون الا العقاب اللازم الضروري · ولا يجوز ان يُعاقب احد الا بموجب نظام مسنون قبل الجرم ومعمول به قانونياً قبله

المادة التاسعة

كل رجل يُحسب بريئاً الى ان يثبت ذنبه · واذا مست الحاجة الى القبض عليه فيجب ان يقبض عليه بلا شدة الا متى دعت الحاجة الى ذلك · وكل شدة غير ضرورية يعاقب صاحبها

المادة العاشرة

لا يجوز التعرض لاحد لما يبديه من الافكار حتى في المسائل الدينية على شرط ان تكون هذه الافكار غير مخلة بالامن العام

المادة الحادية عشرة

ان حرية نشر الافكار والآراء حق من حقوق كل انسان · فلكل انسان ان يتكلم ويكتب وينشر اراءه بحرية · ولكن عليه عهدة ما يكتبه في المسائل التي ينص القانون عليها

المادة الثانية عشرة

ان السهر على حقوق الناس يستوجب انشاء قوة عمومية اي هيئة حاكمة · فهذه الهيئة تنشأ اذًا لمنفعة الجميع

المادة الثالثة عشرة

بما ان الهيئة الحاكمة تحتاج الى نفقات لادارة الشؤون فيجب وضع ضريبة عمومية على جميع الوطنيين · اما مقدار هذه الضريبة فيجب ان يكون مناسباً لحالة الذين يدفعونها

المادة الرابعة عشرة

لكل الوطنيين الحق في ان يراقبوا اموال الضريبة سواء كانت المراقبة بانفسهم او بواسطة نوابهم · ولهم ايضاً البحث عن الوجوه التي تنفق فيها وتعيين مدة جبايتها

المادة الخامسة عشرة

للهيئة الحاكمة والمحكومة الحق في ان تسأل كل موظف عمومي عن ادارته واعماله وان تناقشه الحساب فيها

المادة السادسة عشرة

كل هيئة لا تكون فيها حقوق الافراد مضمونة ضمانة فعلية بواسطة السلطة العمومية ولا تكون فيها السلطة التشريعية (اي البرلمان) والسلطة التنفيذية (اي الحكومة) منفصلتين الواحدة عن الاخرى انفصالاً تاماً تكون هيئة غير دستورية

المادة السابعة عشرة

بما ان حق الامتلاك من الحقوق المقدسة التي لا تُنقض فلا يجوز نزع الملكية من احد الا اذا اقتضت المصلحة العمومية ذلك اقتضاء صريحاً وفي هذه الحالة يُعطى الذي تُنزع منه ملكيته تعويضاً كافياً »

وكان بيلو يتلو عليهم هذه البنود والناس مصغون اليه كأنَّ على رؤوسهم الطير . ولما اتى على آخر كلمة منها اردفها بقوله

« والآن اسمعوا ايها الاخوة ما قرره المجمع الوطني ذيلاً لهذه المواد . وهو « ان المجمع الوطني رغبة في انشاء دستور فرنسوي قد قرر الغاء جميع النظامات القديمة التي تخدش الحرية والمساواة والحقوق . وبناء عليه لم يبقَ في الهيئة الاجتماعية امتياز ولا رتب ولا وسامات بل كل الناس متساوون فيما بينهم » ثم ان بيلو رفع قبضته وصاح ملء فمه — فلتحيَ الامة

فلما سمع الشعب المجتمع هذا النداء خرجت منه اصوات تحكي قصف الرعد في الغمام . فصاحوا جميعاً فلتحيَ الامة فلتحيَ الامة . ذلك ان الانسان انتبه في جلود هؤلاء البشر بعد ان رقد فيها ستة قرون قضاها في العبودية والظلم والاستبداد . ذلك ان كل فرد من الافراد الحاضرين شعر بعد كلام بيلو انه صار حرًّا مستقلاً مساويًا في الحقوق والواجبات لكل واحد من بني الانسان . فتعانق الحاضرون وتصافحوا واخذوا ينشدون نشيدًا كانت تعزف به الموسيقى حينئذ وهو النشيد الذي يتلى في ساعة الزواج والعماد ومطلعه « اي مكان اهنأ للانسان من وسط عائلته » وفي الحقيقة ان البشر صاروا يرون انفسهم يومئذ عائلة واحدة لا تفصلهم تخوم ولا تقوم بينهم جبال ولا تقسمهم مطامع واوهام

وقد سرى هذا الهياج من ساحة الاحتفال الى اطراف القرية وما جاورها فاشترك فيه

الاهالي بابتهاج وارتياح . وقد اخرجوا افضل خمورهم واحسن خبزهم وجبنهم و بسطوا الموائد في الابواب والشوارع يأكلون طربين مسرورين احتفالاً بعيد الحرية العظيم

اما يلو و يتو وكاترين فجلسوا الى احدى تلك الموائد يأكلون . وكان يتو قد جعل مجلسه بازاء مجلس كاترين وكان مسروراً جداً . اما كاترين فان سرورها قد تبدل غماً بعد ما سمعته في خطبة ابيها . ذلك ان ايزيدور هو من النبلاء الذين الغيت امتيازاتهم فكانت ترى في ذلك الالغاء ظلماً له ولطبقته . ومما كان يزيد كراهتها لذلك افتكارها بان هذا الالغاء بدلاً من ان يساويها بازيدور يبعده عنها لاشتداد البغض بين طبقته وطبقتها

الفصل السادس عشر

﴿ تحت النافذة ﴾

اما يتو فانه لم يلبث ان اصبح مشغول البال بامر آخر . فانه لما كان يتناول من البوسطه رسائل ايزيدور الى كاترين كان يجد عليها اولاً طابع تورين . وبعد اسبوع رأى عليها طابع ليون . و بعد يومين وجد عليها طابع باريز فتحقق ان ايزيدور خصمه العنيد قد عاد الى باريز . واذا كان ايزيدور قد عاد الى باريز فانه لا بدّ ان يأتي الى قصره في بورصون ليكون قريباً من كاترين

وكان يتو قد رضي بان يكون وسيطاً بين كاترين وايزيدور انقاذاً للفتاة من مرضها لانه خشي عليها من الموت . ولكنه كان مع ذلك يؤمل ان يبقى ايزيدور بعيداً عنها . فانه قال في نفسه انني احب كاترين وكاترين تحب ايزيدور ولكنني انا قد فارقت كاترين دون ان امرض حتى الموت خلافاً لكاترين التي كادت تموت لفراق ايزيدور فهي اذاً تحبه اكثر من حبي لها بكثير . وبما انها تحبه الى هذا الحدّ وهو الآن بعيد عنها ولا يرجى ان يعود اليها فما ضرّني اذا برهنت لها على حبي بتخفيف شيء من عذابها ومساعدتها على الشفاء من مرضها

هكذا كان يقول يتو في مرض كاترين . ولكن لما شفيت هذه الفتاة ورأى يتو على غلاف رسالة ايزيدور طابع ادارة البوسطة في باريز وتحقق ان ايزيدور سيعود الى كاترين وتعود كاترين الى ايزيدور ثارت في نفسه عوامل الحب القديم والغيرة الشديدة .

وخشية من ان يأتي ايزبدور دون ان يدري به بيتو عزم على الذهاب الى غابات بورصون لصيد الارانب فيها ومراقبة حركات كاترين وسكناتها

وبينا كان متجهاً نحو هذه الغابة مرَّ بازاء مزرعة الاب بيلو فابصر في احدى النوافذ شخص كاترين وهي تمعن النظر في السهل امامها . فقال في نفسه لا ريب انها تنتظر قدومه . وقد لذعه هذا الفكر في نفسه لذعاً مؤلماً . غير انه دنا من المزرعة وسلم على كاترين فردت له التحية ببشاشة وسألته اين تذهب ياسيو بيتو . فاجاب اني ذاهب لاصطاد لك بعضاً من الارانب يامدموازل كاترين . فقالت كاترين اشكرك ياسيو بيتو على عنايتك انما ارجو منك ان تترك الذهاب مدة اسبوع الى البوسطة لانتقاد الرسائل فان ذلك لا يجدي نفعاً . فتحركت هنا اشجان بيتو فقال لها ولكني اخشى ياسيدتي من عاقبة هذا كله فانني ارى الاب بيلو متغيراً اما رأيتِ شيئاً من ذلك . فتنهدت كاترين وقالت بلى قد شاهدت شيئاً منه . فقال بيتو فانا اخشى على الذي كان السبب في هذا التغيير من ان يصيبه مكروه كما تعلمين . فاصفر وجه كاترين هنا وقالت لماذا تقول « الذي » ولا تقول « التي » . فصاح بيتو كيف ياسيدتي هل انت تخشين مكروهاً

ولكن ما كاد بيتو يتم سؤاله حتى قالت له كاترين اسكت فان ابي قادم . فالتفت بيتو فابصر بيلو قادماً الى المزرعة على جواد ينهب الارض نهباً . ولما صار بيلو قريباً من النافذة تفرس في الشخص الواقف تحتها ليعرفه واذ عرفه صاح به ما جاء بك يابيتو . فقال بيتو جئت ايها الاب بيلو لامد حبائلي للارانب في الغابات القريبة . فقال له وهل تتغدى عندنا . فاجاب بيتو حباً وكرامة فدخل بيلو الى المزرعة ووراءه بيتو ليتغدى عنده

الفصل السابع عشر

﴿ البندقية لقتل الذئب ﴾

ولما جلسوا على مائدة الطعام التفت بيلو الى بيتو وقال ما عهدتك نهماً يا بيتو فلماذا تطلب الارانب في الغابات · فقال بيتو انما اطلبها لمدموازل كاترين ياسيدي لا لي · فقال بيلو وقد رفع راسه · لقد اصبتَ لانها صارت لاتأكل ولا تشرب انظر الى صحفتها

فالتفت بيتو فراى ان كاترين لم تتناول من صحفتها المملوءة باللحم سوى ملعقتين من المرق

اما كاترين فازدادت اصفرارًا وقالت · لقد تناولت يا ابتِ كاساً من اللبن قبل قدومك وهذا هو السبب في عدم طلبي للطعام · فاجاب بيلو · انا لا اسأل عن السبب ولكنني اشير الى امر ثابت · ثم رفع راسه ونظر الى ساحة الدار وقال هذا صاحبنا كلويس · فقال بيتو واي شان له هنا · فقال بيلو اذا كنت تحب الصيد يا بيتو فانا احبه ايضاً

وحينئذ دخل الاب كلويس وفي يده بندقية بيلو المشهورة وقد اصلحها وصب لها ثلاث عشرة رصاصة · وبينما كان قادماً بها الى المزرعة اطلق احدى رصاصاتها فقتل بها ارنباً وابق الاثنتي عشرة رصاصة الى صاحبها ودفعها اليه · فتناولها بيلو وقال له كيف وجدت بندقيتي · فقال لم اجد بندقية مثلها ولكنك لم تقل لي لاي صيد تتخذها أ لصيد الخنزير البري ام سواه فانني صببت الرصاصات صغيرة فهي لا تصلح لقتل الخنازير · فاجاب بيلو كلا انني لا اروم صيد الخنازير بها · فقال بيتو فاذا اذًا تروم ان تتصيد هل تطلب الارانب مثلي · فاجاب كلا · فقال اذًا تريد صيد الطيور · فاجاب بيلو وقد بدأ يعبس كلا · فقال بيتو فاذا كنت لا تروم صيد الخنازير ولا الارانب ولا الطيور فما عساك تروم ان تتصيد · فاجاب بيلو اروم صيد الذئاب

ولو نظر بيتو الى كاترين في هذه الساعة لرأى وجهها مصبوغاً بلون كلون الاموات · اما بيلو فانه استمر في حديثه فقال · في ضواحي المزرعة ذئب علمت بوجوده في العام الماضي ثم ذهب فحسبت انه لا يعود ولكن الرعاة ابلغوني في هذا الاسبوع انه عاد فاعددت هذه البندقية حتى اذا دنا من مزرعتي اصبته بها

وكان بيلو يتكلم وكاترين تزداد اضطراباً واصفرارًا فلم يكد ابوها يتم كلامه حتى

نهضت بعنف تطلب الخروج من الغرفة مخافة ان يغمى عليها امام ابيها . فلما رآها يلو وهي في تلك الحال ازداد تعبيساً . اما بيتو الذي لم يكن قد فهم شيئاً فانه قام وتبعها ليسألها ماذا اصابها . فلما خرجت كاترين من الغرفة وصارت في غرفة بازائها سقطت على الارض خائرة العزم وصارت تبكي وتقول — آه لقد عرف بقدومه وهو ينوي قتله

فلما سمع بيتو هذا الكلام استثار عقله بغتة وهمّ بالكلام واذا بصوت بيلو يناديه بغضب من باب الغرفة . بيتو بيتو . اي شغل لك هناك . اذا كنت حقيقةً قد جئت لصيد الارانب فعجل بالذهاب والا مضى وقت الصيد . فاجاب بيتو المسكين . حقاً يا مسيو بيلو انني لم اجيء الا لصيد الارانب . فقال بيلو بصوته الجهوري . فاذا تنتظر اذاً . فعلم بيتو انه لا يجد جواباً لهذا السؤال فقام وخرج من المزرعة قاصداً الحرش وهو تارة يسير وتارة يلتفت . اما كاترين فانها نهضت وسارت الى غرفتها واقفلت الباب وراءها . فلما سمع ابوها صوت اقفال الباب قال « اقفليه اقفليه ايتها التعيسة فانني لا انتظر الذئب من هذا المكان »

الفصل الثامن عشر

﴿ بيتو يكمن ﴾

اما بيتو فانه لما صار في الحرش كان يفتكر بكاترين وابيها لا بالارانب . فجلس تحت شجرة ومن هناك اخذ يراقب مزرعة الاب يلو ويفتكر بالمصيبة القادمة

وكان المساء قد امسى والشمس اخذت تتوارى في الافق فازداد بيتو انتباهاً لنوافذ المزرعة وبابها

واول امر شاهده انفتاح باب المزرعة وخروج الاب كلويس منه . ثم بعد حين ظهر الاب بيلو في نافذة غرفته وفي يده بندقيته وهو يحشوها متانياً كما اوصاه الاب كلويس . وقد شاهد بيتو بيلو دون ان يكون لبيلو ان يشاهده لانه كان مختبئاً باشجار الغابة

وكانت نافذة الاب بيلو فوق نافذة كاترين وكانت كاترين قد فتحت نافذتها وجلست فيها تشرف على السهل والغابة ولكن بيلو لم يكن يستطيع ان يراها الا اذا مدت كاترين راسها من النافذة . وكانت نافذة كاترين في الطبقة السفلية وهي قريبة من الارض

وبعد حين غابت الشمس في كهف المغيب وهبّ على الغابة نسيم المساء المنعش كانه

يودّع كوكب النهار . فازدادت كاترين تطلعاً الى السهل والتفاتاً الى جوانبه . فادرك بيتو في الحال انها تنتظر قادماً . فقال في نفسه من عسى ان يكون هذا القادم غير الفيكونت ايزيدور دي شارني . وفي الحال تمثل له ان الخطر صار قريباً . فان بيلو بعد ان حشا بندقيتـه بتأنٍ ردّ عارضتي النافذة الى الداخل وجلس وراءها يراقب الطريق حتى اذا جاء الخصم قتله برصاصة واحدة . فقال بيتو في نفسه ماذا يجب عليّ الآن ان اصنع . فحدثته نفسه ان ينهض و يسرع الى قصر ايزيدور دي شارني في بورصون و يوقفه على هذا الامر . ولكنه لم يلبث ان عدل عن هذا الفكر لان كاترين لم تعهد به اليه فضلاً عن انه لا يعد اذا علم الفيكونت بالخطر ان يطلبه و يقتحمه دون ان يُبالي فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه

و بينما كان بيتو مفكرًا في هذه الامور وكله عينان شاخصتان بنافذة الاب بيلو و بنافذة كاترين كان الليل قد ارخى سدوله ودخلت الطبيعة في سبات الليل و راحة الظلام

ثم تكاثفت ستائر الليل و بعد حين راى بيتو من مكانه شبحاً يلوح في نافذة كاترين . وكان بيتو قد تعود النظر في الظلام لانه الف السير فيه لصيد الارانب في الاحراش فحدق جيداً في النافذة فابصر ان الشبح شبح شخص نازل منها لا شبح شخص صاعد اليها . فتحقق في الحال ان كاترين عزمت على الذهاب بنفسها الى بورصون لانذار ايزيدور بالخطر الذي يتهدد حياته اذا دنا من المزرعة . فخفق عند ذلك قلب بيتو خفقاناً شديداً . ومما زاد خفقانه انه علم ان كاترين اذا خطت خطوتين في الطريق فان بيلو الذي كان يراقب الطريق من وراء النافذة لا بدّ ان يراها

اما كاترين فانها لما صارت على الارض وقفت وترددت بين ان تسير في السهل في اقرب الطرق الى بورصون و بين ان تسير على موازاة جدران المزرعة وتعطف بعد ذلك على بورصون خوفاً من ان يراها احد منها . فسرّ بيتو لما شعر بانها افتكرت بالمسير على موازاة الجدران لان ذلك يخفيها عن عيني ابيها ولكنه لم يلبث ان رآها اخذت تسير منحنية كي يسترق الخطى في السهل امام المزرعة فهاله سيرها هذا لانه علم ما وراءه

ذلك ان كاترين لم تصر تجاه النافذة التي كان ابوها وراءها حتى انفتحت هذه النافذة بتأنٍ و برز منها راس بيلو . فتاردم بيتو لانه علم ان بيلو قد راى شبحها . وبعد هنيهة انسحب الراس ولم تمضِ دقيقة على انسحابه حتى فُتح باب المزرعة وخرج منه بيلو وفي يده بندقيته . ولكنه بدلاً من ان يسير في اثر ابنته ثار في طريق اخرى اخصر من طريقها

وهي تؤدي الى منعطف الطريق المؤدية الى بورصون ليقطع الطريق على ابنته فيها .

فعلم بيتو حينئذٍ انه يجب عليه ان لا يُضيع ثانية واحدة . فنهض كالبرق الخاطف واطلق ساقيه للريح ليلاقي كاترين قبل وصولها الى منعطف الطريق حيث يكمن لها ابوها و يوقفها على الخطر الذي امامها . فلم تمضِ عليه بضع دقائق راكضاً حتى قارب كاترين فكمن لها بين الاشجار لكي لا يذعرها

و بعد هنيهة وصلت كاترين الى مكمنه وهي تركض بقدم خفيفة وتلهث من التعب والخوف . فنهض بيتو من مكانه و برز لها قائلاً انا بيتو . وقد قصد بذلك ان تعرفه حين بروزه لئلا يخيفها ظهوره على حين بغتة . ومع ذلك فان الفتاة خافت خوفاً شديداً حين رؤيتها شبحاً امامها وصرخت صوتاً خفيفاً . ثم انها لما عرفته قالت له

— هذا انت يامسيو بيتو

فاجاب بيتو ارجعي ارجعي يامدموازل كاترين فان اباك علم بخروجك فسار بطلبك

فقالت كاترين بصوت ملئه اليأس والبكاء . ومن « يخبره » بما جرى فانني اخشى قدومه وهلاكه

فقال بيتو كوني مستريحة البال ياسيدتي فانني اكن لايزيدور في هذه الجهات ومتى رايته قادماً الى المزرعة اطلعته على الامر . فعودي في الحال الى غرفتك

فمدت كاترين يدها الى بيتو وقالت له شكرًا شكرًا لك يا بيتو فانك تنقذ نفسين في آن واحد

فاجاب بيتو كل شيء هين في سبيلك يامدموازل كاترين لانني انا احبك ايضاً

ثم ان كاترين عادت ادراجها الى غرفتها فدخلت اليها من النافذة التي خرجت منها واغلقت النافذة وراءها . اما بيتو فانه قصد اشجارًا قديمة من الصفصاف كانت قائمة على مسافة عشرين خطوة من المزرعة وجلس في جوف احدها ينتظر في سكون ذلك الليل قدوم الفيكونت ايزيدور دي شارني ليحذره من الخطر الذي يتهدد حياته



الفصل التاسع عشر

﴿ انتظار الذئب ﴾

ولكن لم يستقر بيتو في جوف جذع الصفصافة القديمة حتى سمع وقع اقدام من جهة الحرش فاصغى جيداً فوجدها ثقيلة فعلم ان اقدام الشاب ايزيدور اخف منهـا · وبعد حين دنا القادم من جهة شجر الصفصاف فتبينه بيتو فاذا به الاب بيلو وبندقيته على كتفه وقد عاد من الحرش لانه لم يجد فيه احداً فحسب ان عينيه قد خدعتاه وان الشبح الذي رآه لم يكن شيئاً

غير ان بيتو لم يلبث ان تحقق ان بيلو يقصد شجر الصفصاف فخاف ان يكون قد قصد الاختباء بها ليكمن لايزيدور · وقد كان خوف بيتو في محله · ولذلك لم يدنُ بيلو من شجر الصفصاف حتى خرج بيتو متانياً من جوف الصفصافة وهبط الى حفرة كانت تحت جزع الشجرة وجلس فيها

وكانت الريح شديدة العصف فلم يسمع بيلو لبيتو حركة وكان بيلو يعرف تلك الاشجار فقصد اضخمها وهي التي كان بيتو جالساً في جذعها وجلس في نفس المكان الذي كان بيتو جالساً فيه وقد جعل بندقيته بين يديه

فبناء عليه اصبح بيلو في نقر جذع الشجرة فوق وبيتو في الحفرة التي تحت

غير ان بيتو كان يرى بيلو ولكن بيلو لم يكن يرى بيتو ولا درى بوجوده هناك

فاخذ بيتو يتامل في اسطوانة البندقية المفضضة التي كانت تسطع في جوف الليل ويدعو في نفسه ان لا يحضر ايزيدور لانه اذا حضر لم يقدر على انذاره بالخطر فيهلك لا محالة

وحينئذ تظن كاترين ان بيتو قد خانها وتعمد اهمال انذار ايزيدور وهذا الظنُّ يُدمي قلب بيتو الكريم ويقصف ظهره قصفاً

وبينما كان بيتو يفكر في مثل ذلك واذا به يسمع وقع حوافر خيل على الطريق الموصلة الى المزرعة فالتفت فوقه فوجد ان بيلو قد هيأ بندقيته وقد اخذ ينحني ويمد بصره الى الطريق ليتحقق القادم

وكان الجواد القادم ينهب الارض نهباً وقد اصاب حافره بلاطة في طريقه فثار منهـا الشرر لشدة الصدمة · وما زال به الفارس حتى وصل الى شجرة قريبـة من المزرعة فترجل

عنه وربطه بها ثم اتجه نحو المزرعة

فاتى حينئذ بيلو كما يفعي الليث قبل الوثوب ووجه فم بندقيتـه نحو الشخص ثم فتح القوس ليوري الزناد . فسمع بيتو صوت فتح القوس فوق راسه فاخذ يعض يده من اليأس ويشد شعره من الخوف على حياة ايزيدور . اما بيلو فانه لم يلبث ان اعاد البندقية عن سكتته لانه راى ان الشخص لا يزال بعيداً وخشي ان يخطئه فلا يصيبه

وكان ذلك الشخص وهو ايزيدور نفسه قد اخذ يدنو من نافذة كاترين . فلما توسط الطريق اليها سدد بيلو بندقيته اليه مرة ثانية وبيتو ناظر اليه من تحته وكانه على نار حامية . ولكن بيلو اعاد البندقية هذه المرة ايضاً لان المجال كان بعيداً ايضاً

وبعد حين وصل ايزيدور الى نافذة كاترين وصار المجال قريباً فسدد بيلو بندقيته اليه بغضب بالغ مبلغه . فقرع حينئذ ايزيدور على النافذة ثلاث مرات قرعاً معروفاً عند كاترين . فما اتم ايزيدور القرعة الثالثة حتى شد بيلو يده على القوس واطلق نار البندقية

فنظر بيتو من فوق راسه ان البندقية قد اطلقت . ولكنه لم يسمع من صوت الطلق سوى وقع الزناد يتلوه الشرر فتنفس الصعداء وعلم ان الطلق لم يخرج من البندقية

وكانت نافذة كاترين قد انفتحت وظهرت كاترين فيها تمد ذراعيهـا الى ايزيدور . فلما راى ايزيدور شرر النار في الصفصافة وسمع صوت قوس البندقية علم بمـا كان مخبوءا فهم بالهجوم على الصفصافة لاقتحام نار صاحبها . ولكن كاترين تعلقت به وصاحت في اذنه . هذا ابي هذا ابي . فانجُ بنفسك . ثم انها اخذت تجذبه من النافذة الى الغرفة

وكان بيلو قد زاد البارود من ثقب البندقية من جهة القوس ليحدث الاتصال بينه وبين بارود الطلق . ثم انه سدد البندقية مرة ثانية ورام اطلاقها . ولكنه راى ان كاترين وايزيدور اصبحا في النافذة مختلطين تقريباً فخشي اذا اطلق على ايزيدور ان تُصاب كاترين . ولذلك اعاد بندقيته وهو يعض شفتيه من الحنق والغيظ

وكانت كاترين في اثناء ذلك قد جذبت ايزيدور الى داخل الغرفة . فلما راى بيلو ذلك نزل من مكانه وسار ركضاً الى الجانب الثاني من المزرعة

اما صاحبنا بيتو فلما راى ذلك علم ان بيلو يقصد الجانب الثاني ليكمن لايزيدور فيه لعلمه ان كاترين ستدعه يفر منه . فوثب في الحال من مكانه وثبة الظبي النافر واطلق ساقيه للريح . وما زال راكضاً حتى وصل الى نافذة كاترين . فوثب منها الى داخل الغرفة

فلم يجد فيها احدًا فسار ركضاً الى الدار ومنها قصد جدار المزرعة الثاني فوجد ايزيدور يتسلق هذا الجدار وكاترين تودعه . فصاح به بيتو اسرع اسرع يامسيو ايزيدور ولا تضع الوقت . فوثب ايزيدور عن الجدار واختفى في الظلام

اما كاترين فانها كادت تسقط على الارض من شدة الخوف والتعب وبينا هي في هذه الحالة واذا بها تسمع صهيل جواد في الخارج فقالت هذا جواده . وبعد برهة سمعت صوت وقع حوافر الجواد على الطريق وهو يركض باشد قوته . فقالت لقد سار ونجا . ولكنها لم تفه بهذه الكلمة حتى دوى في الفضاء صوت طلق ناري وتلاه طلق آخر . فكادت كاترين تجن لعلمها ان اباها قد اطلق النار على ايزيدور

اما بيتو فهدأ روعها وقال لها اسمعي لنرى اذا كان الجواد قد وقف او ظل سائرًا . واذ اصغيا سمعا وقع حوافر الجواد من بعيد فعلما ان فارسه قد نجا عليه . فتنفس كلاهما الصعداء . وقال بيتو . لا بدَّ من نجاته فان اليد لا تصيب في الليل كما تصيب في النهار فضلاً عن انها لا بدَّ ان ترتجف اذا كانت تطلق الموت على انسان

وكانت كاترين قد سقطت على الارض من الضعف فانحنى بيتو وهم بانهاضها وهو يقول هلي ياسيدتي فان اباك لا بد ان ياتي

فرفعت الفتاة راسها وسالته . الى اين

فقال الى غرفتك

فقالت لا . لا اذهب الى غرفتي لانني اريد ان اقطع كل علاقة بيني وبين الرجل الذي رام قتل .... حبيبي

فقال بيتو ماذا تقولين

فقالت كاترين بغضب اقول انني اروم الآن الخروج من المزرعة فهل لديك مكان لاختبيء به يامسيو بيتو

فاجاب بيتو وهو يحك راسه نعم اخبئك اذا اردتِ ولكن ماذا يقول الاب بيلو . فقالت الفتاة بغضب ايضاً قلت لك اروم قطع كل علاقة لي بيني وبين الرجل الذي رام قتله ..

وكان الغضب يعمي رشدها ويثير في نفسها افكارًا غريبة تقرب من الجنون . وربما كان ذلك ناشئًا ايضاً عن خجلها من مشاهدة ابيها بعد ما جرى

ولما رات الفتاة ان بيتو متردد قالت له . ما لك لا تجيبني . انني الآن مغادرة هذا المكان فهل تتبعني ام لا . فقال بيتو كيف لا اتبعك يامدموازل كاترين . قالت فهلم

بتا اذاً ثم خرجت واباه . ولم يرها احد في خروجها ولم يعرف احد المكان الذي اختبأت به كاترين على بد بيتو الا الله وحده

الفصل العشرون

﴿ بعد الزوبعة ﴾

وفي صباح اليوم الثاني سكنت الزوبعة وهمدت الريح و برزت الشمس من وراء الغيوم الكثيفة فقام عمال المزرعة الى اعمالهم كأن لم يكن شيء مما جرى . غير ان بعضهم قالوا وهم خارجون : ان الكلاب نبحت كثيرًا في هذا الليل وقد سُمع طلقان ناريان في منتصف الليل

هذا كل ما ظهر لعمال المزرعة من ذلك الاضطراب الشديد الذي حدث في المزرعة في تلك الليلة . واما بيلو فانه لم يرقد له جفن في ذلك الليل . ولما اشرق الفجر قام الى المكان الذي كان الجواد مربوطاً فيه فوجد خيطاً من الدماء ممدوداً من ذلك المكان الى مسافة بعيدة . فتنهد وثارت نفسه كلها لرؤيته دم ذلك الرجل الذي يعبث بشرفه . ثم عاد الى المزرعة ليرى ابنته و يناقشها الحساب على هذه الدنايا . فوقف امام غرفتها وصاح بغضب : كاترين . فلم يجبه احد . فصاح مرة اخرى : كاترين كاترين . فلم يجبه احدٌ ايضاً . فارتاب بيلو حينئذ في ذهابهما من المزرعة وللحال خمدت ثورة نفسه وتغير صوته من الخشونة الى الرقة . فنادى بصوت لطيف . كاترين كاترين . فلم يجبه احد ايضاً

فدخل حينئذ بقدم مرتجفة الى غرفة كاترين فوجدها خالية خاوية فاضطربت نفس هذا الرجل الذي لا تضطرب له نفس وكاد يبكي لو لم يكن مقدوداً من جلد . فتجلد وخرج الى دار المزرعة وعلى وجهه علامات الغيظ واليأس . فوجد فيها زوجته مدام بيلو وكانت تجهل سبب غضبه فسالته متلطفة اين كاترين فانني لا اراها في هذا الصباح . فغص بيلو بريقه وكاد ينصدع صدره ولكنه تجلد ايضاً واجاب امراته بهدوء . ان كاترين سافرت لتبديل الهواء عند عمتها . فحزنت الام لفراق ابنتها ولا سيما لان فراقها كان فجائياً وسالته . وهل تطول مدة اقامتها هناك . فاجاب بيلو بغضب لا اعلم . فسارت الام الى مطبخها وجلست تبكي على فراق ابنتها . اما بيلو فانه قصد المائدة لياكل فلم يقدر ان يبتلع لقمة واحدة فتناول زجاجة من نبيذ بورغونيا وافرغها في جوفه دفعة واحدة . ثم طلب

جواده فركبه وهام على وجهه في تلك السهول والاحراش لعله يتعزى عن فراق ابنتـه او يجد اثرًا لها

واما بيتو فان الصباح اصبح عليه وهو جالس في غرفته في قرية هرامونت ولكن بعضاً من سكان هذه القرية رابهم منه امر في تلك الليلة. فان بعضهم روى انه شاهده عائدًا الى القرية في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل. وبعضهم روى انه كان في الساعة الثانية عند صخرة كلويس على مسافة ستة اميال من قرية هرامونت فشاهد هنالك بيتو سائرًا وهو يحمل امرأة بين يديه . ولذلك كان السكان في ذلك الصباح يتكلمون عن بيتو ويسالون عنه

وكان بيتو لم يذق الكرى في تلك الليلة ايضاً . وقد شاركه في هذا الامر الدكتور رينال الذي شهدناه بطبب كاترين . فانه ما انقضت ساعة بعد منتصف الليل حتى قُرع جرس منزله في فيلله كوتريه قرعاً شديدًا ففتح الباب فوجد خادم الفيكونت ايزيدور دي شارني يدعوه ان يسرع الى منزل الفيكونت وياخذ معه آلة الجراحة . وكان الخادم قد جاء بجواد للدكتور ليسرع عليه الى سيده . فركب الدكتور الجواد وسار عليه الى منزل شارني في بورصون فوجد الفيكونت مصاباً بجرحين واحد في جنبه وواحد في كتفه والاول اشد خطرًا من الثاني . فان رصاصة ابي كاترين كانت قد خرقت الجلد في الجنب وخرجت من مكان آخر دون ان تصيب عضوًا رئيساً واما رصاصة الكتف فانهـا لحست الجلد لحساً . فضمد الدكتور الجرحين وبشر المصاب بالسلامة . فمد يده ايزيدور وناوله ٢٥ ذهباً وقال له خذ هذا المبلغ ايها الدكتور ولكن لا تتكلم عن جرحي لاحد . فاجابه هذا الدكتور الفاضل : ان اجرة زيارتي لا تتجاوز خمسة فرنكات فاذا رمت مني السكوت فلا تدفع لي اكثر منها

ثم مد الدكتور يده ولم ياخذ من تلك القيمة سوى خمسة فرنكات . ولكنه قال له انه سيعود الى زيارته مرتين افتقادًا لجرحيه

. . . .

واما بيلو فانه بعد ان جال قليلاً بين السهول والغابات نزل عن جواده وجلس تحت شجرة هناك واخذ يفتكر . وبماذا كان يفتكر ؟ كان يفتكر بالليلة البارحة وما حدث فيها من الاهوال

وكان هواء الغابة قد انعش نفسه فعاد اليه صوابه . فصار يقول في نفسه وهو جالس

يفتكر « ماتت كاترين ماتت كاترين · لقد اجترأتْ على الخروج من المزرعة ومفارقة البيت فانا اعتبر بعد الآن انها ماتت ولم يبقَ لها وجود · وكم كنتُ افضل ان تموت على ان تهين عيلتها ونفسها هذه الاهانة

لقد اخطأتُ في تركي المزرعة وانابتها منابي مدة غيابي في باريز فان ذلك اطلق لها عنان الحرية وجعلها في امن من كل مراقبة · ولكن كيف العمل فان امها غير قادرة على ادارة المزرعة مثلها · فيالتعاسة منزل تكون فيه الام جاهلة بسيطة والابنة نبيهة طائشة

ولكن هل الذنب ذنب كاترين ام ذنب ذلك اللئيم ··· لا لا ·· الذنب ذنبهما كليهما ·· لانهما كلاهما قد اشتركا في الشر · ولكن ذنبه افظع من ذنبها ولذلك رمت غسل ذنبه بدمائه ··

ثم اطرق بيلوهنيبه وجعل يفتكر ايضاً · فراى وهو يفتكر انه قد اخطأ في مطاردة ايزيدور لقتله ·

هل ان ذلك الفتى منفرد بين الناس بالاعتداء على بنات الناس · كلا فان ابناء النبلاء لا همّ لهم غير مطاردة بنات الشعب لاقتناصهن · واذا كان هؤلاء الابناء لايحبون بنات الشعب وآباؤهم لا يتزلفون الى الملك طلباً لماله اي مال الشعب ايضاً فاذا يصنعون · واي عمل يعملون · فالشر الذي اصاب بيلو اذاً ناشيء عن طبقة باسرها لا عن رجل واحد · ثم ذكر بيلو الاحتفال باعلان حقوق الانسان ورفض الاب فورنيه الصلاة للشعب فاخذ يقول في نفسه وهو جالس تحت الشجرة في الحرش والريح تعبث بشعره وثيابه :

« هذا هو مفتاح الثورة التي قام الشعب اليها · وكانني قد ذقت الآن كل خلها · فان الملك يبتز الضرائب من الشعب لينفقها على حروبه وملاذه ومطامعه · والاكليروس يدجل على الشعب ليبقيه في الطاعة للملك · فكانه راع يمسك البقرة جيداً ليتمكن حالبها من حلبها جيداً · وتحت الملك والاكليروس طبقة النبلاء وهؤلاء يشاركون الملك في الاموال التي يبتزها من الشعب وفي مقابلة ذلك يسكتون عنه و يساعدونه في اعماله · وابناء هؤلاء النبلاء ينصرفون الى اقتناص بنات الشعب غير حاسبين لله وللناس حساباً · وغير عابئين بشرف او نخوة او شهامة ·

فالشعب اذاً هو الحجر الكبير القائم عليه بناء كل مملكة · الشعب هو البقرة الحلوب التي يتمتع بخيراتها الحكام والنبلاء والاكليروس دون ان يذكروا فضلها · فبدلاً من ان

نقتل فتى غرًا لانه تطاول على الاعراض يجب ان نهب هبة واحدة لتقييد الملك بالدستور وجعل نبلاءه وابناءهم خدامًا للامة لا اسيادها . وايقاف الاكليروس عند حده حتى يترك التدجيل والخزعبلات ولا يعلم البشر الا الفضائل الدينية الحقيقية التي ترفع نفوس الشعب وترقي شؤونه

هكذا تكلم بيلو بعد ذلك الجرح الذي شطر قلبه . وقد راى ان هذه الافكار توجب عودته الى باريز للسعي والعمل فعزم على السفر اليها لينتقم لنفسه ولاخوانه ابناء الشعب عن ذلك الذل الذي تمكن نيره من عنق الشعب مدة قرون عديدة

فهل كان بيلو مخطئًا ام مصيبًا بهذه الافكار ؟ تلك مسالة جديرة بكل بحث واعتبار



الفصل الواحد والعشرون

﴿ يمين الامانة للدستور ﴾

(التحالف في ساحة مارس)

ذكرنا من قبل ما كان من اتحاد الولايات الفرنسوية بعد تحالفها ونزيد الآن ان شعوب اوربا راقها هذا الاتحاد والتحالف . وذلك ان اوربا نفسها كانت ولا تزال تشعر بانه سيجيء عليها يوم تكون فيه شعوبها كلها متحدة متحالفة كما كانت الامم اليونانية . ولكن متى يجيء هذا اليوم ؟ وفي اي قرن يكون ؟ الله اعلم

غير ان الولايات الفرنسوية لم تكن مكتفية بذلك التحالف النظري بل كانت تروم تحالفاً فعلياً ولذلك بعثت المدن الفرنسوية تطلب من باريز ان تكون على استعداد لقبول زيارة ابنائها احتفالاً بالاتحاد الفرنسوي . فلما دري بذلك الملك واعضاء المجمع الوطني اوجسوا خيفة منه . اما ميرابو فانه اقنع الملك بفائدته لان انصار الملكية في الولايات اكثر عدداً منهم في باريز

وبناء عليه تقرر ان يقام في ١٤ يوليو من عام ١٧٩٠ احتفال عظيم في ساحة مارس تأييداً لذلك التحالف

فلما بلغ هذا الامر الى الولايات قام سكانها على ساق وقدم وزحفوا الى باريز الوفاً الوفاً ومئات الوف . فكان منظرهم على الطريق في غاية البهجة . وقد ساروا من بلادهم الى باريز دون ان يحسبوا حساب اكلهم وشربهم اعتماداً على حسن ضيافة المدن التي ينزلون فيها . وفي الحقيقة ان سكان هذه المدن كانوا يهيئون لهم كل ما كانوا بحاجة اليه . ولما وصلوا الى باريز غصت العاصمة بهم فاهتمت الحكومة بتدبير اماكن يبيتون فيها واخذ الباريزيون يُنزلون اليهم من النوافذ والسطوح طعاماً وشراباً . فكأن فرنسا كلها زحفت يومئذ الى باريز لتحضر حفلة التحالف وتقسم يمين الامانة للدستور في حضرة السلطة الشرعية

وكانت تلك الجماهير في زحفها الى باريز تنشد نشيداً لطيفاً . وهذا النشيد لا علاقة له بالنشيد الدموي الذي صار الشعب ينشده في سنة ١٧٩٣ فانه في هذا العام كان ينشد

سنرى سنرى سنرى   كل الاشراف على المصباح   سنرى سنرى سنرى
شنق الاشراف بلا مرا

ولكنه اليوم كان ينشد

الشعب ينادي بهذا اليوم سترى سترى سترى بحسب قواعد الانجيل
سترى سترى سترى كل شيء يتم بقوة الشارعين فالذي يرفع نفسه يصبح وضيعاً
والذي يضع نفسه يصبح رفيعاً

وكان هذا النشيد اللطيف بمثابة صوت خارج يومئذ من جميع افواه الامة الفرنسوية

ولما وصل هؤلاء السكان الى باريز كانت نفوسهم متقدة بنار الحب للدستور وللملك. فكانوا اذا قابلوا رئيس المجمع الوطني كشفوا رؤوسهم احتراماً وصاحوا « فليحيَ الامة » واذا قابلوا الملك جثوا باحترام امامه وصاحوا « فليحيَ الملك والملكة »

ولكن الملك والملكة لم يفهما هذا الاحترام القلبي فاجابا عليه بفتور ولو احسنا استخدامه لاستفادا منه فوائد عظيمة . ومن اين لهما ان يفهماه ويحسنا استخدامه وهما لا فكر لهما غير الفرار من باريز

ولما اقترب يوم ١٤ يوليو ظهر ان العملة لايستطيعون اكمال المعدات في ساحة مارس قبل ذلك اليوم فخيف من تاخير ميعاد الحفلة . اما الشعب فلما بلغه امر التاخير انبرى منه مائة الف رجل وذهبوا لمساعدة الحفارين والمهدين في الساحة . فاضطرت ادارة العمل الى تسليمهم العمل في الليل وتركت لعملتها العمل في النهار فلم يات يوم ١٤ يوليو حتى كانت الساحة تامة المعدات

وكانوا قد اقاموا فيها مذبحاً عظيماً يسمونه مذبح الوطن للاحتفال بقداس فيه ونصبوا فيه ثلاثة كراسي للملك والملكة ورئيس المجمع الوطني . ولما حان وقت الاحتفال تزاحم الناس حول الساحة فامتلأت بهم وكانوا يبلغون الوفاً كثيرة وهم يهتفون فليحيَ الامة . فليحيَ الملك . فليحيَ الدستور

وبعد حين حضر الملك وانتظم عقد الاجتماع . وكان الزحام عظيماً . فتقدم مائتا كاهن من المذبح وهم لابسون ثياباً بيضاء كالثلج وفي وسطهم اسقف اوتين . وكانت السماء ملبدة بالغيوم والزوبعة تزئر زئيراً شديداً . فلما دنا ذلك الاسقف من المذبح اشتدّ زئيرها كأن السماء ارادت بذلك اظهار غضبها مقدماً على هذا الاسقف الذي سيخون ضميره ومبدأه مرات عديدة

وكان في جملة الكهنة الذين احتفلوا بالقداس على هذا المذبح المسيو تاليران الذي اشتهر بعدئذٍ في السياسة

وبعد القداس جاءت نوبة اليمين . فنهض لافاييت قائد الجيش العام وجرد حسامه ثم صعد درجات المذبح ووضع راس سيفه على الانجيل وقال بصوت جهوري والناس مصغون كأنَّ على رؤوسهم الطير

« نقسم اننا نكون امناء للامة والدستور والملك دائماً وان نحفظ بكل قوانا الدستور الذي وضعه المجمع الوطني ووافق الملك عليه . وان نحمي طبقاً للشرائع ارواح الناس واملاكهم ومبادلة الحبوب في داخل المملكة وجباية اموال الحكومة على انواعها . وان نبقى متحدين بباقي الفرنسويين برباط الاخاء الذي لا يُقطع »

ولما اتمَّ لافاييت هذا القسم اطلق مائة طلق ناري من مدافع الحصون المحيطة بباريز كانها انذار العالم باتحاد فرنسا بازاء اوربا كلها ورغبتها في ان تكون حرة تحت قبة السماء

اما الشعب فانه هتف للامة هتافاً طبق السماء ولكنه لما صعد رئيس المجمع الوطني الى المذبح ليحلف اليمين سكت واصغى اليه

فحلف رئيس المجمع اليمين الآتية

« اقسم بانني ابقى اميناً للامة والدستور والملك وبان احفظ بكل قواي الدستور الذي سنه المجمع الوطني ووافق الملك عليه »

ثم لما فرغ من القسم دوت اصوات المدافع مرة ثانية كما دوت اصواتها بعد يمين لافاييت . وبعد ذلك اشرأبت الاعناق لسماع يمين الملك

فنهض الملك ليحلف يمينه . وكأنَّ السماء رامت مشاهدة ذلك المشهد ساعتئذ ولذلك تفرقت الغيوم وبرزت الشمس من ورائها

فياذا الجلال ان هذه الشمس التي برزت هي عين الله تراك واذنه تسمعك . فاحلف يمينك

ولكن ليتك ياذا الجلال لم تحلف هذه اليمين التي حلفتها وانت تنوي الحنث بها

وهذه اليمين هي

« انا ملك فرنسا اقسم بانني استخدم كل القوة التي خصني بها دستور المملكة لحفظ هذا الدستور الذي سنه المجمع الوطني ووافقتُ عليه . وان انفذ الشرائع الموضوعة »

ولكن الملك لم يحلف هذه اليمين على المذبح كما حلفها لافاييت ورئيس المجمع ولكنه حلفها امام الناس وهو واقف . ولا عجب فانه حلفها وهو يضمر الحنث بها كما تقدم

ولما اتى الملك على يمينه دوت اصوات المدافع ايضاً تطبق السماء وتنتقل امواجها من جهة الى جهة كانها تنادي العالم وتنذر ملوك اوربا بقولها « احذروا فان فرنسا قامت على قدميها . احذروا فانها تريد ان تكون حرة . وهي كذلك القنصل الروماني الذي كان يحمل السلم والحرب بين برديه . فاذا شاء كانت الحرب واذا شاء كان السلام »

الفصل الثاني والعشرون

ماذا جرى لكاترين

لا بد ان يكون القارئ قد اشتاق الى معرفة ما جرى لكاترين بعد خروجها من المزرعة . ورغبة في مرضاته نعود الى كاترين فنقول ان يتو نقلها الى حجرة قريبة من حجر الاب كلويس الذي تقدم ذكره غير مرة في سياق الكلام . ولما ابلغ بيتو الى الفيكونت ايزيدور خبر وجودها هنالك خف اليها مع ان جرحيه لم يكونا قد اندملا بعد فكان لالتقائها مشهد مؤثر . وقد بكت كاترين وطرحت نفسها بين ذراعيه بجرحه يكاؤها فعانقها وقبلها وسالها لماذا تبكين . فاجابت كاترين ابكي لانني خرجت من بيت ابي فقال ايزيدور . ولكنك لم تخرجي منه الا الى بيت زوجك ياكاترين . فقبلته كاترين وقالت ما اشرف عواطفك فانك تذكرني الآن احب شيء الي . فقال ايزيدور نعم اذكرك ذلك لئلا يشق عليك الوجود هنا . ومع ذلك فليس العهد بزواجنا الاول ببعيد . اتذكرين يا كاترين تلك الليلة المظلمة التي جئت بها الى قصر بورصون فوجدتني في انتظارك مع كاهن لعقد الزواج . اتذكرين ما قاله لك الكاهن بعد عقد الزواج وكيف اننا بكينا معاً لكلامه المؤثر

فقالت كاترين ليتني اطلعت ابي على امر هذا الزواج فانه ربما كان خفف غضبه

فقال ايزيدور لا باس بغضب ابيك فانه كالزوبعة تثور حيناً ثم تسكن فاتركي الافتكار فيه الآن وسادبر هذا الشان معه

وكان ايزيدور يزور كاترين حيناً بعد حين في هذه الحجرة لانها رفضت الذهاب معه الى بيتها في بورصون لعدم اطلاع اهله واهلها على امر الزواج . وبعد انقضاء مدة رام ايزيدور السفر الى باريز لاشغال خاصة فزين لها ان ترافقه الى باريز لتعيش فيها في مكان

مجهول عيشة راضية فرضخت كاترين لهذا الامر وركبت مع ايزيدور مركبة وسارت الى باريز . وبينما كانت مركبتها في الطريق كانت جماهير الشعب تزحف الى باريز لحضور الاحتفال في ساحة مارس كما تقدم فاطلت كاترين من مركبتها لمشاهدة تلك الجموع الكثيرة . فكان اول شخص وقع عليه نظرها اباها بيلو وصديقها بيتو قادمين في جملة القادمين لينوبا عن قريتيهما

فصرخت كاترين صوتاً خافتاً وادخلت راسها الى المركبة في الحال . ومن حسن حظها ان بيلو وبيتو لم ينظراها

وظلت المركبة سائرة تتقدمها الجموع وتتلوها حتى وصلت الى باريز . فاستاجر ايزيدور لزوجته الشرعية كاترين منزلاً منفرداً . اما بيلو وبيتو فانهما حضرا حفلة ساحة مارس ولكن بيلو كان مشغول الافكار عنها بما كان في نفسه من الهواجس الاليمة

الفصل الثالث والعشرون

﴿ بيلو والرجل المجهول ﴾

وفي ذات يوم كان بيلو جالساً في احدى القهاوي وسُحب الهم والغم بادية في جبينه وبازائه بيتو يحادثه ليسليه فلا يرد عليه بيلو الا من رؤوس شفتيه واذا برجل قد دنا من الاثنين وقال سلام لكم . فانتبه بيلو اليه فلم يعرفه فقال الرجل المجهول . انكما لم تعرفاني ايها الاخوة . ثم اشار اشارة ماسونية فتحرك حينئذ بيلو وبيتو وجاوباه على هذه الاشارة بمثلها فجلس الرجل معهما . ثم قال . انا اعرفكما وان لم تعرفاني انت ايها الاخ صاحب مزرعة كبيرة وتُدعى بيلو وانت ايها الفتى قائد في هرامونت وتدعى بيتو . فاظهر بيلو وبيتو الاستغراب . فقال الرجل المجهول . لا تستغربا فانني اعرف كل شيء في العالم . ولكن فلندع الآن هذا الامر وقل لي مالك يابيلو حزين النفس مكتئباً هل ذلك لانك اول رجل فتح الباستيل ولم يكافئك الناس على عملك . فقال بيلو انا لا اعبأ بالمكافأة فقال الرجل فهل ذلك لان مزروعاتك قد اجدبت في هذا العام فقلّ دخلك . فقال بيلو انا غني ولا تهمني الخسارة . فقال الرجل فهل ذلك اذاً لان ابنتك كاترين ..

فحينئذ قطع بيلو كلامه وقال الزم الصمت ياسيدي اذا كنت تعلم

فقال الرجل نعم اعلم نعم اعلم . ولكن اين هي الآن

فقال بيلو لقد ماتت

فهمّ بيتو بان يصيح بانها لم تمت وان يخبر بيلو بانه يراها في كل يوم في منزل لها في باريز ولكن بيلو اوقف الكلام بفمه باشارة واحدة وقال بل ماتت ماتت

وقد عنى بذلك ان كاترين اذا كانت موجودة في قيد الحياة للناس فهي في نظره قد ماتت ولم يبق لها وجود

فقال الرجل . فلماذا اذًا طاردت ببندقيتك ذلك الفتى لتقتله

فاجفل بيلو لهذا الكلام وقال من اين لك هذا الخبر . فقال الرجل لا تسلني عن ذلك ولكن اجبني . هل ترى من الحكمة أن تعاقب فردًا واحدًا على شر جناه او تستاصل الشر من اصله

فقال بيلو انك تقول لي الآن ما قاله الدكتور جيلبار . فانني لما اطلعته على هذه هذه القصة قال لي « ان مائة الف اب في فرنسا قد وقعوا في ما وقعتُ فيه واذا كان ابناء النبلاء لا يخطفون بنات الشعب وآباؤهم لا يأكلون امواله فماذا يصنعون واي شان يكون لهم غير هذا الشان »

فضحك الرجل المجهول وقال له . وهل جيلبار قال لك هذا

فقال بيلو نعم وهل تعرفه . فاجاب الرجل المجهول قلت لك لا تسالني شيئًا ولكن اجبني . هل تريد الانتقام من فرد او من الطبقة التي هي اصل الشر

فتامل بيلو قليلاً ثم قال بل من اصل الشر . فقال الرجل المجهول اتبعني اذًا لاحدثك قليلاً وبعد برهة تعود الى رفيقك

وبعد برهة عاد بيلو من حديث الرجل المجهول وعلى وجهه لوائح القوة والنشاط بعد لوائح الضعف والحزن وقال لبيتو عد انت الى المزرعة اما انا فانني باقٍ في باريز

الفصل الرابع والعشرون

﴿ المحافل الماسونية في الثورة ﴾

(طريقة ارتقاء الماسوني الى درجة مستنير)

وبعد انقضاء ثمانية ايام على هذا الحادث كان بيلو سائراً بعد هبوط الظلام نحو شارع بلاتيير . ولما وصل الى باب معلوم عنده وقف ثم دخل فيه فوجد امامه حارساً . فلما رآه الحارس قام ووضع احدى اصابعه على صدره فرفع بيلو اصبعه الى فمه ولواه على شكل علامة معلومة جواباً على اشارة الحارس . فانحنى الحارس حينئذ ودفع باباً بجانبه مشرفاً على سلم توصل درجاتها الى جوف الارض فدخل بيلو ونزل هذه الدرجات وهو يعدها حتى صارت ١٦ درجة فاطمأن ان هذا المكان هو المكان الذي قصده

ولما صار بيلو في صحن المكان التفت فوجد حوله ظلمات بعضها فوق بعض لانه لم يكن ينير تلك القاعة الفسيحة سوى مصباح ضئيل معلق في السقف كأن الظلمة مقصودة فيها . فخطا بيلو بضع خطوات الى امام فشاهد حينئذ على نور المصباح كراسي كثيرة وبجانبها منبر الخطابة ووراءه كرسي فعرف انه الرئاسة

وبعد حين اخذ الداخلون يدخلون كما دخل بيلو ويجلسون في المقاعد وهم يتحادثون . ولم يمض نصف ساعة حتى امتلأ المكان بالجالسين

وكان هؤلاء المجتمعون مؤلفين من طبقات مختلفة . فقد كان فيهم الكبير والصغير والغني والفقير والامير والحقير . وكل واحد منهم كان واضعاً تحت ثوبه علامة الماسونية وفوق ثوبه شعار لوج « المستنيرين » الا ثلاثة وهم بيلو وفتى يقرب عمره من الواحدة والعشرين وكهلاً مهيب المنظر يبلغ الثامنة والاربعين فان هؤلاء كانوا يحملون علامة الماسونية دون علامة « المستنيرين »

ولذلك علم كل واحد من الاعضاء ان هؤلاء الثلاثة راغبون في الانخراط في سلك لوج « المستنيرين » . ومعنى « المستنيرين » في لغتهم الذي طلب النور فناله اي الذي وقف على الاسرار العظمى

ولما تكامل اجتماع الاعضاء انفتح باب سري في الجدار ودخل منه كاليوسترو الرجل الماثل الذي لقيناه غير مرة في سياق الكلام . وكان على صدره شعار الشرق الكبير وشعار

القبطي الكبير الماسونيين . وبعد دخوله اتجه نحو كرسي الرئاسة وجلس فيه

اما بيلو فانه استغرب كل الاستغراب رئاسة هذا الرجل لتلك الحفلة لانه تحقق انه هو الرجل المجهول الذي لقيه في القهوة لما كان مع بيتو منذ ثمانية ايام ودعاه الى استئصال الشر من اصله

وبعد جلوس كاليوسترو في كرسي الرئاسة انصت المتكلمون فقال كاليوسترو . ايها الاخوة . علينا في هذه الجلسة ان ننظر في امرين الاول استقبال ثلاثة يرغبون في الانضمام الينا . والثاني ان اقدم لكم حساباً عما صنعته في هذه السنوات الاخيرة لترى اذا كنت قد قمتُ بما عهدتم به الي حقّ قيام او لا . والآن فلنبداء باستقبال الثلاثة . فعلى الاعضاء الخروج لانه لا يحضر هذه الحفلة غير الرؤساء

وحينئذ انفتحت ابواب سرية ظهرت من ورائها دهاليز واروقة واسعة وكلها في ظلمات لا ينيرها الا نور ضعيف فخرج الاعضاء افواجاً افواجاً وهم يتحادثون . وبعد خروجهم اقفلت تلك الابواب فصارت القاعة في سكون تام وصار الرئيس في كرسيه والثلاثة الذين تقدم ذكرهم وهم واقفون مستندين الى الجدران في تلك القاعة الكائنة في جوف الارض في وسط ظلام الليل شبيهين بخيالات تجردت من الحس وبقيت تنتظر امراً رهيباً

وبعد حين سُمعت حركة وراء احد الابواب السرية ثم انفتح هذا الباب ودخل منه ستة اشخاص يسترون وجوههم بوجوه صناعية . وكان هولاء المتسترون فريق الرؤساء الذين يمتحنون الراغبين في الدخول

ولما جلسوا على المقاعد امام الرئيس قال الرئيس : فليخرج الثاني والثالث لامتحان الاول فخرج الفتى والكهل اللذان تقدمت الاشارة اليهما وبقي بيلو واقفاً في مكانه مستنداً الى الجدار

فاشار اليه حينئذ الرئيس وقال له : تقدم الى هنا

فدنا بيلو ووقف امام الرئيس . فقال له الرئيس . ما اسمك بين الناس . قال اسمي فرنسوى بيلو . قال وما اسمك بين المختارين . قال اسمي « قوة » قال واين وجدت النور . قال في لوج « اصدقاء الحقيقة » في مواسون . قال وكم عمرك . قال سبع سنوات

ثم ان بيلو اشار اشارة ماسونية علامة على انه نال درجة « معلم » في الترتيب الماسوني فسأله الرئيس : لماذا تروم الانضمام الينا والارتقاء لدرجة اخرى . فاجاب بيلو : لان التقدم درجة تزيد الانسان قرباً من النور والحقيقة

فسأله الرئيس وهل لك شاهدان . فاجاب بيلو ليس لي سوى الرجل الذي جاءني واقترح عليّ الدخول في هذا السلك

وقد قال بيلو هذا القول وهو يحدق جيداً في عيني الرئيس لانه عناه بقوله

فسأله الرئيس : ما الذي جعلك ترغب في الدخول واذا دخلتَ فباي شيء تهتدي . فقال بيلو : بعاطفة بغض الكبار وحب المساواة : فقال الرئيس ومن يضمن لنا انك تصدق في نيتك . فقال بيلو . يضمن ذلك كلام رجل تعود حفظ كلامه . فقال وما الذي جعلك ترغب في المساواة . قال لانني ولدت في طبقة واطئة . فقال وما الذي حملك على بغض الكبار . قال : هذا سرٌّ من اسراري . ومع ذلك فقد اطلعتك عليه فلماذا تطلب مني ان اقول جهراً ما لا اريد ان اسره الى نفسي

فقال حينئذ الرئيس . فاذاً انت تتعهد بطلب المساواة لك ولسواك وباسقاط كل ما يحول دون حرية فرنسا وخلاص العالم

فقال بيلو نعم اتعهد بذلك

فقال الرئيس . واذا كنتَ قد تعهدت قبل الآن بشيء يخالف هذا الامر فهل انت مستعد لنقض ذلك العهد وكل عهد مخالف لعهدنا

فقال بيلو نعم انا مستعد لذلك

فالتفت الرئيس حينئذ الى الرؤساء المتسترين وقال . سمعتم ايها الاخوة كلام هذا الرجل . وانا اعتقد انه يقول الحق فانني اعرفه واعرف قوته واجعل نفسي كفيلاً له عندكم

فاجاب الرؤساء بفم واحد . فليكن مقبولاً

فقال الرئيس لبيلو لقد قبلناك ولكن عليك ان تقسم اليمين . فقال بيلو اذكر لي اليمين لاقسمها بعدك

فرفع الرئيس يده حينئذ وقال :

« اقسمْ باسم الابن الذي صُلب بان تقطع كل الرباطات التي تربطك بابيك وامك واخيك واختك وامرأتك واقربائك واصدقائك وعشيقتك وملكك . والمحسنين اليك وكل الذين وعدتهم بودادك وخضوعك »

فاعاد بيلو هذا القسم عن نفسه

فقال له الرئيس حينئذ « احسنت . فاقسم الآن ايضاً بان تُطلع رئيسك الجديد على كل ما تعمله وكل ما تصنعه وكل ما تراه وان تتجسس الاخبار التي لا تستطيع الوقوف

عليها بسهولة »

فاعاد يلو هذا القسم عن نفسه ايضاً

فقال الرئيس « واقسم ايضاً بان تفرّ من نابولي ورومه واسبانيا وكل ارض ملعونة · اقسم بانك لا تطلع احداً على شيء مما تراه في محافلنا · واعلم ان الصاعقة ليست باسرع من الخنجر الذي يخترق صدرك اذا خنتنا واطلعت احداً على شيء من اعمالنا · »

فاعاد يلو هذا القسم عن نفسه ايضاً

وحينئذ قال له الرئيس : « فالآن عش بنعمة الآب والابن والروح القدس »

وبذلك انتهى استقباله فخرج من القاعة ليدخل الطالب الثاني · فدخل الفتى ووقف حيث كان يلو امام الرئيس · فابتدأ الرئيس يساله كما سال يلو قبله

فساله ما اسمك بين الناس · فاجاب اسمي انطوان سان جوست · فقال وما اسمك بين المختارين · فاجاب اسمي « التواضع » قال واين وجدت النور · قال في لوج « انصار الانسانية » في لاون · قال وكم عمرك قال خمس سنوات · ثم اشار الفتى اشارة تدل على انه بلغ درجة الرفيق في الماسونية · فقال له الرئيس ولماذا ترغب في الصعود درجة ايضاً · فقال الفتى لان من طبيعة الانسان حب القمم العالية ولان الهواء النقي لا يكون الا فوق هذه القمم · فقال الرئيس وهل اتخذت قدوة لك بين الناس · فقال قدوتي فيلسوف جنيف عاشق الطبيعة ورجلها الخالد الذكر ، روسو · فقال وهل لديك شاهدان فقال نعم وهما روبسبير الكبير وروبسبير الصغير · فقال باي شيء تهتدي في طريقك بعد دخولك في سلكنا · قال اهتدي بايماني · قال وماذا يصنع هذا الايمان · قال انه يؤدي بفرنسا الى الحرية وبالعالم الى الخلاص · قال وماذا تبذل لوصول فرنسا والعالم الى هذا الغرض · قال ابذل حياتي لانني لا املك غيرها بعد بذلي اموالي · وبعد ذلك القى عليه الرئيس باقي الاسئلة التي وجهها الى يلو واقترح عليه ان يقسم اليمين ذاتها فاقسم سان جوست وخرج وادخل الرجل الثالث

وكان هذا الرجل مهيب المنظر كما تقدم وهو يمشي في مسيره بتردد لم يظهر له سبب · فلما صار امام كرسي الرئاسة ساله الرئيس : ما اسمك بين الناس · فاجاب اسمي لويس فيليب جوزيف دوق دورليان · فقال وما اسمك بين المختارين · قال اسمي « مساواة » فقال واين وجدت النور · قال وجدته في لوج « احرار الناس » في باريز · فقال وكم عمرك · قال لم يعد لي عمر · ثم اشار الدوق اشارة علامة على انه نال رتبة « وردة الصليب » ·

فقال الرئيس وما الذي حملك على طلب الانخراط في سلكنا

فاجاب الدوق

« لانني عشت كثيراً بين الاكابر فضجرت من ذلك ورمت المعيشة بين البشر الحقيقيين . وسئمت الحياة بين الاعداء فوددت المعيشة بين الاخوة والاصدقاء »

فقال له الرئيس . وهل لديك شاهدان . قال نعم وهما « الاحتقار والبغض » فقال وباي شيء تهتدي في سبيلك . قال بحب الانتقام . فقال بمن تحب الانتقام ؟ . قال : من الذي اهملني ولم يعبأ بي . ومن التي اهانتني ووضعتني (١) فقال ماذا تبذل للوصول الى هذا الغرض . قال ابذل مالي وحياتي وشرفي . قال هل تعد بانك تقطع كل رباط يربطك بغيرنا وتترك كل عهد اعطيته الى احد سوانا . قال نعم اعدكم بذلك

فالتفت كاليوسترو حينئذ الى الرؤساء وقال لهم . سمعتم مقال الطالب فهل ترون قبوله . فاجابوا نعم ولكن على شرط ان يقسم اليمين

فقال كاليوسترو للدوق هل تعرف اليمين . فاجاب كلا ولكني اقسمها مهما كانت شديدة . فقال لا اخفي عنك انها يمين شديدة ولاسيما لمن كان مثلك . فقال ليست هي باشد من الاهانات التي لقيتها . فقال الرئيس حينئذ

« اقسم بان تقطع كل الرباطات التي تربطك بالاب والام والاخ والاخت والامرأة والاقرباء والاصدقاء والعشيقة والملك والمحسنين اليك وكل الذين وعدتهم بودادك او خضوعك »

فبقي الدوق صامتاً متاملاً وقد ظهرت على وجهه علامات القلق وجرى العرق على جبينه . فقال له الرئيس اما قلت لك انها يمين شديدة على من كان مثلك . فقال الدوق بل اقسم . ثم اقسم تلك اليمين وهو يسكن جاشه فقال له كاليوسترو واقسم ايضاً بانك تحلل السيف والنار والسم وكل الوسائل الفعالة الواجبة لتطهير الكرة الارضية من الذين يعبثون بالحقيقة فيها و يرومون اختطافها من ايدينا . فاقسم الدوق هذه اليمين ايضاً . فالتفت كاليوسترو الى الرؤساء وسالهم . ما رايكم . فاجابوا . فليكن مقبولاً . فقال كاليوسترو حينئذ للدوق

حذار ان تطلع احداً على شيء مما تراه في محافلنا . واعلم ان الصاعقة ليست

(١) يعني بذلك الملك والملكة

باسرع من الخنجر الذي يخترق صدرك اذا خنتنا واطلعت احدًا على شيء من اعمالنا ؛ والآن عش بنعمة الآب والابن والروح القدس »

ثم انه اشار بيده الى الباب يدعوه الى الخروج فتنفس الدوق الصعداء واندفع نحو الباب وهو يقول — الآن صرتُ انتقم منهما

الفصل الخامس والعشرون

﴿ شعار الماسونية ﴾
(الحرية والمساواة والاخاء)

(خطبة تنبوية)

وبعد خروج هذا الرجل صاح الرئيس بصوته الجهوري : فليدخل الجميع الآن لابسط لهم الحساب الذي وعدتهم به . وفي الحال انفتحت الابواب وبعد حين اندفع الاعضاء الى القاعة واخذوا مجالسهم . ولما اقفلت الابواب رفع كاليوسترو يده لانه كان حريصاً على الوقت واخذ يقول

ايها الاخوة . لا بدَّ ان يكون بعضكم قد حضر الحفلة التي عقدناها منذ عشرين سنة في مغارة في جبل « الصاعقة » القائم على مسافة ٥ اميال من نهر الرين وعلى مسافة ميلين من قرية دننفلس . فاذا كان احد منكم قد حضر ذلكَ الاجتماع فليرفع يده وليقل انني حضرت

فارتفعت حينئذ ست ايدي وسمع ستة اعضاء يقولون انني حضرت

فاردف كاليوسترو بقوله

فمن ذلك يظهر ان الحاضرين بيننا من الذين حضروا ذلك الاجتماع ستة اعضاء فقط اما الباقون فبعضهم ماتوا وبعضهم تفرقوا في الكرة الارضية لاتمام العمل الذي شرعنا فيه . ولم يكن هذا العمل منذ ٢٠ سنة شيئًا مذكورًا . فان الظلام كان متكاثفًا في العالم ولم يكن النور ياتي الا شيئًا فشيئًا . وقد تتبعتُ مجرى هذا النور منذ الازمنة القديمة لانني لا اعرف الموت ولا الموت يعرفني كما تعلمون . فرايت اولاً الشعوب محنية تحت نير العبودية ثم انتقلتْ من دور العبودية الى دور الذل والعمل بالاجرة لاشباع اسيادها . وهذا الدور هو بمثابة تمهيد للحرية العظيمة فكانه النجوم التي تشرق في كبد السماء قبل طلوع القمر المنير .

ولقد نظرتُ بعيني رومه والبندقيــة وفلورنسه وموبسره وجنـوه وبيره واريزو هذه المدن الجنوبية التي ينبت فيها النبات سريعاً وينضج الثمر سريعاً فوجدت ان فسيلة الحرية كانت اول ما انبتت فيها وان الجمهوريات جُربت تحت سمائها فعاشت منهن اثنتان او ثلاثة لا تزال باقية الى الآن • ولكن هذه الجمهوريات كانت صغيرة ومحكومة بطبقـات النبلاء او المستبدين ولذلك لم تنجح النجاح المطلوب فاحتجنا الى دولة عظمى تصطبغ بصبغة الحرية وتقوم فيها جمهورية كبرى تسري عدواها الى اوربا كلها • الى شعب حيّ قوي تتخذه الشعوب قدوة لها

يومئذ التفتنا نفتش عن هذا الشعب بين شعوب اوربا ونسال الله ان يهدينا اليه فمدَّ القادر اصبعه واشار الى فرنسا • فتاملنا فوجدنا ضالتنا في هذه المملكة • فقررنا حينئذ تحرير فرنسا اولاً وبعد ذلك نردف باقي الدول بها • ولكن هذا العمل كان شاقاً وعظيماً • فان اوربا كانت مشطورة شطرين • شطر تحت رعاية النمسا وشطر تحت رعاية فرنسا • وكان في عرش النمسا الامبراطورة ماريا تريزه التي كانت اكثر الساسة دهاء في اوربا • فرغبةً منها في وضع يدها على فرنسا ايضاً للاستبداد باوربا كلها ازوجت الملك لويس السادس عشر بابنتها • فصار الدخول في فرنسا للشروع في العمل الذي نويناه شاقاً جداً • وبات كثيرون يتساءلون من يدخل الى غابة الاسد • من يرمي نفسه بين مخالب الكواسر فاجبتهم « انا » ادخل وارمي بنفسي • فسالوني كم سنة تطلب لاتمام العمل • فقلت اطلب عشرين سنة • فضحك بعضهم وقال كيف تستطيع ان تهدم في عشرين سنة ما تمّ بناؤه في عشرين قرن

وهنا وقف كاليوسترو فصار الاعضاء يهمسون فيما بينهم بكلام الاستحسان فاردف بقوله

ولكنني نلت ما طلبته وهو مهلة عشرين سنة ودخلت الى فرنسا في اثر الملكة حين دخولها اليها • فكان مروري في وسط اقواس النصر المنصوبة لها من ستراسبورج حتى باريز • وقد كان الله معي فاعانني على عملي • ولم اكن سوى آلة في يده • وكل عملي كان مقصوراً على رفعي الحجارة من طريق المركبة الجارية الى غرضها وردم الحفر التي كانت امامها • واليكم ايها الاخوة ما تمَّ في مدة العشرين سنة الماضية

« حُلَّ البرلمان • مات لويس الخامس عشر الذي كان ملقباً المحبوب مع انه كان مكروهاً من الجميع • وضعت الملكة اولاداً مشتبهاً بهم فالقى ذلك شبهة على فضيلتها

وكان به اهانة شرفها كامرأة مثلما اهينت في « مسالة العقد » كلكة · ظهور ضعف الملك في سياسة مملكته حتى استوزر اضعف الناس رايًا واضطر الى جمع مجلس الاعيان · تقرير مجلس الاعيان وجوب جمع مجالس الولايات · اجتماع مجالس الولايات من قبل الامة وجعلها نفسها « مجمعاً وطنيا » · اختلاف اعضائها من نواب الشعب والاكليروس والنبلاء وغلبة نواب الشعب · الاستيلاء على الباستيل · طرد الجنود الاجنبية من باريز وفرساليا · اظهار الشعب للنبلاء في ٤ اغسطس ان نبلهم لا يغني شيئاً · اظهار الشعب للملك والملكة في ٥ و ٦ أكتوبر ضعف سلطتها · اظهار الامة للعالم في ١٤ يوليو عام ١٧٩٠ اتحاد فرنسا كلها · ثلم صيت الامراء بمهاجرتهم · اضعاف شهرة مونسيو شقيق الملك بسبب حادثة ففراس · اقسام بين الامانة للدستور على مذبح الوطن · تاييد رئيس المجمع الوطني وتقوية منصبه باقامة عرش له شبيه بعرش الملك · جعل الدستور والامة فوقها جميعاً · اصغاء اوربا كلها الى هذه الحوادث العظيمة · تصفيق الذين يستحسنونها وارتجاف فرائص الذين يكرهونها »

هذا ما تم ايها الاخوة في فرنسا على يدي في المدة الماضية · فهل قمت بما كان يجب عليّ

فنادى الاعضاء جميعاً نعم نعم لا شلت يمينك · فاردف كاليوسترو بقوله

ولكن هل تظنون ان عملنا قد انتهى · كلا فان الدستور الذي وُضع لم يؤسس على اساس متين والاعمال التي عُملت لا تزال قلقة مضطربة لقرب العهد بها فلنعد لاتمام هذا العمل ولنقسم اننا لا نعود عنه قبل ان نبرز من حيز القوة الى حيز الفعل شعار المسيح الذي هو : الحرية والمساواة والاخاء

فصرخ حينئذ من بين الحاضرين صارخ : فسر لنا اولاً مرادك بالحرية والمساواة والاخاء لنرى اذا كان يجب المسير في الطريق التي تذكرها

فحدق كاليوسترو في وجه المعترض · وكان هو مكسيميليان روبسبير المشهور · ثم قال له لبيك يامكسيميليان · اسمعوا ايها الاخوة لافسر لكم هذه الكلمات العظيمة

﴿ الحرية ﴾

لقد احسنتم في طلبكم مني تفسير الحرية والمساواة والاخاء فان كثيرين من الناس يسمعون هذه الكلمات ولا يفهمونها حق الفهم · اما الحرية التي هي اولها فكثيرون من الناس لا يفرقون بينها و بين « الاستقلال » ويحسبون ان للكلمتين معنى واحداً · والحقيقة

ان بينهما فرقاً عظيماً . فان معنى الاستقلال الانفراد عن الغير ولا يكون هذا الاستقلال الا لسكان الجبال . خذوا الكورسيكي والاسكوتلندي مثلاً فانهما مستقلان ولكنهما لا يعرفان الحرية . فالاسكوتلندي يطعن بخنجره و يعتدي ببندقيته واذا طلبه احد لجأ الى الجبال كالثعالب والنسور والوحوش البرية فلا يقدر عليه احد . هذا هو الاستقلال. اما الحرية فانها تقتضي الاجتماع والعمران . وتعريفها ان يكون لكل انسان الحق بان يصنع لمصلحته ولنفسه كل شيء لا يكون فيه ضرر لسواه . فحق الانسان الواحد يقف اذاً عند حق الانسان الثاني . وهذا الحق مقدس وعام لا يختص بفئة دون فئة. ولا بفريق دون فريق . فالحرية اذاً نعمة عامة لجميع البشر ومن سماوي منحه الله الى الناس ليتمتعوا به على السواء . وكل شعب يحصل على هذا المن عليه ان يقتسمه مع الشعوب الاخرى

وفي الحرية تنمو قوى الانسان كلها وتنطلق المواهب من اسرها . في الحرية يبيت الانسان آمناً على نفسه وعرضه وماله بلا خوف ان يستيقظ في اليوم الثاني وهو فاقد هذه النفائس الثلاث . فالحرية اذاً وسط صالح تنمو فيه كل الفضائل البشرية . والعبودية وسط موبوء تنمو فيه جراثيم الرذائل والفظائع والدنايا على انواعها

فدوى هنا تصفيق الاعضاء في القاعة دوياً شديداً فاردف الرئيس بقوله

﴿ المساواة ﴾

اما المساواة فلا اريد بها استواء الناس كلهم في العقول ورفعة المقام . كلا فاننا لا نقدر ان نغير الطبيعة . واي شارع يستطيع بمواد قانونية يضعها في دستوره ان يغير جبل حملايا مثلاً فيرفعه امتاراً او ينزله امتاراً . كلا ذلك امر لا يستطيعه احد من البشر كما انه ليس في امكان احد ان يجعل من رجل قزم رجلاً كجليات او من رجل خامل ذي عقل قاصر رجلاً كفولتير

وانما المساواة الحقيقية هي اطلاق الحرية لجميع الناس على السواء ليستخدم كل واحد منهم قواه ومواهبه كما يشاء. المساواة هي الغاء الامتيازات والمراتب الوراثية ورفع الحواجز من بين البشر ليكون كل واحد قادر على الوصول الى الرتب والوظائف العمومية بقوة نفسه وحسن عمله . ومكافأة الفضيلة والفضلاء والعلم والعلماء لا اختصاص كل مكافأة بابناء الطبقات العالية او ابناء جنس مخصوص . وحينئذ يصير اعلى مقام في الدولة مفتوحاً لافضل رجل في تلك الدولة . ومن هنا تشتق مسالة الانتخاب لوظائف الدولة لا توليتها بالصنيعة والمحسوبية — « فالانتخاب » من اول شروط المساواة . ثم ان الانتخاب يقتضي امراً آخر

وهو مقدرة المنتَخب (بفتح الخاء) وكفاءته للعمل الذي يعهد اليه وبناء على ذلك يُستخرج من مسالة الانتخاب مسالة ثانية وهي مسالة « الكفاءة » . ومن « الانتخاب والكفاءة » يُستخرج امر ثالث وهو « وجوب الامتحان » . فالمساواة اذاً هي عبارة عن فتح طريق كل الوظائف والاعمال لاي انسان كان بواسطة الانتخاب المبني على الكفاءة والامتحان . هذه هي المساواة

فهتف الاعضاء حينئذ هتاف الاستحسان وصفقوا لرئيسهم تصفيقاً شديداً . ولما سكنت ضوضاء تصفيقهم اردف كاليوسترو بقوله

﴿ الاخاء ﴾

اما الاخاء فيا له من لفظ عظيم حلو في الاذن والقلب . الاخاء كلمة سماوية تهتز لها اعصاب الانسانية كلها لانها بها تذكر انها عائلة واحدة وان البشر مهما اختلفت بلادهم ومذاهبهم والوانهم فانهم اخوان في الانسانية . صدقوني ايها الاخوة انه سياتي يوم تُمحى فيه كلمات « الوطن . والوطني . والوطنية » من اللغة البشرية كما تُمحى آثار النجوم في آخر الليل حين طلوع غرة الصباح . سياتي يوم يتقرب فيه الشعوب بعضها من بعض بواسطة المواصلات البرية والمائية تقرباً يفتح عيونهم ويزيل الحدود والحواجز من بين بلادهم فيبصرون حينئذ ان الملوك والحكومات تسلحهم وتسوقهم بعضهم على بعض ليقتلوا بعضهم بعضاً وحينئذ يرفضون هذا الاثم الفظيع ويتعانقون بدلاً من ان يتقتلوا . انظروا هل جاء المسيح ليخلص اهل الناصرة فقط . كلا . هل جاء ليخلص اليهود فقط . كلا . بل جاء ليخلص بني البشر كلهم . فهل ترومون دليلاً على اخاء البشر احسن من هذا الدليل . فتشجعوا ايها الاخوة وتقدموا . وسيروا الى الامام لمحاربة الشر ولا تخافوا . ازحفوا لتمهيد الطريق لاولادكم كرسل للمساواة والاخاء والحرية . وليكن الله القوة والحرية معكم »

ولما اتى الرئيس على هذا الكلام سكت لفراغه من خطابه فعلت حينئذ في القاعة ضجة التصفيق والهتاف حتى ارتجت جدران الاقبية في جوف الارض وخيل للسامع ان الارض كادت تميد من شدة تلك الضجة . وبعد ذلك نهض الرؤساء الستة المستترون فدنوا من الرئيس وقبلوا يديه ثم انحنوا باحترام وخرجوا لانصراف الجلسة . فقام الاعضاء عند ذلك واحداً واحداً واخذوا ينحنون امام الرئيس ويخرجون . وبعد حين خلت منهم القاعة واطفئت الانوار وبقي الرئيس كاليوسترو جامداً في كرسيه في الظلمة في جوف الارض كانه ملك تلك الظلمات المتكاثفة

الفصل السادس والعشرون

﴿ وفاة (ميرابو) اخطب خطباء فرنسا ﴾

ولوعه بالازهار والنساء · عذابه على فراش الموت · احتفال الشعب به ودفنه في البانثيون · ثم اخراجه منه بامر من الكونفانسيون

بعد مرور بضعة اشهر على هذه الحوادث اي في اواخر مارس من عام ١٧٩١ كان الدكتور جيلبار سائرًا في مركبة مسرعة الى جهات ارجانتيل حيث استاجر ميرابو قصرًا كبيرًا له كما تقدم الكلام · ولما وصل الى القصر صعد اليه مسرعًا فاستقبله تش خادم ميرابو والدموع في عينيه ثم ادخله على مولاه

وكان ميرابو مستلقيًا على مقعد بين الازهار وهو في الم ووجع · فدنا منه الدكتور جيلبار وفحصه فوجد ان المرض يشتد عليه شيئًا فشيئًا

اما ميرابو فانه نظر اليه نظرة ملئها اليأس وعدم الاكتراث وابتسم له ثم قال دعني ايها الدكتور فانني لا اريد الحياة

فساله الدكتور وما السبب · فاجاب ميرابو وقد تنهد تنهدًا عميقًا كنتُ اروم الحياة لاتمام عملي اما الآن فقد ظهر لي انني لا استطيع اتمامه لانها تعاكسني

ففهم الدكتور من كلام ميرابو انه يعني الملكة

ثم قال ميرابو · انني انفقتُ بالامس قوتي كلها للدفاع عن مسالة المناجم التي تهم صديقي الكونت لا مارك · ولقد حملت على الاعداء خمس حملات وفي الحملة الاخيرة دحرتهم الى وراء ولكنني سقطت في ساحة القتال كما ترى

وكان ميرابو يتكلم وهو خائر العزم كمن نفدت قواه كلها

فقال له الدكتور لا بأس فانك تسترد قواك باذن الله · ثم انه اقام عنده مدة وفصده من قدميه واوصاه بالابتعاد عن الازهار والنساء وانصرف في سبيله

اما ميرابو فانه نادى خادمه بعد خروجه وقال له املأْ المائدة زهرًا وادعُ مدام اوليفا ان تتفضل بزيارتي

وهكذا صرف ميرابو ليله مسرورًا صاحيًا

ولكن لم تشرق شمس النهار التالي حتى قُرع جرس منزل الدكتور جيلبار بعنف فانتبه الدكتور من منامه واذ فتح الباب وجد امامه تش خادم ميرابو يدعوه الى زيارة

سيده في الحال • فاسرع الدكتور الى مريضه فوجده اضعف مما كان امس فسأل الخادم كيف صرف ميرابو ليله فاشار الخادم الى غرفة المائدة فدخل الدكتور اليهـا فوجد على المائدة فضلات طعام الليل وشرابه والازهار مبعثرة فيها • فهز راسه ثم سار لمراقبة مريضه

وكان ميرابو حينئذ مطروحاً على مقعد وهو يكاد يفقد صوابه من ضعف قواه • وكان من حين الى حين يردد هذا القول : آه من ناكري الجميل • فلما سمع الدكتور هذا الكلام لبث صامتاً • فنظر اليه ميرابو بعينين متقدتين بجمر الحمى وما وراءهما من نار الضلوع ثم قال له• اما قلت لك ايها الدكتور انهم لا يعرفون لي جميلاً • فقال له الدكتور وهل صحيح ما تقوله من انه لم يفد احد من قبلهم• قال سل تش ايها الدكتور اذا كنتَ لا تصدقني • فقال الدكتور ولكنني قابلت الملكة امس بعد فراقك ووعدتني بانها ترسل من يستخبر عن صحتك • فهز ميرابو براسه وقال : وعدوك وياطالما اخلفوا الوعود • آه يادكتور قلتك اريد ان اموت

وحينئذ اخذت ميرابو نوبة هائلة فتشنجت اعضاؤه الضخمة واضطرب جسمه الممدد الذي كان وهو يتشنج شبيهاً بجبار يُصارع فراشه • فاخذ الدكتور يد ميرابو بحزن وبقي بازائه يراقب سير المرض ويقاوم ملاك الموت القادم•فساعدت بنية المريض القوية عناية الطبيب ففتح ميرابو عينيه بعد مدة وابتسم لطبيبه وصديقه • ثم عاد الهدوء الى المريض وجسمه فتنفس المريض الصعداء وطلب ان يراجع السجل الموضوع للزائرين ليرى اذا كان قد قدم احد من قبل البلاط يسال عن صحته • ولما لم يجدوا في السجل اسم احد من قبل البلاط تنهد ميرابو وقال : اما قلتُ لك انهم من ناكري الجميل

وبعد هنيهة صاح ميرابو وقد اتخذ وجهه شكلاً هائلاً : بيتْ بيتْ • آه يا بيتْ • سيظهر لك الجو بعد مماتي • ليتني اعيش بضع سنوات ايضاً لاريك كيف تكون السياسة

وكان ميرابو يخاطب بهذا القول الوزير الانكليزي بيتْ الشهير الذي كان صارفاً سياسته يومئذ الى مماكسة فرنسا لانها ساعدت الولايات المتحدة على نيل استقلالها • ومنهم من يتهم هذا الوزير بانه كان يرشي بالاموال الانكليزية بعض دعاة الفتنة في فرنسا لاثارة الفتن والاضطرابات الدموية فيها وذلك رغبة في حمل اوربا على الاتحاد عليها كما اتحدت بعد ذلك •

وفي هذا الحين دخل الخادم وقال لميرابو ان احد الفتيان يروم مشاهدته • فقال له ادخله لاراه • فدخل بعد حين فتى في زهرة العمر والدموع في عينيه • وكان هذا الفتى

قد عرف ميرابو في احدى نزهاته في ضواحي ارجنتيل · وقد جاء الآن يعود الرجل العظيم لما سمعه من خبر انتكاسه · ولما دخل سار الى فراش ميرابو فتناول يد المريض وقبلها ثم خرج من غير ان يقدر على الكلام · على ان الخادم تش لم يلبث بعد خروجه ان دخل وفي يده ورقة منه فقراها ميرابو فوجد فيها ما يأتي

« قرات امس في جريدة انكليزية ان اطباء لندن قد اخذوا رجلاً مريضاً بداء مريضنا العظيم وافرغوا في جسمه دماء صحيحة بعد استفراغ دمه منه فشفي المريض من دائه · فانا اقدم الآن نفسي حباً بانقاذ المسيو ميرابو وارجو ان يُستخرج دمي ويُفرغ في جسمه اذا كان ذلك يشفيه فانه دمٌ نقي ولا ضعف فيه »

فلما قرأ ميرابو هذا الكلام طلب الفتى ليشكره على هذا الكتاب الذي يدلُّ على قوة نفسه وشرف اخلاقه فوجد انه قد خرج من المنزل فرارًا من هذا الشكر ولكنه ترك في يد الخادم عنوان منزله ليطلبوه اذا اجابوه الى اقتراحه

اما الدكتور جيلبار فقد اعجب بهذا الشباب الذي لايعباء بالموت بل يطلبه انقاذًا لرجل يُعظم قدرهُ ويُعجب به · فقال في نفسه ان الامة التي ينشاء فيها شبان كهذا الشاب ستصنع امورًا عظيمة · وان عصرًا يظهر فيه مثل ذلك ستحدث فيه احداث جسيمة

وكان الشعب مجتمعاً حول منزل ميرابو الوفًا الوفًا وهو يهتف « ليحيَ ميرابو ليحيَ ميرابو » فامر ميرابو بفتح النافذة المشرفة على الطريق ليسمع هتاف الشعب له · ثم اخذ يقول : ما اكرمك ايها الشعب واعرفك لجميل الذين يخدمونك

وكانَّ دخول الهواء الى غرفة المريض اذكره الطبيعة والسماء والارض فطلب زهرًا الى غرفته · فبلغ هذا الطلب الى الشعب فساروا من كل جانب يطلبون الزهر و يصيحون ان ميرابو يطلب زهرًا · فانفتحت حينئذ نوافذ المنازل وابوابها واخرج الناس منها احسن ما لديهم من الازهار فحمل الشعب شيئًا كثيرًا منها ونقله الى منزل ميرابو حتى امتلاء المنزل به · فسرَّ ميرابو بهذه الهدية التي جاءه بها شعب باريز وكرر قوله «ما اكرمك ايها الشعب واعرفك بجميل من يخدمونك

و بعد ساعتين عاد الى ميرابو شيءٌ من قوته فسرَّ الدكتور بذلك وعزم حينئذ على مفارقة المنزل على ان يعود في اليوم التالي · ولما خرج من المنزل كان قد امسى المساء فنادى ميرابو خادمه تش وقال له املأ غرفة المائدة ازهارًا وادعُ مدام اوليفا

***

ولكن ميرابو — ذلك الجبار الذي كان مولعاً بالنساء والازهار — لم يستطع اتمام تلك

الليلة · فان خدم المنزل انتبهوا على صياح مدام اوليفا فاسرعوا فوجدوا ميرابو مطروحاً بين ذراعيها وهو في نوبة شديدة · فبعد ان نقلوه الى فراشه ساروا في طلب الدكتور جيلبار · ولما جاء الدكتور وجد مريضه في اسوإ حال · ولكنه لما وقع نظره على مدام اوليفا استثار عقله بغتة ولبث مبهوتاً

ذلك ان مدام اوليفا هي المراة الجميلة التي كانت شبيهة بالملكة كما تقدم الكلام عنها في عقد الملكة · وكانت متزوجة بالمسيو بوزير كما سبق الكلام · وقد راى الدكتور في ذات يوم المسيو بوزير يوزع منشورات ضد ميرابو وراى الآن امراته في منزل ميرابو تسكن بيتاً بازائه فاستنتج من ذلك استنتاجاً هائلاً · استنتج ان كاليوسترو استعمل الزوج لتسميم صيت ميرابو وافناء ما له من السلطان على الشعب واستعمل الزوجة لافناء قواه لان وجوده حياً كان سنداً عظيماً للملكية وعثرة في سبيل مقاصده

تخيل له منذ هذا الحين انه ادرك سر المسالة

اما ميرابو فلما وقعت عيناه على عيني جيلبار ابتسم له ابتسامة معناها لم ترسل الملكة بعد من يستخبر خبري · فوقف جيلبار بازاء فراشه واخذ يتامل في وجهه · فاشار له ميرابو اشارة الى فمه · ثم فهم الدكتور منه انه يطلب منه شيئاً من اكسير الحياة الذي سقاه منه قبلاً فرد اليه قوته · فتناول جيلبار زجاجة كانت في جيبه ثم صب منها قدر ملعقة صغيرة وافرغه في فم ميرابو · فلم يلبث ذلك الجبار الملقى على فراشه كجزع ممدود بلا قوة ولا حراك ان دبت الحياة في جسمه وانطلق لسانه · فكانت اول كلمة قالها : اما قلتُ لك ايها الدكتور انهم لا يكرهون موتي · ثم قال له : صب صب كل هذه الزجاجة في فمي اذا شئت ان يؤثر عليَّ اكسيرك تاثيراً فعالاً · فقال الدكتور وكيف ذلك · فقال ميرابو اتظن انني اقتصرت على تناول ملعقة من الزجاجة التي كنت اعطيتنيها · كلا فانني رجل تعودت الافراط في كل امر وقد افرطت في هذا الامر ايضاً · فقد حللت هذا الاكسير تحليلاً كيماوياً وعرفت المواد التي رُكب منها · لقد عرفت انه يُستخرج من اصول القنب الهندي وانه الحشيش بعينه فاحضرت منه شيئاً كثيراً وصرت اتناوله في ملاعق كبيرة

فصاح الدكتور ويل لك فانك كنت تتناول سماً

فقال ميرابو ولكن ما احسن هذا السم ايها الدكتور فانه يفرح الكروب ويضاعف قوى الانسان مئة مرة بل الف مرة فكانه يضاعف حياته وملاذه · ولقد اعطاني الله حياة مملوءة بالفقر والشقاء والمتاعب فلا اعلم الآن هل يجب عليَّ ان اشكر الله الذي

اعطاني هذه الحياة ام ان اشكرك انت على هذا السم الذي قدرتني به على التمتع بها ٠ فاملأ فاملأ ملعقتك ايها الدكتور واسقني صرفاً

فاطاع الدكتور وسقى ميرابو ملعقة من شرابه ٠ ولما استقر هذا الشراب في جوفه ابرقت عيناه وزاد لسانه انطلاقاً فقال وكأن حجب المستقبل قد زالت من امام وجهه وهو مقترب من الابواب الابدية :

سقياً للذين يموتون في هذا العام ولا ينظرون اهوال الثورة القادمة ٠ فان المستقبل سيلد آفات واهوالاً لان الثورة حدثت الى الآن في الافكار وستحدث غداً في الاسواق والشوارع ٠ ومع ذلك فانني آسف لانني اموت من وجه واحد ٠ ذلك لانني لم اكمل بعد العمل الذي اروم عمله فاذا جاء بعدي قوم ينظرون في عملي اتهموني عدة تهم لانه ناقص لا يدل عليّ دلالة كاملة ٠ ولكن ماذا اعمل فانها رفضت مساعدتي ٠ وهكذا يبقى اسمي مكروهاً من فرنسا واوربا والعالم اجمع

فقال الدكتور ولماذا اسرعت اذاً في الاجهاز على نفسك وطلبت الموت

فقال ميرابو : ذلك لانني قطعت الامل منها (يعني الملكة) فانني وددت خدمتها وخدمة عرشها اما هي فكانت تسخر مني وتتخذني آلة بين يديها ٠٠٠ ولكن دعني منها ايها الدكتور وعدني الآن وانا على ابواب الموت وعداً صادقاً وهو انك اذا رايتني اتعذب قبل فراق الروح تعطيني دواء يسهل لي الخروج من هذه الحياة

فاجفل جيلبار عند هذا السؤال وقال له لقد وعدتك بان لا افارقك ايها الصديق وانا مستعد لاسعافك ومساعدتك في حياتك وموتك

فقال ميرابو شكراً لك ثم اتكأ على وسادته

***

ذلك ان القوة التي اثارها الحشيش هنيهة في جسم هذا الجبار لم تلبث ان نفدت وعاد اليه الضعف والخوار ٠ ثم اصابته نوبة غيبته عن الوجود وبرد جسمه فعلم الدكتور ان ذلك الرجل العظيم قد اخذ يدخل في الاحتضار ٠ فقال في نفسه هذه هي ساعة الصراع بين الطبيب والموت ٠ ثم اخذ يد ميرابو بين يديه ٠ فالتفت اليه ميرابو وعيناه متقدتان بنار النزع وجسمه مضطرب اشد اضطراب واشار بيده اشارة خفيفة معناها انه يريد الشرب ٠ وكان يطلب بذلك ان يشرب دواء يسهل له مفارقة الحياة ٠ فتجاهل الدكتور هذا الطلب لانه لم يعده باعطاء دواء يقصر عمره وانما وعده بالمساعدة ٠ فطلب ميرابو ان يكتب فجاءوه

بقلم وورق فخط هاتين الكلمتين بيد ثابته « النوم . والموت . » يريد انه يطلب ان يشرب دواء يجلب له النوم فالموت . فاظهر جيلبار انه لا يفهم ايضاً . فغضب ميرابو وهو معقود اللسان وكتب بيد مرتجفة « ان آلامي صارت لا تحتمل فهل من الصداقة ان أترك في هذا العذاب . اليس الاجدر ان أعطى بضع نقط من الاوبيوم لاستريح راحة ابدية »

ولكن الدكتور بقي متردداً . فنظر اليه ميرابو نظرة الحنق وهمّ بالكلام فلم يقدر لان لسانه كان محبوساً . فكاد يتمزق غيظاً والماً . ولكن كانّ هذا اليأس والالم قد اطلقا لسانه فصاح . آه من الاطباء آه من الاطباء . اما انت صديقي ايها الدكتور جيلبار . اما وعدتني بانك تنقذني من عذاب الموت . فانا استحلفك بالصداقة والشرف ان تنجز وعدك

ثم ان ميرابو عض وسادته باسنانه من شدة الالم الذي كان يعانيه وتقلب في فراشه تقلب الملسوع

فقال له الدكتور حينئذ كن مستريحاً ياصديقي فانني اجيبك الى طلبك

وعند ذلك تناول الدكتور قلماً واخذ يكتب وصفة الدواء الذي يسهل لميرابو الخروج من عالم الحياة الى عالم الراحة على طريق النوم . على انه لم يتم كتابة الورقة التي كانت في يده حتى وثب ميرابو من فراشه وثبة الاسد وطلب قلماً . فناوله الدكتور في الحال القلم الذي كان في يده . فقبض عليه ميرابو بيد مشتعلة وعيناه تقدحان شرر الموت ثم كتب به ثلاث كلمات بخط لا يكاد يقرأه وهي : « الهرب الهرب الهرب » ثم همّ بتوقيعها بخطه فلم يستطع ان يكتب فيها سوى الاحرف الاربعة من اسمه . وبعد ذلك رفع الورقة ومدها نحو جيلبار وقال « هذه لها » ثم انطرح على وسادته كجزع شجرة القيت على الارض بلا حركة ولا حياة

فاسرع الدكتور حينئذ اليه واخذ نبضه فتحقق ان القضاء قد حلّ به فالتفت الى الحاضرين وقال : ايها السادة ان ميرابو استراح من عذابه

وهكذا مات ميرابو . مات شيشرون . مات ذيموستين .

اما الدكتور جيلبار فانه بعد ان تحقق موت ميرابو دنا من جبينه فقبله والحزن في نفسه ثم طوى باعتناء الورقة التي ناوله اياها ميرابو ووضعها في جيبه لايصالها الى السيدة التي كُتبتْ لها وهذه السيدة هي الملكة كما يعلم القارى

فكانّ ميرابو قال لها بهذه الورقة انك كرهتِ الاستسلام اليّ والعمل بنصائحي لانقاذك

وانقاذ العرش معك فكنت سبباً في موتي · وبما انني مت لم يبق لك من سبيل النجاة غير الهرب من هذه البلاد

***

ولما انتشر خبر وفاة ميرابو بين جماهير الشعب المزدحمة حول منزله قامت قيامتهم وصاحوا صياح الاسف والحزن العظيم · ثم ذاع الخبر حتى وصل الى باريز · فقامت له المدينة وقعدت · وحينئذ امكن الناظر ان يرى ويقيس المكان الواسع الذي كان يشغله ميرابو في الامة الفرنسوية · اما الشعب فقد كان اكثر الناس حزناً على خطيبه العظيم · ولذلك بادر الى اعلان الحزن عليه · واول ما صنعه انه سار الوفاً الوفاً الى الملاعب (التياترات) فمزق اعلاناتها واقفل ابوابها بالقوة · وكان في ذلك اليوم في قصر بشارع شوسه دنتين مرقص كبير فهجم الشعب على القصر ففرق الراقصين والراقصات وكسر الآلات الموسيقية

وعند اجتماع المجمع الوطني في ذلك الصباح ابلغه رئيسه ذلك الخبر الفاجع · فنهض باريز الى منبر الخطابة وسال المجمع ان يقرر في وقائعه الرسمية الاسف على هذا الرجل العظيم وان يدعو اعضاءه الى حضور جنازته بصفة رسمية

وفي ٣ افريل وفد على المجمع وفد ينوب عن باريز وساله ان يقرر تخصيص كنيسة (سنت جنفياف) لدفن الرجال العظام فيها وجعل ميرابو اولهم · فقرر المجمع هذا القرار · ومنذ هذا الحين صار يُطلق على كنيسة جنفياف اسم « البانثيون » وهو مدفن اعاظم رجال فرنسا في هذا الزمان (١)

وبما ان هذا المكان لم يكن معدّاً لدفن الرجال العظام فقد قرر المجمع في قراره ان توضع جثة ميرابو وقتياً في مدفن تحت الكنيسة بجانب نعش الفيلسوف ديكارت

---

(١) في هذا العام جعلت الثورة الفرنسوية كنيسة جنفياف في باريز مدفناً لاعاظم الرجال وقد قرر المجمع الوطني ان يُنقش في صدر هذا المدفن الكبير هذه الكتابة « ان الوطن لا ينسى جميل رجاله العظام » ثم لما عادت الملكية اعادت حكومتها هذا المكان كنيسة كما كان · ولكن لما عادت الجمهورية الثالثة اعادته مرة ثانية مدفناً لاعاظم الرجال وكان اول من دفنت فيه فيكتور هيغو الشاعر المشهور · وقد احتفلت فيه في هذا الشهر بتذكار مرور مائة سنة على ولادة هذا الشاعر · اما باني كنيسة جنفياف فهو لويس الخامس عشر وقد سماها باسم جنفياف لان باريز موضوعة في التقاليد الكاثوليكية تحت حماية هذه القديسة

المدفون هناك

وفي اليوم التالي سار المجمع الوطني بتمامه الى قصر ميرابو في اوجنتيل للاحتفال بتشييع جثته الهامدة · فوجد هنالك الوزراء والكبراء ومائة الف نفس من الشعب وفدت للاشتراك في اكرام نابغة الزمان · ولكن لم يأتِ احد من قبل الملكة ··· ولما انتظمت الحفلة خرجوا بالجثة في جمع عظيم يتقدمه لافاييت القائد العام· وسارت باريز كلها وراء النعش تبكي الخطيب الذي جدد لفرنسا في ذلك الزمان عهد شيشرون وذيموستين ولما وصلوا به الى كنيسة سان اوستاش وانتهوا من اقامة الصلاة عليه وقف الراهب اليسوعي (سروتي) وابن الفقيد تابيناً بليغاً· وكان هذا الراهب من رجال الاكليروس الذين انضموا الى الثورة وقبلوا مبادئها الحرة وآراءها العصرية الجديدة ولذلك جُعل عضواً في المجلس النيابي · ولما اتى على آخر كلمة من تابينه اطلق ١٠ الاف جندي كانوا في الكنيسة بنادقهم اكراماً لتذكار الفقيد· فصاح اعضاء المجمع الوطني صيحة هائلة لانهم لم يكونوا يتوقعون ذلك وخيل للحاضرين ان الارض قد مادت وان سقف الكنيسة سيسقط عليهم · وقد تكسرت كل نوافذ الكنيسة وزجاجها فلم يبقَ بها لوح زجاج سليماً

وبعد الصلاة ساروا بالجثة الى كنيسة جنفياف (البانثيون) وكان مسيرهم اليها على نور المشاعل لان الظلام كان قد ارخى ستائره ·

ولكن الظلام لم يهبط على العيون فقط بل هبط على النفوس ايضاً · ذلك لان وفاة ميرابو كانت خسارة ما بعدها خسارة · فقد ذهب بذهاب هذا الرجل العقل الذي كان يدير ازمة الحكم والسياسة · لقد ذهب اللجام الذي كان يكبح جماح الشعب والمهماز الذي كان يستحث انصار الملكية · وصارت بعده مركبة الدولة سائرة بلا دليل ولا مشير فلا تعلم اهي سائرة الى قمة النجاة او وهدة التهلكة

***

وكان وصول الحفلة الى البانثيون في منتصف الليل · وكان هذا الاحتفال جامعاً شعب باريز وكل ذي مقام فيها فكأن باريز قامت كلها تشيع رجلها العظيم ومفخره · ولم يكن ينقص هولاء المشيعين الا رجل واحد

ومن هو هذا الرجل · هو السياسي بسيون

ولماذا تخلف السياسي بسيون عن حضور جنازة ميرابو · ذلك لان هذا الرجل عثر في زعمه على مراسلات كتبها ميرابو قبل موته والغرض منها مقاومة الثورة وايقاف سيرها

وبعد انقضاء ثلاث سنوات على هذا اليوم لما اصبحت البلاد في ازمة الكونفانسيون صنع هذا المجلس صنعاً غريباً . فانه بعد ان قتل الملك والملكة . وبعد ان سفك دماء الجيرونديين والكوردوليين والمونتانيار . وبعد ان قتل نفسه وسفك دماء اعضائه ولم يبقَ لديه احد من الاحياء لقتله — عمد الى قتل الاموات . فقرر بسرور وحشي ان المجمع الوطني اخطاء بدفن ميرابو بين اعاظم الرجال لان عقل الانسان مها كان كبيرًا فانه لا يمحو سيئات الرشوة والفساد . يعني بذلك ان ميرابو كان يرتشي من البلاط لمقاومة الثورة

وبناء على ذلك وضع مجلس الكونفانسيون قرارًا آخر مقتضاه اخراج جثة ميرابو من البانثيون

وطبقاً لهذا القرار جاء يومئذ الى قبر ميرابو في كنيسة سنت جنيفاف رجل من قبل المجلس وقراء على الميت صورة القرار الجديد الذي يقضي عليه بعدم الرقاد في مكان يرقد فيه فولتير وروسو وديكارت . ثم طلب من حارس الكنيسة ان يسلمه جثة ميرابو . فدفعها الحارس اليه فاخذها الرجل المبعوث من مجلس الكونفانسيون ودفنها في مكان يُدعى كلامار وهو مدفن المجرمين

ورغبةً في جعل هذا العقاب موازيًا للاكرام الذي لقيه ميرابو يوم موته ودفنه لم يُخرج هذا الرجل الجثة من الكنيسة الا في الليل لكي لا يحتفل بها احد ولم يضع على القبر الذي دُفنت فيه شيئاً يُستدل به

ولكن رجلاً فضولياً مولعاً بالسؤال زار كلامار ذات يوم وسال عن المكان الذي دُفن فيه ميرابو . فاخذه احد الحفارين الى مكان في وسط المدفن ورفس الارض بقدمه وقال: هنا دفناه . ثم رغبة منه في تأكيد كلامه اردف بقوله : نعم ههنا دفناه . ولقد كدتُ اسقط في الحفرة وانا حامل تابوته لشدة ثقل ذلك التابوت الرصاصي اللعين »

وكان ذلك الرجل السائل الكاتب نوديه

ولقد اخذني نوديه في ذات يوم الى ذلك المكان ورفس الارض بقدميه في موضع القبر وقال لي . ههنا دفنوه

وها قد مضت على ميرابو خمسون سنة وهو مدفون في مكان مجهول يمرُّ الناس فوقه ولا يعرفونه . افلا يجب اخراج جثته من تلك الارض الرجسة ودفنه في قبر يليق به . وربما كان ميرابو غير اهل للرقاد في البانثيون ولكن اليس بين ارض البانثيون وتلك الارض

الرجسة وَسَط يحق له ان يُدفن به . وكم من اناس غيره يرقدون الآن او سيرقدون في المستقبل في ارض شريفة مع انهم لا يستحقون الا الاراضي المخصصة بالمجرمين . فاليكِ يافرنسا اسوق الكلام . اقيمي قبرًا لميرابو ولا تنقشي عليه غير اسمه ولا تضعي فوقه غير تمثاله ودعي للتاريخ الحكم عليه

الفصل السابع والعشرون

﴿ ما اشار به ميرابو ﴾

اما الملك والملكة فانهما كانا في اثناء هذه الحوادث يفكران في امور اخرى

وبيان ذلك انه قبل وفاة ميرابو بساعتين دخل الى قصر الملك رجل قادم من سفر بعيد وكان هذا الرجل الكونت دي شارني الذي ارسله الملك الى الجنرال بوليه ليدبر معه طريقة فراره

ولما علم الملك بوصول شارني سرّ به كل السرور واستدعاه اليه وساله عن مهمته فاجابه شارني ان الجنرال قد اتخذ كل المعدات اللازمة لحفظ سلامة جلالتكم ثم اطلعه على خطة السفر وعدد الجنود الذين عزم على تفريقهم في طريقه . فقال الملك وهل وجد حجة لارسال هولاء الجنود فانني اخشى ان يسيئوا الظنون بها . فاجاب نعم قد وجد الجنرال حجة لذلك وهي ان وزير الحرب سيرسل بعد حين مالاً جزيلاً الى جيش الجنرال بوليه فاذا سال الناس عن سبب قدوم الجنود اجابوهم انه لحماية المال المرسل من وزارة الحرب

فقال الملك وعلى ذكر المال اسالك ايها الكونت هل وصل الى المركيز دي بوليه المليون فرنك الذي ارسلته اليه . فاجاب شارني نعم يامولاي قد وصل المليون فرنك ولكن لا يخفى عن جلالتكم انه يفقد ٢٠ في المائة عند القطع . فقال الملك نعم اعرف ذلك ولكن هل استطاع المركيز قطعه بهذه القيمة على الاقل . فاجاب شارني بل انه قطعه باقل من ذلك لان خادماً امينًا لجلالتكم قد ابتاع من تلك الاوراق ما قيمته مائة الف فرنك من غير قطع . فقال الملك والباقي . قال اما الباقي فقد قُطع في بنك المسيو بركو وقد اعطى هذا البنك حوالة بالقيمة على بثمان وشركائه في فرنكفورت وهم يدفعون المال نقدًا . فقال الملك حسن فاذكر لي الآن اسم ذلك الرجل الامين الذي خسر مائة الف فرنك لابتياع اوراقي . فقال شارني لا اقدر ان اذكر اسمه يامولاي لانه لم يهب تلك الهبة الا على

هذا الشرط · فقال الملك ولكن هل تعرفه انتَ · فاجاب نعم اعرفه يامولاي · فعلم الملك ان ذلك الرجل هو شارني نفسه فدنا الملك منه بعظمة ثم اخرج من اصبعه خاتمًا من ذهب وقال له · لما دنا اجل ابي دنوتُ منه وقبلتُ يده التي كان قد يردها الموت ثم نزعتُ منها هذا الخاتم واخذته تذكارًا · وبناء عليه فانه عندي في مكان عظيم · ومع ذلك اسالك ان تاخذه وتهبه الى ذلك الرجل الكريم من قبلي

فطفحت حينئذ عينا شارني بالدموع وضاق صدره من شدة تاثره فجثا على ركبته امام الملك ليتناول الخاتم منه

ولكن لم يكد شارني يجثو حتى فُتح الباب بغتة فالتفت الملك بغضب ليرى الداخل لان فتح الباب عليه بهذه الطريقة اهانة له اذا لم يكن هنالك امر ضروري يقتضي ذلك · ولما التفت الى الباب ابصر الملكة داخلة منه وهي صفراء الوجه وفي يدها ورقة صغيرة

اما الملكة فانها ما ابصرت شارني جاثيًا امام الملك حتى تراجعت الى الوراء كانها مذعورة وقالت : مسيو دي شارني هنا

ذلك انها كانت تجهل قدوم الحبيب الذي كانت تقضي ايامها ولياليها بالتفكر في غيابه ·

فنهض دي شارني حينئذ · ورغبة في تخفيف الم الملكة قال · نعم يامولاتي فقد قدمتُ الساعة وكنتُ على عزم الاستئذان من جلالته في التشرف بمقابلتك لارفع اليك واجبات التحية والاحترام

فذهب عند ذلك الاصفرار من وجه الملكة وحل محله شفق لطيف · فمدت يديها الى شارني لتسلم عليه ولكنها لم تلبث ان اعادت احداها الى قلبها لانه كان ينبض نبضًا شديدًا

وكانت الورقة التي في يد الملكة قد سقطت منها ووقعت بعيدًا فالتقطها شارني وجاء الملك بها فتناولها الملك وقرأها فوجد فيها هذه الكلمات « الهرب الهرب الهرب » وتحتها هذا التوقيع المبهم « ميرا ... » · فسال الملك الملكة ما معنى هذا فانني لم افهم شيئًا · فاجابت الملكة ان المسيو دي ميرابو قد توفي منذ عشر دقائق وقد كتب هذه الورقة قبل وفاته يشير بها علينا بالسفر

فقال الملك نعم نعم قد عزمت على السفر ايتها السيدة وقد اعددنا كل شيء فاذهب ايها الكونت واطلع الملكة على تفاصيل ذلك

فقالت الملكة للكونت بلهجة من فرغ صبره اتبعني ايها الكونت ولا تبطىء ثم خرجت تقصد غرفتها . فانحنى شارني باحترام امام الملك وخرج في اثرها

الفصل الثامن والعشرون

﴿ الحب بين المتاعب ﴾

ولما وصلت الملكة الى غرفتها رمت بنفسها على مقعد هناك واشارت الى شارني ان يغلق الباب وراءه . فاطاع شارني . ولكن الباب لم يُغلق حتى ارتفع صوت الملكة بالبكاء والزفرات

ذلك ان الملكة تركت التاج الملكي في تلك الساعة وذكرت انها امرأة

اما شارني فان بكاء الملكة من اجله اثار في نفسه بقية ما بقي فيها من الحب القديم

ولقد قلنا « بقية ما بقي فيها » لان حباً كالحب الذي كان يجده شارني في نفسه قبلاً لا تخمد ناره خموداً تاماً الا اذا انقلب بغضاً . وبناء عليه كان في نفسه حبان . حب قديم اثري للملكة وحب جديد لزوجته اندري . ولقد كان يحب اندري من كل قوى نفسه وكان يحب الملكة على سبيل الشفقة واحياء للتذكار القديم

وكان شارني واقفاً امام الملكة ينظر اليها و ينتظر اوامرها وهي مستغرقة في البكاء وراسها بين يديها . ذلك انه مر عليها ثمانية اشهر دون ان تسمع خبراً عنه او تعلم بمكان وجوده . وكانت تفتكر فيه في الليل والنهار ولا تجد مسرة في الحياة لغيابه . وبينا هي في هذا القلق الدائم واذا بها تراه في غرفة الملك بغتة دون ان تكون على موعد من لقائه . فثارت حينئذ كل قوى نفسها وتمثل لها ما عانته في حياتها من المتاعب فاستسلمت الى الضعف والبكاء وهو آخر واقوى ملجاء للنساء

وكانت تبكي لتفرج همها ولو لم تبك لخنقتها دموعها

وكانت تبكي بلا كلمة ولا اشارة . فهل كان بكاؤها من الحزن او من الفرح . ربما كان من الاثنين لان كل انفعال شديد يُترجم بالدموع اياً كان نوعه

ولما طال وقوف شارني امامها وهي تبكي دنا منها وفي نفسه من عواطف الحب اكثر مما فيها من عواطف الاحترام ثم اخذ احدى يديها فرفعها عن وجهها وقبلها وقال : مولاتي .

يسرني ان ابلغكِ انني منذ فارقتكِ لم افتأ عن الاشتغال بك ومن اجلك

فاجابت الملكة بلهفة . شارني شارني لقد مرَّ عليَّ زمن كنتَ فيه أقل اشتغالاً بي ولكنك كنتَ اكثر افتكارًا فيَّ . فليت هذا الزمن يعود

فقال شارني ان الملك ياسيدتي عهد اليَّ في الاشهر الاخيرة بمهمة في غاية الاهمية فكانت مهمتي توجب عليَّ السكوت التام الى ان افرغ منها ولذلك لم اقدر على الكتابة اليكِ . اما الآن فقد فرغت من هذه المهمة فاذني لي ياسيدتي ان اطلعك على نتيجتها

فنظرت الملكة حينئذٍ الى شارني نظرًا يفهم كل انسان معناه وقالت له . شارني شارني اما لديك حديث اهم من هذا الحديث الآن . ثم انها ضغطت على يده بين يديها

اما شارني فانه بقي صامتاً . وقد اجالت الملكة نظرها فيه في اثناء سكوته فلم تجد في ثيابه النظيفة المرتبة ولا في شعره الصقيل ما يدل على انه كان في سفر بعيد . فقام في نفسها حينئذ شك هائل . فانها ظنت ان الكونت قد عرج في طريقه على منزل زوجته الكونتس اندري وغير ملابس السفر فيها . ولذلك لم تلبث ان القت عليه بلهفة هذا السؤال . وهل كانت طريقك طويلة . فاجاب انني قطعت ٩٠ فرسخاً . فقالت الملكة عجباً ومع ذلك فاني لا ارى على ملابسك غبار السفر . فقال الكونت نعم ياسيدتي فقد خشيت ان ينبه قدومي الى القصر بملابس السفر ظنون الناس ولذلك غيرتها قبل وصولي الى القصر . فقالت بشيء من التهكم وعقرب الغيرة تلدغ قلبها . نعم نعم لقد نسيتُ ان لك منزلاً في باريز . فاجفل شارني عند هذا الكلام لانه عرف غرض الملكة منه وقال كيف تقول الملكة ان لي منزلاً في باريز . فاجابت اليس المنزل الذي تسكنه الكونتس منزلك ايها الكونت

فلما قالت الملكة هذا القول همَّ شارني بان يستشيط غضباً منها ولكنه ذكر ان غضبه وهي في تلك الحالة يؤلمها اشد الم فاشفق عليها وقال . لقد ذكرتُ لك ياسيدتي قبل سفري من باريز ان منزل مدام دي شارني ليس بمنزلي . اما المكان الذي غيرت فيه ملابسي فهو منزل اخي الفيكونت ايزيدور دي شارني

فلما سمعت الملكة هذا القول ابرقت عيناها فرحاً وسرورًا ثم انها هبطت من عن المقعد على ركبتيها على الارض واخذت يد شارني ووضعتها على شفتيها . اما شارني فانه لم يكد يرى صنع الملكة حتى اسرع كالبرق الخاطف ومدَّ يده فانهضها واجلسها على المقعد وهو يقول . ما هذا الصنع يامولاتي

فاجابت الملكه بصوتها الناعم اللطيف . اريد ان اشكرك يا اوليفيه

فاغرورقت حينئذ عينا شارني بالدمع واجاب . وعلى اي شيء تشكرينني ياسيدتي

فقالت الملكة . تسالني على اي شيء اشكرك ؟ الا فاعلم انني منذ يوم سفرك لم الق مسرة الا في هذه اللحظة التي قلت لي فيها ما قلت . ولا اجهل انني اقول الآن قولاً لا يجب ان يقال ولكن ما الصنع بغيرة النساء فانها عاطفة هائلة . وهل تنسى تلك الايام التي كنت انت فيها غيورًا ايضاً . ولكن ما اعظم الفرق بين غيرة الرجال وغيرة النساء . واننا نحن النساء يحق لنا ان نحسدكم على غيرتكم ايها الرجال . فانتم اذا غرتم من رجل فانكم تبارزونه فيقتلكم او تقتلونه واما النساء فلا سلاح لهن غير البكاء . وكثيرًا ما يكون هذا البكاء مضرًا لا مفيدًا اذ يكون سبباً في ابعاد القلب الذي نروم تقريبه . فهل فهمت الآن سبب شكري لك . وانني اكرر لك شكري واعدك بانني ما عدت ابكي . فانظر اليَّ

وفي الحقيقة ان الملكة تناولت منديلها فمسحت به دموعها ونظرت الى شارني تُظهر له الابتسام . ولكنه كان في ابتسامها شيء غريب ارتعدت له فرائص الكونت فقال لها . وهل يمكن ان تكوني تعذبتِ الى هذا الحد . فنظرت الملكة الى السماء وقالت شكرًا لك يا الهي لانه شعر بشيء من عذابي ومتى شعر به كله فانه لا يعود قلبه يطاوعه على ترك حبي

فشعر شارني حينئذ انه نازل في احدور يستحيل عليه بعد ذلك الوقوف فيه فتمالك وطوى هذا الحديث قائلاً . والآن هل تسمح لي جلالتك بان اطلعها على تفاصيل المهمة التي سافرتُ من اجلها

فكانَّ الملكة انتبهت عند هذا السؤال الى نفسها وذكرت انها اذا كانت امراة فهي ايضاً ملكة . وبما ان المراة قد نالت ما كانت تريده فقد بقي ان تعلم الملكة ما تريد علمه . فالتفتت الى شارني وقالت له . ان الملكة مصغية اليك ايها الكونت

فاطلعها الكونت دي شارني حينئذ على سبب سفره لمقابلة المركيز دي بوليه وكيف انهما اعدا سبيل سفر الملك واسرته من باريز الى آخر تفاصيل هذه المسالة . ولما استوعبتها الملكة جيدًا قالت لشارني . وهل يسرك ان تكون نجاتي على يدك ايها الكونت . فقال شارني انني ابذل نفسي في هذا السبيل ياسيدتي لانني اعتبر ذلك من واجباتي . فقالت الملكة بل كنتُ احب ان يكون ذلك لحبك لي لا لقيامك بواجباتك . فسكت دي شارني . واما الملكة فانها لبثت مبهوتة مفكرة . وبعد هنيهة التفتت الى شارني وقالت له . ولكن

فاعلم يا اوليفيه انني لا ارضى بان اتجول على يدك الا على شرط واحد . فقال شارني وما هو . قالت انني احياناً لا املك زمام نفسي فاذا رمتُ ان اعمل عملاً ورايتُ في اثنائه ما لا تشتهي نفسي فانني لا اضمن انني استمر فيه . وانا اقول لك ذلك لتعلم الخطر مقدماً فتجتنبه

فلما سمع شارني ذلك انحنى قليلاً لانه كان قد فهم كلام الملكة ثم قال : انني اعدك ياسيدتي بانني لا ارى الكونتس دي شارني الا باذن منك

قال ذلك بجد لا مزيد عليه ثم انحنى ثانية وخرج دون ان ينتظر جواب الملكة

ولما اغلق شارني الباب وراءه اخذت الملكة بيديها تشدها من شدة تاثرها . ثم قالت في نفسها . وددت ان يكون قد اقسم ان لا يراني الا باذن منها ويكون يحبني بقدر ما يحبها

الفصل التاسع والعشرون

﴿ النظر المزدوج ﴾

شروع الملك في الفرار

اما الامر الذي اقنع الملك بوجوب الفرار مع اسرته بعد ان كان متردداً فيه فهو حدوث عدة حوادث دلته على انه يكاد يكون اسيراً للامة مع عائلته

ومن هذه الحوادث ان المجمع الوطني اوجب على الكهنة الذين يدخلون قصر الملك للقيام بطقوس الاعتراف والقربان المقدس وخدمة القداس ان يكونوا من الكهنة الذين اقسموا يمين الامانة والطاعة للدستور الذي وضعه المجمع . فلما اقترب عيد الفصح خافت عمتا الملك من ان يمرّ العيد ولا تتناولان الاسرار المقدسة على يد كاهن غير مقسم يمين الامانة للدستور لان الاكليروس كان يعتبر الذين اقسموا منهم هذه اليمين خارجين عن الكنيسة الحقيقية ولذلك عزمتا على الفرار من باريز . فتزيتا بزي خادمتين وسافرتا من باريز الى خارج المملكة . فلما علم الشعب بذلك هاج وماج وصاح مارات انهما اخذتا عدة ملايين من الفرنكات وقال ديمولين انهما خطفتا ولي عهد الملك وسارتا به الى الخارج . ولما وصلتا الى ارناي لو دوك القي القبض عليهما وحيل بينهما و بين السفر فاضطر الملك الى ان يكتب رسالة الى المجمع الوطني يطلب فيها منه الاذن لهما باتمام سيرهما . فاذن المجمع بذلك ولكنه اشترط ان يعين لجنة لوضع نظام للمهاجرين من المملكة . وقد وضعت اللجنة ذلك

النظام على ان ميرابو قبل وفاته قاومه بكل قواه حتى اسقطه والغاه
ولكن هذه الاهانة لم تكن شيئاً بالقياس الى الاهانة التالية التي وقع الملك فيها . فانه لما انتشر في باريز خبر قرار عمقي الملك وهاج الشعب اسرع الى قصر الملك نحو مائة من نبلاء الفرنسويين وابلغوه انهم مستعدون للموت في سبيله . فسر الملك بهذه المظاهرة . ولكن لما انتشر خبرها خارج القصر حسب الناس ان انصار الملكية يعقدون مؤامرة سرية فاسرع الجنرال لافاييت القائد العام الى التويلري ودخله عنوة بجنوده وهم يجردون اسلحتهم ثم قبض على جميع اولئك النبلاء وفتشهم فوجد في ثيابهم كثيراً من المسدسات والخناجر ولذلك دعوهم « نبلاء الخناجر »

وفضلاً عن ذلك فقد جرت عادة الملك بان يذهب في كل عام الى سان كلود قرب باريز . ففي ذات يوم امر باعداد المركبات للذهاب اليها ثم نزل من قصره ليركب مركبته مع الملكة واذا به يرى نحو ١٥٠٠ شخص يحيطون بالمركبة ويمسكون برؤوس الخيل منعاً لها من السير . ثم انتشر الخبر وقرعت الاجراس ايذاناً بان الوطن في خطر لان الملك عازم على الفرار من باريز . ولذلك اضطر الملك الى العدول عن نزهته

و يظهر من ذلك كله امران . الاول ان الشعب كان يخشى خروج الملك من فرنسا للاستنجاد باوربا على امته وشعبه ورغبة المجمع الوطني وانصاره في ان لا يخرج الملك فيد فتر عن الدستور الذي سنه المجمع ووضع فيه الامة فوق الملك . والثاني ان الملك صار يرى وجوده في باريز ثقيلاً عليه لاعتباره نفسه اسيراً فيها فضلاً عن ضغط الدستور على ارادته . ولذلك عزم على الفرار بعد ان كان متردداً فيه واظهر هذا العزم للملكة بجلاء تام حين مقابلتها لشارني عنده

وكان الجنرال بوليه والملك قد جعلا موعد الفرار في ٢٠ يونيو من ذلك العام

وفي صبيحة اليوم السابق لهذا اليوم كان الدكتور جيلبار في منزله وفي يده ورقة متعلقة بمشروع الفرار وهو يقرأها و يعيد قراءتها من حين الى حين . وكان يروح ويجيء في المنزل بهيئة رجل ينتظر رجلاً آخر ويطل من النافذة على الشارع من دقيقة الى اخرى . وبعد حين وقفت مركبة امام باب منزله فتنفس الدكتور الصعداء وقال لخادمه افتح للكونت دي شارني في الحال فانني انتظره . فذهب الخادم ثم عاد بعد برهة و بدلاً من ان يعلن قدوم الكونت دي شارني اعلن قدوم الكونت كاليوسترو

فلما سمع الدكتور هذا الاسم ارتعدت فرائصه مع ثبات جاشه لانه لم يكن ينتظره .

فطوى بسرعة الورقة التي كانت بيده ودسها في جيبه ثم لبث ينتظر ذلك الرجل العجيب ·
فدخل عليه كاليوسترو بعد حين وكانه قد لمح من السلّم الورقة التي كانت في يد الدكتور جيلبار قبل ان يضعها في جيبه ولذلك قال له : لماذا اخفيتَ هذه الورقة ايها الدكتور

فاجاب الدكتور هذه ورقة لا يهمك امرها

فضحك كاليوسترو وقال بل يهمني امرها كما يهمك · ولكن قبل ذلك اتريد ان اخبرك عن مضمونها · فنظر اليه الدكتور باستغراب وقال : هل عدنا ايها الاستاذ الى مسائل النبوّة وعلم الغيب · فضحك كاليوسترو وقال : ان هذه الورقة تذكرة للملك وامرته لتسافروا بها من فرنسا متنكرين

فلما سمع الدكتور جيلبار هذا الكلام شعر بتاثير غريب في داخله وخيل له انه في حلم لا في يقظة · وبعد ان سكت هنيهة يفكر بماذا عساه ان يجاوب قال لمخاطبه

اصغِ اليَّ يامعلي · نعم ان هذه الورقة كما ذكرتَ وذلك يدلني على انك مطلع على هذا السرّ فلا يجدي الانكار نفعاً · وبناء عليه فان اطلاعك هذا يوجب علينا واحداً من امرين · فاما اننا نعدل عن مشروعنا واما انك تعدنا بالتزام السكوت وكتمان هذا السر

فقال كاليوسترو وان لم اعدكم بالسكوت والكتمان · فاجاب الدكتور اذا لم تعدني الآن بذلك وعداً قطعياً فانني انذر اصحاب هذا المشروع بالعدول عنه في الحال

فالتفت كاليوسترو حينئذ الى الدكتور جيلبار وقال له : بل لا تنذرهم بذلك ايها الدكتور فانني ما جئتك الا لابلغك انني عارف بمشروعك وانني لا اتداخل فيه ابداً · وان رمتَ زيادة في الايضاح قلت لك ان من مصلحتنا ان يخرج الملك من فرنسا لنقيم الجمهورية بعد خروجه ولذلك يجب علينا تسهيل هذا الخروج له لا اقامة العثرات في سبيله · وبناء عليه اعدك ايها الدكتور انني اكتم خبر سفره كل الكتمان ولا اتعرض له بسوء

فارتاح الدكتور الى وعد كاليوسترو ثم تحدثا مدة وبعد ذلك عاد الرجل الهائل من حيث اتى وقد ترك الدكتور مدهوشاً من مقدرته على استطلاع كل الخفايا والوقوف على جميع الاسرار

الفصل الثلاثون

﴿ فرار الملك ﴾

(والقبض عليه)

وكان الملك قد استعدّ اتمّ استعداد للسفر وكان موعد الفرار في ٢٠ يونيو من ذلك العام كما تقدم

ولما جاء هذا اليوم غيرت الملكة زيها و بدلت ايضاً زيّ ولديها وخرجت في السرّ من قصر التويلري مع الملك لتركبا المركبة التي كانت تنتظرها في مكان قرب القصر

وكان سفر الملك والملكة من طريق مونمدي كما كان الاتفاق وكان المركيز دي بوليه قد بعث بجنوده الى المراكز التي على طريق السفر لوقاية الملك من الطوارئ وسار جورج دي شارني زوج كاترين امام المركبة يمهد لها طريقها ولحق بها اخوه الكونت دي شارني حبيب الملكة لحراستها

وكانت الملكة مسرورة في هذا اليوم لسببين . الاول انها تحققت انها ستخلص من تهديد الباريزيين واضطهادهم كما كانت تعتقد والثاني انها كانت تشعر بان صديقها شارني قريب منها وانها تحت حمايته وحراسته

اما الملك فانه كان سكوتاً لا يتكلم

وقبل ان فارق الملك قصر التويلري ترك فيه منشوراً الى الامة الفرنسوية

وظلت المركبة سائرة بركابها وهم يضربون اخماساً لاسداس في ماذا يكون مصير هذا السفر حتى وصلت الى المحطة الاولى فغيرت الخيل واستانفت السير . فاطمأن بال الملك والملكة قليلاً لانه قد مرّ عليهما مدة دون ان يتعرض لمركبتهما احد . وكانت هذه المركبة مقفلة وهما يشاهدان من داخلها الناس الذين كانوا يمرون بها دون ان يدروا بانها تضم الملك والملكة وولديهما . وكانا ايضاً يشاهدان الجنود التي بعثها المركيز دي بوليه لحراسة المركبة من بعيد . اما الكونت دي شارني فانه كان على جواده يسير وراء المركبة في مسافة بعيدة ويمرّ بعدها في الاماكن التي تمرّ بها ليسمع ما يقوله الناس عنها

وهكذا مرت المركبة في عدة محطات دون ان يلتفت احد اليها او يدري بركابها . ولكنها لما وصلت الى محطة قريبة من فارين خطر للملك ان يبرز رأسه من نافذتها ليشاهد

المكان والسكان فمن سوء حظه وقع نظره على رجل كان قد ذهب الى باريز وشاهد الملك فيها · فلما رأى هذا الرجل الملك دهش وقال : هذا هو الملك · فاسرع الملك الى الرجوع عن نافذة المركبة · ثم سارت المركبة في سبيلها وقدم الكونت دي شارني على اثرها فسمع الناس يلهجون بما شاهده الرجل الذي تقدم ذكره · ثم انتهى بهم هذا الحديث الى ارسالهم فارساً وراء المركبة لينبيء محطة فارين بوجوب ايقاف تلك المركبة وفحص جواز السفر الذي مع ركابها لان بعض السكان يزعم ان الملك قد فرّ فيها بامرته بقصد الخروج من فرنسا

فلما سمع الكونت دي شارني هذا الكلام ورأى الفارس قد امتطى جواده وسار في اثر المركبة طار صوابه وتحقق ان الخطر عظيم · ولكنه لم يلبث ان عاد اليه رشده فرأى انه اذا قتل ذلك الفارس فانه بذلك يمنعه من اطلاع المحطة التالية على هذا الامر وبذلك تنجو المركبة · وبناء عليه ركب شارني جواده وسار في اثر الفارس المذكور كانه البرق الخاطف

وهكذا كان على طريق (فارين) مركبة تعدو وهي تطلب الخلاص من خطر بات لها · وفارس يعدو وراءها يطلبها · وفارس آخر يعدو وراء هذا الفارس ليقتله ويمنعه من الوصول اليها

وظلّ الفارسان يعدوان بسرعة البرق حتى كلّ جواداهما · ولكن جواد دي شارني كان اكرم من جواد خصمه ولذلك ربح بعض المسافة واستطاع الدنو منه · اما الفارس فانه لما شاهد فارساً آخر يعدو وراءه تحقق انه يطارده من اجل المهمة التي سار من اجلها فازداد استحثاثاً لجواده ليفر منه · فكان جواده يعدو بكل قواه وجواد دي شارني يعدو بكل قواه ايضاً · ولكن المسافة بينهما ظلت كما هي فلا جواد دي شارني لحق بالجواد الثاني ولا الجواد الثاني استطاع ان يتوارى عنه · فلما راى ذلك صاحب الجواد الثاني ترك الطريق المطروقة ومال الى غابة هناك بقصد اختصار المسافة منها · فسار دي شارني في اثره بين اشجار تلك الغابة · وبعد حين صار دي شارني على مسافة مرمى الرصاص منه فتنفس الصعداء لانه تحقق انه قد ادرك امنيته · فمد يده الى بيت السلاح الذي كان في مقدمة سرج الجواد وهو يقول في نفسه لقد قتلت هذا العدو وانقذت الملك والملكة · ثم تناول المسدس بيده وصوبه الى خصمه واطلقه عليه وقلبه يرقص فرحاً وجزعاً

وكان قلبه فرحاً لانه سيخدم الملكية اكبر خدمة وجزعاً لانه يتعمد قتل نفس بشرية

ولكن من سوء حظ الملك والملكة ان ذلك المسدس كان فارغاً من الرصاص لان دي شارني كان قد نسي حشوه . فياخيبة الامل وسقوط الرجاء

وهكذا استطاع ذلك الفارس الوصول الى محطة فارين وابلاغ ذلك الامر الى حكومتها المحلية

فلما انتشر الخبر بين السكان خرجوا جميعاً لمشاهدة هذا الامر الغريب . ولما قدمت المركبة اوقفها الحاكم وطلب جواز السفر من الرجل الذي فيها فقدم له الملك الجواز الذي معه باسم مستعار لا حقيقة له . ثم انتهى الامر بمعرفة السكان الملك وايقافه عن المسير مع اسرته . فكان لذلك دوي عظيم في باريز وفرنسا والدنيا كلها

ولما ذاع الخبر بايقاف الملك في وارين تجمهر الشعر وحدث شغب عظيم . وقد تقدم الكلام ان الفيكونت ايزيدور دي شارني زوج كاترين كان في معية الملك . فبينما كان في وسط الجمع امام المكان الذي نزل الملك فيه عرف الشعب انه من ضباط الملك ورجاله . فدت يدٌ واطلقت عليه رصاصة فاصابته في صدره . فصاح ايزيدور حينئذ : مسكينة انت يا كاترين . يريد بذلك انها قد اصبحت بعده ارملة بلا زوج ولا نصير . وبعد بضع دقائق فارق هذا الشاب الحياة في سبيل الملك كما كان مصير شقيقه جورج الذي قُتل في فرساليا على ما تقدم

ولما درى المجمع الوطني بايقاف الملك في فارين وانتشر الخبر في باريز هاج الشعب وماج كالبحر الزاخر وقرر المجمع ارسال بعض اعضائه لمرافقة الملك في عودته الى عاصمته . وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً في فرنسا كلها . وقد قرر المجمع الوطني ايضاً الغاء سلطة الملك وايقافه عن الملكية وقتياً ليثما يقسم يمين الامانة للدستور . ولم يبادر المجمع بخلع الملك رسمياً لانه رغبة في المسالمة اعتبر الملك مخطوفاً لا فاراً والقى تبعة خطفه على المركيز دي بوليه وضباط حرسه . وحين عودة الملك الى باريز عاد اليها في مركبة جلس فيها بعض اعضاء المجمع الوطني الذين ذهبوا لاستقباله واعادته الى عاصمته . فكان ذلك رمزاً لطيفاً الى تغلب الشعب على السلطة الملكية واخضاعها اياها لان اولئك الاعضاء كانوا من ابناء الشعب لا من ابناء النبلاء

الفصل الواحد والثلاثون

﴿ واقعة فالمي المشهورة ﴾

وفي ١٣ سبتمبر من ذلك العام اقسم الملك يمين الامانة للدستور وعاد الشعب الى حبه واكرامه • ولكن الملكة كانت موقنة ان خلاص الاسرة المالكة لا يكون الا على يد اوربا وقد كانت تكتب ذلك الى اخصائها • وفي ٢٠ ابريل من عام ١٧٩٢ وقعت الحرب بين النمسا وفرنسا وكانت الملكة تتمنى في نفسها انتصار النمسا على فرنسا ويقال ان الملكة ارسل يومئذ الى برلين والى فيينا بيان الخطط العسكرية التي وضعها الجيش الفرنسوي لهذه الحرب • ولما انتصر الجيش الالماني على الجيش الفرنسوي في المعركة الاولى قيل للملك والملكة ان يقصدا كومبيين فكان جواب الملكة ان الجيش الالماني وضع نصب عينيه ان يأتي وينقذنا في باريز نفسها »

وكان المجمع الوطني قد انحلّ وحلّ محله مجمع يُدعى « المجمع التشريعي » وقد انعقد بالانتخاب العام • فظنت الملكة ان اعضاء هذا المجمع سيكونون اضعف من اعضاء المجمع الوطني لانهم كانوا حديثي السن وكان اغلبهم من الاقاليم ولم يكن بينهم احد من اعضاء المجمع السابق • اما مشيرو الملكة فابلغوها ان هولاء الشبان القادمين من الاقاليم سيكونون اشد وطأة من اسلافهم الشيوخ المطبوعين على التأني • وفي اثناء ذلك كان الملك مستمرًا على مخابرة الاعداء الذين كانت تحاربهم دولته • وكان معتمدًا على ستة آلاف من انصاره ومريديه لتفريق شمل اعضاء المجمع التشريعي وتمزيق رجال الثورة كل ممزق • ولكنه كان يحسب هذا الحساب وهو يظن ان النصر سيكون حليف الجيش الالماني والنمساوي • ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه • والرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن

وبيان ذلك بالاختصار ان باريز قامت قومة واحدة لدفع العدو الخارجي القادم بخيله ورجله لدوس ارادة الامة في ملكها • فقد أعلن فيها ان الوطن في خطر ولذلك سارع الى الرايات والجندية كل شاب ورجل يستطيع حمل السلاح • وقد انخرط في سلك الجيش الوف من الخياطين والحلاقين والحمالين وكل اصحاب الحرف • فلما سمع بذلك جيش العدو ضحك ضحكًا شديدًا من جيش يكون رجاله كهولاء الرجال • ولكنه لم يكن يدري ان فرنسا نفسها قد قامت على قدم وساق في اشخاص هؤلاء الخياطين والحلاقين والحمالين • لم يكن

يدري ان الروح الفرنسوية قد آلت على نفسها يومئذ ان تنتصر وتدفع العدو المغير على بلادها او ان تموت موت الابطال تحت سنابك الخيل وبين حراب الرجال. ويومئذ وضع روجه دي ليسل النشيد الوطني الفرنسوي المعروف الذي لا يزال النشيد الفرنسوي الرسمي الى هذه الايام . والتقى ذلك الجيش جيش الخياطين والحلاقين والحمالين بالجيش الالماني العظيم الكامل العدد والعدد في اكمة تدعى اكمة فالمي . وكان الجنرال ديموريه الفرنسوي يقود الجيش الفرنسوي وكان هذا الجيش نازلاً في قمة الاكمة والجيش الالماني في سفحها يبغي المرور ولا مقدرة له على ذلك اذا لم يدحر الجيش الفرنسوي و يزحزحه عن مكانه .

وكان مستقبل فرنسا بل مستقبل العالم كله متوقفاً على هذه المعركة . وكانت المدافع الالمانية تصب كراتها على الجيش الفرنسوي في الاكمة وهذا الجيش واقف في مكانه ينتظر اوامر قواده . وبعد حين اصابت احدى القنابل الالمانية صندوقاً كبيراً للبارود فانفجر الصندوق وكان له دوي شديد اضطرب له الجيش الفرنسوي . فلما راى القائد الالماني ان الاضطراب قد وقع في جيش خصمه تحقق النصر فامر جنوده المدربة بالهجوم في الحال لتسلق الاكمة وسحق اعدائهم فيها

فلم يفت القائد الفرنسوي ما قصده القائد الالماني . فترك ذلك القائد الجنود الالمانية تتقدم دون ان يامر باطلاق مدفع او بندقية . وكان زحف تلك الجنود هائلاً . فانها كانت اقدر جنود اوربا . وقد كان زحفها الى شبان لم يروا نار الحرب ولم يشهدوا معركة قط . الى خياطين وحلاقين وحمالين كما تقدم. ولكن لما صارت هذه الجنود المدربة على مقربة من الجيش الفرنسوي تقدم القائد الفرنسوي جيشه ثم تناول قبعته فوضعها على راس سيفه وصاح باعلى صوته « لتحيَ الامة ايها الجنود » ثم هجم

فاجابه جيشه كله « لتحيَ الامة » ثم هجم وراءه

فهل رأيتَ الصواعق حين انقضاضها . هل رأيت التيار كيف يجرف ما يعترضه في سبيله . هل رايت الامواج المائلة كيف تتلاعب بزوارق تكون على سطحها : هكذا كانت الجنود الالمانية المدربة بازاء ذلك الجيش الذي تالف من ارباب الحرف والمهن . ولقد كان صراخ الجيش الفرنسوي « لتحيَ الامة » بمثابة صراخ امة لاتريد ان تموت وتدافع عن شرفها وحياتها الى آخر نسمة من حياتها . وبناء على ذلك لم يمضِ نصف ساعة حتى انكسر الجيش الالماني اشد انكسار ووصل نباء انتصار الجنود الفرنسوية الى باريز فبكى الباريزيون من فرحهم واقاموا في العاصمة احتفالات عظيمة

الفصل الثاني والثلاثون

﴿ سجن الملك ﴾

اما البلاط الفرنسوي والملوك في اوربا فانهم دهشوا واي دهشة لهذا الانتصار لانه لم يخطر لهم في بال . واما المجمع التشريعي فقد تشدد عزمه وقوي صوته فخطر له يومئذ ايقاف سلطة الملك مرة ثانية . على انه لولا هذا الانتصار وثقة المجمع بقوة جيشه لما اقدم المجمع على ذلك لخوفه من مؤامرات الملكيين في الداخل والخارج . وبناء على ذلك امر هذا المجمع بايقاف سلطة الملك وقتياً لينفي عنه ما اتهم به من مخابرة اعداء الدولة . فاخذ الملك والاسرة المالكة اولاً من قصره الى قصر لوكسمبرج ثم نُقل من هذا القصر الى التامبل فكان هذا المكان بمثابة سجن له ولاسرته . ولكن لما قام مجمع الكونفاسيون بعد المجمع التشريعي قرر اعضاؤه خلع الملك خلعاً نهائياً في ٢١ سبتمبر (سنة ١٧٩٢) ونادى بقيام الجمهورية في اليوم التالي

فكان لهذا الامر دوي شديد في فرنسا واوربا كلها . وكانت النمسا والمانيا تحرقان الارم على فرنسا وتتمنيان محقها لانقاذ الملك والاسرة من مخالبها . اما فرنسا فانها كانت ساهرة اشد سهر على ملحكها واسرته لمعرفتها انه اذا استطاع الفرار عاد اليها محاربا فتقع الحكومة الفرنسوية بين نارين نار حرب خارجية مع الدول ونار حرب اهلية في داخل بلادها . وكان لملوك اوربا حساب آخر وهو انهم ذعروا اشد ذعر من خلع الملك واقامة الجمهورية لخوفهم على عروشهم وحذرهم من ان تسري عدوى الجمهورية الى شعوبهم فيصنعوا بهم ما صنعه الشعب الفرنسوي بحكامه ولذلك اتحد الجميع لمحاربة الحرية التي انبثق فجرها في باريز . ولكن يظهر ان الله سبحانه وتعالى قد كره اطفاء ذلك النور العظيم وجعل الكلمة النافذة والسلطة العليا للشعوب لا للملوك . واذا كان الملوك قد وقفوا بعد ذلك في اوربا عند حدودهم وصاروا يعتبرون الشعوب ابناء لهم لا عبيداً وانما ساغة فمعظم الفضل في ذلك راجع الى الثورة الفرنسوية

وقد كان سجن الملك لويس السادس عشر في بدء الامر مع اسرته فكان يرى الملكة وولديه واخته في كل يوم . اما الملكة فلا تسل عن حالتها وهي في السجن فانها كانت كلبوة في قفص من حديد . وكان حبيبها دي شارني قد قتل في اثناء هجوم الشعب على قصرها

لاخراجها منه ولذلك كان بأسها مزدوجاً . وان كل من بين جنبيه قلب حساس يشعر بمصائب البشر وان اخطأوا في حياتهم وحادوا عن الصواب في اعمالهم لا يسعه الا ان يتألم مع هذه الملكة والام والزوجة التي جنت على نفسها هذه الجناية وهي لا تدري بها

وكان الملك يقيم في الطبقة الاولى من التامبل والملكة وولداها في الطبقة الثانية . وكان الضباط ينامون امام الغرف لحراستهم في الليل . وكان القائد سانتير يفد في كل يوم الى التامبل مع اركان حربه لزيارة المسجونين وتفتيش المكان . وكانت الحكومة تنفق على مائدة الملك وحدها في كل شهر اكثر من ٥٠٠ جنيه

وكان انصار الملك يعقدون المؤامرات السرية لخطفه مع اسرته من السجن فلما ظهرت آثار تلك المؤامرات ازدادت الحكومة تشديداً وسهراً على مسجونيها ومنعت عنهم الحبر والورق وحالت بينهم وبين كل داخل وخارج فانقطعت اخبار العالم عن الملك وانقطعت اخباره عن العالم

ثم شرعت حكومة الكونفانسيون بالاهتمام بمحاكمة الملك . وكان لرجالها رأيان . الرأي الاول الاكتفاء بخلع الملك ونفيه من فرنسا والثاني وجوب محاكمته والحكم عليه بالاعدام

وكان انصار الرأي الاول يقولون : « ان الامة قررت على يد نوابها في الدستور الذي وضعته في عام ١٧٩١ ان شخص الملك مقدس فهو غير مسئول عن شيء من الاشياء ولا يجوز ان يُمس بشيء . فليس للحكومة ان تسن الآن قانوناً جديداً ينقض ذلك القانون القديم . وقد جاء في هذا القانون القديم ان الملك اذا خان الامة وعمل على محاربتها مع اعدائها فجزاؤه الخلع من الملك . فاكتفوا اذاً بخلع الملك . واذكروا ان وزراءه هم الذين يجب ان تقع عليهم كل مسئولية »

واما انصار الرأي الثاني فانهم كانو يقولون : « اذا كان شخص الملك مقدساً وغير مسئول فهو مقدس وغير مسئول بالنظر الى دوائر الحكومة ومجالسها لا بالنظر الى الامة نفسها . فهو مسئول لدى الامة لان الامة فوقه . ولا يجوز للملك ان يتمسك بالدستور فيقول عاملوني بموجب الاتفاق الذي عقد بيننا من الاكتفاء بالخلع فان الرجل الذي صرف عمره في مقاومة الدستور في السر ونقض احكامه لا يجوز له ان يتمسك به و يرجع اليه . وان قيل ان المسئولية واقعة على الوزراء دون سواهم فهذا خطأ محض اذ كيف يجوز ايقاع المسئولية على اناس لم يعلموا بالحوادث التي جرت لكتمان الملك اخبارها عنهم . اما الخلع فهو عقاب غير كاف لان كل قوانين الامم تحكم بالاعدام على كل خائن لدولته وامته . واما

سؤالهم عن المحكمة التي يجب ان يحاكم الملك لديها فهي محكمة الامة اي النواب الذين اختارتهم الامة ليمثلوها . واما قولهم انه لا يجوز ان تكون الامة خصماً وحكماً في حين واحد فهو قول غريب واذا كان ذلك غير جائز فهل نفوض اذاً هذه المحاكمة الى الدول الاجنبية »

الفصل الثالث والثلاثون

﴿ المحاكمة ﴾

وفي ٣ دسمبر من ذلك العام جعل روبسبير مجمع الكونفانسيون يقرر هذا القرار « يجب محاكمة الملك وينبغي ان تكون محاكمته في مجلس الكونفانسيون » وكانت الحكومة قد وجدت في الخزانة السرية التي تقدم تفصيل انشائها في القصر كثيراً من الاوراق السرية التي لا اهمية لها . وذلك لان الحكومة لم تعثر على هذه الخزانة الا بعد ان اخذ منها البلاط كل الاوراق المهمة كما ذكرت مدام كبان في تاريخ حياتها . وقد اتهم كثيرون من المتطرفين الوزير رولان نفسه بانه اخفى بعضاً من الاوراق المهمة التي وجدت فيها . وقد دفع رولان هذه الاوراق الى الكونفانسيون في ٢٠ نوفمبر

وفي ١١ دسمبر ذهب بسيون الى التامبل وابلغ الملك قرار الكونفانسيون القاضي بمحاكمته مع صورة الاتهام . وفي اليوم التالي حضر الملك الى قاعة المحاكمة . وهكذا وقف الملك لدى شعبه في موقف المجرمين

وقد جلس الملك في قاعة الكونفانسيون على كرسي امام الاعضاء وكان الرئيس يلقي عليه الاسئلة فيجاوب بكل بساطة واتضاع . وكان احياناً ينكر ما يعزى اليه واحياناً يلقي تبعته على وزرائه واحياناً يقول ان ما صنعه كان من حقه ويستند في ذلك الى مواد الدستور التي كان قد حفظها كلها . ولما سُئل عن الخزانة الحديدية السرية التي تقدم ذكرها اجاب انه لم يكن يعرف ما كان مخبوءاً فيها . قال الجمهوريون : وهذا كذب صريح . وقد دافع عن الملك مالزب وديسيز . وفي هذه الجلسة خاطب ديسيز اعضاء الكونفانسيون بهذه الكلمة المشهورة في اللغة الفرنسوية وهي « انني اطلب عندكم حكماً فلا اجد الا خصماً » وقد كان الدفاع عن الملك مؤثراً . وقد دافع هو نفسه عن نفسه بخطاب وجيز يدل على بساطته . ولم يكن في كلام الملك ولا في وقفته شيء من العظمة الملكية لان لويس السادس عشر كان مشهوراً

بالبساطة واللطف وترك الامور لاقدارها كما عرفه القراء

وكأنّ هذه البساطة وهذا التسليم قد اثرا في القضاة ولذلك وقف سن جوست احد الثلاثة في جلسة اخرى وطعن على الملك بقوله انه ظالم يظهر اللين وقد اشبع الامة ظلماً واستبداداً بهذا اللين وهذه البساطة . وكان التردد كثيراً بين الاعضاء ولذلك اقترح بعضهم ان يُسأل الشعب باقتراح عام عن رايه في هذه القضية الكبرى . ولكن الساسة تحققوا ان هذا السوال اذا القي على الشعب جرّ وراءه حرباً اهلية ولذلك عدلوا عنه . وبعد ذلك شرع المجمع باخذ آراء اعضائه في الاسئلة الثلاثة التي كانت في هذه القضية وهي

(١) « هل ان لويس كابت جنى على الحرية العمومية وسلامة الدولة الفرنسوية بالتآمر مع اعدائها

(٢) « ماذا يكون جزاء لويس

(٣) « هل يجب تنفيذ الحكم الذي يصدر على لويس ام ايقاف تنفيذه

وكان من الواجب على الاعضاء ان يبدوا آراءهم من غير تستر ولا كتمان وهو ما يسمونه التصويت جهراً . وقد قال كثيرون من المورخين انه لو كان التصويت بالاقتراع السري لما كان قد حُكم على الملك بما حكم به عليه

فلما القي السوال الاول على الاعضاء انقسمت الاصوات كما ياتي

٨ اعضاء كانوا غائبين بسبب المرض

٢٠ عضواً غابوا لاشغال الحكومة

٢٧ لم تحص اصواتهم

٣ امتنعوا من التصويت

٦٩١ اجابوا بالايجاب

ثم سئل الاعضاء هل يجب ان يُعرض حكم المجمع على الشعب ليوافقوا عليه . فاجاب ٤٢٤ عضواً جواباً سلبياً و٢٨٧ عضواً جواباً ايجابياً

ثم القي عليهم السوال الثاني فكانت الاصوات كما يلي

٢ صوتان قضيا على الملك بالسجن

٢٨٦ صوتاً قضت بالنفي بعد عقد الصلح مع اوربا او قبله

٣٦١ صوتاً قضت بالاعدام

٢٦ صوتاً قضت بالاعدام مع ايقاف التنفيذ

وفي ١٩ يناير القي عليهم السؤال الثالث فاجاب ٣٨٠ عضواً بتنفيذ الحكم عاجلاً واجاب ٣٤٦ عضواً بايقاف تنفيذه . وهكذا حكم على ذلك الملك المسكين بالاعدام وتنفيذ هذا الحكم فيه عاجلاً مع انه لم يجنِ نصف ما جناه اسلافه . فجاء ذلك طبقاً للمثل الذي كان يمثل به وهو : الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون

الفصل الرابع والثلاثون

﴿ الاعدام ﴾

وكان الحكم على الملك في ١٧ يناير وقد قُرر انفاذه في ٢١ منه

وكان المنتظر ان الحزب الملكي يقوم بعد هذا الحكم بعمل عظيم يقصد به انقاذ الملك قبل اعدامه . الا انه لم يعمل شيئاً تقريباً . وكان الملك يتوقع هذه المداخلة وقد بقي هذا الامل في نفسه حتى وضعت سكين الكليوتين على عنقه . ولذلك كانت حكومة الكومون تبذل قصارى جهدها في مراقبته وحراسته

وفي ٢٠ يناير قدم الى التامبل سجن الملك وزير العدلية المسيو كارات وقائد الجند سانتير وغيرهم ليقرأوا على الملك حكم المجلس . فلما قرأوه عليه سطر الملك ورقة طلب فيها اربعة امور . (١) ان يُفسح في اجله ثلاثة ايام ليستعد للموت . (٢) ان يؤذن للملكة وولديها بالخروج من فرنسا . (٣) الاذن له بالاجتماع بزوجته وولديه قبل اعدامه (٤) ان يُستدعى له كاهن من الكهنة الذين لم يقسموا يمين الامانة للحكومة لان الذين اقسموا هذه اليمين كانوا محسوبين خارجين عن الكنيسة تقريباً

اما الامر الاول والثاني فقد رفضتها الحكومة ولكنها اجابته الى الثالث والرابع . فاستدعى وزير العدلية كاهناً اجنبياً يُدعى ادجورث دي فريمون وجاء به في مركبته في الساعة السادسة مساء . فخلا الملك بهذا الكاهن ولبث يحادثه ساعتين عن شؤون الكهنة والديانة . وفي الساعة الثامنة اجتمع بالملكة وولديها واخته فكان اجتماعاً مؤثراً تدمى له القلوب . وقد كان يومئذ محظوراً عليه هذا الاجتماع لان الحكومة فصلته عن اسرته بعد ما ظهر لها من مؤامرات الملكيين لانقاذه وايصال الاخبار اليه

اما الملكة المسكينة فانها وقعت في يأس لا يوصف لما عرفت بذلك الامر الهائل .

واما ابنته فانها اغمي عليها بين يديه . ولبث الجميع يبكون ويتعانقون بلهفة ويأس يقصر القلم عن وصفها . فما اغرب تصاريف الزمن واحكامه . ان اكبر المصائب البشرية دخلت الى منزل اكبر رجل في قومه . الى منزل ملك كان يظن بيته في مامن منها . فصار هذا الملك وزوجه واولاده يعدون في تلك الساعة اصغر الصعاليك الذين يعيشون في اكواخهم الحقيرة في تلك البلاد الواسعة التي كانوا يحكمونها بملكتهم الجليلة

ولم تفارق الملكة الملك حتى وعدها وعداً باتاً بانه يقابلها مرة ثانية قبل ان يُساق الى الاعدام . وبعد مفارقتها خلا الملك بالكاهن مرة ثانية وجلس يحادثه الى منتصف الليل . وبعد منتصف الليل قصد فراشه ونام بعد ان اوصى خادمه ان يوقظه في الساعة الخامسة صباحاً اي قبل الميعاد المعين للذهاب الى ساحة الاعدام . وكان غرضه من ذلك حضور قداس استاذن الكومون في اقامته فاذنت له . وقد قام بهذا القداس الكاهن الذي تقدم ذكره

وفي مساء ذلك اليوم (٢٠ يناير) قُتل في باريز النائب دي سان فرجو وكان من الاعضاء الذين قرروا قتل الملك . فظنت الحكومة ان هنالك موءامرة ملكية عظيمة فازدادت تشديداً ومراقبة على الملك . ولما حانت ساعة الاعدام اقنع الكاهن الملك بان لا يقابل الملكة فان مقابلته اياها في مثل تلك الحالة مما يبلغ اليأس في نفسها الى اقصى حدوده . فاقتنع الملك بذلك . ثم انه تناول خاتم زواجه فاوصى بان يدفع اليها واخذ خاتم المملكة الرسمي فاوصى بان يُسلم الى ابنه وولي عهده مع وصيته التي كان قد كتبها . وحينئذ قدمت المركبة التي عُينت لنقله الى ساحة الاعدام فنزل الملك لويس السادس عشر من سجنه بعد ذلك العز والسلطان وركب هذه المركبة

وكانت هذه المركبة خضراء اللون وفيها جنديان جالسان في مقدمتها . اما الملك فانه جلس مع كاهنه في داخلها . ولما جلسا فيها جرت بهما نحو « ساحة الثورة » حيث نُصبت آلة الاعدام وهي الكليوتين التي تقدم ذكرها

وكانت باريز في تلك الساعة هادئة ساكنة كانها مدينة اموات لا مدينة احياء . وكانت النوافذ والابواب مقفلة . الا ان الشوارع والاسواق كانت غاصة بالناس وكلهم مدججون بالسلاح ومتحصنون

وفي الساعة العاشرة وصلت مركبة الملك الى ساحة الاعدام فكان الناس فيها كالبناء المرصوص يزحم بعضهم بعضاً . فنزل الملك من المركبة وبداء يخلع ملابسه . وكان ثابت

الجاش هادئاً لامرين . الاول انه كان شديد التمسك بالدين المسيحي وذلك مما اعطاه قوة غريبة . والثاني انه كان لا يزال يرجو مداخلة بعض الاحزاب في شانه لينقذوه من مصابه كما تقدم . ولما خلع ملابسه تقدم منه الجلادون لربط يديه فقاومهم وقاوموه ولم يتركهم يربطونها حتى تداخل كاهنه واشار عليه بان يدعهم وشانهم . وكانت الطبول تُضرب في هذه الساعة فاشار اليها القائد سانتير فسكتت فالتفت الملك حينئذ وهو على آلة الاعدام وقال بصوت جهوري « ارجو ان يعود دمي خيراً على فرنسا »

وهنا اختلفت اقوال المؤرخين . ففريق الملكيين يقولون ان القائد امر حينئذ الطبول بان تضرب ثانية لخنق صوت الملك ومنع الحاضرين من سماع كلامه . واذا صحَّ هذا الامر كان عملاً فظيعاً يوازي فظاعة اعدامه . اذ ماذا يخاف البشر من حرية اللسان اذا كانوا قد حكموا على الانسان كله بالاعدام . وهل يجوز لهم ان يضعوا حين اعدام المخلوق حاجزاً بينه وبين الانسانية التي يُبلغ اليها ارادته الاخيرة وبين السماء التي يستغيث بها من ظلم بني جنسه او مما يسميه ظلماً

وفريق الجمهوريين يقولون ان القائد لم يامر حينئذ بضرب الطبول لخنق صوت الملك ولكن لحفظ النظام بين الجمع . فانه لما عزم الملك على الكلام اسرع الناس الى آلة الاعدام يزحمون بعضهم بعضاً لسماع كلامه وكاد يحدث اضطراب عظيم لذلك السبب . ولذلك قُرعت الطبول فعاد كل واحد الى موضعه

ومهما يكن من هذين القولين فقد سُمع الملك يقول ايضاً قبل اعدامه « انني اموت بريئاً . واتمنى ان لا يقع دمي على فرنسا » ولا صحة لما قيل من انه نادى قبل مصرعه « العفو العفو » كما انه لا صحة لقولهم ان كاهنه قال له حينئذ « اصعد الى السماء يا ابن القديس لويس » وقد كان الملك هادئاً رابط الجاش حين صعوده الى آلة الاعدام لانه كان لا يزال مؤملاً بان حزباً عظيماً سيقوم قومة واحدة لانقاذه . ولكنه لما رُبطت عيناه وتحقق دنو اجله صرخ صوتاً عظيماً على ما قالوا واضطرب بين يدي الجلاد . وفي هذا الحين سقطت الآلة وقطعت راس ذلك الملك التعيس .

ولقد اختلف المؤرخون في فائدة هذه الحادثة وفي فظاعتها . فمنهم من قال انها لم تجدِ نفعاً . قال ميشيله المؤرخ المعتدل المشهور « ان الملكية ماتت حين تنكّر الملك وفرّ الى فارين . وسقطت الى حد الدناءة لما بدا من الملك من الاثرة في ١٠ اغسطس . ولكنها بُعثت يوم اعدام الملك وذلك من طريق الشفقة وسفك الدماء » وقال كينه « ناشدتكم

العدل اخبرونا ماذا استفدنامن يوم ٢١ يناير (اي يوم الاعدام) وماذا نتج من سفك هذا الدم »

ومنهم من قال انها جناية على الانسانية ولذلك يسمون الاعضاء الذين قضوا باعدام الملك « قتلة » وهولاء هم انصار الملكية

ومنهم من قال ان ذلك الاعدام كان ضروريًا مع فظاعته . فانه لو بقي الملك في قيد الحياة لكانت اوربا تعتبره دائمًا الحاكم الشرعي لفرنسا وتساعده على العودة اليها . ولا يخفى ان ذلك امر يفضي في فرنسا الى حروب اهلية عظيمة

ولما نُشرت وصية هذا الملك وُجد فيها كلام في غاية الرقة . من ذلك قوله : انه يغفر لجميع الذين اضطهدوه وعذبوه واساءوا اليه . وهو يوصي فيها ولده ان يحذو حذوه اي ان ينسى كل اساءة . ويقول له ايضاً « اذا ابتليتَ بالملك (اي اذا وقعتَ في مصيبة الملوك وصرتَ ملكًا) فاذكر دائمًا انه يجب عليك ان لا تالو جهدًا في خدمة شعبك وابلاغه السعادة » وقد ختم وصيته بقوله « انني اشهد امام الله الذي ساقف لديه بعد حين انني برئ من الذنوب التي رُميتُ بها »

اما الجمهوريون فانهم يردون على هذا القول بقولهم ان الملك يعتبر نفسه دائمًا فوق كل قانون وكل سلطة . فاذا عمل اي عمل فانه يحسب نفسه بريئًا لاعتباره ان ذلك العمل داخل في دائرة سلطته

وبعد اعدام الملك قرر الكونفانسيون الاحتفال في مثل ذلك اليوم من كل عام بعيد وطني ولكن حين قيام الملكية ثانية في فرنسا جعلت حكومتها ذلك اليوم يوم استغفار وصلاة . وقد دُفنت جثة الملك في مقبرة المادلين . ورامت الحكومة الملكية بعد ذلك اقامة كنيسة في الساحة التي اعدم لويس السادس عشر فيها ولكن حكومة الملك لويس فيليب عادت وقررت نصب المسلة المصرية في تلك الساحة وذلك على سبيل الفصل بين الملكيين والجمهوريين . ولما انقضت مائة سنة على يوم هذا الاعدام اي في ٢١ يناير من عام ١٨٩٣ احتفلت الاحزاب المتطرفة الاشتراكية بهذا التذكار احتفالاً اظهرت فيه سرورها فاحتفل الملكيون في مقابلة ذلك احتفالاً اظهروا فيه حزنهم وودادهم لذلك الملك التعيس الذي صُبت على راسه وحده كل النقمات التي اجتمعت في فرنسا على يد ملوكها السابقين

الفصل الخامس والثلاثون

﴿ بعد مقتل الملك ﴾

لمة تاريخية اجمالية من مقتله الى اليوم

وبعد اعدام الملك حزنت الملكة عليه حزناً شديداً ولبست السواد هي وولداها واخت الملك القتيل . ثم استولى المتطرفون على الحكومة فاساءوا اليها في سجنها وفصلوها عن ولديها واخذوا يعذبونها . وقد حاول الحزب الملكي خطف الملكة والولدين فلم يقوَ على ذلك لشدة المراقبة عليهم . ثم حوكمت الملكة وحُكم عليها بالاعدام فاعدمت ايضاً ودُفنت مع زوجها . وبعد ذلك بات الفرنسويون حزبين حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة . ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتد الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة . ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طماعاً لا يهنأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فحارب بروسيا والنمسا وايطاليا وروسيا واسبانيا وانكلترا فغلبها كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة . ولما سيق نابوليون اسيراً الى جزيرة القديسة هيلانه اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا لويس السادس عشر الذي قُتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) . اما ابن لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر . غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً نحيف الجسم فمات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضايقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حلّ البرلمان ارضاء للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه . وذلك مما يدل على ان اصطدام الافكار والمبادىء بين الملكيين والجمهوريين كان مستمراً ولم يقف ابداً . وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبونابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك وجاء الى انكلترا . وكان لهذا الملك اخ ثان يدعى فيليب وكان مشهوراً

ميله الى المبادىء الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » ٠ وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو منع بعضاً من انصار حزب الاصلاح من اقامة اجتماع في المدينة فتنازل حينئذ لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري ولكن الشعب رفض ذلك والف حكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية وهي الجمهورية الثانية

ثمَّ جعل لويس بونابرت ابن اخي نابوليون الاول رئيساً لهذه الجمهورية فاغتصب الحكم ونادى بنفسه امبراطوراً باسم « نابوليون الثالث » لان نابوليون الثاني نجل نابوليون الاول كان قد توفي في النمسا كما هو معلوم ٠ وما زال نابوليون الثالث في عز وجاه حتى حارب الالمانيين في سنة ١٨٧٠ فاسروه في سيدان فنادى الشعب حينئذ في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية ثالثة ٠ وهي الجمهورية الثالثة التي لا تزال قائمة في فرنسا الى هذه الايام



الفصل السادس والثلاثون

﴿ اعمال الجمهورية ﴾

وهل تعود الملكية الى فرنسا

ولا يزال النزاع قائماً بين الملكيين والجمهوريين الى هذا الزمن . ولقد قام معهما حزب ثالث وهو حزب البونابرتيين . فصار هم الجمهوريين حفظ الجمهورية وهم الملكيين اعادة الدوق دورليان المطالب بالملك الى عرش فرنسا . وهم البونابرتيين اعادة احد الامراء من اسرة بونابرت الى عرش نابوليون الاول

ولوكان الجمهوريون على اتفاق ووئام لما كان للملكية او الامبراطورية امل في العودة الى الارض الفرنسوية . ولكنهم من سوء حظهم منشقون . فمنهم الجمهوريون المعتدلون ويسمونهم البروجرسيست . والجمهوريون الراديكاليون . والجمهوريون الراديكاليون الاشتراكيون والجمهوريون الاشتراكيون . والجمهوريون المتطرفون وهم اشد غلوّاً من رفاقهم الاشتراكيين لانهم يطلبون تقسيم الارض والمال بالسواء بين بني الانسان . وطريقتهم الى ذلك القوة والجبر لا المسالمة والاقناع . اي انهم ينتظرون غرة من الهيئة الحاكمة ليغيروا عليها ويقبضوا على ازمتها بمساعدة الشعب وقوته . واما الاشتراكيون المعتدلون فانهم لا يعتمدون على القوة في تحقيق آمالهم ولكن على تقدم البشر وارتقائهم في سلّم المدنية والرفق والعدل البشري . ومتى وصل البشر بحكم الارتقاء المستمر الى هذا الحد من العقل والفضل تنازلوا من تلقاء انفسهم عن مطامعهم وانالوا الشعوب حقوقها في خيرات الارض وسعادة الحياة

اما ما صنعه الجمهوريون في فرنسا فما لا يستطيع عاقل ان ينكره . فانه من المعلوم ان الامبراطورية قد خربت فرنسا واسقطتها الى حد الدول الصغيرة في حربها مع الالمان في سنة ١٨٧٠ . ولقد قال الناس يومئذ انه لا تقوم لفرنسا قائمة بعد تلك الضربة الهائلة . على انهم كانوا يقولون ذلك دون ان يحسبوا حساب الحكومة الجمهورية المبنية دعائمها على الجد والعمل والسلم والحرية . فان الجمهورية قامت بعد ذلك قومة واحدة الى اصلاح شؤون الدولة . فوفت الغرامة الحربية الهائلة وطهرت الارض الفرنسوية من اقدام الاعداء . ثم نظمت الجيش وانفقت عليه دماء القلب فصار مضاهياً لاعظم جيوش العالم بعد تفرق شاع في تلك المعارك المحزنة . ولقد شهد قواد الاجانب في باريز ان المدفع الفرنسوي هو اقوى

المدافع في اوربا في هذا الزمان مع انه كان في زمن الحرب في عهد نابوليون الثالث اضعف من المدفع الالماني بكثير وذلك سبب من اسباب انتصار الالمانيين . وقد انصرفت الجمهورية الى التعليم وانشاء المدارس فجعلت التعليم الزامياً وانفقت عليه قناطير الاموال . ونظمت مالية الدولة وجعلتها على قواعد ثابتة . ومدت السكك الحديدية في بلادها ونشطت الزراعة والتجارة والصناعة تنشيطاً لم يسبق له مثيل فيها . واكتسبت ثقة دولة روسيا العظيمة وحالفتها فانتقلت فرنسا بهذه المحالفة من درجة الدول الثانية التي وضعتها فيها حربها مع الالمان الى الدرجة الاولى واستعادت سمعتها وعظمتها القديمة . واكثر من ذلك كله انها انشأت لفرنسا مستعمرات واسعة تزيد مساحتها عن مساحة البلاد الفرنسوية عدة مرات . وهذا نهاية في النشاط والجد والعمل . ولو ان ملكاً او امبراطوراً قد صنع كل ذلك لفرنسا بدلاً من حكومتها الجمهورية لطار اسمه في الجهات الاربع وسماه الناس في كل اقطار الارض « ملكاً عظيماً »

وهذا هو السبب الذي يجعل الشعب الفرنسوي محباً لحكومة الجمهورية وناصراً لها فضلاً عما يجده فيها من الحرية المطلقة التي تنطبق على امياله واهوائه . ولقد قال فريق من الملكيين الذين يئسوا من عودة الملكية الى بلادهم : ان الذي ينكر ميل الشعب الفرنسوي الى الجمهورية ويظن ان الملكية او الامبراطورية اصلح لحكومته بعد الانقلاب العظيم الذي حدث في اخلاقه وعاداته وامياله يخطئ خطاء عظيماً

على ان الملكية او الامبراطورية قد تعود الى فرنسا في حالة واحدة : وهي انكسار فرنسا انكساراً شديداً في حربها مع احدى الدول كما قال المرحوم فليكس فور . ففي هذه الحالة تلقي الامة بنفسها بين ذراعي كل من يروم انقاذها . ولكن الحكومة الجمهورية ليست حكومة طياشة وخفة لتقذف نفسها في حرب تخرج منها مكسورة الجناح كما صنعت الامبراطورية الثانية بل هي حكومة تانٍ ورزانة وحرية في القول والعمل . ولا سلطة لرجل واحد عليها يدفعها حيثما يريد قضاء لاغراضه وانقاذاً لمطامعه . فهي حكومة الشعب بالشعب من اجل الشعب كما يقول الجمهوريون . وهم يعتقدون ان هذه الطريقة في الحكومة ستكون طريقة الحكومات في جميع الامم في مستقبل الزمان

الفصل السابع والثلاثون

﴿ الخاتمة ﴾

هذا ومما تقدم يظهر القارىء ان القلم قد هجر اسلوب الرواية الى اسلوب التاريخ في تفصيل حوادث هذه الثورة العظيمة واننا لم نعتمد على اسكندر دياس في الفصول الاخيرة . وبما اننا قد فرغنا من هذا التفصيل وصار في ذهن القارىء صورة اجمالية للحوادث التي تقدم ذكرها فقد وجب علينا ان نتعقب ابطال روايته كما تعقبنا ابطال التاريخ لنقف على ما وقع لهم قبل ختام هذا الموضوع . ومما لا يحتاج الى بيان اننا لولا اهمية التاريخ في هذه الاجزاء الاربعة وما فيها من وصف الحالة الاجتماعية في ذلك الزمن العظيم لما كان لنا صبر على الاهتمام بشؤون مختصة بالروايات التخيلية التي لا علاقة لها باحوالنا الاجتماعية .

اما خاتمة الرواية فاليك خلاصتها

لما سقطت الملكية واعدم الملك ذهب الدكتور جيلبار الى احدى القرى وانفرد فيها يندب حظ الملكية ويتامل في مجرى النواميس الطبيعية التي لا تُرد . وكثيرًا ما كان يقول في نفسه : لو ان لويس السادس عشر كان رجلاً مقداماً لقدر بالعقل والاعتدال والنشاط على انقاذ عرشه

واما الكونتس دي شارني فانها اخذت ابنها سيباستيين الى منزلها باذن من الدكتور جيلبار وعاشت مسرورة باجتماعها به وحزينة لوفاة حبيبها وزوجها اوليفيه . ويحق لهذه المرأة المحبة التي لم يدخل الحب قلبها الا لعذابها ان تتمثل بقول ذلك الحكيم الذي قال : ان الانسان الذي كان في خاطره امران يروم تحقيقهما ثم لم يتحقق منهما الا امر واحد لا يجب ان يحسب نفسه تعيساً فانه كثير على الانسان ان تتحقق نصف آماله

واما ايزيدور دي شارني فقد تقدم انه قُتل في سبيل الملك حين فراره وهو يقول « مسكينة انتِ يا كاترين » . وفي الواقع ان هذا المصاب كان شديدًا على حبيبته وزوجته كاترين لانها كانت قد هجرت بيت ابيها من اجله . ولما وجدت كاترين نفسها وحيدة فريدة في قلب باريز اسودت الدنيا في عينيها خصوصاً لانها كانت قد صارت اماً وصار على يدها ولد يجب عليها القيام عليه . وكانت الاعوام قد مرّت عليها وعلى ابيها بيلو فغيرتهما ولم تغيرة . ذلك ان هذا الاب الصارم الحريص على شرفه وشرف عيلتة ال على

نفسه ان لا يرى بعد ذلك اليوم وجه الابنة الطائشة التي تركت بيت ابيها من اجل شاب اغواها خصوصاً لان هذا الشاب من النبلاء الذين كان هو يحاربهم • وكان غليل يبلو قد اشتفى من طبقة النبلاء ولم يبقَ له من ثار عندهم لانه هو ورجال الثورة قد اسقطوهم عن عروشهم الا انه مع ذلك كان لا يطيق رؤية كاترين • وكانت كاترين تعرف اخلاقه ولذلك لم تطرح نفسها عليه • ومما زاد في ياسها وحزنها بعد موت زوجها وحبيبها وفاة امها التي لقيت اجلها من حنينها اليها ولهفتها عليها • ولقد ماتت هذه الام المسكينة واسم ابنتها كاترين بين شفتيها

بقي صاحبنا بيتو • وكان بيتو قد شبَّ في هذه الاعوام وصار رجلاً • وبما انه كان جريئاً وصاحب قبضة قوية فقد تقدم في اثناء الحوادث الماضية وصار من انصار الثورة الاشداء • الا انه مع تقدمه وارتقائه كانت في نفسه غصة شديدة • وهذه الغصة هي حب كاترين • ولذلك لما سمع بان زوجها وحبيبها ايز يدور دي شارني قد لقي حتفه اسرع الى منزلها في باريز ليعزيها • ثم انتهى الامر بينهما بما لم يحلم به بيتو في المنام وهو رضى كاترين بان تقترن به وتتخذه عوناً وسنداً

وبناء على ذلك عاد بيتو مع كاترين الى قرية عمته التي تقدم ذكرها في مقدمة الرواية • وكان قد علم بان عمته قد ماتت ولم تترك له شيئاً • فلما دخل مع كاترين الى بيتها جلس على الكرسي المعروف من القارىء وجلست كاترين بازائه • ثم سحب بيتو هذا الكرسي قليلاً ليدنو من كاترين فسمع في داخله صوتاً يحكي صوت احتكاك قطع النقود • ففحص الكرسي متانياً فوجد ذلك الصوت حقيقياً فاخذ آلة وفتح جوف الكرسي فوجد فيه كومة من الذهب

فطار صواب بيتو حين وقع نظره على الذهب • ثم عاد اليه رشده فعلم ان عمته كانت تخزن المال الذي تجمعه في هذه الخزانة السرية

ولما عدَّ بيتو وكاترين تلك الكومة الذهبية وجدا انها تزيد على الالفي قطعة • فقال بيتو رحمك الله يا عمتي وغفر لك بخلك في حياتك فانك كنتِ كريمة في مماتك • ثم جمع الذهب وابتاع به مزرعة وعاش فيها مع حبيبته وزوجته كاترين هنيء البال قرير العين وبذلك انتهت هذه الحادثة بالزواج شان كل قصة كما قال موليير

تمت